

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم
بما فيه
الغيب
والله اعلم
بما فيه
الغيب

جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية

عند حضر نجاد

منذ القرن العاشر الهجري إلى قيام دولة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١٩٠١ هـ / ١٢٩٦ - ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م

رسالة توثيق في التاريخ الحديث

إعداد

عبد الرحمن بن علي العريفي

المحاضر بقسم التاريخ بالكلية

وإشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الله بن يوسف السليل

الأستاذ بقسم التاريخ بالكلية وكيل الجامعة

العام ١٤٠٩ هـ

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمت طاقته هذه الرسالة لرسالة ١٠ - ١٢ من صياح

نعم لم يزلنا و ١٧ / ١١ / ١٩٤٠ أحوال ١٧ / ١٩٨٩
وتم على هذا على هيئة الشرف لهذا مع لهو صيغة الجدية
الرسالة على نفقة الجاهل و كان أعضاء طلبة لنا
و طبع على الرسالة

١- اذ لم يزلنا لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

الذي في الرسالة

٢- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٣- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٤- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٥- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٦- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٧- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٨- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

٩- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٠- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١١- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٢- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٣- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٤- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٥- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٦- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٧- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٨- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

١٩- لرسالة و لرسالة و على الرسالة و هو أبو خليفة أستاذ التاريخ

المقدمة

المواد

١٢ / ١١ / ١٩٤٠

١٩٨٩ / ١ / ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله
وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

تشكل الحياة الاجتماعية اطارا عاما و محورا تلتقى حوله المجالات
الحيوية الأخرى تؤثر فيه أو تتأثر به ، ومن هنا فانه لابد لكى تتضح معالم
الحياة الاجتماعية لأى مجتمع أن تدرس الجوانب الأخرى سواء تلك
التي يقوم بها المجتمع بأسره كالدين أم تلك التي تقوم بها فئات المجتمع
كالجوانب العلمية والنشاط الاقتصادي أم تلك التي تشكل مظاهر عامة
للحياة الاجتماعية بيد المجتمع بشكل عام متمسكا بها الا أنها لا تنطبق
عليها صفة الالتزام كالعادات والتقاليد وبعض النظرات الاجتماعية .

ولقد لقيت أحداث التاريخ السياسى اهتماما أكبر من مؤرخينا المحليين
مما تشج معه أو تندر أو تنعدم أحيانا الاشارة الى جوانب التاريخ الأخرى
فى بعض الفترات ، وليس هؤلاء المؤرخون بدعا من المؤرخين السابقين
الذين كانوا يركزون اهتمامهم على القضايا السياسية وأخبار الحكام وبداية
ونهاية الدول مما يجعل الباحث فى القضايا الانسانية الأخرى يعاني
أشد المعاناة على اختلاف بين هؤلاء المؤرخين فى درجة الشج لأحداث
التاريخ الأخرى ، وتتأكد هذه المعاناة وتزداد حالاتها حين البحث فى
قضايا التاريخ النجدي غير السياسية ، وخاصة المظاهر العامة للحياة
الاجتماعية وبشكل أخص العادات والتقاليد التي يلفها الغموض عند مؤرخى
تلك الفترة ، ورغم وجود جذور لبعض المظاهر العامة فى جوانب الحياة المختلفة
الى وقت قريب فان ذلك لا يغنى عن البحث فى المصادر القديمة ،
ولا يسمح بدراسة هذه المظاهر على أنها أمثلة لتلك المظاهر القديمة
الا بمقدار ما يتطلبه الربط التاريخى بين هذه المظاهر فى الفترات التاريخية
المختلفة ، أو حين تشج علينا المصادر القديمة المتنوعة بتفصيل واف أو اشارة
عن هذا المظهر أو ذاك .

ويقدر ما يعانيه الباحث الاجتماعي المعاصر في دراسته للقضايا الاجتماعية المعاصرة فان معاناة المؤرخ الاجتماعي لمجالات الحياة المختلفة تتأكد وتزداد لان الباحث الاجتماعي يتعامل مع أفراد المجتمع الأحياء وأسره وفئاته الموجودة، وهو اذ يلاقى بعض العنت من جراء رفض بعض الأفراد والأسر والفئات الادلاء بمعلومات صحيحة، أو اعطاء بيانات واضحة ودقيقة فانه يمكنه اللجوء الى عدة أساليب أخرى لتحقيق أهدافه، بينما يفقد المؤرخ الاجتماعي أى أسلوب من هذا القبيل عدا أسلوب البحث والتنقيب في المصادر المكتوبة والمروية سواء كانت العقدية أم الفقهية أم التاريخية أم الأدب الفصيح والعامي، على أن درجة اشباع هذه المصادر لحاجة الباحث تختلف - رغم تنوعها - بحسب قربها أو بعدها من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ تشح هذه المصادر في الفترة التي سبقت تلك الدعوة، ويعدم الباحث المعلومات التفصيلية الا في بعض الجوانب التي توجد معلومات عنها في بعض المصادر الأخرى غير التاريخية كالفقهية مثلاً .

وتختلف معاناة الباحث سواء الباحث الاجتماعي المعاصر أم المؤرخ الاجتماعي في بحثهما لبعض الفئات الاجتماعية في نجد عن بعضها الآخر كالمشقة التي يلقاها كل منهما في دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية عند البدو، وهي مشقة لاشك أنها أشد من تلك التي يلقاها كل منهما عند دراسة جوانب الحياة الاجتماعية في حضر نجد، الا أنه رغم ذلك فكلما كانت الفترة الزمنية للدراسة الاجتماعية الحضرية أقدم أضفى ذلك مشقة قد تصل الى تلك المشقة التي يلقاها الباحث والمؤرخ الاجتماعي عند دراستهما لجوانب حياة البدو في هذه المنطقة اذ تتفق الدراستان في شح المصادر فيما يتعلق بجوانب الحياة عموماً أو مجالات معينة منها .

وفي ضوء ذلك كله تم اختياري موضوعاً لرسالة الدكتوراه هو "الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجري الى قيام دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب" وقد تم هذا الاختيار بعد مشاورات متعددة مع عدد من المختصين في التاريخ النجدي أبرزهم أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل الذي كانت معاناته معى فى مرحلة الاختيار لا تقل عن معاناته فى جوانب البحث الأخرى حتى خرج هذا البحث بعنوانه هذا .

وترجع أهمية هذا الموضوع - فى رأيي - الى كونه يدرس حقبة مهمة من تاريخ نجد ومحاولة لطرق باب التكامل بين الدراسات التاريخية السياسية المتوفرة عن المنطقة الى حد ما وبين الدراسات الحضارية التى يشكل هذا الموضوع جانباً من الدراسة فيها والتى تفتقر المكتبة التاريخية الى أمثالها ، ثم هو يندرج فى اطار الدراسات التاريخية الحديثة التى تتجه نحو دراسة الحياة الاجتماعية بجوانبها الدينية والعلمية والاقتصادية وغيرها .

ان المطلع على تاريخ نجد يواجه بالحققيقة المرة فى قلة وجود دراسات تفصيلية موثقة لجوانب الحياة العامة فى المنطقة عبر المراحل التاريخية خاصة تلك التى سبقت قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى تسهل المقارنة مستقبلا بين تلك المرحلة وبين مرحلة ما بعد قيام تلك الدعوة والنقلة الهائلة التى حصلت لجوانب تلك الحياة ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة فى أن تنفرد هذه الجوانب - كل جانب على حدة - بدراسة مفصلة عبر جهد علمى يضع فى حسبانهِ الاطلاع على المصادر التاريخية المحلية وغير المحلية المجاورة ، علاوة على الروافد الأخرى ككتب التوحيد والفقه ، والمرويات والمكتوبات من المأثورات العامة كالشعر والأمثال والقصص .

وتزداد المرارة لدى الباحث المنصف حينما يرى ولع بعض الكتاب المحدثين بما ذكره المؤرخون المحليون السابقون لبعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة عند النجديين بل محاولة بعض هؤلاء الباحثين تضخيم تلك الصورة لهذه المظاهر وصولا الى هدفهم فى تشويه الصورة

العامة لمجالات الحياة الأخرى عند حضر نجد قبل الدعوة .

ان ابراز الباحث للجوانب الحسنة فى الحياة الاجتماعية عند حضر نجد فى تلك الفترة لا يجوز أن يفهم منه -بأى حال من الأحوال -التقليل من المهمة العظيمة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة من الامام محمد بن سعود رحمهما الله ، بل ان دراسة الحياة العامة فى نجد فى تلك الفترة يعطيها بعدا جديدا اذ أن وجود ذلك الكم من العلماء حينذاك يؤكد هذا البعد حيث لم يستطع هؤلاء العلماء -رغم جهودهم الاصلاحية المحدودة - أن يقوموا بذلك الدور الرائد الذى قام به الامامان الجليلان حتى تم صبغ المجتمع فى وسط شبه الجزيرة -وكلـ البلاد السعودية فيما بعد -بالصبغة التى يراها المنصف فيجدها أقرب الصبغة الاسلامية .

واذا كنا نلتصس لأولئك المؤرخين السابقين العذر فى عدم توفـر المصادر التى يستقون منها مادتهم التاريخية فضلا عن خوفهم من أن يؤثر ذلك على درجة تمسك الناس بعبادئ تلك الدعوة فى بداية قيامها ، اذا كان لهؤلاء العذر فى ذلك فلن يعذر الباحث المعاصر الذى تهيأت له الوسائل الكثيرة للاطلاع على رواقد متعددة لمصادر تاريخ تلك الفترة ، خاصة بعد أن أشرب الناس حب هذه الدعوة وعرفوا فضلها وفضل دولتها بعد ما رأوا الوضع الأمثل الذى تحقق للمجتمع بعد تمكنها فى النفوس .

وقد دفعنى لاختيار هذا الموضوع وتحديد فترته الزمنية بالقرن العاشر الهجرى الى انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى ، دفعنى الى ذلك عدة أسباب منها :

١- أن هذه الفترة تشكل جزءا من الفترة التى درستها فى رسالة الماجستير عن بادية نجد منذ القرن العاشر حتى سقوط الدرعية ، وهذا ما جعلنى والمطلعين على تلك الرسالة نحس بفقدان الجزء المكمل لهذا الموضوع وهو

بحث الحياة الاجتماعية عند حضر نجد ، وهذه المسألة كانت إحدى التوصيات التي أوصت بها لجنة المناقشة للماجستير حرصاً على وجود نوع من التكامل بين دراسة الحياة الاجتماعية عند هاتين الفئتين الرئيسيتين في نجد وصولاً إلى بروز دراسة شاملة للحياة الاجتماعية عند حضر نجد ويدوها كل فئة على حدة .

٢- شح المصادر في تاريخ تلك الفترة مما يجعل الباحث يفرض على المصادر المساندة لايضاح معتقد ديني أو مظهر اجتماعي مما يضيء على البحث مشقة ومتعة علمية في الوقت ذاته تجعل للبحث - إذا خرج بالصورة المرجوة - قيمة علمية ، فعلى الرغم من كون الرسالة متخصصة في التاريخ الاجتماعي إلا أنها على صلة بالعلوم والفنون الأخرى ، فضلاً عن إثرائها لجوانب الحياة الأخرى كالدينية والعلمية والاقتصادية .

٣- دخول المنطقة بشكل واسع في المذهب الحنبلي منذ القرن العاشر الهجري ، فرغم أنها قد عرفت هذا المذهب قبل القرن العاشر إلا أن انتشاره في المنطقة بشكل واسع كان منذ هذا القرن فما بعده وكانت بدايات هذا الانتشار على يد الشيخ شهاب الدين أحمد بن عطوة الجبيلي النجدي (ت ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م) .

٤- دخول بعض المستجدات على حياة النجديين الاجتماعية حاضرة وبادية كالكهنة والتبغ والتارجيل وتلك المشروبات جدت على المجتمع النجدي وتستحق رصد بداية دخولها المنطقة وكيفية انتشارها ومواقف العلماء والعامة في نجد منها ودرجة تأثيرها على مجريات الأحوال الاجتماعية .

٥- أن القرن العاشر هو بداية التاريخ الحديث بالنسبة لتاريخ العرب حيث انضوت البلاد العربية تحت الحكم العثماني .

٦- أن هذا القرن هو بداية وصول الكتابة التاريخية إلينا ، ولهذا

فليس مصادفة أن تبدأ السنوات السابقة لتاريخ ابن بشر (السوابق) بالقرن
(١)
العاشر .

٧- ان معرفتنا بالمأثور العامي بدأت تزداد منذ القرن العاشر الى
قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث يصور هذا الشعر أصدق
تصوير بعض نواحي الحياة الاجتماعية قبل قيام هذه الدعوة التي بدأت
تاريخنا المحلي ينتظم شيئاً فشيئاً بعدها .

٨- أنه لكي تصبح الدراسة الاجتماعية ذات قيمة ومردود علمي فلا بد
أن نثق عند المتغيرات الاجتماعية الكبرى التي تؤثر جذرياً في الحياة
الاجتماعية بمجالاتها الدينية والعلمية والاقتصادية ، ومن هنا فان قيام
هذه الدعوة وتأسيس الدولة السعودية يعد حداً فاصلاً بين حياة
اجتماعية متوارثة وحياة اجتماعية جديدة قامت على أسس ومبادئ مستمدة
من الأسس والمبادئ الاسلامية ، وهذا ما جعل المجتمع بعد هذا التغيير
العظيم يعيش حالة من التنظيم في كل مجالات الحياة لم يعرفها من
أمد بعيد .

٩- أن تكثيف الدراسة فيما قبل الدعوة يمكننا من ادراك حاجة المجتمع
لها وتأهله في الوقت نفسه لقبولها والتفاعل مع ما جاءت به من متغيرات
اجتماعية في المجالات الحيوية العامة .

وقد قسمت البحث الى مدخل وأربعة أبواب يندرج تحتها عشرة فصول
وفي البداية تحث في المدخل عن أبرز الفئات الاجتماعية في نجد سواء كانت
رئيسة كالبدو والحضر أم فرعية تدخل في إطار هذا التقسيم ، وعرضت
لأبرز العوامل المكونة لبعض تلك الفئات عبر الفترات التاريخية .

(١) الواقع أن السوابق بدأت عام ٨٥٠ هـ وهو بدو عمران العيينة الا أنه
حصل انقطاع في السوابق حتى عام ٩١٢ هـ ثم بدأت سنوات السوابق
تتابع تقريباً .

وما من شك أن فهم الأوضاع الدينية لأى مجتمع يعين على فهم أوضاعه الاجتماعية العامة الأخرى ، كما أن التنظيم الدينى يؤثر فى المجتمع الذى يسود فيه ويتأثر فيه ، وتلك حقيقة قررها علماء الاجتماع ويستطيع أن يتلمسها كل راصد للحياة الاجتماعية عند سائر الأمم والشعوب فى مختلف فترات التاريخ ، لكل هذا فقد أفردت الحياة الدينية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بباب مستقل يشكل الباب الأول ويضم فصلين تحدثت فى الفصل الأول عن مظاهر الانحراف عن الدين الإسلامى ومهدت لـه بتمهيد موجز عن أبرز مظاهر الانحراف عن الدين فى بعض المناطق المجاورة آنذاك ، ثم فصلت بعض الشئ فى تلك المظاهر عند حضر نجد قبل الدعوة ، وقسمتها الى قسمين عرضت فى القسم الأول تلك المظاهر فى أصول الدين وقمت فيه باستعراض تفصيلى للأمور الشركية والبدعية كالاعتقاد ببعض قبور شهداء الصحابة فى معركة اليمامة ، وبعض الكهوف والأشجار والأشخاص وبعض البدع الأخرى كقراءة القرآن على القبر بعد الدفن ، والذبح لدفع ضرر الجن والاعتقاد بليلة النصف من شعبان ، وقصد المدينة المنورة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير هذه البدع ، ورغم أن الاشارات التاريخية تلمح الى تركيز كثير من هذه البدع فى مناطق معينة الا أنى حرصت على البحث عن بعض البدع فى المناطق النجدية الأخرى .

أما فى الفروع فقد بسطت القول عن بعض مظاهر الانحراف عن الدين فى هذا الجانب التى من أبرزها رشوة الحاكم (القاضى) التى عرف بها بعض علماء نجد قبل الدعوة بدافع عدم وجود مخصصات مالية ثابتة للقاضى مقابل الفصل بين الناس ، وقد فصلت القول فى هذا الجانب مبيناً رأى بعض علماء نجد فيه منذ القرن العاشر الهجرى ، ورأى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ونقاشه مع معارضيه حولها مما يبدو معه أنها كانت ممن أبرز الانحرافات الدينية فى الفروع تغلغلا فى المجتمع ، وقد تحدثت عنها فى بداية هذا البحث لأنها تشكل أهم مظهر لتلك الانحرافات ، وسبب

رئيسى لها ، وحتى لا يطول هذا المبحث عن مباحث الرسالة فقد اكتفيت بعد ذلك بعرض أمثلة لهذه العادات فى أحكام المياه والسقيا من الوديان وبعض أساليب البيوع والأوقاف والوصايا المخالفة للشرع والتي كانت مشار جدل حاد بين الشيخ محمد وخصومه .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب عرضت لبعض مظاهر الالتزام بالدين عند الحضر كأداء الشعائر التعبدية ، والاهتمام بتعلم القرآن ونسخة ووقفه ووجود عدد من الأوقاف التى تنطلق من احتساب الأجر عند الله وغير هذه المظاهر التى تؤكد أن قطاعا عريضا من المجتمع الحضرى النجدي كان يعيش على فطرة الاسلام ، وقد حرصت فى هذا الصدد على استعراض بعض النصوص التى تؤكد هذا الجانب وتقرره وتفصله وخاصة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى يدل على تأهل هذا المجتمع لقبول هذه الدعوة سواء بوجود مظاهر الانحراف التى دفعت الشيخ للاصلاح والتجديد أم بوجود مظاهر الالتزام بالدين التى كونت أرضية جيدة لهذا الاصلاح والتجديد ، وقد أشارت بعض النصوص الى ثناء الشيخ على بعض جوانب هذه الحياة ، ونقده وملاحظاته على البعض الآخر ، وفى هذا الفصل عرض لبعض القوائد العامة والتى تدل على وجود مظاهر التزام أخرى .

ولقد كانت الحياة العلمية أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية فى المنطقة حيث تقوم بها فئة لا يستهان بها من المجتمع انطلاقا من قول الله عز وجل " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " التوبة آية ١٢٢ ، فضلا عن التأثيرات الواضحة للحياة العلمية على كثير من مجالات الحياة الاجتماعية بحيث يمكن اعتبارها الموجهة للحياة الاجتماعية ، ولهذا فقد أفردت لها بابا مستقلا يضم فصلين قمت فى الفصل الأول باعطاء عرض عام لأبرز الملامح العامة للحياة العلمية قبل الدعوة مما يجعل منه مهددا للفصل الثانى فقط ، إذ أن موضوع الحياة العلمية موضوع واسع

والبسطة في الكلام عنه سيكون على حساب مباحث الرسالة الأخرى ، وما عرضه هنا الابدقار كونه يشكل نشاطا اجتماعيا تقوم به تلك الفئة المهمة ففى المجتمع ، ويشمل هذا الفصل عدة مباحث أولها سبل التعلم التى عرفها طلاب العلم فى نجد كالتعليم المحلى وهو الذى يتم داخل بعض البلدان النجدية التى يوجد فيها من يستطيع تعليم أبناء بلدته مهما كانت درجة تعليمه ، ثم الرحلات العلمية الى المراكز العلمية داخل نجد وتتبع فيه أهم هذه المراكز وأبرز العلماء التى رُحِل اليهم فيها ، ثم الرحلات الى المراكز العلمية خارج نجد داخل شبه الجزيرة كمكة والمدينة والاحساء وعرضت فيه لبعض الذين تلقى النجديون عليهم العلم فيها ، ومنها الرحلات الى خارج شبه الجزيرة كالعراق والشام ومصر ، وطرقت فيها لأبرز العلماء فى هذه المناطق وبعض طلاب العلم النجد بين الذين تتلمذوا عليهم فيها .

ومن مباحث هذا الفصل محاولة بعض الطلاب النجديين الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد فى طريقهم الى أى منطقة داخل شبه الجزيرة وخاصة الحجاز ، وقد أبرزت بعض الأمثلة التى توافرت لدى على هذا الجانب سواء من النجديين أم من العلماء المارين بنجد .

وبصور مبحث العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم درجة تلك العلاقة وكونها قد حفظت للأستاذ كرامته وتقديره وللعلم حيويته ونقاشه حيث حفلت مظاهر تلك العلاقة بالعديد من المسائل التى كان الطلاب يتحاورون فيها مع أساتذتهم بأسلوب هادئ أحيانا وحاد أحيانا أخرى .

أما مجالات التأليف فقد عرضت لأبرزها وهى الفقه والتاريخ والتوحيد وعلوم الآلة وقمت بإيراد بعض الأمثلة على بعض هذه المجالات ، وفى طريقة التأليف بينت عدم اختلاف المؤلفين النجديين عن سبقوهم أو عاصروهم فى هذا السبيل فى أى من مجالات التأليف ، وبحث فى أبرز ملاح تلك

الطريقة عند النجديين وهى توفر الأمانة العلمية المنطلقة من خوف الله ومراقبته .

وأعددت فى مبحث النساخ والخطاطين وكتاب العدل بيانا ببعض هؤلاء ودرجة اتقان خطوطهم وضبطها على ضوء المعلومات المتوافرة لدى عنهم ، ومثلت لبعض ما قاموا به فى هذا الصدد سواء لنسخ القرآن الكريم أم الكتب الفقهية والتاريخية واللغوية وغيرها ، كما قمت بإيراد بعض المكتبات لبعض علماء نجد فى تلك الفترة وهى تصوّر درجة حرص طالب العلم النجدي على اقتناء الكتب سواء عن طريق الشراء أم الاستنساخ ، ورغم كون هذه المكتبات ذات طابع خاص إلا أنها أدت دورا جيدا فى تنشيط الحركة العلمية ، وختمت هذا الفصل بعرض بعض سبل الأوقاف العلمية سواء كانت كتباً أم سبل انفاق ، وسواء كانت على طلاب العلم عامة أم على هؤلاء ممن ذرية الواقف خاصة .

وفى الفصل الثانى بحثت فى الآثار الاجتماعية للحياة العلمية حيث مهدت له بعرض موجز عن المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة ، ثم أوردت بعض الأمثلة التى تبين حرص الفقيه النجدي على طرق الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالمجتمع والبعد عن المسائل التى لا أساس له فيها انسجاماً مع أن العرف عامل يجب مراعاته ما لم يتعارض مع نص أو إجماع أو قياس ، وعرضت بعض الأمثلة التاريخية والفقهية التى تبين حرص الفقيه النجدي كذلك على مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية خاصة العاملة فى تخفيف الفتوى انطلاقاً من يسر الدين وسماحته مع التحرز الكامل فى عدم استغلال مثل هذا الجانب للتفلت من بعض الأحكام الشرعية .

وناقشت عند بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع موقف علماء نجد من عادتین رئيسيتين برزتا فى تلك الفترة وهما عادة شرب القهوة وعادة التدخين ، وبينت فى هذا المجال أن هؤلاء العلماء لم يكونوا بمعزل

عن المستجدات على المجتمع النجدي .

ومن خلال بعض الأحداث التاريخية عرضت بعض جهود العلماء^١ الإصلاحية في المجتمع لإصلاح ذات البين حقنا للدماء ومنعا للفتن من الانتشار، وأشارت الى أن هذه الجهود - رغم أهميتها - تبقى محدودة التأثير بجانب الجهد الكبير الذي قام به امام الدعوة في الإصلاح .

ولقد حرصت على تلمس مساهمات بعض العلماء في سبل الخير عن طريق تشجيعهم للأوقاف الشخصية ذات المردود العام وقيامهم في الوقت نفسه ببذل ما تجود به أنفسهم وما تسمح به قدرتهم المالية في هذا الجانب .

ومن وجود عدد من الرحلات العلمية عرضت لبعض الآثار الاجتماعية لها سواء تلك التي أعقبها استقرار في البلد المرحل اليه أم تلك التي تلتها عودة الى نجد ، وهي آثار تبين درجة تأقلم النجدي مع البلد المهاجر اليها ، وتبرز مكانة لبعض النجديين فيها .

وانسجاما مع نقد العلماء لبعض المظاهر الاجتماعية فقد مثلت على ذلك ببعض القوائد الفصيحة التي تبين أن بعض الجوانب الاجتماعية قد توجد عنها معلومات في الأدب الفصيح الذي يشتهر نقده لتلك المظاهر بالتوجيه الشرعي نظرا لكون القائمين به من فئة العلماء .

ولئن كان النشاط العلمي يعد أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية كما مرفان النشاط الاقتصادي لا يقل أهمية عن ذلك في هذا المجال اذ يقوم به قطاع عريض من المجتمع نظرا لتنوع مجالاته الحيوية في تسيير دفعة كافة الأمور التي تكفل للمجتمع بقاءه واستقراره فضلا عن أهمية ما يحدثه هذا الجانب من تأثيرات واضحة على الحياة الاجتماعية نتيجة تلك العلاقات الاقتصادية الواسعة سواء بين أفراد وفئات المجتمع النجدي أم بين النجديين والبلدان

المجاورة وغير المجاورة.

لكل هذا فقد خصصت بابا مستقلا لهذا الجانب يضم فصلين وقسمت البحث فى الفصل الأول الى ثلاثة مباحث حيث تحدثت فى المبحث الأول عن الرعى والثروة الحيوانية باعتبار هذه المرحلة تعد الأولى فى قيام الناس بها عبر التاريخ ، وتعد كذلك مما يشترك فيها البدو مع الحضرة ، وفى هذا المبحث عرض لأهم الحيوانات الموجودة فى نجد ، ونظرة المجتمع لرعى بعض الماشية كـرعاة الشاء (الشواوية) وتأصل تلك النظرة عند العربى منذ القدم ، كما تحدثت فى المبحث الثانى عن الزراعة ونظرة المجتمع لها وأهم المحاصيل الزراعية والمشكلات التى تعيق الحركة الزراعية آنذاك وحرصت فى هذا المجال على بيان قدم هذه المحاصيل فى نجد ، والاستفادة من كتب الفقهاء فى عرض بعض المشكلات الزراعية ، أما المبحث الثالث فقد خصصته للحرف اليدوية والمهن حيث أعطيت عرضا عاما لأبرز هذه الحرف وفائدتها للمجتمع ، وقدم بعض هذه الحرف فى المجتمع.

وقد أفردت التجارة بفصل مستقل نظرا لتنوع الأنشطة التجارية وبرز الآثار الاجتماعية فيها بشكل واضح حيث عرضت فى هذا الفصل لابرز أساليب التجارة المحلية داخل البلدان النجدية ، والتجارة الاقليمية داخل نجد بين البلدان والأقاليم النجدية ، والتجارة بين البدو والحضر ، والتجارة الخارجية بين نجد والبلدان المجاورة وغير المجاورة ، وفيه حديث عن هذه البلدان وحركة الاستيراد والتصدير بين نجد وبينها ، كما عرضت لنظام الأسعار السائدة فى تلك الفترة وأعطيت أمثلة لهبوط الأسعار وارتفاعها

وفى مبحث المكاييل والموازين والمقاييس قمت بعرض عدد من المكاييل النجدية مبتدءا بذكر عدد من الأصع التى عرفت فى بعض المناطق النجدية كصاع العارض وصاع سدير وصاع وادى الدواسر مع الحرص على مقارنة هذه الأصع بالصاع النبوى (وحدة الكيل الشرعية) ومقارنتها ببعض وحدات

الكيل فى بعض المناطق المجاورة وضمنت الحديث عن الأصع عرضاً لـ
لوحـدات الكيل الأصغر التابعة للصاع كـالـمـد والنـصـيف والرـبـيع وكـذـلـك وـحـدات
الـكـيـل التـقـديـريـة الكـبـيـرة كـالـوـسـق ، أـمـا المـواـزـين فـقـد طـرـقـت لـبـعض أـدـوات الـوـزن
وـحـرـصـت عـلـى أن أـتـلـس وـجـود شـبـه بـيـن هـذـه الأـوزان وأوزان العـرب الأـوائـل
والبـلـدان المـجاوـرة ، وعـرضـت لـأنـواع القـيـاسات المـعـروـفـة آنـذاك كـالـبـاع والـذراع
والشـبر والفـتر ، ولم أـغـفل تـاريـخ الغـاء العـمـل بـهـذه المـكـايـيل والمـوازـيـن
والمـقايـيس واستـبـد الـها بالـوحدـات العـشـريـة .

وقـمـت باحـصاء عـدد مـن العـمـلات الـتى تـداوـلـها النـجـديـون فى تـلك
الـفـتـرة وتـتـبـعت مـراحـل سـكـها عـلى ضـوء ما تـوافـر لـدى مـن مـعـلـومات ، كـمـا
أـوضـحت درـجـة تـعـامـل النـجـديـين بـبـعـض العـمـلات ، وكـذـلـك أوجـه الشـبـه - ان
وـجـدت - بـيـن نـجـد وبعـض البـلـدان فى تـداوـل هـذه العـمـلات ، وـحـرـصـت
عـلى أن أبـيـن انـتماء هـذه النـقـود الى سـلات العـمـلات المـخـتـلـفـة .

ولـما كـانـت المـظـاهـر العـامـة للحـيـاة الاجـتمـاعـيـة تـعـد مـن أـهم مـوضـوعـات
الـرسـالـة فـقـد أفـردت لـها بابـا يـضم أربعـة فـصول ، فـقـد خـصـصـت الفـصـل
الأول للهـجـرات النـجـديـة وأعطـيت فـيـه مـلامـحـا عـامـة لـهـذه الهـجـرات مـتـبـدأ
بـالأسـباب الرئـيـسيـة والمـباشـرة لـهـذه الهـجـرات كـالأسـباب الأـمـنيـة الـتى كـانـت
نـتـيـجـة لتـلك الصـراعـات بـيـن الأـفـراد والأسـر ، وقـمـت بايـراد بـعض الأمـثـلـة
التـاريـخيـة فى هـذا الجـانـب مـؤكـدا عـلى أن نـجـدا لم تـكـن بـدعا فى تـلك
الصـراعـات ، ثم عـرضـت لـبـعض الأسـباب الاقـتـصـاديـة الـتى كـانـت تـدفع بـعـض
النـجـديـين الى تـرك بـلـدانـهم ، ومن أـهم هـذه الأسـباب عـدم هـطـول الأمـطار
أو قـلتـها فى بـعض الأحيـان وكـذـلـك بـعض الكـوارث الطـبـيـعيـة وغـزو الجـراد
للأرض الزـراعيـة ، ثم قـسمـت أنـواع الهـجـرات الى نـوعـين هـما الهـجـرة الداخـليـة
الـتى تـنـطـلق مـن وـجـود مـناطـق خـصب ونـماء فى داخـل نـجـد كـان يـلجأ اليـها
بـعض سـكان المـنـطقـة اذا اشـتد الحـال بـهـم ، عـلى أن بـعضـهم كـان لا يـرضى
بـغـيـر الهـجـرة الخـارجـيـة بـديـلا للخـروج مـن أزـمـاتـه الأـمـنيـة والاقتـصـاديـة
وقـمـت بعـرض أمـثـلـة تـاريـخيـة عـلى تـلك الهـجـرتـين .

وفى الفصل الثانى عرضت لبعض نظرات المجتمع تجاه بعض الفئات كنظرة الحضري للبدوى التى مهدت لها بنظرة البدوى للحضرى للتلازم بين النظرتين مؤكدا قدم هاتين النظرتين الناشئتين عن اختلاف أسلوب معيشة كل منهما عن الآخر ثم أوردت بعض الأمثلة التاريخية والاشعار والأمثال العامة التى تبين نظرة الحضري وفصلت فيها ، ثم عقت ففى البحث الثانى بنظرة المجتمع نحو المرأة مبينا أنها تلقى التكريم عند بعض النجديين والاحتقار عند البعض الآخر وأن هذين الجانبين لتلك النظرة متأصلة عند العربى ، وأوردت بعض الأمثلة التاريخية على بروز نساء شهيرات فى المجتمع مما يدل على أن جانب التكريم كان أكثر بروزا من غيره اذا توفرت فى المرأة صفات تفرض ذلك ، وختمت هذا الفصل بالبحث الثالث منه باعطاء تصور عن وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم تلك النظرة التى لا تختلف عن النظرة السابقة ، وقارنت فى بعض بعض مظاهر تلك النظرة بين الرقيق عند البدو وعند الحضرة ، مبينا الأعمال التى يقوم بها الارقاء فى المجتمع.

وقد بحثت فى الفصل الثالث عددا من العادات والتقاليد كالعادات الخاصة بالزواج حيث حرصت على تلمس تلك العادات فى الزواج من خلال كتب الفقهاء والأمثال العامة مع الحرص على مقارنة بعض تلك العادات بما لدى العرب قبل الاسلام ، ثم اتبعت ذلك بالاساليب المتبعة فى السكن التى تبين درجة استغلال النجدي لمواد بيئته فى توفير سكن له ومكونات هذا السكن ودرجة تكييف النجدي له مع عوامل الموقع والمناخ ، وعرضت بعد ذلك لأسلوب الملابس وأنواع الملابس كاللبسة الرجالية والنسائية ومن تظهر عليهم علامات الصلاح ، ثم طرقت بعض أنواع الحلوى مع الحرص ما أمكن ذلك - على تلمس مظاهر شبه بين ذلك وبين مالدى المرأة العربية القديمة ، وتحدثت بعد ذلك عن أبرز أنواع الأكل والمواد الغذائية المتخذ منها ، وبعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بذلك ، وبينت بعض أوجه الشبه فى هذا المجال بين النجديين والعرب الأوائل ، أما المشروبات

فقد عرضت لبعض العادات المتعلقة بالمشرب المتأصلة عند العربى منذ القدم مع بيان لبعض المشروبات المألوفة الى أن طرقت لبعض المشروبات المستجدة كالقهوة والتبغ والتارجيل مينا درجة تغفل كل منها فى المجتمع.

وقد حرصت على أن يكون ختام هذا الباب بل ختام الرسالة كلها فصلا عن التكافل الاجتماعى والأعمال الخيرية حيث مهدت له بعرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعى فى الاسلام من خلال عرض بعض الآيات والأحاديث التى تبين هذا الجانب وتقرره، ثم فصلت الحديث - بعض الشيء - عن أبرز مظاهر التكافل الاجتماعى عند حضر نجد قبل الدعوة عن طريق أداء الزكاة الواجبة والاكثار من صدقات التطوع واستغلال المواسم الزراعية لها كالجداد والحصاد وغيرها، وكذلك الأوقاف الشخصية التى برزت فيها مظاهر التكافل أكثر من غيرها بشمولها سائر فئات المجتمع الأحياء والأموال منهم، ثم الرصايا بأنواعها وقد بينت فيها وفى الأوقاف أن النجدي لم يقصر صرف منافعها على منطقة نجد بل كان يمد ذلك لبعض المناطق كمكة والمدينة اذا أتاحت له الظروف ذلك، ثم ختمت هذا الفصل بعرض عن طرق الخير والاحسان الأخرى كالامهال عن المعسر وتخفيف الدين عنه والغاء أحيانا، وبينت أن هذه الجوانب تضى اشراقا على الحياة الاجتماعية يخفف من تلك الضوائق الاقتصادية، ويعطى توازنا مع بعض المظاهر السلبية فى التعامل الاجتماعى أحيانا .

وقد رجعت فى ذلك كله الى بعض المصادر والمراجع الرئيسية والفرعية، فقد استفدت كثيرا من مؤلفات الشيخ محمد بن أحمد المنقور وخاصة كتاب " الفواكه العديدة فى المسائل المفيدة " الذى طبع أول مرة عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م بواسطة المكتب الاسلامى بدمشق بتمويل من الشيخ على بن عبد الله آل ثانى حاكم قطر آنذاك، وآخر طبعة اطلعت عليها هى الرابعة عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م بواسطة مركز الطباعة الحديثة ببغروت

بتمويل من الأستاذ عبد العزيز المنقور الذى كرم فأهدانى نسخة من الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م نشر دار الآفاق الجديدة ببغداد على نفقة الأستاذ عبد العزيز نفسه ويبدو أن هذه الطبعات قد عوّلت على الأولى إذ لا تعدو أن تكون تصويرا لها ، وميزة هذا الكتاب جمع فتاوى علماء نجد قبل الدعوة مع بعض العلماء الآخرين ، وللمؤلف فيه بعض الآراء الخاصة ، ويستطيع الباحث أن يرصد فيه كثيرا من القضايا الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية عن مجتمع نجد فى تلك الفترة ، ويعرف فى الأوساط الفقهية بمجموع المنقور ، وقد استفدت من تاريخه الذى حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر ، وقد اعتمدت على هذا التاريخ المحقق المنشور الا أنى أفدت من احدى النسخ الخطية له فيما أجد فيه اختلافات بين النسختين ، كما رجعت الى منسكه المسمى جامع المناسك الثلاثة الحنبلية الذى طبع بواسطة المكتب الاسلامى أكثر من مرة ، وقد أفدت منه فى عرض بعض الأمور الخاصة بالمناسك مما يعد من البدع ، ورجعت كذلك الى تاريخ ابن لعبون ، وأفدت منه فى جوانب من هذا البحث ، وكانت استفادتى مباشرة من الأخبار النجدية للفاخرى الذى قام استاذى المشرف باعداد دراسة وتحقيق وتعليق عليه ، وكانت هذه الاستفادة من تعليقات المحقق لا تقل عن استفادتى من الكتاب نفسه ، وهو الأسلوب الذى اتبعته فى الاستفادة من تاريخ ابن ربيعة والذى حققه كذلك أستاذى المشرف ، كما أفدت من تاريخ ابن عباد وابن يوسف المخطوطين وأوراق خطية بقلم عثمان بن منصور ، وهى مع غيرها من المخطوطات التى أثبتتها فى نهاية الرسالة قد كرم أستاذى الكريم بتزويدى بنسخ منها ، وهذا جزء من الفضل العميم الذى شملنى به حفظه الله .

وقد رجعت الى تاريخ ابن غنام المسمى " روضة الأفكار والافهام لمرتاب حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام " وقد اعتمدت على طبعة المكتبة الأهلية بالرياض عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م حرصا منى على تأصيل البحث وتوثيقه لأنها كتبت بأسلوب المؤلف ، كما أفدت كثيرا من تاريخ ابن بشر

"عنوان المجد في تاريخ نجد" وقد اعتمدت على النسخة التي حققها الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ وطبعتها وزارة المعارف عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م على أني أقارن أحيانا بين الطبعات الأخرى وهذه الطبعة، ولم أكن بعيدا عن ملاحظات الباحثين على ابن بشر كملاحظات الشيخ مقبل الذكير، والدكتور عبد العزيز الخويطر في دراسته عن ابن بشر، واستاذي المشرف في دراسته لأهم المصادر النجدية.

ومن أهم المصادر التي رجعت إليها مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي نشرتها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أفدت من البحوث التي أعدت لهذا الأسبوع، والبحث والتعمق في مؤلفات الشيخ محمد ضروري لكل من يريد أن يبحث في التاريخ النجدي باعتبار أن الدعوة محور هذا التاريخ في عصره الحديث، وعلى اعتبار أن نظرات امامها تشكل عمقا تحليليا في رصد كثير من نواحي الحياة العامة في نجد سواء قبل الدعوة أم بعدها .

ومن مراجع هذا البحث كتاب " تحفة المشتاق في أخبار نجد والخباز والعراق " للشيخ عبد الله بن محمد البسام وهو مخطوط ، وميزته وجود بعض الأحداث التاريخية في فترة ما قبل الدعوة منذ ما قبل القرن العاشر وما بعده قد لا توجد في غيره من مصادر تاريخ نجد ، كما أني أفدت من كتاب " علماء نجد خلال ستة قرون " للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام والذي يعد سجلا جيدا لتراجم علماء نجد قبل الدعوة وبعدها .

وتشكل المأثورات العامية من أمثال وقصص وقصائد مصدرا رئيسيا من مصادر هذا البحث، وحرصا مني على تأصيل كلمات ما استفيد منها فقد رجعت الى بعض المعاجم اللغوية كالقاموس والتاج ، وقاموس رد العامي الى الفصح ، على أن هذه المعاجم قد أفدت منها في تلخيص مظاهرها الشبه بين بعض العادات النجدية وعادات العرب القديمة ، وهي الفائدة

التي حصلت عليها كذلك من دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام وخاصة كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي .

ومن المصادر التي رجعت اليها كذلك " لمع الشهاب في سيرة محمد ابن عبد الوهاب " تأليف حسن بن جمال الريكي (نسبة الى بندر ريكي) على الساحل الايراني من الخليج العربي) .

أما الكتب الصادرة باللغة الانجليزية فقد أعطاني أستاذي المشرف مشكورا جزءا من رسالة الدكتور محمد الثنيان التي قدمها لجامعة اكسترا في بريطانيا ، وأفدت منها ، كما طلبت بعض الكتب والرسائل الجامعية التي تتحدث عن نجد ونوقشت في أمريكا فكرم الأخ الدكتور عبد الله الوليعي ببعث بعضها اليّ أثناء دراسته في أمريكا ، وجلب بعضها الآخر معه في رحلة العودة الى الوطن ، واهدى اليّ مشكورا الدكتور عويضة الجهنني رسالته للدكتوراه التي قدمها لجامعة واشنطن ، وقد ترجمت أجزاء من هذه الكتب والرسائل وأفدت منها في مراحل البحث .

(١) رغم أن محققى هذا الكتاب - أبوحاكمة وآل الشيخ - لم يكشفوا لنا عن اسم هذا المؤلف وشخصيته ، وهل هذا الاسم - الريكي - للناسخ فقط أو للمؤلف كذلك ، ولم يكلفا نفسيهما في بذل جهد من هذا القبيل - وهو من أهم قواعد التحقيق - رغم ذلك فقد ترجح لدى أن الريكي هذا هو مؤلف الكتاب وربما ناسخه كذلك وذلك للأسباب الآتية :

١- ترجمه الشيخ حمد الجاسر لذلك في مقالة عن هذا المؤلف في مجلة العرب ج ١٠ / س ٤ / ص ١٩٤٠ .

٢- ترجيح الدكتور منير العجلاني لذلك في كتابه البلاد العربية السعودية ١ / ٤٤٠ .

٣- تأكيد عبد الواحد راغب في مقالة نشرها عن هذا الكتاب ومؤلفه في مجلة الدارة ع ٢ س ٣ / ص ٢٣٨ - ٢٤٩) .

٤- أن التعق في قراءة الكتاب يؤيد هذا الرأي وعلى سبيل المثال انظر ص ١٩٧ ، ٢١٠ .

وكنت خلال رحلاتي العلمية وزياراتي للبلدان خارج المملكة حريصا على جمع بعض المعلومات عن هذا البحث سواء كانت هذه المعلومات تسميه بصفة مباشرة أم غير مباشرة حيث قمت بزيارة للعراق ودول الخليج ، وانتهرتها فرصة لجمع عدد من الكتب التي تبحث في تواريخ هذه البلدان من المكتبات التجارية فيها مما له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتاريخ النجدي .

هذا عرض عام لأهم المصادر والمراجع التي رجعت اليها في اعداد هذه الرسالة ، ولن أتحدث عن الصعوبات التي واجهتني أثناء اعداد هذا البحث فان أى جهد علمي لا يكون له لذة الابتكار وطعم العلم الا اذا واكبته مصاعب ومتاعب تاركا تقدير ذلك للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ومن يطلع بعدهم على هذه الرسالة .

ولا يسعني - وقد أنهيت هذا البحث - الا أن أرجو أن يكون قد خرج بالصورة المطلوبة أو قريبا منها ، كما أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان الى الرجل الذي كانت له اليد الطولى فيما خرج به هذا البحث من فكر استاذي المشرف الاستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل حيث كان لي نعم الموجه والمعين بعد الله عز وجل ، ولا أذكر أنني جئيت اليه بمشكلة تتعلق بهذا البحث الا خرجت منه بمخطوط أو مطبوع يعينني على فهمها أو توجيه كريم يذل لها .

وما زالت هذه الكلمات لمسئول كبير أفدت منه في بعض الموضوعات " ان أهمية هذا الموضوع وكون المشرف عليك فيه الدكتور عبد الله الشبل يلقي عليك تبعه كبيرة فهو رجل له باع طويل في هذا الموضوع " ما زالت هذه الكلمات عالقة في ذهني سواء وأنا في طور الاعداد لهذا البحث أم بعد كتابته والانتها منه ، فان أكن قد وفقت الى بعض الصواب فيسه فذلك بتوفيق الله عز وجل ثم بعون ومساعدة وتوجيه استاذي الكريم ، وان تكن الأخرى - لا قدر الله - فذلك بسبب قصور فهمي عن ادراك بعض

الجواب الخفية عليّ فيه ، سائلا الله جلت قدرته أن يجزى أستاذى عنسى
خير ما جزى أستاذنا عن تلميذه ، وأن يمنّ عليه بنعمة الصحة والعافية
وطول العمر فى الأعمال الصالحة ، وأن يعيننى على رد بعض الجميل
الذى شملني به حفظه الله .

كما أشكر عمادة كلية العلوم الاجتماعية ممثلة فى عميدها السابق
الدكتور محمد سالم العوفى وعميدها الحالى بالنيابة الدكتور ناصر الداود
والى الأخ ا لدكتور رئيس قسم التاريخ الدكتور سليمان الرحيلي ووكيل
القسم الأخ الدكتور حمد السحيباني وكل من أسدى الّى معروفا يتعلق
بأى مرحلة من مراحل هذا البحث ، والله يجزى الجميع كل خير . وصلى
الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

المدخل
الفصل الأول في
فن الخب

ينقسم المجتمع النجدي حسب الخصائص الاجتماعية الى قسمين رئيسين وهو التقسيم نفسه الذى كان عليه العرب فى جاهليتهم وبعد الاسلام كذلك .

١- البادية : أو من تسميهم المصادر العربية أهل الوبر^(١) لأن بيوتهم تتخذ من وبر الابل فى الغالب والا فقد تتخذ من أصواف الغنم وأشعار المعاز وهم ينتجعون مواطن الكلاً وموارد المياه ، وتتشابه حياتهم الاجتماعية مع حياة بدو الجاهلية فى كثير من مجالاتها ان لم تتطابق معها تماماً بساطة فى السكن وتواضعاً فى المأكل والمشرب والطيب وتماثلاً فى كثير من العادات والتقاليد بل وبعض المعتقدات الدينية ، وتمسكاً بأهم مستلزمات حياة الصحراء من الكرم والفخر والشجاعة ، وهذا القسم أصل للقسم الثانى^(٢) .

٢- الحاضرة : أو من تسميهم المصادر العربية القديمة أهل المدر والسبب فى وجود هذا القسم أن التحضر يكون غاية لبعض البدو تحت قسوة الأحوال المناخية فى الفترات فيحصل من جراء نقص الأمطار وعدم هطولها

(١) الوبر محركة : صوف الابل والأرانب ونحوها والجمع أوبار لأن البدو يتخذون بيوتهم منها الغالب وقد ورد فى الحديث : " أحب اليّ من أهل الوبر والمدر " أى أحب اليّ من أهل البوادي والقرى (محمد الزبيدي ، تاج العروس من حواهر القاموس : نسخة مصورة عن الطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦ هـ نشر دار الحياة - بيروت ١٣٩٤ هـ باب الرء فصل الواو) .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة نشر دار الأعلمي بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ١٠١ ، ١٠٣ د : جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ط (١) دار العلم للملايين بيروت نشر مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٨ م ٤ / ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، أيوب صبرى : مرآة جزيرة العرب ، ترجمة وتعليق د . أحمد فؤاد متولى ، والصفصافي أحمد المرسي ط (١) دار الرياض للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ١ / ٤٥ ، ٤٦ ، فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ط (١) المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ٩٢ ، ٩٣

(٣) المدر محركة : قطع الطين اليابس ويطلق على أهل القرى والمدن لأن ما فيها من الطين ومنه قول عامر بن الطفيل العامري (ت ١١ هـ / ٦٣٢ م) لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " لنا الوبر ولكم المدر "

(=)

أن يقطن بعض البدو قريبا من أحد البلدان ريثما تتحسن الأحوال فـي البادية، وقد يطول ذلك فبطيب له المقام فيتحضر مبتدئا بامتهان بعض الأعمال الحضرية فممارسة الزراعة علي نطاق ضيق ثم التجارة بعد ذلك^(١).

وبين هذين القسمين توجد فئة المخضرمين التي تعيش حياة البداوة بعض الوقت وتمتحن أعمالها من رعي ورحيل لمواطن الكلاً وموارد المياه، وتقطن البلدان الوقت الآخر في مساكنها الحضرية حيث تقوم بأعمالها السابقة من الزراعة والتجارة وتربية الماشية على الطريقة الحضرية في المزارع^(٢).

والنظرة القبلية تظهر واضحة لدى هذين القسمين وحتى فئة المخضرمين بحفظ النسب، وقصر بعض أنماط التعامل الاجتماعي على أساسه، إلا أن هذه النظرة تتعرض أحيانا لما يقلل منها، وقد حصل هذا في كثير من القبائل منذ فترة متقدمة عن الاسلام اذ عرف من أساليب التعامل الاجتماعي بين القبائل

(=) ومدرك محررة : بلدتك أو قريتك، وبنو مدراء : أهل الحضرة

(الزبيدي : المصدر السابق ٣ / ٣٥ باب الرأء فصل الميم) وتعطي الآية ٨٠ من سورة النحل تصويرا موجزا للمكونات التي يعمل منها العرب بيوتهم، وفي هذا يقول سبحانه : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من حلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين " .

(١) ابن خلدون ١٠١ - ١٠٣ وذكر أن من أسباب التحضير غنى بعض البدو وسيلهم للترف وحب الراحة نتيجة ملهم من عيشة الصحراء القاسية، د : جواد علي ٤ / ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٤، ٨٩، فؤاد حمزة ٩١، ٩٢، وقد اشار مؤرخو نجد الى عدد من حالات الاستقرار التي يقوم بعض البدو قرب البلدان النجدية وكانوا يعبرون عنها بكلمة " هثل " التي تعني الضعف والاستقرار (محمد الفاخرى : الأخبار النجدية . تحقيق د . عبد الله بن يوسف الشبل ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر الجامعة نفسها ص ٧٣، ٩٩ عثمان بن بشر : عنوان المحدث في تاريخ نجد تحقيق : عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ ط (٣) طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م / ٢ / ٢٠٩ .

(٢) د . جواد علي ٤ / ٢٨٨

الجوار والحلف والولاء ، وكلها أساليب تتيح للفرد الانضمام الى قبيلة غير قبيلته مما نشأ معه دخول أفراد وأسروأفخاذ من قبائل معينة الى قبيلة أخرى فعدت منها ، وهذا ما جعل تسمية بعض الأفخاذ تتشابه بين قبيلة وأخرى .

على أنه بعد ظهور الاسلام طرأ على هذه الفئات تغيير حضري أرقى بحيث تحضر قسم من البادية ، وازداد قسم من الحاضرة تحضرا وصاحب ذلك أن شاب نقاءها القبلي دخول بعض العناصر الأخرى في تكوينها الاجتماعي نتيجة انضائها تحت لواء الدعوة الاسلامية ، واحتكاكها بالحضارى سكان البلدان المفتوحة ، وهذا ما يفسر اختفاء أسماء بعض القبائل العربية من أماكنها وظهورها في أماكن أخرى ، علاوة على اختفاء بعض الأسماء لقبائل أخرى وظهورها بأسماء أخرى وهي لا تزال في مراتبها نتيجة لبروز اسم فخذ على الأفخاذ الأخرى حتى ينسى اسم القبيلة الأم ويظهر اسم هذا الفخذ مكانه .^(١)

والى وقت قريب فان غالبية أهل نجد ترجع في أصولها الى القبائل العربية الأولى سواء كانت بدوية أم حضرية^(٢) ، وقد دعم هذا انعزال أهل نجد في الغالب عن بقية سكان البلدان المجاورة رغم وجود علاقات تجارية واسعة النطاق بين أهل نجد والبلدان المجاورة بل وغير المجاورة أحيانا غير أنه من المعلوم أن فئة التجار التي تمارس تجارة خارجية ليست فئة

(١) فؤاد حمزة : ١٢٣ ، ١٢٤ ، مكي الجميل : البداوة والبدو في البلاد العربية ، مطابع الشركة الثلاثية . عمان ، الأردن ١٩٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٣٦ ، ٣٥ د . محمود أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب (ط ٣ مؤسسة سجل العرب : القاهرة ١٩٧٥ م ١٧٠ / ٢

(٢) د . عبد الله الصالح العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة نهضة مصر . القاهرة ، نشر دار العلوم . الرياض ص ١١ ، نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية . مجلة الدارة ، العدد الثالث السنة الثالثة ص ١٢ .

كبرى ذات تأثير فى المجتمع اضافة الى كون المقام قد يطيب لها فى البلد المتاجرة معه أو فيه، أو قد تعود منه بعد فترة قصيرة بحيث لا يؤثر ذلك على الحقيقة القائلة بانغلاق المجتمع النجدى عرقيا آنذاك .

وإذا كان قسم من أهل نجد يتعرض للجلاء عنها الى البلدان المجاورة أو غير المجاورة أحيانا تحت الظروف القاسية التى تستتبع حالات القحط وانكسار الحال من جوع وخوف ومرض، مما يتوقع معه أن تتأثر نجد سلاليا بهذا الجلاء إلا أن هذا القسم ينطبق عليه ماينطبق على فئة التجار .

هذا بالاضافة الى عدم وجود مايفرى سكان المناطق المجاورة بالقدوم الى نجد سواء كان ذلك للاتجار أو الاستقرار ، وعدم تعرضها لغزوات كبيرة من تلك التى تحدث تغييرا اجتماعيا ، كما أنها لم تخضع لحاكم من غير أهلها جعل قاعدة حكمه فيها ، وبالتالي فلم تتعرض لتلك المؤثرات الاجتماعية العرفية التى تأتى نتيجة لمحي ذلك الحاكم أو ذاك^(١) .

هذه العوامل وغيرها حافظت على الأصالة السلالية لعرب منطقة نجد مما جعلهم أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا، ومما جعلهم كذلك يحافظون على وحدة واستقلال كيانهم الاجتماعى واللغوى ، إذ لم يحصل لسكانها اختلاط واسع بالعناصر غير العربية لبعد منطقة نجد عن مراكز الامتزاج السكانى سواء كان ذلك فى غرب الجزيرة حيث الأماكن المقدسة وما ينشأ فيها من اختلاط طبعى مع الأجناس الأخرى من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، أم كان ذلك فى شرقها حيث تبدو مؤثرات الأجناس الشرقية وخاصة الفارسية واضحة ، أم فى شمالها حيث يمكن أن يحصل تأثير تركي على بعض القبائل العربية فيه^(٢) .

(١) فؤاد حمزة : ٢٤٤ ، ولهذا فان تلك الحملات الكبيرة التى شنّها محمد علي على نجد وما تبعها من بقاء بعض القادة والجنود قد ترك بعض الآثار العرقية واللغوية والاجتماعية فى نجد .

(٢) المرجع السابق ٨٠ - ٨٣ ، د . أبو العلا : مرجع سابق ١٦٢/٣ ، ١٦٣ ، والعثيمين : المرجع السابق ص ١٢

ومن هنا يمكن القول ان مجتمع نجد يرجع فى غالب أصوله الى قبائل معروفة النسب ويمكن ارجاعها الى أصولها العربية القديمة التى تتوقف على معرفتها معرفة أصول القبائل الحديثة وهذا ما جعل سكان نجد يعدون من أنقى السلالات السامية اذ يمثلون احدى مجموعات العرب الخالص، ولم يكن الحضرى النجدى بأقل تمسكا بقبليته ونسبه من البدوى ذلك أن هذين الفريقين الأصليين تتشابه نظراتهما الاجتماعية التى تنطلق من المفاهيم القبلية فى سائر أمور الحياة كالزواج والوضع الاجتماعي فى المجتمع وغيرها^(١).

ورغم ما سبق ، ومع أن نظرة النحديين قبلية تماما تتفق فيها البادية والحاضرة فقد ضم المجتمع النجدى فئات اجتماعية تتبع فى بعض أساليب حياتها الاجتماعية البادية أو الحاضرة ، ومن أبرز هذه الفئات الصلب التى يمكن اطلاق صفة البداوة عليها على اعتبار أنها فئة خلوية تتفق مع البدو فى عدم سكى البلدان والعيش فى الفياض والقفار على اختلاف بينهم وبين البدو فى شكل السكن وقربه وسعده عن المساكن الحضرية ، كما أنها لا تربطها بالقبائل البدوية الصريحة النسب أى رابطة عرقية اضافة الى أن العادات والتقاليد عند البدو والصلب تختلف اختلافا لا محال لعقد العقارنة بينهما وسعد هذا وذاك فالصلب يختلفون عن البدو وأشد الاختلاف فى الملامح الجسمية اذ أن الصلب يكثر فيهم بياض البشرة وربما حمرة فى بعض الأحيان ، وزرقة العيون ، وشقرة الشعر ، ورقة الجلد^(٢).

ولقد كان رجال القبائل البدو والحضر لا يستغنون عن تلك الأعمال والمهن التى يقوم بها الصلب ك بعض الحرف والصناعات اليدوية ، والقنص ،

(١) حمد الجاسر ، أصول القبائل العربية الحديثة مجلة الحرس الوطنى ، ١١ / ٣ س محرم ١٤٠٣ ص ٢ ، د . أبو العلا ١٦٢ / ٣ ، وانظر :
Uwaidah Al Juhary, The History of Najd to the Wahhabis p. 173.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٤ / ٣١٤ ، ٣١٨ ، مادة صليب .

والدلالة على المفاوز ، ومعرفة النجوم والاهتداء بها في ظلمات البر
على الاتجاهات ، إضافة الى معرفتهم القوية والدقيقة بقيافة الأثر ، وبعض
مجالات الطب الشعبي .^(١)

وما من شك أن الصلب بممارستهم لهذه الأعمال التي يحتاجها
المجتمع النجدي حضره وبدوه انما ينطلقون في ذلك من وعي اجتماعي
مستغلين أنفة واستكاف أبناء القبائل النجدية لهذه الأعمال ومحاولين في
الوقت ذاته إيجاد مكان بارز لهم في المجتمع النجدي يعوّض عن تلك النظرة
المتدنية من عامة النجديين تجاههم ، ولا أدل على ذلك من اصطفا بعض
رجال القبائل بعض الصلب من أجل القيام ببعض المهمات ، وتكوين صداقات
معهم على أساس ذلك ، وعلى أساس تلك الأعمال الاجتماعية المهمة .^(٢)

ومن هنا فيمكن اعتبار الصلب فئة اجتماعية نجدية بما تقدمه للمجتمع من
تلك الخدمات وتعد خلوية بدوية لتلك الأسباب السابقة ، كما قد يتحضر
أفراد أو أسر منها ويعدون من الفئات الاجتماعية الحضرية في نجد .^(٣)

ومن أبرز الفئات الاجتماعية فئة الرقيق اذ كان للأرقاء في نجد قبل
الدعوة وبعد ها مكانة اقتصادية في المجتمع ولهذا كان اقتناء الرقيق دلالة

-
- (١) حمد الحقيّل : كنز الأنساب ط (٥) ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ٢١٠ ،
محمد أسد : الطريق إلى الاسلام ترجمة عفيف البعلبكي ط (٢) دار
العلم للملّايين ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، محمد
العبودي : الأمثال العامة في نجد : المطابع الأهلية للأوفست
الرياض نشر دار اليمامة ١٣٩٩هـ / ١٩٧١م ٢ / ٧٣٤ ، دائرة المعارف
الاسلامية ١٤ / ٣١١ ، ٣١٥ - ٣١٧
(٢) عمر كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ط (٢) دار العلم
للملّايين ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٢ / ٦٤٧ ، سعد بن نفيسة
اضامة من التراث ، مطابع الفرزدق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٢٧٠ ، ٢٧١
(٣) قمت باعداد فصل خاص عن الصلب هو الفصل الثاني من البسبب
الأول من رسالة الماجستير من ص ١٤١ - ١٦٨ .

(١)

أكيدة على غنى مالكم، ويبدو أن النجديين كانوا يحصلون على الرقيق شراء من أسواق الحجاز أثناء حجهم وامتيازهم منها إذ وجدت أسواق للنخاسة في مدن الحجاز الكبرى وربما حصلوا عليهم من بقايا رقيق الأوربيين في شرق إفريقيا حيث يجلبون إلى الجزيرة عبر موانيء شرق الجزيرة أو اليمن (٢) على أن بعضا من هؤلاء ربما كان قد أبق من مسترقه الأوربيين أو غيرهم أثناء ترحيله عبر موانيء شبه الجزيرة العربية فيأتى إلى منطقة نجد ليعيش منعزلا فيها بأمان محتما باحدى الأسر أو القبائل البدوية والحضرية سواء تعرض للرق أو لم يتعرض له، وقد يعمل في مهنة يحتاج إليها المجتمع النجدي ويأنف منها أبناء القبائل فيستغل هذه الأنفة ليمارس أعمالا اجتماعية تحقق له البقاء أو يرضى بالاسترقاق من هؤلاء النجديين فضلا ذلك على استرقاقه من غيرهم. (٣)

ومن المراكز التي يحصل النجديون منها على الرقيق أسواق النخاسة في العراق والشام ومصر وهي مراكز كان يجلب منها رقيق جورجيا وأرمينيا، (٤) (٥)

(١) أحمد العنقور: التاريخ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الخويطر ط (١)، مطابع الجزيرة، الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ص ١٩، ٥٨، ٥٨، عبد الله العثيمين، المرجع السابق ص ١٤.

(٢) حسن الريكي: لمع الشباب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. المطابع الأهلية للأوقاف. الرياض، نشر دار الملك عبد العزيز ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م، Al-Juhany p. 175

(٣) مجلة الدارة العدد السابق ص ١٣، مجلة العرب العدد ٣، ٤، ص ١٢٥

(٤) جورجيا: هي إحدى جمهوريات قفقاسيا السوفيتية المعروفة عند الجغرافيين المسلمين ببلاد القوقاز، وجورجيا معروفة قديما بالكرج بالتحريك وعاصمتها تفليس على نهر كورا (ياقوت الحموي: معجم البلدان "دار صادر ودار بيروت ٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، محمود شاكر: قفقاسيا. مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ٦٧، ٧٢، الموسوعة العربية الميسرة ٦٦٢).

(٥) أرمينية: من مراكز الازدهار البشري القديمة وهي إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي غزاها المسلمون سنة ١٩هـ، ٢١هـ، ٢٤هـ / ٦٣٩م، ٦٤٢م، ٦٤٥م حكمها الأتراك السلاجقة فالمغول فالصفويون ثم

(=)

وقد وجد في نجد نتيجة لهذا الرقيق الكرج والرقائق الكرجيات والجركسيات نسبة الى جورجيا وكذلك الأرمن والأرمنيات نسبة الى أرمينيا^(١).

ولقد كان بعض الرقيق يعتقد بعد فترة من الخدمة وكان بعض الأسياد يسمح له بالحاق نسبه بأسرته أو قبيلته ونشأ بعد ذلك تزواج بين الأرقاء المحررين مع ابقاء نوع من العلاقة مع أسيادهم ، ويمرور الوقت يندمج هؤلاء ضمن فئة الخضرين ذات الوجود الاجتماعي الكبير في حاضرة نجد^(٢).

والخضرين اسم جامع يندرج تحت مفهومه الاجتماعي عدة أسر تنتمي الى أصول شتى بعضها عربية نجدية أو غير نجدية ، كما أن بعضها ربما يكون قدم شبه الجزيرة للحج أو العمرة أو الزيارة أو المجاورة في مكة والمدينة ولئن كان أفراد هذه الفئة غالبا ما يستقرون في مدن الحجاز الا أن قسما منهم قد يتسلل الى بعض البلدان النجدية متخذا منها مسكنا له اما في طريق عودته الى بلاده أو تحت عوامل أخرى ، ولعل مايشجع اقامة هذا القسم في نجد أنفة الصرحاء من أهل نجد من بعض الحرف ، أو جهل بعض أفراد المجتمع النجدي لبعض أساليب التجارة فيتخذ هذا القسم منها مصدرا لرزق له لا ينافس فيه أحد من النجديين ، وربما برز في مجال العلم الشرعي ، وكانت فيه صفات محمودة من التقوى والورع ، وهي أمور يلقي حاملها التقدير والاحترام من حضر نجد ، وهذا مايفسر بروز علماء أحلاء من فئة

(=) العثمانيون حتى ضمت للاتحاد السوفييتي عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م عقب معاهدة ستيفر وعاصمتها أريغان (ياقوت ١/ ١٥٩ ، ١٦١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٦٣٧ ، ٦٧١ ، محمود شاكر ٦٦ الموسوعة العربية الميسرة ١٢٣ ، ١٢٤) .

(١) الريكي ١٨٣ ، ١٨٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٦٦٠ ويبدو أن الاسترقاق من قفقاسيا كان قديما (غوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ط (٣) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٤٦٠

(٢) Al Juhany p. 175.

(١)
الخضيريين

أما تلك الفئات العربية الأصل سواء النجدية منها أم غير النجدية التي اندمجت تحت مسمى الخضيريين فإنها قد جهلت انسابها أو تحوهلت أو سلبت تحت أى سبب من الأسباب، اذ كان لضياح النسب وترك الديار لدى النحديين قديما وحديثا عدة أسباب منها :

١- قد يضطر تحت ضغوط اقتصادية واجتماعية الى الاستدانة وربما أفلس ولا يجد من يساعده على وفاء دينه فيضطر للهرب^(٢) والاختفاء من بلده غير آبه بالانتساب الى قبيلته، فينشأ خلفه جاهلين لنسبهم وقد أشار الخلاوي أن من أسباب تركه منازل ونسبه وقبيلته (تخلوه) دين لحقه ولم يستطع سداده وخوفه من غرمائه الذين يطلبون دينهم فقال فى هذا :

تخلوبت مديون للاشبال خامد والدين شين والمدايين طالبه
وركنى وهى من شدة الناسروا نشوى ولاصحاب الا تدانت مذاهبه

الى أن قال :

(١) عبد الله البسام : علماء نجد خلال ستة قروط (١) مؤسسة الخدمات الطباعة ، بيروت ، نشر مكتبة النهضة الحديثة . مكية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م / ٢٠٣٦٦ / ٥١٤٠٥٣٧٠٥٥٣٠٥٨٠ ، الحقل ٢٠٤ ، فؤاد حمزة ١٤٨ ، ١٤٩ ، كعالة ١ / ٣٤٧ د - العثيمين . المرجع السابق ، ص ١٣ ، العرب ، العددان السابقان ، ص ١٩٥

(٢) ذكر الاصبهاني فى الأغاني وأسامة بن منقذ فى المنازل والديار أن يحيى بن طالب الحنفي اليمامي وكان أدبيا كريما حمالا لأثقال قومه ومغارمهم ، فابتاع من عامل السلطان على اليمامة غلة ضيعته يريد بها الربح فأصاب الناس باليمامة قحط ففرق يحيى تلك الغلة لاطعمهم المحتاجين فحان وقت السداد فهرب الى الرى وبها توفي ، وكان قد قال فى عزه عن سداد دينه وحنينه الى اليمامة أبياتا منها :

أحدث عنك النفس أن لست راجعا اليك فهمي فى الفؤاد دخیل
أريد رجوعا نحوكم فيصدنني اذا رمته دين علي ثقیل
(أبو الفرج الاصبهاني ، الأغاني ، تحقيق ابراهيم الايبارى ، طبعة دار الشعب ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م / ٢٨ / ٩٥٥٥ - ٩٥٦٥ ، أسامة

(١)

فاخترت لى اسم الخلاوى صيانة عن كل ما تخشاه نفسى وفات به

وهذا من أبلغ التصويرات لغلبة الدين التى استعاذ منها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا ندرك ضياع النسب وتناسيه هو من أبسـسـرز
مسيات الذل الذى ينتج عن ثقل كاهل المدين .

٢- قد يقوم بتنفيذ ثأر قديم فى قبيلته أو حولها أو قد يرتكب جريمة ما سوا
كانت قتلا أم غيره ، فيضطر للهرب من منطقته وهو يخفى نفسه وموطنه حتى
على أولاده الذين ينشأون جاهلين لأصلهم وقد يحتاج للعمل لدى احدى
الاسر الأصلية فيعد مجاورا أو محالفا لها^(٢) .

٣- قد يكون لدى قبيلته أعراف وتقاليد غير مقتنع بها كفرض الضرائب المرهقة
التي تتطلبها الحماية الجماعية أحيانا ، أو تحمل دية أحد أفراد القبيلة
الذى قد يكون محترفا للقتل ، أو غير ذلك ، وربما كان غير مستطيع على المجاراة
فى ذلك كله وبخشى من سطوة قومه اذا عرف بذلك فيتعرض للذل الذى

(=) منقذ : المنازل والديار ط (١) المكتب الاسلامى ، دمشق ١٣٨٥ هـ /

١٩٦٥ م ١٥ / ٢ - ١٧ ، محمد بن بليهد : صحيح الأخبار عما فى
بلاد العرب من الآثار ، مراعاة وضبط محمد يحيى الدين عبد الحميد

ط (٢) ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ١ / ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ / ٨ .

(١) شين : أى موطن عيب من الشين ضد الزين وهو الحسن ، المدايين :

أصحاب الدين ، ركني : حائبي والمقصود كرامتي بدأت تنزل ، شدة

الناس : مطالبتها والحاحها فى ذلك ، انشوى : من شي النار والمقصود

قلة الاحتفال ، تدانت : تنازلت وعن الأبيات : عبد الله بن خميس :

راشد الخلاوى ط (٢) مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،

ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وانظر حمد الجاسر : حميرة انساب الاسر المتحضرة

فى نجد ط (١) مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، نشر دار اليمامة ، الرياض ،

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ٧ / ١

(٢) ابن خلدون ١١٠ ، حمد الحاسر : المرجع السابق ٦ ، ٧ عبد الله

ابن ردا ، شاعرات من البادية ، نشر دار اليمامة ، الرياض ١ / ٣٧١ ،

صحيفة الجزيرة ٢١ رجب ١٤٠٢ هـ عدد ٣٥٤٠ ص ٥ من مقابلة

مع أحد ضيوف الجزيرة أكد فيها انتماءهم الى احدى القبائل النحدية

المعروفة الا أن جد هم الأعلى هرب مخفيا اسمه وقبيلته لانه كان مطلوبا

بدم .

يدفعه للهرب ونسيان أصله وموطنه فتعد أسرته من الأسر مجهولة النسب
بعد ذلك^(١).

٣- قد يكون لديه طموح قيادي وهو ليس من أسرة المشيخة المتوارثة فـ في
القبيلة رغم أصالته فيها وقد ينشأ من جراء ذلك الطموح خلاف يخشـي
أن يتطور الى تطاحن ومقاتلات فيؤثر البحث عن مكان أو قبيلة يعيش لديها
حرا بعيدا عن الخلافات والمنازعات.

وقد تمنى أحد أبناء القبائل أن يعيش حتي مع الصلب لـ عدم
استطاعته تحقيق طموحاته في قبيلته ثم حقق ذلك بالهرب عن موطنه فقال
في ذلك بعض الأبيات مبينا فيها أنه لم يعد يأبه للأصل القبلي وأنه على استعداد
للجلاء عن أرضه العزيزة عليه :

لبيتني مع الصلبان والأصل مأبيه لا سايل عني ولا نى بسايل
الى أن قال :

(٢)
نويت أهوم وكافل العبد واليه والبعد طب للقلب الغلايل

هـ- طول فترة الاستيطان والارتباط بالأرض نتيجـة لبروز وتكثف ظاهرة التحضر
في المجتمع النجدي منذ القرن السابع تقريبا حيث برز في هذا القرن وبـعده
تعمير عدد من البلدان النجدية ابتداءً أو إعادة عمران^(٣)، وهذا ما جعل

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق : ٧

(٢) الصلبان : الصلب، الأصل : النسب المعروف، مأبيه : لا أريد،
لا سايل : تخفيف سائل أى لن يسأل عني ولست بسائل عنه، أهوم :
من الهيام بمعنى الضياع في مفازة بلا مأ، والفروض أن يقول أهيم،
وكافل العبد واليه : أى كافل الانسان ربه فهو على كل شيء وكيل،
البعد طب الخ : أى أن الفراق عن بلاد لا ترى لك فيها قدرا
ومقاما يليق بك فيه علاج للقلب الذى يحس أن في ذلك غلايلا تخنقه،
عن الميتين : محمد الأحمد السديري : أطال من الصحراء مطابع

دار الكتب ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) عرفت اشيقر كلدة متحضرة منذ أواخر القرن السادس وأوائل السابع
الهجريين ، وعمرت عنيزة سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م تقريبا وفي سنة

(=)

الانتساب الى الأمكنة أوضح من الانتساب الى القبائل عند بعض الأسر النجدية، وهذه ظاهرة طبيعية نمت مع نمو تلك البلدان، وهى وان تشابهت مع ما حصل للعرب الفاتحين من اختلاطهم بأهل البلدان المفتوحة الا أنها هنا ظاهرة اجتماعية اقليمية فى أكثر الأحيان (١)

٦- النظرة الاجتماعية المتباينة نوعاً ما بين المستوطنين القدامى للبلدان النجدية والقادمين الجدد اليها مما غذى ذلك التقسيم العرقى فى حاضرة نجد، إذ أن تلك القدامى للبلد جعلهم يشعرون بنوع من السمو الاجتماعى أمام الوافدين الجدد لا يمنعهم من الاستيطان معهم فان شيئاً من هذا لم يؤثر حدوثه فى أى من البلدان النجدية بل كان التعامل الاجتماعى بين هذين الفريقين جيداً، وانما برز هذا السمو فى قضية التزاوج وهى رغم أهميتها فلم تعكس صفو العلاقات الاجتماعية الطيبة بين هذين الفريقين (٢)

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته الى بعض تلك الأسباب فعقد فصلاً فى اختلاط الانساب كيف يقع قال فيه : " اعلم أنه من البين أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط الى أهل نسب آخر بقراءة الهم أو ولا" أو لفسرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم فى ثمراته من النعمة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال، وإذا وجدت ثمرات النسب فكانت له وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء وهؤلاء الا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه، وكأنه التعم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان وبذهاب أهل العلم به فيخفى على الأكثر، وما زالت الانساب تسقط من شعب السى شعب ويلتحم قوم بآخرين فى الجاهلية والاسلام والعرب والعجم، وانظر (٣) خلاف الناس فى نسب آل العنذر وغيرهم يتبين لك شئ من ذلك، ومنه شأن بجيلة

(=) ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م تقريباً أميد بناء التويم فى سدير، وعمرت الجمعية

سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م، وعمرت المدينة سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م وكذلك

بلدة الدرعية ثم توالى بعد ذلك عمران كثير من بلدان نجد واعادة

تعمير بعضها فعمرت بريدة سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م.

(١) ابن خلدون ١٠٣، ١٠٩، الجاسر: ٦ *Al Juhany p. 174*

(٢) *Al Juhany p. 174.*

(٣) بجيلة : بفتح الباء وكسر الجيم هى بنت صعب بن سعد العشيرة من

كهلان ينسب اليها البجليون، وهى أن جاهلية أخت لباهلة، استوطن

البجليون الحجاز والبحرين قبل الاسلام، ومنهم ذو الخلصة، وتفرق

قسم كبير منهم مع الفتوحات الاسلامية (ابن حزم : جمهرة أنساب

العرب . تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف . القاهرة

١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص ٣٨٧ - ٣٩٠ وحدد أماكن وجودهم فى الأندلس

بمنطقة أريونه، دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ٣٦٤، الزركلى الاعلام ٢ / ١٠

فى عرفجة بن هرثمة لما ولاء عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا : هو فينا لزيق (أى دخیل ولصیق) وطلبوا أن یولی عليهم جریراً^(٢) فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة : صدقوا یا أمیر المؤمنین : أنا رجل من الأزد أصبت دماً فى قومى ولحقت بهم ، وانظر منه کیف اختلط عرفجة ببجيلة وليس جلد تهمم وادعی بنسبهم حتى ترشح للریاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ، ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجطة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله فى خلقيقته ، ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود^(٣) . ورغم أن الأرقاء المحررين یعدون ضمن فئة الخضرین كما مر فى بعض مناطق نجد الا أنه فى مناطق أخرى یفرق بین هؤلاء وأولئك فیلحق الأولون بساداتهم لان مولى القوم منهم وعلى هذا فهم يأخذون اسم القبيلة بعد التحرر ولهم مالها وعليهم ما عليها .

(١) ذكره ابن حزم فى المجهورة باسم عرفجة بن هرثمة وأنه هو الذى جند الموصل بینما ذكره الزركلي ونقل هذه المعلومة عن ابن حزم على أنه هرثمة بن عرفجة بن عبد العزى البارقى الأزدی من رجال الفتوحات الاسلامیة ، وجهه أمير البحرین العلاء بن الحضرمی لفتح جزيرة فى الخلیج ، وأمر العلاء أن یعد به عتبة بن غزوان لفزو الأبله فشارك فى فتحها ثم وصل الى الموصل ، توفى بعد سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م (ابن حزم : ٣٦٧ ، الزركلي ٧٦/٩) .

(٢) هو جریر بن عبد الله البجلي صحابى تقدم فى اسلامه وقيل أنه أسلم قرب وفاة النبی صلی الله علیه وسلم قبل هدم ذا الخلصة صنم بجيلة على عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم قاد جمعا من بجيلة فى حرب القادسية وكان لهم أثر فى فتحها سكن الكوفة بعد ذلك وأرسله على رسولا الى معاوية ، سكن قرقيسيا حتى توفى قبل سنة ٥١هـ وقيل ٥٤هـ ٦٧١ ، ٦٧٣ (ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأنساب ، نشر دار الكتب العربی ، بیروت ١/ ٢٣٤-٢٣٧ أحمد بن حجر العسقلاني الاصابة فى تمييز الصحابة ، نشر دار الكتب العربی بیروت ١/ ٢٣٣ ، ٢٣٤) .

(٣) المقدمة ١١٠ ، وذكر مؤرخو السيرة أن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه كان لصيقا فى قریش وهناك عدة حالات مثل تلك الحال (ابن قيم الجوزیه ، زاد المعاد . مراجعة طه عبد الرؤف ، مطبعة البابى الحلبي ، القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ٢/ ٢١٨) .

ويبدو أن قسما من الذين يعودون الى أصول عربية نجدية أو غيسر نجدية قد يضطر الى مصاهرة طبقة أدنى من طبقته اما من الأرقاء المحررين أو غيرهم ، فينسى أصله أو يتناساه خاصة اذا كان بعيدا عن بنى قومه بحيث لا يعلمون عن هذه المصاهرة ، ويمرور الزمن بعد من فئة الخضرين ، وقد حفل تاريخ العلاقات الاجتماعية في نجد بالكثير من محاولات الرغبة في الزواج من هذه الفئة ، الا أنها تقابل بمنتهى الرفض والحيلولة دون اتماها^(١).

وليس من المعروف نجديا سبب اطلاق اسم الخضرين على تلك الفئات الحضرية السابقة ، ويبدو أن له مستند لغوي ، اذ لما كان النحدون يعتقدون أن أغلب هذه الفئة من الموالي - وهو اعتقاد ليس دقيقا - فقد أطلقوا عليها ما كان يطلق على الموالي عند العرب بأنهم خضر القفا^(٢) ، على أن البعض يطلق على هذه الفئة أو بعضها صفافير ، وهي تعني أحيانا في اللغسة السوداء كما قال تعالى : (جمالت صفر)^(٣) لأن العرب تسمى سود الابل صفرا وعلى هذا فهي تتفق مع اللفظة السابقة في المفهوم ، وربما أطلقوا (صفافير) عليهم أو على بعضهم لامتثانه طرق النحاس أو تصفيره لأن الصفر هو جيد النحاس ، أو ضرب من النحاس ، أو ما صفر منه بعد الجلو ، وصانعه

(١) الجاسر ٧/١ محمد الأحمد الثميري : الفنون الشعبية في الجزيرة العربية المطبعة العمومية بدمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ ص ١٧٠-١٧٤ وقد أورد فيها قصة قديمة فحواها أن أحد أئمة المساجد في أشيقر تزوج خضرية حتى اذا أرغمه أهله على الطلاق منها مات فمرا وقال أبياتا في ذلك ، وقد رد أحد العلماء على قضية عدم التزواج من هذه الفئة موجهة الأحاديث التي وردت في قضية التكافؤ بالنسب (الجزيرة عدد ٣٣٨٥ الخميس ١٤/٢/١٤٠٢هـ ص ٢١ ، وانظر الحقيقل ٢٠٥) واذا ثبتت تلك القصة فهي تشير الى أن محاربة تلك الظاهرة قد جاءت من أهل الدين انسجاما مع تعاليمه .

(٢) الزبيدي : التاج ٣/١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ وأورد بيتا من الشعر هو :
وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
ومراده أنا خالص لأن اللون العرب السمرة وأراد بالخضرة سمرة لونه وأنه عربي محصن لأن العرب تصف ألوانها بالسواد وتصف ألوان العجم بالحمرة .

(٣) سورة المرسلات آية ٣٣ .

الصفار (بتشديد الفاء) وجمعها صافير، وهي لا تعنى أن لونهم أصفر والا قيل صفران وهو لفظ لم يطلق عليهم بهذه الصيغة^(١).

ومن أوضح معالم التعايش بين الفئات الاجتماعية في نجد عمومًا ولدى حضرها بشكل خاص ذلك الاحترام المتبادل لمظاهر الحياة العامة لدى كل فئة فيها بممارستها لمهنتها في حرية اجتماعية مثالية، ولا أدل على ذلك من خلو كتب التاريخ النحدي المحلية من أى إشارة تبين حدوث ما يعكس صفو الحياة في نجد من هذا الجانب كحدوث فتن عرقية أو فئوية من تلك التي تحدث في كثير من البلدان، ولم تجر صور الاحتقار لبعض المهن التي تقوم بها بعض الفئات من قبل القبليين في نجد أى فتنة من هذا القبيل نظرا لعدم تطور مثل هذا الاحتقار الى درجة الفتنة الخطيرة، بل قد أعطت بعض مظاهر احتقار تلك المهن أمانا نسبيا لبعض الفئات فيه نظر لحاجة المجتمع العاسة لها.

ونتيجة لذلك فقد وجد لأفراد وأسر تعد من فئة الخضرين مقامات عالية في المجتمع، وجاها عظيما بين الأسر المتحضرة في نجد، وقد استولت هذه الفئة على مراكز تجارية اشتهر منها أفراد وأسر بذلك، كما امتهنوا كالأسر الأصلية الزراعة والحرف، وكان لبعضهم أعمالا اجتماعية في مجالات التكافل الاجتماعي وأفعال الخير منذ فترة متقدمة في المنطقة، وكل هذا نتيجة لحبهم للخير، ووجاهتهم في المجتمع، وكبر أملاكهم الزراعية، هذا على ما اشتهر به بعض أفراد وأسر من هذه الفئة بالعلم الشرعي والتقوى والورع كما سبق^(٢).

(١) الزبيدي ٣/ ٣٣٧، مجلة العرب ج ٥، ٦ / س ١٤ ص ٤٧٢
(٢) من أبرز هؤلاء صبيح أحد العوالي في بلدة اشيق في القرن الثامن الهجري الذي كان له عدد من المزارع فيها وأوقف قسما كبيرا منها على عدد من مجالات الخير وسيمر عرض لبعض هذه المجالات في فصل التكافل الاجتماعي عند حضر نجد قبل الدعوة (مجلة العرب ج ٢١ س، رجب ١٣٨٧ هـ ص ٥٧) .

وإذا كان قسم من هذه الفئة ينتسب الى احدى القبائل بحلف أو جوار أو ولاء، فإن قسما منهم يستطيع معرفة قبيلته الأصلية، ولكنه تحسنت تأثير الأسباب السابقة التي خفى نسبه بسببها، وقناعته بالوضع الذي هو فيه لا يأبه لعثل هذه الأمور منصرفا الى أداء دوره في المجتمع بكل تفان واخلاص وقد حدثني أكثر من شخص عن معرفته بأسر من هذه الفئة تعرف القبيلة التي تنتسب اليها كما أكد ذلك الشيخ حمد الجاسر، وليس في هذا المدخل مجال لذكر أنساب الأسر التي تعود الى هذه الفئة لأن هذا يدخلنا في متاهات الأنساب ويتطلب استعراضا لكثير من الأسر المتحضرة الأصلية وغير الأصلية، ويعد تكرارا لما حفلت به كتب الأنساب عامة، وأنساب الأسر المتحضرة في نحد بصفة خاصة^(١).

ويعد : فإن لنا في نظرة الاسلام للأنساب خير مبدأ يجب أن ننظر الى الأنساب على أساسه ذلك أن هذه النظرة توائم بين ضرورة معرفة كل انسان لأصله وحسبه وبين عدم الغمط لحقوق بعض الناس في حال جهل أنسابهم أو تناسيها تحت أى سبب من الأسباب، علاوة على محاربتهم للتفاخر البغيض في الأنساب، وهذا ما يفسر النصوص الحاثية على معرفة النسب والنصوص التي تنهى عن الطعن في الأنساب^(٢) والغلو في العناية بها وتوجيه مجالات الحياة على أساسها.

(١) العرب، ج ٥، ٦ / ١٤ ص ٤٧٠

(٢) من أبرز هذه النصوص قول الله عز وجل : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات آية ١٣ والتي تحمل معني الحث على معرفة النسب وتسخيرها للتعارف لا التباغض والتدابير، ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الأهل ، مشاة في المال منسأة في الأجل ، مرضاة للرب) رواه الامام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وحسنه (مسند الامام أحمد ط (٣) دار الفكر الاسلامي بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

(=)

.....

(=) ٣٧٤/٢ ، محمد بن عيسى الترمذى : الجامع الصحيح
المسمى بالسنن تحقيق وتصحيح عبد الرحمن عثمان دار الفكر . بيروت
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ٣/٣٧ ، وأثنى ابن حجر فى فتح البارى ٢٢/١٩٥ على
سنده ، كما أثنى الالبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٥٣ - ١٥٥ على
سنده وذكر أكثر من مصدر له ، وذكر أحاديث مؤيدة له) وقد قمت باعداد
نبذة موحزة عن نظرة الاسلام للأنساب فى رسالة الماجستير من ص ٦٨-٨٢

الباب الأول
الحياة الدينية عند محمد
نجد قبل الدعوة

الفصل الأول
مظاهر الاختلاف عن
الدين الإسلامي
١- في أصول الدين .

ب- في الفروع :-

١- رجوة الحاكم .

٢- أمثلة لبعض العادات البعيدة المخالفة للشرع .

توطئة:

أتى على العالم الاسلامي حين من الدهر انتشرت فيه البدع بين فئات من المسلمين في مختلف بلدانهم، وخلف من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم والسلف الصالح خلف من المسلمين فشت بينهم الخرافات والمعتقدات الضالة المخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كالاعتقاد بالأولياء والصالحين والبناء على قبورهم والتبرك بها، وقد استمر قسم من المسلمين يؤمن بهذه الخرافات وأشباهاها عبر العصور الاسلامية يغذى هذا الاعتقاد تلك العلاقات التي حفل بها تاريخ الاسلام مع الأمم والأديان المختلفة، ومن هنا فقد غشي المسلمين ماغشيم من بعد عن منهج الله سبحانه حتى بلغ هذا الانحراف ببعضهم حد الاعتقاد ببعض البهائم والتبرك بها والايمان بوجود كرامات لها، واستأسد غللة الصوفية حتى عم شرهم كثيرا من أنحاء العالم الاسلامي فملكوا أزمة الفتوى في بعض البلدان وغلا فيهم اتباعهم غلوا كبيرا، وقد ازدادت تلك المعتقدات في القرون المتأخرة^(١).

١ - في أصول الدين:

لقد رسمت بعض المصادر التاريخية صورة قاتمة للحياة الدينية فيها قبل الدعوة، ورغم تركيز هذه المصادر على هذه الصورة - ولها أهدافها في ذلك - فقد كان ولع الباحثين في تاريخ نجد والدعوة السلفية والدولة السعودية وخاصة من غير أهل المنطقة - كبيرا اذ ضخموا هذا التصوير حتى توهم كثير من المطلعين على هذا التاريخ شمول هذه الصورة القاتمة

(١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والاخبار . مطبعة سعي . بيروت، نشر دار الفارس . بيروت ١/ ٣٣٩ - ٣٤١ ، ٤٠١ - ٤٠٣ .
عبد المتعال الصعدي ، المجددون في الاسلام طبع دار الحطامي
نشر مكتبة الآداب ، القاهرة ٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ص ٤٢٢ - ٤٢٤

لكل أقاليم وبلدان نجد ، وعموم مجالات الحياة الدينية في العقيدة والعمل بأركان الاسلام حتى بدأ المجتمع النجدي وكأنه لا يعي من أمر الاسلام - صغيره وكبيره - شيئاً ، على أن الباحث المنصف يلص بوضوح - من خلال تعدد المصادر - عدم شمول هذه الصورة لكل اقاليم وبلدان نجد وفئاته الاجتماعية وكذلك كافة مجالات الحياة الدينية فيها إذ أن تعدد تلك المصادر كما سيأتي يعطى بعض التصور عن تركيز بعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة في منطقة معينة حيث وجد فيها بعض الاعتقاد ببعض القبور والأشجار والكهوف والأشخاص ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الاعتقادات البدعية في بعض مناطق نجد الأخرى .

ومن هنا فلا بد من استعراض موجز لمظاهر الانحراف عن العقيدة الاسلامية الصحيحة في نجد كما صورتها المصادر التاريخية المحلية ما يمكن اضافته عن تلك المظاهر أو غيرها من المصادر الأخرى كرسائل ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو علماء نجد قبل الدعوة وبعدها كذلك المصادر الأخرى للتاريخ النجدي لعلنا نخرج بتصوّر أكثر وضوحاً عن الحياة الدينية لدى حاضرة نجد قبل الدعوة .

لقد تثلثت مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة في منطقة العارض في ممارسة بعض الناس لبعض الشراكيات كتعظيم بعض القبور وبعض الأشجار والأحجار وبعض الأشجار والأحجار وبعض الأشخاص :

١- القبور: من أبرز هذه القبور قبر زيد بن الخطاب رضي الله

(١) هو أبو عبد الرحمن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من أبيه ، أسن من عمر ، شهد المشاهد كلها من أهل الصفة ، كانت راية المسلمين معه في البيعة إلى أن استشهد سنة ١٢ هـ / ٦٣٣ م ، قال فيه عمر : سيقني إلى الحسينين : الاسلام والشهادة روى له حديث واحد ، (أبو نعيم أحمد الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط (٣) دار الكاتب العربي ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ١ / ٣٦٧ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٥٤١ - ٥٤٤ ، ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٥٦٥ الزركلي . الاعلام ٣ / ٩٧) .

(١) عنه في الجيلة . وكذلك قبر ضرار بن الأزور في وادي غبراء^(٣) وبعض قبور الصحابة في قرية بالدرعية ، ولقد أثر وجود مسجد حول قبور الصحابة^(٤)

(١) قرية على ضفة وادي حنيفة قامت على أنقاض عقرباء القديمة ، كان لها شأن يذكر في تاريخ نجد السياسي والعلمي في القرون ١٠ ، ١١ ، ١٢ الهجرية ومن أبرز من أنجبتهم الجيلة أحمد بن يحيى بن عطوة كبير علماء نجد في عصره (إبراهيم الحربي : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر / مطبعة المتنبي . بيروت نشر دار اليمامة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ٦١٦ حاشية المحقق ، عثمان ابن بشر : ١٩٤ / ٢ ، وللتفصيل في أخبارها فيه انظر : أحمد مرسي عباس : فهارس عنوان المجد ، مطبعة المدينة : الرياض ، نشر دار الطك عبد العزيز ط (١) ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١٢٠ ، إبراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، نشر دار اليمامة : الرياض ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ط (١) ، مطبعة الفرزدق : الرياض ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ١ / ٢٦٤ - ٢٦٧) .

(٢) هو ضرار بن مالك (الأزور) الأسدى : أحد أبطال الجاهلية والاسلام شاعر ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، روى له حديث واحد ، هو قاتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، قيل استشهد في اليمامة سنة ١١ هـ / ٦٣٣ م وقيل سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م وقيل توفي في غيرها (ابن عبد البر ٢ / ٢١١ ، ابن حجر ٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، الزركلي ٣ / ٣١١) .

(٣) وادي غبراء : واد صغير يقع في وسط وأعلى الدرعية من روافد وادي حنيفة ، فيه آثار مساكن قديمة ، وغبراء اسم قرية بين عرقة والعمارة ويرجع محمد العيسى أن الدرعية يطلق عليها قديما غبراء ثم العودة ثم الدرعية (د . عبد الله الشبل . أهم المصادر النجدية : تاريخ الدولة السعودية ، رسالة دكتوراه لم تنشر حاشية ص ١٠٩ ، ابن خميس معجم اليمامة ، ٢ / ٢١٣ ، ٢١٤ ، محمد الفهد العيسى ، الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية ، مجلة العرب ج ٣ / س ١ ص ٢٣٣)

(٤) قرية أو قريوى واد صغير يقع في الدرعية يقال ان الشيخ محمد بسن عبد الوهاب دفن فيه كذلك ، ولعله كان مقبرة لأهل الدرعية (عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ . مشاهير علماء نجد وغيرهم ط (١) دار اليمامة : الرياض ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ٨٠ الحاشية) .

فى الجبيلة، ولعل هذا هو ما أضفى نوعاً من التقديس على هذه القبـور وجعلها من مزارات أهل المنطقة^(١).

ولما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد قام فى المرحلة الثانية من جهده بدعوته فى العيينة بهدم القبة الصنية على القبر المعتقد أنه لزيد بن الخطاب فقد استغل هذه القضية معارضة سليمان بن سحيم^(٢) فأثارها مع عدد من القضايا الأخرى فى رسالته لعلما المسلمين وكأنه بذلك

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب الرسائل الشخصية، مطابع جامعة مكة الامام ص ٢٣٢، العقيدة والآداب الاسلامية، رسائل فى التوحيد والايمان . مطابع جامعة الامام ص ٣٦٩ . حسين بن غنام: روضة الأفكار والأفهام، مطبعة البابى بمصر ط (١) ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩ م نشر المكتبة الأهلية، الرياض ١/٧، عبد الرحمن ابن قاسم: الدرر السنية فى الأجوبة النجدية ط (٢) دار الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ ١٩٦٥ م، ١/١٨٦، ١٨٧، د. عبد الله الشيل: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ١٢.

(٢) هو سليمان بن محمد بن أحمد بن على بن سحيم من السبعة ممن الحبلان من عنزة ولد فى المجمع ١١٣٠هـ / ١٧١٧ م وقرأ على بعض علماء نجد ومنهم والده، ثم ارتحل الى الرياض فصار مدرسا وخطيبا وفقهيا ومفتيا هي ومعكال أيام دها م بن دواس وبعد صدع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته فى العيينة عارضه بن سحيم فى أشياء كثيرة، وبعد انتقال الشيخ الى الدرعية بدأت المعارضة النجدية العلمية تضعف تدريجيا مما دفع بها لتأليب أمراء البلدان ضدها فساعد سليمان هذا دها م فى معارضته للدعوة والدولة ووالد بن سحيم من معارضي الدعوة وبعد ضعف المعارضة النجدية. انتقل الى الدرعية عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٤ م ولم يطب له المقام فيها فارتحل الى الزبير وتوفى فيها عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧ م وخلف فيها ابنه ناصر من علمائها البارزين، للتفصيل (الشيخ محمد عبد الوهاب. الرسائل الشخصية ٦٣ - ٧٦، ٨٨، ٩١، ٢٢٦، ٢٣٧، ابن غنام روضة المتحضرة فى نجد ١/ ٣٧٠، عبد الله البسام علماء نجد خلال ستة قرون، ١/ ٣٢٢، ٣٢٣، أمين سعيد: سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م ص ٧٧-٩١، ١٠٤، ١١٣، د. عبد الله العثيمين: موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مقال منشور فى مجلة كلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) مجلد ٥ عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ص ١-٢٠) .

بريد أن يضرب على الوتر الحساس على هذه القضية بالذات على اعتبار
أن تقديس القبور والقباب عليها يلقي اهتماما كبيرا في بعض الأمصار
الاسلامية .

ولقد كان أسلوب بن سحيم مثيرا في طرقة لهذه القضية وعرضها على من
أرسل رسالته اليهم من علماء المسلمين حيث صور الشيخ محمد بن عبد الوهاب
بصورة المستهين بشهداء اليمامة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا أمر لا يمكن للباحث المنصف المطلع على حقيقة دعوة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب القول به .

يقول بن سحيم عن الشيخ محمد : (فمن بدعه وضلالته أنه عمد الى
شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين في الحيلة زيد بن
الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وسعثرها لأجل أنهم في حجارة ولا يقصدرون
أن يحفروا بهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن
لهم خالد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمد أيضا الى مسجد في
ذلك وهدمه وليس له داع شرعي في ذلك الا اتباع الهوى) (١)

ولقد كان رد الشيخ على هذه المسألة غير مباشر نظرا لثبات حصول
هذه الحادثة بل ان هدم القباب على القبور والمساجد حولها من أهم
العبائد التي قامت عليها دعوته ولهذا فقد ذكر الشيخ في رسالة لـ
الى عبد الله بن سحيم وجوب هدم واضع الشرك مشيرا الى دخول المشاهد
(٢)

(=) ابن غنام : روضة ١ / ١١٢

(١) هو عبد الله بن أحمد بن سحيم ولد في المجمع وتعلم على علماء
سدير والوشم حتى فقه في الفروع علاوة على اطلاعه الواسع في التاريخ
وأنساب أهل نجد وكان خطه حسنا حتى صارت هوايته نسخ الكتب
لنفسه وكوّن بسبب ذلك مكتبة كبيرة غالبها بخط يده حتى لقب
" الكاتب " ثم آل اليه قضاء منطقة سدير وما لبث أن أصبح عمدة لها
في التدريس والامامة والفتيا والتعليم بالاضافة الى القضاء ، أدرك دعوة

(=)

التي بنيت على القبور في هذه المسألة، كما أشار إلى هذه القضية التي يبدو وأن سليمان بن سحيم قد أقنع فيها قربه عبد الله بن سحيم يقول الشيخ : لكن العجب من قولك : أنا هادم قبور الصحابة ، وعبارة الاقتناع في الحنائـز، يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم ^(١) .

وما من شك أن الشيخ بهذا القول قد حاول الرد على معارضة سليمان ابن سحيم في هذا الموضوع كما حرص على اقناع عبد الله بن سحيم بصواب ما فعل موافقه ذلك لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رسالة للشيخ أرسلها إلى علماء مكة سرر فيها هدم هذه القبور يشتم للباحث من خلالها أن تقديس هذه القبور يأتي في المقام الأول بين مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة في المجتمع النحدي قبل الدعوة .

قدم الشيخ محمد نفسه إلى هؤلاء العلماء بالأسلوب المتع في التراسل بين العلماء بأن أظهر التواضع من جانبه معظماً لهؤلاء العلماء.

" من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام نصر الله بهم سيد الأنام و تابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

حراعلينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم و سبيه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين

(=) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان بينه وبين الشيخ محمد بعض الخلاف في مبتدأ الدعوة إلا أنه في الواقع من أخف أسرة آل سحيم عداءً للدعوة ، وقد راسله الشيخ محمد أكثر من مرة ، توفي سنة ١١٧٥ هـ ١٧٦١م (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٦٢-٧٦ ١٣٠-١٤١ ، ابن غنام : روضة ٩٧/١-١٠٣ ، ١١٣-١٢٢ ، الفاضل ١٢٢ ، ابن بشر ٥٥/١ ، ابن عيسى ١١١ ، عبد الله البسام : علماء ٥١٢/٢ ، ٥١٣ ، محمد القاضي ، روضة الناظرين ٣١٦/١ ، ٣١٧) (١) محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٧٥-٧٦ ، ابن غنام : روضة الأفكار ١٢٢/١

و مع هذا نهيناهم عن دعواهم وأمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جدا وعاضدهم بعض من يدعى العلم لا سباب آخر التي لا تخفى على مثلكم أعظمها اتباع هوى العوام مع أسباب . آخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلم^(١) .

و لقد صور الشيخ محمد في رسالته الى معارضه سليمان بن سحيم درجة اعتقاد بعض الناس في العارض بقبر زيد بن الخطاب حيث جعلوه وسيلة للتقرب الى الله زلفى كما أنه في الوقت نفسه نعى على الذين يعتقدون بحصول نقص و ضرر على زيد من اعتقاد الناس به ، فقال : " وأما الثانية وهى أن الذى يجعل الوسائط هو الكافر ، وأما المحعول فلا يكفر فهذا تلبس و حباله ، ومن قال ان عيسى وعزيرا وعلى بن أبى طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص يجعل المشركين اياهم وسائط حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى)^(٢)

و يقرر الشيخ محمد رحمه الله فى احدى مسائله أن بعضا ممن كان يعتقد بقبر زيد بن الخطاب قد فاق مشركى الحاهلية الأولى الذين كانوا يشركون مع الله فى الرخاء فاذا مسهم الضر أخلصوا الدعاء لله وحده ، يقول الشيخ فى هذه المسألة : (قال الله تعالى : " واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم و كان الانسان كفورا ")^(٣) فقد سمعتم

(١) محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٤٠ ، ابن غنام : المصدر

السابق ١٤٤ / ٢ ، عبد الرحمن بن قاسم : الدرر السنية ٤٢ / ١ ، ٤٣ ،

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٣٢ ، ابن غنام :

المصدر السابق ١٤٢ / ١ ، ابن قاسم : الدرر ٦٥ / ٨ ، ومن أبرز الأدلة

فى هذا المحال قول الله سبحانه فى سورة الأنبياء (انكم وما تعبدون من

دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ، الى قوله تعالى " ان الذين

سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ") الآيات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، وقد أورد ابن كثير فى تفسيره أسباب نزول هذه الآيات حينما اعترض

المشركون على الآيات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، زاعمين أن عيسى وعزيرا وغيرهم

يلحقهم اثم و نقص بسبب عبادة الناس لهم فردت الآيات بعد ذلك على

قولهم (ابن كثير : التفسير ، ط ١ ، دار الفكر ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ،

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ٣ / ١٩٨ - ٢٠٠) .

(٣) الأسراء آة ٦٧

أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده ولا شريك له واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا، وانت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واحتشاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني (١) (٢)

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز أو الفيرزان الكرخي نسبة إلى كرخ بغداد أحد أعلام الزهاد كان من موالى علي الرضى بن موسى الكاظم، ولد في بغداد ونشأ وتوفي فيها علا فيه أرباب الصوفية فكانوا يقصدونه للتبرك مع بعض العامة، وكان واسع العلم على زهده فكان الامام أحمد بن حنبل يقصده للاستفادة من علمه وزهده، ينسب إلى كثير من الكرامات، وعدد من كلمات الزهد، توفي سنة ٢٠٠ / ١٨١٥ م وقيل ٢٠١ هـ وقيل ٢٠٤ هـ، وكان قبره يزار حتى غلى فيه فبنى عليه مسجد لا يزال معروفاً ببغداد حتى الوقت الحاضر بجامع الشيخ معروف الكرخي، وقد جدد مؤخراً ويعد من مزارات بغداد المعروفة (أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي: طبقات الحنابلة، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان) بدون تاريخ ٣٨١ / ١ - ٣٨٩، الزركلي: الاعلام ١٨٥ / ٨، يونس ابراهيم السامرائي: تاريخ مساحد بغداد الحديثة مطبعة الأمة ببغداد، نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ص ٢٩٥)

(٢) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست ينسب إلى الحسن ابن علي رضي الله عنهما يلقب بالجيلاني أو الكيلاني أو الحيلي، ولد في منطقة حبلان قرب بحر قزوين سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧، ١٠٧٨ م، وقيل ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦، ١٠٩٧ م وانتقل إلى بغداد شاباً وتلقى العلم على يد كبار علماءها على مذهب الامام أحمد بن حنبل حتى يسرع فيه وأصبح شيخ الحنابلة و فقيهم في عصره، لما توفي شيخه أبو سعيد المغربي تولى التدريس مكانه في مدرسة باب الأرح ببغداد إلى أن توفي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م فدفن فيها وسميت المدرسة والمسجد باسمه وتولى التدريس فيها بعده ابنه عبد الوهاب، ويذكر عن عبد القادر أقوالاً وأفعالا ومكاشفات وكرامات أكثرها مبالغ فيها وقد غلا فيه اتباعه من الصوفية القادرية حتى عد قبره ومسجده من كبار مزارات بغداد يحوى مكتبته ورباطاً لطلاب العلم، (ابن الأثير: الكامل في التاريخ

(١)
وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجل من هؤلاء مثل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالله المستعان .^(٢)

وقد أورد بعض المؤرخين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قصة
تبين هذا الاعتقاد بزيد بن الخطاب رضي الله عنه وتؤكد ماقرره الشيخ
محمد من أن درجة هذا الاعتقاد قد جاوزت إشتراك زيد مع الله سبحانه
في بعض أنواع العبادة في وقت الرخاء عند بعض الناس إلى الاستغاث به
إذا مسهم الضر، وفحوى هذه القصة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان
جالسا فوق سطح بيته ذات ليلة وقد رأى رجلا قد أضاع بغيره وكان يستغيث
بزيد ليرد له بغيره، فسأله الشيخ محمد أن يستغيث برب زيد ، وانتشـرت
القصة بين الناس وانقسموا إلى فريقين : فريق يعتقد بزيد وفريق يؤمن

(=) ط (٢) نشر دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ ٩٤ / ٩ وذكر وفاته في ربيع
الآخر سنة ٥٦١ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية ط (٢) مكتبة
المعارف ، بيروت ١٩٧٧ م / ١٢ / ٢٥٢ هـ ، عبد الرحمن بن رجب
الحنبلي : الذيل على طبقات الحنابلة نشر دار المعرفة ، بيروت ،
١ / ٢٩٠ - ٣٠١ ، ٣٨٨ - ٣٩٠ ، الزركلي : المرجع السابق ٤ / ١٧١
١٧٢ ، يونس السامرائي : المرجع السابق (٢٧٨) .

(١) هو الزبير بن العوام الأسدي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولد سنة ٢٨ ق ٥٠ هـ / ٥٩٦ م اسلم وله ١٢ سنة شهد بدرا وأحد
واليرموك ، جعله عمر فيمن يصلح للخلافة بعده ، كان موسرا ، استشهد
غيلة يوم الجمل بوادي السباع قرب البصرة سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م ، وهذا
الوادي هو الذي أسست فيه بلدة الزبير غرب البصرة بحوالي ٨ أميال
حيث أقيم على ضريح الزبير مسجد بأمر السلطان العثماني سليم
ابن سليمان الثاني في رجب ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م وعد هذا الضريح
والمسجد من مزارات منطقة البصرة حتى أن كثيرا من موتى البصرة
ينقلون إلى الزبير ، (الزركلي ٣ / ٧٤ ، ٧٥ يوسف حمد البسام :
الزبير قبل خمسين عاما . المطبعة العصرية . الكويت ١٣٩١ هـ /

١٩٧١ م ص ٣٣ ، ٦٣) .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : العقيدة والآداب الإسلامية . مطابع
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ،
ابن غنام : المصدر السابق ١ / ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١)

بما يدعو اليه الشيخ محمد .

وإذا كان جزء من هذه القصة ربما وقع فعلا في تصوير درجــة الاعتقاد بزيد بن الخطاب فان اظهارها على أنها أمر انقسم فيه سكان العيينة ومنطقة العارض عموما تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واعتبار بداية حركة الشيخ محمد والتطبيق العلني لدعوته أمر غير مقبول تاريخيا ، ذلك أن دعوة الشيخ محمد قد عرفت واشتهرت مذ كان في حريملاء ، ووجد لها مؤيدون ومعارضون في هذه البلدة التي يعد نشاط الشيخ في الدعوة

(١) د . عبد الله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٤٨ ، وقد أورد القصة باسم سعد ورجح أن المقصود زيد ، وذكر بـروكلمان : (تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ط (٧) دار العلم للملايين ١٩٧٧ ص ٥٥٠) أن سعدا من أولياء المنطقة ولعل المقصود زيد كذلك ، وقد أورد القصة المؤرخ التركي سليمان شفيق على أن الشيخ كان جالسا أمام بابه إذ رأى بدويا يستغيث ويقول : (ياسعاد) كذا (أوجد لي ناقتي ، وذكر أن سعدا هذا من رؤساء العرب وشجعانهم في قديم الزمان وأوله من قبل القبائل فلما سمعه الشيخ قال له : أسكت والاكفوت : من سعدا ؟ استغث بالله واطلب من خالق الكون ولا تطلب من مخلوق خسيس مثل سعدا ، وذكر المؤرخ أنه قد قامت قياة القبائل والبلدان المجاورة أثر هذه المحاورة ولم تهدأ الا الأحوال الا بتدخل ابن معمر (د . عبدالفتاح أبوعلية : دراسة حول المخطوط التركي : (حجاز سياحته سبي) دار المريخ ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ٣٨٠) وقد أوردت بعض المراجع الرواية باسم زيد صراحة (د . ابراهيم الفوزان : اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة . مطابع الفرزدق . الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٧٩ ، وورد ذكر اسم سعد في بيت لراشد الخلاوي في قوله :
محا الله سعد يامنيع وقومه كما قد محا من صفحة اللوح كاتبه
(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوي ص ٢٩٣) وينتفى أن يكون المقصود بسعد هنا زيد بن الخطاب رضي الله عنه لعدم وجود دواعي الترجمة من لغة الى أخرى والتي قد تحرف بعض الأسماء والكلمات وربما كان المقصود به هنا أحد رؤساء القبائل وشجعانهم كما ذكر
(=)

(1)

فيها المرحلة الأولى لقيام الدعوة السلفية.

ويبدو أن أهل الجبيلة والعينة والمناطق المحيطة بهما كانوا
يدفنون موتاهم قريبا من قبر زيد وشهداء الصحابة في معركة اليمامة بحيث
أصبحت منطقة هذه القبور مقبرة عامة لأهل هذه البلدة وما جاورها ولعل
ذلك كان في مبدأ الأمر لكون هذه المنطقة أرضا سهلة منخفضة بين
المناطق المحيطة بتلك المقبرة من جميع الجهات وأراض وعرة وهذا ما يفسر
للرد على ابن سحيم في قوله أن سبب ارتفاع القبور كونها في أرض وعرة.^(٢)

(=) ذكر ذلك المؤرخ التركي، وأو قد يكون قاضيا عرفيا من قضاة البدو، وقد يكون أحد الأشخاص الذين يعتقد بولايتهم وهذا الاحتمال وارد ويؤيده أن هذا البيت ضمن أبيان تصور الحياة الدينية في نجد، وقصد وردت القصة في مخطوط تركي آخر باسم سعد بتفصيل أكثر من السابقة على أن البدوى كان يستغيث بقبر سعد - مما يشير بأن المقصود قبر زيد (د . د . محمد حرب : تقرير رسمى عثمانى عن بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجلة العربية العدد ١٢٣ السنة ١١ ربيع الثانى ١٤٠٨ هـ ص ٨٠) .

(١) د. عبد الفتاح أبو غلية : المرجع السابق ٣٨، د. العثيمين :
المرجع السابق ٤٩

(٢) ابن غنام ١١٢/١، ١٢٣، وقد تولى ابن غنام فيها الرد على ابن
 سحيم بأن موضع القبور سهل لين وهو مقبرة لأهل المنطقة والأرض الوعرة
 عنها شمالا وجنوبا، وقد قرر عدد من الجغرافيين القدماء والمحدثين
 أن منطقة عقرباء - مكان هذه القبور - أرض لينة في منبسط وادي حنيفة
 وتعد عقرباء إحدى رياض منطقة العارض وكلهم يجمعون على سهولة
 أرض المنطقة (الحري: المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة
 ص ٦١٦، الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد
 الأكو، نشر دار اليمامة. الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص ٢٨٤، ٣٠٧
 ٣٠٨، عبد الله البكري معجم ما استعجم تحقيق مصطفى السقا نشر
 دار عالم الكتب، بيروت ٩٤/١، ياقوت الحموي: معجم البلدان نشر
 دار صادر ودار بيروت ١/٦٠، ٦١ محمد بن بليهد صحيح الاخبار
 ٩٣/٥، حمد الجاسر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ط (١) نشر
 دار اليمامة. الرياض ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص ٥٥ - ٥٧، أبو
 خميس: معجم اليمامة ١/٤٩ - ٢/٥٢، ١٦٣، ١٦٨).

واذا كان من غير المعروف تاريخ الاعتقاد بقبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه فانه من المحتمل أن يكون ذلك في فترة متقدمة من التاريخ الاسلامي بعد القرون المفضلة اذ ذكر بعض الجغرافيين المسلمين الأولين والآخرين مكان قبر زيد وشهداء الصحابة على وجه التقريب وعلى اختلاف فيما بينهم في تحديد منطقة القبور ذاتها^(١)، كما ذكر بعض مؤرخي الطبقات اعتقاد بعض المسلمين في البلدان المجاورة لنجد ببعض قبور الصالحين في القرن الرابع الهجري ولا يستبعد أن يكون بعض سكان المنطقة التي فيها قبور شهداء^(٢) اليمامة قد تأثروا بهم في الاعتقاد بقبر زيد رضي الله عنه منذ ذلك التاريخ .

(١) ابن غنام ١٢٣/١ وقد قال فيها : " ان قبر زيد رضي الله عنه وممن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي - ويقصد وادي عقربا - ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وانما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات) ، والجغرافيون بعضهم يذكر مكان القبور في عقربا وهو واد واسع وبعضهم يقول انه في اباض وهي رحبة واسعة ضمن عقربا وقد حاول ابن بليهد في صحيح الأخبار تحديد مكان المعركة على وجه الدقة الا أنه قال ان أبعاد هذا المكان مسافة نصف يوم ، وبين منطقة عقربا وثنية (الحيسية) غرور-المكان التقريبي للمعركة- مسافة نصف يوم ، وغرور قريب من أباض (الهمداني : ٢٨٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، البكري ٩٤/١ ، الحموي ١/٦٠ ، ٦١ ، ٤/١٣٥ ، ١٩٦ ، ابن بليهد ١/٧٣ ، ٧٤ ، ١٩٦ ، ٢/١٦٩ ، ٥/٩٣ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ٥٥ - ٥٧ ، ابن خميس ١/٤٩ - ٥٢ ، ٥٢ ، ٢/١٦٣ - ١٦٨ ، ٢٢٠/٢٢١) .

(٢) ذكر ابن أبي يعلى الفراء الحنبلي في طبقات الحنابلة (٣٨٨/١) أن عامة الناس في بغداد كانت تتجه لزيارة قبر معروف الكرخي والامام أحمد بن حنبل بجموع كثيرة وقد خصصوا لقبر معروف يوم السبت ولقبر الامام أحمد بن حنبل يوم الاثنين منذ ذلك القرن ، وما من ريب فسي أن الاعتقاد بالقبور أو أي بدعة خرافية قد تنشأ وتروج عند العامة من تمويهات وأخبار عن بعض من يعتقد بولايتهم بروجها ويموه بها بعض الرواة كما أشار الى ذلك ابن غنام فيما سبق .

على أنه من المحتمل كذلك أن يكون الاعتقاد بقبر زيد وغيره من شهداء اليمامة قد تركز وانتشر في المنطقة حوالي القرن الثامن الهجري حينما بدأ المذهب الحنبلي في الانتشار في منطقة نجد ورحل في سبيل التعمق فيه عدد من علماء المنطقة إلى المدارس الحنبلية في دمشق والقاهرة، وعاد قسم منهم متأثرين بما في هذه المدن من تقديس لبعض القبور فيها إذ من المعتقد اخبار بعض علماء تلك المدن لهؤلاء النجديين بمكان قبر زيد وضرورة تقديسه، أو أن هؤلاء النجديين قد قرأوا في تلك المدن عن قبر زيد ورجعوا إلى بلادهم يحملون في أنفسهم الشعور بضرورة تقديس هذا القبر وغيره من قبور الصحابة في المنطقة وأن تكون منطقة هذه القبور مقبرة عامة لأهل الجبيلة وما حولها .

وفي هذا الصدد وفي نطاق الاعتقاد بقبور شهداء الصحابة عامة في المنطقة وقبر زيد بشكل خاص ونظرا لاعتقاد بعض أهالي تلك البلدان بضرورة دفن الموتى قرب قبر زيد للتبرك به تذكر بعض المصادر النجديّة أن الشيخ أحمد بن عطوة^(١) دفن في الجبيلة ضجيعا لزيد بن الخطاب رضي

(١) هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد من آل رحمة من نواصر تميم ولد في العيينة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ونشأ فيها وقرأ الفقه على عدد من فقهاءها ورغب في التزود من العلم فرحل إلى دمشق وسكن في مدرسة أبي عمر الحنبلي في الصالحية ، وتلمذ على عدد من علماء الحنابلة فيها ومن أبرزهم يوسف بن حسين بن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ) وعلي ابن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥ هـ) وأحمد بن عبد الله العسكري (ت ٩١٢ هـ) ثم عاد إلى بلاده فأصبح مرجعا للتدريس والقضاء والفتيا ، ورغم أنه من أنصار المذهب الحنبلي فقد كان يأخذ ببعض الآراء من المذاهب السنية الأخرى له مؤلفات أبرزها : التحفة الأنيقة الروضة البديعة درر الفوائد وعقيان القلائد . يعد رائد الحركة العلمية في نجد في القرن العاشر الهجري ويبدأ بعض مؤرخي نجد قبل الدعوة تاريخهم بوفاته تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء تولوا مناصب القضاء في نجد والأحساء ، لا زال العلماء يستفيدون من أقضيته وفتاويه ، وقد ضم مجموع المنقور عددا كبيرا منها توفي ليلة الثلاثاء الثانية من شهر رمضان ٩٤٨ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٥٤١ م (أحمد المنقور : الفواكه العديدة في المسألة المفيدة ط (٢) نشر

الله عنه خلفه وجه أحمد ورأسه حيال كنفى زيد ، ولا تفيدنا المصادر هل كان ذلك بوصية من ابن عطوة أو أن ذلك من دافنيه التماسا للبركة بقرب قبر زيد - كما كانوا يعتقدون - أو أن ذلك جاء نتيجة تلقائية لكون منطقة هذه القبور هي المنطقة الصالحة للدفن^(١).

ولما كانت أماكن قبور الصحابة الآخرين غير معروفة للناس بالقدر الذى عرفوا به قبر زيد فقد ظنوا أن قبر ضرار ابن الأزور فى غير^(٢) وأن مقبرة قريصة بالدريعية تحوى قبور الصحابة كما مر ، ونتيجة لقلة معرفتهم بها فلم يولوها من التقديس ما كانوا يولونه لقبر زيد بن الخطاب ومن هنا نفهم سر تركيز الشيخ محمد بن عبد الوهاب على اعتقاد الناس بقبر زيد أكثر من غيره اذ يبدو أنه هو المعلم البارز لدى القبوريين فى المنطقة الذين لم تشر المصادر الى أنهم قد بلغوا فى تقديسها الكثرة والدرجة التى وصل اليها القبوريون فى

(=) دارالآفاق الجديدة بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ١ / ١٥٠ ، محمد بن ربيعة العوسجي : تاريخ ابن ربيعة . دراسة وتحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل مطابع الشرق الأوسط ، الرياض نشر النادى الأدبى فى الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٢٥ ، ٥٧ ، محمد بن عمر الفاخرى : مصدر سابق ، ص ٦٢ ، ابن بشر ٢ / ١٩٤ ، محمد بن عبد الله بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة : مخطوط ورقة ٧٢ ، ابراهيم بن صالح بن عيسى : تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد نشر دار اليمامة ، الرياض ص ٤٦ ، ٤٧ عبد الله بن محمد البسام : تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق مخطوط ورقة ٢٣ ، ٢٤ ، ابن قاسم : الدرر ٦ / ٤٨٩ ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام : علماء نجد ١٩٩ / ١ - ٢٠٣

- (١) المنقور : المصدر السابق ١ / ١٥٠ ، ابن حميد : السحب ورقة ٧٢ ، ابن عيسى : المرجع السابق ص ٤٦ ، عبد الله بن محمد البسام تحفة المشتاق ورقة ٢٣ ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام : علماء نجد ١ / ٢٠٣ ، لم يثبت استشهاد ضرار بن الأزور فى اليمامة . بل قيل انه اشترك فى معركة اليرموك بالشام سنة ١٣هـ (ابن عبد البر ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن حجر ٢ / ٢٠٨ ، الزركلي ٣ / ٢١١ ، كما مر فى ترجمته)
- (٢) لقد كان تركيز الشيخ علي الاعتقاد بهذا القبر كثيرا فكان كثيرا ما يعترض للذين يقدسون هذا القبر كما حدث مع ذلك الاعرابى وكان اذا رأى ما يفعل عند هذا القبر يقول بصوت مسموع : (الله خير من زيد) حتى هدم ما على هذا القبر من بناء (مجلة العرب ج ٩ ، ١٠ ، ص ١٢٤) .

البلدان المجاورة وغير المجاورة .

٢- الأشجار: من أبرز الأشجار التي ورد في بعض المصادر اعتقاد بعض الناس بها الفحل أو الفحال وهو ذكر النخل الذي يأتيه الرجال والنساء للاعتقاد به ، وتأتيه العوانس خاصة ، وكان الاعتقاد به متركزا في الدرعية وما حولها ، وليس من المعروف هل المقصود فحالا بعينه أو أن ذلك شاملا لجنس الفحال وكذلك السبب وراء هذا الاعتقاد ليس واضحا ، ولعل لقربها من قبور بعض الصحابة أثر في هذا الاعتقاد ، أو أنه لعل ذلك لأن النخلة هي الشجرة الوحيدة التي لها ذكر ، ولا يستفاد من ثمرها الا بتلقيح كما ورد في بعض الآثار ، أو لعل ذلك للمنزلة العالية التي تحظى بها النخلة لدى النجديين عموما .^(٢)

وقد ورد أن بعض أهالي المنطقة كانوا يعتقدون بشجرة الطريفة وكانت النساء بشكل خاص يأتين اليها ، وتعلق الواحدة منهن عليها خرقا إذا ولدت ذكرا اعتقادا منها بأن ذلك وسيلة لحمايته من الموت أو الأمراض^(٣)

(١) ورد في الحديث الضعيف أو الموضوع الذي ذكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين أو الطينة التي خلق منها آدم ، وليس من الشجر أو الشجرة يلقح غيرها ، ثم قال ، أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فالتمر ، وليس من الشجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران ، رواء أبو يعلى ، وقال بعض المحدثين : فيه مسرور بن سعيد التميمي وهو ضعيف (علي بن أبي بكر الهيثمي مجمع الزائد ومنبع الفوائد ط (٣) نشر دار الكاتب العربي ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ٨٩ ، ٣٩ / ٥ حيث أورده بروايتين مختلفتين في بعض الكلمات جمعت بينهما ، ناصر الدين الألباني : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢٨٢ / ١ - ٢٨٤ وقد طعن في سنده ، وقال : انه حديث موضوع) .

(٢) ابن غنام ٧ / ١ ، ابن قاسم : الدرر ١ / ١٨٧ ، د . عبد الله الشبل : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٣ ، عبد الله بن سعد الرويشد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ ط دار احياء الكتب العربية نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م وقد ذكر وجود الاعتقاد بهذا الفحال في منفوحة ولم أر أحدا ذكر ذلك

غيره فيما بين يدي من المصادر .
(٣) ابن غنام ٧ / ١ ، ابن قاسم : الدرر ١ / ١٨٧ ، د . الشبل ٥١٣ .

ونظرا لكون هذه الشجرة شبيهة بالأثل الذى يستفيد منه النجديون فلعل لهذا أثر فى هذا الاعتقاد ، وقد تركز الاعتقاد بهاتين الشجرتين فى بليدة^(١) الفداء فى المنطقة غير المعمورة بين الدرعية والعيينة .

ومن أبرز الأشجار التى يعتقد بها بعض أهالى المنطقة شجرة الذيب (الذئب) وليس من المعروف نوع هذه الشجرة ولعلها من الأشجار البرية فى المنطقة القريبة من العيينة ويذكر أن الاعتقاد بها يكثر فى أوساط بعض النساء ، والعوانس خاصة تماما كما كن يفعلن عند شجرة الفحال ، ولا تذكر المصادر شيئا عن جذور هذا الاعتقاد الذى ربما كان بسبب حماية هذه الشجرة لأحد أهالى المنطقة من سطوة أحد الذئاب^(٢) .

وقد ورد الاعتقاد ببعض الأشجار فى منطقة قريوة فى الدرعية ، ولما كانت هذه المنطقة فيها قبور بعض شهداء الصحابة فى اليمامة فلعل لهذا أثر فى تركز الاعتقاد بهذه الأشجار الذى لم تسعفنا المصادر بدرجة^(٣) .

(٤) كما أن من الأشجار المعظمة فى هذه المنطقة شجرة أبى دجانة وواضح من اضافة هذه الشجرة الى أبى دجانة أنها ربما كانت بجوار قبر الصحابى أبى دجانة^(٥) الشهيد فى منطقة اليمامة فى حروب المرتدين ، ومن المعتقد أن هذا هو السبب فى تقديس هذه الشجرة .

(١) شعب غرب الدرعية فيه نخل ومزارع وقد جرت فيه بعض الوقعات فى معارك الدرعية ، (ابن بشر ١ / ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ابن خيس ، معجم اليمامة ١ / ١٧٩ م د . الشبل : أهم المصادر النجدية . ١١٠) .

(٢) ابن غنام ١ / ٣٠ ، ٣١ (٣) ابن غنام ١ / ٣٠ ، ٣١

(٤) ابن غنام ١ / ٣٠

(٥) هو أبو دجانة سمالك بن خرشه وقيل ابن أوس بن خرشة الخزرجي الأنصاري ، كان شجاعا شهد بدرا ، وثبت يوم أحد وأبلى فيها بلاء حسنا حينما دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حتى كثرت فيه الجراحات وأعطاه فيها رسول الله سيفه فسعى بذي السيفين لقتاله بسيفه وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمي بذي المشهرة وهي درع يلبسها للحرب ، له مشية خيلاء فى الحرب معروفة يضرب بها العتل اشترك فى قتل مسيلمة ، استشهد فى معركة اليمامة سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م

(=)

وتذكر بعض المصادر أن منطقة وادي الدواسر كان يوجد فيها بعض مظاهر الشرك بتقدّيس الأشجار، والأحجار، وقد أثر وجود شجرة كبيرة فسي المنطقة اتخذها بعض الأهالي رمزا يجلسون عندها ويستظلون بها معتقدين فيها جلب النفع ودفع الضرر.^(١)

٣- الكهوف: وأبرزها غار بنت الأمير وهو في الدرعية حيث يعتقد بعض الناس أن الله فلق لها لتلتجى* إليه من أحد الفسقة لما أراد هتك عرضها فكان الناس يهدون فيه الطعام تبركا به على حمايته لهذه الفتاة، واعتقاد منهم بأنها تخرج فتاكله^(٢)، ولا غرابة في نشوء مثل هذا الاعتقاد في فترات الجهالة عند بعض الفئات في مجتمع يقدر الشرف والفضيلة ويحترم من يحترمها.

٤- الأشخاص: وأبرز هؤلاء تاج- وهو من أهل الخرج وقد عظموه واعتقدوا فيه ويبدو أن منشأ هذا الاعتقاد كونه أعمى ويمتلك قدرة على المعجى* من الخرج إلى الدرعية بدون قائد ليحلب ماله من مخصصات مالية تدفع له بسبب أوبأ آخر والواقع أن هذه المقدرة توجد في بعض الأكفاء فليس في وجودها فيه ميزة تبرزه بهذه الصورة.^(٣)

(=) وقيل عاش بعد هذه المعركة وشهد صفينا مع علي بن ابن أبي طالب رضي الله عنه . (ابن عبد البر : ٥٩ / ٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ / ٢٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٦ / ٣٣٧ ، ابن حجر : الإصابة ٤ / ٥٩ ، الزبيدي : تاج العروس ٩ / ١٩٦ باب النون فصل الدال ، الزركلي : الاعلام ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(١) ابن غنام ٢ / ١٣١ ، ابن بشر ١ / ١٠١ ، ١٠٢ ، رسالة الماجستير للباحث : الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها لم تنشر بعد ص ٢٠٩

(٢) ابن غنام ١ / ٨٠٧ ، ابن قاسم : الدرر ١ / ١٨٧ ، د . الشبل : أهم المصادر النجدية ١١٠

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٨٩ ، التفسير ١٢ ، ١٦ ، العقيدة والآداب الإسلامية لكشف الشبهات ، ١٣ ، ابن غنام ١ / ٨ ، ابن قاسم : الدرر ١ / ١٨٧ ، وقد ورد فيه أن الحكام يخافونه مع أنه غير ملتزم بأحكام الدين .

ومن هؤلاء الأشخاص شمسان الذى ذكره الشيخ مع ذكر أولاده أحيانا كما أنه يذكر أحيانا اسم (محمد بن شمسان) كما يذكره فى بعض الرسائل مع آله اذ قال : " فأما الكلام فى الطواغيت أمثال : ادريس وآل شمسان فالكلام على هذا طويل ، وليس من المعروف هل كان تاج من أولاد شمسان اذ ورد اسم تاج عقب شمسان مباشرة فى احدى حالات ذكرهما ، كما أن الشيخ يذكره منفردا عن تاج . (١)

ومن هؤلاء الأشخاص الذين أشار الشيخ الى اعتقاد بعض الناس فيهم شخص يقال له يوسف الذى كان الشيخ يذكره بشخصه أحيانا وأحيانا يذكر أن الاعتقاد فى قبره مما يوحي بأن هذا الشخص كان قد توفي قبل قيام الدعوة السلفية بزمان ، وأنه كان يعتقد بشخصه فى حياته ولما توفي استمر

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٢٢٨١٧٢ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ٨٩ ، ٧٥ ، ٦٣ ، ٥٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، كشف الشبهات ١٧٣ ، مجموعة رسائل فى التوحيد ٣٦٩ ، الفتاوى ٢٤ ، التفسير ١٢ ، ١٦ ، ووصفه الشيخ أحيانا بأنه طاغوت ، وانظر ابن غنام ٢٢٥ / ١ ، وابن بشر ٣ / ١ الذى أورد معطوفا على تاج وأن دهام بن دواس قرر ذبح جذور نذر لهما أن غزاه الامام محمد بن سعود ، وقد ذكر ابن خميس : (معجم اليمامة ١٣٦ / ١) قبة تاج بن شمسان ضمن آثار الرياض التى اندرست وانظر Rents, Georges, Muhammad, Ibn Abdul Wahhab (1703/04 - 1792) and The Beginnings of Unitarian Empire in Arabia, p: 60

وقد ذكر فيها أن من أسباب حروب الدولة السعودية الأولى لدها م بن دواس اقدام دها م على ذبح النذر لتاج بن شمسان ، مما يدل على وجود هذين الشخصين فى الرياض وتركز الاعتقاد فيهما فى هذه البلدة وما حولها ، وأن خوف هذا الأمير من سطوتها من أسباب هذا الاعتقاد ، أو أنه أراد أن يخالف الدعوة ودولتها فى أهم ما تدعو الى تركه ، وقد ذكر خالد السلطان أن القبة بناها تاج بن شمسان وأنها قرب ام العصافير التى حدثت فيها معركة بين دها م والدولة السعودية الأولى سنة ١١٢١ هـ وهى فى منطقة معكال شرق حبي سلام فى الوقت الحاضر (ابن بشر ٤٩ / ١ ، خالد بن احمد السلطان معجم مدينة الرياض ط (١) مطابع الفرزدق ، الرياض ، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ص ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠) .

(١)

الاعتقاد في قبره .

وقد أورد الشيخ ذكر شخص آخر يلقى نوعاً من التقديس لدى بعض سكان المنطقة وهو ادريس الذي أوضح الشيخ في إحدى كتاباته أنه يقال له (الأشقر) فيكون اسمه على هذا (ادريس الأشقر) وليس من المعروف هل هذا لقب له خاصة أو أنه ينتمي إلى أسرة تسمى الأشقر ، وفي بعض الرسائل كان الشيخ يقرن معه أولاده ويبدو أن أولاده يساعدونه في جبي ما يصرفه له المعتقدون فيه من أموال^(٢) .

ومن ذكر الشيخ اعتقاد بعض الناس فيهم حطاب الذي أوضح أن اعتقاد بعض الناس فيه مساو لاعتقادهم في تاج وشمسان مما يبدو معه أنه يلقى بعض التقديس من هؤلاء بصرف شيء من الدعاء^(٣) له .

وقرن الشيخ شخصاً يقال له حسين بادريس بجامع الاعتقاد فيها بالنفع والضر والندب إذ صرف لهما المعتقدون فيهما شيئاً من الربوبية وشيئاً من الألوهية مما يبدو معه أن حسيناً يشبه ادريساً في اعتقاد بعض الناس فيه بما كان يقوم به أعمال تجعل هؤلاء المعتقدون يظنون فيه الولاية^(٤) .

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٢٠٦ ، ٢١٦ ، كشف الشبهاب

١٧٣ ، مجموعة رسائل في التوحيد ٣٦٩ ، الفتاوى ١٠ .

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ٥٢ ، ٨٩ ، ١٧٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، مجموعة

رسائل في التوحيد ٣٦٩ ، الفتاوى ١٠ ، ٢٤ ، وقد أورد الشيخ في

هذه الصفحات ذكره تحت عدة ألقاب كادريس فقط ، وأولاد ادريس

وادريس وأولاده وادريس الأشقر ، والأشقر فقط ، ووصفه في بعض

الحالات بأنه من الكفرة والطواغيت والمردة .

(٣) الشيخ محمد : الرسائل ٨٩

(٤) الشيخ محمد : المصدر السابق ٨٩ ، ٢٤٢

ورمز الشيخ لشخص يعتقد فيه بعض النجديين اذ ذكر أن الزاهد يشبه شمسنا في درجة الاعتقاد ، وربما كانت دواعي الاعتقاد به في نظـر الجهال متوفرة فقد يكون أحد الزهاد الذين يقدمون الى نجد في بعض الأحيان على شكل دروايش وتجـرى منهم بعض التصرفات في القول والعمل يعتقد معها هؤلاء الجهال أن تلك كرامات أولياء فيصرفون لهم شيئاً من العبادة ويغدقون عليهم الأموال ، وما من شك أن رمز الشيخ له بصفته بغض النظر عن وجودها فيه حقيقة - يدل على اشتهاره بها في المنطقة أكثر من اسمه الحقيقي الذي لم يعد لنا لا الشيخ ولا غيره من المصادر به ، على أن الشيخ قد ذكر مع الزاهد وشمسان في سياق واحد (المطوية) هكذا بصيغة التأنيث ، وليس من المعروف هل هي امرأة يعتقد فيها كما يعتقد في شمسان والزاهد وغيرهما ، وربما كانت كذلك فقد تكون طيبة شعبية حاذقة منتمة لاحدى القبائل النجدية فقد يكون اسمها (المطيرة) أو أنها جماعة دينية تعارس مهاماً دينية واجتماعية تلقى من خلالها بعض التقديس لدى جهال المنطقة^(١).

وقد أورد الشيخ ذكر شخص يقال له (عثمان) في الوادي ولعلـه يقصد وادي الدواسر ، وأشار الى أن بعض الناس يعتقدون فيه وأنه من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله^(٢).

وقد قرن الشيخ ذكر عثمان هذا مع ذكر أبي حديدة مما يبدو معه

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٤١ .

(٢) المصدر السابق ٥٤ .

(٣) يبدو أن هذا اللقب اسماً لأسرة ، ورغم بحثي فيما بين يدي من كتب أنساب أهل نجد ، وسؤالي من أعرف عن وجود أسرة بهذا الاسم فلم أستطع العثور على شيء من هذا ، الا أنني تمكنت من العثور على أسرة في منطقة الخليج تحمل هذا الاسم ، ولم أتبين وجود صلة نسبية بينها وبين هذا الشخص الذي أورد الشيخ اسمه ، فان كان من هذه الأسر المعروفة فلعلها رحلت جميعها أو بعضاً منها الى منطقة الخليج من نجد تحت أى سبب من الأسباب . كما هي عادة كثير من

بأن الاثنين من الوادى أو أن أبا حديدة فى منطقة قريبة من الوادى وقد ذكره الشيخ بصيغة التشنيع أحيانا فقال (كالكلب أبى حديدة) وقرنــــه أحيانا بشمسان وادريس وأحيانا بالعيدروس^(١) الذى يقدر قبره أهل حضرموت وما حولها فى تلك الفترة.^(٢)

ولما كانت قضية الاعتقاد بالاشخاص ممن تزعم ولايتهم هى احــــدى المظاهر الرئيسية للانحراف عن العقيدة الصحيحة عند حضر نجد قبــــل الدعوة فقد ثار حولها نقاش حاد بين الشيخ وخصومه من ناحية ، كما كانت محوراهتمام الشيخ فى رسائله الى أتباعه أو من يرجوا اتباعهم للدعوة مــــن ناحية أخرى ، ومن هنا فرسائل الشيخ الشخصية حافلة بالحديث عنــــها ،

(=) الأسر (صحيفة السياسة الكويتية عدد ٦٦٢٠ السنة العشرون الأحد

١١ / ٥ / ١٤٠٧ هـ / ١١ يناير ١٩٨٧ م ص ١٠)

(١) هو أبو بكر بن عبد الله الشاذلي العيدروس من آل باعلوى الحسينيين الذين منهم السقاف ولد فى تريم بحضرموت سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م وهو أول من قام باتخاذ القهوة كمشروب حيث وجد فيه تجفيفا للدمـــــاغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة فاتخذــه لذلك وأرشد اتباعه اليه فانتشر فى اليمن ثم الحجاز فالشام ومصر وغيرها ، يعد العيدروس من أئمة التصوف على الطريقة الشاذلية وله كتاب فى التصوف سماه (الجزء اللطيف فى علم التحكيم الشريف) حدد فيه تاريخ لبسه الخرقـــــة الشاذلية ، وله ثلاثة أوراد ، ونظم ضعيف جمع فى ديوان ، أقام بعدن ٢٥ سنة وسها توفى سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٩ م ، ألف جمال الدين بحرق الحضرمي كتابا فى سيرته سماه (مواهب القدوس فى مناقب العيدروس) ويقدر قبره أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن الى الآن ومن الفاظ دعائهم له : (شيء لله يا عيدروس شيء لله يا محيى النفوس) . (نجم الدين محمد الغزى : الكواكب السائرة بأعيان الطائفة العاشرة تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور ط (٢) نشر دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩ م ١ / ١١٣ ، ١١٤ ، ابن غنام : روضة الأفكار والافهام ١ / ١١ ، الزركلى : الاعلام ٢ / ٤١ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٢٤٧ ، مجلة العربى الكويتية عدد ٢٠٤ شوال ١٣٩٥ هـ ص ٨٨ ، عدد ٣٤٢ رمضان ١٤٠٧ هـ ص ١٢٣) .

(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٥٤ ، ١٧٢ ، ٢١٧ ، ووصفه الشيخ مع عثمان وغيره ممن فى الخرج بالشياطين ، كما عده من المقامــــات المعبودة ، كما ذكر شخصا يقال له عبد الله بن عون يقدرس أبا حديدة وانظر ابن غنام ١ / ٢١٧ ، وربما كان اسمه أبا حديدة .

علاوة على أن تقارير الشيخ العلمية في بعض فتاويه ورسائله العلمية الأخرى لا تخلو من شرح وتوضيح لهذه القضية وربطها بالقضايا المشابهة لها سواء في الجاهلية أو التي طرأت على حياة بعض المسلمين أو تلك التي تكثر عند أصحاب الأديان الأخرى^(١).

ويستفاد من تقارير الشيخ وبعض إشارات المصادر الأخرى حول هذه القضية اقتصار وجود هؤلاء الأشخاص وكثرة الاعتقاد بهم في منطقة العارض وما يليها جنوباً مروراً بمنطقة الخرج حتى وادي الدواسر على أن الشيخ كان دقيقاً في ذكر أسماء بعض من كانوا يؤمنون في الاعتقاد هؤلاء الأشخاص مما يبدو معه عدم استفحال الاعتقاد بهم لدى جميع أهل هذه المناطق، وأن بعضاً من هؤلاء السكان ما كانوا يؤمنون أي تقديس عداً أفراد أو مجموعات محدودة منهم^(٢)، فيذكر الشيخ أن طالب الحمضي قد اعتقد في بعض هؤلاء كحسين وادريس وأولاده وشمسان وأولاده، ولا يبعد أن يكون قد اعتقد ببقية قدرة الأشخاص على تفاوت في درجة هذا الاعتقاد، ولقد أكد الشيخ مرة أخرى اعتقاد طالب في حسين وادريس مما يوحي بأن طالباً هذا من اتباع هذين الشخصين وأن اعتقاده ببقية الأشخاص بدرجة ثانية، وأوضح الشيخ درجة اعتقاد طالب بهذين الشخصين في كونهما ينفعان أو يضران وذلك جانب

(١) على سبيل المثال انظر: المصدر السابق ص ١٤٧، ١٤٨

(٢) المصدر السابق ٥٤، ١٨٨، ٢٣٢، ٢٧٨، وقد قال الشيخ فيها: " هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم " وقال، " وانما كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم منها أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط، وقال (ولا تنكرون هذه الأوثان التي تعبد في الخرج وغيره " . وقد سبقت إشارة الشيخ لاعتقاد أهل الوادي بعثمان وأبي حديدة، أما في منطقة العارض فشمسان وادريس وتاج وغيرهم وقبور بعض الصحابة الشهداء في معركة اليمامة وبعض المشاهد والأشجار والأحجار التي مر ذكرها .

من الربوبية، وكونهما يندبان ويستغاث بهما وذلك جانب من الألوهية، وقد أشار الشيخ الى وجود مؤيدين لطالب في هذا الاعتقاد الا أنه لم يحدد اسما^١ غير أن ذكر شخص يقال له عبد الكريم وآخر يقال له موسى بن نوح مع ذكر طالب يشعر بأن هذين الشخصين من أبرز مؤيدي طالب الحميضي في هذا الاعتقاد^(١).

(٢)
وتشير رسائل الشيخ الى وجود أفراد متصوفة في بلدة معكال القديمة وقد ذكر الشيخ بعض الأسماء وهم (ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع) وهذان شخصان مغموران مما يشعر بمحدودية هذا المعتقد بالنسبة للمؤيدين كما هو محصور في بلدة معكال وان كان الشيخ قد قال : (فـي معكال وغيره) وفي الفتاوى ذكر أن بعضا من هذا المعتقد يوجد في الرياض فان من المعتقد أن الشيخ يقصد هذين الشخصين لقرب معكال من الرياض^(٣).

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٨٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، وقد ذكر الشيخ موسى بن نوح مرة بهذا الاسم ومرة قال عنه ابن احمد بن نوح ولعله هو المقصود ولو لم يذكر اسمه وذكر عنه الاستهزاء بكلام الله ورسوله .

(٢) كانت إحدى قرى حجر اليمامة (الرياض حاليا) ثم ضعفت حجر فاصبحت عدة قرى منها معكال ومقرن اللتان كان يحدث بينهما حروب في بعض الاحيان ، وكانت معكال هدفا لبعض غزوات الأشراف على نجد كما في سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م ، ومن أبرز علمائها سليمان بن سحيم من ابرز معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . تقع معكال في الوقت الحاضر بين شارع آل فريان شرقا وشارع مكة غربا وشارع الأعشي جنوبا وميدان دخنة شمالا ومنذ عرفت الرياض كمدينة حديثة ومعكال احد أحيائها القديمة (ابن عيسى ٥١ ، حمد الجاسر ، مدينة الرياض ٨٧ - ٩٠ ، عبد الله بن خميس معجم اليمامة ٢ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، خالد السليمان : معجم مدينة الرياض ٢٢٧ - ٢٣١) .

(٣) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ١٨٩ ، الفتاوى ٢٥ ، وقد ذكر في الأولى أن هذين الشخصين على مذهب ابن الفارض وابن عربي (من أئمة الاتحادية) وفي الثانية لم يصرح باسمي هذين الشخصين (بن موسى وبن جوعان) بل قال : " مثل مايفعله أناس من الظالمين

ويستفاد من رسالة الشيخ الى معارضة سليمان بن سحيم أنه كان يذهب لحضور المولد وأنه يقرأ لدى المجتمعين ويأكل من الطعام المعسد لذلك، وإذا كانت عبارة الشيخ تنص صراحة على قيام سليمان بهذا العمل فانها الاشارة الوحيدة التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة ومن المعتقد أن هذا محدود ربما في معكال وفي أوساط تلك الفئة المتصوفة المحدودة^(١).

(=) في الرياض يمدحون طريقتهم - ويقصد بعض الأشخاص الذين يلقون تقديسا في المنطقة ممن مر ذكرهم - ويمدحونهم ويذمون ديــــن الاسلام ويسبونه وأهله يسمونهم السبابة، ومنهم من ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون اليه " وانظر ابن غنام ١٤٧/١، ولم يشراح احد من علماء نجد لهذين الشخصين بأى صفة علمية أو دينية (د . العثيمين، بحثه السابق في مجلة الدارة ٣٤ س ٤ ص ٤٢) الا أن قاضى الدرعية عبد الله بن عيسى علق على رسالة للشيخ محمد التي ذكر فيها هذين الشخصين وارسلها لأهل منفوحة والرياض عن طريق ابن عيسى ابان تأييده للدعوة قائلا : (فمن تمذهب بمذهبهما - ابن عربي وابن الفارض - فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المفضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، فان ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلا تكفرهما، وقد كفرهم كثير من العلماء العالمين، فهؤلاء يقولون كلاما أخشى العقاب من الله في ذكره فضلا عن انتحله، فان لم يتب الى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية ان كان ذا ولاية من اامة أو غيرها، فان صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره، فان قال جاهل أرى عبد الله توه يتكلم في هذا الأمر، فيعلم أنه انما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك علي وعلى غيري " (الرسائل الشخصية ١٩٣) وفيها اشارة الى هذين الشخصين (ابن موسى وبين جوعان) وربما الى غرهما ممن يعتقد بمذهب ابن عربي وابن الفارض في الرياض وما حولها .

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ٢٢٧، ابن غنام ١٣٩/١، والمقصود بذلك المولد النبوى، وقد ذكر الشيخ عن عبد الله المويس - وهو من معارضي الدعوة - أن شيخ مشائخه يلقب بالعارف بالله وأنه على دين ابن عربي (الرسائل ٧٢، ابن غنام ١٢٠/١) كما نقل ابن حميد في السحب (ورقة ٧٢) عن ابن قائد قوله عن ابن عطوة : (العارف بالله تعالى ذى الكرامات الظاهرة، والآيات الباهرة الذى فتح الله به مقفلات القلوب وكشف به معضلات الكروب) وإذا علما أن ابن قائد عاش بعضا من عمره في الشام ومصر التي توفي فيها أمكننا القول أن هذا التعبير ربما كان من آثار وجوده فيهما .

وقد أشار الشيخ الى أن ابن سحيم كان يكتب الحجب المشتملة على طلاس ليعلقها الناس تماث ضد الأمراض، وأنه كان يأخذ على ذلك أجرا، وقد أكد الشيخ ذلك بأن ذكر أن ابن سحيم كتب لامرأة حجابا لعلها تحبل ووافقت على أن تدفع مبلغ أحمرين^(١) ومن المعتقد وجود فئة لا يستهان بها من النجديين كانت تؤمن بالحجب والطلاسم كأسلوب علاجي لبعض الأمراض المستعصية، وما من شك أن غياب الوعي الديني وقلة الامكانيات الصحية وراء انتشار هذا الاعتقاد، وقد رآها الشيخ شركا لأن ما فيها لا يعدو أن يكون طلاسما وهي من جملة السحس.

وقد وجد في منطقة العارض وربما في غيرها من مناطق نجد عمادة التذكير ليلة الجمعة وهي من البدع المستحدثة، وقد ورد أكثر من سؤال للشيخ عن هذه المسألة فأكد لهم أنها بدعة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سن الأذان ونهي عن الزيادة، وكان مرد تلك الأسئلة أن هناك من لا يعرف الجمعة الا بهذا التذكير، وقد نعى الشيخ على معارضة سليمان ابن سحيم أنه قال : (ان التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه) وقال :

(١) الأحمر: عملة نقدية سيرد ذكرها ضمن بحث العملات المتداولة في باب الأوضاع الاقتصادية

(٢) الشيخ محمد : الرسائل ٢٢٧، ٢٣٠، ابن غنام ١٣٩/١، ١٤١، ابن قاسم ٦٢/٨، ٦٤، وقد ذكر المنقور في الفواكه (١٤٩/١، ١٥٠) نقلا عن أحد العلماء من خارج نجد قوله : ان الطلاسم تكره ولا تحرم، لكنه وضع على هامش الأصل تعليقا للشيخ عبد الله بن ذهلان قوله : الصحيح أنها تحرم مطلقا، وهذا يرينا الى أنه ليس كل علماء نجد يبيحون الطلاس.

(٣) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٣١، ابن غنام ١٤١/١، ابن قاسم : ٦٤/٨، وأشار الشيخ في رسالته لابن عيسى أنه كان يقوم بهذه البدعة (الرسائل ص ٣١٤) .

انه بدعة حسنة ورد عليه الشيخ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)^(١) ولم يستثن شيئا ، علما أن ابن سحيم قد ذكر في بعض المناقشات أن التذكير بدعة مكروهة ، وهذا تراجع من ابن سحيم^(٢) .

وقد ورد تعريض من الشيخ بأهل القصيم وهو في واقع الأمر ثناء عليهم حين قال فيهم : (وأهل القصيم غارهم ان ما عندهم قبي ولا سادات)^(٣) مما يشير الى عدم تأثر هذه المنطقة وما حولها بذلك التأثير الصوفي المحدود ولا بتلك الشراكيات التي عرفت في المناطق السابقة ، الا أن الشيخ أخذ عليهم عدم معادات معارضي الدعوة حول منطقتهم كما قد أشار الى أن رسالة ابن سحيم التي أثار فيها بعض القضايا ضد الدعوة قد وصلت الى المنطقة وأن بعض المنتمين للعلم فيها قد قبلها وصدقها ، ولا يستبعد أن يكون لهذه الرسالة بعض التأثير لدى بعض أهالي المنطقة لا في معارضة الدعوة فحسب بل في تأييد بعض البدع التي كان ابن سحيم يمارسها أو يدعو اليها ، وما يقال عن هذا التأثير من ابن سحيم يمكن أن يقال عن عبد الله

(١) رواه الامام مسلم في صحيحه والامام أحمد في مسنده .
(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، الفتاوى ٨٦ وقد رد فيه على سؤال من مقرر بن عبد الله ويبدو من هذا السؤال والاجابة عليه أن هذه البدعة كانت تعارض لدى فئة من النجديين وأنه تسربت الى المنطقة من خارجها ، ذلك أنها معروفة في بعض البلدان المجاورة ، وكان أول ما حدث فيه هذه البدعة بعد السبع مائة الهجرية في زمن الناصر بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) وانظر ابن غنام ١٤٣ / ١ ، ١٤٤ ، ابن قاسم ٨ / ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الشيخ محمد : المصدر السابق ٣٢٢ .

(١) الموييس الذي أشار الشيخ الى وجود مؤثرات له في المنطقة ومن هنا جاء الذم القاسي لأهل القصيم في المسألة السابقة وهي عدم معاداة معارضي الدعوة السلفية حولهم حيث قال لأحد سائله حينما عرض لبعض الأفكار عن أن بعض أهالي الشام ومصر قاموا بمعاداة من حاولوا العودة بالناس للنهج السلفي، وأن كثيرا من العلماء قد كفّروا هؤلاء المعادين لانهم لم يبغضوا هؤلاء المجددين الا حينما قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . قالي (وأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل الشام ومصر ويقصد الشيخ (٣))

(١) هو عبد الله بن عيسى الموييس الوهبي التيمي نسبا الحرمي النجدي بلدا ، ولد في حرمة إحدى بلدان سدير المعروفة ونشأ فيها وقرأ على علماء نجد ، ثم ارتحل في طلب العلم الى الشام فأخذ عن علماءها وخاصة العلامة محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٩ / ٨٨ هـ / ١٧٧٤ م) حتى برع في الفقه فعاد الى نجد فصادف قيام الدعوة السلفية فوقف في وجهها تعاما كما فعل سليمان بن سحيم ، وصار من أكبر المعادين لها ، وكان مما أنكره على الشيخ محمد وأتباعه قنوتهم في الصلاة على أعدائهم بينما أخذ الشيخ يحذر منه الناس لجلبه كتباً من الشام بطرق غير مشروعة ، وأنه تتلمذ على بعض متصوفة الشام ويسخر منه ويقال ان الموييس يشبط عن الصلاة جماعة ويقتل من شأنها ، وقد جلس يفتي ويدرس ويقضي في حرمة حتى صار معتمد أهل سدير الى أن توفي فيها سنة ١١٧٥ هـ / يوافق أولها ١٧٦١ / ٨ / ١٧٦١ م وتوجد بعض الأسر تحمل هذا الاسم في القصيم والأحساء ترجع التي في القصيم الى مطير قبل نسبا وقيل حلفا ، وترجع التي في الأحساء الى العجمان ، (الفاخري : ١١٢ ، ابن بشر ١ / ٥٥ وقد ذكر الكتاب اسم والده على أنه عمر بينما المشهور عيسى ، ابن حميد : السحب ورقصة ١٦١ ، ابن عيسى ١١١ ، عبد الله البسام : التحفة ورقم ٨٣ ، حمد بن ابراهيم الحقييل : كنز الأنساب ، ١٠٢ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٣ / ٦٠٤ - ٦٠٦ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ١٠ / ٣١٧ ، ٣١٨ ،

مجلة العرب ، ج ١٠ ، ٩ / ١٠٢ / ١٢ ص ٦٩٢) وقد زخرت رسائل الشيخ وتقريراته بالحديث عن معارضته للدعوة تضمنت رأى الشيخ فيه . انظر الرسائل ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، (١)
(٢) الشيخ محمد : الرسائل ١١ ، ٢٠٥ ، ابن غنام ١ / ١٦١ ، ابن قاسم ، (٣) الشيخ محمد : الفتاوى ٦٣ ، ابن غنام ١ / ٢٠٥

ومن الطبيعي في فترة ما قبل الدعوة ألا تسلم أى منطقة من مناطق نجد من بعض المؤثرات البدعية ولكنها لا تصل فى هذا الى ماوصلته المناطق المسابقة التي هي الأخرى أخفت كثيرا فى بدعياتها وشركياتها مما يقـوم بعض المبتدعة فى سائر أنحاء العالم الاسلامى فى تلك الفترة، وفى هذا الصدد وعن منطقة القصيم خاصة يذكر بعض أصحاب التراجم أن قبر الشيخ عبد الله بن عـضيب (١) - وهو من أبرز علماء القصيم قبل الدعوة - كان يزاد لشهرته فى المنطقة وبركته وآثاره وعلومه، ولاشك أن الشيخ جرى على يديه ازدهار

(١) هو الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيب الناصرى العمرى التميمي ولد حوالي سنة ١٠٧٠ هـ التى يوافق أولها ١٦٥٩/٩/١٨ م قيل فى الداخلة وقيل فى الروضة وكلتاهما من بلدان سدير، وقسراً على علماء بلدته ثم رحل الى أكبر المراكز العلمية فى نجد آنذاك (أشيقر) فلزم كبير علمائها بل كبير علماء نجد الشيخ أحمد بن محمد القصير (ت ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ م) فتلمذ عليه حتى مهر فى الفقه والفرائض، ثم بعد ذلك توجه الى المذنب لوجود بعض من أسرته فيها فاستوطنها، وطلبه أهل عنيزة للفادة من علومه فاستوطنها وتلقى عليه العلم فيها عدد كبير من طلاب العلم من القصيم وسدير، قام بيناء العضيبية فى الضبط بعنيزة، وكان يقات من بستان له فى الضبط صارفا جل اهتمامه ووقته للتعليم ونسخ الكتب، كان حريصا على جلب الكتب من مظانها، حدثت مجادلات علمية بينه وبين الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان - والد الشيخ محمد - يعد ابن عضيب رائد الحركة العلمية الواسعة التى ازدهرت فى عنيزة خاصة وفى القصيم عامة راسله الشيخ مع مجموعة من علماء القصيم وسدير والوشم ولكن لم يعرف موقفه من الدعوة ولعل ذلك لانه توفي ولما تنتشر الدعوة اذ توفي فى شعبان ١١٦١ هـ / يولية ١٧٤٨ فى عنيزة له بعض الكتب والرسائل (الشيخ محمد : الرسائل ١٢٤، ولم يذكر الشيخ محمد من ذكره مما يدل على عدم معاداته للدعوة كما فعل بعض العلماء الآخرين، ابن غنم ١/٩٥، ابن حميد : السحب ورقة ١٥٢ - ١٥٥، وقد ذكر ان ولادته فى حدود ١٠٧٥ هـ ابن عيسى ١٠٨ وقد ذكر رأيين فى وفاته ١١٦٠ هـ / ١١٦١ هـ، عبد الله البسام : علماء نجد ٢/٥١٧ - ٥٢٢، محمد القاضي : روضة الناظرين ١/٣١٣ - ٣١٥ وقد ذكر ان ولادته سنة ١٠٧٥ هـ، منصور الرشيد : قضاة نجد، بحث منشور فى مجلة الدارة ٢٤/ص ٤، ٢٥، ٢٤، ٣/ص ٤، ص ١٠٥، ١٠٩).

للعلم في المنطقة ، ويقال انه قد أوصى اثنين من أقرب تلامذته اليه بأبيات لا تخلو من بعض البدعيات حيث يقول فيها :

أقيما بقبرى اذا ما دفتنما ورشيتما بالما ترابا مسنما
ونادا على رأسى بتلقين حجتى ولا تنسيا ذكرى اذا ما ختمتما
وفى الليلة الغراء اقرء الى فاننى أفاخرجيراني بما قد قرأتما
وأوصيكما بالقبر خوف اطعاسه وباللحد عن ضيق وأن يتهد ما (١)

وقد ورد أن فئة من النجديين كانت تعتقد بليلة النصف من شعبان حيث يخصونها بطول التهجد وقد ينامون عن فريضة صلاة العجر، كما

(١) ابن حميد : السحب ١٥٤ ، عبد الله البسام : علماء ٢٠٠ / ٢٠٥ وقد ورد ثلاثة أبيات فقط وعدل آخر كلمة فى البيت الثانى من ختمتما الى دعوتما ، مجلة العرب : العددان السابقان ص ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، وقد ذكر البسام كذلك فى كتاب علماء نجد ١٩ / ١ أن أحد علماء عنيزة وهو عثمان بن مزيد ينسب نفسه فى وثائقه وتحريراته بقولـــــــــــــــــه : (النقشبندى) وهى احدى طرق الصوفية الا أن هذا العالم غير معروف بين علماء نجد ويبدو أنه كان مقيما خارجها ، أما بخصوص القراءة عند القبور فقد ذكر عدد من علماء الدعوة أبرزهم حسين وعبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ذلك من البســـــــــدع وخاصة ما يفعله بعض الناس من حمل المصاحف لذلك والجلوس سبعة أيام يسمونها الشدة وفند غيرهما الآراء التى تجيز قراءة سورة يس فى المقبرة وللاستزادة انظر : (ابن قاسم : الدرر ٤ / ٢٧٩ - ٢٨٤) ، ويبدو من ذكر علماء الدعوة لذلك مع هذه الأبيات وجدد هذه البدعة لدى بعض النجديين .

(٢) عبد الله البسام : علماء نجد ٢ / ٦٠٦ ، من رسالة أرسلها محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان وهما من تلاميذ الشيخ محمد الى عبد الله المويس يدعوانه الى اتباع الدعوة السلفية ويذكرا أنه ببعض مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة فى نجد قبل الدعوة ، والواقع أن احياء ليلة النصف من شعبان عرفت فى بعض أنحاء العالم الاسلامي منذ العصر المملوكي ولا يبعد أن تكون بعض مناطق نجد قد عرفت هذه البدعة عن طريق الحجاز الذى كان يخضع للمماليك فى بعض الفترات ولا زال لهذه البدعة وجود فى بعض بلدان العالم الاسلامي (محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون سلسلة أعلام العرب

يقدمون قبل صلاة العصر أدعية تؤخرها عن وقتها ، وورد استعمالهم لبعض ألفاظ الصوفية في بعض خطب الجمعة منها : (اللهم صل على سيدنا ووليّنا وملجأنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا) علاوة على تعطيل الصفات الالهية في بعض الخطب الأخرى^(١) وما من شك أن قلة التأليف في الخطب لدى علماء نجد قبل الدعوة جعلت أئمة المساجد في المنطقة يلجأون الى خطب بعض علماء البلدان المجاورة التي تكثر لدى بعض أهلها مثل تلك الاعتقادات فكان هؤلاء الأئمة يرددون ما قاله هؤلاء العلماء دون وعي لخطر ذلك على المجتمع وهذا ما حدا بالشيخ محمد رحمه الله الى وضع خطب ضمن مؤلفاته^(٢).

(=) ٢٨ مطبعة مصر نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ص ٩ ، د . مصطفى السباعي : أحكام الصيام وفلسفته ط (٢) دار القرآن الكريم والمكتب الاسلامي ، دمشق بيروت ١٣٩٢ هـ . (١٠٨ - ١١٠) .

(١) عبد الله البسام : المرجع السابق ٢ / ٦٠٦ ، وقد أشار الشيخ الى هذه الرسالة في عدة مواضع من رسائله الشخصية وعلى سبيل المثال انظر الصفحات ٧٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، وكان الشيخ يذكر ابن عيدان بشكل خاص ويشير الى أن ابن غييب بقوله (صاحبه) وكان يركز على قضية مدارة بعض علماء نجد لعامتها وعدم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان يشير كذلك الى ما ورد في بعض هذه الخطب من الألفاظ الصوفية وتعطيل بعض الصفات الالهية مما يدل على انتشار مثل هذه الخطب لدى النجديين ويؤكد عدم العثور على ديوان خطب لأحد علماء نجد قبل الدعوة كذلك .

(٢) تمتاز خطب الشيخ بقصرها مع الاتيان بشروط صحتها ويلاحظ فيها عدم تمجيد الحكام لأنه في نظر الشيخ بدعة (د . عبد الله العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٠٧ ، ١٠٨) لا أن أبرز الخطيب التي وضعت بعد انتشار الدعوة السلفية واستمر الخطباء يلقونها حتى وقت قريب هي خطب الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب الهاجري (ولد ١٢٣٠ هـ وقيل ١٢٣٥ هـ / اللتين يوافق أولهما ١٢ / ١٤ / ١٨١٤ ، ٢٠ / ١٠ / ١٨١٩ م ، وتوفي في جمادى الأولى ١٣١٧ هـ سبتمبر ١٨٩٩ م) وقد ورد ذكر بدعة صلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان في فتوى للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب على أنها موجودة في بعض البلدان وليس من المعروف هل المقصود

ويبدو أن بعض البدع الأخرى قد تسربت عبر بعض مؤلفات علماء البلدان المجاورة وبعض العلماء النجديين الذين تتلمذوا عليها أو على أصحابها فيذكر أحدهم نقلا عن هذه الكتب " أن التسبيح بالسبحه مستحب مستحسن ، وما زال أكابر المشايخ من أهل التصوف والعلم يفعلون ذلك^(١) .

ومن أبرز الأمور الشركية التي عرفت في منطقة نجد الذبح لدفع ضرر الجن ، وقد نقل بعض علماء نجد فتوى تقول أنه إذا سمي (أى ذكر اسم الله عليها) تباح الذبيحة على أن لا يقصد الجن بدنها فان قصدهم بدنها حرم الذبح لأنه اعان على محرم وعلى هذا فهم يرون جواز الذبح تقربا لله تعالى لدفع ضرر الجن ، وهذا تناقض واضح لأن الذبح لدفع ضرر الجن سببه الخوف منهم والاستعانة بهم وهذا هو جوهر العبادة ، وذكر اسم

(=) بها لحد البلدان النجدية أو تلك التي ضمتها الدولة السعودية الأولى في غرب الجزيرة أو شرقها أو شمالها أو جنوبها . وأكسد الشيخ عبد الله على أنها من البدع المنكرة اجماعا ويجب زجرهم عنها أشد الزجر (ابن قاسم : الدرر ٤ / ٢٣٥) .

(١) أورد المنقور في الفواكه ٧٧ / ١ هذا الرأي من كتاب جمع الجوامع للشيخ يوسف بن عبد الهادي أحد مشايخ ابن عثوة ولا يبعد أن يكون بعض من تتلمذ عليه قد سرب هذه العادة الى نجد ولئن كان المنقور قد ذكر في الهامش قوله : (الظاهر المنع من السبحه) فانه لا يدل على وقوف بعض علماء نجد قبل الدعوة في وجه هذه العادة ، وهي وان لم تكن بدرجة خطورة البدع السابقة واللاحقة فقد كرهها بعض علماء الدعوة وأكدوا على منعها بقصد التسبيح أما للأغراض الأخرى فلم يرد أنهم منعوها ، وكانت وجهة نظرهم أن التسبيح بالأصابع أفضل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث روى عنه أنه أمر بعقد التسبيح والتهليل بالأنامل وقال : (انهم مسئولات مستنطقات) أخرجه أبو داود (مجلة الدعوة السعودية عدد ٩٠٦ الاثنين ١٤ / ١١ / ١٤٠٣ هـ / ٢٢ أغسطس ١٩٨٣ م ص ٢٧ من اجابة الشيخ عبد العزيز بن باز) .

(١)

الله على الذبيحة وعدم ذكره لا يغير من المسألة شيئاً .

ولعل اشتراطهم التسمية واستشعار التقرب لله عز وجل هو قطع الطريق أمام محاولات بعض متطبية البدو والصلب الذين يقطنون قرب البلدان النجدية وقت صرام النخيل وحصاد الزروع بسبب قحط الصحراء ويعرضون في هذه الأثناء خدمات طبية يعتقد بجدواها بعض النجديين ويشترطون عليهم ذبح تيس أصم أو خروف أسود دون تسمية لله عليه ويحددون له مكاناً لذلك ليلاً وبهذه الشروط يطمئن الجهلة إلى أنها شروط طبيب حاذق وقد يحين وقت الشفاء من أى مرض نفسى أو عصبى أو عضوى فترسخ عقيدة الذبح لدفع ضرر الجن فى النفوس، وكان هذا المعتقد مما اشترك فيه بعض الحضر والبدو على حد سواء^(٢).

وقد حدث نقاش حاد بين الشيخ ومعارضيه الرئيسين سليمان بن سحيم وعبد الله المويس حول هذه القضية حيث كان الشيخ يقرر حقيقة يعرفها العلماء المحققون فى هذه المسألة وهى أن الذبيحة حرام ولو سمي عليها وأنها مما أهل لغير الله به وأنها ذبيحة مرتد بينما كان رأى المويس وابن سحيم أنها منهي عنها فقط، ولا شك أن فتح بعض علماء نجد قبل الدعوة لهذا الباب رغم وضعهم تلك الشروط جعل قسماً من أهل نجد بادية

-
- (١) المنقور: الفواكه ٢ / ٨٧، ٨٨، وقد أورد ناشر الكتاب تعليقيــــــــــــــــــــــن على الآراء التى أوردها المنقور وعزا أحدها إلى الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى وهو من علماء الدعوة السلفية (ولد سنة ١٢٨٧ م ١٨٧٠، وتوفي في صفر ١٣٧٣ هـ / ١٠ / ١٠ / ١٩٥٣ م) أما الثانى فلسم يعزه إلى أحد ويبدو أنه لأحد علماء الدعوة ان لم يكن للشيخ العنقرى نفسه، لأنهما تعليقان يردان على هذه الآراء التى أوردها المنقور بأن ذلك من الوسائل المفضية إلى الشرك .
- (٢) ابن بشر ١ / ١٩، ٢٠، وأصم : مقطوع الأذنين أو القرنين أو همما معا أو صغيرهما (الفيروزابادى باب العين فصل الصاد) .

وحاضرة تمارس هذه البدعة السيئة اذ أن مبدأ القبول به وسيلة لترك التسمية وجعل القصد من الذبح الخوف من الجن أو الاستعانة أو الاستعاذة بهم، ولهذا قامت الدعوة بسد الذرائع المفضية اليه وجاءت تقارير وفتاوى امامها وعلمائها من بعده مؤكدة تحريم هذا العمل^(١).

(٢)

ونقد نقل المنقور في مجموعه ومنسكه بعضا من البدع في الحج والعمرة

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ٢٩، ٦٤، ٩١، ١٣٨، ١٣٩، الفتاوى ٥٨، ٥٩، ٦٦، ٦٧، ابن غنام ١/٢، ١٠، ١١، ١١٥، ١٣٦ - ١٣٨، ابن قاسم، الدرر ٢/٣٥، ٨، ٥٤، ٧٠، ١٠١، ١٠٢، وقد ذكر الشيخ في أحد هذه المواضع أن ابن سحيم كان يناقض نفسه حين قال أن الذبح لدفع الضرر يكفر، ويبدو من تأكيد علماء الدعوة بعهد الشيخ على هذه المسألة أن فئة من النجديين حاضرة وبادية كانت تتحين الفرص لممارسة هذا العمل بسبب عدم تمكن الدعوة من نفوس هذه الفئة في بعض الفترات.

(٢) هو الشيخ احمد بن محمد بن أحمد بن حمد المنقور من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم ولد في ١٢/٣/١٠٦٧ هـ // ٣٠/١٢/١٦٥٦ هـ في حوطة سدير فقد أمه وعمره ١٢ سنة، وأباه وعمره ٢٢ سنة، وقد جد و واجتهد في طلب العلم على عدد من العلماء أبرزهم قاضي الرياض الشيخ عبد الله بن ذهلان وقد رحل لتلقي العلم عليه خمس مرات حدد سنواتها في تاريخه، وكثيرا ما ينقل عنه قضايا فقهية في مجموعة اشتهر المنقور بالورع، وكان يعمل مزارعا في بلدته، وحج أربع مرات وتتلمذ عليه عدد من صاروا علماء بعد ذلك وألف عددا من الكتب أبرزها مجموعة المعروفة باسم : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة الذي يعتبر مرجعا شاملا لعدد من الموضوعات عن منطقة نجد، ويبدو أن هذه التسمية لهذا الكتاب جاءت متأخرة فقد ذكر ابن حميد في السحب الوايلة له اسمين ١- القيد الجامع لغرائب الفوائد، ٢-

النقولات الجليلة من الكتب العربية، ومن كتبه التاريخ الذي حققه الدكتور عبد العزيز الخويطر، وكذلك منسك شامل، توفي في بلدته الحوطة في ١٦/٥/١١٢٥ هـ - ١/٦/١٧١٣ م وهذا هو المشهور الا أن أستاذي المشرف ذكر أنه اطلع على وثيقة كتبها عام ١١٢٨ هـ ما يدل على تأخر وفاته، من أبنائه الشيخ ابراهيم، وتوجد أسرة تنتمي للمنقور في بلدة الوسيطي قرب حائل لكنهم يضيفون بها في آخر النسب وذكر لي أحد هم أنهم نزحوا من سدير الى سميرا فالستجدة فالوسيطي حيث أصبح لهم مكانة فيها. (المنقور : الفواكه ص هـ - ز

(=)

وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المعتقد فعل بعض النجديين لها نظرا لما لقيه مجموع المنقور ومنسكه من قبول لدى النجديين، ورغم أن هذه البدع لم تكن بدرجة خطورة البدع والشركيات السابقة إلا أنها مخالفة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع.

ومن هذه البدع تخصيص دخول مكة وكذا المسجد الحرام وأركان الكعبة وغيرها من المواضع داخل الحرم وخارجه بأدعية خاصة، ومن الثابت لدى العلماء المحققين عدم ورود أدعية خاصة لهذه المواضع ولا لدخول مكة أو المسجد الحرام الذي ورد للدخول اليه وإلى غيره من المساجد الدعاء^(١) المعروف .

ومما ورد في منسك المنقور ذكره أفضيلة زيارة بعض المواضع المشهورة في مكة، كالبيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغار حراء وبيت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، والغار

(=) من مقدمة الشيخ محمد المانع، جامع المناسك الثلاثة الحنبلية تحقيق زهير الشاويش ط (٣) المكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص هـ ، و من المقدمة ، تاريخ المنقور ط (١) مطابع الجزيرة ، الرياض ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م من ص ١١ - ٢٠ من مقدمة الدكتور الخويطر ، تاريخ ابن ربيعة ص ١٢ من مقدمة محققه الدكتور عبد الله الشبل ، ابن حميد : السحب الوابلة ورقة ٦٤ ، عبد الله البسام ، علماء نجد ١٩٥ - ١٩٧ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ١ / ٦١ ، ٦٢ ، عبد الله ابن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلين ص ٥٥ ، مجلة العسرب ع ٩٤ ، ١٠٠ م / ٢ ص ٦٦٣) .

(١) المنقور : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ٦٥ - ٧٠ ، أما الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم لدخول المساجد فهو (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم افتح أبواب رحمتك مع تقديم الرجل اليمنى) الشيخ عبد العزيز بن باز ، التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة ط (٢٠) المطابع الأهلية الرياض ص ٢٨) .

الذى بجبل ثور^(١) والمنقور وان كان قد ذكر أن ذلك تابع للقدم للحج ولا يقصد لذاته، فانه لم يرد دليل لزيارة هذه المواضع لا في موسم الحج ولا في غيره^(٢).

وفي الحديث عن استقبال الحجر الأسود واستلامه ذكر المنقور
أن على الحاج بعد التقييل - ان أمكن - السجود على هذا

(١) - قيل ان المكان الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكان مكتبة الحرم المكى الآن .

ب - اما غار حراء فهو الذى تعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهو المعروف الآن بجبل النور فى منطقة المعابدة أحد أحياء مكة .

ج - بيت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها غير معروف الآن ولعله دخل فى إحدى توسعات الحرم .

د - كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم معروفة الى وقت قريب لكنها ادخلت فى التوسعة الأخيرة للحرم .

ز - غار جبل ثور هو الغار الذى اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله عنه وهما فى طريقهما للهِجرة الى المدينة (جامع المناسك الثلاثة الحنبلية هامس ص ٧١) .

(٢) انظر تعليق الشيخ محمد بن مانع على ماورد فى منسك المنقور هامس ص ٧٠ ، وقد أورد المنقور قسماً - من منسك الامام ابن تيمية فى كتابه الفواكه ١/ ٦٥-٧٢ ، وفيها أن قصد زيارة أى موضع أو مسجد فى مكة غير المسجد الحرام ليس من السنة ، وكذلك ليس من السنة زيارة الجبال التى حول مكة عدا المشاعر (عرفة ، ومزدلفة ومنى) ، ومن المعلوم أن المنقور فى منسكه قد جمع بين ثلاثة مناسك لثلاثة من متأخري الحنابلة وهم : ١- الشيخ منصور البهوتى (ت ١٠٥١ / ١٦٤١ م

٢- الشيخ محمد الخلوتى ت ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م ٣- الشيخ محمد البلبانى ت ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م ، وكتب بعض متأخري الحنابلة لا تخلو من بعض البدع ، وفى شرح منتهى الأراءات للشيخ منصور البهوتى ورد ذكر عدد من هذه البدع ، فلا يبعد أن تكون البدع الموجودة فى جامع المناسك الثلاثة من وضع أحد هؤلاء العلماء الثلاثة لذكر المنقور ما يناقضها فى الفواكه ، الا أن هذا المنسك وقد لقي قبولا من النجديين لا يبعد أيضاً أن يكون لهذه البدع أثر لدى بعض النجديين .

(١) الحجر، وهذا من البدع المحدثه اذ لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله بل ثبت عنه الاستلام باليمين والتقبيل تارة، واستلامه بمعا معه من عصا ونحوه وتقبيل ما استلمه به تارة أخرى (٢).

ونقل المنقور كذلك أفضلية الاحرام للحج للحل بمكة من تحت ميزاب الكعبة، وهذا من الأمور البدعية علاوة على ما فيه من مشقة على الناس وتزاحمهم حول الميزاب ولم يرد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله أو أمر به، وكذا لك أصحابه (٣).

ومما نقله المنقور عن بعض علماء البلدان المجاورة ذلك الاطراء البالغ فيه والمنهى عنه شرعا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مدينته، والحث على بعض الأفعال في هذا السبيل مثل الترجل من المركب تنكيس الرأس وخلع النعال اذا أشرف الزائر على المدينة النبوية، وعند المشي في شوارعها وغير ذلك من الأمور التي كرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وأكد على عدم فعلها في أي وقت من الأوقات، ومعلوم أن هناك فارق بين المغالاة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحببه الحب الشرعي المتمثل في اتباع هديه واكثار الصلاة عليه (٤).

(١) المنقور : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ص ٧٢، ولم يذكر ذلك في الفواكه ١٧٥/١

(٢) محمد بن قيم الجوزية : مناسك الحج والعمرة . تحقيق وتعليق محمد حسيني عفيفي ط (١) دار الثقافة للجميع، دمشق نشر مكتبة الحرمين بالرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١٨٨، ١٨٩، وهذه الرسالة هي بحث (هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه وعمره) من زاد المعاد الا أنها محققة، وانظر منسك المنقور هامش ص ٧٢.

(٣) المنقور: المصدر السابق ٨٧، ابن باز: التحقيق والايضاح ٣٥.

(٤) المنقور: المصدر السابق ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، الفواكه ١٧٩/١

ورغم أن المنقور قد وضع في منسكه أن الزيارة للمدينة هي للمسجد الذي ورد في السنة جواز شد الرحال اليه ، الا أنه نقل نصا لأحد العلماء بأن الزيارة المقصودة انما هي للقبر النبوي وأنه في حال السلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء يستقبل وجهه ويستدير القبلة ، علاوة على تخصيص دعاء لدخول المسجد النبوي يضاف بعد دعاء الدخول للمساجد عامة ، ومما ورد فيه : (وارزقني في زيارة رسولك ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك)^(١) .

(٢)

على أن المنقور نفسه قد ذكر في تاريخه سنة ١٠٩٦ هـ أنه بعد حجته الرابعة زار النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أن لدى بعض النجديين اعتقادا بجواز قصر قصد الزيارة للمدينة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أما شراذم الزيارة القبر ثم الصلاة في المسجد في قصد واحد .^(٣)

ومما يؤكد اعتقاد قسم من النجديين بزيارة القبر النبوي وما يندرج تحت ذلك من الاطراء البالغ فيه أبيات للشيخ راشد بن خنين تشير الى دور بعض^(٤)

(١) المنقور : المنسك ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، وقد نقل عن جمع الجوامع للشيخ يوسف بن عبد الهادي أن من مواضع اجابة الدعاء عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعل المقصود عند قبره أو في مسجده أو في المدينة عامة (الفواكه ١ / ١٢٨)

(٢) ١٠٩٦ هـ / ١٢ / ١ - ١١ / ٢٩ - ١٢٨٤ م

(٣) المنقور : التاريخ ٦٠ ونص كلامه : (وفي سنة ستة وتسعين وألف حتى الرابعة وزيارتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي النسخة الثانية من تاريخه) منها - السنة نفسها - زرت النبي صلى الله عليه وسلم (وقد كره الامام مالك وغيره من الأئمة أن يقال : (زرت النبي صلى الله عليه وسلم لان الزيارة انما هي للمسجد ثم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أداء حق الله) منصور البهوتي ، شرح منتهى الارادات ، ١ / ٥٠ من كلام المعلق على قول الشيخ منصور بجواز ذلك) .

(٤) هو الشيخ راشد بن خنين العائذي القحطاني نسبا الخرجي موطننا قاضي الخرج في وقته ، كان مالكي المذهب ويشير بعض مؤرخي نجد أن الغالب على أهل الخرج المذهب المالكي وربما كان لاتصالهم بالاحساء دور في ذلك ، كان ابن خنين معاصرا للشيخ محمد بن

ان هذه الأبيات تحمل فى ثناياها غلوا واضحا فى شخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم واذا علمنا مكانة ابن خنن فى الخرج أدركنا مدى
ما وصل اليه اعتقاد بعض أهالى المنطقة فى مثل ذلك كما أن هذه الأبيات
تتضمن ردا على دعوة الشيخ محمد فى هذه القضية^(١).

وما من شك فى أن مثل هذه الاشارات كذلك قد أوجدت فى فئة من
النجديين غلوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دلت بعض المصادر
على ذلك، ومن أبرز ما يمكن أن يشار اليه بعض الأبيات للشاعر الشعبي المعروف
راشد الخلاوى^(٢) الذى يستطيع الباحث فى شعره تطبيق بعض ما جاء به

(١) وقد تولى الشيخ سليمان بن سحمان الرد على ابن خنن بقصيدة فعلى روى عنه
وتبلغ ثلاثين بيتا وأوردها بعد قصيدة ابن خنن مباشرة (الأسنة
الحداد ص ٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) هو الفلكى وشاعر الحكمة الشعبي راشد الخلاوى النجدى وقد اختلف النساب
ورواة الشعر الشعبي فى نسبه هل هو صلبى أو خالدى أو رشيدى
أو هاجرى، وأشهرها أنه صلبى من تواتر ذلك لدى الناس ومن
استفاضة الحديث عن الصلب فى شعره، قيل عاش فى القرن التاسع
وقيل العاشر والحادى عشر وقيل عاش بين الحادى عشر والثانى عشر
وثار جدال بين عدد من الكتاب حول هذا الموضوع إلا أن إشارة
الخلاوى لأحداث وقعت سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م وسنة ١٢٩هـ / ١٧٢٧م
وهى معارك وقعت بين آل مشرف وأهل أشيقر عامة وبين النواصر أهل
الفرعة، هذه الإشارة من الخلاوى فى أبيات رثى فيها صديقة رئيس
آل مشرف تدل على أن الشاعر كان حيا عام ١١٣٩هـ كما قرر ذلك
أستاذى المشرف وعلى هذا فيكون قد عاش أواخر القرن الحادى عشر
وأوائل القرن الثانى عشر الهجريين، والشاعر لم يعلم الأنواء ومواعيد
البروج والفصول، وأوقات هبوب الرياح ومواسم الأمطار فى نجد، وقد
لازم منيع بن سالم أحد أمراء بنى خالد، كما مدح أحد رؤساء قبيلة
بنى حنيقة، ومدح محمد الربيعى من بنى خالد كذلك إلا أن صداقته
لمنيح كانت واضحة، والشاعر طويل النفس فى شعره، ويعتبر شعره
مصدرا من مصادر الحياة الاجتماعية فى نجد عامة وخاصة لدى البدو
والصلب. (الفاخرى ١٠٠، ابن بشر ٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، عبد الله
الحاتم، خيار ما يلتقط من الشعر النبط ط (٣) نشر دار ذات السلاسل
الكويت ١٩٨١م / ١ / ١٩ - ٢٩، عبد الله بن خميس راشد الخلاوى ط

على بعض جوانب الحياة الاجتماعية لدى الحضر والبدو على حد سواء، يقول
الخلاوى فى اطراء النبى صلى الله عليه وسلم :
وأصلى صلاة تملأ الأرض والسماء صلاة وتسليم من الله واجبه
على المصطفى سر الوجود الذى سرى الى حضرة مانالها كود جانب (١)
هو الشافع المقبول فى كل ماجرى وان شبت النيران عنها يلاذ به
خذ فى يدي أقولها فى وفى الحشر وفى يد منيع صاحبي هو وأقارب (٢)

- (=) (١) ص ٥ - ٣٩، ٣٧٧، ٣٧٨، وانظر ط (٢) من هذا الكتاب
حيث أورد فى ملاحقه بعض الوثائق الحديثة التى تثبت نسب
الخلاوى على أنه من بنى هاجر، عبد المحسن أبابطين، المجموعة
البهية من الأشعار النبطية ط (٣) مكتبة الرياض الحديثة، الرياض
١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م ص ٢٣ - ٣٠، محمد القاضى : روضة الناظرين
٣٦٧/٢ وذكر فيها أنه من بنى هاجر وأنه توفى سنة ١٠١٠هـ،
د . عيد الله الشيل : تاريخ ابن عباد : بحث منشور فى مجلة البحوث
التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد الثانى محرم
١٤٠٤هـ / اكتوبر ١٩٨٣م ص ١١٠-١١٢) .
(١) كود أداة استثناء بمعنى الا وتأتى بمعنى لعل الا أنها هنا استثنائية
(ابن خميس . راشد الخلاوى ١٦٤، ١٦٥، ٤٥١)
(٢) قوله خذ فى يدي، يبد وأن المقصود بهذا الطلب النبى صلى الله
عليه وسلم وهذا لا يجوز علما ان ابن خميس قد حذف بيتا قبله فيه
مفالات أشد من هذا البيت والذى يعده فى شخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم . انظر ص ١٦٧، ١٧٠، منيع هو معدوح ، صدق الخلاوى
وقد ذكر أبو عبد الرحمن بن عقيل أن منيع بن سالم هذا من أحفاد أجود بن
زامل وأن نسبته على هذا منيع بن سالم بن زامل بن
بن سيف بن أجود بن زامل العامرى الجببرى
ونقل هذه المعلومات عن العزاوى فى كتابه عشائر
العراق الذى ذكر أن منيعا هذا قد حكم الأحساء والقطيف ونجدا
وأنه آخر أمراء بنى جبر وهو الذى رحل الى العراق ودخل فى عشيرة
الأجود ضمن تحالف عشائر المنتفق ، كما ذكر ابن عقيل أن محمد
الربيعى ابن أخ لمنيع ورجع على هذا أن الخلاوى عاش فى القرن
العاشر، الا أن هذا لا أن هذه الآراء لا ترقى الى مستوى ذكر
الخلاوى لأحداث عام ١١٣٥هـ و ١١٣٩، والله أعلم . (أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري : أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء ط (١) مطبعة
نهضة مصر القاهرة، نشر دار اليمامة . الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ،
٢٣٩/١، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٩١) .

على ذاتك العليا صلاة مدى الدهر ماكرر الله الجديدين دايبه
تفشاك ياغير الورى كل مـا ذرى هبوب وماسحت بالانواسحاييه
على القبة الخضراء تروى وتنثني على الآل والصحب الكرام الأطاييه
ومدح الورى للمصطفى مثل ماتشا حبة رشاد فى طوامى غبايه (١)

وقد وجدت اشارات فى الشعر الشعبى كذلك تلح الى وجود ظاهرة
الحلف بغير الله لدى بعض الشعراء، وقد يعطى هذا انطبعا بوجود مثل
هذه البدع عند بعض العامة ومن الأمثلة على ذلك الأقسام بأركان الحج
فى قول الهزاني: (٢)

(٣)
لاتحسب انى يا عريب المجانى ناسيك لا واركان حج بها طفت

- (١) راشد الخلاوى ط (٢) ص ١٧٠، ١٧١
(٢) هو الشاعر النجدى (ابن ابى ربيعة نجد فى زمنه) عبد المحسن
واشتهر بمحسن بن عثمان الهزاني - بكسر الهاء - وفتحها - من
البيزانة من عترة وهم أول من ابتدأ عمران الحريق سنـ
١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م، اشتهر بالغزل والتشبيب بالنساء، عاش أواسط
القرن الثانى عشر وقد برع فى أبواب الشعر التى طرقها خاصة الغزل
والفخر، والوصف، والمدح، والتضرع الى الله تعالى، هو أول من
أدخل الأوزان الشعرية المسماة بالسامرى، تولى امارة الحريق فترة
لكنه تركها ليتفرغ لشعره، أخرج فى آخر عمره دررا من القصائد الوعظية
قل أن يوجد مثلها فى الشعر الشعبى، توفى فى أوائل القرن الثالث
عشر وقيل سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م، وموقفه من الدعوة غير واضح
الا أن تكون قصائده الوعظية صدى لها (ابن بشر ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥،
عبد الله الحاتم: خيار ما يلتقط ١/ ١٧٧، خالد الفرج: ديوان
النبط ١/ ٨٩، محمد سعيد كمال: الأزهار النادية من أشعار
البادية. نشر مكتبة المعارف. الطائف ١٢/ ٨٩، ١٠، محمد
القاضى: روضة الناظرين ٢/ ٣٦٧، محمد بن سعد بن حسين. محمد
ابن بليهد وآثاره الأدبية ط (١) مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ/
١٩٧٩م ١/ ٣١٢، حمد الحقيلى: كنز الأنساب ١٦، عبد العزيز
الشنار: مختارات من الشعر الشعبى لمشاهير شعراء الحريق
ط (١) ١٤٠١هـ ص (٢٥).
(٢) عريب: أصيل، المجانى جمع مجانية أى مستورة وهى صفة مدح للمرأة
انظر (الزبيدي: تاج العروس باب النون فصل الجيم) وعن البيت
الأزهار النادية ١٢/ ٥٤

وكذلك الأقسام بالبيت والمدعى فى قوله :
(١) وأقسمت له بآيات عم والبيت والمدعى واللى بنى سبع الاطباق

وسؤال الله بالنبي صلى الله عليه وسلم فى قوله :
(٢) سل الله بالانفال والحج والضحى واللى الى احياء نلقاه شافع

(٣) وشبه بهذا قول التكليف فى الأقسام بحق البيت والرسول عامــــة
والنبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

(٤) فالحق بحق البيت والحل والحرم واللى الى احياء نلقاه شافع

(١) المدعى : شارع قريب من الحرم وهو المسمى بشارع أبى سفيان ، عن البيت : المرجع السابق ١٣٧/١٢

(٢) المرجع السابق ١٢٣/١٢

(٣) هو أحد شعراء القرن العاشر الهجرى والحادى عشر ولم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المصادر الشعبية وينطقه بعضهم (الجليف) وقد مدح مقرر بن أجود بن زامل أحد أمراء الدولة الجبرية التي بسطت نفوذها على الأحساء ونجد (قتل سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) في حروبه مع البرتغاليين فى منطقة الخليج ، وكان مدح الكليف لمقرر بقصيدة طويلة سميت (الدامغة) . (عبد الله الحاتم : خيار مايلتقطـــــط ١/٥٣، ٥٥ سعد بن نفيسة منوعات شعبية ، مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٦٧ وقال انها فى ١٣٠٠ هـ وهذا وهم أو خطأ مطبعى ، عبد المحسن ابابطين : المجموعة البهية ٩٩ وذكر أنه من مشاهير القرن الحادى عشر ، ابو عبد الرحمن بن عقيل : أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء ٢٤٢ ، ديوان الشعراء عامى ط (١) ، مطبعة المتوسط . بيروت نشر دار العلوم ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ١/٦٧) .

(٤) هذا البيت من قصيدة طويلة مؤثرة قالها بعد أن خرجت والدته من بيته الى بيت أخيه وقال فى أولها :

الى الله مشكى لبيعة مادرى بها جماد ولا عند البرايا حكى بها
والقصيدة جزلة المعانى ثرة بالأساليب العاطفية تجاه الأم تعد من غرر الشعر الشعبي . عن البيت السابق فى المتن وهذا البيت
(عبد المحسن ابابطين ٩٩ - ١٠١ ، عبد الله الحاتم ١/٥٣ - ٥٥)
وهناك عدد من الأبيات التي تحمل فى مضمونها بعض الأمور البدعية
الا أنى أردت الاكتفاء بعرض الأبيات السابقة كأمثلة اذ لا ضرورة
للاسترسال مع الأبيات الشعبية وهناك من النصوص الفصيحة ما هسى
أولى بالعرض .

هذه أبرز مظاهر الانحراف عن العقيدة الصحيحة عند حضر نجد قبل الدعوة وغنى عن البيان هنا التأكيد على تركيز بعض هذه الانحرافات في مناطق معينة وعدم شمولها لكافة سكان المنطقة، وقد ذكر الشيخ محمد أن من أسباب تركيز بعض الشراكيات بالنسبة للقبور والأشخاص في منطقة العـارض هو إدارة بعض علماء المنطقة لعوامها في عدم نهيبهم عن هذه الشراكيات وخص الشيخ بالذكر معارضه سليمان بن سحيم حين قال عنه : (وذلك أن العامة قالوا له وأمثاله إذا كان هذا هو الحق فلأى شيء لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله ، فتعذروا : أنكم ما سألتمونا ، قالوا : وان لم نسألكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحنوا ووطنوا أن يأتيتهم في هذا غضاضة وأن فيه شرفا لغيره^(١)) كما أن من أبرز أسباب تركيز هذه الشراكيات في هذه المنطقة كونها كانت مسرحا لمعارك المرتدين ومقبرة لعدد من شهداء الصحابة فيها كما أن تركيز الاعتقاد بقبر زيد بشكل خاص مرده كون زيد رضى الله عنه قد ثبت استشهادُه في هذه المنطقة أما أبو دجانة وضرار ابـن الأزور وبعض الشهداء الآخرين فقد وجدت بعض الأقوال التي تشير إلى أنهم لم يستشهدوا فيها كما مروى وان لم تكن بدرجة قوة للأقوال التي تذكر استشهادهم في المنطقة إلا أنها على أى حال تلقى ظلالة من الشك حول دفتهم في المنطقة ، كما أن وجود بعض الأشخاص ممن ينتمون لآل البيت جعل الاعتقاد بهؤلاء الأشخاص واضحا في هذه المنطقة عن خيرها^{نذر} من مناطق نجد ، ويبدو أن هؤلاء قيهـم من مظاهر الولاية مع نسبهم الشريف ما حدا بهم إلى أخذ النذور من الناس الذين حرصوا من جانبهم على تقديمها لهم بنفوس راضية يدفعها هذا الاعتقاد بولايتهم ونسبهم ، وقد أشار إلى هذا السبب سليمان بن سحيم في رسالته التي أرسلها إلى علماء المسلمين يحرضهم فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب . حيث قال فى أحد مآخذه على الشيخ محمد : (ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ص ٦٣ .

من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذور ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر
(١) عنده .

ب : في الفروع:

لقد انتشرت دراسة الفقه في منطقة نجد منذ فترة متقدمة قبل القرن التاسع الهجري ، وكان هدف التخصص في الفقه التأهيل للقضاء والفتيا والتعليم ومعالجة قضايا الناس الاجتماعية ، ومن هنا فقد حظيت نجد قبل الدعوة بتراث فقهي جيد طرق العديد من المسائل التي كان الناس يتداولونها في سائر مجالات حياتهم ، ويبدو أن اقتصار علماء نجد على دراسة الفقه بشكل موسع أتاح لهم الاجادة في دراسته وتعليمه والتأليف فيه سواء بنقل بعض الأحكام الفقهية عن العلماء الذين سبقوهم أو الاجتهاد في القضايا المحلية وطرق ما يجد منها ويجاد الأقضية اللازمة على الرأي الفقهي القائل : (يجد للناس من الأقضية ما يجد لهم من القضايا) .

ولقد كانت الكتابة والفتيا في مجال الفقه عند علماء نجد قبل الدعوة تسير في غالب أحكامه على المشهور من المذهب الحنبلي (٢) ، ونظرا لأن هذه الكتابة الفقهية لم تتطرق الى أكثر البدع المنتشرة لدى بعض أهل نجد بالتأييد ، فقد لقيت الكتابة الفقهية لعلماء نجد قبل الدعوة قبولا لدى علماء الدعوة السلفية ولا أدل على ذلك من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه كان يعضي كثيرا من الأحكام التي عقدها علماء نجد قبل الدعوة (٣) .

(١) ابن غنام ١١٢/١ ، الدكتور عبد الله العثيمين : موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود ص ١٠٤ ، وقد وجد عدد من علماء نجد قبل الدعوة يخرجون عن هذا المذهب الى بعض المذاهب السنية الاخرى وخاصة الشافعي اقرب المذاهب الى المذهب الحنبلي ، انظر المنقور ، الفواكه ١ / ٢٢٣ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٢ / ٤٨ ، ٢١٦ ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، وانظر د. العثيمين الحياة الدينية في نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مجلة الدارة ع ٣ / ٤٨ ، ص ٣٨ ، ٣٩

(٣) ابن قاسم : الدرر ٥١٢/٦

ولما كانت هذه المصادر ليست شاملة لكل القضاة وكذلك غير ثابتة فقد وجد قسم من فقهاء وقضاة نجد قبل الدعوة السلفية في الأخذ من المتخصصين أجرا ثابتا وحجتهم في ذلك عدم ثبات مصادر الدخل السابقة^(١)، وعدم وجود بيت مال يخصص موردا ثابتا لهؤلاء القضاة، على أن الشيخ ابن عتوة كان قد أجاب على سؤال عن حكم أخذ القاضي الأجرة على كتابة السجلات والمحاضر وغيرها بجواز ذلك لأنه غير الواجب إذ الواجب عليه القضاء وإيصال الحق إلى مستحقه، وأما كتابة الوثائق فعمل يعمل به القاضي للمقضي له، وليس له ذلك، فيجوز له أخذ الأجرة على ذلك، ولكن ما يطيّب له إلا قدر ما يجوز أخذه لغيره^(٢).

ثم وضح تقدير المبلغ الذي يؤخذ على كتابة الوثائق فقال: "إن كانت الوثيقة بمال يبلغ ألفا، ففيه خمسة دراهم، وفي ثلاثة آلاف خمسة عشر، وفي عشرة آلاف، كل ألف خمسة حتى تكون خمسين في عشرة آلاف، ثم ما زاده ففي كل ألف درهم يضم إلى الخمسين الواجبة في عشرة آلاف فإن كانت أقل من الألف ينظر إن لحقه من المشقة قدر ما يلحقه في وثيقة الألف، ففيه خمسة دراهم وإن كان ضعفه، فعشرة، وإن كان نصفه فدراهمين ونصف"^(٣).

وأورد المنقور في مجموعه نصا لأحد العلماء يؤيد رأي ابن عتوة وهو "صرح العلماء أن أجرة الكتابة على القاضي مباحة، فانه ليس عليه أن يكتب" وعلى هذا فهو مسئول عن القضاء الشفوي والاشهاد على ذلك أما الكتابة فليس مسؤولا عنها، إلا أنه لا يجوز أن يأخذ مالا مقابل ما وجب عليه من القضاء بأي وجه من الوجوه فهو سحت حرام^(٤).

(١) د . العثيمين ص ٣٧ .

(٢) المنقور ٢٢٤/٢

(٣) المصدر السابق ٢٢٤/٢، ٢٢٥

(٤) المصدر السابق ٢١٨/٢ وهو لأحد علماء الشافعية .

ورغم هذه الاحترازاات التي وضعها العلماء بشأن أخذ القاضي أجره على الكتابة فقط، وتلك التقديرات الدقيقة لهذه الأجرة، فإنه تحت دعوى عدم ثبات مصادر الدخول السابقة لقضاة نجد قبل الدعوة كان بعضهم يخرج عن هذه الاشتراطات ويقبل بعض ما يقدم اليه من أموال وقد يشترط ذلك في ابتداء النظر في أى قضية، مستندا في ذلك الى تجويز بعض العلماء قول القاضي للخصمين: " لا أ قضي بينكما الا بجعل " ولوجود ما يستدعى ذلك في نظرهم وهو عدم وجود بيت مال للمسلمين في المنطقة (١).

وقد أكدت ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على تحريم هذا الاستغلال من قبل بعض القضاة في نجد، وذلك حين رد هو وابن غنام (٢) على رسالة ابن سحيم التي عارضه في هذه القضية ضمن عدد من القضايا

-
- (١) ابن غنام ١١٣/١ من رسالة ابن سحيم لعلماء المسلمين، وقد ورد سؤال للشيخ حول هذه المسألة من محمد بن صالح (ولعله قاضي منغوحة المؤيد للدعوى الذي طرده أهلها بعد تحولهم عن الولاية للدعوة عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م) وذكر ابن صالح أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة في أخذ القاضي جعل من المتخاصمين (الشيخ محمد : الفتاوى ص ١٦، المسألة الرابعة، ابن بشر ١/٤٢) هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام التميمي نسبا العبري لأحسائي مولدا ونشأة، قرأ على علماء الأحساء والبحرين وفقه في المذهب المالكي الا أنه نبغ في العلوم العربية وخاصة النحو والعروض والبلاغة والأدب وكذلك الفرائض رحل الى الدرعية فتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولما كان مالكي المذهب وأهل نجد في غالبهم حنابلة طلب اليه قادة الدرعية تدريس النحو وعلوم العربية كلها وكذلك الفرائض تتلمذ عليه عدد كبير من علماء الدرعية من ابرزهم سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وحمد بن ناصر بن معمر وابنه عبد العزيز، وعبد العزيز الحصين وغيرهم، ألف عددا من الكتب أبرزها تاريخ نجد، والعقد الثمين في شرح أصول الدين، حقق في رسالة ماجستير في أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، توفي في ذي الحجة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، ١٨١١م في الدرعية (الفاخري ١٤٠) وذكر انه مفتي الأحساء، ابن بشر ١/١٩٩، ٢٠٠، عبد الرحمن بن

الأخرى ، واعتبر الشيخ ما أخذه القاضي بأى صورة من الصور المرتبطة بالقضاء ، إنما هى رشوة ، وانتقد معارضه الذى قال عنها : " أنها ما يأخذه القاضي إذا حكم بغير الحق واما إذا أخذ الرشوة من صاحب الحق وحكم له به فهى حلال وقد أكد الشيخ موافقته لابن سحيم على أن من أنواع الرشوة : ما أخذ على ابطال حق ، أو اعطاء باطل ، ولكنه ذكر أن من أنواعها كذلك : " ما يأخذه الانسان على اىصال حق الى مستحقه حين يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة ، وكذلك الهدايا التي تدفع للحاكم بسبب الحكم ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر ، لا أعلم أحدا من العلماء رخص فى مثل هذا " . (٢)

وقد غمز الشيخ معارضه ابن سحيم فى أن أقواله تعارض أفعاله فقال فيه : " والعجب إذا كان فى كتابكم الذى تحكمون فيه : يجب العدل بين الخصمين فى لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه ، فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين ، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبها

(=) المغيرى : المنتخب فى ذكر أنساب قبائل العرب . تحقيق د . ابراهيم محمد الزيد ط (١) دار الحارثى للطباعة والنشر الطائف ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ٣٩٨ ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ٢ / ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، د . عبد الله الشبل أهم المصادر النجدية ص ٩٩ - ١٥٦ ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ١٤٧ - ١٥٦ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ، ١ / ٧٦ - ٧٨) .

(١) ابن غنام ١ / ١١٣ ، ١٣٣

(٢) الشيخ محمد : الفتاوى ٢٠ ، ابن غنام ١ / ١٨٥ ، ١٨٦ ، وقد نعى الشيخ من يأخذون أجورا من المتخاصمين ولا يلتزمون بشروط الأخذ كما قررها الفقهاء وسماهم : " المردة آكلي أموال الناس بالباطل ومذهبي أديانهم مع أموالهم " ويبدو من حدة هذا الجدل واقتصاره بين الشيخ وابن غنام من ناحية وابن سحيم من ناحية أخرى أن ابن سحيم كان يمارس القضاء بجعل غير ملتزم فيه بشروط الفقهاء ، وأنه من أكثر قضاة نجد قبل الدعوة فى العمل بهذه القضية .

وحكم له ؟ سبحان الله أى شريعة حكمت بحل هذا ؟ أم أى عقل أجازة ؟
ما أجهل من يجادل فى مثل هذا ، وأقل حياءه ، وأقوى وجهه^(١) .

ولما كانت هذه القضية من أبرز مظاهر الانحراف فى المجالات الدينية غير العقدية فقد كانت معارضة الشيخ رحمه الله لها شديدة وحججه فيها قوية وأسلوبه حاداً إذ لما استدل ابن سحيم بأن المسلمين فرضوا لأبى بكر رضي الله عنه لما ولى عليهم كل يوم درهمين ، قال عنه الشيخ : "فهذا من أعجب جهله ومثل هذا مثل من يدعى حل الزنا الذى لاشبهة فيه ، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطأون زوجاتهم وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء"^(٢) ثم بيّن بعد ذلك أن أبابكر جعل له من بيت مال المسلمين ما خصص لأنه وضع ماله فى بيت المال واحترف للمسلمين فيه فهو أخذ بسبب ماله وبسبب الحرفة ثم قارن بين ذلك وبين ما يفعله بعض قضاة نجد قبل الدعوة فقال : " فأين هذا من أكل الرشوة التى حرمها الله ورسوله ؟ وأين هذا من الحاكم الذى اذا وقعت الخصومة فأكثرهم برطيلاً يغلب صاحب^(٣)ه
(سبحانك هذا بهتان عظيم)^(٤) .

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٠ ، ابن غنام ١ / ١٨٦ ، والأحمر عملة سيأتى الحديث عنها ضمن العملات المتداولة .

(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٢ ، ابن غنام ١ / ١٨٧

(٣) البرطيل : بفتح الباء وسكون الراء أطلق فى الأصل على حجر أوحديد صلب مستطيل ثم أطلق على الرشوة وقيل فى سبب ذلك أن رجلاً وعد آخر بحجر اذا قضى له حاجته فلما قضاها جاءه به فأطلق البرطيل على كل رشوة ، واختلف علماء اللغة فى إطلاقه على الرشوة هل هو عربى أم لا ؟ فظاهر كلام صاحب القاموس المحيط (الفيروزابادى) أنه عربى وقال آخرون أنه بهذا المعنى غير عربى وللبريطيل عدة معان أخرى الا أن أشهرها إطلاقه على الرشوة . يقال : ألقمه البرطيل أى الرشوة وقالوا : البراطيل تنصر الأباطيل (الفيروزابادى والزبيدي باب الراء فصل الباء ، أحمد رضا العاملي : قاموس رد العامى السى الفصيح ط (٢) دار الرائد العربى بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣٨ ، ٣٩) .

(٤) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٣ ، ابن غنام ١ / ١٨٧ وفى كلام الشيخ سقط عند ابن غنام كما أن برطيلاً وردت باطلا وهو من الاغلاط المطبعية وفى النسخة التى حررها ناصر الدين الأسد ص ٤٨٨ جاءت العبارة سليمة .

ثم رد على ابن سحيم ومن يمارس هذا العمل الذين يحتجون بعدم وجود بيت مال للمسلمين فقال : " فان قالوا : لما عدم بيت المال أكلنا من هذا ، قلنا : هذا مثل من يقول : أنا أزني لأنني أعزب لا زوجة لي فهو هذا من غير مجازفة^(١) .

ثم أكد الشيخ أن أخذ هذه الأموال مقابل الفصل بين المتخاصمين قد جر على الناس مشكلات من جراء ما يصاحب التقاضي على هذه الوسيلة من حيف وتحيز لمن يدفع ضد من لا يدفع ، أو لمن يدفع أكثر ضد من يدفع أقل وردا على تأول الممارسين للقضاء بهذه الطريقة أنها لمصلحة الناس وحل مشكلاتهم التي تفرغوا لها قال الشيخ غاربا مثلا على كره المجتمع النجدي لهذه الظاهرة : " وقولهم : نفعل هذا لأجل مصلحة الناس ، فنقول : ما على الناس أضر من ابليس ومنكم ، أذهبت دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك ، هؤلاء أهل شقراء شرطوا لابن اسماعيل^(٢) كل سنة ثلاثة وثلاثين أحمر ،

(١) المصادر السابقة على التوالى ٢٣ ، ١ / ١٨٧

(٢) لقد بحث فيما بين يدي عن تراجم العلماء من آل اسماعيل في الوشم المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم أجد معاصرا له منهم الا الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد ابن اسماعيل الذي يرجع في نسبه الى زهرى بن جراح البكرى فالشورى نسبنا فالسبيعي حلفا أصل بلدتهم عنيزة ثم رحلوا الى أشيقر ورجع بعضهم الى عنيزة ، ولد الشيخ ابراهيم في أشيقر فتلقى العلم على العلماء فيها وخاصة والده حتى تأهل للقضاء والفتيا والتعليم فعين قاضيا في القرائن قرب شقراء وتلمذ عليه طلاب العلم فيها ومن أبرز تلاميذه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين (ولد ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م وتوفي في ١٢ / ٢ / ١٢٣٧ هـ - ٦ / ٤ / ١٨٢٢ م) قاضي الوشم في عهد الامام سعود بن عبد العزيز وابنه عبد الله بن سعود ، توفي الشيخ ابن اسماعيل سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م في القرائن يعد من كبار معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويقترن بالمويس حيث كان على اتصال بمعارضي دعوة الشيخ في نجد والاحساء والبصرة ، ويذكر الشيخ أنه زار قبة أبي طالب في مكة مع بعض رموز المعارضة من علماء نجد وأيد المقدسين لها ضد الشيخ وأتباعه (الشيخ محمد : الرسائل ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٦٧ ، ٢٠٥ ، ٣٠٠ ، الفتاوى ٢٣ ، ٦٣ ، عبد الله البسام : علماء نجد ١ / ١٣٩ ، ١٤٠) .

ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه ، ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي ، فلهم يفعل واختار حرفته الأولى (١)

وتشير بعض القصائد الشعبية الى أن قطاعا عريضا من المجتمع النجدي كان ضد امتهان بعض القضاة للقضاء بقصد الاثراء بسبب ما بدر من بعضهم من تحيز في الحكم فهذا حميدان الشويعر (٢) حطيئة نجد (

(١) الشيخ محمد : الفتاوى ٢٣ ، ابن غنام ١٨٧/١ وقد وردت شقراء خطأ (شقه) بينما وردت سليمة في الفتاوى وتاريخ ابن غنام ، تحريراً الأسد ٤٨٩ ، ولم ترد (سنة) الا في الفتاوى وابن غنام تحريراً الأسد . (٢) هو أشهر شعراء العامية في نجد واسمه على ما ذكر أحد رواة الشعر الشعبي مؤخرًا - حمد بن ناصر السيارى من الجبور من بني خالد ولقب بحميدان الشويعر تصغير حمد وتحقيرا لشعره لسلطة لسانه فيه ولد في القصب - إحدى بلدان الوشم - وفيها نشأ وبدأ يقرع الشعر الذي من أبرز ملامحه خلط الجد بالهزل في أى مجال يريد طرقة ، يعد حميدان حطيئة نجد في عصره لانه هجا كل المحيطين به بل هجا نفسه ووالدته وزوجته وابنه وزوجة ابنه ، وهو من شعراء الحكمة ، قيل انه على درجة من العلم ، وشعره مصدر من مصادر الحياة الاجتماعية في نجد قبل الدعوة ، كانت نظرتة للمجتمع سيئة وهذا ما جعل هجاءه شاملا لأغلب بلدان نجد وفئاتها الاجتماعية والعلمية ، وهذا جر عليه المتاعب حتى لقب (كليب القصب) وهرب الى الزبير للعمل فيها ثم عاد الى نجد ليملا الدنيا ويشغل الناس بما قاله عن البلدان النجدية التي مربها من هجاء لبعضها ومدح للبعض الآخر حتى عد ما قاله عنها وعن أهلها سجلا يفتخر به الممدوح ويتوارى منه المهجوس غطت شهرته على شخصيته فلا نعرف تفاصيلها ، يقال انه هجا عبد الله ابن معمر أمير العيينة (ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م) فأهدر دمه فتوسل بزوجة ابن معمر وأخرج فيه قصيدة عصماء حتى عفا عنه وأجازه ، أدرك بدء الدعوة وقومها تقويما صادقا وقيل انه سبها ، عاش حتى هرم وتوفي سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م أو بعدها بقليل الا أن المقارنة بين بعض شعره وبعض الأحداث التاريخية تثبت أنه عاش بعد ذلك فقد شهد أو عاصر معركة الوطبة قرب ثرمدا بين عبدالعزيز بن محمد وأهل ثرمدا سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٤٩ م وأشار اليها في شعره ، كما أشار الى وقعة الغضيلي بضمها سنة ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤ م ، كما ذكر وقعة الصحن قرب ثرمدا سنة ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م وهذه الاشارات تدل على أن حميدان كان عام ١١٨٠ هـ لا يزال على قيد الحياة (ابن غنام

يحذر من بعض هؤلاء القضاة الذين اعتادوا الاشتراط على المتخاصمين دفع أموال مقابل الفصل بينهم وشبههم بالخلق الذى يخلق الدافعين له بآلة حلاقة حادة سريعة فى الحلاقة غير مؤذية، وغير الدافعين يحلقهم بآلة كآلة تؤذى، ثم هو بعد ذلك يحذر المتاجرين بالدين الذين ما من شك أن خطورتهم على المجتمع أشد وضررهم أكبر فقال :

وبالناس من هو يدعى بديانة متمسك بديانته وأوراده
عن الخلايق غافل ويحسن باخذ شريطه مثل جارى العادة
عنده لراعى الصاع موسى جديد واللى بلا صاع له المكراة
فاحذر خداع الخائن المتعبد لو دام ليله والنهار اعباده (١)

وقد أجاد هذا الشاعر تصوير ماقرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن هذه الظاهرة حيث أكد وجود فئة من هؤلاء القضاة الذين يأكلون أموال الناس

(=) ٢/١٥، ٤٤، ٤٥، ابن بشر ١/٤٠، ٤٤، ٦٤ عبد الله البسام
تحفة المشتاق ورقة ٨١، ٨٥ خالد الفرج : ديوان النبط ١/١٤-٧٨
محمد سعيد كمال : الازهار النادية ٩/٣ - ٥٥، عبد المحسن
أبابطين : المجموعة البهية ٦٤-٧٨، محمد القاضى : روضة الناظرين
٣/٣٦٧ وذكر فيها وفاة حميدان سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م وهذا
غير معقول وربما كان تحريفا مطبعيا لسنة ١١٨٨هـ، حمد الجاسر
معجم أنساب الاسرة المتحضرة فى نجد ١/٤٦٤، حمد الحقيلى : كثر
الأنساب ١٤٢، عبد الرحمن المغيرة ٢٩٦، سعد بن نفيسه : اضمامة
من التراث ١٦٨-١٧٢، عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١/١٣٩ -
١٧٣، د. عبد الله الشبل : تاريخ ابن عباد مجلة مركز البحوث ص ،
١١٣، ١١٤ والعثيمين : الشعر العامى مصدر من مصادر تاريخ
نجد بحث منشور ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية مطابع جامعة
الملك سعود ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ١/٣٨٥، ٣٨٦، صحيفة الجزيرة
عدد ٣٨٥٣ الجمعة ٢٥ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ/٨ ابريل ١٨٨٣م،
ص ١٥ العدد ٣٩٣٠، الجمعة ١٤ رمضان ١٤٠٣هـ ص ١٤ من
مقال بقلم الراوية الشعبي ابراهيم اليوسف .

(١) أوراده : جمع ورد وهى أذكار الصباح والمساء، الخلايق : تخفيف
الخلايق، يحسن : يخلق من الحلاقة التى هى التحسين للرأس بحلاقته
يطه : تصغير شرط وهو ماتم الاتفاق عليه، راعى الصاع : صاحب
الصاع والمقصود به الغنى الذى يقدم للحلاق الصاع من القمح أو التمر

باسم التقاضي بينهم بينما لا يحمون حقوقهم بالقضاء العادل النزيه، وأنه قد وجدت بعض الفروق بين أمراء بعض البلدان وبعض القضاة فيها إذ أن بعض الأمراء يفيدون بلدانهم بأقراء أهلها وضيوفها وحمايتها من الأعداء بينما بعض القضاة لا يفيدون إلا أنفسهم وشبههم ببعض الكلاب التي تأكل ما يلقي إليها ولا تحمي ما يوكل إليها حمايتها، وهم يأكلون هذه الرشاوى من مال الغير بينما هم محرومون من أموالهم، وقد ظهرت فيهم صفة الظلم واضحة مبينا لابنه أنه لكي يضمن أن الحق سيكون في صالحه فلا بد إذا جلس هو وخصمه عند من اتصف بهذه الصفة من هؤلاء القضاة أن يرشيه حتى لا ينقلب حقه باطلا عليه، يقول حميدان في هذا :

والله دين باثر ديين من باب الغاط الى ضرر (١)

(=) إذ كان يكال أحيانا كما سيأتى في المكيلات والموزونات، موس : آلة الحلاقة، والمكرادة : تشبه المنحل أو المخلب (المحش) وتكون في الغالب غير حادة وهي نصيحة قال في القاموس والتاج " شارب مكروء أى مقطوع (باب الدال فصل الكاف) .

وعن الأبيات : خالد الفرج : ديوان النبط ١/ ٢٦، ٢٧، محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ٩/ ١٣، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ١/ ١٤٧، عبد المحسن أبابطين : المجموعة البهية : ٧٦ ، د. العثيمين : المرجع السابق ١/ ٣٨٦ وقد روى (ديانتة) (قرايته) ولم أر أحدا من المصادر الشعبية ذكرها وهو قد رجع الى الأزهار النادية التي وردت فيها بلفظ (ديانتة) .

(١) الدين هنا المقصود به اليمين أو القسم ولم أجد لذلك أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة إلا أنه أشتهر عن النجديين وخاصة البادية إطلاق الدين على اليمين، الغاط قيل ان اسمها قديما (لغاط) غير محلاة من لفظ السيل إذا أحدث صوتا حين نزوله من السماء أو من الجبال الى الوديان القريبة، وقيل اسمها مأخوذ من الغط أى الانخفاض، وهى إحدى بلدان سدير وقد ورد ذكرها في معاجم البلدان القديمة على أنها أحد منازل بنى تميم، وقد تمت عمارتها على يد سليمان السديري جد آل السديري أبرز الأسر فيها والذي مدحه حميدان الشويعر وتعد الآن من أهم مدن منطقة سدير، وتقع

(١)	والعالم من ليل اجهم	ان الحاكم ينشر منشار
(٢)	ويفك الدار من العدم	الحاكم ياكل ويوكل
(٣)	فى بيته نعمه وانعم	ولا ضره ماينفذ كفه
(٤)	سحما تاكل ولا تحمى	والعالم يدخل مايطالع

(=) قرب طريق الرياض سدير القصيم تبعد عن الرياض حوالى ٢٥٠ كيلا
ضرمًا : تعرف قديما بقمرًا ويجوز مدها وقصرها ، كانت بين منازل بنسي
نمير ثم سكنها فى حوالى القرن الحادى عشر الهجرى ابتداء لابراهيم
ابن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى ، حدثت فيها عدة وقعات
فى عهد الدولة السعودية الأولى ، وصمد أهلها أمام حملة ابراهيم
باشا فسلط عليها نيرانه فدمرها وأجلى قسما من أهلها ، وهى تقع
الى الجنوب الغربى من الرياض وتبعد عنها حوالى ٨٠ كيلا عن
البلدين انظر (الحسن الأصفهانى : بلاد العرب . تحقيق حمد
الجاسر ، د . صالح العلى ط (١) نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م ص ٢٦٣ ، البكرى : معجم ما استعجم ٢ / ٤٩١ ، ٣٠٤٩٢٠ /
١٠٦٦ / ٤٠١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ياقوت ٤ / ٣٢٩ ، ١٩ / ٥ ، الفاخرى
ص ٨٠ من تعليقات المحقق ، ابن خميس : معجم اليمامة ٢ / ٩٢ - ٩٧ ،
٢٠٩ - ٢١٢ ، صحيفة الجزيرة العدد ٢٧٣١ الاثنين ٣ / ٣ / ١٤٠٠ هـ
٢١ يناير ١٩٨٠ م ص ١٢ من مقابلة مع أمير الغاط) .
(١) ينشر منشار : أى يخرج صباحا للعمل والحاكم هنا المقصود به أمير
البلدة ، أجهم : خرج فى الجبهة وهى نصف الليل الآخر .
(٢) ياكل ويوكل أى يكرم نفسه وضيوفه وفقراء البلد ، يفك الدار : أى يحمى
البلدة وأهلها من الهلاك
(٣) ولا ضره : البيت : أى لا يضره ما تنفقه يمينه لأن هذا يجعل فى بيته
نعمة بل نعما كثيرة .
(٤) والعالم يدخل : كناية عن عدم افادته الآخرين والعالم المقصود به
القاضى ، وسحما : السحم : السواد فصيحة ويقصد بها هنا الكلبة
السوداء التى تأكل ما يلقي اليها ولا تحمي ما يوكل اليها حمايته وهذه
نظرة قاتمة لا يمكن تعميمها على أغلب قضاة نجد قبل الدعوة الا أنه
وجد من يتصف بها كما يوجد بعض الحالات المشابهة فى تاريخ
القضاء وفى هذا الصدد يروى عن القاضي يحيى بن أكرم (ولد
١٥٩ هـ / ٧٧٥ م وتوفى ٢٤٢ هـ / ٧٥٧ م) قوله : (القاضي يأخذ
ولا يعطي ويرتزق ولا يرزق) . (الفيروز آبادى والزيىدى باب
الميم فصل الميم ديوان النبط ١ / ٧٥ ، محمد العبودى : الأمثال
العامة فى نجد ٢ / ٦٣٢ ، ٦٣٣) .

يحب الحامد والجامد من مال الغير الى ولم (١)
والا من ماله محروم ربي رزاق للحرمة (٢)
ولقيت الظلم يا مانع من عام لموه العلم (٣)
لاجتك الطلبة في حلقك وتقابلت انت ويا الخصم (٤)
ودلى بسمع نبط الخصيم ولحقتك الشكة والتهمة (٥)

- (١) الكامد : الساخن أو الحار (فصيحة) والجامد : عكسه وهو الثلج
غير المذاب فصيحة ، الى : اذا ، ولم : جهز فصيحة (الفيرزبادى
والزبيدى باب الدال فصل الجيم والكاف وباب الميم فصل
والسواو .
- (٢) للحرما : أى المحرومين عن الابيات السابقة . خالد الفرج : ديوان النبط
٧٥ ، ٥٦ / ١ ، عبد الله الحاتم : خيار مايلتقط ١٥٢ / ١ محمد سعيد
كمال ٥٦ / ٩ ، والبيت الرابع الذى أوله : " ضره " غير موجود فى
خيار مايلتقط ووضع بدله مع تقديم وتأخير فى الأبيات :
واحد هم فى كبر اللحية حبال حط فيه اطعمه
وفى قوله : " والا من ماله " رويت فى خيار : " والا من كيسه " والمعنى
واحد
- (٣) الظلم : كذا عند الحاتم فى خيار بينما عند الفرج فى ديوان النبط
وكذا فى الازهار النادية (الظالم) ، مانع : ابن الشاعر ، من عام
أى من سنة والمقصود من قديم فكأنه يشير الى قول القاضي يحيى بن
أكرم السالف ، لموه : اجتمعوا عليه ،
- (٤) لا : تخفيف الى وفى بعض مناطق نجد تنطق لي بالياء ، جتك : مخففة
من جاءتك ، الطلبة : الخصومة والمخاصمين ويا ، الخصما : أى المخاصم
- (٥) دلى : أخذ : فصيحة ، نبط الخصيم : أى خلاصة الكلام من الخصم
(فصيحة) ولحقتك الشكة : أى التهمة وعلى هذا فهى تكرر لما بعدها
(الفيرزبادى)

باب الطاء فصل الباء وباب الألف فصل الدال)

فالغز في كفه دينسـا لياه ايضربك اليهمـا (١)

ومع أن حميدان الشويعر اشتهر بنظرته القاتمة تجاه المجتمع النجدي وبالتالي فقد لا يؤخذ كلامه هنا على حقيقته، إلا أن مقارنته بين بعض الأمراء النجديين العاديين الذين يحلون أمور اتباعهم بطريقة شرعية واستفادة عموم الناس مما يأخذونه لأمر الضيافة ومتطلبات الدفاع عن البلد وبين القضاة المرتشين الذين لا يفيدون مجتمعهم لا في فتح أبوابهم لأكرام المحتاجين ولا في الدفاع عن البلد، هذه المقارنة لها سند من الواقع التاريخي سواء من بعض القضاة أو من بعض أمراء البلدان النجدية قبل الدعوة، إذ وجد بعض الأمراء بتلك الصفات الطيبة. (٢)

(١) اللّـقـز : تعنى اعطاء الشئ بخفيه ولم أجد لها أصلاً فيما بين يدي من كتب اللغة : الا أنها بمعنى الدس والدعس التي هي فصحة الدينـسار سيأتى الحديث عنه فى العملات المتداولة فى نجد وربما كان المقصود به هنا الاطلاق فيشمل أى قطعة نقدية كبيرة ، كما أن كل قطعة نقد صغيرة يطلق عليها درهم أحياناً ، لياه : مجموعـن لا وياه والمعنى حتى لا ، يضريك ضرب بتشديد الراء من معانيها البعد أى ابعدك وصرفك ، كما أن من معانيها : الليل البهيم اليهما : الفلاة الواسعة لا يهتدى بها أى لا يبعدك ويصرفك من حقك الى الفلاة الواسعة فى الليل البهيم وهذا منتهى التضييع (الفيروزبادى الزاى فصل الفاء والميم فصل الياء وعن الأبيات خالـد الفرج ٧٦١ عبد الله الحاتم ١٥٢/١ ، محمد سعيد كمال ، الأزهار النادرة ٥٧/٩ ، وقد ضم الضاد فى لا يضريك على أنها من الضرر ولا يستقيم المعنى على هذا .

(٢) من أبرز هؤلاء الأمراء عبد الله بن محمد بن معمر الذي استمر حكمه من سنة ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م الى ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م واستقرت العيينة في عهده ونمت وزاد سكانها وأصبحت منطقة جذب بما توفره من فرص العمل والتجارة ومدحه حميدان الشويعر بقصيدة ، ومن أبرز هؤلاء كذلك الامام محمد بن سعود الذي تولى اماراة الدرعية سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م وتوفي سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م والمقصود هنا أنه كان قبل الدعوة مؤهلاً لاحتضانها فقد كان حسن السيرة كريماً المعاملة لرعيته سخياً (ابن غنام ٣ / ٢ ، ابن بشر ١ / ٢٦٣ / ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، حسن الريكي : لمع الشهاب ص ٤٤ ، ٤٥ ، خالد الفرج ١ / ٥١ - ٥٦) .

وقد أكد الشيخ أحمد بن عطوة وجود فئة من هؤلاء القضاة في نجد منذ فترة متقدمة حينما قال : " ان كبار نجد المطاعين في قراهم الحاكمين عليهم ، اذا اتفق كل واحد منهم هو وعدول قريته ووجوهم على بيع تركه وقضاء دين على الوجه الشرعى ، أن الصادر منهم فى ذلك أصح وأولى وألزم وأثبت مما يصدر عن قضاتهم الذين عليهم ، وعلى من تقليدهم دينهم وأمــــــــــــــــوال المسلمين ، ما يستحق خراب الشريعة لأكثر الله منهم ، ولا من يمضي أقوالهم أسأل الله أن يطفىئ شرهم عن مذهبنا وعن المسلمين ^(١) " .

وما من شك فى أن كلام ابن عطوة - وهو معتمد أهل نجد فى وقته - قد أكد على خطورة هذه المسألة وخاصة حينما تستغل طائفة من القضاة لمناصبها فى الاثراء غير المشروع وعدم العدل بين الناس ، ولا أدل على ذلك من أن ابن عطوة قد حكم بصحة ما يصدر عن أمراء وعدول نجد وأولويته والزامه وثباته فى أى قضية على الوجه الشرعى عما يصدر عن القضاة المرتشين .

ويذكر ابن بشر فى تاريخه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما عاد من رحلاته العلمية خارج نجد وبدأ ينكر ما يراه مخالفا لجوهر الدين فى العقيدة والعمل وقع بينه وبين أبيه كلام ، وبينما لا يوضح ابن بشر سببا لهذا الخلاف ولا درجته ، فان مصدرا لا يزال مجهول المؤلف ينكر أن الأب كان من القضاة الذين يأخذون أجورا على المتخاصمين وأن خلافا قد دار بينه وأبيه حول هذه القضية مما ولد غضبا لدى الشيخ عبد الوهاب على ابنه وأخرجه من بيته وقد أيدت بعض المرويات الشفوية ما ذكره هذا الكتاب ^(٢) .

(١) المنقور ٧٦ / ٢

(٢) ابن بشر ٢١ / ١ ، مؤلف مجهول : كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب دراسة وتحقيق وتعليق د : عبد الله العثيمين ، مطابع دار الهلال ، الرياض نشر دار الملك عبد العزيز ٣٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ولكنه يذكر أن ذلك كان قبل ذهابه الى البصرة ، وهذا فيه نظر ، وانظر د . العثيمين : مقاله السابق فى مجلة كلية الآداب ص ٢

وإذا كنا نعتقد بنزاهة الشيخ عبد الوهاب، وأنه لم يكن يأخذ من المتخاصمين أجورا تؤثر على الحكم، وربما أنه لم يكن يعتقد أن ذلك رشوة كما كان يعتقد ابنه محمد، بل هو في هذا يرى رأى بعض علماء نجد قبل الدعوة الذين أباحوا ذلك إذا توفرت دواعيه بالشروط والاحترازات التي ذكرها هؤلاء العلماء، أو أن عبد الوهاب كان يرى أنها رشوة فعلا ولكنه لا يريد لابنه الاصطدام مع علماء نجد وقضاتها المؤيدين لهذا العمل أو الممارسين له أو أن هذا الخلاف كان حول أسلوب تطبيق مبادئ الدعوة في عمومها ورغبتها أخذ أهل نجد بالتدرج في تطبيق هذه المبادئ وترك ماعليه بعضهم من مخالقات للدين في مجاله العقدي والعملي، وأن مرد هذا الخلاف خوف الشيخ عبد الوهاب على ابنه من جراء الأسلوب الذي اتبعه في بداية دعوته مما أدى إلى تحزب الناس ضده^(١).

وعلى أي حال فإن هذا الخلاف قد أظهر اشاعة أن عبد الوهاب كان يتعاطى الرشوة لأن المؤرخين لم يجدوا سببا لهذا الخلاف، إذ أن عبد الوهاب - شأنه شأن بعض علماء نجد - لم يؤثر عنه التأييد لتلك الانحرافات العقدية في المنطقة علاوة على الإعجاب المطلق بابنه في مرحلة تعلمه الأولى عليه^(٢).

-
- (١) د. العثيمين : المرجع ص ٢، د. محمد جميل غازي مجدد القرن الثاني عشر الهجري الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب، نشر مكتبة المدني ومطبعتها، القاهرة، جدة ص ٢٥-٢٧.
- (٢) ابن غنام ١/ ٢٥، ٢٦، بل أثر عنه معارضته لها وقد ورد ذلك في رسالة للشيخ عبد الوهاب الى عبد الله بن أحمد بن سحيم عن الذين يسمون أنفسهم الفقراء وهم من كانوا يأتون ببعض الحركات السحرية التي يموهون بها على الناس عن طريق ما يسمونه (الزار) وما يتبعه من عبث بذكر الله وصد عن الصلاة وأكد الشيخ عبد الوهاب فيها أن بعض البلدان النجدية قد اعتادوا التسلية بمثل هذه الأمور مشددا النكير على ذلك بأن لا يصلي خلف من حضر مثل هذه الاجتماعات ولا تقبل شهادته : (محمد جميل غازي المرجع السابق ٢٦) .

والمهم أن هذا الخلاف مهما كان سببه فليس بمأخذ على الدعوة أو صاحبها الذي كان محترماً لأبيه طيلة حياته فخفف من حدة مواجهته للأوضاع السيئة التي يريد اصلاحها واستمر على دعوته بصورة أقل مما أصبحت عليه بعد وفاة والده، وركز على التعليم وتأليف كتابه التوحيد^(١)، حتى إذا توفي والده سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م أصبح الشيخ محمد أبرز شخصية علمية في حريملاء^(٢)، وانتشرت سمعته في البلدان الأخرى، وبدأت وفود بعض الطلبة تصل اليه وهو في حريملاء لتلقي العلم على يديه في مسجدها وسماع دعوته، وبدأ الشيخ بالصدع بدعوته في حريملاء وهو ما اعتبره المؤرخون المرحلة الأولى لتطبيق الدعوة السلفية^(٣).

والواقع أن عرضاً لهذه القضية بهذا القدر من التوضيح من الشيخ محمد وعلماء نجد قبل الدعوة، والشعر العامي الذي يصور جانباً من مظاهر الحياة الاجتماعية لدليل على ممارسة فئة لا يستهان بها من قضاة نجد قبل

(١) قيل انه ألفه في البصرة وقيل في حريملاء وربما أنه بدأ فيه في البصرة وأكمله في حريملاء (ابن غنام ٣٠ / ١ ، ابن قاسم ١٨٥ / ١ د. العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٦) .

(٢) حريملاء : ذكرها البكري باسم حرملاء وذكر أنها موضع تلاقٍ ملهم وسميت بهذا الاسم لانه يكثر فيها وحولها شجر الحرمل الذي يستعمله أهل نجد لعلاج بعض الأمراض الجلدية ثم صغرت بعد ذلك، عمرت بعد القرن العاشر الهجري على يد آل أبي رباح من عنزة ثم أصبح لها مكانة تنافس العينينة مما حدا بالشيخ عبد الوهاب بن سليمان للرحيل اليها اثر خلافه مع محمد بن حمد بن معمر (خرفاش) ثم وصل اليها ابنه محمد بعد انتهاء رحلاته العلمية ، وتعد الآن قاعدة منطقة الشعيب المعروفة قديماً بقران وهي تتبع امانة منطقة الرياض وانجبت عدداً من العلماء ولها تاريخ حافل (البكري ٢ / ٤٤٠ ، ابن بشر ٢ / ٢٠٥ ، ابن عيسى ٥٢ ، ٥٣ ، ابن بليهد صحيح الأخبار ٢٢ / ٣ ، ٢٣ ، ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه تحقيق د . محمد بن سعد بن حسين مطابع الاشعاع ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، حمد الجاسر : مدينة الرياض ٤٧ ، ٤٨ ، عبد الله بن خميس ، معجم اليمامة ١ / ١١٣ ، ٣٢٢ ، ناصر الطعيس : مدينة حريملاء ط (١) مطابع المجد التجارية الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م الكتاب بأكمله) .

(٣) د . عبد الله الشبل : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٤٤ ، د . العثيمين : المرجع السابق ٤٦ .

الدعوة لهذا العمل على اختلاف فيما بينهم في درجة هذه الممارسة وتأثير ذلك على سير أحكامهم الشرعية عدلاً أو حيفاً ، وهذا بدوره انعكس على استغلال بعض النجديين لهذه الظاهرة في توجيه بعض الأقضية أو الفتاوى لتساير أهواءهم وعاداتهم .

٢- أمثلة لبعض عادات النجديين المخالفة للشرع:

لقد وجدت بعض المظاهر الاجتماعية التي خالف فيها بعض النجديين تنظيم الشرع لها ، وداراهم فيها بعض علماء نجد تحت تأثير العامل السابق أو تحت تأثير حقيقة مراعاة الشريعة للعرف في القضايا التي لم يرد فيها نص أو إجماع أو قياس ، وأبرز هذه المظاهر تدرج تحت أحكام المياه وأحياء الموات والبيوع والوقف .

ففي مجال الزراعة وفي موضوع الري عن طريق المطر جرت عادة أهل نجد منذ وقت متقدم وحتى الآن أن أغلب مزارع المنطقة تروى مما يقابلها من مياه الوديان بلا تدخل من أحد فيه وبالتالي فهي تملك ما يقابلها إلى الوادي ولو لم يتم إحياء للأرض وهذا ما يسمى في عرف النجديين (القبالة أو القبلة أو المسابل) أخذاً من كون الأرض قبالة الوادي الذي هو مسيل لها ويتحكم صاحب الأرض في مياه الوادي المقابلة له مما قد يحدث ضرراً في بقية الأراضي الزراعية الأخرى التي تصل إلى الوادي بشح المياه عنها وقد ذكر المنقور في مجموعه أن هذه العادة بخلاف الشرع وأنه وجد مسألة لشيخه ابن ذهلان في حكم المياه واستغلالها على الوجه الشرعي الصحيح

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان من آل سحوب (سحبان) الذين يرجعون في نسبهم إلى زعب من بني سليم أو إلى بني خالد - على خلاف بين النسابة - ولعل السحوب من زعب ودخلوا في حلف مع بني خالد فترة ضعف زعب وقوة بني خالد ، ولد الشيخ عبد الله في العيينة وتلمذ على علمائها وعلى قاضي الرياض الشيخ أحمد بن ناصر ابن مشرف والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف والشيخ محمد أحمد بن اسماعيل والشيخ سليمان بن علي بن مشرف ثم تولى بعد ذلك قضاء الرياض وقام بذلك مع الافتاء والتدريس والامامة

بين فيها أن الماء مما يشترك فيه الناس كما ورد في الحديث (الناس شركاء في ثلاث: الماء والهواء والكلا)^(١).

يقول المنقور في هذا الموضوع: " وهذه مسألة وجدت بها بخط شيخنا (ويقصد ابن ذهلان) وأشار لنا بكتابتها ، وقال : العمل عليها ، لكن لا نقدر على العمل بها ، لأن عادات أهل نجد في السيل بخلاف الشرع فنترك الكلام

(=) والخطابة وتتلذذ عليه عدد من العلماء من أبرزهم الشيخ عثمان بن قائد والشيخ محمد بن ربيعة العوسجي والشيخ محمد بن أحمد المنقور وعدد غير هؤلاء العلماء ، وكان المنقور خاصة ينقل كثيرا من آرائه وفتاويه وتقريراته في كتابه : (الفواكه العديدة) وتكاد لا تخلو صفحة من هذا الكتاب من نقل أو أكثر فهو المقصود بقوله : (شيخنا) توفي في ١٢/٨/١٠٩٩ هـ / ٤/١١/٦٨٨ م وذكر ابن ربيعة أنه في آخر ليالي الحج ونقل البسام في علماء نجد أنه ثاني الاضحى عن المنقور ويبدو أنه خطأ مطبعي عن ثامن التي وردت في المنقور (المنقور التاريخ ١٤، ١٥، ١٧، ٣٤، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٥، الفواكه العديدة ٣٩٢/٢، ابن ربيعة: التاريخ : ١٢، ١٣، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ابن حميد : السحب الوايلة ورقة ١٦٤، ١٦٥، ابن بشر ٢/٢١٨، ٢١٩، ابن عيسى ٧٣، ٧٤ وقد ذكر أن وفاة الشيخ عبد الله مع أخيه عبد الرحمن في ٩/١٢/١٠٩٩ هـ ، عبد الله محمد البسام: تحفة المشتاق ورقة ٥٥، حمد الجاسر: أنساب الأسر المتحضرة ١/٢٨٢، ٢٨٣، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد ٢/٦٢٠ - ٦٢٢، محمد القاضي : روضة الناظرين ١/٣١٠، (٣١١).

(٢) المنقور : الفواكه ٣٩٢/١ وقد ورد هذا الحديث في مسند الامام أحمد بن حنبل بسنده عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم يسمه - بلفظ (المسلمون شركاء) في ثلاث: في الماء والكلا والنار) ، ورواه أبو داود بلفظه عن رجل من المهاجرين ممن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا أسمعته يقول : (الناس . . الحديث) وساقه بلفظه مع تقديم وتأخير بين هذه الثلاث ، ورواه ابن ماجه بسنده بلفظ المسند بعد : (الناس النار) " وثمنه حرام . " ورواه هنا ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه بسند آخر عن أبي هريرة بلفظ : (ثلاث لا يمتنعن

(١)

بسبب ذلك ومقصوده هو ترك اعلان هذا الحكم على عامة النجديين لما قد يحدثه من زيادة في المنازعات الا أن المنقور أثبت اجابة شيخه الذى قال : " اعلم أيها السائل عن حكم المياه أنها لا تخلو من حالتين : اما أن تكون فى نهر ، أو واد كبير لا يتشاح الناس فى الشرب منه فلكل من الناس أن يسقى ماشاء كيف شاء ، وأما مياه الأمطار والأنهار الصغار فلمن فى أعلاه أن يسقى ويحبس الماء الى الكعب ، ثم يرسله الى جاره الأعلى فالأعلى على هذه الصفة ، وإذا أحيا سابق فى أسفله ثم ثان فوفا ثم ثالث ، سقى المحيى أولا ثم الثانى بعده ، ثم الثالث ، ولو كان أقرب الى فوفا النهر ، فالمحيى أولا أولى ، ولا يملكه بالسبق ، لان الماء لا يملك ، لكنه أحق بالبداية بالشرب منه لأجل سبقه ، فلا يملك اجارة فضله ، ولا يخرج على مشيئته بل يجب لمن أحيا بعده أن يشرب الفاضل عنه بغير خلاف فى المذهب لقول النبى صلى الله عليه وسلم : " الناس شركاء فى ثلاث : الماء والهواء والكلا " لا يملك منه الا ما قبضه وحازه فان استوى اثنان فى القرب ، اقتسما على قدر الأرض ان أمكن

(=) الماء والكلا والنار) كما رواه بسند آخر عن عائشة رضى الله عتعا

قالت : يا رسول الله : ما الشئ الذى لا يحل منعه ؟ قال : (الماء والملح والنار) وذكر الحديث بتمامه فى حوار بين عائشة وبين النبى صلى الله عليه وسلم عن سبب حرمة منع هذه الثلاث . (الامام أحمد ابن حنبل المسند ٣٦٤ / ٥ ، أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني : السنن تعليق عزت الدعاس ، عادل السيد ط (١) نشر وتوزيع دار الحديث حص ٣ / ٧٥٠ ، ٧٥١ كتاب البيوع والاجارات ، ابن ماجه : محمد بن يزيد : السنن تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار احياء التراث العربى . بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٨ م ٢ / ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، كتاب الرهون ، باب المسلمون شركاء فى ثلاث) .

(١) المنقور : الفواكه ٣٩١ / ١ ، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الرسائل الشخصية ص ٦٣ الى صعوبة مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام .

والا أفرع، وعلى كل وجه لا يملك المحيي أولاً من هذا الماء غير شرب أرضه منه، وزرعه، ثم هو للآخر، ولا يملك ما قرب من العامر الى آخره، فليس لأهل هذا السيل الا ممر سيلهم من غير ملك وهذا بغير خلاف علمته فـ المذهب" ثم نقل تأكيداً لأحد علماء نجد أن هذا الجواب على قاعـدة صحيح المذهب، ونقل عن عالم آخر: "نظرت في هذه الفتيا فاذا هي على ضابط الشرع الشريف موافقة للصواب^(١)".

وتشير المصادر التاريخية الى أن الأمطار اذا هطلت على بعض مناطق نجد التي تعتمد اعتماداً كلياً عليها فانه تحصل منازعات حول توجيه هذه المياه مما يؤدي الى ضياع حقوق بعض الأسر الضعيفة في الاستفادة من هذه الأمطار وهذا ما يدفع بها الى ترك مجال الزراعة للأقوياء أو هجر بلدانها تماماً كما تفعل في سنى الشدة وانكسار الحال، وما من شك أنـ

(١) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٩١، ٣٩٢، وهذه الفتوى جاءت مباشرة بعد تلك الإشارة عن صعوبة العمل بها فهي المقصودة بتلك المسألة، وكانت من تقارير الشيخ اسماعيل بن ربيع (تحوالى ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م) والذي أكد عليها الشيخ زامل بن سلطـان (ستأتى ترجمته في هذا الفصل ان شاء الله) وأكد عليها ثانية الشيخ سليمان بن محمد بن شمس (من علماء القرن العاشر).

(٢) لقد حفل التاريخ النجدى بعدة منازعات حول توجيه مياه الأمطار للمزارع ومن أبرز هذه المنازعات في هذا المجال قصة محمد وقيل راشد أبى دباس فى بلدة العودة فى سدير، وفحواها أن ابنه دباسا اضطر للسفر خارج نجد للعمل فى العراق فصرف جيرانه مياه الأمطار الى مزارعهم فأصبح فى ضيق من العيش علاوة على تعدى هؤلاء الجيران وتطاولهم عليه فأرسل لابنه قصيدة تعد من أشهر القصائد فى الشعر العامى قبل الدعوة وهى قصيدة مؤثرة مليئة بمعانى الوجد على ابنه وشكوى الحال لله ثم لابنه الذى أرسل لأبيه بعد ذلك قصيدة على نسق قصيدة أبيه يعده فيها بالقدوم والثأر له، ثم لما عاد قام بصرف الماء الى نخيل والده ثم حدثت مذبحة بعد ذلك بين دباس وجيران أبيه. (عبد المحسن أبابطين ٣١-٣٥، ابن نفيسة منوعات شعبية ٧٣ - ٧٨، ويروى أن هذه القصة كانت عام ١١٥٠هـ /

١٧٣٨م،

الحاتم: خيار ١/ ٢٦٣ - ٢٦٨، الأزهار القادية ١/ ١٩٠ - ٢٠١).

لولا مداراة بعض علماء نجد قبل الدعوة للأقوياء لما تمكنوا من هضم حقوق الذين لاحول لهم ولا قوة لان هؤلاء العلماء قد قرروا في مؤلفاتهم الفقهية - مستنديين في ذلك على القواعد الشرعية - أن السيل من المصالح العامة فلا يكون ملكا وان كان الأول في مجراه أحق بالتقدم في الاستفادة منه لاحبيه عن المسلمين^(١).

وقد أدت مداراة بعض فقهاء نجد قبل الدعوة لبعض أهلها الى كثير من المنازعات والمقاتلات في موضوع احياء الموات اذ يحصل كثيرا أن تحمي أسرة أو قبيلة أرضا مواتا في أصلها وتستمر على ذلك الحمى فترة طويلة ولا تفعل فيها أى علامة من علامات الاحياء الشرعية حتى اذا جاء من يريد احياءها احياء شرعيا ويفيد المجتمع منها عن طريق زراعتها فانهم يقاتلونهم وينازعونهم مهما كان معه من حجج شرعية معروفة، ومن هنا ندرك أن هذه المداراة في هذا الباب عامل من عوامل عدم استقرار الحياة الأمنية في نجد قبل الدعوة بسبب ما يحصل من نزاع بين بعض الأفراد والأسر أو بين بعض البلدان النجدية المتقاربة.^(٢)

-
- (١) المنقور: المصدر السابق ١ / ٣٩١، وأساس هذا قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيل وادي مهزوز في المدينة حينما حصل حول توجيه مياهه نزاع فقضى فيه صلى الله عليه وسلم أن يسقى الأعلى الى الكعبين ثم يرسل الى الأسفل، كما حصل بين الزبير بن العوام وأحد الانصار حول أحد المسائل التي تسقى منها نخيل المدينة فقضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسقى الزبير ثم يرسله الى جاره فغضب الانصارى قائلا: يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا زبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر، فقال الزبير: والله اني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ٦٥ سورة النساء) ٠ (ابن ماجه : السنن ٢ / ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، البكري : معجم ما استعجم ٤ / ١٢٧٥ ، ياقوت ٥ / ٢٣٤ ، ٢٣٥) .
- (٢) ابن قاسم : الدرر ٥ / ٢٣٣

ولما كان أسلوب البيع والشراء يخضع لتقارير علماء نجد وفقهاءها قبل الدعوة كما سيأتي بيان ذلك فقد وجد بعض أهل نجد في مدارات بعض العلماء لهم مدخلا للتعامل ببعض أنواع البيوع غير الشرعية ، وأبرز مثل على ذلك استغلال أحد أنواع البيوع الشرعية وهو بيع الذمة الذي كان منتشرا في نجد والذي كان الغرض منه امهال ذى العسرة الى الميسرة بتوفير ما يحتاج اليه من مؤن أو نقود ، وقد تمثل هذا الاستغلال برفع السعر غاليا بدل التأجيل ، وقلب الدين بزيادة اذا حل ولم يستطع المدين الوفاء حيث يجعلون الدين السابق برحمة رأس المال ويضاف اليه الربح للسنة القادمة وهكذا الى أن يثقل ذلك كاهل المستدين فلا يستطيع الوفاء ويستولى البائع أو الدائن على ماتم رهنه من حيوانات أو عقار أو مزارع ، وكانوا يتحيلون على الربا بقلب الدين بما يسمونه (التصحيح) وهو أن يحضر المدين بضعة دراهم من الدين السابق المراد قلبه ويتم العقد عليه ، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى هذا التحيل بالبطلان ناعيا على بعض علماء نجد مدارة بعض أهلها في اقرار مثل هذه الحيل التي وصفها الشيخ بالحيلة الملعونة مغلظا الربا مؤكدا أن بعضا من أهل المنطقة قد استمرأ هذا النوع من البيوع ونشأ عليه نشأة يصعب عليه تركها بسبب فعل الآباء والأجداد لها وتأيد بعض علماء نجد لهم أو سكوتهم عن انكاره مع اقرارهم بحرمة في كتبهم الفقهية .^(٢)

وفي مجال الوقف أثر عن بعض النجديين قبل الدعوة ايقال ماله كله أو بعضه والقصد من ذلك حرمان بعض أولاده من الاناث ونسلهن ، أو يحرم أولاد الاناث خاصة ويخص بماله الذكور وأولادهم ، وقد حدث نقاش علمي حول

(١) انظر أساليب البيع والشراء ضمن الباب الثالث

(٢) الشيخ محمد : الفتاوى ١٥، ٨٢-٨٤ ابن غنام ١/٢١٤، ٢١٥ ،

ابن قاسم : الدرر ٥/٦١، ٦٢، ١٠٢

هذه القضية في القرن العاشر الهجري في وثيقة جلييلة بنت عبد المحسن ابن سعيد في بلدة مقرن^(١) التي أوقفت خمس مزرعتها على اختها مريم وعلى نسلها وما تناسلوا ، وقد حدث نزاع بين ابن مريم وهو راشد ، وزوج ابنته لأخيه عساكر في شمول أولاده من ابنة عساكر في هذا الوقف ، وقد حكم الشيخ ناصر بن محمد بن بريد بدخول أولاد بنات عساكر بن مريم في هذا الوقف بينما حكم الشيخ زامل بل سلطان بصحة الوقف على راشد وعساكر

-
- (١) مقرن : بلدة قديمة وكانت مع معكال وبعض الأحياء الأخرى تنتظمها حجر اليمامة (الرياض) ثم انفصلت عنها ، وكانت قاعدة الحكم والإدارة في الرياض وقد اتحدت مع معكال في عهد دها م بن دواس ، وانضمت بعد ذلك منقوحة وبقيّة أحياء الرياض الحالية ، وتشير بعض الأبيات الشعبية الى وجود بعض المعارك بينها وبين معكال ، ويرز فيها عدد من العلماء منذ القرن التاسع الهجري (حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ٨٧-٩٤ ، ابن خميس : معجم اليمامة ٢/٣٨٤ ، ٣٨٥ ، خالد السليمان : معجم مدينة الرياض ص ٢٣٣-٢٤٢)
- (٢) هو الشيخ ناصر بن محمد بن عبد القادر بن راشد بن بريد بن مشرف ولد في أشيقر ونشأ بها وتعلم على علماءها ومن أبرز مشائخه والسده تلميذ ابن عطوة وتلمذ عليه عدد من العلماء أبرزهم ابنه محمد بن ناصر ، وأحمد بن ناصر (ت ١٠٤٩ هـ / ١٦٢٩ م) ولم أقف على تاريخ وفاته لكنه من علماء أشيقر في القرن العاشر الهجري ، وقد أورد المنقور في الفواكه عددا من أحكامه وأقصيته يشير بعضها الى نقله من علماء الشافعية وتمذهبه بالمذهب الشافعي أحيانا فقد قال بعد اثبات كلامه على الوثيقة السابقة ١ / ٤٧٨ : (كاتيه ناصر من أهل العلم الشافعي) (المنقور : الفواكه ١ / ٦٢٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤ ، ٥١٨ / ٢ ، ٤٨ ، ١٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٤٦) وكان تاريخ وثيقة جلييلة سنة ٩٦٩ هـ ، وأورد رأيه في وثيقة أخرى بخطه تاريخها رجب ٩٨٣ هـ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٣ / ٩٦٥) .
- (٣) هو الشيخ زامل بن سلطان بن زامل الخطيب اليزيدي الحنفي نسباً المقرنى بلداً ، ولد في مقرن وتلقى العلم الأولى فيها ثم رحل الى الشام ولازم شيخ المذهب الحنبلي موسى الحجاوي ثم تفقه عليه واجازه ثم مد رحلته الى مصر فالتقى بقاضي الحنابلة فيها الشيخ محمد بن أحمد الفتوح المعروف بابن النجار ، فتلمذ عليه حتى أدرك في الفقه الحنبلي وأصح من المحققين فيه ثم رجع الى نجد

(١)

وعلى نسلهما فقط ولا يدخل في الوقف المذكور أولاد بناتهما .

هذا ملخص موجز لهذه الوثيقة ويبدو أن علماء نجد قبل هــ هذه القضية ويعدها قد انقسموا الى قسمين . قسم يدخل أولاد البنات في الوقف اذا وجدت قرينة صريحة في وثيقة الوقف على دخولهم وقسم لا يرى دخولهم في ذلك مهما وجد من قرائن ، وما من شك أنه في اطار النظرة المتدنيـة للمرأة عند حضر نجد قبل الدعوة كما سيأتى وجد أناس من هؤلاء يستغلون رأى القسم الثانى من علماء نجد فى حرمان زوجاتهم وبناتهم ونسلهن من أى وصية يوصون بها^(٢) .

وقد أفاد أحد علماء الدعوة أنه لم يقل أحد من العلماء أن أولاد البنات غير داخلين فى الذرية الا متأخر والحنابلة ، وقولهم هذا ضعيف مخالف للدليل وليس معهم الا قول الشاعر :

بنونا بنو أبائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباـعد

وهذا دليل ساقط لا يعارض به الكتاب والسنة ، وهذا قول شيخ

(=) فأخذ فى نشر ما تحصل عليه من علم فى بلدته مقرر ونجد عامة فرحل اليه الطلاب واستفادوا منه ورجح الشيخ البسام فى علماء نجد أن الشيخ زامل بن موسى بن سلطان بن زامل الخطيب ، حفيد له ، وتولى الشيخ زامل ابن سلطان قضاء الرياض ، ويبدو أن وفاته فى أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادى عشر . (المنقور : الفواكه
٣١٦ / ١ ، ٢٩٥ ، ٣٩٢ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٢ / ١٠٤ ، ٣١٦ / ١ ، ٣٨٦ ، ابن بشر ٢ / ١٩٥ ، البسام : علماء نجد ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ وذكر أنه لم يصل اليـنا من اجوبته وفتاويه وأقضيته الا حكمه فى وثيقة وقف جليـلة بنت عبد المحسن والواقع أن المنقور قد جمع فى الفواكه عددا من أقضيته وأحكامه فى كثير من المواضع وما ذكرته هنا فليس الا على سبيل المثال لا الحصر)

(١) المنقور : المصدر السابق ١ / ٤٧٨ - ٤٨١

(٢) المنقور : المصدر السابق ١ / ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ .

(١)
الاسلام وقد ما^١ الأصحاب وقد تشبث بهذا البيت قسم من النجديين ،
وداراهم فيه بعض علماء نجد قبل الدعوة انسجاما مع نظرتهم للمرأة ، هذه
النظرة التي شنع عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة بعده
وخاصة في رسالة الشيخ عن وقف الجنف والاثم^(٢) ، والتي كتبها ردا على معارضة
سليمان بن سحيم الذي ذكر من جملة القضايا التي أخذها على الشيخ وذكرها
في رسالته الى علماء المسلمين أن الشيخ يقطع بفساد الوقف ويكذب المروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا^(٣) ، والواقع أن الشيخ
كان هدفه ابطال الوقف المقصود به التحيل لحرمان الزوجة أو اعطاء بعض
الأولاد أو حرمان نسل البنات ، ولما انكر ذلك قامت قيامة بعض علماء نجد ممن
انساقوا مع العامة في هذه النظرة لانه خالف عاداتهم وأقوال متأخري الحنابلة
في اقرارهم لهذا الوقف الذي ليس له غاية الا تغيير فرائض الله بحيلة
الوقف^(٤) .

هذه أمثلة لبعض العادات النجدية المخالفة للشرع وسيرد ذكر
أمثلة أخرى في مواضعها في هذه الرسالة^(٥) ، وهي تصور جانبها من الانحراف

-
- (١) المقصود بشيخ الاسلام ابن تيمية وقد ما^١ الأصحاب أى متقدمي المذهب
الحنبلى ، ابن قاسم : الدرر ٥ / ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وقد نقل هذا الرأى
عن الشيخ حمد بن عبد العزيز - ولعله العوسجى - (ت ١٣٣٠ هـ /
١٩١١ م) الذى تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
(ت ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م) ونقل عنه هذه الفتوى .
(٢) أخذ الشيخ عنوان هذه الرسالة من قول الله عز وجل (فمن خاف من
موصى جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) البقرة
آية ١٨٢
(٣) ابن غنام ١ / ١١٢ .
(٤) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ص ٧٨ ، ٧٩ ، ابن غنام ١ / ١٢٤ ،
١٢٥ ، ابن قاسم : الدرر ٥ / ٢٦٦ ، وسيرد الحديث عن جوانب
من هذه المسألة عند بحث وضع المرأة في حاضرة نجد قبل الدعوة .
(٥) توجد بعض أساليب البيع والشراء غير الشرعية سيرد الحديث عنها
ضمن الباب الثالث ان شاء الله .

فى الحياة الدينية غير العقدية عند حضر نجد قبل الدعوة، وما من شك أن وراء ذلك عاملين رئيسيين : الأول ذكره الشيخ محمد نفسه وهو التمسك بالعوادات ولو كانت مخالفة للشرع وسبب ذلك الجهل والغفلة والاعراض عن تعلم دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا العامل أشار الشيخ الى كونه سببا رئيسا لانتشار بعض الشراكيات، وهو سبب لوجود بعض العوادات المخالفة للشرع كذلك^(١)، والمقصود من ذلك أن غالب النجديين سيطرت عليهم الأمية قبل الدعوة، لأن التعليم كان محدودا بين العلماء وأسراهم أو من يستطع التفرغ له.

وأما العامل الثانى فهو مداراة بعض علماء نجد لعامتها فى اقرار بعض العوادات ولو كانت بخلاف الشرع^(٢)، وهذا مرتبط بأخذ بعض القضاة أجورا مقابل الفصل بين المتخاصمين كما مر.

(١) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية : ٦٢، ٦٣، ١٧٢، ١٧٣، ابن غنام ١/١١٣، ١١٤، ابن قاسم : ١/٧٢، ٨/٥٢، ٥٣.
(٢) الشيخ محمد : المصدر السابق ٦٣، ابن غنام ١/١١٤، ابن قاسم ٨/٥٣.

الفصل الثاني مظاهر الالتزام بالدين

لقد سبقت الإشارة الى أن الحال الدينية لم تكن بالصورة التي أبرزتها بعض المصادر المؤيدة للدعوة في أن أهل نجد قد خلعوا ريقـة الاسلام والدين وأنهم في جاهلية جهلاء وأنهم يضيعون الصلوات ويمنعون الزكاة ويشربون المسكرات وأن كافة أنواع الشرك موجودة فيهم، وسائر الطرق البدعية والصوفية متغلغلة فيما بينهم^(١).

وقد سبق ذكر بعض البدع في منطقة نجد قبل الدعوة مع بيان اقتصار كثير منها على منطقة معينة وفئات محدودة من السكان في هذه المنطقة كذلك، وأنه لولا موقف بعض العلماء السلبى والمدارى أحيانا لما وجد لهذه البدع أثر في المنطقة لأن أكثر سكانها اما بادية أو حاضرة يغلب عليهم الطابع البدوى ويمارسون حياة متداخلة بين البداوة والتحضر ومـعـروف

(١) ابن غنام ٧/١، محمد بشير السهسوانى : صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ط (٤) مطابع القصيم . الرياض نشر دار الافتاء السعودية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ص ١٥٤، احمد عبد الغفور عطار محمد بن عبد الوهاب ط (١) ٣٨٧هـ / ١٩٦٧م مطابع دار العلم للملايين بيروت ص ٢٥ - ٣٥، وقد اطلق العنان لقلبه الأدبى ليصور حياة أهل نجد الدينية تصويرا ادبيا لا يمت الى الحقيقة اذ صورها على انها مسرح تؤدى عليه اداء الهمجية وسائر اخلاق الرذيلة مما يتيح للخيال أن يتصور ما يشاء عنها واغفل أو تغافل كل خلق كريم لاهلها أو تمسك الدين وإن لم يكن بالصورة المثلى التي أصبحت الحال عليها بعد قيام الدعوة السلفية المباركة، ولقد كان ولعمري كبيرا في تلك الصورة التي رسمها ابن غنام للحياة الدينية في نجد قبل الدعوة اذ ضخمها وأضفى عليها من أسلوبه الادبى ما جعلها بصورها اشد جاهلية وكفرا من الجاهلية الاولى، ورحم الله امام هذه الدعوة فقد كان واقعيًا في ذكره للجوانب السيئة والحسنة للحياة الدينية عند حضر نجد، وكان ابن غنام كذلك مقتصدا في ذكره للجوانب السيئة لهذه الحياة في حدود معرفته لبعض المناطق .

(٢) ولعل ذلك لحكمة أرادها الله عز وجل حتى تبقى منطقة نجد بكرى لاي محاولة اصلاح، وحتى تلقى هذه الدعوة مجالا رحبا لتجديد ما اندرس من معالم الدين اذ لو قامت محاولات محدودة من هذا القبيل لتعود الناس عليها ولم يتفاعلوا مع تلك الحركة القوية الشاملة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد حدث مثل هذه المحاولات المحدودة في بعض البلدان المجاورة فكان مصيرها الفشل (الجبرتي : عجائب الآثار ١/٨٣ - ٨٦ عبد المتعال الصعيدي : المجددون في الاسلام ٤٣٠) .

أن البدوى وشبه البدوى هما أقرب الناس الى الفطرة وصفاً العقيدة
(١)
وسلفية المنهج .

وهدف هذه المصادر واضح وهو التأكيد على فضل دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب على المجتمع النجدى ، ذلك الفضل الذى لا ينكره
الا مكابر لأنه فضل عم هذا المجتمع بجميع فئاته علما أن فضل دعوة الشيخ
محمد رحمه الله قد عم سائر المناطق التى شملتها الدولة السعودية
فى أواخرها الثلاثة وكذلك انتشرت هذه الدعوة المباركة فى مناطق أخرى
من العالم الاسلامى مما لا مجال للتفصيل فيه هنا ، (٢)

(١) يروى فى هذا المجال عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : " ما قوم
أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم " وقوله : " عليك بدين الصبى
الذى فى الكتاب والاعرابى واله عما سواهما " كما يروى عن أحد العلماء
قوله : " اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب " ويقول
المستشرق دارفيو : " ان البدو متدينون ولا ريب ولكنهم يأتون فى أغلب
الأحيان على ذكر الله ولا يقرنون بذكره الا القليل من الدين لأن أحدا
لم يلقنهم اياه " والمقصود أن عناصر التدين متأصلة فى حياة النجديين
عموماً لأن أغلبهم اما بادية أو يعيشون حياة متداخلة بين البداوة والحضارة
(أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد دار الفكر
بيروت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م ٣ / ٤ ، عبد الرحمن بن على بن الجوزى :
سيرة عمر بن عبد العزيز مطبعة الامام . القاهرة ص ٥٤ ، جاكليسن
بيرين ، اكتشاف جزيرة العرب دار الكاتب العربى بيروت ، مكتبة
النهضة : بغداد ص ١٢٤ ، رسالة الماجستير للباحث الفصل الثانى
من الباب الثانى ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

(٢) د . عبد الله الشبل : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ٦٧-٧٢ ،
أحمد بن حجر آل ابوطامى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ط (٢)
مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٥هـ ص ٧٧-٨٠ ، سيرتوماس ، أرنولد : الدعوة
الى الاسلام ترجمة د . حسن ابراهيم حسن وزمليه ط (٣) ١٩٧٠ م
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٣١٥ ، ٣٦٠ - ٣٦٤ ، ٤١٠ ، ٤٦٨ ،
٤٦٩ ، محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
خارج الجزيرة العربية ، مطابع نجد التجارية ، نشر دار المطبع
عبد العزيز ، الرياض ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م الكتاب بأكمله والواقع
أن تأثر بعض الحركات الاصلاحية فى العالم الاسلامى بدعوة الشيخ

وقد فات هذه المصادر وغيرها أن الشيخ محمد نفسه كان من أبرز من قرر أن قطاعا عريضا من المجتمع النجدى الحضري ملتزم بأحكام الشريعة وأركان الدين، ويبدو أن الشيخ كان يرى أن هذا الالتزام يمكن أن يكون أرضية جيدة نحو تجديد الدين وإصلاح المجتمع مما حدا به إلى الثناء على الحضر في أكثر من موضع.

وكان هذا الثناء واضحا في عقد الشيخ مقارنة بين الحياة الدينية عند بدو نجد وحضرها حيث ذم الأولين ومدح الآخرين في عدة تقارير له عن الدين عند البدو، ففي إحدى رسائله الشخصية يؤكد الشيخ: "أن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول صلى الله عليه وسلم عند الحضر^(١)".

وفي رسالة أخرى أكد الشيخ حقيقة اشتهر بها البدو في فترات الجهالة ويمكن إدراجها في نطاق النظرة المتبادلة بين البدو والحضر

(=) محمد بن عبد الوهاب . قد أسئ فهمه لدى بعض الباحثين فعلى سبيل المثال أكد عدد من الكتاب أن السنوسية في ليبيا متأثرة بتلك الدعوة ومنهم محمد جمعه في هذا الكتاب ٢١٥-٢٢١ ورغم أنه أبرز صوفية السنوسيين وأنها تتعارض مع جوهر دعوة الشيخ إلا أنه حاول إيجاد نقاط لقاء بين الحركتين لا تكفي لإثبات ذلك التأثير، على أنه قد ورد سؤال لأبناء الشيخ محمد والشيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت ١٢٢٥ هـ / ١٨١١ م) حول السنوسى مؤسس السنوسية وهل هو من أهل السنة والجماعة ؟ فأفتوا بأنه ليس منهم لأن كتابه (أم البراهين) صنف على مذهب الأشاعرة وأوردوا أدلة من كتابه على ذلك (ابن قاسم : الدرر ٣ / ١٩١-١٩٣)

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٢٥ ، ٢٦ ، ابن غنام ١ / ١٠٨ ، ابن قاسم الدرر ٨ / ٩٩ ، ١٠٠ من رسالة الشيخ إلى محمد بن عيد - أحد أئمة المساجد في ثرمداء كما قال عن البدو : (انهم يقولون ان كتاب الله عند الحضر وأنهم عائفوه ومتبعون ما أحدث آبائهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله) والسبب أن الحضر يحتكمون إلى هذه الشريعة .

وهي أن من أسباب كفر بعض البادية وبعدهم عن الدين كون الحضر متمسكين به مما يعطى دليلا بأنه لو كانت الأوضاع الدينية كما صورتها تلك المصادر لما أثنى امام هذه الدعوة نفسه على الحياة الدينية عند حضر نجد ، قال الشيخ في رسالته تلك " وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرؤوا من الدين كله واستهزؤوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله واستهزؤوا بها مع اقرارهم بأن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزؤوا ^(١) عناداً".

وتأكيدا لقول الشيخ هذا فقد أثر فعلا عن بعض البدو في فتـرات الجهالة سواء منها ما كان قبل الدعوة أو ما يعقب الانتكاسات التي تعرضت لها الدولة السعودية في دوريتها الأول والثاني ، أثر عن بعض هؤلاء البدو تندرهم على الحضر بتمسكهم بتعاليم الدين الحنيف حيث يطلقون على الحضر عموما بعض الصفات (كمقومي الصلاة) وعلى الحضري (مصلي الخمس) والمقصود الصلوات الخمس وربما كانت هذه الصفات قد أطلقت ابتداءً من بعض عقلاء البدو ولمدح الحضر واذم من كانوا غير متمسكين بالدين من البدو ثم أصبحت تندر وسخرية من بعض البدو وعلى الحضر ^(٢).

وفي هذا الصدد كان الشيخ رحمه الله حريصا على التأكيد بأن حضر

(١) الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٠٩ ، ابن غنام ١٦٣/١ ، ١٦٤ ، ابن قاسم ٨٥/٨ من رسالة الشيخ الى أحمد بن ابراهيم امام مسجد مرات في الوشم .

(٢) الأزهار النادية ١٢/٤ ، ابن خميس : الأدب الشعبي في جزيرة العرب ط (٢) مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ص ٣١٥ ، صحيفة الرياض عدد ٥٤٢٤ في ٩/٧/١٤٠٣ هـ ص ١٥ ، وكان بعض البدو يستنكفون من تسمية أبنائهم بأسماء الحضر التي أغلبها أسماء الأنبياء ، وترمز الى الاتباع لهم . (ابن بليهد : صحيح الأخبار ٧٧/٤ ، مجلة العرب ج ١/٨ رجب ١٣٩٣ هـ ص ٢٦) الا أن هذا ليس حكما عاما فمن يتتبع أسماء بعض الأسر البدوية يجدها تتسمى باسماء الانبياء وتسمى أبناءها بذلك .

نجد قبل الدعوة كانوا يعرفون كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويلتزمون بهما على تفاوت فيما بينهم في هذه المعرفة والالتزام ولو كانوا كما صورتهم بعض المصادر التاريخية ومن هذا حذوها بعد ذلك لما أكثر الشيخ الحديث عن كفر البوادي وكرههم للدين لأن الحضر متمسكون به ولا شار إلى مظهر سي واحد من المظاهر الدينية على أنه شامل للبدو والحضر خاصة وأن الشيخ كان يركز على نقد الحياة الدينية عند البدو مؤكداً في أكثر من رسالة شخصية إلى بعض العلماء وأئمة المساجد في نجد، وفي عدة تقارير له في بعض كتبه، على أن بدو نجد قبل الدعوة كانوا على العموم يعيشون جاهلية جهلاء سواء فيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات التي يتحاشون فيها إلى العرف، وأن الحضر في الغالب على النقيض من ذلك في كثير من مظاهر الحياة الدينية^(١).

والباحث في مؤلفات الشيخ ورسائله الشخصية يلمح بوضوح عدم تعرضه للحياة الدينية عند حضر نجد بأي ذم عدا بعض الاشارات التي سبق ذكرها في مجال العقيدة والعمل لدى بعض الأفراد والفئات في منطقة معينة، أو لدى أفراد في مناطق أخرى من نجد بدت منهم المعارضة بعد أن فقد الشيخ كل وسيلة لضمهم لصف الدعوة، فكان أن وقف أمام ذلك عنادهم ورغبتهم في عدم الانصياع لما جاء به الشيخ من الحق.

وعلى العكس من ذلك فقد أشار الشيخ في رسالة شخصية له أرسلها لأحد علماء المدينة أنه لا ينقم على بعض الناس في نجد بشيء فيما يتعلق

(١) الشيخ محمد : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٣٩-٥٠ ،
الرسائل الشخصية ٢٥، ٢٦، ٢٠٩، ٢٣٥-٢٣٧ ابن غنام ١/١٠٨
١٦٣، ١٦٤، ابن قاسم : الدرر ٨/٨٥، ٩٩، ١٠٠، رسالته
المأجستير للباحث، الفصل الأول من الباب الثاني (ملاح الحياة
الدينية في بادية نجد قبل الدعوة ص ١٩٩-٢٠٨) .

بشرائع الاسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج بل هم ملتزمون فيها ولكنه كان حريصا على شمول ذلك الالتزام لقطاع عريض من المجتمع ومعاقبة المتخلف عن أدائها أو المعارض لبعض المخالفات الشرعية، فقال بعد الحمد لله والثناء على المرسل اليه : " وان سألت عن سبب الاختلاف الذى هو بيننا وبين الناس فما اختلفنا فى شئ من شرائع الاسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك ولا فى شئ من المحرمات، الشئ الذى عندنا زين هو عند الناس زين، والذى عندهم شين هو عندنا شين الا اننا نعمل بالزين ونغصب الذى يدنا عليه وننهى عن الشين ونؤدب الناس عليه^(١) .

ان هذا النص يعطى دليلا آخر على تمسك فئة لا يستهان بها من النجديين بشرائع الاسلام والابتعاد عن المحرمات، وأن الشيخ نفسه كان يرى أن هذا يمكن أن يشكل أرضية جيدة نحو شمول مثل هذه المظاهر الحسنة للمجتمع كله عن طريق تعليم الجاهل وتأديب المعاند .

وتتوالى صور ثناء الشيخ على مظاهر الحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة لتقرر حقيقة تمسكهم بتلك العبادات لكنها تنعى فى الوقت نفسه على بعض حضر نجد انقلاب تلك العبادات لديهم الى عادات، ولا شك أن الشيخ كان يهدف من وراء نعيه لصيرورة هذه العبادات عادات الى نقد هذه المظاهر الحسنة فى الحياة عند حضر نجد تمهيدا لتوجيهها نحو حكمتها والهدف من تشريعاتها وتحقيق التوحيد من جراء القيام بها، وهذا يرينا الى أى مدى كان وعي الشيخ محمد رحمه الله قويا فى نقده للأوضاع الدينية فى نجد، وأنه كان يؤمن بوجود مظاهر حسنة فى الحياة الدينية عند الحضر

(١) الشيخ محمد : الرسائل ٤٤ ، ابن قاسم : ٤٣/١ ، ومعنى قول الشيخ " ونغصب الذى يدنا عليه " نقسر ونرغم الذى لنا سلطة عليه فنلزمهم بالزين .

لا تحتاج الا الى ايقاظ الناس نحو روحها وحكمتها والهدف من تشريعاتها ، وما من شك أن شخصا نشأ على عبادة الله عز وجل لابد أن يتوافر لديه الاستعداد لتلك النقلة الهامة التي يريد امام الدعوة ايصاله اليها بفهم هذا الحكم لابرار هذه العبادات وهى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وقبل هذا وذاك تحقيق العبودية والتوحيد من هذه الصلاة ، يقول الشيخ فى هذا : " فاعلم أن أهمها وأولاها - ويقصد أركان الاسلام - الشهاداتان وما تضمنتا من النفى والاثبات من حق الله على عبده ، ومن حق الرسالة على الأمة ، فان بان لك شئ من ذلك ما ارتعت وعرفت ما الناس فيه من الجهل والغفلة والاعراض عما خلقوا له وعرفت ما هم عليه من دين الجاهلية وما معهم من الدين النبوى ، وعرفت أنهم بنوا دينهم على ألفاظ وأفعال أدركوا عليها اسلافهم نشأ عليها الصغير وهرم عليها الكبير ، ويؤيد ذلك أن الولد اذا بلغ عشر سنين غسلوا له أهله وعلموه ألفاظ الصلاة وحيى على ذلك ومات عليه " .^(٢)

-
- (١) ما ارتعت : من الروع وهو الخوف
- (٢) الشيخ محمد : الرسائل الشخصية ١٧٠ ، ١٧١ ، ابن قاسم : الدرر ٧١ / ١ ، وما من شك أن الشيخ كان حريصا على استثارة همم المخاطبين لتتقلب عاداتهم فى الشعائر الى عبادات بمفهومها العام حتى يستعدوا للسؤال فى القبر وعند العرض ولهذا قال بعد هذا النص : " فما ظنك به اذا وضع فى قبره وأتاه الملك وسألاه عما عاش عليه من الدين بماذا يجيب ؟ " هاه هاه ، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " وما ظنك اذا وقف بين يدي الله سبحانه وسأله : ماذا كنتم تعبدون ، وبماذا اجبتم المرسلين ، بماذا يجيب ؟ رزقنا الله واياك علما نبويا وعملا خالصا فى الدنيا ويوم نلقاه . فانظر يا رجل حالك وحال أهل هذا الزمان أخذوا دينهم عن آبائهم ودانوا بالعرف والعادة " .

ويمكن فهم كلام الشيخ هنا على أنه يصور حرص حضر نجد على إقامة الصلاة مما يعطى بعض التصور كذلك على كونهم متمسكين بأركان الاسلام منفذين لتعاليمه وان لم يكن هذا التمسك كما هو بعد قيام الدعوة فقد كون أرضية جيدة لانتشار هذه الدعوة فيما بعد بما لقيته من قبول من كافة حضر نجد توارت من أمامه كل فئات المعارضة المحلية .

وبالإضافة الى ذلك فان أغلب المصادر المحلية سواء كانت تاريخية أم غير تاريخية مؤيدة للدعوة ، أم غير مؤيدة ، علاوة على سير أعلام فقهاء نجد وقضاتها قبل الدعوة ، كل هذه المصادر تبرز نجدا على أنها حظيت بحكم وافر من العلماء الذين كان قسم كبير منهم يتحلى بالتقوى والورع ، ولئن لم يقيم بعضهم بالتوجيه والاصلاح وتحمل الأذى فى سبيلهما كما فعل الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد كان لاحكامهم الفقهية وفتاويهم فى العبادات والمعاملات الأثر الأكبر فى بقاء المجتمع النجدي الحضري محتفظا بالكثير من العبادات والمعاملات المتفقة مع أحكام الشرع ذلك أن هؤلاء العلماء كانوا مطلعين على بعض كتب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ، وقد حفل مجموع المنقور وغيره من المجاميع الفقهية قبل الدعوة ببعض التقارير الفقهية المنقولة من كتب هؤلاء المحققين الحريصين على احياء السنة وامانة البدع ^(١) وان لم يصل ذلك الى مستوى الشيخ الذى كان حريصا منذ مرحلة الطلب على الاستنارة بأفكار هؤلاء المحققين من السلف

(١) لقد أورد المنقور فى مجموعه عددا من النقول عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وخصوصا فى التحذير من بعض البدع (٨ / ١ - ١٠ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٧ ، ٦١ - ٧٤ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١١١ - ١٣٣) وهذا على سبيل المثال والا فالكتاب مليء بالنقل من كتب هذين المحققين وخاصة منسك ابن تيمية وفتاويه واعلام الموقعين لابن القيم كما نقل بعضا من رد ابن عبد الهادي على السبكي فى معارضته لابن تيمية فى عدد من القضايا (٤٨٦ / ١ - ٤٩٠)

الصالح ، ومن هنا فقد جاءت تقارير علماء نجد قبل الدعوة متفقة في غالبها مع أفكار هؤلاء المحققين علاوة على ما كانوا يجتهدون في بعض القضايا التي لها طابع اجتماعي خاص بالمنطقة مما كان له أبلغ الأثر في تأهيل قطاع عريض من هذا المجتمع لقبول الدعوة السلفية والتفاني في الجهاد لنشرها ،^(١) ومن هنا يفهم سر امضاء الشيخ لكثير من أحكام بعض علماء نجد قبل الدعوة كما مر ، ولولا تلك السلبية التي اتسم بها هؤلاء العلماء في عدم انكسار المنكرات لما تمكنت تلك الشراكيات والبدع والمخالفات الشرعية من التغلغل في أوساط بعض الفئات والأفراد ، ولقام كل هؤلاء العلماء بمؤازرة الشيخ وضم أيديهم الى يده ولتضافرت جهودهم مع جهد الشيخ في سبيل الإصلاح والتجديد اللذين ينشد هما الا أن تردى الأوضاع الأمنية وسطوة بعض أمراء البلدان كانا من أبرز أسباب تلك السلبية بين هؤلاء العلماء^(٢) .

وتصور بعض تلك المصادر كذلك أغلب حضر نجد على أنهم حريصون

(١) يقول الدكتور عبد العزيز الخويطر في مقدمة تحقيقه لتاريخ المنقور ص ٢٣ ، " وما الذهلان والمنقور وأمثالهما الا توطئة لما انبلجت عنه الدعوة السلفية حفظوا التراث ، وأبقوا صلة العلم ، ما أمكنهم الجهد وما سمح لهم به الوقت والظرف " .

(٢) لعل أبرز ما ذكره المؤرخون عن سطوة بعض هؤلاء الأمراء وتدخلهم في شئون القضاء عزل محمد بن حمد بن معمر الملقب خرفاش (قتل ١١٤٢ هـ / ٣٠ ، ١٧٣١ م) للشيخ عبد الوهاب بن سليمان - والشيخ محمد - عن قضاء العيينة سنة ١١٣٩ هـ / ٢٦ ، ١٧٢٧ م فرحل الشيخ عبد الوهاب الى حريملاء ولا تعطينا المصادر سببا لهذا العزل ، وربما كان الشيخ عبد الوهاب يقوم بنقد بعض الأوضاع السيئة في العيينة كما سبقت الإشارة الي تعرضه لبعض البسود والخرافات بالنقد الشرعي ، علاوة على ما أثار عن الشيخ عبد الوهاب من حدة في نقده لمخالفه (الفاخرى : ١٠١ ، ١٠٢ ، ابن بشرر ٢ / ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ابن حميد : السحب ورقة ١٥٥ ، البسام : تحفة المشتاق ورقة ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن عيسى ١٠١ ، ١٠٢) .

على تنفيذ سنن الدين وواجباته من خلال تلك الاستفتاءات التي زخرت بها الكتب الفقهية والتي تدل على حرص هؤلاء على أن تكون أعمالهم مطابقة للشرع بسؤال أهل الذكر والعلم عما لا يعلمونه، ويرى الباحث في تلك الاستفسارات شمولها لأغلب مناطق نجد، ومرد ذلك كون نجد تشكل وحدة اجتماعية تتماثل عاداتها وتقاليدها^(١)، كما أن شمول تلك الاستفسارات لكافة الشعائر التعبدية وأساليب التعامل الاجتماعي يعد دليلا على أن قسما من حضر نجد كان يعيش على فطرة الاسلام وأنه متلهف لتشجيع أى محاولة تهدف الى تطبيق أحكام الاسلام بصفاة في المجتمع النجدي بأكمله في كافة مجالات الحياة وهو الذي قامت به الدعوة السلفية^(٢).

وتعطي وثائق الأوقاف الخيرية سواء تلك التي ضمتها بعض المجاميع الفقهية أم تلك التي وجدت لدى بعض الأفراد^(٣)، تعطي هذه الوثائق دليلا على توافر عناصر الخير لدى حضر نجد واحتساب أجره عند الله عز وجل مما أوجد في المجتمع النجدي تكافلا اجتماعيا واستعدادا لفعل الخير وكانت هذه الأوقاف شاملة لكافة مجالات الخير ———

(١) ورد للشيخ عبد الله بن زهران سؤال من عنيزة في القصيم عن أحد الأوقاف الشخصية فيها كما ورد سؤال من القصيم للشيخ محمد بن اسماعيل كما أفتى الشيخ ناصر بن محمد بن عبد القادر بن مشرف في وقف من قرية صبيخ، وقد أوجد الثقل العلمي لمنطقة العارض طبقة من الفقهاء سموها (فقهاء العارض) كانت ترد اليهم الأسئلة من مختلف البلدان النجدية (المنقور ١/ ٢٧٥، ٤٩٨، ٢٠١٠، ٣٨٦/ ٢) وكانت الأسئلة ترد من القصيم خاصة قبل رحيل الشيخ عبد الله ابن عضيبي الى المذنب فعنيزة حيث سكن وتوفي فيها كما ———، (الدارة ع ١ س ٤ / ص ٢٥) .

(٢) المطلع على مجموع المنقور يجد أن كل باب من أبواب الفقه لا يخلو من عدة استفسارات في العبادات والمعاملات.

(٣) هناك مبحث عن التكافل الاجتماعي في نجد قبل الدعوة ضمن الباب الرابع وفيه عرض لبعض هذه الأوقاف .

رعاية لليتامى والمساكين والأرامل والمنقطعين للعبادة والاطعام فى أوقات المجاعات وعلى البدو والحضر، وتوفير أكفان للموتى من الفقراء الذين لم يوفروا لأنفسهم ذلك أو لم يستطيع وارثهم أو أحد أقربائهم توفير ذلك، هذا بالإضافة الى الأوقاف الخاصة ببناء المساجد والنفقة على الامام والمؤذن وتغطير الصوام للغرض والنفل، ونسخ الكتب، وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وحفر الآبار لسقيا الناس، أو بناء البرك والمساجد قرب الآبار الزراعية للغرض ذاته، والوقف على الحرم المكى أو المدني بارسال ثمر النخل الموقوف والتأجير على ايصاله بسهم منه، أو بيع كله ثم يقسم ثمنه فى مكة أو المدينة^(١).

وما من شك أن تطرق الأوقاف لهذه السبل الخيرية كان على قدر ما تسمح به الظروف الأمنية والاقتصادية التى كانت كثيرا ما تضيق على هذا المجتمع ولكنها على أى حال كانت مظهرا من المظاهر الايجابية للحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة لأن هذه الأوقاف تنطلق من منطلق ديني خالص

(١) انظر نص وصية صبيح ووصية صقر بن قطام، ووصية رميثة بن قضيـب والدراسة عنها من قبل الأستاذ عبد العزيز بن فيصل المبارك، مجلة العرب ج ١ / س ٢ رجب ١٣٨٧ هـ (تشرين أول ١٩٦٧ م ص ٥٦-٥٩، ج ٦ / س ٢ - ذوالحجة ١٣٨٧ هـ / آذار ١٩٦٨ م ٥٥٤-٥٦١ ، وانظر المنقور: الفواكه ١ / ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٧٣، ٤٧٦، ٥٣٣، ٥٤١-٥٤٥، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٨ وعموما فكتاب الوقف فى الفواكه ١ / ٤١٣ - ٥٥٩ ملي بمجالات الخير التى طرقتها الأوقاف النجدية من خلال بعض الاستفسارات من أهل نجد والفتاوى من علمائها .

(٢) بل كانت بعض الأوقاف تصرف فيما ينجم من أضرار اقتصادية واجتماعية كالجراد والامطار الغزيرة (مجلة العرب ج ٦ / س ٢ ص ٥٥٤ ٥٥٧ من وصية صقر بن قطام) .

باحتراب الأجر والثواب من الله عز وجل ، ولئن كان لها بعض المظاهر السلبية التي مر ذكر جانب منها وسيأتي الحديث عن بعضها في بحث وضع المرأة ان شاء الله ، الا أن هذه الأوقاف كذلك قد أفادت المجتمع النجدي باحتفاظه بعناصر الخير الموجهة توجيهها دينيا ، وأفادت الدعوة السلفية التي جاءت لتجديد ما اندرس من الدين ، واتمام ما كان عليه هذا المجتمع من مكارم الأخلاق .

أما الشعر الشعبي - وهو مصدر تاريخي لتلك الفترة - فقد صور جانباً من الحياة الدينية عند حضر نجد كما سبق ذكر بعض من ذلك في المظاهر السلبية ، وهو هنا يزيد الصورة ايضاحاً عن الحياة الدينية بجوانبها الحسنة والتي من أبرزها العناية بالقرآن الكريم بتجويد قراءته وحفظه ، فكما كانت بعض الأوقاف تخصص لهذا السبيل ، فقد كان بعض النجديين يفرغ أولاده لذلك ممن كانت صحته لا تحتل الكد والنصب ، أو كان يلقي من أهله محبة أكثر ووداً أعظم ، وقد صور هذه الحقيقة عبد المحسن الهزاني حين يقول عن محبوبته :

(١)

له حاجبين قد زهاها القراننا ومعلميه من غلاه القراننا

ويصور الهزاني كذلك تكليف العبادة لله عز وجل في شهر رمضان المبارك بأداء التراويح وملازمة المساجد والانقضاء للعبادة خاصة في ليالي

(١) محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ١٢ / ٣١ ، عبد العزيز الشنار :

مختارات من الشعر الشعبي لمشاهير شعراء مدينة الحريق ص ٤٠ ، ولما كان الشعر الشعبي لا يتقيد بقواعد اللغة العربية فقد جاءت الحاجبان مجرورة والمفروض أن ترفع فيقال له حاجبان ولا يختل وزن البيت اذا رفعت ، زهاها : زانها ، القراننا : بكسر القاف شعر الحاجب ، غلاه : حبه ، وقد قال بعد هذا البيت مباشرة :

لوان مجلى الثنايا القراننا أبو ثليل فوق الامتان سباح
ففى القراننا بكسر القاف بمعنى شعر الحاجب وفى القراننا بضم القاف : كلام الله عز وجل ، وفى القراننا بفتح القاف بمعنى المقترنين فيها جناس تام مماثل ، وهذا دليل على جزالة الشعر الشعبي فى تلك الفترة اضافة الى سهولة نطقه بالفصحى .

هذا الشهر الكريم، ولئن كان الشاعر قد جاء بهذه الصورة ليبين أسلوب
وصاله بحبيبتيه فإنه كذلك يرينا الى مدى كان قسم من النجديين
يفرغ نفسه من سائر أعماله الدنيوية لهذا الموسم الكريم حتى أن بيوتهم تخلو
منهم في ليالى هذا الشهر المبارك رجالا ونساء، يقول الهزاني في ذلك :

الى جوا للمسجد بليل يصلون فانا المجهول الحلايا توليت
قامت تواعدنى بشهر يصومون ساعة يصلون التراويح فانت أيت^(١)

والأبيات التالية لهذا الشاعر ترينا الى أن الهزاني رغم ما اشتهر به من
اسفاف في غزله فقد اشتهر بالعفاف ومن ثم فان البيتين السالفين واشباههما
في شعره لا تعدو أن تكون خيال شاعر ولهان لكنه عفيف، أما الأبيات التالية
فتعد من أبرز القصائد الوعظية في الشعر العامي النجدي قبل الدعوة
اذ أنها تحث على اتباع سبيل الخير والابتعاد عن طرق الهوى والشمر
وضرورة الاستعداد للرحيل من هذه الحياة الفانية، والتأكيد على أداء صلاة
الوتر، قال في ذلك :

(٢)

سرح القلب في عشب روض الندم وامزج الدمع من جفن عينك بدم
واغتنم يافتي صحتك والفراغ فان لا بد ذو صحة من سقم

(١) محمد كمال : المرجع السابق ١٢ / ١٩ ، عبد العزيز الشنار ٣٠ ، الى :
اذا ، جوا : تخفيف جاءوا ، المجهول الحلايا : جميل الصفات ، توليت
قصدت ، أيت : مخففة من ائت أى تعال .

(٢) في البيت الأول التأكيد على الندم على فعل المعاصي باعتباره سبيلا
للخلاص منها ، وانظر الى تصويره الرائع لجو الندم بالروضة الفناء
المعشية باطاييب الحشائش البرية التي فيها غذاء طيب وروائح زكية
وشبه قلب الانسان الذى لا بد وأن يكون قد مارس المعصية - فهو
محتاج للتوبة والندم - بالبهيمة الجائعة التي تحتاج من صاحبها
أن يسرح بها في هذه الأعشاب الممرعة ، وهو في هذا يريد أن يصور
الراحة النفسية التي تعقب الندم الذي يتلو ارتكاب أى معصية ،
أو عدم فعل أى طاعة ، ثم في الشطر الثاني يريد أن يؤكد أن هذا
الندم لا يتأتى بالكلام أو النية فقط بل لا بد من أن تصاحبه مظاهر
تدل عليه من شدة البطء على فعل الذنوب حتى تنتهى دموع العين
وتختلط بدماء الجفون من كثرة عركها وتقرحها ، والمقصود بالمبالغة
في الندم من الذنوب

- (١) وأحبس النفس عن تبع طرق الهوى قبل أن يافتى بك تزل القدم
 (٢) اترك الغي وامسك بكف الهوى العروة إلى أبد قط ما تنفصم
 (٣) والبس أردان جنح الدجى واوتر لريك وارتهب واستقم
 ثم صل أربع باربع يافتى ثم بعد هن بالوتر اختم
 (٤) ثم بعد الفراغ أسأله : يا من أوجد سبع وسبع بعد العدم
 (٥) جامع الناس ابيوم لاريب فيهم جابر العظم من بعد ما ينفصم

(١) فى هذين البيتين تأكيد على اغتنام أوقات الصحة والفراغ قبل الشغل والسقم، وقد وردت الفراغ فى الأزهار النادية، كذا وعند الشنار (الفراق) ويبدو أن راوى القصيدة من سكان شرق شبه الجزيرة الذين يقلبون الغين قافا وربما نقلا هذه القصيدة من خيار ما يلتقط للحاتم، بك تزل القدم : كناية عن الكوارث والمرض والموت. وفى البيتين اقتباس معنوى من الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه : (اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) أخرجه الحاكم وابن المبارك فى الزهد بسند صحيح (أحمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠ / ٢٤) .

(٢) فى هذا البيت اقتباس معنوى من قول الله عز وجل : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) آية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٣) فى قوله : والبس أردان جنح الدجى : كناية عن التهجى فى وسط الليل وأخيره .

(٤) فى قوله : أسأله : يا من : أى أسأله وقل يا من ، أوجد سبع وسبع المقصود السموات السبع والأرضون السبع .

(٥) فى قوله : " جامع الناس ليوم لاريب فيه " اقتباس لفظي من قول الله سبحانه وتعالى : " ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه . انك لا تخلف الميعاد " آية ٩ سورة آل عمران ، والألف قبل بيوم يدخلها عامية نجد على أول الكلمة توصلا للنطق بالسكون ، كما أنهم قد يتركون الألف فى أوائل بعض الكلمات تسهيلا عن قطعها بالسكون مثل (أهـل تنطق (هل) . وعن الأبيات : خالد الحاتم : خيار ما يلتقط

١٨٧ / ١ ، ١٨٨ ، محمد كمال : المرجع السابق ١٢ / ٤٢ - ٤٤ ،

الشنار : المرجع السابق ٤٩ ، ٥٠

ودالية الهزاني التالية تصور قطاعا من مجتمع حضر نجد قبيل
الدعوة مؤمنا بحقيقة حياة البرزخ بعد الموت والعرض على الله سبحانه
وتعالى يوم القيامة كما وردت في الكتاب والسنة ومجازاة أهل الأعمال على قدر
أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر، يقول الهزاني فيها :
(١)
أبى الله ما يبقى من الخلق واحد وكل نعيم ماسوى الخلد نافد
لكل امرئ فيها مقام وينقضـــــي وكل عمل ماهوب لله فاســـــد (٢)
الى اغتالنا حمال الارواح للبلى وجدنا لنا عما اكتسبنا ناشد
الى مظهرنا جملة من قبورناـــــ معا كل نفس سابق ثم شاهد (٣)
سيقواهل التقوى من الله برحمة لهم سيد الكونين هاد وقايد
الى جنة عليا رفيع مقامهـــــا لذيد ومن تحت الآرايك مساند
وحور حسان كن صافى خدودهاـــــ قطع صافى بلور به التبر جامد (٤)
وسيقوا هل الشرك والظلم والبعد بكرى الى حامي وطيس الوقايد (٥)

(١) هذا البيت أبلغ من بيت لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١ هـ / ٦٦١ م)
الذى يقول فيه :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
اذ يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كذب لبيد بـــــل
نعيم الجنة لا يزول " أو كما قال صلى الله عليه وسلم فكان الهزاني
قد ضمن بيته استدراك رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت لبيد
فقال : كل نعيم ماسوى الخلد الذى هو نعيم الجنة نافد أى زائل
فيها : أى فى الدنيا ، ماهوب : ماهو : ليس والباء زائدة ، حـــــال
الأرواح : ملك الموت ، البلى ، الفناء ، ناشد : سائل

(٢) فى هذا البيت اقتباس لفظي من قول الله سبحانه وتعالى : " وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد " آية ٢١ سورة ق .

(٣) فى أول هذه الأبيات الثلاثة اقتباس لفظي ومعنوى من قوله عز وجل
: " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " آية
٧٣ من سورة الزمر ، وفى بقية الأبيات ذكر لبعض أوصاف الجنة
ونعيمها الذى ورد فى كثير من الآيات والأحاديث .

(٤) فى هذا البيت اقتباس لفظي ومعنوى من قول الله سبحانه وتعالى
: " وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها ألم يأتكم منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم

فياويلنا من حشرنا يوم نشرنا
يسوقوننا سوق ولا يرحموننا
وانت يارب قلت: (ألسن بركم)
رحمن فى الأرضين والبحر والسما
آه لنا من مانى له انكابد (١)
لفصل القضا جد واحد بعد واحد (٢)
بلى شهنك انك الله واحد (٣)
وبالغيث غشنا عند كرب الشدايد

وفى هذا الصدد يبين جبرين سيار جانبنا من مفهوم الثواب والعقاب من الله عز وجل حيث يقول :

(=) لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين

آية ٧١ سورة الزمر، ولعل فى اشارته الى أهل البدع ما يوحى الى أن قسما من أهل نجد يتمتع بصفاء عقدي لا بأس به وأنهم غير مؤيدين لبعض البدع والخرافات فى المنطقة متحينين الفرصة للانضمام لأى حركة تهدف الى تصحيح العقيدة.

(١) فى هذا البيت تصوير لاجتماع الناس فى عرصات يوم القيامة للحشر، مما نبى له انكابد : أى مما سوف نكابد من الأهوال .

(٢) جوا : جاؤا .

(٣) فى هذا البيت اقتباس لفظى من قول الله سبحانه وتعالى : " اذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين " آية ٧٢ سورة الأعراف .

(٤) عن الأبيات السابقة : الحاتم : المرجع السابق ٢٠٣ / ٢ ، محمد كمال : المرجع السابق ٨٥ / ١٢ - ٨٧ ، الشنار ٨٤ - ٨٦

(٥) هو جبر بن سيار بن حزمى وقيل ابن حزمى والده من الساييرة من الجبور من بنى خالد وعلى هذا فهو قريب للشاعر حميدان الشويعر تولى امارة القصب أواخر القرن الحادى عشر الهجرى وهو خال الشاعر المعروف رميزان بن غشام آل أبى سعيد التميمى أمير روضة سدير وقد حفظ لنا الشعر الشعبى عدة محاورات بين رميزان وأخيه رشيدان وخاله جبر، كما عاصره حميدان الشويعر وطلب شفاعته لدى عبد الله بن معمر حينما أهدر دمه وهذا دليل على تقدير ابن معمر لجبر، كف بصره أواخر عمره وقيل فى سبب ذلك أنه قبل امرأة وهى تحاول تقبيل الحجر الأسود فدعت عليه بالعمى فعاقبه الله على ذلك، عمر طويلا وقد جمع نبذة فى أنساب أهل نجد قيل توفى

(=)

والله عنده الجنان متـازل قصور وحوار كالبدور الكمـل
يجزى بهن من طاع يوم اللقا ومن ضل يجزى النار بيس المنزل^(١)

وكانت محبة أهل الدين المخلصين من المظاهر السائدة عند حضر
نجد فيقول حميدان الشويعر:

ولا فاه من فاهى على الغير كلمة هذا حب من أحيا من الدين دراسه
وأنا كنت للدين الحنيفى تابع قولى لفعلى فيه والحق آنسه^(٢)

وكان وقار أهل الدين وسمتهم من الأمور المحببة فى هذا المجتمع
وفى هذا المجال يقول أحد الشعراء مجاوباً جبر بن سيار الذى كان يشتكى
ظهور آثار المشيب عليه

يشتكى الشيب والشيب فيه افتخار مع وقار هل الدين ينبونه
ثواب المشيب يا جبر أمر عظيم قسمه الشيب بالعز مضمون^(٣)

- (=) سنة ١١٢٠ هـ / ١٧٠٩ م ، وقيل سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٥ م ،
(عبد الرحمن المغيرة : المنتخب ٣٩٦ ، البسام : علماء نجد
٢ / ٥٤٢ ، الحاتم : ١ / ١٢٥ - ١٣٦ ، محمد القاضى روضة الناظرين
٢ / ٣٦٧ ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة ١ / ٤٢٣ -
٤٢٥ ، ٤٦٤ ، أبابطين ١٠٤ - ١١٠)
(١) من طاع : من أطاع ، بيس : بئس : وعن البيتين : أبابطين ١٠٨ وفيه
خطأ مطبعى فى بيس حيث رسمت بين ، الحاتم ١ / ١١٠ ، ووجد حرف
فى بين طاع ويوم اللقا عند الحاتم وأسقطت أو هكذا أصلها عن
أبابطين .
(٢) ولا فاه من فاهى : أى ولا خرج من فمي ، هذا : غير أو لا ويوحى
هذا البيت بقيام أشهر أمراء آل معمر عبد الله بن محمد بن معمر
مدوح الشاعر فى هذه القصيدة ببعض الإصلاحات الدينية المحدودة
وربما كان ذلك بتأثير بعض علماء العيينة المعاصرين له ، قولى لفعلى
الخ : أى قولى مطابق لفعلى فيه والحق اتبعه وأرتاح له - عن
البيتين : خالد الفرج ديوان النبط ١ / ٥٦ ، الحاتم ١ / ١٤٤ ،
أبابطين ٦٩ ، محمد كمال ٩ / ٤٠ ، وقد وردت فاه عند أبابطين
والحاتم فاض .
(٣) مع وقار هل الدين ينبونه : أى ينادونه مع أهل الدين بوقارهم ، وهذا
البيت شبيه بقول الشاعر :

وينظر النجديون الى الدين على أنه أغلى مكاسب الانسان في هذه الحياة باستعدادهم لما بعدها لأن هذه الحياة كما أنزل الله من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ، وفي هذه النظرة يقسول حميدان :

النفس ان جت لمحاسبه —————
 كانك للجنة مشت —————
 والدنيا روضة ن —————
 وان جاك من الدنيا ط —————

فالدین خيار مكاسبه —————
 تبغى النعيم بجانبه —————
 صبور الريح تطير به —————
 فاشكر مولاك الموجبه (١) —————

(=) تمنيت أن الشيب عاجل لمتي
فأخذ من عصر الشباب نشاطه
وشبيه بقول الشاعر:

وقرب مني في صباي ——— زاره
وأخذ من عصر المشيب وقاره

عيرتنى بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار
(ابن خميس: الشوارد ، نشر دار اليمامة، الرياض ١/٢٥٦، ٢٥٧)
أما البيت الثانى فأشار فيه الى أجر الشيب فى الاسلام الذى ورد فى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم، مامن
مسلم يشيب شيية فى الاسلام الا كتب له بها حسنة ورفع بها درجة
أو حط عنه بها خطيئة) رواه الامام أحمد فى مسنده ١٧٩/٢، وعن
البيتين : الحاتم ١/١٢٩

(١) معنى البيت الأول : جاءت فى النفس للمحاسبة على مكسبها وخسارتها فالدين أهم مكاسبها .

ومعنى البيت الثانى ان كنت للجنة مشتاق وتريد النعيم فيها ، ويروى الحاتم والبايطين بعد هذا البيت قوله فى جواب للشرط الذى فى أول هذا البيت:

اتبع ما قال الوهابي وغيره بالك تقربهم
وعلى هذا فهذه الأبيات صدى للدعوى السلفية ويرى بعض المؤرخين
أن كلمة (الوهابي) أول اطلاق للوهابية في نجد على دعوة
الشيخ محمد (د . العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١١١
ولم يثبت هذا البيت الفرج ولا محمد سعيد كمال .

ومعنى البيت الثالث: الدنيا روضة تزهو وتنور ثم ماتت أن تطير
بها الرياح وهذا تعبير عن قصر هذه الحياة الدنيا مقتبس من قول الله
سبحانه: " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط

(=)

وشعر الخلاوى حافل بتصوير الحياة الدينية بجانبها السلبي والايجابى فى نجد حاضرة وبادية، وحينما يرى المطلع على شعره بعض الصور الحسنة للحياة الدينية يمتلكه الاعجاب من هذه المظاهر التى مامن شك أن قسما من النجديين على اعتقاد فيها فمما قاله فى هذا المجال وهو كثير:

والعبد فى الدنيا للاخطار والفنا على جرف هار والشياطين واثبة
فسل منه توفيق على الدين والهدى واخلاص صدق مايرى فيه شايبه
والعبد بالنيات يجزى بما نوى فى نص قول الله والشرع قال به
ومن عرف ربه يافتى راح نفسه ودانت له الدنيا وهانت مصايبه (١)
ويقول :

فاجهد وجاهد واغنم الروح يافتى وحافظ على خمس من الله واجبه
وصلاتك عماد الدين، والدون للملا ويرفع بها من شاء أعلى مراتبه
صلاة يبين بها الفتى نور وجهه وتوسيع رزق فى مساعي مكاسبه
ولاراس مال المرء الا صلاته فان ضاع رأس المال فالحال خاربه
واخشع وفكر عند من انت تترجى واعرف بها من انت فيها تخاطبه
وحذرا الربا يا صبحي لا يغفرك من غر جرك وأخرجه من مراتبه (٢)

- (=) به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا" آية ٥٤ سورة الكهف
- ومعنى البيت الرابع أن جاءك من الدنيا جانب حسن فاشكر مولاك على أن أوجبها لك. من الأبيات خالد الفرج ٣٥/١، أباطمين ٧٤، الحاتم ١٤٥/١، محمد كمال ٢٠/٩
- (١) معنى البيت الأول : الانسان فى الدنيا معرض للأخطار والموت فهو على جرف هار فيها والشياطين من الجن والانس مستعدون لأفوائده وفى اخلاص وصدق ترادف، شايبه تخفيف شائبه والمقصود نفاق أو ربا. ومعنى البيت الثانى يجزى الله الانسان بنيته وهو فى هذا يشير الى الآيات والاحاديث الكيرة التى تؤكد على اخلاص النية، وراح فى البيت الرابع مخففة من أراح
- (٢) المقصود فى البيت الأول التأكيد على المحافظة على الصلوات الخمس، وقد اقتبس فى البيت الثانى من الحديث الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه : " أما رأس الأمر فالاسلام فمن أسلم سلم وأما عموده فالصلاة : " الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده بسندين مختلفين وروايتين متشابهتين (٢٣١ / ٥ ، ٢٣٧) ، وأما البيت الثالث فيشير فيه الى الفوائد العظيمة من اقامة

وكان النجديون يوصون أبناءهم ممن تضطربهم الظروف الاقتصادية للاغتراب عن المنطقة بالبعد عن سلوك سبل الرذيلة والفساد ، والحرص على التقوى وإقامة الشعائر التعبدية والتمسك بحسن الخلق ، وفي هذا السبيل يوصي الشاعر محمد أبو دباس^(١) ابنه بهذين البيتين ضمن قصيدة طويلة حيث يقول :

يا دباس أنا أوصيك عن درب الأدناس ترى الذى مثلك يناظر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يا دباس فى طاعة اللي ماينجيك غير^(٢)

(=) الصلاة باضفاء نور على الوجه وسعة فى الرزق أو ما يجب أن يكون عليه المصلى بأن يكون له سيما فى وجهه من أثر السجود ،

وفى البيت الخامس والسادس تأكيد على الخشوع فى الصلاة والتدبر فيما يتلى فيها من القرآن والذكر واستشعار الوقوف أمام رب العالمين ومخاطبته بها والحذر من الرياء فيها لأنه من أساليب الشيطان الذى أخرج آدم وحواء من مراتبهما العليا فى الجنة ، عن الأبيات جميعا (ابن خميس : راشد الخلاوى ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠)
(١) سبقت الإشارة الى الخلاف فى اسمه وهل هو راشد أو محمد واشتهر بأبى دباس وهو من آل دباس من عودة سدير الذين يرجعون فى نسبهم الى آل شماس من آل سابق من الوداعين من الدواسر ، وقد كانت اشارة العودة فيهم ويروى أنه لم يذكر لأبى دباس الا تلك القصيدة ولذا سميت اليتيمة كما لم يؤثر لابنه دباس الا تلك القصيدة الجوابية على قصيدة والده ورغم يتم القصيدتين والغموض الذى أحاط بشخصية أبى دباس وابنه فقد كانتا علما واضحا جعل أبى دباس وابنه يسير بقصيدتهما وقصتهما الركبان ويتناقل خبرهما الرواة فى نجد وغيرها

وما يذكر أن تلك القصة وهاتين القصيدتين قيلتا عام ١١٥٠ هـ الفاخري

١٠٦ ، ١٠٨ ، ابن بشر ١ / ٤٠ ، حمد الجاسر : معجم أنساب

الاسر المتحضرة ١ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، أبابطين ٣١ - ٣٥ ، عبد الله

الحاتم : خيار ١ / ٢٦٣ - ٢٦٨ ، محمد كمال : الأزهار ١ / ١٩٠ -

٢٠١ ، سعد بن نفيسه : اضمائة من التراث ٧٣ - ٧٨) .

(٢) درب : سبيل والأدناس جمع دنس والمقصود به هنا الاخلاق الرذيلة ،

ينظر مسيره : أى ينظر طريقه والمعنى يسعى لتحقيق هدفه ، ترى

بمعنى (لأن) أو (إذ) اللي : الذى ، ماينجيك غيره : أى لاينجيك

غيره والمقصود الله عز وجل . عن الأبيات : أبابطين : ٣١ ، الحاتم

(١ / ٢٦٤ ، محمد كمال ١ / ١٩١ ، ابن نفيسه ٧٤ ولم يورد الا البيست الثاني) .

ومرد ذلك ما كانوا يتداولونه من أخبار سيئة عن بعض المناطق ——— المجاورة ممن تقصد للعمل أو التجارة من النجديين ، بوجود بعض الانحرافات الخلقية علاوة على وجود بعض الشركات في بعضها الآخر وهذا يرينا الى أى مدى كان بعض حضر نجد في تلك الفترة على وعى بشركات هذه المناطق مما يعطى انطبعا عن هذه الفئة أنها كانت تعيش على فطرة الاسلام عقيدة وسلوكا وان لم يكن بالصورة التي كان عليها الوضع بعد قيام الدعوة السلفية .

يقول أبو دباس عن احدى هذه المناطق :
(١)
عبادة الاصنام شرابة الكـاس الخمر والتبناك فيها وغيره

ثم يتحدث عن البصرة التي قصدها ابنه للعمل فيها وما فيها من البدع والخرافات لقربها من المراكز الشيعية في العراق ، وهو اذ يثنى على الرخاء الاقتصادي فيها بالمقارنة مع الأوضاع الاقتصادية السيئة في نجد في تلك الفترة ، فانه ينعي على هذه البلدة وجود بعض مظاهر الشرك والبدع فيها أو حولها ، فكأنه قد قارن بين البصرة ونجد اقتصاديا ودينيا وذلك في هذه الأبيات التي يقول فيها :

(١) التبناك : المقصود به شراب التبغ وسيرد الحديث عنه في الفصل الثاني (الحياة العلمية وأثرها على الحياة الاجتماعية) لبيان موقف علماء نجد قبل الدعوة منه كما سأتطرق اليه في بحث المشرب في المظاهر الاجتماعية ، ويبدو أن المقصود بهذا البيت من ورد ذكرهم في البيت السابق له مباشرة الذي يقول فيه :
لو كنت في نزوى وديرة بنى بـاس أهل الموازى والوجوه الغبيرة
ثم أورد البيت السابق وقال :

لاركب على وجنا من الهجن عرماس فجا النحر يا ادباس حمرا ظهيره
ونزوى بلدة من بلدان عمان ، وديرة بنى ياس : نسبة لقبيلة بنى ياس احدى قبائل ساحل الخليج العربي والمعروف بدولة الامارات العربية حاليا حيث تنقسم الى قسمين : بوفلاح في أبو ظبي ومنهم أمراؤها وبوفلاسة في دبي ومنهم أمراؤها كذلك (عائشة السيار : دولة العاربية ط (١) نشر دار القدس . بيروت ١٩٧٥ م ص ١٤٣) وعن البيت أبابطين : ٣٢ ، الحاتم ١ / ٢٦٤ ، محمد كمال : ١ / ١٩٣ .

الى البصرة الفيحاء بها الخير محتاس لولا الكفر والشرك ياوى ديرة
عز الله انها ديرة مالها أجناس لولا بها يعبد مع الله غيره
لولا بها يشرك علي وابن عباس وايضا بها الفاروق سبه بريرة^(١)

(١) الفيحاء لقب للبصرة، وتطلب على الواسعة من الدور والأرض الخصبة والرياض الغناء ويجوز أن تكون مأخوذة من الفيح بمعنى ظهر الرائحة الزكية إذ لا يقال ذلك في الرائحة الكريهة، ويطلق هذا الوصف في سدير على المجمع كما يطلق في القصيم على عنيزة، وفيحاء مؤنث لفيحان الذي يطلق على بعض المواضع في نجد ويتفأل البدو بهذا الوصف فيسمون أبناءهم فيحان وبناتهم فيحاء وفيحة، محتاس من الحوس والحيس فصيحة بمعنى مختلط والمعنى هنا كثير ومن كثرته يختلط بعضه ببعض ياوى ديرة وتروى أوى ديرة كلمة تعجب تعنى ما أمثلها أو ما أحسنها من بلد، عز الله : قسم مخفف من وعزة الله أجناس : جمع جنس شبيه أى مالها اشباه، لولا بها يشرك علي وابن عباس : يشير الى وجود كثير ممن ينتسبون للمذهب الشيعي في البصرة وقربها من مراكز الشيعة في النجف وكربلاء، أما قوله ابن عباس فلم اطلع على وجود أناس يقدرسون عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في البصرة أما في غيرها فقد وجد أناس كانوا يقدرسون قبره في الطائف قبل ضمها للدولة السعودية الأولى ويبدو أنه أتى به هنا لسياق البيت وأيضا بها الفاروق سبه بريرة : بريرة من البر والاحسان، وهو هنا يشير الى بغض الشيعة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أجل ذلك سمو بالنواصب وتخصيصهم عمر الفاروق رضى الله عنه بالسب والشتم (الفيروز آبادي والزبيدي باب الحاء فصل الفاء هـ باب السين فصل الحاء، محمد العبودي : بلاد القصيم مطبعة نهضة مصر، القاهرة نشر دار اليمامة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١ م، ٤ / ١٦٤٢ - ١٦٤٥، ٥ / ١٨٨٧ - ١٨٨٩) وعن الأبيات : أبابطين ٣٢ وروى البصرة : مسقط الفيحاء الحاتم ١ / ٢٦٥ ورواها مسقط كذلك ولكنه رسمها مسكت، محمد كمال ١ / ١٩٤ ورواها مسقط كذلك، ابن نفيسه ٧٥ ورواها البصرة، ورغم أن أغلبية المصادر الشعبية روتها مسقط إلا أنني ملت الى رواية ابن نفيسه لأن سياق الأبيات بعدها يؤيد هذا إذ لم يؤثر وجود شيعة في منطقة عمان، ولان ابن نفيسه روى القصة بتفصيل أوفى من المصادر الأخرى وأكد أن دباسة ذهب للبصرة، وذكر أن تاريخ القصة كان عام ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م.

ولو ذهبت أتتبع الأبيات التي تحمل معان دينية لدى شعراء نجد قبل الدعوة لضاق بى المجال عن مباحث الرسالة الأخرى ، لأن الشعر كان خير معبر عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وقضاياهم الاجتماعية فى وقت كانت الكتابة التاريخية محدودة فى رصدها لمجالات الحياة العامة فى المنطقة .

ان هذا العرض لمظاهر الالتزام بالدين الاسلامى عند حضر نجد قبل الدعوة لا يجوز أن يفهم منه -بأى حال من الأحوال -على أنه تقليل للدور الضخم والأثر العظيم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على جميع مجالات الحياة العامة فى نجد ، ومن أبرزها آثارها الضخمة على الحياة الدينية ، اذ أن تصحيح العقيدة بذلك الشمول الذى أوضحت الدعوة والحرص على اقامة الشعائر التعبدية ومعاقبة المتخلفين عنها ، واقامة الدولة المسلمة للهـو فى الحقيقة عمل جليل لا يستطيع القيام به الا ألوا العزم من الرجال الذين يوفقهم الله للاهتداء بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدى لأى عقبة تعترض سبيلهم ، وهذا ما حصل من الشيخ رحمه الله ومن أئمة آل سعود الذين جاهدوا حتى تحققت هذه الدعوة فى عالم الواقع وعلى مستوى الدولة واستطاعوا أن يعيدوا للعقيدة الاسلامية صفاءها ونقاءها ، وأن يظهر هذا المجتمع بالصورة التى يراها المنصف فلا يجدها تختلف عن الصبغة الأصلية للاسلام^(١) .

لقد حاولت هذه الدعوة أن تقضي على جميع المظاهر السيئة للحياة الدينية فى مجالها العقدى وغير العقدى تلك التى نمت خلال العديد من الفترات التاريخية للاسلام بفعل عدة مؤثرات داخلية وخارجية ، وهى محاولة وصلت من الوضوح درجة لا يرقى اليها الشك ، وكان يمكن أن تؤدى مع الزمن الى تحرير أغلب مناطق العالم الاسلامى من جميع الخرافات التى حجبست نور رسالة الاسلام بزيادة التأثير فى الحركات الاصلاحية التى كان للدعوة

(١) تاريخ ابن ربيعة ص ٤٨ من مقدمة المحقق الدكتور عبد الله الشبل .

بعض المؤثرات عليها ، وهذه حقيقة أشار اليها عدد من الدارسين لهذه الدعوة المباركة .

انه لا مجال للمقارنة بين تلك الأوضاع الدينية في نجد قبل الدعوة وتلك النقلة الهائلة التي حدثت فـسـى هـذه

المنطقة بعد قيام الدعوة ، ولولا تلك الانتكاسات التي منيت بها الدولة السعودية في دورها الأول والثاني لانطلقت هذه الدعوة الى مجالات أرحب في العالم الاسلامي ، ولولا ذلك الحقد من بعض القوى السياسية والفكرية ضد الدعوة ، علاوة على بعض الممارسات الخاطئة من بعض أتباع الدعوة الذين لم يفهموا حقيقتها وأهدافها والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك^(٢) ، وعدم الرصد

(١) ليس هنا مجال العرض لأقوال بعض الكتاب والمفكرين عن الدعوة السلفية الا أن رأى الدكتور رضا توفيق بك المستشار الأول للملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن الأسبق (قتل ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) هذا الرأى جدير بالتسجيل هنا لأنه رأى كبير مستشارى الملك

عبد الله بن الحسين الذى يعد فى ذلك الحين من خصوم الدعوة السلفية ، ولانه تركى وأغلب الأتراك فى تلك الفترة لا يكون للدعوة أى مودة يقول هـ. رضا : " لم يكن بالامكان رفض آراء الوهابيين الدينية بداهة وارتجالا ذلك أنها فى الحق أقرب الى روح القرآن من الأفكار المنتشرة بين عامة الناس فى معظم الأقطار الاسلامية ، ويمكن بالتالى أن تحدث مع الزمن تأثيرا خيرا مفيدا فى التطور الاسلامى الثقافى " (محمد أسد : الطريق الى الاسلام ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٢) لقد انكر بعض اتباع الدعوة على من لبس من الأشراف لباسا أخضر تمميرا لهم وكذلك تقبيل أيديهم ولكن الشيخ رحمه الله رد على هؤلاء الاتباع فى رسالته لأحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بـسعود مؤكدا عليهم أن الانسان " لا يجوز له الانكار الا بعد المعرفة فأول درجات الافكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله ، وأما تقبيل اليد فلا يجوز انكار مثله وهى مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ، وأما لبس الأخضر فانها أحدثت قديما تمييزا لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد أو يقصر فى حقهم من لا يعرفهم " ويبسود أن هذه القضية قد انتشرت بين اتباع الدعوة حتى الخاصة منهم لا اعتقادهم أن لها مساس بقضية التوحيد يدفعهم فى ذلك انكار

القريب من الواقع للحياة العامة في نجد قبل الدعوة ، لولا ذلك كله لكان للدعوة تأثير أكبر ليس في نجد فحسب بل في كثير من المناطق المجاورة وغير المجاورة .

ان اغفال الجوانب الخيرة في الحياة الدينية في نجد قبل الدعوة فيه سلب وغمط لما كان يزخر به هذا المجتمع من هذه الجوانب ، وذكرها لن يغير الدعوة بشئ^(١) ولا يجب أن يستغل للمساس بها بل يجب أن يدفع للحماس

(=) الدعوة للغلو في أهل البيت الذي قد يؤدي الى صرف شئ من أنواع العبادة لهم وهنا أبان الشيخ أن بين هذا وذاك خيط رفيع يجب الانتباه له فقال : " فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه ممن التوحيد بل هو من الغلو ونحن ما أنكرنا الا اكرامهم لاجل ادعاء الأولوية فيهم أو اكرام المدعى لذلك " . كما أن بعض اتباع الدعوة ويبدو انهم من العامة قاموا باتلاف بعض الكتب العلمية عند ضمهم للطائف سنة ١٢١٢ هـ / ١٨٠٢ هـ فانتقد ذلك الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقريب من هذا ما ذكره وليم بلجريف - ان صدق - من أن شخصا اسمه عبد الكريم ذكره على أنه أحد علماء الرياض - قال له ان أكبر الكبائر بعد الشرك التدخين ، ورغم تشدد الدعوة في موضوع التدخين فلا يمكن أن يصدق الباحث صدور مثل هذا الكلام من عالم ولم يعرف شخص بهذا الاسم في أوساط علماء الرياض ، وربما صدر من عامي ، على أن أغلب العامة كانوا يقفون عند تحريم التدخين فقط ، ويندرج تحت هذا اعتقاد بعض اتباع الدعوة من العوام كذلك أن لبس العمامة دليل على التدين واتباع الدعوة يوالى عليه ويعادى عليه ولكن علماء الدعوة المحققين وقفوا ضد هذا الاعتقاد وشددوا النكير على معتقده ، كما أن بعض الممارسات الخاطئة فسى موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقف ضدها علماء الدعوة المحققون بدءا من الشيخ محمد نفسه ، ورغم هذه الوقفات من هؤلاء

العلماء فقد أخذها الخصوم على الدعوة السلفية (الشيخ محمد الرسائل الشخصية ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ابن قاسم : الدرر ١٢٩ / ٤ - ١٣١ عبد الله البسام علماء نجد ٢ / ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١٣ ، ١١٤) .

(١) ومما يستأنس به عنا عدم اغفال مؤرخي السيرة النبوية لتلك الروايات الكثيرة عن عصر الجاهلية الأولى ، ووجود تلك الكتب والدراسات

لها بوعى واخلاص وهو ما كان يهدف اليه امامها ومؤيده من آل سعود الذين ليسوا في الواقع الا أبناء برره من ذلك المجتمع هزتهم الجوانب المشرقة فيه فاعجبوا بها وشجعوها ونظموها وفق الشريعة، وأثارت الجوانب السيئة فسى أنفسهم محاولات الاصلاح فقاموا بها وفق هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق .

وبالرجوع الى تلك المظاهر المنحرفة فى الحياة الدينية فى المجالين العقدى وغير العقدى وتلك المظاهر الحسنة للحياة الدينية يتبين لنا أن نجدا كانت بحاجة ماسة لهذه الدعوة المباركة ، توضح لجّهال الناس ما كان خافيا عليهم من أمور دينهم ، وتقضى على الوسائل التى تخل بعقيدتهم ، وتلزم فى الوقت نفسه من كانوا يستهينون بأداء الشعائر التعبدية على أدائها والتأكيد على هذا الأداء جماعة فى أهم شعيرة منها وهى الصلاة ، ثم بعد هذا كله تقوم بتنظيم تلك الجوانب الحسنة فى الحياة الدينية والمظاهر

(=) والبحوث الوفيرة عن هذا العصر بما فيه من الجوانب المشرقة والمظلمة بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يتناقلون الشعر الجاهلى - سجل ذلك العصر - فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم خيره وشره (محمود محمد شاكر: الشعر الجاهلى بحث منشور فى مجلة العرب ج ٧، ٨ / س ١٠ ص ٥٠١، ٥٠٢) وإذا كان اغفال دراسة الأوضاع العامة فى نجد قبل الدعوة بما فيها من مظاهر حسنة وجوانب سيئة ضروريا لدى علماء وأئمة الدعوة ابان كون الناس حديثي عهد بقيامها وبالتالي يخشى أن يحتوا الى ذلك الماضى ، فان هذا الآن لم يعد لمضر الدعوة ومبادئها بشئ من هذا القبيل اذ أنها مضت وتغلغلت فى النفوس وأشرب الناس فى قلوبهم حبها لما انطوت عليه من مبادئ سلفية صافية وعم فضلها سائر المناطق التى تضمها البلاد السعودية .

(١)

الاجتماعية وفق تعاليم الشريعة الاسلامية .

كما أنها بحاجة الى دولة تجمع شتات الامارات المتناحرة فيها
وتؤاخي بين القبائل المتصارعة فيما بينها حول موارد المياه ومواطن الكـ
من ناحية ، وفيما بينها وبين حاضرتها من ناحية أخرى ، وسيمر بنا عند
الحديث على الوضع الأمني في نجد قبل الدعوة مدى حاجة المنطقة
الى هذه الدعوة ودولتها من هذه الناحية بالذات وهذا ماوعته الدولة
السعودية في أدارها الثلاثة حيث قامت بجمع تلك الامارات والقبائل
في دولة واحدة يسودها الأمن والاستقرار اللذين جعلهما قادة هذه
الدولة هاجسهم الأول .

الباب الثاني
الحياة العلمية وأثرها
على الحياة الاجتماعية

المفصل الأول

الحياة العلمية : استعراض عام

- 1- سبل التعلم :-
 - (أ) التعليم المحامي .
 - (ب) الرحلات العلمية داخل نجد وخارجها .
 - الرحلات العلمية إلى المراكز العلمية داخل نجد .
 - الرحلات العلمية إلى المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية .
 - الرحلات العلمية إلى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية .
 - (ج) الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد
 - 2- العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم .
 - 3- مجالات التأليف :-
 - (أ) الفقه .
 - (ب) التاريخ .
 - (ج) التوحيد .
 - (د) علوم الآلة .
 - 4- طريقة التأليف .
 - 5- النسخ والخطاطون وكتاب العدل .
 - 6- المصكبات .
 - 7- الأوقاف العلمية .
-
-
-

توطئة:

لقد سبقت الإشارة الى أن منطقة نجد قد حظيت بكم وافر من العلماء منذ فترة متقدمة عن قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته المباركة، كما سبقت الإشارة الى أثر بعض علماء نجد السليبي والمداري والمؤيد أحياناً لبعض أهل نجد في عاداتهم المخالفة للعقيدة والشرع، وأثّر بعضهم الآخر في الحفاظ على القيم الخيرة في المجتمع وتوجيهها الوجهة الشرعية على قدر ما سمحت لهم به الظروف المواتية، وخاصة الظروف السياسية في عهد الامارات السابقة للدعوة، وما كانت تعاني فيه المنطقة من هم أمني وفراغ قيادي، الا أن هؤلاء العلماء استطاعوا بجهودهم - رغم تفرقها ومحدوديتها - أن يحفظوا العلم الشرعي وبيقوا على صلته فيما بينهم كل في بلدته التي لا تعترف سياسياً بالبلدة الأخرى، والأهم من هذا تأهيلهم لذا المجتمع لقبول ما قامت به دعوة الشيخ محمد من اصلاح عقدي وتوحيد سياسي.

وتدل الوثائق النجدية المنشورة على وجود حركة علمية في المنطقة منذ ما قبل منتصف القرن الثامن الهجري فقد كانت أولى كتابات وصيفة صبيح المشهورة في أشيقر سنة ٧٤٧ هـ^(١)، ويدل أسلوب كتابتها على سعة

(١) هي إحدى وثائق الأوقاف الخيرية في نجد وواقفها هو الحاج صبيح عتيق عقبة بن راجح بن عساكر بن بسام بن عقبة بن عتيق ابن زاخر الوهبي التميمي، ويذكر البسام في (علماء نجد ٣/٧١٦)، أن صبيحا ابان رقه كان يخدم في بستان عقبة في أشيقر وكان لعقبة زوجتان احدهما تكرم صبيحا والأخرى تهينه، فلما عتيق صبيح وأصبح من أهل الثراء جعل وقفه على أولاد عقبة من زوجته التي كانت تكرمه، وحرّم أولاد الزوجة الثانية.

(٢) يوافق أولها ٢٤/٤/١٣٤٦ م.

علم كاتبها فى المشهور من مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وبالتالى فقد وجد علماء قبل ذلك التاريخ ^(١) .

واذا كانت أسرة آل مشرف تعد كبرى الأسر العلمية فى نجد قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد وجدت أسر علمية أخرى ساهمت فى اثراء الحركة العلمية بالعديد من العلماء الذين كان لجهودهم التعليمية وآرائهم وفتاويهم أثرا كبيرا على حركة التعليم فى نجد منذ القرن العاشر ، ورغم أن عدد العلماء المنتمين لهذه الأسر لم يكن بالقدر الذى كان عليه عدد العلماء المشرفيين ، فقد برز من هذه الأسر علماء أجلاء يشار اليهم بالبنان بين علماء نجد ^(٢) .

وليس هنا مجال التأريخ التفصيلي لجوانب الحياة العلمية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فذلك موضوع طويل يحتاج البحث فيه الى البسط والايضاح ولا تتسع مباحث الرسالة له بهذه الصورة ، الا أنه لابد من استعراض لبعض هذه الجوانب على اعتبار أن الحركة العلمية هى أحد الأنشطة الاجتماعية ان لم تكن أهمها لأنها الموجة لكثير من أوجه الحياة العامة فى المجتمع كما سيأتى .

١- سبل التعليم :

لقد طرق النجديون فى تلك الفترة كافة السبل التى كان بمقدورهم سلوكها للتزود بالمعرفة والتعمق فى العلم واستغلال أى فرصة تحقق لهم

-
- (١) عبد العزيز المبارك : وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية مقال منشور فى مجلة العرب ج ١ / س ٢ رجب ١٣٨٧ هـ ص ٥٨ ، د . عبد الله العثيمين : نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (الحالة الدينية) بحث منشور فى مجلة الدارة ع ٣ / س ٤ شوال ١٣٩٨ هـ ص ٣٣
- (٢) من أبرز الأسر العلمية غير آل مشرف أسرة آل بسام وآل اسماعيل وآل ذهلان وآل فيروز وآل شبانة وآل سلوم وآل سحيم وغيرهم .

الاستفادة ممن سبقوهم في مضمار العلم والتحصيل وكان من أبرز هؤلاء ما يمكن أن يسمى بالتعليم المحلي كل داخل بلدته ، والرحلات العلمية داخل نجد وخارجها ، والاستفادة من القوافل المارة بنجد سواء في طريق الذهاب الى الحج أو العودة منه ، أو تلك القوافل التجارية ، ويصادف في كلتي الحالتين أن يكون من أفراد هذه القوافل علماء أجلاء يستفيد منهم النجديون سواء بالتلمذ عليهم ولو لفترة قصيرة أو يكون معهم كتب تحقق لهم الفائدة العلمية من جانب آخر .

١ - التعليم المحلي :

وهو ذلك النوع من التعليم الذي يتلقاه المتعلم داخل بلدته ويجمع فيه التلميد بين التعليم الأولي والتعليم المتقدم ^(١) وقد يقتصر على الأولى حسب ميوله واستعداداته ودرجة حاجة أهله اليه في أمورهم الحياتية ، وحسب درجة علم من يمارس مهنة التعليم في البلدة .

ولما كانت نجد الى قبيل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد وجدت فيها مراكز علمية توافر فيها كم لا بأس به من العلماء فقد استفل ذلك قسم كبير من طلاب العلم في نجد في تلك الفترة بالافتقار الى تحصيل العلم كل في بلدته التي ولد وعاش فيها حتى يدرك ويعد من علماء المنطقة المرموقين ، وتأييدا لهذا يجد الباحث في سير علماء نجد في تلك

(١) التعليم الأولي هدفه تعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتركيز في هذه المرحلة على القرآن الكريم ، ولا تنتهي هذه المرحلة باعطاء أي مؤهل ، أما التعليم المتقدم فهو الذي يواصل فيه الطالب ما درسه في المرحلة الأولى على كبار العلماء في المسجد أو في بيت أحد هؤلاء العلماء والذي ينهي هذه المرحلة يعطى اجازة من شيخه ويختلف أسلوب الاجازات باختلاف المستويات العلمية للدارسين ، عن هذين النوعين من التعليم ، انظر (د . عبد الله الشبل : التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالاحساء ج ٤ / ص ٢ ،

الفترة أن عددا من كبار العلماء فيها قد تلقوا العلم في بلدانهم وأن بعضهم لم يغادروها الا لتولى أعمال علمية أو قضائية في بلدان أخرى^(١)، أو لأسباب ليس من بينها الرغبة في الاستزادة من العلم^(٢)، كما يجد الباحث أن عدد العلماء الذين تلقوا العلم داخل بلدانهم فقط يفوق العدد الذى رحل لتلقى العلم ابتداءً أو للاستزادة منه الى مراكز علمية داخل نجد أو خارجها وهذا يرينا الى أى مدى كانت الرغبة قوية فى الاقتصار على التعليم المحلي لدى عامة النجديين بما يحقق لهم الاكتفاء الذاتى فى المجال العلمي دون التأثير على مجريات الحياة العامة بمجالاتها الأخرى وهو ما يحصل لو قام الطالب برحلات علمية خارج بلدته مغتربا فى سبيل ذلك متعرضا لعدد من العقبات التى قد تعيقه عن العمق فى العلم الذى يتطلب لدى بعض طلاب العلم الاستقرار النفسى ببقائه فى بلدته وبين أهله وعشيرته قائما بما ينوبه تجاههم من أعمال أخرى .

ب : الرحلات العلمية داخل نجد وخارجها :

وقد شهدت منطقة نجد فى تلك الفترة رحلات علمية قام بهد عدد من طلبة العلم على غرار تلك الرحلات العلمية التى حفل بها تاريخ العلم والعلماء فى الاسلام اذ أن تلك الرغبة القوية فى التعليم المحلي لم تقف عائقا أمام الراغبين من بعض الطلبة فى الرحيل للاستزادة من العلم والنهل من موارده المتعددة ومن هنا فقد كانت تلك الرحلات العلمية ذات اتجاهات ثلاث : الى المراكز العلمية داخل نجد ، والى المراكز العلمية داخل شبه الجزيرة العربية ، والى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية^(٣).

(١) كالشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل ، والشيخ سليمان بن علي بن مشرف ، والشيخ عبد الله بن ذهلان ، والشيخ أحمد القصير وغيرهم .

(٢) كالشيخ أحمد بن محمد الذى رحل للمدينة للتعليم فيها والمجاورة بعد أن اشتهر أمره كأحد كبار العلماء فى نجد (البسام (١ / ١٩٠) .

(٣) د . الشبل : المرجع السابق ص ٥١٠ ، ٥١١ .

- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية داخل نجد :

وهذه الرحلات كان يقوم بها بعض طلبة العلم ممن لا يتوافر في بلدانهم علماء أو يوجد في هذه المراكز من هم أقوى علما من علماء بلدانهم، وقد برز في نجد عدد من المراكز منذ ما قبل القرن العاشر الى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن هذه المراكز : أشيقر التي عرفت مركزا علميا منذ القرن الثامن ووجد فيها حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر عدد من العلماء شدت اليهم الرحال طلبا للعلم وكان يجتمع فيها في فترة من فترات هذه الحقبة أربعون عالما أو يزيدون كلهم يصلحون للتدريس والقضاء والفتيا في وقت لا يؤول لهذه المناصب الا فطاحل العلماء.

ومن هذه المراكز العيينة التي بدأت تنافس أشيقر منذ القرن العاشر الهجري بما توافر لها من علماء بارزين رحل اليهم طلاب العلم النجديون وخاصة في فترات الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي نعمت بهما في بعض الأحيان^(٢).

وفضلا عن هذين المركزين الكبيرين فقد برز في أغلب المناطق النجدية مراكز علمية أخرى كالرياض التي وجد فيها منذ القرن العاشر عدد لا بأس به من العلماء، ومنها المجمعة التي عرف فيها عدد من العلماء منذ أواخر القرن الحادي عشر وخلال الثاني عشر، وكذلك روضة سديسر وحوطتها والدريعية وعنيزة خاصة بعد رحيل الشيخ عبد الله بن عضيـب اليها وازدهار الحركة العلمية فيها اثر ذلك^(٣).

(١) البسام: علماء نجد ١/١٥، د. الشبل: المرجع السابق ٥١١

(٢) البسام: المرجع السابق ١/١٥

(٣) د. الشبل: المرجع السابق ٥١١

- الرحاب العلمية الى المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية :

ولقد حرص طلاب العلم النجديون على الاستفادة من علماء المناطق القريبة لهم داخل شبه الجزيرة العربية فوجود مراكز علمية كبيرة في مكة والمدينة والاحساء^(١) جعل هؤلاء الطلاب يرنون بأنظارهم اليها ويشهدون رحالهم نحوها بغية الاستزادة مما لدى علمائها من علم واسع بعد أن يكونوا قد تلقوا قسطا من التعليم داخل نجد ، وإذا كان بعض هؤلاء الطلاب يعود الى نجد بعد ادراكه في العلم فان البعض الآخر يطيّب له المقام في أحد هذه المراكز فيرحل بأسرته أو يكون أسرة بعد رحيله وهذا عامل اجتماعي مهم أثر وجودا أسريا نجديا في هذه المراكز .

ومن أبرز علماء نجد الذين رحلوا الى مكة وتلقوا العلم فيها
الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين^(٣) من أشيقر وغيره ممن ينتهزون فرصة

(١) د . الشبل ٥١١ .

(٢) ولعل من مظاهر الاتصال العلمي بين مكة ونجد رجوع بعض علماء نجد لكبار علماء مكة لأخذ آرائهم حول بعض الفتاوى الصادرة في نجد واستفتائهم بعض النجديين لعلماء مكة ومن الأمثلة على ذلك موافقة جماعة من فقهاء مكة لفتوى من الشيخ سليمان بن علي في مسألة وقف السعدوني في العيينة (المنقور : الفواكه العديدة ١/٥١١ ، ٥١٤)

(٣) هو الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن أبا حسين الوهبي التميمي ولد في أشيقر وتلقى العلم فيها ثم على علماء مكة حتى أدرك عهد من كبار فقهاء نجد ، ولما حاصر الشريف سعد بن زيد أشيقر سنة ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م طلب خروج الشيخين أبا حسين والقصير اليه فخرجا فحبسهما فافتيا لأهل أشيقر بالفطر في رمضان لحصد الزروع حتى يتمنوا من الصومود أمام الشريف ، ولي قضاء أشيقر وتلقى العلم عليه عدد كبير من علماء نجد ، توفي سنة ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م وقيل ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م (ابن ربيعة ٨١ وذكر وفاته عام ١١١٣ هـ ، تاريخ محمد بن يوسف (مخطوط) حوادث عام ١١٢٣ هـ وذكر وفاته في ١٧ شعبان من هذا العام ، ابن بشر ٢/٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ وقد ذكر فيها أن وفاته عام ١١١٣ هـ أو ١١٢٣ هـ أو ١١٢٤ هـ ، ابن حميد ٩١ ، البسام : التحفة ورقة ٩٥ وذكر فيها أن الوفاة كانت في ٢٧ شعبان ١٢٢٣ هـ ، البسام : علماء نجد ١/٢١٧ ، ٢١٨ وقد

الحج للاستفادة من العلماء المكيين ، ومن رحل الى المدينة الشيخ صالح ابن عبد الله أبا الخيل ^(١) وصالح بن عبد الله الصائغ ^(٢) وهما من عنيزة ، ويبدو أن وجود عدد من العلماء النجديين المجاورين في المدينة للعبادة والتعليم كان سببا في رحيل الطلاب النجديين الى هذه المدينة أكثر من غيرها ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أحمد بن خيخ ^(٣) الذي بعد أن أصبح من كبار علماء نجد وأشتهر أمره رحل الى المدينة للمجاورة والتدريس في الحرم النبوي فانتفع بعلمه عدد كبير من الطلاب حتي توفي فيها ، ومن أبرز هؤلاء

(=) نقل عن ابن عيسى في أحد مخطوطاته أن الوفاة في ٢٠ شعبان ١١٢٣ هـ

(١) هو الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم أبا الخيل من المصاليخ من عنيزة ولد في عنيزة وتعلم على عدد من علمائها وأبرزهم الشيخ عبد الله بن عقيب ورحل الى المدينة وتعلم على العلماء فيها وخاصة الشيخ عبد الله بن سيف ثم عاد وتولى قضاء عنيزة وتعلم عليه عدد من العلماء منهم محمد بن سلوم ومحمد بن شبانه ومحمد بن علي بن زامل وغيرهم توفي عام ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م (الفخاري ١١٦ ، ابن بشر ١٣٣ ، ٧٤ / ٢ ، البسام : التحفة ٨٥ ، البسام : علماء نجد ٣٦٢ / ٢ ، ٣٦٣ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ١ / ١٦٥ ، ١٦٦ ، وقد شكك في توليه قضاء عنيزة رغم ذكر ابن بشر والبسام في تحفة المشتاق لذلك والله أعلم

(٢) هو الشيخ صالح بن محمد بن عبد الله الصائغ ولد في عنيزة وكان ضريب البصر ، تلقى العلم على علامة القصيم الشيخ عبد الله بن عقيب وغيره ثم رحل الى المدينة وتلقى العلم على الشيخ عبد الله بن سيف حتى ادرك ادراكا جيدا في الفقه ، وتولى قضاء عنيزة وقيل الرس كذلك بعد وفاة زميله محمد بن علي ابن زامل ، تلقى عليه العلم عدد من العلماء كالشيخ محمد بن سلوم وأحمد بن شبانه والأمير د خيل بن رشيد ومنصور أبا الخيل وغيرهم توفي ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م وله قصائد جيدة ، ورسالة في علم النحو ، وأثر عنه معارضته لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد رد على قصيدة الصنعاني المشهورة (ابن عيسى ٢٤٠ ، ابن حميد ١٠٦ ، البسام : علماء ٣٦٤ / ٢ ، ٣٦٥ ، محمد القاضي روضة ١ / ١٦٧) .

(٣) هو الشيخ أحمد بن محمد بن خيخ (بكسر الخاء الأولى ولد في مقرر (الرياض) وتلقى العلم في نجد حتى أدرك وعد من كبار علماء المنطقة ومن أبرز تلاميذ أحمد بن بسام ، جاور في المدينة للعبادة والتعليم حتى توفي فيها وهو من علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر المنقور : الفواكه ٢١٧ / ١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، البسام : علماء

(١)

العلماء النجديين في المدينة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف الذي عد من كبار علمائها ، وضربت اليه آباط الابل لتلقي العلم عليه ليس من نجد فقط بل من مناطق أخرى علاوة على تلقي عدد كبير من الطلاب المجاورين فـ في المدينة العلم عليه ، ومن أبرز تلاميذه النجديين الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الدعوة والشيخان السابقان أبا الخيل والصائغ .

أما الأحساء فكان الاتصال العام بينهما من نجد قديما ومن المتوقع أن يرافق هذا اتصال علمي الا أن بعض الاشارات التاريخية تذكر وجود اتصال علمي ابان حكم السلطان العالم أجود بن زامل^(٢) الذي مد نفوذه الي

(١) هو الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف الشمري ولد في المدينة المنورة وقرأ على علمائها والوافدين اليها ثم رحل الى الشام وتلمذ على بعض علمائها حتى مهر في عدد من العلوم الشرعية وجمع مكتبة حافلة بنفائس الكتب ، وجلس للتدريس في المسجد النبوي وفي بيته بظاهر المدينة ورحل اليه عدد من الطلاب من بعض المناطق كالشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من نجد ، والشيخ محمد بن عقالق من الاحساء ، له نظم جيد في ذم الدخان ، وهو موجود لدى مع أرواق خطية الا أنه باسم عبد الله بن ابراهيم المالكي علما أن الشيخ قد اشتهر عنه أنه حنبلي وتوفي عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م ، ابن بشير ، ٢٠ / ١ ، ابن حميد ١٢ ، ابن عيسى ٣٤ ، البسام : علماء ، ٢ / ٥٠١ - ٥٠٤ ، محمد القاضي : روضة ١ / ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) هو السلطان أجود بن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر العلامري العقيلي ولد في رمضان ٨٢١هـ / اكتوبر ١٤١٨م في بادية الاحساء والقطيف وتولى امارة الجبور شرق شبه الجزيرة بعد وفاة أخيه سيف الذي قضى على آخر ولاية الجراونة ، واتسع ملك آل جبر في عهده حتى شمل كل شرق شبه الجزيرة مع نجد كان مالكي المذهب ولقب بالشيخ لسعة علمه يذكر له حرصه على أمن طرق الحج وخدماته للحجيج في منطقة المشاعر ، ليس من المعروف تاريخ وفاته الا أن الدكتور عبد اللطيف الحميدان رجح أن يكون بعد سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م بما لا يتجاوز السنة ، تولى بعده ابنه محمد ثم ابنه مقرن الذي مدحه بعض شعراء العامة في نجد (عبد القادر الجزيري : الـ درر الفرائد المنظمة ط (١) مطبعة نهضة مصر نشر دار اليمامة ، الرياض (=)

وكان للعلماء الأحساء في وقته مناظرات تعليمية مع علماء نجد ، كما يذكر بعض المؤرخين استعانة هذا السلطان ببعض العلماء النجديين لتولي القضاء في بعض نواحي مملكته ، وكان المتخصصون من بعض البلدان النجدية أحيانا يرفعون قضاياهم الى قاضي الأحساء اذا لم تحل في بلدانهم^(١).

ولقد كانت الرحلات العلمية الى هذا المركز العلمي من أبرز مظاهر الاتصال العلمي بين الأحساء ونجد نظرا لوجود عدد من كبار العلماء فيها ، وكان بعض الطلاب النجديين يعود بعد حصوله على قدر من العلم الى بلده وبعضهم يطيب له المقام فيها فيتخذها سكنا له ولأولاده من بعده والبعض الآخر يتخذها محطة للتزود من العلم فيها ثم يرحل منها الى مركز علمي آخر وخاصة الى العراق اما بدافع اقتصادي للبحث عن عمل أو يذكر له بعض العلماء فيرحل للاستفادة منهم وقد يعود الى نجد بعد ذلك وربما أثر البقاء فيها .

ومن أبرز العلماء الذين رحلوا الى الأحساء لتلقي العلم فيها ثم عادوا الى نجد الشيخ منيع العوسجي^(٣) الذي تتلمذ على

(=) ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ١ / ٧٦٢ ، ٢ / ٧٩١ ، ٣ / ١٧٢٩ ، الفاخري ٦١ ، ابن بشر ٢ / ١٩١ ، ١٩٢ ، ابن عيسى ٤٦ ، أبو عبد الرحمن عقيل : انساب الأسر الحاكمة في الأحساء ١ / ٢٠٤ - ٢٦٠ ، دكتور عبد اللطيف الحميدان : مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية : بحث منشور في مجلة الدارة ع ٤ / س ٧ رجب ١٤٠٢ ص ٥٦ - ٧٧)

(١) المنقور : الفواكه ١ / ٥٣١ ، ٢ / ٢٠١ ، البسام : علماء نجد ٢ / ٤٩٢
(٢) هو الشيخ منيع بن محمد بن منيع العوسجي وتنطق عاميا بالجمع (العواشز) البدراني الدوسري ، ولد في ثادق وهي بلدة أسرتة ، وتلقى العلم الأولى فيها ثم رحل الى الرياض والعينة وتلمذ فيها على الشيخين عبد الله بن ذهلان وسليمان بن علي ثم رحل الى الأحساء فدرس على الشيخ محمد بن عفالق ثم عاد الى بلاده بعد ادراكه في العلوم الشرعية والعربية وتولى قضاء ثادق مع التعليم والفتيا وتوفي فيها في أواخر شهر ذي الحجة عام ١١٣٤ هـ /
(=)

(١)

الشيخ محمد بن عبد الرحمن عفالق وأثر ذلك في مستوى الشيخ منيع اللغوى حيث عد من كبار علماء نجد الذين لهم اهتمام بعلوم العربية مع اهتماماتهم الفقهية، ومن تتلمذ على الشيخ ابن عفالق وعاد بعد ادراكه الى نجد الشيخ أحمد بن محمد التويجى^(٢) الذى عد من كبار علماء سدير فى القرن الثانى عشر بعد عودته من رحلته العلمية الى الاحساء .

(=) سبتمبر ١٧٢٢م (ابن ربيعة ٢٠ / ٨٧ ، الفاخرى ٩٧ ، ابن عيسى ٩٣ ، البسام : تحفة المشتاق ٩٢ ، البسام : علماء نجد ٣ / ٩٥٦ ، ٩٥٧) .
(١) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عفالق القحطاني ، ولد فى الأحساء عام ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م رحل الى الحرمين ودمشق وبغداد والبصرة والزبير لتلقى العلم على علماءها فى عدد من العلوم ومن أبرز أساتذته عبد القادر التغلبى الدمشقي وجمعه الهلالى النجدى وحسين بن ميعن البصرى وابراهيم البغدادي وعبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى المدنى وغيرهم حتى أدرك ومهر فى الفقه والعربية والفلك والحساب والمنطق وغيرها من أبرز تلاميذه محمد بن فيروز وعبد الرحمن الزواوى وأحمد التويجى وقد أدرك ابن عفالق دعوة الشيخ محمد وعارضها الا أنه توفى قبل انتشار هذه الدعوة فلم يصطدم بها بشكل واسع اذ توفى عام ١١٦٣ هـ وقيل ١١٦٤ هـ / ٤٩ ، ١٧٥٠ م الا أن تلميذه بن فيروز ذكر أن وفاته فى ٢٥ من صفر عام ١١٦٣ هـ / ٤ فبراير ١٧٥٠ م (ابن حميد ٢٤٤ ، البسام : علماء ٣ / ٨١٨ - ٨٢١ ، الزركلى : الاعلام ٧ / ٦٩ ، ٧٠) .

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمد بن مبارك ابن حمد التويجى العنزى نسباً المجعى مولداً ومنشأً ووفاة تلقى العلم على عالم المجمع الشيخ عبد القادر العدلى ثم رحل الى الاحساء لتلقى العلم على ابن عفالق حتى أدرك وعاد الى المجمع وتولى قضاءها وتصدى للتدريس والافتاء فيها وتتلذذ عليه عدد من العلماء كمحمد بن سلوم وعثمان بن عبد الجبار بن شبانه وعبد الله ابن داود وغيرهم ، توفى عام ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م (عثمان بن سند : سبائك العسجد ٤٣ ، الفاخرى ١١٩ ، ابن بشر ١ / ٨٩ ، ٩٠ ، ابن عيسى ١١٧ ، ١١٨ ، البسام : علماء ١ / ١٨٩ ، القاضى : روضة ١ / ٦٤ ، ٦٥) .

ويبدو أن اشتهار عدد من الأسر النجدية في الأحساء بعدد من العلوم كان من أسباب رحيل بعض النجديين الى هذا المركز العلمي لتلقي العلم والاستقرار فيها ومن أبرز هؤلاء الشيخ سيف بن أحمد العتيقي^(١) الذي نشأ من عقبه أسرة علمية تلقى بعض أفرادها العلم في نجد ثم رحلوا الى الأحساء وبقي بعضهم فيها ورحل البعض الآخر الى بلدان أخرى كالزبير والبصرة والمدينة وغيرها^(٢).

ومن أبرز تلك الأسر العلمية في الأحساء التي تعود الى أصل نجدى أسرة آل فيروز تلك الأسرة التي انتقلت من أكبر مركز علمي نجدى في تلك الفترة (أشيقر) الى الأحساء وعدت من كبار الأسر العلمية فيها، وقد التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء مروره بالأحساء لتلقى العلم فيها بأحد أفرادها واستفاد منه وأثنى عليه لمعرفته ببعض جوانب العقيدة ووجود بعض الكتب العقدية لمحققي السلف لديه، إلا أن بعض أفراد هذه الأسرة ناوأوا الدعوة فيما بعد فرحلوا عن الأحساء الى البصرة عند ما ضمت للدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م، وأثروا على بعض تلاميذهم في هذا الاتجاه^(٣).

(١) هو الشيخ سيف بن أحمد العتيقي ولد في حرمة - إحدى بلدان سدير - وتتلذذ على علماء المنطقة حتى أجاد في الفقه وتولى إمامة أحد مساجد المجمع ثم سافر لزيارة ابنه صالح الذي يدرس في الأحساء فأخذ في التعلم على بعض علمائها وخاصة آل فيروز ثم توفي في الأحساء عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م وبعد من معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ابن حميد ١٠٤، البسام: علماء ٣٢٧/١، ٣٢٨).

(٢) كالشيخ صالح بن سيف بن أحمد العتيقي (ولد في حرمة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م وتوفي في الزبير ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م، والشيخ محمد بن سيف ابن أحمد العتيقي المولود في حرمة والمتوفى في المدينة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي (ابن حميد ٢٤٢، البسام: علماء ٣٥٢/٢، ٣٥٣، ٣٥٤ / ٨٠٠، ٨٠١).

(٣) ابن بشر ١/١٣١، ابن حميد ٢٥٧-٢٦١، البسام: المرجع السابق ٨٨٢-٨٨٦/٣.

وقد رحل الى هذا المركز العلمي لتلقي العلم على علماء هذه الأسرة عدد من طلاب العلم النجديين ومن أبرزهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عدوان^(١) والشيخ عبد المحسن بن علي^(٢) الشارخي الذي رحل الى الزبير للعمل فيها اماما وخطيبا ومفتيا .

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن رزين بن عدوان الرزينسي الحنظلي التيمي ولد في أثيثية - إحدى بلدان الوشم - ثم رحل الى الأحساء لتلقي العلم على آل فيروز، وكان اسمه عدوان فحولوه الى عبد العزيز وأدرك أدراكا جيدا في الفقه وعلوم العربية، كان شاعرا وشعره جزل ليس كالنظم الذي اشتهر به بعض العلماء، يعد من معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وله رسالة حول هذا الموضوع، سافر بصحبة شيخه محمد بن فيروز للحج وتوفي بعد الحج في بلدة العظيم من بلدان منطقة حائل في ٢٥ صفر سنة ١١٢٩ هـ / ١٤ أغسطس ١٧٦٥ م (ابن حميد ١٣٥، ١٣٦، البسام: المرجع السابق ٤٧٣/٢ - ٤٧٥) .

(٢) هو الشيخ عبد المحسن بن علي بن عبد الله بن نشوان الشارخي التاجر نسبة الى أسلافه (التجار) من آل مشرف من وهبة تميم ولد في الفرعة - إحدى بلدان الوشم - عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م ونشأ وتلقى تعليمه الأولى فيها ثم رحل الى أشيقر فتعلم على علمائها، ثم استوطنها عام ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م اثر فتنة نشبت بين النواصر والمشاركة في الفرعة، ثم سافر الى الأحساء للتزود من علمائها، ثم طلبه من آل فيروز أهل الزبير للامامة والخطابة والفتيا والتعليم عندهم فرحل اليهم حيث لقي التكرم هناك اشتهر بسعة علمه في الانساب والفقه وخاصة الفرائض، يعد من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وله رسالة في هذا الموضوع، توفي في آخر ذي الحجة عام ١١٨٧ هـ / ١٣ مارس ١٧٧٤ م في الزبير فسي الطاعون الذي عم العراق في هذه السنة حيث قيل انه مات من الزبير فقط نحو ستة آلاف (الفاخرى ١١٦، ابن بشر ٧٨، ٧٧/١ ، ٣٥ / ٢، وذكر أنه تولى قضاء الكويت تبعا للزبير، ابن حميد ١٦٩، ابن عيسى ١١٤، ١١٥، ٢٠٩، ٢١٢، البسام، تحفة المشتاق ١١٩ ، البسام: علماء نجد ٣/٦٦٧، ٦٦٨، القاضي: روضة ٥١/٢ - ٥٣ ، الزركلي: الاعلام ٢٩٥/٤) .

وما من شك في أن نبوغ علماء هذه الأسرة في عدد من العـــــــلوم
وتهيئة سبل التعلم أمام تلاميذهم بالانفاق عليهم وتوفير الكتب العلمية لهم
بالنسخ حيث فرغوا نساخا لهذا الغرض، فضلا عن حرصهم على مصاحبة
التابعين من تلاميذهم في رحلاتهم خارج الأحساء للحج أو غيره، كل هذه
عوامل أثرت على حماسة طلابهم للعلم مما انعكس على مستواهم العلمي، كما
أثرت من جانب آخر على كثرتهم العددية، وبروز أسر علمية تنتمي علميا لهذه
الأسرة^(١).

- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية خارج شبه الجزيرة العربية :-

ولقد رنا طلاب العلم النجديون بأنظارهم الى المراكز العلمية
خارج شبه الجزيرة العربية هادفين الى الاستفادة من المدارس الحنبلية
الموجودة فيها، ومن أبرز المراكز العلمية التي توجه بعض هؤلاء الطلاب اليها
الشام ومصر حيث وجد فيهما عدد من عمد المذهب الحنبلي، وكان بعض
الطلاب النجديين يقتصر في رحلته على أحد هذين المركزين وبعضهم لا يكفي
بذلك بل يحرص على الاستفادة من العلماء قبيها

ومن اقتصر في رحلته العلمية على الشام فقط الشيخ أحمد بن يحيى
ابن عطوة الذي يعد رائد الحركة العلمية التي ظهرت في نجد في أول القرن
العاشر الهجرى (١٦ م) ويبدو أنه أول من رحل الى الشام ولقت أنظار
طلاب العلم النجديين الى تلقى العلم على علماء الحنابلة فيها، وجاؤوا
في مدرستها المشهورة حتى أدرك وعاد بعد أن جمع كتباً كثيرة في دمشق^(٢)

(١) كآل سلوم وآل العتيقي .

(٢) هي مدرسة أبي عمر والمنسوبة الى أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن
قدامة (ولد ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م وتوفي بدمشق ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) وهو
فقيه حنبلي أخ لامام المذهب المعروف موفق الدين بن قدامة والوالد
الشيخ عبد الرحمن بن أبي عمر صاحب الشرح الكبير، وتقع المدرسة
في حي الصالحية بدمشق (البسام : علماء نجد ١ / ١٩٩ ، ٢٠٠) .

بطريق الشراء والاستنساخ وأوقف بعضها على مدرسته فيها وحمل الباقي معه الى نجد فأصبح مرجع العلماء فيها وكلمته النافذة فيما يختلفون فيه من مسائل شرعية^(١).

ومن العلماء الذين رحلوا الى الشام فقط الشيخ حسن بن علي بن بسام^(٢) الذي تتلمذ على كبار العلماء فيها من أساتذة وزملاء ابن عطوة، وقد اغتنم فرصة اطلاعه على عدد من الكتب في المدرسة الحنبلية فيها فقام بنسخ عدد كبير منها ووقفها على طلبة العلم في نجد^(٣).

(٤)
ولقد تتلمذ على هذين العالمين الشيخ أحمد بن ابراهيم بن أبي حميدان وربما أثرا عليه فرغاً له السفر الى دمشق حيث رحل اليها وتزود بالعلوم من كبار علماء الحنابلة فيها، وقد فعل كما فعل شيخاه بتحصيل بعض

(١) البسام: المرجع السابق ١/ ٢٠٠، ٢٠١، د. الشيل: المرجع السابق ص ٥١٢، وقد سبقت ترجمة ابن عطوة.

(٢) هو الشيخ حسن بن علي بن عبد الله بن بسام بن منيف الوهبي التميمي ولد في أشيقر وتتللمذ على علمائها والممارين بها وخاصة معين الدين محمد بن صفي الدين الحسيني الأيجي صاحب جامع البيان في تفسير القرآن حيث مربأشيقرفي طريقه للحج واستفاد منه الشيخ حسن، ثم سافر بعد ذلك الى الشام لتلقي العلم على علماء الحنابلة فيها فتتللمذ على الشيخ موسى الحجاوي فلما تنقه عاد الى أشيقر فجلس للقضاء والفتيا والتعليم حتي توفي فيها عام ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م وله أبناء خمسة كلهم علماء الا أن أبرزهم الشيخ طلحه كاتب وصية صقر بن قطام (البسام: المرجع السابق ١/ ٢١٦، ٢١٥)

(٣) البسام: المرجع السابق ١/ ٢١٦

(٤) هو الشيخ أحمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي حميدان ولد أول القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وتعلم على عدد من علماء نجد ثم رحل الى الشام وتلقى العلم على علماء الحنابلة فيها وخاصة موسى الحجاوي، وعاد الى نجد فتصدى للتعليم فيها وهو من علماء القرن العاشر (البسام: المرجع السابق، ١/ ١٥٤).

الكتب من هذه المدينة وأوقف بعضها على طائفة الحنابلة بدمشق ، ومن أبرز ما أوقفه فيها الفروع والزرکشی والانصاف وهي مؤلفات لبعض مجتهدى الحنابلة .

وبعد الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف ممن اقتصروا فى رحلتهم (١) على الشام اذ بعد أن تلقى تعليمه على علماء أشيقر رحل الى دمشق بعد عودة ابن عطوة منها وقبل اشتهاره فى نجد فتتلمذ على علماء الشام ثم عاد الى نجد ليجد الشيخ ابن عطوة قد اشتهر فلازمه وتتلمذ عليه .

(٢)

وممن رحل الى الشام فقط الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان الذى بعد أن تلقى تعليمه فى العيينة ، وبعد أن تتلمذ على عدد من كبار علماء الحنابلة فى الشام عاد ورحل مع أخيه الشيخ عبد الله من العيينة الى الرياض ولازم أخاه عبد الله واستفاد منه ، كما تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن عدد من العلماء النجديين .

ولقد اشتهر الشيخ عبد الله المويس المعاصر والمعارض للشيخ محمد ابن عبد الوهاب برحلته الى دمشق لتلقى العلم على علمائها حتى اذا أدرك فى العلم عاد الى نجد وأصبح من العلماء المعدودين فيها ، وكانت رحلته

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف الوهيبي التميمي ولد فى أشيقر وتلقى العلم على علمائها ثم سافر الى دمشق فلازم علماء المذهب الحنبلي فيها لاسيما العلامة الشيخ موسى الحجاوى حتى مهرب فى الفقه ثم عاد الى نجد فواصل تعليمه على الشيخ ابن عطوة فعقد من كبار الفقهاء النجديين ورحل اليه الطلاب للتعلم عليه ومن أبرز تلاميذه الشيخ محمد بن اسماعيل وابن عمه سليمان بن علي وابنه الأديب عبد الله بن أحمد وغيرهم توفى عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م ، (البسام : المرجع السابق ١ / ١٩٣ ، ١٩٤ ، منصور الرشيد : قضاة نجد ، بحث نشر فى مجلة الدارة ع ٢ / س ٤ رجب ١٣٩٨هـ ص ١٩)

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ذهلان ولد فى العيينة وأخذ عن علمائها ثم رحل الى الشام فدرس على علمائها ولازم الشيخ محمد ابن بدر الدين البلباني (ت ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م) ثم عاد الى نجد واستفاد من أخيه ثم جلس للتدريس حتى توفى مع أخيه فى

(=)

(١)

الى الشام وجلبه كتباً كثيرة منها مجال جدال بينه وبين الشيخ محمد .

أما الذين قصرُوا رحلتهم العلمية على مصر فقط فمنهم الشــــــــــــيــــــــــــخ
أبو نعيم بن عبد الله بن راجح^(٢) الذي بعد أن تلقى العلم على كبار العلماء
النجديين رحل الى القاهرة ولازم مجتهدى المذهب الحنبلي فيها وخاصة
الشيخ مرعى بن يوسف الكرّمى^(٣) ثم عاد الى نجد لنشر ما حصل عليه من علم

(=) ١٠٩٩/١٢/٨ / ١٦٨٨/١١/٤ فى وياء أصاب الرياض، من أبرز
تلاميذه أحمد القصير (المنقور: التاريخ ٦٥، ابن ربيعة ٧٥، ٧٦،
الفاخرى ٨٣، ابن بشر ٢/٢١٩، ابن حميد ١٦٥، ابن عيسى،
٧٣، ٧٤، البسام: علماء نجد ٢/٤٠٨) .
(١) ابن حميد ١٦١، البسام: المرجع السابق ٢/٦٠٤، ٦٠٥، القاضي
روضة ١/٣١٧ .

(٢) هو الشيخ أبو نعيم بن عبد الله بن راجح العربي، ولد فى عــــودة
سدير ورحل الى أشيقر فتلقى العلم فيها على الشيخين محمد بن
اسماعيل وسليمان بن على ثم رحل الى القاهرة فتتلمذ على الشيخ
مرعى بن يوسف الكرّمى الحنبلي وأجازه فى الفقه ثم عاد الى نجد
فجلس للتعليم والافتاء والتأليف حيث ألف منسكه فى الحج وغيره، وهو
من علماء النصف الأول من القرن الحادى عشر (ابن بشر ٢/١٩٨ ،
البسام: المرجع السابق ١/١٥٢، ١٥٣) .

(٣) هو الشيخ مرعى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن ابي بكر بن
يوسف الكرّمى نسبة لطور كرم فى فلسطين التى ولد فيها ثم رحل
الى القدس فلقاهرة يعد من كبار فقهاء الحنابلة كما أنه مؤرخ وأديب
له عدد من المؤلفات فى كثير من العلوم عد منها ابن حميد سبعين
كتاباً وأثنى عليه، كان يعرف لعلماء نجد قدرهم اذ أرسل احــــدى
نسختي كتابه (غاية المنتهى) الى نجد مع رسالة تقدير لعدد من
علماء نجد، توفى فى القاهرة فى ربيع الأول ١٠٣٣ هـ/يناير ١٦٢٤ م،
له شعر جزل ضم فى ديوان الا أن فى بعضه غلو فى شخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله :

يا ساهوا الطرف يا من مهجتى سحرا
كم ذا تنام وكم أسهرتنى سحرا
الى أن قال :

أشكوك للمصطفى زين الوجود ومن أرجوه بينقذنى من هجر من هجرا
(ابن بشر ٢/١٣٧، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٧، ابــــن
حميد ٣٠٤ - ٣٠٧ ونقل رأيا آخر فى وفاته عن ابن سلوم أنــــه

(=)

فيها فجلس للتعليم والتأليف والافتاء .

كما رحل الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف^(١) الى مصر بعد استفادته من علماء المنطقة ، وفي مصر تتلمذ على عمدة المذهب الحنبلي في عصره الشيخ منصور البهوتي وغيره من علماء الحنابلة في مصر حتى اذا بلغ مبلغ العلماء عاد الى نجد ليتولى قضاء العيينة وقد خلف من بعده عددا من العلماء من الأبناء والأحفاد فأصبحت أسرته من الأسر العلمية في نجد قبل قيام الدعوة وهذا ما جعل بعض مؤرخي نجد يطلق عليه لقب (أبي العلماء)^(٢) .

(=) في ٢٤ أو ٢٥ من ذى القعدة من العام نفسه ، ابن ضويان : رفع النقاب ٦٩ ، الزركلي : الأعلام ٨ / ٨٨) .

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر بن مشرف الوهيبي التميمي تتلمذ على والده والشيخ علي الفضلي وأحمد بن البسام ، ثم رحل الى مصر للاستزادة ثم عاد الى نجد بعد ادراكه في الفقه فجلس للقضاء في العيينة والتدريس والافتاء حتى توفي فيها عام ١٠٥٦ هـ / ١٦٤٦ م (المنقور : الفواكه ١ / ٥١٢ ، التاريخ ٤٦ ، ابن ربيعة ٦٢ ، ابن بشر ٢ / ٢٠٧ ، ابن حميد ١٧٢ ، البسام : تحفة ٤٣ ، البسام : علماء ٢ / ٥٩٢ ، ٥٩٣) .

(٢) هو الشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن أحمد بن علي بن ادريس البهوتي نسبة الى بهوت في مصر الغربية ، ولد سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م ، وتلقى العلم على عدد من العلماء أبرزهم الشيخ عبد الرحمن ويوسف البهوتيين ، والشيخ محمد المرداري وغيرهم حتى أدرك في الفقه الحنبلي وعد من كبار مجتهديه ورجل اليأس الطلبة من عدد من البلدان ، واليه مرجع الحنابلة حتى الآن ، من أبرز تلاميذه الشيخ مرعي بن يوسف وحمد الخلوتي وغيرهم له مجموعة من المؤلفات الفقهية أبرزها (شرح منتهى الارادات) اثني ابن حميد على كرمه وحب للخير وتقديره لطلبته توفي في القاهرة في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٠٥١ هـ / ٢٠ / يولية ١٦٤١ م (ابن بشر ٢ / ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ وذكر وفاته سنة ١٠٥٢ هـ وهو غير المشهور ، البسام : تحفة ٤٣ وقد نقل عن ابن بشر هذا التاريخ ابن حميد : ٣٠٩ ، ٣١٠ ، الزركلي : ٨ / ٢٤٩) .

(٣) البسام : علماء ٢ / ٥٩٣ .

وقد جمع بعض علماء نجد بين الرحلة الى الشام ومصر، ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ زامل بن سلطان الخطيب حيث رحل الى الشام ولازم شيخ المذهب الحنبلي في عصره العلامة موسى الحجاوي حتى تفقه عليه وأجازه ثم مد رحلته العلمية الى مصر فاستفاد وتفقه على قاضي الحنابلة فيها الشيخ محمد بن أحمد بن النجار الفتوحى ومن أجل ذلك اشتهر بأنه تلميذ الشيخين الحجاوي والفتوحى ، ولما عاد بعد ادراكه فى الفقه

(١) سبقت ترجمته فى الفصل الأول من الباب الأول .

(٢) هو الشيخ موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسى الدمشقى الصالحى ولد بحجة من أعمال نابلس وبها نشأ وتعلم العلم الأولي ثم رحل الى دمشق فسكن فى مدرسة أبى عمر بحى الصالحية وقرأ الفقه الحنبلي على علمائها حتى تمكن فيه وعدّ شيخ الحنابلة فى الشام فى وقته وكان امام الجامع المظفرى بسفح قاسيون خلفا للشيخ أحمد المرداوى (ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م) له عدد من المؤلفات أبرزها الاقناع وتتلّمذ عليه جمع غفير من علماء الحنابلة توفى بدمشق فى ربيع الأول سنة ٩٦٨ هـ / ديسمبر ١٥٦٠ م . (نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة ٢ / ٣٠٩٧ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، ابن ربيعة ٦٤ وذكر وفاته عام ١٠٦٧ الفاخري ٦٢ : وذكر أن وفاته عام ٩٤٨ هـ وهو خلاف المشهور ، ابن بشر ٢ / ١٩٤ ، ١٩٥ وقد اتفق مع الغزى فى أن الوفاة كانت فى ١٧ ربيع الأول عام ٩٦٨ هـ ، ابن حبيب ٣١٠ ، ٣١١ ، وذكر أن الوفاة فى ١٢ ربيع الأول من السنة السابقة ، البسام : تحفة ٢٧ ، الزركلى ٨ / ٢٦٧ ، وذكر وفاته عام ٩٦٠ هـ ونقل ذلك عن ابن العماد فى شذرات الذهب ٨ / ٣٢٧) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن على بن ابراهيم ابن رشيد الفتوحى يلقب بتقى الدين بن شهاب الدين بن النجار ولد فى القاهرة عام ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م وتتلّمذ على والده عمدة الحنابلة فى مصر حيث مهر فى الفقه وأصوله كما درس على الشيخ أحمد البهوتى وأحمد المقدسى وعبد القادر الجزيرى ثم رحل الى الشام واستفاد من علماء الحنابلة فيها ثم عاد وقد أدرك ادراكا جيدا فألف (منتهى الارادات) فى الفقه الحنبلي فى حياة والده حيث اثنى على قدرته ابنه فى التأليف ، وبعد وفاة والده عام ٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م وبعض عمد الحنابلة فى الحجاز والشام انتهى اليه الفتيا فى المذهب الحنبلي ، وقد اثنى عليه عدد من العلماء المعاصرين فى عدد من الخصال توفى فى يوم الجمعة ١٨ صفر ٩٧٢ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٥٦٤ م ، (الغزى : المصدر السابق ٣ / ٩٤ ، ابن حميد ٢٢٠ - ٢٢٢ ، الزركلى ٦ / ٢٣٣) .

بل كانوا يحرصون على الإلمام ببعض العلوم المساعدة له كالتفسير والحديث، كما أن دراسته على إمام شافعي تدل على وعي فقهي بعدم الاقتصار على علماء المذهب الحنبلي في التعلم، وبعد ذلك عاد بن أبي حميدان مدركا لعدد من العلوم فأصبح من كبار علماء نجد وقصده الطلبة للاستفادة منها.

وممن جمع في رحلته العلمية بين هذين المركزين الشام ومصر وتوفي في الثاني الشيخ عثمان بن أحمد بن قائد^(٢) الذي تلقى تعليمه في نجد على علماء العيينة ثم رحل إلى دمشق ولازم علماء خاصة الحنابلة منهم حتى أدرك في عدد من العلوم كالفقه وأصوله والنحو إلى أن احتدم النقاش بينه وبين مفتي الحنابلة بدمشق في بعض المسائل الفقهية فقرر الرحيل إلى مصر

-
- (١) البسام: المرجع السابق ٧٧٠/٢
- (٢) هو الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد بن عثمان بن أحمد بن قائد النجدي ثم الدمشقي فالقاهري ولد في العيينة وهو المشهور الآن القاضي ذكر أنه رأى بعض المراجع تذكر أن ولادته كانت في حوطة سدير وأن ذلك عام ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م، تتلمذ على الشيخ عبد الله آل زهران وهو ابن عمته ثم استفاد من علماء الحرم المكي في عدد من العلوم ثم رحل إلى دمشق ولازم شيخ الحنابلة فيها أبا المواهب محمد بن عبد الباقي واستفاد منه في الفقه الحنبلي كما استفاد من غيره من علماء الحنابلة ثم رحل إلى مصر فاستفاد من العلماء الحنابلة فيها إلى أن أدرك أدراكا جيدا في عدد من العلوم فألف فيها مؤلفات جيدة كما استفاد منه عدد من العلماء فيها توفي في مساء الاثنين ١٤ جمادى الأولى عام ١٠٩٧ هـ/٩ أبريل ١٦٨٦ م (عثمان بن قائد : هداية الراغب لشرح عمدة الطالب ص ٥٧٦، ٥٧٧ من مقدمة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ وذكر أحمد آخر بعد سعيد كما ذكر سعيدا آخر بعد عثمان الثاني وانظر كذلك ص ٣ من مقدمة الشيخ حسنين مخلوف التي أثنى فيها على الشيخ عثمان ولكنه ذكر أن وفاته في ١٤ جمادى الأولى عام ١١٠٠ هـ وهو خلاف المعروف، الفخري ٨١، ابن بشر ٢/٢١٧، ابن حميد ١٧٥، ١٧٦، ابن ضويان : رفع النقاب ٧٠، الزركلي ٣٦٣/٤، البسام : علماء نجد ٣/٦٨٣-٦٨٦، القاضي روضة ٢/٦٧ - ٧٠).

وتتلمذ على علمائها حتى أدرك أدراكا جيدا فاشتهر في مصر بالعلم والتحقيق وأصبح فيها مرجعا للعامة والخاصة في كثير من المسائل الفقهية وطاب له المقام في القاهرة حتى توفي فيها ^(١).

ج : الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجد :-

ولقد كان طلاب العلم النجديون حريصين على اهتبال أى فرصة تحقق لهم الاستفادة من علماء المناطق المجاورة وغير المجاورة الذين سبقوهم في مضمار العلم والتحصيل ، وعدا تلك الرحلات السابقة فقد كانوا يستغلون مرور بعض العلماء المصاحبين لقوافل الحج أو التجارة ليتلمذوا عليهم ولو لفترة قصيرة أو قد يقومون بنسخ بعض ما معهم من كتب ، ويرمونها أهدى أو باع بعض هؤلاء العلماء شيئا من هذه الكتب الى طلبة العلم في نجد .

ومن أبرز من مرفى نجد في طريقه الى الحج وتأخر فيها العلامة محمد الجزرى ^(٢) الذى اضطر لهذا التأخر عن حج عام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م بعد أن عرض للقافلة التى هو فيها قطاع الطرق ^(٣) بعد مغادرتها عنيزة ونهبوا ما فى القافلة من أموال وخاصة ما مع الجزرى من تحف وهدايا كان يريد اهداءها

(١) ابن قائد : هداية الراغب ص ٥٧٦ من مقدمة الشيخ عبد الملك آل الشيخ ، ابن حميد ١٧٦ ، ابن ضويان ٧٠ ، البسام ٣ / ٦٨ ، القاضى روضة ٢ / ٦٩ .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن على الشهير بالجزرى نسبة الى جزيرة ابن عمر على الفرات ، ولد بدمشق عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ونشأ بها وحفظ القرآن وعمره ١٢ سنة ، ثم أصبح من كبار أهل القراءات فيها اذ ابتنى فيها دارا للقرآن ، رحل الى مصر مرارا وكذلك بلاد الروم (تركيا) وما وراء النهر والقى عصا التسيار فى شيراز حتى تولى قضاءها وتوفى فيها ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م بعد شيخ القراء والمحدثين فى وقته ، كما يعتبر من أئمة التصوف ، له مجموعة من المؤلفات تتركز فى القراءات وطبقات القراء والمناقب والحديث ، وله نظم وأراجيز كثيرة فى القراءات (الغزى ١ / ٥٢ ، ٢ / ٣٣ ، الزركلى ٧ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١١١٨ - ١١٢٠) .

(٣) من قبيلة لام الطائية التى كان لها نفوذ واسع فى نجد وما حولها منذ فترة متقدمة عن القرن العاشر الهجرى .

لأعيان الحرمين حيث رجع وصحبه الى عنيزة وجلس فيها قرابة شهر وكان معه بعض الكتب التي ردها له بنو لام ، وقد نظم في عنيزة خلال هذا الشهر :
(الدرة المضية في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية) التي صور فيها هذه الحادثة التي تبين جانباً مهماً لأحوال نجد الأمنية في تلك الفترة حيث قال فيها :

غريبة أوطان بنجد نظمتها ————— وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزور الـ ————— مقام الشريف المصطفى أشرف العلما^(١)
وطبقني الأعراب بالليل غفلة ————— فما تركوا شيئاً وكدت لأقتلها
فأدركني اللطف الخفي وردني ————— عنيزة حتى جاءني من تكفلا
بحملى وايصالي لطيفة آمنى ————— فمارب بلغني مرادى وسهلا

ومن المعتقد حصول فائدة علمية من هذا العلامة لبعض أهـل
عنيزة التي عرفت كبـلدة منذ القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى
سواء كانت هذه الفائدة بتلقي العلم على الجزرى خلال الشهر الذى
جلسه فى عنيزة أو نسخ بعض ما معه من الكتب^(٢) ، كما أن اكرام أهل عنيزة
لهذا العالم بقبوله لاجئا لديهم والقيام بما ينوبه خلال ذلك الشهر دليل
على معرفة لقدر العلم والعلماء فى هذه البلدة التي عرفت بهذه الناحية

(١) انتشر فى تلك الفترة الاعتقاد بقصد الزيارة للقبر النبوى والمبالغة
فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن القصد لزيارة
المدينة انما هو للمسجد للصلاة فيه ثم زيارة القبر اثر ذلك لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد وقال فيه : (ومسجدى هذا) ولحديث ، (لا تطرونى كما
أطرت النصارى عيسى بن مريم) وغيرها .

(٢) عن هذه الحادثة : محمد بن أحمد الفاسى : العقد الثمين فى
تاريخ البلد الأمين . تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية
القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٦٤٩ م ١٨٤ / ٤ ، محمد العبودى : بلاد
القصيم ١٦٤٨ / ٨ .

(١)

منذ فترة متقدمة عن قيام الدعوة، وهذا أيضا لابد أن يكون قد انعكس على نفسية الجزرى بمنح مامعه من كتب، ونشر ما يستطيع نشره من علم خلال بقاءه في عنيزة.

(٢)

ولقد مر العلامة معين الدين بن صفى الدين الأيجى الحسينى ببلدة أشيقر سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ هـ في طريقه الى المدينة المنورة فأقام ببعض الوقت في أشيقر ولازمه خلال ذلك بعض طلبة العلم في أشيقر واستفادوا بما لديه من علم وربما قاموا بنسخ بعض مامعه من كتب، وكان من أبرز المتلقين عليه العلم في أشيقر الشيخ حسن بن على بن بسام في الفقه والعقائد اذ عرض عليه خلال اقامته ثلاثين سؤالاً محررة في هذين العلمين، وقام الشيخ معين الدين بتحرير أجوبته عليها، ولما كان الشيخ حسن بن بسام من نساخ نجد قبل الدعوة فمن المعتقد نسخه لبعض الكتب وضمها لمكتبته التي وقفها على طلبة العلم في أشيقر، كما أن من المعتقد استفادة طلبة آخرين من هذا العلامة في أشيقر.

(٣)

وما من شك أن مرور علامة الأحساء في وقته الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عقالق على عنيزة في طريقه الى الحج كان فرصة للاستفادة العلمية قد

(١) من الأمثلة على ذلك رحيل أمير وأعيان أهل عنيزة للشيخ عبد الله ابن عضيبي حينما قدم المذنب وطلبوا منه أن يرحل عندهم لينتفعوا بعلمه حيث وافق على ذلك وأقام بينهم معززا مكرما (ابن حميد ١٥٣، البسام: علماء نجد ٢/ ٥١٨، القاضي: روضة ١/ ٣١٤) .

(٢) هو معين الدين محمد بن صفى الدين عبد الرحمن بن محمد الحسينى الأيجى ولد عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م وهو من أهل ايج احدى بلدان فارس قريبة من شيراز، شافعى المذهب يلقب نفسه بالسنى لحرصه على التمسك بالسنة رغم أنه من المنتسبين لعلى رضى الله عنه من أئمة التفسير والفقه المحققين له مجموعة كتب منها: (جامع البيان في تفسير القرآن) و (بيان المعاد الجسماني والروح) و (شرح الأربعين) قدم مكة فجاور بها للتعليم والعبادة حتى توفي فيها سنة ٩٠٥ هـ وقيل ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠، ١٥٠١ م (الفيزى ١/ ٣٠٧، ٣٠٨، المنقور: الفواكه ٢/ ١٤٨، ٢٧٤، الزركلى: الاعلام: ٦٨/ ٧) .

(٣) البسام: المرجع السابق ١/ ٢١٥، ٢١٦ .

استغلها عدد من طلبة العلم فيها ، كما أن مصاحبة أبرز تلاميذه له وهو الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز^(١) كان عاملا من عوامل توسيع مجال هذه الاستفادة إذ كما يستفيد منه عدد من الطلاب يستفيد من تلميذه عدد آخر سواء كانت هذه الاستفادة بالتلقي المباشر أو عرض أسئلة علمية عليهم ، أو نسخ بعض ما يحملانه من كتب ، ولقد كانت مصاحبة بعض العلماء للنابهين من تلاميذهم مظهرا من مظاهر الملازمة العلمية والتقدير والتشجيع لهؤلاء التلاميذ ، ويذكر في هذا الصدد أن بعضا من أهل عنيزة لما رأوا من ابن عفالق تقديما وتعظيما لتلميذه ابن فيروز سألوه عن سبب ذلك فقال :
تفرست فيه شيئا عظيما ، وأطنب في مدحه .^(٢)

-
- (١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن فيروز ابن محمد بن بسام من بني وهيب من تميم ولد في الأحساء في ١٨ ربيع الأول عام ١١٤٢ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٢٩ م وكف بصره وعمره ثلاث سنين اثر صابته بالجدرى تتلمذ على عدد من العلماء أبرزهم والده وابن عفالق وعبد الله بن عبد اللطيف ومحمد حياة السندی وغيرهم كل في العلم الذي مهر فيه حتى أدرك ادراكا جيدا في عدد من العلوم ، وقد أثنى ابن حميد على حفظه وذكاؤه ، وتأهل للتعليم في حياة والده حيث رحل اليه الطلاب من كثير من البلدان وتفرغوا للتعليم اذ وفر لهم السكن والغذاء ، له مكتبة ضخمة فرع نساخا لتأمين الكتب لها ، له عدد من المؤلفات لكنهما ليست على قدر علمه ، وله نظم في عدد من المناسبات ، يؤخذ عليه أنه من كبار معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى كاتسب السلطان العثماني يستثيره ضد الدعوة والدولة السعودية ثم لما ضمت الأحساء عام ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م رحل الى البصرة مع طائفة كبيرة من أسرته وتلاميذه وقال مودعا في قصيدة مؤثرة مطلعها :
سلام فراق لا سلام تحية على ساكني نجد وأرض اليمامة
توفي في البصرة في ليلة الجمعة ١ محرم ١٢١٦ / ١٤ مايو ١٨٠١ م ، وصلى عليه في البصرة ثم في الزهير حيث دفن فيه (الفاخري ١٣١ ، ابن بشر ١ / ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩) وذكر المحقق أن ولادته عام ١١٤٦ هـ ، ابن حميد ٢٥٧ - ٢٦١ ، البسام : علماء نجد ٣ / ٨٨٢ - ٨٨٦ ، القاضي : روضة ٢ / ١٧٦ - ١٧٨) .
- (٢) ابن حميد ٢٦٠ ، البسام : المرجع السابق ٣ / ٨١٩ ، ٨٢٠

ولقد أثر عن الشيخ عبد الله بن عضيـب حرصه على الاستفادة من العلماء المارين بنجد من سائر البلدان الإسلامية، وتلقى العلم عليهم كل في حقل تخصصه واهتمامه حتى عرف علوما لم يعرفها كثير من العلماء النجديين قبله أو بعده كالمنطق^(١).

٢- العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم:-

يؤكد تاريخ التربية الإسلامية أن الطلاب المسلمين قد أحلوا معلمهم مكانا رفيعا وتأدبوا بالأدب الجم ابان تلقيهم العلم على معلمهم وبعد ذلك واستمدا ذلك من التوجيه الالهي لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتأدبوا أمامه وهم يتلقون منه التعاليم الإسلامية، وأن يوقروه التوقير اللائق بشخصه، وهذا التوجيه بينه قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)^(٢) ومن هنا فقد تجاوز المسلمون بهذا التوجيه شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كل أستاذ وعالم لأن العلماء ورثة الأنبياء فيروى عن أحد العلماء قوله : " مادقت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه " وقيل في ذلك : " الآباء ثلاثة : أب ولدك ، وأب رباك ، وأب علمك ، وخير الآباء من علمك " ويروى عن الامام الشافعي قوله عن تلقيه العلم على الامام مالك : " كنت أقلب الورق بين يدي مالك تقليبا رقيقا هيبه أن يسمع وقعـه " وقال أحد تلامذة الشافعي : " والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر الى هيبه منه " وقد عد من الآداب التي يجب على الطالب أن يلاحظها

(١) ابن حميد ١٥٢، ١٥٣، البسام : المرجع السابق ٥١٧/٢، وقد نسخ شرح التهذيب في المنطق وكتب عليه هوامش تدل على قراءته له قراءة عمق وفهم.

(٢) سورة الحجرات آية ٢، ٣

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن ط ١٠، دار الشروق . بيروت، القاهرة

مع أستاذه : ألا يمشي أمام معلمه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدئ الكلام عنده
إلا بإذنه ، ولا يكسر الكلام عنده ، ولا يسأله عن ملأته ، ويجتنب سخطه^(١) ،
ويتمثل أمره في غير معصية .

ولقد اقتدى الطلاب النجديون بأسلافهم المسلمين في هذه الناحية
فكانوا في مرحلة الطلب وما بعدها يعاملون شيوخهم بمنتهى التواضع
والأدب يدفعهم في ذلك الحرص على الاستفادة القصوى من معلمهم وتلك
ناحية نفسية وعاما هؤلاء الطلاب إذ بقدر ما يمنح الطالب أستاذه تقديرا
واحتراما صادقا بقدر ما يقابل الأستاذ ذلك بالبذل العلمي الواسع ، ثم
ما لبث هذا الأدب وذلك التقدير والاحترام أن يكيف العلاقة بين المعلم
والطالب طيلة حياتهما مع ملاحظة أن ذلك لم يمنع من حصول نقاش علمي
واختلاف أحيانا حول عدد من المسائل إلا أنهم يلتزمون بالمبدأ القائل
(اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) .

وان فيما أطلقه الشيخ أحمد بن بسام على نفسه في سؤاله لأستاذه
أحمد بن خسيخ ما يدل على منتهى التواضع والأدب مع الشيخ عند الطلبة

-
- (١) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ط (٥) طبع ونشر
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٣١١
- (٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام بن عساكر من آل زاخر
الوهيبي التميمي ولد في أشيقر عام ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م وتلمذ على
علمائها ثم رحل إلى الرياض وتلمذ على ابن خسيخ ثم رحل إلى
القصبة فتولى القضاء فيها ثم انتقل إلى ملهم وصار قاضيا فيها كذلك
ومنها رحل إلى العيينة وتولى القضاء فيها ، مهر في الفقه والتاريخ
والانساب وتعد نبذته في التاريخ أولى المحاولات النجدية لكتابة
التاريخ توفي في العيينة عام ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م وهو جد آل بسام المعروفين
في عنيزة وغيرها (المنقور : الفواكه ١ / ٢١٥ ، ٢٠١٠ / ٢٤٥ ،
٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٣٤٩ ، ٣٨٦ ، التاريخ ٨ ، ٧ ابن ربيعة
١٢ ، ٥٨ ، الفاخري ٦٥ ، ابن بشر ٢ / ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ابن
عيسى ٢١ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، البسام
تحفة ٥٦ ، ٦١ ، البسام : علماء ١ / ١٨٦ - ١٨٨ ، القاضي : روضة
١ / ٥٨ ، ٥٩) .

النجديين في تلك الفترة، يقول ابن بسام في هذا : " ورفع الأمر الى **خويسدم** **نعالكم** ^(١) .

وفى المقابل فقد كان هؤلاء الطلبة يصفون على أساتذتهم ألقاب التفخيم أثناء تعليقهم على الاجابات الفقهية لهؤلاء الاساتذة ومبعث ذلك اعجابهم الشديد بعبقريتك الاجابات السديدة واحتقار علمهم أمام علم أساتذتهم وهذا كله عائد الى تلك العلاقة الحميمة بين الطلاب والأساتذة النجديين اذ أن هذه الألقاب مهما بلغت درجة فخامتها فهي تعبير عما يكنسه هؤلاء الطلاب تجاه أساتذتهم من محبة وتقدير، وفي هذا الصدد قال الشيخ سليمان بن علي ^(٢) تحت اجابة فقهية لشيخه محمد بن أحمد بن اسماعيل ^(٣)

(١) المنقور: الفواكه ١/ ٥١٠، وابن خيخ سبقت ترجمته .

(٢) هو الشيخ سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف من آل زاخر الوهبي التيمي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الدعوة - ولد في أشيقر وتلقى العلم على علماء نجد كالشيخ أحمد بن ناصر بن مشرف والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف والشيخ محمد بن اسماعيل حتى أدرك ادراكا جيدا في الفقه، طلبه أهل روضة سدير لتولى القضاء فرحل اليهم ثم تركها اثر خلاف مع بعض أهلها الى العيينة حيث تولى القضاء فيها وانتشرت سمعته في نجد فانتبهت اليه الفتيا فيها وقصده طلاب العلم من كل مكان، ألف منسكا في الحج وهم بشرح المنتهى لولا علمه بشرح الشيخ منصور البهوتي له، له عدة اجابات فقهية نقل المنقور بعضها ففى الفواكه، توفي عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م فى العيينة (المنقور: الفواكه ١/ ٢٦٥، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٥٠، ٤٤٣، ٥٠٦، ٢٠٢١/ ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٩٦، ٣٢٠، التاريخ ٥٢، ٥٣، ابن ربيعة ٥١، ٥٢، ٦١، ٦٥، ٦٦ الفاخرى ٦٩، ٧٣، ٧٤، ابن بشر ٢/ ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ابن حميد ١٠٣، ابن عيسى ٦٢، ٥٤، البسام: تحفة ٧٣، البسام : علماء نجد ٣٠٩/ ١ - ٣١٣) .

(٣) هو الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل بن زهرى بن جراح الثورى نسب السبيعي حلفا ولد فى أشيقر وتلمذ على علمائها ومن أبرزهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف، وواصل تعليمه حتى صار علامة الديار النجدية وقصده الطلاب والعامة للتعلم والاستفتاء وكان عمدة فى الفقه والأنساب، كما أثر عنه الكرم وحب الخير، وهو

(=)

(١)

جوابي كما أجاب به الشيخ الأمين والشامة البيضاء في العالمين ، ومما يندرج تحت ذلك تخصيصهم أساتذتهم بالدعاء حين ذكرهم أحياء أو أمواتا ، ومن الأمثلة على ذلك قول الشيخ أحمد بن محمد البجادي معلقا ^(٢) على جواب شيخه ابن اسماعيل والشيخ سايمان بن علي : " جوابي كما أجاب به الشيخان ، ألبسهما الله التقوى والایمان ^(٣) " وكذلك قول الشيخ أحمد المنقور في مقدمة مجموعه مبينا أن ما ذكره فيه من مسائل قد استفاد أغلبها من شيخه عبد الله ابن ذهلان فقال : (غالبها بعد الإشارة من شيخنا وقد وتنا الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان بل الله بالرحمة ثراه ، وجعل جنسية الفرد وسأواه ^(٤) .

(=) مؤسس بيت العلم في آل اسماعيل حيث وجد من أبنائه وأحفاده وأخوته علماء أجلاء أثنى عليه الشيخ مرعي بن يوسف وغيره توفي في ٨ ذي الحجة عام ١٠٥٩ هـ / ١٤ ديسمبر ١٦٤٩ م في مكة بعد أن عقد نية الاحرام بالحج (المنقور : الفواكه ١ / ٢١٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٦ ، ٥٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٢٠ ، ٢ / ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٣٤٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢ ، التاريخ ٤٦ ، ٤٩ ، ابن ربيعه ٥١ ، ٦٣ ، ابن بشر ٢ / ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ابن عيسى ٥٩ ، البسام : تحفة ٦٧ ، البسام : علماء نجد ٣ / ٧٨٨ - ٧٩٠ ، القاضي : روضة ٢ / ١٦٠ - ١٦٢) .

(١) المنقور : الفواكه ١ / ٥٠٦ .

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن بجاد وينسب أحيانا فيقال البجادي الوهبي التميمي ولد في أشيقر وكان والده من وجهاء البلدة وأثريائها وله سمعة فيها وما حولها ، فتعلم القراءة والكتابة فيها ثم طلب العلم على كبار علمائها وأشهرهم الشيخ محمد بن اسماعيل حتى أدرك في الفقه ، وله فيه مسائل عديدة وأجوبة سديدة وقد أورد المنقور في الفواكه بعضا منها ، وله معرفة في الأنساب ، توفي عام ١٠٧٨ هـ / ١٦٦٧ م (المنقور ١ / ٥٠٦ ، ٢ / ٢١١ ، ابن عيسى ٢١٢ ، البسام : علماء نجد ١ / ١٨٤ ، ١٨٥) .

(٣) المنقور : المصدر السابق ١ / ٥٠٦ .

(٤) المنقور : المصدر السابق ١ / ٣ .

ولقد كانت دواعي الاعجاب بهؤلاء الاساتذة متوافرة حيث كانوا يعاملون طلابهم معاملة أبنائهم أو قد تزيد من البذل العلمي الواسع بالتعليم وتوفير الكتب أحيانا فضلا عن الانفاق المادي وتوفير سبل العيش الكريم لطلابهم وفوق هذا وذاك العطف والرعاية الذي يلقيه الطلاب من أساتذتهم يدفعهم في ذلك النظر الى أن سلسلة النسب العلمي خير من سلسلة النسب العرقي^(١)، وقد عبر الشيخ محمد بن علي بن سلوم عن اعجابه المطلق بشيخه محمد بن عبد الله بن فيروز حين قال: "وفقه الامام أحمد أرويه عن مشائخ أمجاد وهداة نقاد أعلاهم قدرا وأنبههم ذكرا وأوسعهم جاها وفخرا وأكثرهم في العلوم تفننا وألطفهم بالطالبين تحننا استاذي وقدوتي من عليه جل اشتغالي في مدة ارتحالي الشيخ محمد بن عبد الله ابن فيروز روح الله تعالى روحه ونور ضريحه".^(٢)

وفي حالات غضب الأساتذة على طلابهم كان هؤلاء الطلاب حريصين

(١) مما يندرج تحت هذا الموضوع - وإن كان متأخرا عن فترة هـ - البحث - قول الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل (ولد ١٢٥٧ هـ / ١٨٤٠ م وتوفي عام ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م) في أجازته لتلميذه عبد الله ابن خلف الدحيان (ت ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) بعد ذكر سلسلة العلماء الذين أخذ عنهم: (وهذا النسب خير من نسب الاساتذة لان الابن اب الجسم والشيخ ابو الروح (كذا؟) وانت بالعقل والروح انسان لا بالجسم) البسام: المرجع السابق ٣ / ٨٤٥.

(٢) هو الشيخ محمد بن علي بن سلوم بن عيسى بن سليمان بن محمد بن خميس بن سليمان الوهبي الهميمي ولد في العطار - إحدى بلدان سدير - في روضان ١١٦١ هـ / أغسطس ١٧٤٨ م وتعلم فيها تعليما أوليا ثم رحل الى المجمع فدرس على الشيخ أحمد التويجري ثم رحل الى عنيزة وقرأ على الشيخ صالح الصائغ كما قرأ على بعض علماء الكوشم والحرمين ثم رحل الى الأحساء فتتلمذ على عدد من علمائها إلا أنه لازم الشيخ محمد بن فيروز حتى أدرك في عدد من العلوم مع برزه ففي الفقه خاصة الفرائض والف مجموعة من الكتب في الفرائض والعقيدة والانساب والتاريخ، رحل مع شيخه الى البصرة فسكن الزبير ولما رحل أبوه عبد اللطيف لقضاء سوق الشيوخ - شمال شرق البصرة - رحل بعائلته معه، وقد تتلمذ عليه عدد من العلماء من نجد والأحساء والعراق، وهو من الموالين لمعارضى الدعوة كابن فيروز إلا أنه لم يعثر له على كتب أو رسائل رد بها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو دعوته، توفي في سوق الشيوخ في ١٢ رمضان سنة ١٢٥٠ / فبراير ١٨٣١ م (الفاخرى ١٦٨، ابن بشر ١٦ / ١٦، ابن حميد ٢٦٨ - ٢٧٠، البسام: تحفة ١٦٦، البسام: علماء نجد ٣ / ٩٠٩ - ٩١٤، القاضي روضة ٢ / ١٨٠ - ١٨٣).

(٣) البسام: علماء نجد ٣ / ٩١٢

على استدرار عطف ورضا أساتذتهم عليهم استمراراً لتلك العلاقة الحميمة بينهم وكانوا ينطلقون من منطلق إعطاء كل ذي فضل فضله وأن ما حصلوا عليه من علم إنما هو بسبب توجيهات وآراء أساتذتهم فشرف الطالب شرف لاستاذة وما قد ينتابهم من جهل لبعض القضايا العلمية إنما بسبب قصور فهمهم وادراكهم وهذا ما يجب أن يكون محل توجيه هؤلاء الأساتذة ونصحهم لا غضبهم وتخطئتهم لطلابهم، وقد عبر عن هذه القضية الشيخ محمد بن ربيعة^(١) في رسالة عتاب رقيق لشيخه منيع بن محمد حيث قال :

* من محمد بن ربيعة الى شيخنا وقدوتنا وبركتنا الشيخ الأجل الأوحدمنيع بن محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اننى لم أبلغ هذا المبلغ الا من بركة الله ولطفه ثم بركتك، وحين رأيتك تنسبني الى الخطأ ساءنى ذلك، فلو أنك اذا ظهر لك خطئى تنبهنى عليه سرا ولم تظهره جهرا كان أحسن لأن شرفى شرف لك لأنى تلميذك وناشيئ على يدك^(٢).

(١) هو الشيخ محمد بن ربيعة العوسجى البدرانى الدوسرى، قيل ولد ثادق الا أن أستاذى المشرف شكك فى ذلك وساق بعض المبررات فى مقدمة تحقيقه لتاريخ ابن ربيعة، وتاريخ ولادته عام ١٠٥٦هـ / ١٦٥٤م، تلقى العلم على عدد من العلماء كالشيخ عبد الله بن ذهلان، وأحمد القصير، وعبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف، ومنيع ابن محمد العوسجى، ومحمد بن عبد الله بن سلطان العوسجى وغيرهم حتى أدرك فى الفقه فتولى قضاء ثادق عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م له تاريخ موجز فى تاريخ نجد قام بتحقيقه أستاذى المشرف ونشره النادى الأدبى فى الرياض، توفى عام ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م، وقيل ربيعة: التاريخ ١٩-٢٢ من مقدمة المحقق، الفاخرى ١٠٥، ابن بشر ٢/ ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩، ٢٤١ وذكر فيها وفاته عام ١١٥٦هـ فى ٢٧/١ ذكر أن ذلك عام ١١٥٨هـ، ابن حميد ٢٤١، ابن عيسى ١٠٧، حمد الجاسر: معجم أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ٢/ ٦٤٦، البسام: تحفة ١٠٩، البسام: علماء نجد ٣/ ٧٩٧، ٧٩٨، القاضي: روضة ٢/ ١٦٢ - ١٦٤).

(٢) البسام: علماء نجد ٣/ ٧٩٨

وكانت هذه **العلاقة الحميمة** وسيلة الى تحقيق الاستفادة العلمية القصوى للتلميذ من أستاذه بطرق كافة السبل الكفيلة بتحقيق تلك الاستفادة كالمراسلة اذا نأى التلميذ عن أستاذه مع الحرص على استغلال الفرص التي قد يتسنى للشيخ فيها زيارة بلد تلميذه ليقوم هذا التلميذ بواجب التكريم تجاه شيخه مع الاستفادة العلمية منه .

وتصور رسالة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن اسماعيل الى شيخه حسن بن عبد الله أبا حنين الرغبة الأكيدة لدى الطالب النجدي في تلك الفترة بملازمة شيخه حتى بعد الادراك تحقيقا لبدأ استمرارية التعلم ووصلا لتلك العلاقة الحميمة والحب المتبادل بينهما في مرحلة الطلب .

يقول الشيخ ابن اسماعيل في رسالته :

” من عبد الله بن عبد الرحمن بن اسماعيل الى جناب شيخنا المكرم حسن بن عبد الله أبا حنين . سلمه الله تعالى
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والباعث لذلك ابلاغ شيخنا أتم السلام وأن يبلغ جميع أهل بيته عنا السلام ، والكتاب الذي مع الدرويش وصل ، ومكتوب سيف ماوصلني ، وهـذا

(١) هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل بن ابراهيم بن موسى بن زهرى بن جراح الشورى ولد في أشيقر وتلمذ على علماء آل اسماعيل وعلى العلماء الآخرين فيها كالشيخ حسن أبا حنين وأحمد القصير وغيرهما حتى أدرك في الفقه قتل عام ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م . (ابن ربيعة ٨٣ ، محمد ابن عباد : تاريخ مخطوط حوادث سنة ١١٢٠ هـ ، ابن بشر ٢٢٨ / ٢ البسام : علماء نجد ٢ / ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، وتتفق هذه المصادر في أن القاتل هو الشريف عبد العزيز بن هزاع) شريف نجد في زمنه حيث تولي شرافتها عام ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م كما ذكر المنقور وابن عباد في حوادث هذه السنة) ، وقد وهم ابن بشر حينما ذكر أنه من زعماء بني خالد واكتفى البسام بذكر كونه من الأشراف ، وبينما يذكر ابن ربيعة أن الشيخ عبد الله حفيد لعلامة نجد في زمنه محمد بن اسماعيل وهو الأقرب للصحة ، يذكر البسام أنه ابن لأخي الشيخ محمد) .

الرجل الواصل اليك بالمراسيل هو ولد أبى داود من أهل العينسنة،
وسألته عن مكتوب الأجوبة فقال نسبته في كربة نخلة في الفرعة فالمرجو من
احسانك تسأل عنها أهل الفرعة ربما تجدها ان شاء الله ولي رغبة وشوق
الى رؤية وجهك والمذاكرة معك فمن احسانك تخبرنا بقدرتك علينا أو استدعي
بقدرتنا عليك، وأبلغ سلامنا الشيخ أحمد^(١).

ولم تقف تلك العلاقة الحميمة حائلا أمام بروز ظاهرة النقاش العلمى
بين التلاميذ وأساتذتهم بكثرة المفاوضات العلمية بل كان الأمر يتعدى ذلك
أحيانا الى النقاش العلمى الحاد والاختلاف الشديد حول بعض المسائل
العلمية.

وتعد المفاوضات العلمية أسلوبا من أساليب ترسيخ المادة العلمية
فى ذهن التلميذ علاوة على كونها وسيلة الى كثرة المناقشات العلمية
واحتمادها أحيانا بين التلميذ وأستاذه ذلك أن بعض تلك المفاوضات كانت
تتكرر حول مسألة واحدة على درجة من الأهمية^(٢).

ولئن كانت بعض تلك المفاوضات قد ساعدت على تمكين تلك العلاقة
الحميمة بين التلميذ وأستاذه فقد أدى بعضها الى الحدة فى الأسلوب
وبروز ظاهرة الجدل العلمى الذى يحرص أصحابه على تأييده بما لديهم
من أدلة وبراهين، وكان ذلك يتم أحيانا بين التلميذ - بعد ادراكه - وبين
شيخه، كما يحصل بين العلماء أنفسهم.

ومن صور ذلك الجدل العلمى ما وقع بين الشيخ أحمد بن محمد بن
بسام وبين شيخه محمد بن أحمد بن اسماعيل فى مسألة خيار الشرط فى البيع
ويلمح المطلع على هذه المراجعة حدة أسلوب ابن بسام بينما يتسم أسلوب

(١) البسام: علماء نجد ٢/ ٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) هى مراجعة الطالب لأستاذه فى بعض المسائل العلمية التى يكون
عنده شك فيها أو لم يفهمها بسرعة أو يطلع على رأى مخالف لها،
ومن الأمثلة على ذلك ما أورده المنقور فى الفواكه ١/ ١٩٤، ٢/ ٢٥٩،

شيخه بالركة والسهولة والحرص على بقاء العلاقة الطيبة بين الشيخ ابن اسماعيل وتلاميذه .

وقد قال الشيخ ابن اسماعيل في هذه الرسالة ردا على رسالة تلميذه : " وقولك - وفقك الله - انك ساد باب الخيار فحاشا لله ، ومعاذ الله أن أسد بابيه ، وأنكر صوابه ، بل أنا ساد باب فعل أهل هذا الزمان من أهل هذه الديرة ^(١) ، لأنني لم أراه موافقا لما ذكره أهل العلم بل مخالف له شرعا ^(٢) أملا وفرعا .

ويستثير ابن اسماعيل في تلميذه علمه وفقهه في هذه المسألة فلا يسفه أو ينتقصه حيث يقول : " فأنت تعلم أن أهل العلم مصرحون في باب الخيار أن الباع بشرط الخيار لا يستحق قبض الثمن الا بعد انقضاء مدة الخيار وان تبضه حرم عليه التصرف فيه ^(٣) .

ويؤكد النص التالي تحلي الشيخ ابن اسماعيل بالتواضع العلمي في هذا الجدل الفقهي بينه وبين تلميذه ، ويصور بالتالي جانبا من جوانب العلاقة بين العلماء النجديين وتلاميذهم في حرصهم على أن يعي طلابهم هذه الناحية ليقتدوا بهم فيها ، وفي هذا يقول ابن اسماعيل : وأما قولك : انك لا ترفع الى قول القائل به رأسا ، فوالله ان جاءني منك على مسألة فعلهم دليل - من كلام أهل العلم - واضح قاطع ، وبرهان صريح ساطع ، لأقبلنه بالآفاق ناشر له على الأحداق ^(٤) ، ولأعلن بقبوله ، ولأعلن بمدلوله ،

(١) وهو خيار الشرط في بيع الحيلة .

(٢) المنقور : الفواكه ٢١٥ / ١

(٣) المنقور : المصدر السابق ٢١٥ / ١

(٤) الآفاق : جمع مآق وموق مجرى الدمع من العين أو مقدمها أو مؤخرها

، والأحداق : جمع حدقة محرقة سواد العين (الفيروز آبادي باب القاف فصل الميم والحاء) والمعنى أقبلنه قبولا تاما وأنشره على الناس ليروه بأعينهم .

(١)

فالحق أحق أن يتبع.

وقد ختم الشيخ ابن اسماعيل جوابه على تلميذه ابن بسام بتأكيد هذه الناحية وحرصه على استمرار الود والوفاء بينه وبين تلميذه والتحلي بروح الحوار العلمي الهادئ ، فقال في ذلك : " وقولك : في كتابك غلط ، فان كان شيء لا يصلح الكلام الا به ، والا فوالله لا أزال لك على الوفاء والصفاء برئ من الغلظة والجفاء ^(٢) .

ويبدو أن حالات الخلاف العلمي المقرونة بالأساليب الرقيقة أحيانا والحادة أحيانا أخرى قد تكررت في أكثر من مسألة فقهية بين الشيخ محمد بن اسماعيل وتلميذه ابن بسام ففي رسالة من ابن بسام لشيخه حول مسألة الادعاء والبيئة قال : " وأعلم أني فهمت منك مسألة وقت الدرس ، وهي ما اذا ادعى شخص على آخر عقارا بيده ، لقد مات مورثه وهو في ملكه فقال المدعى عليه : ملكي بيدي ، فهات بيته أني غاصب أو غير ذلك أو أنا غير رشيد ، وأقام ولي البيئة : لقد مات مورث مولاي هذا وهو في ملكه . . " الى أن قال : (فالمفهوم وقت الدرس أن القول قول صاحب اليد ، وقد لاح مفهوم لمحبيك القاصر غير ذلك ^(٣) وذكر أنه راجع بعض فقهاء نجد المعاصرين له فأيدوه في فهمه ، وأن فتاوى بعض علماء نجد السابقين كذلك تؤيد هذا الفهم كما يؤيده جميع فقهاء أهل المعارض الذين يعدون من أبرز الفئات الفقهية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ^(٤) .

كما ذكر في رسالة أخرى الى شيخه قائلا : " وتراكم مقيمين على

(١) المنقور: المصدر السابق ٢١٥ / ١

(٢) المنقور: المصدر السابق ٢١٨ / ١

(٣) المنقور: المصدر السابق ٢٥٩ / ٢ ، ٢٦٤ ، وقد كرر هذه المسألة في الصفحة الثانية باختصار

(٤) المصدر السابق ٢٦٠ / ٢ .

(١)

مسألة - ويعلم الله - ماهيب كلام أهل العلم، وصورتها : اذا كان فى يدك عين ، وادعيت عليك أن هذه العين خلفها أبي تركة ، وأقمت بذلك بينة ، فقولكم : القول قول صاحب اليد ، وكذلك اذا ادعى شخص على آخر فى عين بيده أن زيدا باعه اياها وهى ملكه ، تقولون : القول قول صاحب اليد الا أن يقيم بينة نحو غاصبه ويذكر السبب * ثم بعد أن ذكر ما يؤيد كلامه من أبرز مصادر المذهب الحنبلي قال : اذا ذكرت السبب ، فالمفهوم على خلاف فهمكم حين الدرس والله أعلم (٢) .

ويمكن القول ان ظاهرة الاختلافات العلمية فى بعض المسائل الفقهية بين العلماء النجديين وتلاميذهم تعد سمة من سمات الحياة العلمية فى نجد قبل الدعوة برزت لدى أكثر من عالم فيذكر بعض المؤرخين أن سليمان بن عبد الله بن زامل وابن عمه محمد بن علي بن زامل (٣) - وهما زميلان فى الدراسة

- (١) ماهيب كلام : تعبير نجدى لجملة (ماهى بكلام)
 (٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٠ ، ٣٨٦ ، وقد كرر هذه المسألة مع تغيير بسيط فى كلماتها .
 (٣) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن زامل الزهرى الثورى نسباً السبيعي خلفاً ولد فى عنيزة على علمائها ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن عضيب ، ثم رحل الى الوشم واستفاد من علمائها وعاد الى عنيزة فلزم شيخه حتى أدرك ادراكاً جيداً فى الفقه وغيره ، ولما ترك الشيخ عبد الله بن عضيب عنيزة ونزل الضبط ، تولى بعده قضاء عنيزة والامامة والخطابة والفتيا والتعليم وذلك عام ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م فصار مرجع البلدة ، ولقب بالامام لسعة علمه ، فى عام ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م طلب الاعفاء من منصبه وتجرّد للعبادة والافتاء والتعليم حتى توفى عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م ، (ابن عيسى ، ٢٤٠ ، البسام : علماء نجد ١/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، القاضى : روضة ١/ ١١٩ ، ١٢٠)
 (٤) هو الشيخ محمد بن علي بن محمد بن زامل الزهرى الثورى ، ولد فى عنيزة يلقب بأبى شامة لشامة فى شعره ، تعلم تعليماً أولياً حتى اذا قدم عنيزة الشيخ عبد الله بن عضيب لازمه حتى أدرك فى العلوم الشرعية وألم ببعض العلوم كالعربية ، كما زامل وتلمذ على قريبه

على الشيخ عبد الله بن عضيـب في عـنـيـزة - كانا يتـباريان مع شيخهما فـي مناقشة بعض المسائل الفقهية، وإذا احتدم الخلاف حكم ثلاثتهم علماء أشيقر أو علماء العارض، ولم يحل ذلك دون القيام بواجب الاحترام والتقدير لشيخهما (١).

(٢)

وقد أورد المنقور في مجموعه جوابا من الشيخ سيف بن عـزاز لبعض

(=) الشيخ سليمان بن زامل، راسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن من راسل من علماء نجد، تولى قضاء عنيزة بعد زميله الشيخ عبد الله بن أحمد بن اسماعيل (ت ١١٩٦هـ / ١٧٨١م) بعد تركه للقضاء كما خلفه على إمامة الجامع والخطابة، وقام بالتدريس كذلك حتى توفي في حوالي ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م. (ابن خنـام ١ / ٩٥ ابن قاسم: الدرر ٢ / ٢١٠٢٠ رقد أسقط فيهما اسم محمد بن زامل، ابن عيسى ٢٤٠، البسام: علماء نجد ٣ / ٩٠٨، القاضي ٢ / ١٦٦) .

(١) البسام: المرجع السابق ١ / ٣٠٠

(٢) هو الشيخ سيف بن محمد بن عـزاز من آل مشرف من الوهبة من تميم خال إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في أشيقر وتلقي العلم على بعض علمائها إلا أن أبرزهم الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف - قاضي العيينة وجد في التحصيل حتى مهـر في الفقه وتولى قضاء أشيقر وتصدى للتدريس والافتاء، وتلمذ عليه عدد من العلماء وأشهرهم الشيخ محمد بن فيروز - أول قاض للكويت وجد محمد بن عبد الله بن فيروز (ت ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م)، توفي أشيقر عام ١١٢٩هـ / ١٦٠١م (المنقور: الفواكه ١ / ٣٦٢ / ١٩-١٥ وقد أورد فيها ملخص سؤال موجه من الشيخ سيف إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر أحد علماء الشافعية بالأحساء سنة ١١٠٢هـ / ١٧٩١م وهو يشير إلى تلقي الشيخ سيف العلم على هذا العالم سواء بالمشافهة أو المراسلة، ابن ربيعة ٧٠، ابن بشر ٢ / ٢١٤، ٣٣١، ابن حميد ١٠٤، البسام: علماء نجد ١ / ٣٢٩، ٣٣٠) .

لبعض مشائخه وزملائه فى احدى مسائل المساقاة وهى الرغبة فى التفاسخ من أحد المتعاقدين على المساقاة اذا تضمن ضررا على أحدهما فقال الشيخ سيف فى هذا : " وبعد ، فوصل المكتوب وهو مشعر بشدة تمضفكم بذلك المكتوب ، وليس فيه ما يوجب ذلك لأنى مبالغ فى التلطف فى الخطاب ، وقابلتموه بهذه الغلظة الشديدة ، ونسبتم أنه جمع بين الغث والسمين ، والصواب وضده ولم يظهر لكم ذلك بصريح من النقل ، وقد عن لى ألا أجيب مكتوبكم لما فيه من الأيحاء ، ثم بدا لى بالاجابة بما لا أيحاء فيه سواء قابلتم ذلك بالقبول أو الرد (١) .

ويبدو أن الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف لم يترك تلميذه سيف بن عزاز أو مؤيديه على آرائهم بجواز فسخ المساقاة بعد ظهور الثمرة اذا تلف شيء منها وعدم الزام العامل اتمام العمل فقال فى ذلك ردا جاء فيه : " وبعد : ، فقد وقفت على ما ذكرت من التمثيل بما لا طائل فيه ، واعلم أن المفهوم حل العبارات بالمفهوم الموافق للمنقول ، واما القياس فممنوع محرم فوظيفة متفقه الزمان الاخبار بما رآه مسطورا لمن سأل ، وما سواه يكف عنه ، والا كان آثما خائنا ، مع أن ما ذكرت غير مطابق لحكم المساقاة ، ولا موافق ، فكيف يصدر هذا من متفقه ، سبحانه ، هذا افتراء على مذهب الامام أحمد ، الذى أن قال : " هذا هو الذى عليه قدماء متفقهة قطرنا ، ومن عرفنا وعرفه غيرنا ،

(١) المنقور: المصدر السابق ٣٦٢/١

(٢) هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن موسى بن عبد القادر من آل مشرف من وهبة تميم ، من بيت علم اذ أن والده من علماء نجد البارزين ، كما أن أبناءه وأحفاده برز منهم علماء ، تلقى العلم على والده ، ثم على الشيخ سليمان بن علي والشيخ علي بن محمد بن بسام (ت ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م) حتى أصبح مرجعا فى القضاء والفتيا والتعليم ومنح الاجازات العلمية ، ولى قضاء العيينة - فى أزهر - فترات تاريخها - حتى توفي عام ١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م ، له تلامذة كثيرون كالمنقور ، وابن ربيعة ، وسيف بن عزاز وعبد الله بن فيروز ، وله اجابات فقهية تنم عن سعة أفق فى هذا العلم ، وقد أورد المنقور كثيرا منها

فأنت تدارك نفسك^(١).

وبعد مراجعته مرة ثالثة أجاب رداً على تلميذه ومؤيده بقوله: لقد وقفت على هذا الجواب وما تضمنه من زكاة الخطاب، من استدلاله بكلام الأصحاب، وحمله على غير الصواب، فانا لله وانا اليه راجعون، فهذه مصيبة في الدين^(٢) وأنهي الشيخ عبد الوهاب جوابه هذا بعد إيراد بعض الحجج والبراهين بقوله: "ولا يجوز التفصيل إلا بدليل، وأئمة المذهب مطلقون وأنتم تفصلون، ليت ما كان منكم ما كان، وكانت حالكم عندنا مستورة، وليت لكم سلف في القضية وقد أرسلت إليكم رسالة نصحية فقابلتموها بهذه المفاهيم الواهية والله أعلم^(٣)".

وإذا كانت الاختلافات العلمية بين الطلاب النجديين وأساتذتهم داخل المنطقة لم تؤد إلى القطيعة التامة رغم حدة أساليبها أحياناً فإن هذه الاختلافات بين هؤلاء الطلاب وأساتذتهم خارج نجد قد جرت إلى امتناع هؤلاء الطلاب من الاستمرار في تلقي العلم على من اختلفوا معه بل والرحيل عن بلده إلى بلد آخر طلباً للعلم، وفي هذا الصدد تحدثنا المصادر أن الشيخ عثمان بن قائد رحل من الشام إلى مصر اثر خلاف علمي في مسألة فقهية بينه وبين أحد شيوخه في الشام الشيخ محمد بن عبد الباقي أبي المواهب^(٤) حول الحرير إذا تساوى وغيره في الظهور أو زاد الحرير إذا كان

(=) في مجموعه. (المنقور: الفواكه ١/ ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٥١٤، ٥٤٢، ٥٥٣، ٥٥٥، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٣٠، ابن ربيعة ٢٠، ٨٥، الفاخرى ٩٥، ابن بشر ٢/ ٢٠٧، ٢٣١، ابن حميد ١٧٢، البسام: تحفة ٩٤، البسام: علماء نجد ٣/ ٦٧١، ٦٧٢).

(١) المنقون: المصدر السابق ١/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٦٦.

(٣) المنقور: المصدر السابق ١/ ٣٦٧.

(٤) هو الشيخ محمد أبو المواهب بن تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلبي (نسبة إلى بعلبك إذ أصل عائلته منها) الدمشقي ولد بدمشق عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م قرأ على والده وعدد من العلماء الحنابلة الدمشقيين، ثم رحل إلى مصر سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م وتلمذ

(=)

الثوب مسدى بالحريز وملحما بغيره كصوف وقطن لكن أخرجته الصناعة فظهر السدى وخفيت اللحمة ، فقال أبو المواهب بالحل وقال عثمان بن قائد بالحرمة وطالبت بينهما المنازعة والمناظرة فاحتد أبو المواهب على ابن قائد حتى رحل من الشام الى مصر .^(١)

ويبدو أن بعض الاختلافات العلمية من العمق وتنوع الموضوعات بحيث كان التحكيم فيها يتطلب عرض بعض مسائلها على فقهاء البلدان المجاورة ممن هم أطول باعا من العلماء النجديين في محاولة من هؤلاء العلماء لتدعيم آرائهم ضد مخالفهم المحليين ، وكان الفقيه النجدي في هذا حريصا على أن يعرض آراءه على مجتهدى المذاهب الأربعة مع التركيز على عمود المذهب الحنبلي فالشافعى ، ومن الأمثلة على ذلك سؤال الشيخ أحمد بن بسام شيخه أحمد بن خميخ عن صحة فتوى أفتى بها فى إحدى مسائل الوقف وخالفه فيها بعض العلماء ، وتطلب الأمر بعد ذلك عرض الموضوع على بعض فقهاء الشافعية بل على مفتى الأحساء فى زمنه الشيخ إبراهيم بن حسن^(٢) ، ولما حكم الشيخ منصور البهوتى آيد ابن بسام فى رأيه مؤكدا أنه

(=) على عدد من علمائها وعلماء الحرمين كذلك ، وقد أعد ثبنا بأسماء مشايخه وتراجمهم ، أدرك فى الفقه وعلوم القرآن والحديث وانتهت اليه فتيا الحنابلة بالشام اثنتى عليه ابن حميد وتتلذذ عليه مجموعة من العلماء ، له رسائل فى تفسير بعض الآيات ، وتعليقات على صحيح البخارى ، توفي فى دمشق فى شوال ١١٢٦ هـ / أكتوبر ١٧١٤ م .
(عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار ١ / ١٢٧ ، ابن حميد ٨٦ - ٨٩ ، الزركلى : ٥٥ / ٧) .

(١) ابن قائد : هداية الراغب ص ٥٧٦ ، من مقدمة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ ، ابن حميد ١٧٦ ، البسام : علماء نجد ٣ / ٢٨٣ ، القاضى : ٦٩ / ٢

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن حسن الأحسائي موطنا الحنفى مذهباً ، كان ضليعا فى الفقه والأدب والنحو وعلوم أخرى كثيرة ، تتلمذ على علماء الأحساء ثم على مفتى مكة الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى (ت ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م) وأجازه ، وأخذ التصوف على الطريقة

(١)

سربما أفتاه وأوضحه .

ولما كان الشيخ سليمان بن علي قد خطأ مخالفه في بعض مسائل الوقف كذلك فقد حرص على أن يدعم رأيه بموافقة عدد من فقهاء مكة ممن مجتهدى المذاهب الأربعة وأئمة وخطباء المسجد الحرام، وكانت هذه الموافقة بخط هؤلاء الفقهاء الذين يعدون عمد تلك المذاهب في الحجاز^(٢).

والتأمل في مظاهر تلك العلاقة بين طلاب العلم النجديين ومعلميهم يدرك الى أي مدى كانت هذه العلامة عاملاً مهماً من عوامل ازدهار الحركة العلمية في نجد قبل الدعوة رغم الظروف السياسية والاقتصادية السيئة، ولئن لم يقرن ذلك بالازدهار العظيم الذي تحقق للحياة العلمية بعد الدعوة، إلا أنه في تلك الظروف فإن جهود العلماء النجديين تعتبر جيدة، ومن أسباب ذلك تلك العلاقة الحميمة بين الطلاب ومعلميهم، هذه العلاقة التي لم توجد جواً من الرهبة والتعالي من الشيخ أمام تلاميذه وفرض

(=) النقشبندية على الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي (ت ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م)، وتتلخص عليه جمع من الأحسائيين من أبرزهم أمير القطيف العثماني يحيى بن علي باشا (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) وللشيخ نظم جيد، وكتب منها (شرح نظم الأجرومية) في النحو، و(دفع الأسى في أذكار الصباح والمساءلة مع شرحها، توفي في ١٠٤٨ هـ الموافق ١٢/٢/١٦٣٩ م) في الأحساء (محمد بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، نشر دار صادر، بيروت ١٩٠١، ١٨/١، الزركلي: الاعلام ١/٢٨).

(١) المنقور: الفواكه ١/٥١٠، والعثيمين: الحياة الدينية في نجد، مجلة الدارة ع ٣/س ٤ ص ٣٦.

(٢) وذلك في وقف السعدوني في العيينة والذي أفتى فيه بعض علماء نجد غير الشيخ سليمان، عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف وأحمد ابن بسام وعبد الله بن ذهلان وغيرهم، وكان البحث فيه يدور حول استحقاق أخ الميت أو أعمامه لوقف مات موقفه عن أخ وأعمام فقط (المنقور ١/٥١١ - ٥١٤).

الآراء العلمية في ظل ذلك الجوبل أتاح لتلك المناقشات العلمية الجادة أحيانا الانطلاق بحركة التعليم الى مستوى لا بأس به ، ذلك أن العلم لا ينمو ولا يزدهر الا في ظل المناقشات والمجادلات والردود ، وهذا أمر قد كيف العالم النجدي وطلابه علاقتهم على ضوءه مع حفظ حق المعلم في النهاية بالاحترام والتقدير، ولعل هذا من أسباب رحيل الشيخ عثمان بن قائد عن الشام الى مصر أثر احتداد المناقشة بينه وبين شيخه أبي المواهب اذ ربما أن أبا المواهب حاول فرض رأيه على تلميذه أو منعه من نشره ، وهو أمر لم يتعوده مع أساتذته النجديين .

٣- مجالات التأليف :

لقد طرق العلماء النجديون في مجال التأليف بعض العلوم على اختلاف فيما بينها في كثرة التأليف والعمق فيه اذ تتدرج مؤلفاتهم كثرة وعمقا منن الفقه الى التاريخ الى التوحيد فعلوم اللغة ، ورغم أنه لم تصل اليها مؤلفات أو رسائل في غير هذه التخصصات فمن المعتقد أن يكون لدى بعض العلماء النجديين محاولات ولو محدودة في مجالات أخرى اذ أشرعن بعضهم دراسة الحديث والاجازة فيه حتى أشير اليه بالامامة في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والبلاغة^(١) ، وما من شك أن هذا سوف ينعكس بدوره على اهتمام من بلغ هذه الدرجة في أى من هذه العلوم فيساهم فيها ولو برسائل صغيرة ، الا أن من الواضح أن جل اهتمام علماء نجد في تلك الفترة كان منصبا على تلك العلوم الأربعة بدرجة متفاوتة فيما بينها .

١ - الفقه :

لقد كان الفقه ولا يزال أبرز العلوم التي تلقى القبول في المجتمع

(١) البسام : علماء نجد ٣ / ٧٧٠ ، د . عبد الله الشبل : مجلة كلية الشريعة الشريعة بالاحساء عدد سابق ص ٥١٥ ، وقد مر بنا حصول الشيخ محمد بن أبي حميدان على اجازة في الحديث من المحدث محمد الغيطي .

النجدى ويجد حامله التقدير والاحترام نظرا لأساس الفقه استنباط القواعد الأساسية والأحكام الفرعية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لحل جميع القضايا المستجدة، ولأن اتقان هذا العلم كان كافيا لامداد البلدان النجدية بحاجتها من القضاة^(١).

ومن هذا المنطلق فقد حظي هذا العلم بمؤلفات تفوق في كثرتها وعمقها وتخصصها الدقيق سائر العلوم الأخرى، وأخذ كثير من علماء نجد - ممن لديهم قدرة ومعرفة - القيام بتأليف بعض الكتب والشروحات والرسائل الفقهية إضافة إلى قيامهم بأعمال التدريس والقضاة والامامة والحسبة وما إلى ذلك^(٢).

ولما كان الانتماء المذهبي لعلماء نجد في الأغلب إلى المذهب الحنبلي، ولوجود اتصال علمي جيد بين هؤلاء العلماء والمدارس الحنبلية في الشام ومصر والعراق، فقد كان يحصل تنسيق أحيانا بين علماء نجد وعلماء تلك البلدان في مجال التأليف بغية الحيلولة دون تكرار بعض المؤلفات حول موضوع واحد أو تعدد الشروحات حول كتاب واحد، ومن أبرز الأمثلة في هذا الصدد عدول الشيخ سليمان بن علي بن مشرف - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عن شرحه للاقتناع أو المنتهى في الفقه الحنبلي، أو اتلافه لشرحه حينما علم بقيام الشيخ منصور البهوتي بهذا العمل^(٣).

(١) المنقور: التاريخ : مقدمة المحقق الدكتور عبد العزيز الخويطر،

١٦، ١٧، د. د. العثيمين : مرجع سابق ٣٦، منصور الرشيد : المرجع

نفسه ص ١٠٧

(٢) المرجع السابق ص ١١٠

(٣) ذكر ابن بشر أن الشيخ سليمان شرح الاقتناع وأخذه معه إلى الحج

فالتقى بالشيخ منصور في مكة فذكر له أنه شرحه فأتلف الشيخ سليمان

ما شرحه، بينما ذكر ابن حميد أنه هم بشرح المنتهى وليست

الاقتناع - وكلاهما شرحه الشيخ منصور - فقدّم عليه بعض الطلبة

بشرح الشيخ منصور عليه فأعرض عما عزم عليه وقال : كفانا الشيخ هذا

المهم، ويقال انه طالعه بتأمل فقال : وجدته موافقا لما أردت أن أكتب

ماعدا ثلاثة مواضع أو نحوها، ويذكر البسام أن الشيخ سليمان في حجة

(=)

وليس هنا مجال العرض التفصيلي للمؤلفات الفقهية لعلماء نجد قبل الدعوة إلا أن المطلع عليها يجد أنها ضمت المجاميع الفقهية^(١) كما ضمت الرسائل الصغيرة لتفصيل أحكام أحد أبواب الفقه^(٢)، وهذا ما جعل التأليف الموسوعي للفقه يسير جنباً إلى جنب مع تلك المؤلفات التخصصية.

ب - التاريخ :

على ضوء المعلومات المتوافرة حتى الآن يمكن القول أن علم التاريخ يلقى الفقه مباشرة من ناحية اهتمام بعض

-
- (=) المعروفة عام ١٠٤٩ هـ / ١٦٤٠ م وجد الشيخ منصور حاجاً في ذلك العام فاجتمع به، وأطلعته الشيخ منصور علي شرحه للاقتناع وكان الشيخ منصور لم ينته من شرحه إلا ذلك العام فتأمله الشيخ سليمان ثم قال وجدته مطابقاً لما عندي إلا مواضع يسيرة وأتلف شرحه عليه (ابن بشر ٢ / ٢١٠، ابن حميد ١٠٣، البسام : علماء نجد ١ / ٣١١) .
- (١) كمجموع المنقور الفقهي المسمى : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة ، ولم يذكر ابن حميد هذه التسمية له مما يوحي بأنها ليست من وضع المؤلف بل ذكر له اسمين هما : ١ - القيد الجامع لغرائب الفوائد ٢ - النقولات الجلية من الكتب العربية (ابن حميد ٦٤) ، ومن الكتب الفقهية الشاملة : هداية الراغب شرح عمدة الطالب للشيخ عثمان بن قائد والمجموع فيما هو كثير الوقوع للشيخ عبدالرحمن ابابطين وغيرها (د . عبد الله الشبل : مرجع سابق ٥١٨ ، ٥١٩) .
- (٢) أبرز ما ألف في هذا الموضوع عدد كبير من المناسب التي تفصل موضوع الحج والعمرة ومنها ١ - منسك الشيخ أحمد بن عطوة ٢ - منسك الشيخ أبي نعي بن راجح ٣ - منسك الشيخ سليمان بن علي ٤ - منسك الشيخ أحمد المنقور وغيرهم ، ومما ألف في هذا الموضوع كذلك ١ - رسالة في موقف الشيخ عبد العزيز بن عدوان (ت ١١٥٧ هـ) ٢ - رسالة الاسعاف في اجازة الأوقاف للشيخ عثمان بن قائد ٣ - رسالة في أحكام الرضاع للشيخ عثمان بن قائد وغيرهم .

علماء نجد قبل الدعوة بأعداد بعض المؤلفات المحدودة فيه ، وقد وضعت بمثابة رصد لبعض الأحداث التاريخية المحلية على شكل مذكرات تدور بعض أحداثها حول شخص معدها أو أسرته أو بلده ، إلا أن الباحث يجد فيها أحداثاً يمكن الاستفادة منها لكتابة التاريخ النجدي عموماً^(١) .

ولعل من أبرز أسباب اهتمام بعض علماء نجد بالنسب بهذا العلم هو شعورهم بضرورة تسجيل بعض الأحداث المتعلقة بأشخاصهم أو بلدانهم أو أسرهم ، وهى وإن كانت قليلة إلا أنها تفيدهم فى معالجة بعض القضايا الفقهية^(٢) ، ومن الأمثلة على ذلك ذكر المنقور وابن ربيعة لتأسيس وشراء بعض المزارع ، وشراء ابن ربيعة لكتب شيخه ابن ذهلان ، وهذا التاريخ يفيد فى تقرير الملكية الخاصة بهذه المزارع أو الكتب لهما أو لأبنائهما فى حال وجود من يعترض على ذلك^(٣) .

كما أن ذكر بعض الأحداث المهمة فى المنطقة ضرورى لمعرفة قسرب أو بعد حالات الولادة والوفاة والزواج من هذه الأحداث ، وتلك ناحية وعماها بعض مؤرخي نجد قبل الدعوة فأولوها اهتمامهم ، ومن الأمثلة على ذلك ذكر المنقور وابن ربيعة كذلك لبعض حالات الزواج والولادة والوفاة الخاصة بهما أو ذريتهما مع بعض الأحداث المهمة والظواهر الطبيعية^(٤) .

(١) تاريخ المنقور ٧ - ٢٢٠٢١٠١٠ من مقدمة المحقق الدكتور عبد العزيز الخويطر ، تاريخ ابن ربيعة ٣٦ ، ٢٣ من مقدمة المحقق الدكتور الشبل .

(٢) مقل الذكبر : مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنوانا له مخطوط بمكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد تحت رقم ٥٦٩ ورقة ٢١٨ ، ١٧١ ، وانظر : Dr. Mohammed Ther Al- Thenayan History Writing in Nagd. p. 56.

(٣) المنقور : التاريخ ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ابن ربيعة : التاريخ ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧ .

(٤) المنقور : المصدر السابق ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ - ٧٩ ، ابن ربيعة المصدر السابق ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١ .

وما من شك في أن طرق بعض الفقهاء النجديين مجال التاريخ بجانب اهتمامهم الرئيسي في دراسة الفقه جعلهم يتميزون عن غيرهم ممن اقتصروا على الفقه بالحس التاريخي المكمل لصفات الفقيه الناجح^(١)، ولئن كان هذا الطرق على استحياهم منهم فمرّد ذلك الى استنكاف الفقهاء السابقين وبعض المعاصرين لهم من انخوض في مجال التاريخ .

ومن هذا المنطلق فإن الكتابات التاريخية في تلك الفترة على أهميتها لم ترق أو تقارب تلك المؤلفات التاريخية الكبيرة التي قام بها المؤرخون المسلمون السابقون أو المعاصرون لعلماء نجد قبل الدعوة سواء في مجال التاريخ العام أو المحلي ويرجع ذلك الى أسباب فصلها بعض المختصين في تاريخ نجد ولا ضرورة لذكرها هنا^(٢).

ج - التوحيد :

لقد سبقت الإشارة الى أن قسما من علماء نجد قبل الدعوة كان لديهم بعض الاهتمامات العقدية المحدودة ، وقد تمثلت في نقد بعض البدع والخرافات ، كما برزت في نقل بعض التقارير العقدية من كتب بعض المحققين من السلف الصالح من أهل السنة والجماعة وخاصة المشهورين بالحصرص على اامة البدع واحياء السنة ، على أن ذلك كما مر لم يرق الى المستوى الرائع الذي قام به امام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وبالإضافة الى ذلك فقد كان لبعض العلماء النجديين بعض الرسائل العقدية التي توضح عقيدة السلف في بعض المسائل كمعرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل وما يندرج تحت ذلك من أصول الدين كاثبات العلو والاستواء والكلام لله سبحانه اثباتا يليق بهجالاته .

(١) Dr. M. Then Al-Thenayan, p. 56.

(٢) مقبل الذكتر: المرجع السابق ١٧١، د. عبد العزيز الخويطر: ابن بشر، منهجه ومصادره ص ٦٠٥، الفاخرى: الأخبار النجديّة، ص ١٩ - ٢٤ من مقدمة المحقق الدكتور عبد الله الشبل .

ومن أبرز ما أعد في هذا المجال رسالة للشيخ عثمان بن قائد أسماها
(نجاة الخلف في اعتقاد السلف) وقد طبع هذه الرسالة وقدم لها
ونشرها الشيخ محمد جميل الشطي - مفتي الحنابلة بدمشق - سنة
١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م، وقد أثنى على تقريراته الشيخ عثمان في هذه الرسالة
ذلك أنه كان يعتمد في نقولاته وتأبيد آرائه على ما قاله كبار محققي عقيدة
أهل السنة والجماعة^(١).

على أن الشيخ عثمان بن قائد قد ضمن بعض كتبه الفقهية آراء عقديّة
على طريقة السلف الصالح تبين أنه من المحققين في هذا المجال، وأنه
ليس على طريقة أكثر الفقهاء المعاصرين له في صفات الله عز وجل في عدم
اهتمامهم بالتحقيق فيها على رأي أهل السنة والجماعة، ومن أوضح الأمثلة
في هذا الصدد ما ذكره في مقدمة كتابه الفقهي (هداية الراغب شرح
عمدة الطالب) حيث قال : (والحال أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي ،
وتارة من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست
الاعتبارات الثلاثة متماثلة إذ ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في شيء من صفاته
ولا شيء من أفعاله وهو السميع البصير ، فاحفظ هذه القاعدة فإنها
مهمة جدا بل هي التي أعنت السلف الصالح عن تأويل آيات الصفات
وأحادِيثها وهي العاصمة لهم أن يفهموا من الكتاب والسنة مستحيلا على الله
من تجسيم أو غيره^(٢)) .

وقد قام الشيخ عثمان بذلك بانتقاء بعض الآراء العقديّة من كتاب
(فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني ووضعها في
كتاب سماه (التوحيد)^(٣) ، ويدل ذلك مع ما سبق على اهتمام خاص من الشيخ
عثمان بموضوع العقيدة مع تبحره بعلم الفقه أدراكا منه بضرورة مواكبة

(١) عثمان بن قائد : نجاة الخلف ص ٢ من مقدمة الناشر .

(٢) البسام : علماء نجد ٣ / ٦٨٤ .

(٣) ابن بشر ٢ / ٢١٧ هامش ٣ ، الدارة ع ٢ / س ٤ / ص ٢٨

التصق في أصول الدين للدراسات الفقهية .

ولئن كان ابن قائد قد عاش بعضا من عمره خارج نجد حيث توفى في مصر فربما كان اهتمامه بهذا المجال نتيجة مناقشاته مع العلماء في الشام ومصر^(١)، إلا أن كونه من العلماء النجديين الذين لقيت مؤلفاتهم المتنوعة رواجا في نجد قد يجعل لهذه المؤلفات العقدية قبولا لدى بعض النجديين قبل الدعوة، ورغم أن لهذه الأفكار العقدية ظلت حبيسة كتبهم التي لم تنشر في المنطقة إلا بعد وفاته فمن المعتقد وجود نية لديهم لنشرها في نجد بعد عودته من القاهرة غير أن الموت عاجله فتوفى بها^(٢) .

ومن وجد لديهم اهتمام ببعض مسائل التوحيد الشيخ منيع بن محمد العوسجي الذي وضع رسالة في مسألة الرضا بالقضاء - وهي قضية عقدية - وسمى هذه الرسالة (النقل المختار من كلام الأخيار) والشيخ منيع في هذا أضاف اهتماما آخر الى جانب بروزه في علم الفقه والعربية^(٣) .
(٤)

د - علوم الآلة :

لقد نعى أحد علماء الأحساء على بعض علماء نجد عدم تعمقهم في علوم العربية بعد الشيخ سليمان بن علي ، ومعنى هذا أن الشيخ سليمان بن علي كان من المهتمين بعلوم العربية الى جانب تضلعه في الفقه^(٥) .

(١) د . عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩ ، بحثه

في الدارة ع ٣ / ص ٤ ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

(٣) البسام : المرجع السابق ٩٥٦ / ٣ ، منصور الرشيد : بحثه في الدارة ، العدد السابق ص ١١٩ .

(٤) علوم الآلة هي علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة لأنها تقوم اللسان الذي يطلق عليه الآلة أحيانا .

(٥) البسام : المرجع السابق ٩٥٦ / ٣ ، ٩٥٧ .

وقد امتدح هذا العالم الشيخ منيع بن محمد العوسجي تعمقـــــــــــــــــه
فى علم النحو بعد أن تباحثا فيه فقال : (ان كان فى نجد مثلك يفهمـــــــــــــــــ
فهو يسمى نحويًا) ولاغرو فى ذلك فالشيخ منيع قد تلقى علوم العربية حتى
أدرك فيها على عالم الأحساء الكبير محمد بن عبد الرحمن بن عفالق المشهور
بتبحره فى هذه العلوم. (٢)

على أن الشيخ منيعا نفسه قد عاب على بعض علماء نجد فى وقتـــــــــــــــــه
قصورهم فى علوم العربية وعدم اهتمامهم بها وذلك فى رسالة أرسلهـــــــــــــــــا
الى معاصره الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل (٣) وهذا دليل على
معرفة من الشيخ منيع وابن اسماعيل بعلم النحواذ لا يعيب أحد أحدا
فى شيء الا أنه غير موجود فيه أو أنه متحل بضده. (٤)

والواقع أنه قد وجد لدى بعض علماء نجد فى فترات متفاوتة قبـــــــــــــــــل
الدعوة اهتمام لا بأس به بعلوم الآلة وقد برز ذلك فى تأليف بعض الرساـــــــــــــــــئل
لتوضيح بعض الموضوعات اللغوية ، والقيام باختصار بعض المؤلفات القديمة .

ومن أبرز الذين أدلوا بدلوهم فى هذا المجال الشيخ عثمان بـــــــــــــــــن
قائد الذى ألف رسالة فى آى المشددة تحتوى على ثلاثة فصول وخاتمة
ولا تزال مخطوطة ويوجد لها ثلاث نسخ : نسختان فى دار الكتب المصرية
احداها منقولة عن خط المؤلف وهما تحت رقم ٧٠ م نحو ، والثالثة فى المكتبة

(١) البسام : المرجع السابق ٩٥٧/٣

(٢) البسام : المرجع السابق ٩٥٦، ٨٢٠/٣

(٣) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل
الزهرى الثورى ولد فى أشيقر ونشأ فيها وقرأ على علماء آل اسماعيل
وغيرهم من علماء أشيقر حتى تأهل للتدريس والافتاء ، وكان حـــــــــــــــــسن
الخط مضبوطة توفى فى أشيقر عام ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م (البسام : علماء
نجد ٨١٤، ٨١٥) .

(٤) البسام : المرجع السابق ٨١٤، ٨١٥ .

الظاهرية بدمشق تحت رقم ٢٠٤ نحو، كما وضع رسالة أخرى في النحـــــو سماها (كشف الضوفى معنى لو) وتوجد نسخة منها فى المكتبة الظاهرية برقم ٢٠٩ نحو، وله رسالة فى ان وتوجد فى الخزانة التيمورية بدار الكتب (١) المصرية.

وقد قام الشيخ عبد الله بن عضيب باختصار القاموس المحيـــــط للفيروزابادى علاوة على قيامه بنسخه كاملا، وألف تلميذه الشيخ صالح بن عبد الله الصائغ رسالة فى النحول لا تزال مخطوطة، وهذه المؤلفات دليل اهتمام جيد من علماء نجد بعلوم العربية، والمعتقد وجود وسائل أو كتب غير تلك (٢).

ان تزايد العلماء فى نجد كلما قرب الزمن من قيام الدعوة، واهتمام هؤلاء العلماء بالتعلم والتأليف فى مجالات أخرى غير الفقه وخاصة علم التوحيد، ان ذلك كله كان ارهاصا لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ذلك أن كثيرا منهم كان يعرف فى قرارة نفسه السلوك الدينى لأهل نجد بجانبه السلبى والايجابى، وضرورة محاربة بعض البدع والخرافات على ضوء تلك الدراسات والمؤلفات فى مجال التوحيد (٣).

٤- طريقة التأليف:

لقد اتبع المؤلف النجدى طريقة من سبقه من المؤلفين فى المجالات التى طرقتها الا أن المطلع على بعض المؤلفات النجدية قبل الدعوة يجد أساليباً لطريقة التأليف استلزمته طبيعة الحياة العلمية التى هى صورة من صور الحياة الاجتماعية. ففى مجال الفقه اتبع شراح الكتب المعتمدة فى المذهب طريقة مؤلفيها فى التبريد ولكنهم كانوا يحرصون على تقريب أفكار هؤلاء المؤلفين

(١) البسام: المرجع السابق ٦٨٦/٣، مجلة العرب ج ٩، ١٠، ١١، ١٢، ص ٧٠٧ من تعليق الشيخ حمد الجاسر على ترجمة ابن قائد من السحب الوابلة.

(٢) ابن حميد ١٥٤، البسام: المرجع السابق ٣٦٥/٢، ٥٢١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، القاضى، روضة ٢١٥، ١٦٧/١.

(٣) د. العثيمين: المرجع السابق ١٨، أبحاثه فى الدارة ع ٢/ ص ٤، ص ٢٨، ع ٣/ ص ٤، ص ٣٤.

بما يصنفونه من سلاسة العبارة وجودة السبك وقياس بعض القضايا المستجدة على ما ذكره المؤلف السابق، وإيراد بعض الأدلة لتوضيح حكم أورده المؤلف، ومن هنا فقد لقيت بعض الشروحات النجدية قبولا لدى الفقهاء في نجد والبلدان المجاورة^(١).

أما المجاميع الفقهية ذات الطابع المحلي فإنها تتبع التبويب الفقهي الذي درج عليه الفقهاء السابقون إلا أنها تركز على الأبواب الفقهية التي يكون فيها أسئلة من عامة النجديين ولهذا فقد تغفل أحد أبواب الفقه مما لسم يرد حوله أسئلة ذات أهمية، ومن أبرز هذه المجاميع مجموع المنقور الفقهي (الفواكه العديدة في المسائل المفيدة) الذي وجد فيه علماء نجد ما يساعدهم على حل بعض قضايا الناس، ولقي قبولا لديهم إلى الوقت الحاضر.

وتتمثل طريقة المنقور في إيضاح حكم أي مسألة بعرض آراء مجتهدي المذهب الحنبلي السابقين والمعاصرين ثم ذكر آراء العلماء النجديين ولا يغفل بعض اجتهادات أصحاب المذاهب السنية الأخرى وخاصة المذهب الشافعي.

ويعوز هذا المجموع التنظيم في بعض المسائل ففي كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وضع مباحث من منسك شيخ الاسلام ابن تيمية علما أن مكانها هو كتاب الحج الذي أفرد له بحثا مستقلا، كما يجد المدقق في هذا الكتاب

(١) قال الشيخ محمد حسن بن مخلوف في مقدمة كتاب هداية الراغب لابن قائد : جمع هذا الشرح بين الاختصار وسهولة العبارة ودقصة البحث ووضوح الإشارة) الى أن قال : " أما الشارح (ابن قائد) فيظهر من شرحه أنه فقيه متبحر وعالم ضليع في مذهب الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ، حسن التأليف جيد السبك والتصنيف " الصفحات ٣، ٥، ٦.

(٢) بينما يجد المطلع على هذا المجموع التفصيل في باب الوقف والبيع وأحكام النساء لا يجد لباب الصيام افرادا ببحث مستقل وما ورد عن هذا الباب فهي أحكام محدودة جدا ضمنت بعض الأبواب : انظر على سبيل المثال ١/ ١٥١، ١٦٣ - ١٦٥، ولعل من أبرز مظاهر

تكرارا لبعض المسائل وأحكامها وهو تكرار ربما فرضته طبيعة تأليف هذا المجموع اذ كان في أصله تسجيلا للدروس التي كان المنقور يتلقاها مع مجموعة من طلاب العلم على الشيخ عبد الله بن ذهلان فكان أحيانا يكتب وقسّت الدرس وأحيانا بعد انتهائه ثم يضيف اليها ما يجده مكتوبا من أجوبة شيخه وغيره من العلماء السابقين والمعاصرين^(١).

أما الكتابة التاريخية فقد اتبعت طريقة المدرسة الاسلامية التي سلكها معظم المؤرخين المسلمين في اتباع نظام الحوليات المتضمنة أخبار الحروب والاغارات بين القبائل، وبين القرى، وبين الحضر والبدو، وحوادث القتل الفردية وشبه الفردية، وبعض حالات الولادة الخاصة ووفيات الأعيان والظواهر الجوية، والأورقة بوالآفات التي تتلف المحصولات الزراعية، وارتفاع الأسعار وانخفاضها، وبعض النواحي الزراعية والعمرائية، ومن أوضح معالم هذه الطريقة الاغراق في الایجاز، وعدم وحدة الموضوع^(٢).

ولم يخرج التأليف في المجالات الأخرى عن طريقة المؤلفين السابقين ففي مجال العقيدة التزم المؤلف النجدي طريقة المحققين من سلف هذه الأمة في وحدة الموضوع وإيراد الأدلة والبراهين النقلية والعقلية لاثبات أو نفي أي مسألة تتعلق بالتوحيد^(٣)، كما أنه في الكتابة اللغوية حرص على الالتزام بهذه

(=) قبول علماء نجد لهذه المجموع تعويلهم على كثير من أحكامه، واختصار بعض العلماء له كالشيخ محمد بن سلوم، والشيخ عبد الله العنقري (ت ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) (ص ٣٦٠ من مقدمة ناشر الفواكه، تاريخ المنقور ص ١٧ من مقدمة الدكتور الخويطر، ابن حميد : السحب ورقة ١٦٩، البسام : علماء نجد ٣ / ٩١٠) .

(١) الفواكه ١ / ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١

الطريقة سواء في تلك الدراسات التفصيلية، أو المؤلفات العامة، واختصار بعض المؤلفات القديمة.

ويقف الباحث معجبا حين يرى التزام بعض المؤلفين النجديين ببعض مظاهر الأسلوب العلمي في الكتابة - وإن لم يكن ذلك بالطريقة الحديثة في كتابة البحوث العلمية - وقد تمثل ذلك في التبويب الوافي لعناصير الموضوع، والتحلي بروح الأمانة العلمية في نسبة المعلومات إلى أهلها، وما يندرج تحت ذلك من التخلق بالتواضع العلمي في إعطاء كل ذي فضل فضله وعدم الادعاء الكاذب بنسبة ما لم يفعله إلى نفسه.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك التبويب الذي وضعه الشيخ عثمان بن قائد لرسالته (نجاة الخلف) حين وضع لها مقدمة جيدة في وجوب معرفة الله تعالى وسبيل تلك المعرفة وقسم الرسالة بعد ذلك إلى ثلاثة فصول: الأول : في مسألة العلو، والثاني في مسألة الكلام والثالث : في قواعد نافعة ثم ختم الرسالة بخاتمة أبرزت أهم الأفكار التي تضمنتها المقدمة والفصل الثالث، وقد وضع تبويبا شبيها بذلك لرسالته في النحو عن آي الشدة^(١).

وقد اتبع المنقور في منسكه (جامع المناسك الثلاثة الحنبلية) طريقة أخرى حيث رتبته على مقدمة ثم خمسة أبواب يندرج تحت كل باب مجموعة من الفصول ثم خاتمة، وهاتان الطريقتان تتماشيان مع الطريقة الحديثة في كتابة البحوث والكتب والرسائل العلمية.^(٢)

وكان مبعث حرصهم على نسبة النصوص والآراء إلى أصحابها ما كانوا يتحلون به من تقوى وورع وخوف من الله سبحانه من تحمل تبعه تلصق الآراء أمامه عز وجل يوم القيامة، وتلك بلا شك قمة الأمانة العلمية.

(١) البسام : علماء نجد ٣/٦٨٦ .
(٢) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ١٥٣-١٥٩ وقد طبع هذا المنسك أكثر من طبعة وآخر طبعة اطلعت عليها الثالثة للبسام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م وكلها بواسطة المكتب الاسلامي، بيروت ودمشق .

وفى هذا الصدد فقد رجع المنقور فى الفواكه العديدة الى ستين وخمسين وثلاثمائة كتاب شملت مختلف العلوم وقد أحسن الناشر صنعا حين أثبتها فى آخر الكتاب ، هذا عدا الوثائق الخطية والأجوبة المتفرقة والمعلومات الشفوية ، وكانت عبارة (ومن خطه أو من كتبه نقلت) للمكتسب ، والمفاوضة مرارا للشفوى من وسائل التثبت عند المنقور حتى اذا تحقق من ذلك عزى المعلومة الواردة الى صاحبها .

وقد أشار الى حرصه الشديد على ذكر مصادره فى قوله : (وكذلك كتبت ما أشار اليه - ويقصد شيخه ابن ذهلان - من الفوائد الشوارد ، وأضفت الى ذلك ما وجدت من أجوبته ، وما اطلعت عليه من أجوبة غيره من العلماء الأفاضل ، وأبين قائله خروجاً من تبعته ، وأضفت كل شئ الى ما يشابهه أو يقاربه ليسهل تناوله على من طلب) .^(٢)

على أن المنقور قد فعل الشئ نفسه فى منسكه فلم يشأ أن يضع له عنواناً يوحي بنسبته الى نفسه بل بين فى خاتمته أن دوره فى هذا المنسك هو الجمع والاختصار للمناسك الثلاثة المشهورة فى المذهب الحنبلي ، وأنه قد أضاف بعض الزيادات عليها ، وذكر مصادرها للخروج من تبعته كذلك .^(٣)

هـ- النساخ والخطاطون وكتاب العدل :

لقد كان انتشار الخطاطين والنساخ فى العالم الاسلامي فى فترة متقدمة مفخرة من مفاخر تاريخ التربية الاسلامية ، وكان أسلها وحيدا دافع حركة النشر والتوزيع فأسهمت فى اثناء المكتبة الاسلامية بالعديد من الكتب

- (١) المنقور: الفواكه ١/١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٦، ٥٥ ، ١٩٤، ٢٠١، ٢٥٩، ٢٦٤ ، وهذا على سبيل المثال ، علمنا ان هذه الوسيلة يتبعها جل فقهاء نجد ان لم يكن كلهم فى العزرو ولاغرو فالفقيه شخص موثق عند الناس .
(٢) المنقور: المصدر السابق ٥/١ من مقدمة المؤلف .
(٣) المنقور: جامع المناسك الثلاثة الحنبلية ١٥٠، ١٥١ ، وقد ورد ذكر نسبة هذه المناسك الى مؤلفيها فى ترجمة المنقور فى الفصل الاول من الباب الاول .

وأمد الخطاطون والنساخ المكتبات بكل جديد وطريف دون تأخير أو تقصير
بكل دقة واتقان^(١).

وقد حظيت نجد في فترة ما قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
والى وقت قريب كذلك بكم جيد من النساخ والخطاطين الذين أسهموا
في اطلاع النجديين وحصولهم على الكثير من الكتب القديمة والمعاصرة لهم،
فضلا عن تخصص بعضهم بكتابة الوثائق والعقود الشخصية على الطريقة
الشرعية، أو ما يمكن أن يطلق عليهم "كتاب العدل"^(٢).

ومن أبرز خطاطي ونساخ نجد في القرن العاشر الشيخ عبد الرحمن
ابن محمد بن عتيق الوهبي الأشيقرى^(٣) الذى يعد من فقهاء نجد فى ذلك
القرن، وقد ذكر بعض المؤرخين أن خطه كان غاية فى الحسن والاتقان، ومن
الكتب التى نسخها كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد بن حنبل وقال
فى آخره : (علقة لنفسه عبد الرحمن بن عتيق بن بسام الحنبلي تاريخ ستة عشر
ربيع الثانى فى سنة ست وخمسين وتسعمائة هجرية)^(٤).

-
- (١) د . أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ١٦٤، ١٦٥
(٢) المطلع على التاريخ التفصيلي للتعليم فى نجد منذ ما قبل القرن
العاشر الهجرى الى قبيل النهضة العلمية الحديثة وانتشار المطابع
يستطيع الحصول على عدد كبير من الخطاطين والنساخ الذين تختلف
درجة خطوطهم بين الفائق فى الحسن والضبط والاتقان، والمتوسط
والردئ، وهذا موضوع يستحق الاهتمام، ومن يرغب البحث فيه
سيجد معلومات جيدة سواء فيما يتعلق بالترجمات لهؤلاء الخطاطين
والنساخ، أو لأمثلة من خطوطهم وكتاباتهم، وأغلب هؤلاء الخطاطين
من العلماء على اختلاف درجة علمهم، وبعضهم من أنصاف المتعلمين
أو من يجيدون القراءة والكتابة فقط.
- (٣) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عتيق بن بسام ولد فى أشيقر
فى أول القرن العاشر فقرأ على علماء أشيقر التى كانت حافلة بعدد
من العلماء حتى أدرك فى الفقه . (البسام : علماء نجد ٢ / ٤٠٥) .
- (٤) الموافق ١٣ إبريل ١٥٤٩م، وانظر البسام : ٢ / ٤٠٥، ونسخ هذا
الكتاب العقدي للإمام أحمد مظهر من مظاهر الاهتمام بالمؤلفات

وقد نسخ الشيخ حسن بن علي بن بسام كثيرا من الكتب بخطه الحسن الفائق فضلا عن تحريره للكثير من الوثائق والمسائل الفقهية، وهو بهذا يعد من كبار نسخا وخطاطي القرن العاشر، وقد خلف عددا من الأبناء كلهم فقهاء إلا أن أبرزهم الشيخ طلحة^(١) الذي كان من النساخ المعدودين في أشيقر وهو الذي حرر وثيقة وقف صقر بن قطام^(٢) في شوال سنة اثنتين وأربعين^(٣) وتسعمائة هجرية.

وتبعاً لاتساع نطاق التعليم في نجد بعد القرن العاشر ما زاد في عدد العلماء، فقد صاحب ذلك زيادة في عدد النساخ والخطاطين في القرن الحادي عشر عن العاشر، وأوضح معطيات هذه الزيادة التقدم المستمر في حركة التعليم، والتوسع الجيد في توزيع الكتب ونشرها.

ومن خطاطي القرن الحادي عشر الشيخ علي بن جعفر الفضلي الأشيقرى^(٤) وقد اشتهر بحسن الخط مع امتحانه القضاء والتدريس، وقام بنسخ بعض الرسائل وكتابة بعض الوثائق الشرعية نظراً لكونه قاضي أشيقر في وقته^(٥).

-
- (=) العقيدة للمحققين من السلف الصالح، وهو مظهر من مظاهر الحرص على تصحيح العقيدة في تلك الفترة على قدر ما سمحت به الظروف.
- (١) ولد الشيخ طلحة في أشيقر وتلمذ على والده - سبقت ترجمته - حتى صار ألقه أخوته بل عد من فقهاء أشيقر وله أحكام شرعية توفى عام ١٥٦٢هـ / ١٠٦٢م في أشيقر (البسام : المرجع السابق ٣٨١/٢ ، مجلة العرب ج ٦ / س ٢ ص ٥٥٩)
- (٢) هي إحدى وثائق الأحوال الشخصية ذات الطابع الخيري وقصد صدرت في أشيقر وكانت كتابتها الأولى في ٥ شعبان عام ٩٤٠هـ / ٢٠ فبراير ١٥٣٤م، وقد كتبت على فرار وصية صبيح .
- (٣) الموافق مارس وأبريل ١٥٣٦م .
- (٤) هو الشيخ علي بن جعفر الفضلي اللامي الطائي القصبى أصلاً، ولد في أشيقر ونشأ فيها وأخذ عن علمائها حتى مهر في الفقه وجلس للتدريس فتلقى العلم على يديه عدد من علماء نجد أبرزهم الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل - علامة نجد في وقته - والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن مشرف، وتولى قضاء أشيقر حتى توفى عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م (البسام : المرجع السابق ٣/٢٠٩-٢١١ ، ابن ربيعة ٦٢، ٥١، هامش ١٢٦، ٧٣) .
- (٥) البسام : ٣/٧١١ .

(١) ومن اشتهر بجودة الخط في ذلك القرن محمد بن عبد الله بن مشرف الذي كان خطه فائقا مضبوطا نورا، وقد كتب بخطه كثيرا من العقود والأحكام ابان قضائه لاشيقر، ومن المعتقد أنه قد قام بنسخ بعض الكتب والرسائل.

ويعد الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام^(٢) من أشهر خطاطي ونساح هذا القرن، فقد كان فقيها أجاب على كثير من المسائل اجابات سديدة بخط يده، فضلا عن نسخه لعدد من الكتب التي منها شرح الشنشوري في الفرائض^(٣) الذي فرغ منه في السادس من شهر ذي الحجة عام أربعة وأربعين وألف، وقد وصف خطه بأنه جيد فائق على درجة جسيمة من الضبط والاتقان^(٤).

وكما كان الشيخ محمد بن اسماعيل من أشهر علماء هذا القرن فقد كان كذلك من النساخ البارزين فيه، وقد قام بنسخ عدد من الكتب منها (التبيان في آداب حملة القرآن)^(٥) للنووي^(٦) الذي فرغ من كتابته سنة ثلاث وتسعين

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن منصور بن مشرف الوهبي التميمي ولد في أشيقر وقرأ على علمائها واجتهد حتى صار من فقهاء نجد وولي قضاء أشيقر الى ان توفي عام ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م، (البسام: علماء نجد ٣/ ٨٩٣).

(٢) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله ابن بسام من نيف الوهبي التميمي ولد في أشيقر ونشأ بها وقرأ على علمائها حتى أدرك في الفقه وهو من علماء النصف الأول من القرون الحادي عشر (البسام ٢/ ٦١٦).

(٣) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الشنشوري (نسبة الي شنشور من قرى العنوفية) الشافعي ولد عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م، وتلقى العلم على والده الفقيه الفرضي وعلي عدد من العلماء حتى ماهر في الفقه وتولى خطابة الجامع الأزهر واختص في الفرائض حتى أن أغلب مؤلفاته فيه توفي عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م (الغزى ٣/ ١٦١، الزركلي: ٢٧٣/٤).

(٤) للشنشوري أكثر من شرح في الفرائض ولكن لعل المقصود (الفوائد الشنشورية في شرح المنظومات الرحبية).

(٥) يوافق ٢٤ مايو ١٦٣٥م (٦) البسام: علماء نجد ٢/ ٦١٦.

(٧) طبع هذا الكتاب في ١٢٨ صفحة من القطع الصغير وقد نشرته مكتبة الاحسان بدمشق.

(٨) هو الامام يحيى محي الدين ابو زكريا بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي، ولد بنوا (قرية قريبة من حوران

(١)

وتسعمائة ، هذا بالإضافة الى اجاباته العديدة على الكثير من المسائل الفقهية التي ترده من طلاب العلم وعامة الناس. (٢)

(٣)

وقد كتب الشيخ عبد الله بن أحمد بن مشرف بخطه وثائق عديدة تتضمن أحكاماً فقهية كان قد حكم بها ابا ن قضاة لأشيقر، ومن المعتقد أن يكون قد نسخ بعض الكتب، وقد وصف أحد مؤرخي نجد خطه بالحسن الفائق. (٤)

ومن مشاهير الخطاطين والنساخ في هذا القرن الشيخ عبد الرحمن ابن أحمد بن اسماعيل (٥) - أخو الشيخ محمد - فقد وصف خطه بأنه حسن متقن مضبوط نير، وقد نسخ به العديد من الكتب الا أن أبرزها (المطلع على أبواب الفقه) لابن مفلح ، وقد طبع هذا الكتاب على نسخة فرغ منها

(=) بسورية) عام ٦٣١هـ / ٢٣٣م ثم رحل الى دمشق لتلقي العلم على العلماء فيها بحب اليه القرآن والعلم منذ صغره ، أثنى عليه عدد من عارفه بهذا الخصوص ، كما أدرك في علوم القرآن والسنة والفقه تاهل للتدريس والتأليف فتخرج على يديه عدد كبير من العلماء ، وألف مجموعة من الكتب أبرزها شرحه على صحيح مسلم ، تهذيب الاسماء واللغات ، وعدد من كتب الفقه والتوحيد والطبقات ، وله مواقف جيدة مع الملوك في الامور بالمعروف والنهي عن المنكر ، عاد الى نوا فتوفي فيها في ٢٤ رجب سنة ٦٧٦هـ / ٢٢ ديسمبر ١٢٧٧م (مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/هـ - ج ، مقدمة رياض الصالحين للنووي ، مقدمة دليل الفالحين لابن علان ١/٦ - ٩ ، الزركلي ١٨٤/٩) .

(١) يوافق أولها ٣ يناير ١٥٨٥م .

(٢) البسام : المرجع السابق ٣/٧٨٨ ، القاضي ١٦١/٢

(٣) هو الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد بن مشرف الوهبي التميمي ولد في أشيقر وتلقى العلم على والده العلامة - سبقت ترجمته - وعلى عدد من العلماء حتى أدرك في الفقه ، وبعد من ادبها الفقهاء اذ وجدت لها أشعار عديدة ، ولي قضاء أشيقر وتوفي فيها عام ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م تقريباً (البسام ٢/٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٤) البسام : المرجع السابق ٢/٥٢٤ .

(٥) هو الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن عقيل الزهري الشوري ولد في أشيقر فدرس على أخيه الشيخ محمد وغيره من علماء أشيقر حتى أدرك في الفقه ، توفي في أشيقر عام ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م (البسام : علماء نجد ٢/٣٨٤) .

(٦) هو ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ولد في دمشق سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م ونشأ بها ودرس الفقه والقراءات واللغة على عدد من علماءها حتى تاهل للقضاء فتولى قضاء دمشق وطلب لقضاء مصر فرفض ، وجمدت سيرته في القضاء وأشاره أكثر من أربعين سنة (=)

(١)
سنة ست وألف هجرية .

وللشيخ سليمان بن علي شهرة في هذا القرن في مجال الخط والكتابة توازي شهرته الفقهية فقد كان من أحسن خطاطيه ونساخه اذ نسخ كثيرا من كتب الفقه ، كما كان يعلق بخطه على الكتب التي لديه بتهميشات والحاق فوائد ، فضلا عن قيامه بتأليف عدد من الكتب والاجابة على العديد من المسائل بخط يده^(٢) ، ويذكر الدكتور العثيمين أن خطه موجود في مكتبة برلين لكتاب (جلاء الافهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام) تأليف الامام ابن القيم تحت رقم ٢٢ / ٤ ، وقد نسخه الشيخ سليمان في ٢٢٠ ورقة^(٣).

وممن وصف بجمال الخط واتقانه مع سعة علمه وفقهه في هذا القرن الشيخ علي بن محمد بن بسام^(٤) حيث نسخ كتب كثيرة بخطه من أهمها (غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى) للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي وذكر أنه فرغ منه في الثاني من شعبان سنة أربع وستين وألف^(٥)، هذا بالإضافة

(=) من محاسنه اخطاد الفتن التي كانت تقع بين الحنابلة وغيرهم ولهم يتعصب لأحد ، من كتبه (الصديق بشرح المقنع) وغيره توفي بد مشفق في ٤ شعبان ٨٨٤ هـ / ٢٢ اكتوبر ١٤٧٩ م) (ابن حميد ١٤ ، ١٥ ، وذكر ولادته سنة ٨١٥ هـ ، الزركلي ١ / ٦٢ ، ٦٣) .
(١) يوافق أولها ١٤ أغسطس ١٥٩٧ م ، البسام : المرجع السابق ٣٨٤ / ٢ وقد ذكر في ترجمة أخيه الشيخ عبد الله بن أحمد (٢ / ٥٠٩) بأن خطه كان حسنا متقنا مضبوطا نيرا وأنه نسخ المطلاع كذلك وتوفي عام ١٠٦٧ هـ كذلك .

(٢) البسام : المرجع السابق ١ / ٣١٠ ، ٣١١ . العثيمين : الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ٢٦ .

(٣) د . العثيمين : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٤) هو الشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن منيف ابن بسام من آل زاخر الوهبي التميمي ، ولد في أشيقر وتتلذذ علي عدد من العلماء حتى أدرك في الفقه وتأهل للتعليم والقضاء فولسي قضاة أشيقر وكان يلقب (رميزان) توفي عام ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م ، (البسام : المرجع السابق ٣ / ٧٢٥) .

(٥) الموافق ١٩ يونية ١٦٥٤ م والشيخ مرعي سبقت ترجمته .

الى وجود عدد من الصائل الفقهية التي أجاب عليها بخط يده وعدد من الأحكام والوثائق التي كتبها كذلك ابان توليه قضاء أشيقر^(١).

وجدير بالذكر أن علماء القرن الثاني عشر قد زادوا زيادة ملحوظة عن علماء القرن العاشر والحادي عشر^(٢)، وهذا في حد ذاته أوجد زيادة مطردة كذلك في عدد النساخ والخطاطين الذين اشتهروا مع حسن الخط واتقانه بالسرعة في نسخ الكتب، وادخال بعض التحسينات الخطية، والقيام بخط بعض الخطوط الخاصة التي تتطلب تنميكا وتزويقا وعناية فائقة وبها تمكن بعض خطاطي هذا القرن من نسخ القرآن الكريم.

ومن أوائل نساخ هذا القرن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل^(٣)، وقد كتب كثيرا من الوثائق العقارية بخطه الجميل وشهادة والده على مكانته العلمية في أشيقر كما نسخ كثيرا من الكتب وضمها الى المكتبة العلمية الضخمة التي ورثها عن والده العلامة^(٤).

(٥)

ويبدو أن ابنه الشيخ محمد بن عبد الله قد ورث عنه العلم مع جمال الخط واتقانه إذ أثر عنه أنه قد كتب كتبا كثيرة بخطه مع مجموعة من الوثائق والاحكام الشرعية، ويبدو كذلك أنه ورث تلك المكتبة الضخمة عن والده وضم

(١) البسام: المرجع السابق ٢٢٥/٣

(٢) د. العثيمين المرجع السابق ١٨، مقاله عن الحياة الدينية في نجد المنشور في الدارة ع ٣/ س ٤ ص ٣٤.

(٣) ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن اسماعيل في أشيقر وتعلم على والده العلامة وغيره من علماء أشيقر وقد ادرك اول القرن الثاني عشر

الهجري (البسام : ٦١٢/٢).

(٤) المرجع السابق ٦١٢/٢، ويعد الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد من خطاطي هذا القرن كذلك إذ كان خطه فائقا مضبوطا وكتب كتبا كثيرة منها متن الاقناع وقد توفي عام ١١٠٨هـ/ ٦٩٦هـ (المرجع السابق ١٣٨/١).

(٥) ولد الشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل في أشيقر فتتلمذ علي

(١) إليها ما نسخه من تلك الكتب.

ومن أبرز نساخ وخطاطي هذا القرن الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين الوهبي الأشيقرى حيث نسخ كثيرا من الكتب القيمة في كثير من العلوم بخطه الذى وصفه صاحب السحب الوابلة بأنه حسن متقن مضبوط كما انه قد تمكن من الحصول على كتب كثيرة مهمة بخط غيره في كثير من الفنون وعلى كل كتاب منها بخطه تهيمشات وتصحيح وازافة فوائد وتنبيهات مما يدل على أنه قرأها كلها قراءة تأمل وفهم، هذا فضلا عن كتابته لكثير من الأحكام الفقهية والوثائق حينما كان قاضيا في أشيقر. (٢)

وقد وصف خط الشيخ أحمد بن محمد القصير الوهبي الأشيقرى (٣) بأنه حسن نير مضبوط، وله نسخ عددا كبيرا من كتب الفقه وغيره، كما قام بكتابة اجابات عديدة على بعض المسائل الفقهية بخطه، علاوة على ما كان يعلق بخطه على كثير من كتب المذهب تدل على قراءته لها بفهم وادراك. (٤)

ورغم أن خط الشيخ أحمد بن محمد المنقور ليس في مستوى الخطوط السابقة الا أنه قام بنسخ عدد كبير من الكتب في مجالات مختلفة من العلوم

(=) والده وعمه الشيخ ابراهيم، ولازم الشيخ سليمان بن علي حتى ادركه، وعد من علماء بلده وتولى قضاءها وتصدى للتدريس فتتلمذ عليه جملة من طلبة العلم منهم ابنه ابراهيم قاضي القرائن المتوفى ١١٨٥ هـ / ١٧٧١ م، واستمر الشيخ محمد في قضاء أشيقر مع ممارسة التعليم والافتاء الى ان توفي فيها عام ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م (ابن بشر - البسام : المرجع السابق ٢٢٣ / ٢، ابن عيسى ٧٨، البسام ٨٥٤ / ٣، ٨٥٥). (١)

(٢) ابن بشر ٢٢٥ / ٢، ابن عيسى ٢١٣، ابن حميد ٩١، البسام : علماء نجد ٢١٨، ٢١٧ / ١.

(٣) هو الشيخ أحمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير الوهبي التميمي ولد في أشيقر ونشأ بها وتتلمذ على علماءها حتى ادركها تامة في الفقه وصار من كبار علماء نجد في زمانه ورحل اليه الطلبة من سائر بلدان نجد للاستفادة منه، خرج للشريف سعد بن زيد حينما حاصر أشيقر ومعه تلميذه حسن أبا حسين حيث حبسهما الشريف وافتهما للناس بالفطر في رمضان لحصد الزروع، توفي في أشيقر في جمادى الاولى عام ١١١٤ هـ / سبتمبر ١٧٠٢ م (ابن ربيعة ٨٢، ٥٢، ابن يوسف : حوادث عام ١١٠٧ هـ، ١١٢٤ هـ، الفاخرى ٩١، ابن بشر ٣٥ / ٢، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٢٦، ابن حميد ٥٧، ابن عيسى ٢١٢، ٢١٣، البسام : تحفة ٩٤، البسام : علماء ١٦٧ / ١ - ١٦٩، القاضي روضة ١ / ٥٩، ٦٠، ويتفق ابن ربيعة والفاخرى وابن بشر - في احدى رواياته - على أن وفاته عام ١١١٤ هـ، بينما شك ابن بشر هل كان ذلك أيضا عام ١١٢٤ هـ او ١١٢٣ هـ ويتفق ابن يوسف وابن بشر، والبسام في التحفة، والبسام في علماء نجد على أن الوفاة كانت عام ١١٢٤ هـ والله اعلم). (٤) البسام : المرجع السابق ١٦٧ / ١، القاضي : المرجع السابق ٥٩ / ١.

مما أوجد لديه مكتبة ضخمة غالبها بخط يده، وكان كذلك يعلق على ما يقسوم بقراءته من الكتب التي تخط بخط غيره، وله كثير من الاجابات بخطه على عدد من المسائل الفقهية، ولكونه عمدة في التوثقات والأنساب فقد كتب كثيرا بخطه فيهما^(١).

(٢)

ومن نساخ هذا القرن الشيخ ابراهيم بن سليمان بن علي (ع)
الشيخ محمد بن عبد الوهاب (فقد نسخ كثيرا من كتب الفقه بخطه
الحسن المضبوط، كما حكم في بعض القضايا العقارية التي وردت اليه وكتبها
بخطه^(٢).

(٤)

ويعد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (والد الشيخ محمد) من
نساخ هذا القرن كذلك اذ كتب عن بعض المسائل الفقهية كتابات جيدة
بخط يده، كما وجد له بعض التعليقات على عدد من كتب الفقه ولا يبعد
أن يكون قد نسخ كتباً كاملة^(٥)، ويبدو أنه وأخاه الشيخ ابراهيم قد ورثا مع
العلم حسن الخط واتقانه عن والدهما الذي اشتهر بذلك كما مر.

(١) ابن بشر ٢/٢٣١، ابن حميد ٦٤، البسام : المرجع السابق ١/١٩٦،

القاضي : المرجع السابق ١/٦١

(٢) هو الشيخ ابراهيم بن سليمان بن علي بن محمد بن مشرف ولد في
العيينة عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م وتلمذ على عدد من العلماء فيها
حتى أدرك في الفقه، وولي قضاء أشيقر وتصدى للتدريس حيث تلمذ
عليه عدد من طلبة العلم توفي عام ١١٤١هـ/١٧٢٨م (المنقور
التاريخ ٥١، ابن ربيعة ٦٥، الفاخري ١٠٢، ابن بشر ٢/٢٣٩، ابن
حميد ٩٨، البسام : المرجع السابق ١/١١٠، ١١١) .

(٣) ابن حميد ٩، البسام : المرجع السابق ١/١١٠

(٤) ولد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان في العيينة وتلقى العلم على
والده وعلى كبار علمائها حتى مهر في الفقه فأفتى ودرس وتولى قضاء
العيينة الى أن عزله محمد بن حمد بن معمر عام ١١٣٩هـ/١٧٢٦م
فانتقل الى حريملاء وسكنها وتولى قضاءها مع قيامه بالافتاء والتعليم
الى ان توفي فيها عام ١١٥٣هـ/١٧٤١م (ابن ربيعة ٨٩، الفاخري
١٠١، ١٠٤، ابن بشر ١/١٩، ٢١، ٢٢، ١١٤، ٢/٢٣٨، ابن
حميد ١٧٠، ١٧١، ابن عيسى ١٠١، ١٠٥، البسام : المرجع
السابق ٣/٦٦٩، ٦٧٠) .

(٥) ابن حميد ١٧٠، ١٧١، البسام ٣/٦٦٩ .

وقد برز من آل اسماعيل فى مجال النسخ والخط مع العلم والفقه غير من سبق : الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل اذ اشتهر بحسن الخط وضبطه ، ومن المتوقع قيامه بنسخ عدد من الكتب بخط يده^(١).

ومن نساخ هذا القرن البارزين الشيخ محمد بن ربيعة العوسجى الذى نسخ كثيرا من كتب الفقه بخطه الحسن وضمها الى مكتبته التى اشتراها من تركة شيخه عبد الله بن ذهلان ، كما قام بكتابة نبذة عن تاريخ نجد وأسلوبه الذى ذكر أستاذى الدكتور عبد الله الشبل فى تحقيق له أنه خال من الصنعة والتكلف ، ولغته سليمة ، والاطاء اللغوية والنحوية محدودة وخاصة عند مقارنتها ببعض الكتابات التاريخية المعاصرة له^(٢).

وكان الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب دور فى نسخ كثير من الكتب فى عدد من العلوم بخطه المتوسط فى الحسن الفائق فى الضبط ، وقد قسّر صاحب السحب أنه كان كثيرا لادمان على النسخ وأنه لم ير ولم يسمع من أحد أعصار بمن يضاهيه أو يقاربه فى كثرة ما كتب ، وقد شملت العلوم التى قام بنسخ بعض مؤلفاتها : علوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والمنطق وغيرها^(٣).

ولقد لقب الشيخ عبد الرحمن بن محمد السحيمي بالخطاط وعسرف^(٤)

- (١) البسام ٨١٤/٣ .
- (٢) ابن ربيعة ٣١-٣٣ من مقدمة المحقق ، الفاخرى ١٠٥ ، ابن بشر ٢٧/١ ، ابن حميد ٢٤١ ، البسام : المرجع السابق ٢٩٨/٣ ، القاضي ١٦٣/٢ .
- (٣) ابن حميد ١٥٣ ، ١٥٤ ، البسام ١٨/٢ ، ٥٢١ ، القاضي ٣١٤/١ ، ٢١٥ .
- (٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عثمان - الملقب بالسحيمي - ابن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الزهرى الثورى ولد فى أشيقر وتلقى العلم على علماء آل اسماعيل وغيرهم فى أشيقر ، وهو جد أبى ناصر السحيمي امير عنيزة فى ١٢٦٤ هـ ، ١٢٦٥ هـ / ٤٨ ، ١٨٤٩ م اذ رحل عبد الله بن عبد الرحمن من أشيقر الى عنيزة ، وهو من علماء النصف الثانى من القرن الثانى عشر (ابن بشر ١٥٢/٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن ميسى ١٧٣ ، ٢٣٧ ، البسام المرجع السابق ٢/٤٠٦ ، ٤٠٧ .

به بين علماء نجد في هذا القرن حيث فاق وز أقرانه في حسن الخط وجمال الكتابة ، ولتوفر ذلك في خطه فقد حرص على أن يسخره لنسخ القرآن الكريم ، والتقرب الى الله بنشر وتوزيع مجموعة منه ، وقد نسخ أربعة عشر مصحفا بخط منقح جميل راجيا من الله أن يعينه ليزيد هذا العدد الى ما فوق المائة ، فقد علق على المصحف الرابع عشر قائلا : " فرغت من تنسيق هذا المصحف الشريف في جمادى الأولى سنة ١١٦٣ هـ بقلم الفقير الى الله عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الملقب - السحيمي - البكرى نسبا الأشيقرى بلدا ، وكان رابع عشر مصحفا يسر الله كتابتها ، وأرجو من الله مائة أو أكثر والمد في العمر والعون علي طاعة مولانا الكريم^(٢) ، ومن المتوقع أن يكون قد نسخ بعض الكتب اضافة الى تخصصه في نسخ القرآن الكريم .

ومن كبار نساخ هذا القرن الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم الذي كان نسخ الكتب سمة بارزة فيه وهواية من أبرز هواياته اضافة الى تخصصه في الفقه وتوليه القضاء في سدير ، وقد أطلق عليه لقب (الكاتب المشهور) لكثرة ما نسخه من كتب حتى جمع من ذلك مكتبة كبيرة غالبها بخط يده الذي وصف بأنه حسن واضح ، ومن أبرز الكتب التي نسخها (منظومة ابن عبد القوي في الفقه) اضافة الى عدد من الوثائق التي تتضمن بعض الأحكام في كثير من القضايا^(٣) .

ان ذكر هؤلاء النساخ والخطاطين في نجد قبل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لايعنى اقتصار هذه المهمة الجليلة عليهم فقط ، اذ من المعتقد أن جل علماء نجد في تلك الفترة كانوا نساخا على اختلاف فيما بينهم في درجة حسن الخط واتقانه ، وفي الهدف من نسخ الكتب كذلك

(١) فرة جمادى الأولى توافق ٨ ابريل ١٧٥٠ م

(٢) البسام : المرجع السابق ٤٠٦/٢

(٣) ابن بشر ٥٥/١ ، ابن حميد ٣١٤ ، ابن عيسى ١١١ ، البسام ٥١٢/٢

٥١٣ ، القاضي ٣١٦/١

فقد كان بعضهم يشكل النسخ مصدرا معيشيا له ، وبعضهم كان يكتب كتابا معيناً ليمتلكه حتى يكون مكتبة خاصة به ، وبغيد الآخرين بايقافها أو بالاعارة أو نسخها مرة ثانية ، ومنهم من كان يهدف بنسخه التقريب الى الله تعالى كنسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الفقهية والوعظية .

وكما برز في الناحية العلمية عموما في نجد في تلك الفترة أسرار علمية ، فقد اشتهر بالنسخ والخط خاصة أفراد من بعض هذه الأسر توارثوا هذه المهمة فيما بينهم ، ومن أبرز هذه الأسر - كما مر - أسرة الشيخ حسن بن علي بن بسام في القرن العاشر ، وأسرة آل اسماعيل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر حيث عرف منهم سبعة نساخ ولعل من أهمهم خطاط القرن الثاني عشر : الشيخ عبد الرحمن بن محمد السحيمي ، وكذلك أسرة الشيخ سليمان بن علي بن مشرف التي برز منها الشيخ سليمان نفسه وابناه عبد الوهاب وابراهيم ، ولا يبعد أن يكون قد برز غيرهما من أبنائهم ، فقد أثار عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسن الخط مع سرعة الكتابة^(١) .

(١) ابن غنام : روضة ٢٦/١ ، د . العثيمين : المرجع السابق ٣٥ ، القاضي : روضة ١٦٨/٢ ، ومما يندرج تحت موضوع النساخ الحديث عن المجلدين ولولا عدم وجود أمثلة للمجلدين وطريقة التجليد في تلك الفترة لأفردت له مجالا في هذا الفصل إلا أن طريقة المجلدين المعروفة في نجد حتى قبيل النهضة الحديثة يمكن تطبيق بعض مظاهرها على طريقة التجليد في تلك الفترة بحكم التشابه العام في أساليب الحياة العامة ، فكان المجلدون حتى عهد قريب يستخدمون قطعاً من الجلد المدبوغ لتجليد الكتب به ، وفي هذه الحالة يكتفى بوضع مادة لاصقة تمسك الكتاب بالجلد وتتكون من عجين البرارخو المخلوط بدهس التمر أو السكر لجعله أكثر لصقا ، أما في حالة وضع جلد من القماش فإن قاعدة الكتاب وحروفه تشد بالجلد مع الحبك بالخيط أحيانا ، أما الوسط فإنه يغلف بقطعة من القماش ذات الشكل الجميل ويشد هذا الوسط مع القاعدة بالمادة اللاصقة السابقة الى قطعة خفيفة من الخشب أو الورق المقوى كما كانوا يصنعون محافظ من القماش لكل كتاب علي حدة ، وأكثر ما يختص بهذه المحافظ القرآن الكريم ، ويصنعون محافظ أكبر لعدد من الكتب والأقلام على شكل حقائب مشدودة بسيور

٦- المكتبات:

لقد استتبع وجود هذا الكم من النساخ والخطاطين أن عرفست منطقة نجد فى تلك الفترة عددا لا بأس به من المكتبات حوت مجموعة من الكتب فى مختلف العلوم والفنون .

والملاحظ على هذه المكتبات كونها مكتبات خاصة غير أنه يمكن اعتبار بعضها مكتبات عامة أو شبه عامة بما كانت تتحجه من فرص الاعارة ، ونسخ ما فيها من كتب الى عدة نسخ فضلا عن دخول بعض هذه المكتبات فى بعض سبيل الأوقاف الخيرية العامة أو الخاصة .

ومن فرط حرص المتعلم النجدى على ملازمة الكتاب فقد حرص بعض العلماء النجديين على ايجاد مكتبات خاصة بهم وهم فى مرحلة الطلب خارج نجد ، وقد يصطحبونها معهم فى رحلة العودة ، وبعضهم يوقفها على المركز العلمى الذى تلقى العلم فيه ، وقد يقوم بنسخ أو شراء بعض الكتب من منطقة دراسته خارج نجد .

وعلى ضوء هذه الملاحظات يمكننا ذكر أمثلة لمكتبات بعض علماء نجد فى تلك الفترة سواء منها ما كان فى نجد أم ما أقامه بعض هؤلاء العلماء فى أحد المراكز العلمية خارجها ، مما يعطى تصورا بوجود نشاط جديد فى تكوين المكتبات وحبها والاستفادة منها .

١- مكتبة الشيخ حسن بن على بن بسام:

فظرا لكون الشيخ حسن من خطاطي القرن العاشر كما مر فقد تحصل على عدد كبير من الكتب عن طريق النسخ ، وربما زاد عليها من طرق أخرى مما كون لديه مكتبة جيدة وقد وقفها على طلاب العلم فى أشيقر، إلا أنها

(=) من الجلد أو خيوط من القماش ، وقد بلغت قوة التجليد وجمالها عند بعض المجلدين النجديين مستوى يوازي مستوى التجليد الحديث .

تشتت بعد موته ولم يبق منها الا القليل في أشيقر، ولكن ابنه الشيخ طلحه أفقه اخوته وأكثرهم ولعا بالعلم فلا يبعد أن يكون هو الآخر قد كون مكتبة خاصة به^(١).

٢- مكتبة الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة:

وأثناء اقامة الشيخ أحمد في دمشق لتلقى العلم على أئمة المذهب الحنبلي فيها كون مكتبة لأبأس بها، وعند انتهاء فترة دراسته حمل بعض هذه الكتب معه الى نجد، ولعلها كونت نواة مكتبة له فيها، أما باقى تلك الكتب وهو أكثرها فقد وقفها على المدرسة التي تلقى العلم فيها وهى مدرسة أبى عمر يحيى الصالحية بدمشق، وقد ضم كثير من كتب هذه المدرسة الى المكتبة الظاهرية بدمشق، ويذكر الشيخ عبد الله البسام أنه وجد كثيرا من كتب الشيخ أحمد في هذه المكتبة وقد علق على كل كتاب منها^(٢) عبارة: (وقف أحمد بن يحيى النجدى . المحل مدرسة أبى عمر بالصالحية)^(٣).

٣- مكتبة الشيخ أحمد بن ابراهيم بن أبى حميدان:

وقد تتلمذ على الشيخين السابقين ثم رحل الى دمشق لتلقى العلم على عمد المذهب الحنبلي فيها وجاور في المدرسة السابقة، وأثناء ذلك كون مكتبة أوقف بعضها على طائفة الحنابلة بحى الصالحية بدمشق وجعل ابن عمه محمد بن ابراهيم بن أبى حميدان ناظرا لهذا الوقف أثناء اقامته بدمشق ثم النظر من بعده لطائفة الحنابلة، ومن المعتقد أنه حين عاد الى نجد اصطحب بعض كتبه مكونا له مكتبة في المنطقة كذلك^(٤).

٤- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام:

والشيخ عبد الله - كما سبق - يعد من خطاطى القرن الحادش عشر وقد كتب كتبا كثيرة كوّن منها مكتبة جيدة، وربما ضم اليها كتبا أخرى اما بطريقة الشراء أو الاهداء أو غير ذلك^(٥).

(١) البسام: المرجع السابق ٢٨١/٢، ٢١٦/١
(٢) المرجع السابق ٢٠٠/١ (٣) المرجع السابق ١٥٤/١
(٤) المرجع السابق ٦١٦/٢

٥- مكتبة الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل :

ولكون الشيخ محمد أبرز عالم عرفته نجد خلال القرن الحادى فقد أثر وجود مكتبة ضخمة لديه نسخ بعض كتبها بخط يده ، وتحصل على البعـض الآخر بطرق أخرى ، وقد ورث ابنه الشيخ عبد الله هذه المكتبة وزادها مما كتبه بخطه أو أهديت إليه ، أو اشتراها ، ومن المعتقد أن يكون ابنه الآخر الشيخ ابراهيم قد أضاف إليها ما نسخه بخط يده ، فضلا عن أنه ربما كـون مكتبة خاصة به ما كان قد نسخه من الكتب الموجودة في مكتبة والده ، ويبدو أن الحفيد محمد بن عبد الله قد زاد هذه المكتبة بمـا حصل عليه من كتب بطرق مختلفة^(١).

٦- مكتبة الشيخ سليمان بن علي :

تعتبر مكتبة الشيخ سليمان احدى كبريات المكتبات في نجد في القرن الحادى عشر اذ وجد له فتاوى وتقريرات لو جمعت لجاءت في مجلدات ضخمة فضلا عن تأليفه الأخرى ، كما كتب بخطه الجميل كتبا كثيرة في الفقه وغيره ، وتحصل على كتب أخرى نفيسة في مختلف العلوم مما كـون لديه مكتبة كبيرة وربما ورثها عنه أبناؤه وأضافوا إليها ما استطاعوا الحصول عليه^(٢).

٧- مكتبة الشيخ علي بن محمد بن بسام :

تمكن الشيخ علي من تكوين مكتبة جيدة بما كتبه بخط يده من كتب كثيرة في الفقه وغيره ولكونه من كبار العلماء والفقهاء وأحد قضاة أشيقر في أواخر القرن الحادى عشر فقد وجدت له مسائل عديدة وأحكاما ربما ضمتها مكتبته تلك^(٣).

(١) ابن بشر ١٩٨/٢ ، البسام : المرجع السابق ١٣٨/١ ، ٦١٢/٢ ،

١٦١/٢ ، القاضي : المرجع السابق ١٦١/٢ ،

(٢) ابن بشر ٢١٠/٢ ، ابن حميد ١٠٣ ، البسام : المرجع السابق ،

٣١١/١ ، ٣١٠/١

(٣) البسام ، ٧٢٥/٣ ،

٨- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان :

وفى النصف الثانى من القرن الحادى عشر عد الشيخ عبد الله من كبار علماء نجد ، وهذا ما تطلب تكوين مكتبة كبيرة لديه ، وقد وجدت كتباً كثيرة فى مختلف العلوم وخاصة كتب الفقه الحنبلى وقد عرضت للبيع بعد وفاته بعام واشتراها تلميذه محمد بن ربيعة وقد وصفت الكتب التى ضمتها هذه المكتبة نفيسة وقيمة^(١)

٩- مكتبة الشيخ حسن بن عبد الله أبا حسين :

وكما مر فقد أثر عن الشيخ حسن اتقان الخط وحسنه وضبطه ، فاستطاع أن ينسخ به كتباً كثيرة نفيسة مما كون لديه مكتبة غالبها بخط يده ، فضلاً عن تمكنه من الحصول على كتب كثيرة أخرى قيمة فى مجالات متعددة من العلوم والفنون .^(٢)

١٠- مكتبة الشيخ أحمد بن محمد القصير :

تمكن الشيخ أحمد من نسخ عدد كبير من كتب الفقه وغيره بخطه الحسن المضبوط ، ونتيجة لذلك كون مكتبة حوت كثيراً من الكتب مما خطه أو تحصل عليه بطرق أخرى ، وكانت هذه الكتب مجال استفادة لكثير من فقهاء نجد بعده ، وخاصة تعليقات الشيخ أحمد على بعض ما فى مكتبته من كتب المذهب .^(٣)

١١- مكتبة الشيخ أحمد بن محمد المنقور :

وقد بلغ من حرص الشيخ أحمد على ايجاد مكتبة له أنه رغم رداة خطه مقارنة بخطوط بعض النساخ النجديين - فقد استطاع بهذا الخط نسخ كثير من الكتب كون منها مكتبة وصفها بعض مؤرخي نجد بأنها كبيرة ، وليس

(١) ابن ربيعة ٧٦٠، ٢٠، ابن حميد ٢٤١، البسام: المرجع السابق،

(٢) ابن بشر ٢٢٥/٢، ابن حميد ٩١، البسام: المرجع السابق ٢١٨، ٢١٧/١

(٣) ابن عيسى ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، البسام: ١٦٧/١، القاضي ٧٩/١

من المعروف مصير تلك المكتبة وربما ورثها عنه ابنه الشيخ ابراهيم فقد اشتهر بنشاطه العلمي ، وربما أوقفت بعد ذلك فتشتت كتبها^(١).

١٢- مكتبة الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي :

وكان هذا العالم زميلا للشيخ أحمد المنقور وغيره في التلمذ على الشيخ عبد الله بن ذهلان ، ويبدو أنه كان أغنى تلاميذ ابن ذهلان مما يمكنه من شراء كتبه بعد وفاته وضمها لمكتبته التي كان قد نسخ بعض كتبها بخطه الحسن ، كما أنه قد تحصل على مجموعة أخرى من الكتب بطرق أخرى كالشراء والاهدا ، ويمكن على هذا أن تعد هذه المكتبة من كبريات مكتبات نجد في القرن الثاني عشر ، ويشير المؤرخون أنها حوت كتباً نفيسة في عدة مجالات من العلوم ، ويبدو أن هذه المكتبة قد آلت بعد وفاته لابنه الشيخ عبد الرحمن الذي ورث عن أبيه العلم كذلك^(٢).

١٣- مكتبة الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيبي :

ونظرا لكون الشيخ عبد الله من كبار نساخ نجد في القرن الثاني عشر ومن المعكرين في هذا السبيل كما مر فقد استطاع تكوين مكتبة ضخمة حوت مجموعة من الكتب القيّمة التي قام بنسخها في مختلف العلوم ، وكان من أسهل ضخامة هذه المكتبة حيث طلبته على نسخ ما يستطيعون نسخه من الكتب اذ يبتدئ لهم في أي كتاب ويساعد هم على اتمام نسخه ويكافئهم على ذلك حتى استطاع الحصول على نوادر من الكتب^(٣).

ومن مظاهر اهتمام الشيخ ابن عضيبي بتجميع الكتب لكثرة شرائها لها من داخل نجد وخارجها والبذل في ذلك بسخاء رغم فقره حتى

-
- (١) المنقور: التاريخ ١٦، ١٧، ابن بشر ٢/٢٣١، ابن حميد ٦٤،
البسام: ١/٩٨، ١/١٩٦، القاضي ١/٦١، ١/٦٢
(٢) ابن ربيعة ٢٠، ٢١، ٧٦، ابن بشر ١/٢٧، ابن حميد ٢٤١،
البسام ٣/٧٩٧، ٧٩٨، القاضي ٢/١٦٣، ١٦٤
(٣) ابن حميد ١٥٣، البسام ٢/٥١٨، ٥١٩، القاضي ١/٣١٤

أن المسافرين الى العراق والشام وغيرهما من أهل عنيزة يحرصون على أن تكون هداياهم للشيخ في عودتهم كتباً قيمة لعلمهم باهتمامه في جمع الكتب (١) لتحقيق الاستفادة منها في تنشيط الحركة العلمية التي بدأها في القصيم.

وما من شك أن تعاون أهل عنيزة مع الشيخ عبد الله كان عاملاً مهماً في هذا الصدد ، وكما برز ذلك من الأهالي فإن الامارة كان لها دور جيد في تسهيل هذه المهمة الجليلة على الشيخ ، وفي هذا المجال يذكر المؤرخون أنه إذا كان الطريق مخوفاً أمام حصول الشيخ على أى كتاب من أى مكان فإن الأمير يرسل فارساً أو أكثر من فرسانه للحصول عليه سواءً بالشراء أو بالهدايا أو الاعارة لقراءته أو نسخه واعادته لصاحبه. (٢)

والذى يبدو أن هذا الاهتمام قد أثمر عن تمكن الشيخ ابن عيسى من ايجاد مكتبة يمكن اعتبارها من كبريات المكتبات النجدية في القرن الثاني عشر وأكبر مكتبة عرفت في منطقة القصيم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. (٣)

وعلى كثر كتب هذه المكتبة فقد تفرقت بعد وفاته في البلدان القريبة والبعيدة إلا أن أكثرها وأنفسها اشتراها أشهر تلاميذه الشيخ حميدان بن تركي (٤) وقد نقلها معه الى المدينة حينما رحل اليها وضم اليها ما استطاع الحصول عليه من الكتب بطرق مختلفة ، وقد أوقفها بعد وفاته إلا أنها تفرقت وضاعت بين أيدي الناس ، ويوجد بعض منها في مكتبة عنيزة وهي من

(١) ابن حميد ١٥٤ ، البسام ٢/٥٢١ ، القاضي ١/٣١٤

(٢) ابن حميد ١٥٤

(٣) ابن حميد ١٥٤ ، البسام ٢/٥٢١ ، القاضي ١/٣١٤ ، ٣١٥

(٤) هو الشيخ حميد بن تركي بن حميدان بن تركي بن علي بن مانع ابن نغاش من آل تركي من بني خالد المشهورين في عنيزة والبكيرية والهلالية ، انتقل نغاش الى عنيزة ، ولد الشيخ حميدان في حدود عام ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م في عنيزة وتعلم فيها تعليماً أولياً الى أن قدم الشيخ عبد الله بن عيسى ولازمه حتى أدرك في كثير من العلوم فتصدى للتدريس والافتاء ، واشترى كتب شيخه وكتب أخيه منصور بن تركي بعد وفاتها فكان مكتبة ضخمة مع ما نسخه له

(١)
بقايا مكتبة ابن مذهب

١٤- مكتبة الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم:

لما كانت أبرز هوايات الشيخ عبد الله بن سحيم نسخ الكتب حتى لقب بالكتاب فقد استطاع أن يجمع من ذلك مكتبة كبيرة، وكانت من أهم مكاتب منطقة سد ير بما ضمت من نفائس الكتب الفقهية وغيرها، ومن المعتقد حصول الشيخ عبد الله على مجموعة من الكتب بطرق أخرى غير النسخ (٢).

هذه أمثلة لبعض المكتبات في نجد قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ أن المجال هنا يضيق عن رصد أغلب المكتبات في تلك الفترة وقد فرض شح الحياة الاقتصادية أن يكون النسخ أهم مورد لتكوين هذه المكتبات مع حرص العلماء على جلب الكتب بطرق أخرى بقدر ما تسمح لهم ظروفهم آنذاك، كما أن ظاهرة شراء بعض التلاميذ القادرين مكتبات مشايخهم دليل على حرص هؤلاء العلماء على تنمية حب الكتاب واقتنائهم في نفوس تلاميذهم، كما هو دليل على وجود تنافس بينهم في تكوين المكتبات والاكثار من الكتب التي تضمها.

وعلى الرغم من أن بعض هذه المكتبات لا تعد وأن تكون خزائن كتب وليست كالمكتبات في الوقت الحاضر من حيث تخصيص أماكن واسعة لها إلا أن بساطة الحياة العامة في تلك الفترة، والحرص على الاستفادة الكاملة

(=) أرجوزه في الفقه وأجوبة فقهية سديدة، راسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع مجموعة من العلماء فلم يؤيد الدعوة حتى اذا ضمت عنيزة للدولة السعودية الأولى رحل بأسرته الى المدينة وأوقف كتبه كلها، توفي في المدينة عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م (الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية ١٢٤، ابن غنم ٩٥/١، الدرر السنية ٢/٢٠، ابن حميد ٩٦، ٩٧، البسام: المرجع السابق ٢٤٦/١ - ٢٤٨، القاضي: روضة ١٠١/١).

(١) ابن حميد ٩٧، البسام ٢٤٦/١، ٢٤٧، ٢٠٢١/٥٢١، القاضي ١٠١/١

(٢) ابن حميد ٣١٤، البسام ٢/٥١٢، ٥١٣، القاضي ٣١٦/١

من الكتب، جعلت هذه المكتبات تقوم بدور قوى فى تنشيط الحركة العلمية بما قد لا تستطيع القيام به بعض المكتبات فى الوقت الحاضر.

٧- الأوقاف العلمية:

(١) تشكل الأوقاف العلمية - وهى جزء من الأوقاف العامة كما سيأتى - عاملاً رئيساً فى تشجيع التعليم فى نجد قبل الدعوة سواء كانت هذه الأوقاف مادية أم عينية وسواء كانت على عامة طلبة العلم أم على المتعلمين من ذريسة الواقف فقط.

وكما سبقت الإشارة إليه فقد كانت بعض المكتبات تعتبر من أبرز مجالات الأوقاف العلمية إذ كان أصحابها يحرصون على أن ينص فنى وصاياهم إيقاف ماله بينهم من كتب على طلبة العلم فى بلدانهم أو غير بلدانهم إدراكاً منهم لأهمية توافر الكتاب لأى حركة علمية^(٢).

ومن المظاهر الجيدة فى هذا الصدد حرص بعض أمراء البلدان النجدية على إيقاف بعض الكتب على العلماء أو طلبة العلم احتساباً منهم للأجر العظيم من وراء نشر العلم، ومن الأمثلة فى هذا المجال إيقاف أمير عنيزة فوزان بن حميد^(٣) نسخة من القاموس المحيط على الشيخ أحمد القصير فى أشيقر وقد أشهد على هذا الوقف عالم عنيزة الشيخ عبد الله بن عيسى^(٤).

(١) يبحث الفصل الرابع من الباب الرابع فى التكافل الاجتماعى والأوقاف الخيرية العامة.

(٢) البسام ٢٠٠/١، ٢١٦.

(٣) هو فوزان بن حميدان بن حسن بن معمر آل جراح الزهرى الثورى

وكال زهرى هم الذين أنشأوا عنيزة، تولى الإمارة بعد والده، يعد من أقوى أمراء عنيزة فقد حرص على توحيد أجزاء عنيزة تحت أمير واحد وفزا بريدته عام ١١٠٩هـ/١٦٩٧م إلا أن قتل عام ١١١٥هـ/

١٧٠٣م قتله آل الجناح من بنى خالد واستولوا على عنيزة حتى أخرجهم منها ابنه حميدان بن فوزان (ابن بشر ٢/٢٢٢، ٢٢٦،

ابن عيسى ٧٩، ٨٤، ٢٣٤، البسام، علماء نجد ١/٢٥٣-٢٥٥،

٢/٥١٨، ٣/٧٦١، محمد العبودى: بلاد القصيم ٤/١٦٨٨-١٦٩٠)

(٤) البسام ٢/٥١٨

ومن المتوقع وجود أمثلة أخرى في هذا السبيل تربينا الى أى مدى كان بعض
الأمراء حريصين على تشجيع الحركة العلمية في نجد قبل الدعوة بما تسمح
لهم الظروف العامة آنذاك .

وبالإضافة الى كون المساجد أبرز أماكن التعليم في تلك الفترة فقد
كان بعض الموسرين الراغبين في الخير يوقف بيتا ليكون مدرسة تلقى فيه
الدروس العلمية جنبا الى جنب مع تلك الدروس التي تلقى في المسجد ، وفي
هذه الناحية يذكر المؤرخون أن بعض أهالي عنيزة أوقف بيتا ليدرس فيه
الشيخ عبد الله بن عضيـب^(١) .

ولم يكتف بعض النجديين بإيقاف أماكن للدراسة بل كانوا يوقفون
عليها الكتب وشيئا من ريع البساتين كالقمح والتمر ، إلا أن إيقاف النخل
على طلبه العلم هو المظهر السائد لأن الواقف يضمن فيها استمرار التعيين
والاستفادة منها أكثر من أنواع الزراعة الأخرى ، وهذه الغلال شاملة للطلبة^(٢)
ومدرسيهم .

على أن بعض الأسر العلمية النجدية التي رحلت الى بعض المناطق
المجاورة كانت لها اسهامات كثيرة في مجال الأوقاف العلمية ، فيذكر
المؤرخون أن آل فيروز في الاحساء قد أقاموا مقرا علميا كبيرا تحملوا فيه
السكن والاعاشة للطلاب الذين يتلقون العلم على علمائهم وكان يصل مجموع
هؤلاء الطلاب أحيانا الى نيف وسبعين طالبا كلهم قد كفوا مهمة الانفساق^(٣)
على أنفسهم في جميع مايلزمهم .

(١) ابن حميد ١٥٣

(٢) ابن حميد ١٠٤ ، البسام : المرجع السابق ٣٢٦/١

(٣) ابن حميد ٢٥٨ ، البسام ٨٨٤/٣

وحرصا من العلماء على استمرار الناحية العلمية في عقبهم فقد كان بعضهم يوقف شيئا مما يملك على طلبة العلم من ذريته بحيث يكون طالب العلم فقط هو المستفيد من هذه الأوقاف نظارة واستحقاقا ، ويذكر في هذا الصدد أن الشيخ محمد بن إبراهيم^(١) أبا الخيل قد أوقف مجموعة من عقاراته وساتينته في عنيزة على طلبة العلم من ذريته^(٢) وهذا وقف علمي خاص إلا أن مردوده لا بد أن يكون قد انعكس على الحياة العلمية في المنطقة واستفاد منه طلاب العلم الآخرون من قريب أو بعيد .

ورغم أن النجديين قد طرقتوا أغلب مجالات الأوقاف العلمية إلا أن إيقاف القرآن الكريم يأتي في مقدمة هذه المجالات ، وما خط الخطاط عبد الرحمن السحيمي أربعة عشر مصحفا ورجى الله أن يمكنه من زيادتها - كما سبق - الأمن أجل أن يوقفها على بيوت الله وعلى القراء والحفاظ والمدرسين للقرآن الكريم وفي إطار إيقاف الكتب العلمية فقد حرص علماء نجد في تلك الفترة على تنظيم الاستفادة منها بما نقلوه عن سبقهم من العلماء خوفا من العبث في هذه الكتب أو ضياعها ، ولما كانت التحشية على الكتب الموقوفة أبرز ما يؤثر على الاستفادة منها سلبا أو إيجابا فقد نقل المنقور فتوى تقول بمنع ذلك إلا إن كان الخط حسنا ، وعاد من التحشية مصلحة على الكتاب المحشى عليه لتعلق الحواشي بما فيه تصحيحا أو بيانا أو إيضاحا أو نحو ذلك مما يكون سببا لكثرة المطالعة فيه للناس ، أو انتفاعهم به ، لأن الواقف لو اطلع على ذلك لأحب له فيه من تكثير الثواب له بتعميم النفع لوقفه ، ومتى انتفي شرط ما ذكر لم تجز التحشية .^(٣)

- (١) هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الله أبا الخيل ولد في عنيزة وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة حتى قدم الشيخ بن عقيب فلازمه حتى أدرك ، وكان من العلماء الأثرياء أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن من راسل من علماء نجد إلا أن موقفه من الدعوة تأييدا أو معارضة غير واضح تولى قضاء عنيزة فهو القاضي الثالث بعد ابن عقيب وسليمان بن زامل ، علاوة على توليه مهام التدريس والافتاء والامامة والخطابة حتى توفي خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر
الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٤ ، ابن غنام ٩٥ / ١ ، الدرر السنية ٢ / ٢٠ ، البسام ٣ / ٧٧١-٧٧٣ ، القاضي ١٥ / ٢ (١٦٤ ، ١٦٥) . (٢) البسام ٣ / ٧٧١-٧٧٣ ، القاضي ١٥ / ٢
المنقور : الفواكه ١ / ٥٣٠ (٣)

الفصل الثاني

التأثير الاجتماعي للحياة العلمية

- المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة .
- ① - طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدي .
- ② - مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية .
- ③ - بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع النجدي :-
«أ» شرب القهوة .
«ب» التدخين .
- ④ - جهود العلماء الإصلاحية في المجتمع .
- ⑤ - مساهمة العلماء في سبل الخير .
- ⑥ - الأثر الاجتماعي للرحلات العلمية .
- ⑦ - نقد الأدب الفصيح وتصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية .

المكانة الاجتماعية لعلماء نجد قبل الدعوة :

على ضوء ما سبق يمكن القول أن النشاط العلمي في نجد يعتبر أحد أبرز الأنشطة الاجتماعية في المجتمع ان لم يكن أبرزها ، اذ تقوم به فئة لا يستهان بها من المجتمع وتؤدي دورها في توجيه الكثير من مجالات الحياة فيه .

ومن المفيد بدرجة كبيرة قراءة سير العلماء لمريد سبر أغوار الحياة الاجتماعية لأن هذه السير تكشف عن جوانب حياة عصرهم الذي معظم أنشطته الاجتماعية والعلمية يقوم بها العلماء ، ففي كتاباتهم يتعلم الناس القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وفي منتدياتهم يلتقي طلاب العلم والعلماء فيتناقشون في العلوم والفنون المتعددة ، وعن طريق علمهم ومكانتهم يتم القضاء بين الناس اذا تخصموا ، والصلح اذا اختلفوا ، وعن طريق وعظهم وارشادهم وحكمتهم يتم غرس الكثير من المثل العليا والقيم الاجتماعية وضوابط السلوك وفق أحكام الاسلام .

ولكونهم أكثر صلة بالناس وتأثيرا فيهم فان سائر فئات المجتمع تحرص على التقرب منهم واستشارتهم والاستفادة من آرائهم وكسب ودهم ، وهم (١) في مقابل ذلك يحرصون على أن تكون توجيهاتهم وفتاويهم وفق حاجات المجتمع وطرق المستجدات عليه سواء بدعوتهم الى نهذها أو الأخذ بهيها ، ومراعاة أوضاع سائر الفئات في المجتمع حين اصدارهم لأي فتوى أو حكم مالم يتعارض ذلك مع أصل من أصول الشرع .

ثم ان دراسة التحركات الأسرية لبعض العلماء تفيد في تلمس وجود علاقات اجتماعية بين نجد والبلدان التي يرحل اليها بعض

(١) صالح السليمان العمري : علماء آل سليم وعلماء القصيم ط (١) مطابع الاشعاع ، الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٣ من مقدمة الكتاب
اكرم ضياء العمري .

هؤلاء العلماء وهذا جانب مهم يصور المكانة الاجتماعية لهؤلاء العلماء وأسـرهم والتأثير الاجتماعي المتبادل بينهم وبين أهل تلك البلدان .

ورغم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد رفعت من مكانة العلماء في المجتمع، وازداد بالتالي تأثيرهم فيه، فإن هذه المكانة كانت متأصلة في المجتمع النجدي، ولا أدل على ذلك من أن الشيخ محمد نفسه حينما أراد دعوة أهل الرياض ومنفوحة أرسل لهم رسالة وطلب من قاضي الدرعية الشيخ عبد الله بن عيسى^(١) أن يسجل تحتها ما يراه من القبول المؤيد لها لعل ذلك أن يكون أدعى لقبولها، وقد أثنى الشيخ على ابن عيسى في هذه الرسالة مما يدل على وجود مكانة اجتماعية عالية يتمتع بها هذا القاضي في منطقة العارض كلها إذ قال عنه الشيخ محمد في هذه الرسالة : (وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه، وهذا كلامه وأصله اليكم

(١) لم أجد ترجمة لهذا الشيخ فيما بين يدي من كتب تراجم علماء نجد أو مصادر التاريخ النجدي إلا أنه ذكر في رسالته التي أيسد فيها الشيخ محمد أن اسمه عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن كما أنني بحثت في كتب الأنساب النجدية لعلني أظفر بمعلومة عن أسرة هذا الشيخ فلم أجد شيئاً ولعله من آل عبد الرحمن المعروفين في ضرماء والذين هم من أهل الدرعية أصلاً ويرجعون في نسبهم إلى آل ربيعة بن مانع المريدي من بني حنيفة، أو لعله من آل عيسى المعروفين في (أبا الكباش) الذين يرجعون إلى ربيعة كذلك وإذا ثبت هذا فهو يلتقي مع آل سعود في النسب، وكسان مؤيدا لدعوة الشيخ محمد ثم تغير موقفه منها بتأثير ابنه عبد الوهاب، ويبدو أن الشيخ أفلح في كسبه من جديد للدعوة، وتبدو أهمية ابن عيسى عند الشيخ محمد من كثرة مراسلته له ومجاملته له أكثر من مرة، وذكر إحسانه وفضله على دعوته وشخصه وأسرتة، وقد بلغت الرسائل التي أرسلها الشيخ محمد إلى ابن عيسى والتي ورد ذكره فيها سبع رسائل (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ١٨٦، ١٩١، ٢٤٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٤، ٣١٤، ابن غنام ١/ ١٤٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٤، ابن قاسم : الدرر السنية ٢/ ٢٩، ٨/ ٧٣، حمد الجاسر : معجم (=)

ان شاء الله (١)

ويغض النظر عن كون هذا الوصف مطابقاً للحقيقة فعلاً، أو حسب ظن الشيخ محمد في ابن عيسى، أو أن ذلك على سبيل المجاملة والدعوة بالتى هي أحسن، واستعمال كافة الوسائل التى قد تقنع الآخرين بدعوته، بغض النظر عن ذلك كله فإن الشيخ كان يرى ضرورة تعليق ابن عيسى على رسالته تلك، وأنها من دون ذلك التعليق لن تكون لها القوة والتأثير المطلوبين، وتشير المصادر أن موقف الشيخ ابن عيسى وتعليقه على رسالة الشيخ محمد كان له أثر طيب فى كسب بعض الناس فى هاتين البلديتين وربما الدرعية كذلك الى جانب الشيخ ودعوته. (٢)

ومن المؤكد أن مثل هذه المكانة الاجتماعية العالية لابن عيسى كانت متوافرة لعلما نجد منذ فترة متقدمة عن قيام الدعوة على اختلاف فيما بينهم فى شعول هذه المكانة لمنطقة بأملها، أو قصرها على بلدة معينة. (٣)

والمطلع على رسائل الشيخ محمد الشخصية يتبين له بوضوح درجة هذه المكانة لدى بعض علماء نجد وحرصهم على التمسك بها، بل ان الشيخ يؤكد أن من أسباب معارضة بعض معارضيه بعد تأييدهم المبدئى لدعوته هو خوفهم من فقدان المكانة الاجتماعية المتأصلة بين الناس. (٤)

ان ذكر الشيخ فى هذه الرسائل لعدد كبير من علماء نجد المعارضين له والمؤيدين والمتوقفين دليل على ادراك من الشيخ لتأصل

-
- (=) انساب الاسر المتحضرة ٢/ ٥٤٥، ٦٥٦/ ٠
(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ١٨٧، ابن غنام ١/ ١٤٧
(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ٢٧٦، ٣١٤، ابن غنام ١/ ١٥٦، ١٧٤، د. عبد الله العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٠، ٤٩
(٣) كالشيخ عبد الله بن عضيبي الذى كانت له مكانة اجتماعية شاملة لمنطقة القصيم.
(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: المصدر السابق ٦٣، ابن غنام ١/ ١١٤، ابن قاسم ٨/ ٥٣.

هذه المكانة، وحرص على استغلالها لصالح دعوته سواء بالتأكيد على هذه المكانة ورفعها لدى من يؤيد، أو يبدو منه ذلك، أو هز هذه المكانة والتقليل من شأنها لدى من يعارض الشيخ صراحة في معارضة البدع والمنكرات، وما من شك أن هذا أسلوب حكيم من الشيخ في تهذيب درجة هذه المكانة، وعدم الغلو في إعطائها إلا لمن يستحقها بمعرفته لجوانب العقيدة والشرعية.^(١)

ويجد الباحث في المكانة الاجتماعية لهؤلاء العلماء أنها محسورة تدور حوله كافة مؤثرات الحياة العلمية على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، إذ أن تقرير هذه المكانة لبعض العلماء من كافة فئات المجتمع جعل لها قوة وشمولاً، كما أن ضعف بعض العلماء أمام قوة بعض الفئات المتنفذة في المجتمع حد من قوة وشمول تلك المكانة، ومن أوضح الأمثلة مكانة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان التي حاول النيل منها حاكم العيينة، وحال ذلك دون قيام الشيخ ببعض الأدوار الاجتماعية التي قام بها والده سليمان بن علي، إذ أن رحيل الشيخ عبد الوهاب اثر خلافه مع حاكم العيينة قد أثار على مكانته الاجتماعية في بلدة تعد كبرى البلدان النجدية في حينها.^(٢)

(١) من الأمثلة على ذلك ذكر الشيخ لعدد من العلماء المعاصرين له سواءً بالثنا على بعضهم كما فعل مع ابن عيسى، وعبد الله بن سحيم وحمد التويجري وعبد الله بن سويلم وغيرهم، أو بذمهم والخط من مكانتهم الاجتماعية بكشفهم أمام العامة كسليمان بن سحيم وعبد الله المويس وابن اسماعيل وغيرهم (الشيخ محمد : المصدر السابق ٢٧، ٦٠، ٦٣، ٦٦، ٧٢، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٤، ١٣٧، ١٣٧، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٢٩، وهذا المصدر ملئ بما يقرر هذه الحقيقة).

(٢) ابن بشر ٢/ ٢٣٨، ومما يندرج حول هذا الموضوع تعليق الشيخ محمد علي تباطؤ بعض علماء الوشم في اتباع الدعوة حتى يأخذوا رأي إبراهيم بن سليمان العنقري أمير ثرمداً في وقته حيث قال في ذلك مخاطباً الشيخ أحمد بن إبراهيم أمام مسجد مرات: "وأما قولك : أبقى أشاور إبراهيم فلاودي تصير ثالثاً لابن عباد وابسن عبيد (من علماء ثرمداً)، أما ابن عباد فيقول : أي شيء أفعل

على أن هذه المكانة من جانب آخر قد تعرضت للاهتزاز لدى بعض العلماء الذين داروا ببعض الفئات في المجتمع فلم تكن لمكانتهم تلك مؤثرات واضحة على الحياة العامة في نجد بل تعرضت للنقد الاجتماعي اللاذع من بعض شعراء تلك الفترة كما مر.

وحسب ما توافر لدى من أمثلة ونصوص وأحداث تاريخية يمكن رصد مؤثرات الحياة العلمية على أوجه الحياة الاجتماعية في الموضوعات التالية:

١- طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدي :

وتأتى أهمية هذا الموضوع من حقيقة أن مراعاة العرف السائد في المجتمع أساس لأي فتوى أو حكم شرعى ، وتجب مراعاته ما لم يتعارض مع نصوص أو أجماع أو قياس.

وكان الفقيه النجدي حريصا على هذه الناحية ، ومن هنا جاء نقل المنقول في الفواكه لهذا القول عن أحد العلماء : " فمن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم ، فقد ضل وأضل ، وكانت جنايته على الدين أعظم من جنايته من تطيب للناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم بل هذا الطبيب الجاهل أضمر على أديان الناس وأبدانهم^(١) .

(=) بالعناقر ، والا فالحق واضح ونصحتهم وبينت لهم ، وابن عبيد أنست خابره حاول إبراهيم في الدخول في الدين ، وتعذر من الناس أن إبراهيم ممتنع ياسبحان الله إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها ما منهم أحد يتوقف كيف يكون قدر الدين عندكم " . (المصدر السابق ٢٠٧)

(١) المنقول : الفواكه العديدة ٢ / ٣٣

ويؤكد الشيخ أحمد بن عطوة على مراعاة العرف والأحوال وقرائن الأحوال في أى فتوى حيث قال في جواب له : " فإياك أن تهمل قصـد المتكلم ونيته وعرفه ، فتجنى عليه وعلى الشريعة ، وتنسب إليها ما هي بريئة منه فتلزم العاقد ما لم يلزمه الله ورسوله ^(١) " .

وكان الشيخ عبد الله بن ذهلان من أحرص الفقهاء النجديين على عدم طرق موضوعات فقهية غير ذات صبغة نجدية لأن مثل هذا يؤدي إلى بلبلة في أوساط العامة في نجد ، فكل بيئة لها ما يناسبها من الأحكام الفرعية في إطار الأصول الشرعية العامة لكل المسلمين وفي هذا يقول : (وأما التوسع في أشياء ليست عندنا ولا حولنا ، فهذا يفضى إلى ككرة القيل والقال بما لا يجدى ^(٢)) .

ومن مظاهر مراعاة العادات والأعراف النجدية في الفتوى استعمال العامية في إصدار أى حكم أو فتوى مخاطبة للناس على قدر أفهامهم كجواز استعمال لفظ (إيه) بمعنى نعم لا يجاب أى أمر يحتاج إلى الموافقة أو عدمها ، وفي هذا يقول الشيخ ابن ذهلان : " إذا قيل له - أى الواقف - : وقفت دارك على زيد قال نعم ، صح لأنه صريح وكذا قوله بعد السؤال إيه لأنه عرفنا ^(٣) " .

ومن ذلك استعمال (التخلات) من التخلية بمعنى الخلع البائن وهو ما أكدّه الشيخ ابن ذهلان في قوله : " إذا طلبت التخلات على عوض بذلته له ، فقال : خلعت جوازك من رقبتي أو خلعت زواجك صح - ذلك لغة أهل بلدنا - وبانت ، فالعبرة في ذلك ومثله بلغة المتكلمين به ^(٤) " .

(١) المصدر السابق ٣٣ / ٢

(٢) المصدر السابق ٥٥٠ / ١

(٣) المصدر السابق ٤٧٦ / ١

(٤) المصدر السابق ٤٧ / ٢

ويبدو أن هذا الموضوع من الموضوعات التي كان يحصل فيها خلاف بين بعض النجديين مما جعل الفقهاء في تلك الفترة يجمعون على خلع وبينونة من استعمل في حقها هذا اللفظ حتى تقرر عند العامة ذلك سواء تم ذلك بين الزوج والزوجة مباشرة أم عبر وكيل بينهما بسبب نأى أحدهما عن الآخر، وفي هذا يقول الشيخ ابن ذهلان: "إذا قال: وكلتك تخلى زوجتي فوكالته صحيحه، ويملك الخلع لأنه العرف، وإن قال: خليت زوجتي، فخلع بائن، للعرف، ولو لم يقل بعوض، لأنه العرف عند الناس، يقال: خلى فلان زوجته أم طلقها".

ولم يغفل فقهاء نجد أن للتخلية إطلاقاً آخر عند النجديين وهو أنه يكفي بها الطلاق في حال عدم طلب الزوجة الخلع، أو في حال الغضب والخصومة، وقد نقل المنقور فتوى في هذا تقول: "وقوله: خليت امرأتى لما نازعتنى، أو خاصعتنى في كذا، ونحو ذلك، تطلقه بلا تردد، لا قراره بذلك، وذكره الخصومة دليل على عدم اشتراطه النية مع أن العرف عندنا أن التخلية خلع بائن" (٢).

ومما يندرج تحت ذلك من موضوعات النكاح التي للنجديين فيها عرف أخذ فقهاءهم بعين الاعتبار موضوع الصداق حيث نقل المنقور عن شيخه قوله: "وظاهر عادتنا وعرفنا أن الصداق المذكور عند العقد أنه يكون مؤجلاً بلا شرط، ولا يخسر على القول بالفسخ به" ورتبوا على وجود هذه العادة حكماً يقول: "أنه إن منعها الصداق بعد حلوله فلها الفسخ سواء قبل الدخول أم بعده" (٣)، وهذا الحكم وإن كان قد نقله هؤلاء الفقهاء عن مجتهدى المذهب فإن تطبيقه على تلك العادة دليل على وعي من فقهاء نجد بتقاليد وعادات مجتمعهم، وحرص على طرق الأحكام الفقهية ذات الصبغة المحلية.

(١) المصدر السابق ٤٢/٢

(٢) المصدر السابق ٤٣/٢

(٣) المصدر السابق ٦٢/٢

ولما كان من عادة بعض النجديين في مجال الزراعة الاشتراك في بئر واحدة فقد راعى الفقهاء هذه الناحية بطرقها المعروفة في كل منطقة نجدية مثل أن يكون لكل مزارع يوماً بعد يوم أو بعد يومين أو ثلاثة أو يكون لكل واحد دلو أو مجموعة من الدلاء حسب الاتفاق ، وقد أورد المنقور في هذا الصدد فتوى للشيخ زامل بن سلطان الذي حكم بشرعية وصحة وقبول شهادة أحد الأشخاص على أن لشخص آخر مشرباً من أحد الآبار ، وأكد المنقور بعد ذلك أنه رأى مثل هذا الحكم عند فقهاء آخرين غير الشيخ زامل ، ولأن العادة توافقه فقد حكموا بصحة مثل تلك الطرق .^(١)

وقد طرق الفقهاء النجديون قضايا فقهية عديدة ذات صبغة محلية في مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية كالبيع والوصايا ، والمساواة ، والمزارعة والاجارة ، والوقف ، وأحكام النساء ، وغيرها مما لا يتسع المجال هنا لعرضه وقد يرد جانب منه في مواضعه من هذه الرسالة ، وهذه القضايا تؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على وحدة المجتمع النجدي .

ولئن كانت العادات النجدية واحدة أو متشابهة فإن بعضها قد تختلف تسميته أو مظهر تطبيقه من منطقة نجدية إلى أخرى إلا أن تركيز الفقهاء في مناطق علمية مشهورة كما سبق حدا بالمستفتين إلى عرض أسئلتهم على هؤلاء الفقهاء في مناطقهم وهو ما دفع بهم إلى تطبيق ما يعلمونه عن هذه العادة أو تلك في بلدانهم على ما ورد إليهم من بلدان أخرى وأصدر أحكام حسب ما هو معروف عندهم ، وهو عامل مهم أسهم بدوره في وحدة التسميات ، ومظاهر التطبيق للعادات النجدية الواحدة أو المتشابهة .^(٢)

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٣٢٤

(٢) من الأمثلة على ذلك حكم ابن ذهلان في وقف من ثرمداء ، وفي وقف من العيينة ، انظر المصدر السابق ١/ ٤٠٠ ، ٥٠١ ، ٥١٤

٢ - مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية :

وانطلاقاً من يسر الدين وسماحته فيما ليس فيه إخلال بأصل من أصوله ، وانسجاماً مع بعض الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية السيئة آنذاك ، فقد كان علماء نجد على اقتناع بجدوى مراعاة أوضاع بعض الفئات العاملة في المجتمع في تخفيف بعض الأحكام الشرعية بحق هؤلاء عن سائر الفئات الأخرى في المجتمع ، حرصاً على تمسكهم بالحد الأدنى من مظاهر الالتزام ببعض العبادات ، وتقديراً لجهودهم الكبيرة في سد حاجة المجتمع لكثير من المهن والأعمال .

ولما كان الصيام عبادة بدنية فقد تضعف من يمارس مهناً شاقّة في جو قاس كجو نجد فيحدث من جراء ذلك ضرر لمن لا يستطيع ترك مهنته مؤقتاً ولا يقوى على الجمع بين العمل الشاق والصيام علاوة على تضرر المجتمع بأسره من ذلك ، مما دفع ببعض فقهاء نجد إلى إباحة القطر لبعض الفئات العاملة والقضاء في أيام آخر ، وليس هذا الحكم إلا تطبيقاً للقاعدة الفقهية القائلة بجواز الفطر لمن يحتاج إليه لدفع ضرر لحق به أو بغيره ، مع التحرز الكامل في درجة هذه الحاجة لئلا يستغل ذلك من يستطيع العمل والصيام ولا يضره أحدهما . (٢)

وقد أورد المنقور في هذا الصدد فتوى لشيخه ابن ذهلان تبيّن تطبيق هذا الحكم على بعض الفئات العاملة في المنطقة حيث قال في ذلك " وقوله : ما لم يضره في معيشة يحتاجها إلى آخره ، الظاهر أن الكالف (٢)

(١) محمد العثيمين : مجالس شهر رمضان ط (٢) مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ ص ٥٨ ، ٥٧

(٢) الكالف : هو الذي يسوق دابة النضج من الآبار ويطلق عليه أحياناً الكلاف بتشديد اللام أخذاً من الكلفة والمشقة وهذا اللفظ مستعمل في وسط وجنوبي نجد ، أما شمالها فيطلق على الكالف لفظ العامل (محمد العبودي الأمثال العامة في نجد ، المطابع الأهلية للاؤفست نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م / ١٩٥٠)

(١) والحشاش، والحطاب، والعامل، والرأس، والدائس، والذارى، والحصاد والشمال (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) الحشاش: بتشديد الشين الأولى من الحش وهو القطع ويطلق على جامع الحشيش الذى هو العشب البرى اليابس وهو اطلاق فصيح الا أنه لدى النجديين يطلق على العشب البرى الأخضر واليابس (الزبيدى : تاج العروس باب السين فصل الحاء ، أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصيح ط (٢) دار الرائد العربى بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٣١) .

(٢) الرأس: من رأس الماء أى نظم ارساله الى الأحواض والسواقي وتسمى المهنة رياسة ، واللفظة فصيحة من رأس السيل الغثاء جمعه واحتمله ، ورأس الشئ ريسا ضبطه وغلبه فالرأس ينظم الماء بعد جمعه فى البركة . (الزبيدى : المصدر السابق باب السين فصل الرأس ، العبودى : المرجع السابق ١٠٦٧ / ٣) .

(٣) الدائس : هو الذى يسوق الدابة التى تقوم بدياسة (أى وطء) القمح والشعير لاستخلاص الحب من سنبله حتى لا تتوقف أو تلقى فضلاتها على الحب ، والغالب أن تكون من البقر الا أنه أشرعن بعض النجديين الدياسة على الحمير وان كان العلماء كرهوا ذلك لنجاستها ، ومما استدرك الزبيدى على الفيروزبادى قوله : " الدوائس هى البقر العوامل فى الدوس " (المنقور المصدر السابق ٢٦ / ١ ، الزبيدى : المصدر السابق باب السين فصل الدال ، العبودى المرجع السابق ٢٧٣ / ١ ، ٤٢٧) .

(٤) الذارى هو الذى يقوم بتعريض القمح ونحوه للريح والقاءه فى الأرض لتنقيته واستخلاص الحب من التبن (الزبيدى : المصدر السابق باب الواو والياء فصل الذال ، العبودى ١٧٦ / ١ ، ١٥٨٦ / ٤) الشمال : بتشديد الميم : بيد وأنها لفظ أخرى للحصاد كالكالف

(٥) والعامل بمعنى واحد قال فى قاموس رد العامى الى الفصيح : " الشمالة عند العامة القبضة من الحصيد يقبضها الحاصد " وقيل فى القاموس " كل قبضة يقبض عليها الحاصد " فهى تعنى القبض عامة أو القبض بالشمال لأن المنجل يكون باليمين ، كما تطلق على شدد اغداق النخلة بقطع من الأكسية لثلاث تنفض ثمرها لان الشمل يطلق على العذق وعلى القليل من الرطب ، كما تطلق على لفظ الرطب من الشماليل وهو الثمر فعلى هذا يمكن اطلاقها على الحصاد ، وعلى العناية بالنخيل بعد حمله ، وعلى جنى ثمرها (الفيروزبادى ، الزبيدى باب اللام فصل الشين ، أحمد رضا : ٣١٢)

والصانع ونحوهم اذا كان الصيام يضعف أحدهم عن معيشة أو بعضها
جاز له التفكير بالأطعام، ولا يقيد الضرر بأن غداه فيه أو عشاءه كما قيل، بل
الضرر كل ما يخل بأمره عن حالته الأولى، وقد سأل رجل رجلا جلد، أو أدهى
أن عليه ديناً، وأنه محترف تصاب، وإذا صام ضعف عن ذلك فأفتاه بالأطعام
وزاد أيضاً: أنه ربما لا يصبر عن النساء، مع أنه يغيب في الأسفار طويلاً
ولا يلحقه ضرر^(١).

وما من شك أن هذه الفئات تعتبر أهم الفئات العاملة في المجتمع
النجدى في تلك الفترة، وتؤدي أدواراً بارزة فيه بل لا تقوم الحياة
الاجتماعية إلا بمهنتهم وأعمالهم سواء في المجالات الزراعية، أو الصناعية
أو سائر المهن الأخرى، فضلاً عن أن بعض تلك الأعمال مرتبط بالبعوض
الآخر بحيث إذا توقف صاحب عمل تعطلت أعمال أخرى يقوم بها غيره، وتشير
هذه الفتوى إلى حرص الفقيه النجدى على أن تكون فتاويه شاملة لأغلب أقاليم
نجد باستعماله الالفاظ التي تنتشر في هذه الأقاليم.

ولقد كان الجراد والدبابة - وهو صغار الجراد - يترك أثراً بالغاً
في المزروعات كافة حيث يقضى بمجموعه على الأخضر واليابس مما تشع معه المواد
الغذائية الزراعية وكذلك الأعلاف، ولهذا فقد أفتى ابن زهلان بجواز ترك
الجمعة والجماعة لمن اضطر للبقاء في مزرعته ليزود الدبابة عن زرعته مع أنه
يمكنه جعل غيره يذود عنه^(٢).

(١) المنقول: المصدر السابق ٧٣/٢، ولعل في لفظة التفكير خطأ مطبعي وصحتها التكفير

(٢) المصدر السابق ١٢٤/١، وهذه الفتوى مستوحاة من الحكم الفقهي الذي يعذر في ترك الجمعة والجماعة لكل مريض وخائف ضياع ماله أو فواته أو مال متحفظ عليه (منصور البهوتي: شرح المنتهى ٢١٩/١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب: آداب المشي إلى الصلاة مطبوعة ضمن المجلد الثاني من القسم الثاني من الفقه، مطابع الرياض نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ص ٢٨) .

ومن أوضح الأمثلة التاريخية في هذا المجال ما حدث في أوأخر رمضان عام ١١٠٧هـ/أواخر إبريل ١٦٩٦م حينما غزا الشريف سعد بن زيد نجدا وحاصر أشيقر وطلب أن يخرج إليه الشيخ أحمد القصير وابنيه محمد وتلميذه الشيخ حسن أبا حسين - ربما لكونهم أبرز علمائها في حينه - فخرجوا إليه فحبسهم ، وكانت سنابل القمح قد أبيضت وحبان حصدها وخاف أهل أشيقر من اتلاف الشريف لها أو أخذها ، ولاشتداد الحرق فقد أفتى الشيخ القصير أهل البلدة بالفطر في رمضان تقوية لهم حتى يتمكنوا من حصد الزرع بمدة وجيزة فأخذوا يطألون الشريف فترة الحصاد حتى أحرقوا شجرة زروعهم قبل أن يتمكن منهم واستطاعوا بسبب ذلك الصعود أمام الحصار فامتنعوا عن تنفيذ مطلب الشريف الذي تضرر من طول الحصار فرحل ولم يتمكن من تحقيق شيء مما أراد .^(١)

هذا عرض لأحداث الواقعة كما وردت في بعض مصادر تاريخ نجد ، على أن هناك رواية أخرى للحدث تذكر أن أهل أشيقر قد لبوا مطالب الشريف التي ربما كان منها كمية من القمح ، وبينما لا تذكر الرواية السابقة كيف تم إطلاق سراح الشيخ القصير ومرافقيه ورحيل الشريف تشير هذه الرواية أن ذلك كان بعد تحقيق مطالبه أو شيء منها^(٢) ، ومعلوم أن من أهداف الغزوات الشريفية على نجد الحصول على كميات من القمح والتمر ، وفرض نوع من الولاية السياسي لشرافة مكة .

(١) هو الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نبي ولد بمكة سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م وولي شرافتها بعد وفاته والده ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م بعد أن تقلب على بعض الأشراف ، ثم وقعت بينه وبين أخيه أحمد فتن حول الشرافة ، وتولى عزل أربع مرات إلى أن استقرت له سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٤م ثم تنازل عنها لابنه سعيد الذي ثار عليه الأشراف فقاتلهم سعد حتى قتل سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م (أحمد زكي دحلان : خلاصة الكلام ٨٠٠ ، ٨٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤١ - ١٤٤ ، الزركلي : الأعلام ١٣٤/٣ ، ١٣٥) .

(٢) ابن يوسف حوادث عام ١١٠٧هـ ، وحددها بيوم ٢١ رمضان من السنة الموافق ٢٥ إبريل عام ١٦٩٦م ويؤكد فيها حبس الشريف للشيخ القصير ومرافقيه ، وانظر ابن بشر ٢/٢٢٢ ، البسام : علماء نجد ٢١٧/١ ، ٢١٨ ، ويبدو أنهم قد نووا تأجيل الحصاد إلى ما بعد رمضان لولا مداهمة الشريف لهم .

(٣) البسام : تحفة المشتاق ورقة ٨٦ .

والمهم هنا رغم اختلاف الروايتين في عرض بعض أحداث تلك الواقعة هو هذه الفتوى التي تدل على وعي فقهي من الشيخ القصير وتنم عن ادراك لأوضاع إحدى الفئات العاملة المهمة في نجد في تلك الفترة وهي فئة الحصاد^(١) خاصة في ذلك الجو الحار، وهذا الحصار المضروب عليهم من قبل الشريف، وهذه الفتوى في الواقع ما هي الا تطبيق للحكم الفقهي بجواز الفطر لمن احتاج اليه للتقوى به على الجهاد في سبيل الله سواء قصد العدو، أم داهمه ذلك العدو في بلده، وما من شك أن الشيخ القصير على معرفة بالحديث الذي يدل على ذلك، وهو لم باجتهادات واختيارات بعض المحققين من سلف هذه الأمة^(٢).

٣- بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع النجدي :

لم يكن علماء نجد قبل الدعوة بمنأى عن المؤثرات الاجتماعية الهامة التي تحدث في المجتمع النجدي نتيجة احتكاكه بالمجتمعات المجاورة وربما

(١) وتجدر الإشارة هنا أن أغلب أهل نجد كانوا يتحولون الى حُصَّاد فترة اشتداد الحب في سنبله.

(٢) روى الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وكان ذلك عام الفتح - ونحن صيام قال : فنزلنا منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فكانت رخصة فمننا من صام ومننا من أفطرم نزلنا منزلا آخر فقال : انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة فأفطرننا " قال الشيخ محمد العثيمين : " وفي هذا الحديث ايحاء الى أن القوة على القتال سبب مستقل غير السفر لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل علة الأمر بالفطر القوة على قتال العدو ودون السفر ولذلك لم يأمرهم بالفطر في المنزل الأول " ، ورغم أن ظاهر هذا الحديث ينصب على الفطر لمن قصد العدو فإنه يمكن الاستدلال به كذلك لمن داهمه العدو في بلده وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . (صحيح مسلم بشرح النووي : ط (١) دار احياء التراث العربى . بيروت ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م ٢٣٦ / ٧ ، ابن القيم : زاد المعاد ١ / ١٦١ ، محمد العثيمين : المرجع السابق ٥٨)

غير المجاورة أحيانا سواء المؤثرات التي ليس فيها ضرر على المجتمع أم تلك التي يمكن أن يتضرر منها ، ولم يكن علماء نجد بدعا في هذه الناحية فمثلهم كمثل العلماء في أى منطقة حينما يتطرقون لأى عادة أو مظهر اجتماعى جديد .

ورغم أنه يمكن أن يوصف المجتمع النجدى بالانغلاق بشكل عام إلا أنه في الحقيقة قد تأثر ببعض المجتمعات عن طريق اكتسابه لبعض عاداتها وتقاليدها ، كما أثر أحيانا ببعض مظاهر الحياة الاجتماعية بتلك المجتمعات ، وكان ذلك يتم عبر الرحيل الفردى أو الأسرى الدائم أو المؤقت وخاصة في المجالات العلمية والتجارية .

وكانت أبرز العادات التي اكتسبها المجتمع النجدى نتيجة احتكاكه بتلك المجتمعات ، وكان لعلماء نجد في تلك الفترة بعض التقريرات والفتاوى حولها هما :

١- عادة شرب القهوة .

ب- عادة التدخين .

١- عادة شرب القهوة :

ذكر المنقور أن عادة شرب القهوة قد بدأت في الانتشار في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، وأن العلماء اختلفوا حولها بين محلل ومحرم شأن أى عادة جديدة لم تألفها الشعوب ، ولم يتبين حقيقتها المفكرون والعلماء^(١) .

(١) الفواكه العديدة ٢ / ٨٥ ، بينما نقل في ١ / ٤١٠ عن ابن حجر المكي أن هذا المشروب قد بدأ انتشاره قبيل القرن العاشر ، وأنه يتخذ من قشرة حبة البن وليس من لبها ، كما اشتهر بعد ذلك علما أنه لا يزال بعض الذين يشربونه يتخذون ذلك من القشرة فقط .

ويذكر بعض مؤرخي هذا القرن أن أبا بكر العيدروس من أوائل من اتخذ القهوة كمشروب تنشيطا له على العبادة حتى انتشرت في بلاد اليمن ثم الحجاز فالشام ومصر حتى عمت مختلف البلد^(١)، وكثر الجدل حولها وكانت شبهات المحرمين لها اشتباهاها بالخمر، والاجتماع عليها مــــــع آلات اللهو ولعب الميسر، والساسة كانوا يذكرون ذلك لما كان يدور في اجتماعاتها من نقاش سياسي حتى صدرت الأوامر السلطانية العثمانية بإبطالها من الأقطار، فلما ثبت بالتجربة عدم ضررها رجع كثير ممن حرمها عن رأيه إلا أنهم اشترطوا أن لا يصاحب تعاطيها للشبهات السابقة، وبقي قسم قليل من العلماء يرى حرمتها وقسم يرى كراهتها^(٢)، ثم أن اجتمع علماء المسلمين قد انعقد على جواز شربها من غير انكار وهذا ما ساعد على انتشارها في أنحاء العالم الاسلامي^(٣).

- (١) نجم الدين الفزى : الكواكب السائرة ١١٤/١ والعيدروس سبقته ترجمته في الفصل الأول من الباب الأول ، وقد ذكر بعض الباحثين ان الطبيب الرازي (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م) قد ذكر البن في كتابه الحاوى وذكر هو لفرتيز في كتابه (اليمن من الباب الخلفى) ٢٥ ، ٢٠٦ ، أن العرب قد عرفوا البن قبل الاسلام وسعده ، وكان في تلك الفترة يدخل في نطاق التجارة مع اليمن ، ولعل اسمها اللاتيني كافيا أرابيكا يؤكد أن المغرب قد عرفها عن طريق العرب
- (٢) بينما كان هناك قسم لم يكف باباحتها بل رأى أنها تعين على السهر في العبادات ولذا فشرها قرية لانه يعين على عبادة .
- (المنقور : المصدر السابق ٤١١/١ ، ٤١٢) .
- (٣) من أبرز من قام برصد انتشار هذه العادة وردود العلماء حولها الفزى في كتابه الكواكب السائرة حيث ضمن أغلب تراجم العلماء في هذا الكتاب آراءهم وأقوالهم وأشعارهم في شرب القهوة ، ومن أبرز من حرمها كبير علماء مصر في وقته الشيخ أحمد بن عبدالحق السنباطى (ت ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) حيث ذمه ومن تابعه على رأيه أحد المكيين بقوله :

حرموا القهوة ظلما زاداهم ظلما ومقتا
ان طلبت النص قالوا : ابن عبد الحق أفتى

ويبدو من ذكر الشيخ المنقور لتاريخ انتشار هذه العادة في هذا القرن أن نجدا قد عرفتها تدريجيا فيه كذلك متأثرة في ذلك بمصدر انتشار هذه العادة وهو اليمن، أو مكة، أو غيرها من الأقطار التي كان لبعض النجديين احتكاكا بأهلها .

كما يمكن الاستفادة من عرض المنقور لآراء العلماء أن الفقهاء النجديين قد نحوا منحى أساتذتهم وزملائهم في البلدان المجاورة في إباحة هذا المشروب، وهذا ما ساعد على انتشاره في المنطقة بين حاضرتهم وإباديتها على حد سواء حيث أصبح لدى الفريقين عنوانا بارزا لكسب الضيافة، وقد ألف بعض العلماء النجديين حول هذه العادة رسائل صغيرة تؤكد على هذا الجانب، ومن أبرز من وصل إلينا خبر تأليفهم تلك الشيخ عثمان بن قائد حيث وضع رسالة صغيرة في حل القهوة^(١).

(=) ومن يرى إباحتها بل استحبابها الشيخ علي بن محمد الشامي المدني (ت ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م) حيث قال عنها :
والصفا في شربها مع فقيسه أخلصوا التقوى وشدوا العثرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجي بخشوع ودموع المقلتين
ومن أشار إلى استقرار الأمور حولها بالإباحة حتى غدت عادة الشاعر إبراهيم بن البلط من شعراء القرن العاشر حيث قال :
أرى قهوة البن في عصرنا على شربها الناس قد أجمعوا
وصارت لشرابها عادة فليست تضر ولا تنفع
ومن ألف فيها الزبيدي صاحب تاج العروس حيث وضع رسالة سماها (تحفة بنى الزمن في حكم قهوة اليمن) (الغزى ١ / ١١٤ ، ٢ / ١٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣ / ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، المنقور ١ / ٤١٠ - ٤١٣ ، ٢ / ٨٥ ، ٨٦ ، الزبيدي : التاج ١٠ / ٣٠٨) .

(١) عثمان بن قائد : هداية الراغب ص ٥٧٧ من مقدمة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ ، عبد الله البسام : علماء نجد ٣ / ٦٨٥ ، محمد القاضي : روضة الناظرين ٢ / ٧٠ .

ب- عادة التدخين : (١)

أورد المنقور نقلا عن أحد العلماء أن العالم الاسلامي قد عـرف هذه العادة في حدود ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م حيث أدخله الى أرض المغرب يهودى يدعى الطب ثم أدخله الى تركيا رجل نصراني ثم جلب الى مصر والحجاز عن طريق حجاج المغرب والهند وغيرهم، إلا أن المنقور نفسه قد نقل عن الشيخ ابن عطوة عرضا لبعض آراء العلماء المحرمين له مما يدل على ظهوره في العالم الاسلامي قبل ذلك التاريخ، وذكر أحد المؤرخين أن ظهور هذه العادة قد بدأ عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م، ويبدو أن الرأي الأول والثالث كان لتأريخ انتشاره وظهوره بشكل واسع، بينما ما نقله المنقور عن ابن عطوة إنما هو لبيدات معرفة العالم الاسلامي به. (٢)

(١) يطلق على الدخان عدة أسماء منها التتن وهي محرفة من توتون التركية بمعنى الدخان عامة ثم قصرت على التبغ لأن الدخان أهم سمة فيه، ومنها الطباق وهي لفظة عربية ولعل ذلك لأن أوراقها مطبوقة بعضها على بعض، ومنها التنباك قيل أخذتها التركية والفارسية من الطباق، وقيل أخذتها التركية من الهندية باسم طومباق، وقيل أخذتها التركية من الايطالية بصيغة تنباكو وقيل أنها أخذت من النطق الفرنسي لتبغ، ومن اسمائه طابه ويبدو أنها أصل التبغ وكل هذه التسميات عدا التتن والدخان ترجع في أصلها الى الطباق (المنقور ١٢ / ٨١، الزبيدي : هديفة الاخوان في شجرة الدخان، رسالة نشرت في مجلة العرب ج ٢١ ص ١١ ص ١١٨-١٢٠، وأحمد السعيد سليمان : "تأصيل ماورد في الجبرتي من الدخيل" مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية العدد ٦ / سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ٢٠٥، ٢٠٨، د. كرمسي : الدخينة في نظر طبيب، مطابع الاصفهاني جدة نشر مكتبة المعارف، الطائف ص ١٠٨) .

(٢) المنقور ٢ / ٧٨، ٨٠، عمر الوردى : تنقطة المختصر في أخبار البشر تحقيق أحمد البدرأوى ط (١) نشر دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ١١ / ٢ من فقرة في آخره ليست من تأليف ابن الوردى المتوفى سنة ٧٥٠هـ / ٣٤٩م، وقد ذكر الزبيدي أن انتشارها كان في أواخر القرن العاشر، كما ذكر الشيخ حمد الحاسر أنها انتشرت منذ القرن الحادى عشر (مجلة العرب، العدد السابق، ١٦، (١٢٠٠)) وأخ انتشاره بعضهم بحساب الجمل (يوم تاتي السماء) التي تبلى القسا (د. محمود نسيمي : حقائق من مزار التبغ والتدخين، مجلة حضارة الاسلام دمشق ع ٧ ص ١٦ رمضان ١٣٩٥، ص ٥٢) .

وقد ثار جدال فقهي واسع حول هذه العادة كما حصل ———
العادة السابقة الا أن قسما كبيرا من علماء المسلمين قد أكد حرمة هذا
المشروب الضار وبعضهم قد توقف في الحرمة مؤكدا على الكراهة ولم يميل
الى الاباحة الا عدد محدود من هؤلاء العلماء^(١).

ويبدو أن منطقة نجد قد عرفت هذه العادة اما عن طريق الحجاز
التي انتشرت فيها عن طريق الاستجلاب والانبثاق، أو عن طريق منطقة
الخليج والعراق والشام التي يذهب النجديون اليها للعمل والاستيلاء^(٢).

أما علماء نجد فقد كان عمدتهم في القرن العاشر الشيخ أحمد بن
عطوة ينظر الى الدخان نظرة تحريم اذ نقل المنقور من خطه عرضا لآراء كبار
علماء المذاهب الأربعة في مختلف البلدان الاسلامية الذين أكدوا على تحريمه
وقد بين ابن عطوة أن ثبوت تحريمه لدى هؤلاء العلماء انما لما تقرر لدى
أطباء تلك الفترة من ثبوت أضراره، ونقل عن علماء آخرين عدم جواز امامة
من يشربه، بل عدم جواز دخوله المسجد لأنه أولى بذلك من أكل البصل
أو الثوم اللذين ثبت منع حضور آكلهما للمسجد، كما أكد هؤلاء العلماء^(٣)
على عدم جواز الاتجار به.

(١) أورد المنقور عددا من علماء البلدان المجاورة الذين حرّموه
والذين أباحوه والذين كرهوه والذين توقفوا فيه، كما ذكر
الزبيدي بعض الذين أباحوه وعرض آراء لمن حرّمه، ومن ألف فيه
امام الحرم المكي عبد القادر بن محمد الحسيني الطبري (ت ١٠٣٣ هـ
١٦٢٤ م) في رسالته: "رفع الاشتباك عن تناول التنباك" ذكر
فيها أنواعه وأسعارها ويبدو أنه من المبيحين له، ومن حرّمه
وألف فيه الشيخ ابراهيم بن ابراهيم اللقاني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)
ورسالته فيه عنوانها نصيحة الاخوان باجتنب الدخان المنقور
١٣/٢٠٤١٣، ٧٨-٨٧، مجلة العرب العدد السابق ١٢٤، ١٢٨ -

(٢) المنقور ١٣/٢٠٤١٣، ٨١، جاكين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدري
قلعجي نشر دار الكاتب العربي بيروت ومكتبة النهضة بغداد ص
٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) المنقور ١٣/٧٨، ٧٩

(١) وقد ذكر ابن ذهلان أن ظاهر كلام الشيخ مرعى بن يوسف باحق التمدخين
 أما الشيخ منصور البهواتى فيرى كراهته^(٢)، ثم قال بعد عرض هذين
 الرأيين: "والظاهر أن الكراهة لاشك فيها، والتحريم ففيه شك، لأن اسكاه
 من حيثية الدخان، بتضييق المسام، لا من شيء فيه، ومعلوم أن كل من شرب
 دخانا كائنا ما كان، أسكره بمعنى أشرقه، وأذهب عقله بتضييق أنفاسه
 ومسامه عليه، لاسكر اللذة والطرب^(٣)، وظاهر كلام ابن ذهلان أنه ينظر
 إلى الدخان نظرة كراهة بينما توقف في التحريم على عكس رأى ابن عطوة، أما
 المنقور فكان وسطا بين رأى شيخه ورأى ابن عطوة، حيث قال فى نهايته
 عرضه لآراء بعض العلماء داخل نجد وخارجها: (الذى تحرر لنا فيه أنه
 إلى التحريم أقرب، والكراهة فلا شك فيها، والله أعلم)^(٤).

ويبدو أن الشيخ عبد الله بن عقيب كان من المؤيدين لتحريمه
 لما فيه من أضرار جسمية ومالية، وقد ألف فى هذا الموضوع رسالة أكد فيها
 على هذا الرأى الذى تابع فيه عمد المذاهب الأربعة خارج نجد، وعمدة
 علماء نجد ابن عطوة وقد سعى هذه الرسالة (الأفعى اللادعة)^(٥).

(١) وذلك فى كتابه المسمى: "تحقيق البرهان فى شأن الدخان الذى
 يشربه الناس الآن" (ابن حميد السحب الوابلة ٣٠٥) وترجمته
 سبقت فى الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) وذلك فى كتابه آداب النساء (المنقور ٨٠/٢) وترجمة الشيخ
 منصور سبقت فى الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) المنقور ٨٠/٢

(٤) المصدر السابق ٨٧/٢

(٥) أشار ابن حميد إلى هذه الرسالة ولم يذكر اسمها بل اكتفى بذكر
 موضوعها وهو تحريم الدخان، أما ابن ضويان فذكر أن اسمها
 "الأفعى اللادعة" وأنها فى تحريم التباك، وذكر البسام والقاضي
 أن اسمها الأفعى فقط (ابن حميد ١٥٤، ابن ضويان: رفع
 النقاب ٧١، البسام ٥٢٠/٢، القاضي ٢١٥/١).

وبعد الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من الذين يرون تحريم التدخين وله في هذا الموضوع قصيدة تصل الى ثلاثين بيتاً شدد فيها^(١) النكير على المدخنين والمبيحين لهم هذه العادة، مشنعا على مظاهرها ممارستها، وقد قال في مطلع هذه القصيدة:

يا مولعا بدخان النار يشربه ويدعى الحل فيه هات برهاناً
أورد عليه دليلاً كي تحلله لاسفسطات وتغليطاً وبهتاناً^(٢)

ومن المعتقد أن موقف علماء نجد قبل الدعوة من هاتين العادتين كان من أهم العوامل الرئيسة وراء انتشار العادة الأولى في أوساط النجديين حاضرة وبادية، وقلة الممارسين الثانية عند الحضر عنها لدى البدو وهذا ما ساعد الدعوة بعد ذلك على تبني هذا الموقف اباحة ودعمه للأولى وتحريماً للثانية، ومعاقبة للممارسين لها علانية.^(٣)

-
- (١) أورد الشيخ عبد الله البسام في كتابه: علماء نجد ٢/ ٥٠٣ هذين البيتين وهما مطلع القصيدة كما نقل عن الشيخ عبد الرحمن الانصاري في كتابه "تحفة الانساب فيما للمدنيين من الأنساب" أن للشيخ عبد الله قصيدة فريدة في ذم الدخان وشربه، ثم كرم الأخ عبدالعزيز ابن عبد الرحمن الدهش أحد طلاب المستوى الرابع من قسم الحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٧ هـ، كرم بالسماح لي بتصوير هذه القصيدة مع بعض الرسائل والأوراق المخطوطة وتقع في ٢٩ بيتاً وهي باسم عبد الله بن إبراهيم المالكي ويبدو أنه خطأ من الناسخ إذ أن الشيخ عبد الله حنبلي المذهب، والقصيدة في ورقتين من القطع المتوسط. وردت بعض كلمات البيتين عند البسام بالصيغ التالية: يشربه وردت تشربه، ويدعى: تدعى، لاسفسطات: لا فلسفات.
- (٢) أثر عن أئمة الدولة السعودية بناءً على اباحة وتشجيع علماء الدعوة لشرب القهوة أنهم كانوا يرسلون أكياس البن أو قيمتها للمساجد والنواحي والبوادي، كما أثر عنهم معاقبة المدخنين علناً بناءً على تحريم العلماء للدخان مع الحرص على عدم التجسس في مكافحة هذا المشروب، حيث تصل عقوبته الى أربعين جلدة أو أكثر أو أقل.

والواقع أن علماء نجد في تلك الفترة قد نظروا في الكثير من العادات السائدة في المجتمع سواء تلك المتأصلة فيه أو المكتسبة على نحو يتفق مع العرف السائد ولا يتعارض مع أصل من أصول الشرع، ومن الأمثلة على ذلك ما اعتاده أهل نجد في إعطاء أمراء بلدانهم مكوسا تحت ضغط من هؤلاء الأمراء، فلم يطلب علماء نجد من العامة رفض ذلك حتى لا يصطدموا بهؤلاء الأمراء ولكنهم لم يجيزوا دفعها بهذه الطريقة فأنفتوا للناس بجواز أن يكون ما أخذه الأمير باسم المكس زكاة وتسقط ولو لم تكن على صفتها، مؤكداً لهم في فتوى ثانية أنه يجوز دفع الزكاة لأمراء البلدان النجدية في هذه الفترة بلا تردد ولو استخدمها هؤلاء الأمراء في متطلبات الضيافة والدفاع أو ما شابه ذلك^(١).

٤- جهود العلماء الإصلاحية في المجتمع:

لم يكن علماء نجد في تلك الفترة سلبيين تجاه بعض قضايا المجتمع التي تتطلب تدخلهم فيها، ولهذا فقد قام بعضهم بواجبهم في إصلاح ذات البين، والحيلولة دون استفحال بعض مظاهر التعدي والظلم سواء بين عامة الناس أو ما قد يأتي من أمراء البلدان النجدية، أم من زعماء المناطق المجاورة الذين يغزون نجداً بين الفترة والأخرى.

(=) أو عقوبات تعزيرية أخرى. (ابن بشر ١/١٧٣، ٢٣٠) ابن قاسم الدرر السنية ٤/٤٥٣، ٤٥٤، جان ريموند مذكرات في أصل الوهابيين مترجم إلى العربية ومطبوع على الآلة الكاتبة ص ٣، جوهان لودفيج بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين ترجمة د. عبد الله الصالح العشيمين ط (١) شركة العبيكان. الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٩٤ حيث وردت قصة المرأة التي وجدت تدخن الغليون في تقرير ريموند وكتاب بوركهارت بصيغة واحدة). وانظر رسالة الماجستير للباحث ٤٤٨ - ٤٥١ .
(١) المنقور: المصدر السابق ١/١٥٤، ١٥٩

ورغم أن تلك الاعمال لم تكن بقوة التأثير التي كان لها بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رفعت من مكانة العلماء في المجتمع، كما سبق، إلا أن تلك الجهود كانت - على محدوديتها - عاملاً أسهم في تخفيف قسوة بعض الظروف في مختلف مجالات الحياة، وامتداداً طبيعياً لما كان يقوم به الأئمة والعلماء المسلمون عبر مراحل التاريخ الاسلامي في النصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

ولقد تمثل قيام هؤلاء العلماء بتلك الاعمال الاصلاحية في بعض الأحداث التاريخية التي كانوا فيها زعماء الاصلاح، ومسكتي الفتن، والتي هي من ناحية أخرى تشير الى استثمار جيد من هؤلاء العلماء لمكانتهم في المجتمع في تحقيق قدر لا بأس به من التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع وفئاته، وفي اشاعة روح الاهتمام باصلاح ذات البين لدى عامة الناس وخاصتهم.

ومن أوضح الأحداث التاريخية التي قام بها بعض علماء نجد في هذا المجال ما حدث عام ١٠٥٦ هـ حينما عزا الشريف أحمد بن محمد الحارث^(١) ^(٢)

-
- (١) يوافق أولها ١٧/٢/١٦٤٦م
(٢) هو الشريف أحمد بن محمد الحرث أو الحارث بن حسن بن أبي نعي ولاه القائد العثماني في الحجاز حسن باشا شرافة مكة نكابة بالشريف القائم سعد بن زيد، وكان الشريف أحمد مقيماً في المدينة وغيسر راغب في منازعة الشريف سعد وأكد ذلك في جواب رسالة بعثها له الشريف سعد، وكان له دور في تهدئة الأوضاع بين الشريف سعد والقائد العثماني حسن باشا - يلقب بشريف نجد - توفي في مكة عام ١٠٨٥ هـ/١٦٧٤م (أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ٦١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٤ وقد أورد اسمه الحارث والحرث، كما نسبته في إحدى الصفحات الى الحسين بن أبي نعي، ويبدو أنه خطأ مطبعي، المنقور ٤٦ وقد أورد اسمه أحمد الحارث، ابن ربيعة ٦٢، وذكر اسمه الحارث فقط، ابن بشمر

(١)

نجدا ونزل في بلدة ثرمدا^١ رحل اليه الشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل ومن المعتقد أنه قام بمهادنته حتى لا يفتك بأهل ثرمدا^٢، وسواء كان رحيله من ذات نفسه، أم بطلب من أهالي ثرمدا^٣ أم من الشريف أو منها معا، فالمهم أنه أحمد فتنة كادت تشتعل.

(٢)

ويبدو أن الشريف غادر ثرمدا^٤ نتيجة هذه الوساطة.

وقد قام الشيخ سليمان بن علي باصلاح ذات البين بين عبد الله ابن أحمد بن معمر أمير العيينة وأهل البير^(٣)، ففي سنة ١٠٧٢ غـزـا^(٤)

(=) ٢٠٨/٢، ٢١٠، وذكر اسمه محمد الحارث، وقد رجح استيلاؤي المشرف أن المقصود به ابنه أحمد في تعليقه على الحدث عند ابن ربيعة على أساس أن محمد الحارث أن لم يكن قد توفي فقد أسس وأصبح غير قادر على الغزو، وذكر ابن بشر ٢١٣/٢ كذلك وفاته نقلا عن العصامي سنة ١١٨٥هـ).

(١) ثرمدا^١ : بفتح الثاء والميم قال عنها البكري : قرية بالوشم وهي خيرة أو خيرة واليه تنتهي أودية جمعا^٢، وذكر ياقوت عن ابن الأزهري أنها ماء لبني سعيد من تميم وأنه ورده ويستقي منه بالعقال لقربه، وقال نصر : هو خير موضع بالوشم، وتقع ثرمدا^٣ بين اثنية من الشمال الغربي، وبين مرأة من الجنوب الشرقي، ويحفها طريق الحجاز القديم من الناحية الغربية، ولا تزال لبني سعد اذ المناقر من بني سعد، وتعد أقوى بلدان الوشم سياسيا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويرز منها العالم الجليل عبد الله العنقري. (البكري : معجم ما استجسم ١/٣٢٩، ٣٤٠، ياقوت ٢/٧٦، الهمداني : صفة جزيرة العرب ١/٣٠٩، ٣١٠، ابن بليهد : صحيح الأخبار ٢/١٨٤، ١٨٩، ١٩٠، قبل الذكير : الورقات ١٧٠، ١٧١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، عبد الله بن خميس معجم اليمامة ١/٢٢٧، ٢٣٣، المجاز بين اليمامة والحجاز ٥٣، ٥٤).

(٢) بينما يذكر المنقور ص ٤٦ أن هذه القصة كانت في ثرمدا^١، ووافق ابن بشر ٢٠٨/٢، فإن ابن ربيعة قد ذكر ص ٦٢ أن الحارث حاصر أشيقر وخرج له الشيخ محمد بن اسماعيل، وانظر تاريخ ابن عباد حوادث تلك السنة.

(٣) البير : تخفيف البئر احدى بلدان المحمل ويقع بين ثادق والصفراء على وادي البير المنحدر من الهزوم، وأول من ابتدا العمران به ال سيف من العربيات رحلوا اليه من العطار إلى أن اخذه منهم ال حنيحن من الدواسر فزادوا في عمارته عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م، وأصبح أكثر سكانها من الدواسر من ال حنيحن وال عوسجه وجاورهم أسر من بني خالد وعنزة وقحطان وغيرهم.

(ابن بشر ٢/١٩٦، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ابن عيسى ٥٠، ٦٠، ٧٢، ٨٦، ٩٠، ابن بليهد ١١٩/٥، ابن خميس ١/١٩٢، ١٩٣).

(٤) يوافق أولهما ٢٧/٨/١٦٦١م

هذا الأمير البير بجنود كثيرة بسبب أخذ أهل البير لقافلة تجارية
لأهل العيينة قادمة من الأحساء رداً على أخذ ابن معمر لبعض أهل
البير التي يستخذمونها في نضح الماء ، ولاكتاره من غزوهم ، وكانت هذه
الغزوة بكثرة جنودها وعتادها أكبر الغزوات بين الفريقين ، وكادت تحصل
مقتلة كبيرة بسببها لولا تدخل الشيخ سليمان الذي أصلح بين الفئتين
وعاد ابن معمر إلى بلده ، وسواء كان خروج الشيخ سليمان مع الجيش
العيني برغبة من ابن معمر ، أو من الشيخ سليمان نفسه فإن هذا الخروج
كان للحيلولة دون مجاوزة ابن معمر للحد الشرعي في العقاب لو حصل
قتال ، إلا أن الشيخ سليمان استطاع إنهاء النزاع قبل ذلك^(١).

ومما يندرج تحت هذا الموضوع ما قام به الشيخ عبد الله بن عضيـب
من تخفيف آثار خلاف وقع بين أمير عنيزة - ولعله فوزان بن حميدان - وبين
بعض عشيرته ، إذ يبدو أن الأمير طلب منه تأييده في هذا الخلاف ، فما كان
من الشيخ عبد الله إلا أن غضب على الأمير ، وأراد الخروج من عنيزة
وقال للأمير : " أجئت بي للفتن " مشيراً إلى طلب هذا الأمير وأعيان عنيزة
منه القدوم إليها لنشر العلم ، وحاول الإصلاح فيما بينهم إلا أنه لم يستطع
فغضب لذلك وهم بالرحيل عنهم فاسترضاه الأمير وأكابر البلد بقبول وساطته
في إصلاح ذات بينهم ، واختار فتنة كادت تستفحل أخطارها^(٢).

- (١) المنقور ٥١ ، ابن ربيعة ٦٥ ، الفاخرى ٧٣ ، ابن بشر ٢٠٩/٢ ، ابن
عيسى ٦٠ ، البسام : تحفة المشتاق ورقة ٧٠ ، مقبل الذكر : المرجع
السابق ١٠٣ ، ويذكر بعض هؤلاء المؤرخين عاملاً مهماً ساعد الشيخ
سليمان في مهمته الإصلاحية تلك وهي سقوط جدار على جنـد ابن
معمر فمات عدد كبير منهم ، ويتداول أهل المحمل مثلاً يدعون به
على من يكرهون حيث يقولون : " لعلك جمشة البير " والجمشة
تطلق على ما يتبقى من قديم البناء الطيني ، كما تطلق على القطع
اليابسة من الطين ولها أصل فصيح .
(القاموس ، والتاج باب الشين فصل الجيم ، أحمد رضا : المرجع
السابق ١٠٦ ، ١٠٧ ، ابن خميس : المرجع السابق ١/١٩٣) .
(٢) ابن حميد : المصدر السابق ١٥٣ ، البسام : علماء نجد ١٨/٢

ان هذه الأحداث ما هي الا أمثلة لبعض جهود علماء نجد قبل الدعوة في اصلاح ذات البين ، وتجنب المجتمع النجدي شرور فتن قد تأتي من أمير محلي ، أو زعيم لاحدى القرى المجاورة ، أو بين سائر فئات المجتمع ومن المعتقد وجود أحداث أخرى تؤكد هذا الجانب وتوضحه الا أنها قد فقدت في إطار الشح العام الذى يكتنف التاريخ النجدي ، كما أن من المعتقد قيام علماء تلك الفترة بالتأكيد على هذا الجانب في تقاريراتهم وفتاويهم ووعظياتهم وأحكامهم الفقهية .

هـ - مساهمة العلماء في سبل الخير :

وفي نطاق تفاعل علماء نجد مع قضايا المجتمع وحاجاته الأساسية فقد ساهم كثير منهم مساهمة فعالة في سبل الخير التي كانت عاملا مهما أسهم في تخفيف قسوة الظروف العامة في تلك الفترة .

ولما كانت الأوقاف الشخصية ذات المردود العام ، وكذلك الوصايا هي أبرز سبل الخير في المجتمع النجدي ، فقد كانت مشاركة العلماء فيها بارزة انسجاما مع الاهتمام العام في ذلك ، وتشجيعا من هؤلاء العلماء لهذا الجانب الخير في المجتمع .

ولئن كانت مساهمة العلماء في الأوقاف العلمية الخاصة والعامة تنسجم مع اهتمامهم بتشجيع الحركة العلمية في المنطقة ، فهذا شئ طبيعي لأنهم رواد هذه الحركة والمستفيدون المباشرون من هذه الأوقاف ، الا أن ما قاموا به في مجال الأوقاف العامة يؤكد على تبنى هؤلاء العلماء لأعمال الخير في المجتمع وتوسيع مجالاتها ، وتوجيهها نحو الهدف الأسمى وهو احتساب الأجر من الله عز وجل ، وهذا كليل بأن يكثر من المشاركين في أعمال الخير ، ويجعلهم يطرقون سبلها المتعددة .

وقد تمثلت مساهمات العلماء لتشجيع أعمال الخير في تلك التقارير والفتاوى الفقهية التي تنظم الأوقاف الشخصية والوصايا سواء كان

ذلك عن طريق اجتهداتهم الشخصية أم بالاعتماد على المشهور من المذهب الحنبلي وآراء أحد مجتهديه أم بالاستفادة من آراء أئمة المذاهب السنية الأخرى السابقين والمعاصرين ، كما تمثلت هذه المساهمات في قيام بعض العلماء ببذل شئ من أموالهم المنقولة وغير المنقولة في سبيل الخير العام .

ولما كان إيقاف النخل والقمح من أبرز مجالات الأوقاف العلمية والعامّة لما له من آثار واضحة في دفع غائلة الجوع التي كانت تضيق بخناقها على النجديين كثيرا في تلك الفترة ، لكل هذا فقد حرص الفقهاء النجديون على تنظيم هذا المجال بما يكفل له الاستمرار في تأدية مهامه الخيرة في المجتمع .

ومن مظاهر ذلك الحرص توجيه هؤلاء الفقهاء بالاستفادة من فوائد النخل الموقوف بما يحقق مصلحة الوقف ، سواء كان ذلك بفقرسها في مكان آخر ولو لم تثمر الا بعد مدة ، أو تباع ويشترى بثمنها نخلة أو بعض نخلة تصرف مصرف الوقف كما قرر ذلك الشيخان سليمان بن علي ، ومحمد بن اسماعيل ، ووافقهما عليه الشيخ عبد الله بن ذهلان ، لأن هذه الفوائد مرتبطة بالنخلة الأم الموقوفة ، كما أنها في نوع الاثمار تتبعها فهي بأصولها أشبه ، وما من شك أن مثل هذا التنظيم الشرعي قد ساعد على الاكثار من النخل الموقوف ، أو توسيع مجالات الأوقاف في حال بيع هذه الفوائد (١) .

ويبدو أنه قد اشتبه على بعض العامة الذين يوقفون قمحا لتؤكل في مسجد معين في رمضان أو غيره ، اشتبه عليهم استمرار هذا الوقف سواء زرعت الأرض أو لم تزرع ، فأفتى الشيخ ابن ذهلان بأنه إذا لم تزرع الأرض ، وليس فيها نخل يمكن استبدال القمح بثمره ، فلا يخرج ولي الوقف

(١) المنقور: الفواكه ١/٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٩

في قاع البئر زنا بيل التراب كل زنبيل بتمرة، فكان يضع التمر عنده في أسفل البئر، وكلما ملأ زنبيلًا ترابًا وضع عليه تمره لباخذها الصبيان فيجذبوا التراب بعيدا عن فوهة البئر، وقد حصل في إحدى المرات أن سقطت التمرة من الزنبيل بدون علمه فلما وصل الزنبيل للصبيان بدون تمره لم يسألوه عن السبب بل كبوه عليه في البئر، ولا يبعد أن يكونوا قد انفضوا عنه ليقاسمي حفر بقية هذه البئر بنفسه حتى إذا نبع الماء وارتفع صادف أن صار أعسذب ماء في هذه البلدة، فأوقفها موردا للأهالي للشرب والوضوء وسائر الاستعمالات الأخرى، وبقيت منها لأهل هذه البلدة إلى وقت قريب ولا تزال معروفة حتى الآن باسم (القفيفة)^(١)، وهذه المشقة تشير إلى حماسة من الشيخ ابن عضيبي لاتعام هذا المشروع الخيري المهم.^(٢)

ولقد واصل الشيخ ابن عضيبي أسهاماته الواضحة في فعل الخير فما إن رحل من المذنب إلى عنيزة حتى بنى في إحدى محلاتها - مقبر - سكناه - مسجدا بمساعدة من أهل هذه المحلة كما اشترى أرضا أخرى لسكناء وجعل بعضها بستانا حفر فيه بئرا أوقفه للناس، والمعتقد أن يكون قد صرف

(١) القفيفة تصغير قفة بضم الـاول وفتح الثاني مع تشديد هـ، وهى وعاء من الخوص له غطاء أو ليس له غطاء وهى لفظة فصيحة وتعرف في بعض البلدان المجاورة بالقفورة وقد أطلق هذا الاسم على ذلك البئر الذى أصبح فيما بعد إحدى قرى المذنب وتبعد عن مدينة المذنب حوالى كيلين، وقد أوقف عليها فى أوائل القرن الماضى بعض المحسنين أوقافا استمرارا لسقى الماء منها لعذوبته وقد بقيت منها لأهل المذنب حتى عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م ويوجد فيها قصر إمارة المذنب القديم (القاموس والتاج باب الفاء فصل القفاف أحمد رضا : المرجع السابق ٤٧٦، العبودى : المرجع السابق (٢٠٨٠، ٢٠٧٩/٥)

(٢) ابن حميد ١٥٣، البسام : المرجع السابق ١٨/٢، القاضى : المرجع السابق ٣١٤/١ .

(٣) وهى محلة الضبط، وكانت قرية إلى أن أصبحت أحد أحياء عنيزة فى الوقت الحاضر، وتقع إلى الشرق الشمالى من عنيزة القديمة (ابن عيسى ٢٣٣، ٢٣٦ من إضافة الشيخ محمد بن مانع على تاريخه، العبودى : المرجع السابق ٤/١٤٠٣، ١٤٠٤) .

(١)

شيئا من ريع هذا البستان فى أعمال الخير المختلفة .

ولئن كان ماسبق لا يعد وأن يكون أمثلة لمساهمات العلماء فى سبل الخير وتشجيعهم الناس على سلوكها ، فإنها تشير الى تأصل فعل الخير فى المجتمع ، وزاده لدى العلماء حرصهم على تطبيق ما يقرأونه فى كتب السلف الصالح فى هذا المجال ادراكا منهم بضرورة تحقيق القدوة الصالحة فى فعل الخير أمام العامة مهما اكتنفت ذلك من مشاق ، وهذا ما يفسر لنا حماسة الشيخ ابن عثيب فيما قام به رغم قلة ذات يده ، وتعرضه لتلك الصعوبات فى وقفه الأول فى المذنب ، والمؤكد أن تلك التوجيهات الفقهية والاسهامات المادية فى مجال الأوقاف من العلماء كانت عاملا رئيسا وراء انتشار ظاهرة التفانى فى فعل الخير لدى خاصة الناس وعامتهم .

٦- الأثر الاجتماعى للرحلات العلمية :

تعتبر الرحلات العلمية أحد سبل الاتصال الاجتماعى بين نجد والمراكز العلمية خارجها سواء كانت تلك الرحلات فردية أم أسرية ، مؤقتة أم تلتها اقامة دائمة ، إذ أن هذه الرحلات لا بد أن ينجم عنها اختلاط بأهل هذه المناطق وتأثر أو تأثير متبادل بين الفريقين ، كما أن بروز علماء أكفاء من بعض الأسر النجدية كان عاملا مهما أضفى مكانة اجتماعية لتلك الأسر فى البلدان الواصلة اليها مما أدى الى تعلم الناس فيها عليهم ورحيل طلاب العلم من نجد و غيرها للتزود بالعلم على هؤلاء العلماء .

ومن أبرز الأسر العلمية النجدية التى رحلت واستقرت خارجها أسرة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف التى سكنت المدينة وعدت من كبار الأسر العلمية فيها ، وبرز الشيخ عبد الله كأهم عالم نجدى فى المدينة

في الفقه عامة والفرائض على وجه الخصوص حيث تتلمذ عليه عدد من المدنيين ورحل اليه عدد من النجديين من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخلفه في الاهتمام بعلم الفرائض ابنه الشيخ ابراهيم بن عبد الله^(١) الذي فلق والده في هذا المجال حتى عرفت هذه الأسرة في المدينة بآل الفرضي^(٢).

والمهم أن هذه الأسرة قد أصبحت لها مكانة اجتماعية في المدينة منذ أن استقرت فيها واختلطت بالمجتمع المدني مؤثرة ومتأثرة فيه، وأسند الى بعض أفرادها مهمة الآذان في المسجد النبوي، وتلك علامة واضحة على علو مكانة هذه الأسرة في المدينة، هذا فضلا عن أن الشيخ عبد الله وأبناءه كانوا يمارسون مهنة الزراعة، وهي مهنة محببة للمدنيين والنجديين وقد ساعدت هذه المهنة على تقوية مكانتها بين أهل المدينة بما تنفقـه من ريعها في سبل الخير^(٣).

(١) ولد الشيخ ابراهيم في المدينة ونشأ بها وتلمذ على والده علي علماء المدينة والوافدين اليها حتى أدرك أدراكا جيدا في الفقه الحنبلي أهله أن يكون عمدته في الحجاز وتبحر في الحساب والفرائض واشتهر فيه وقصد بالأسئلة من مختلف البلدان وصنف فيه كتابه الجامع "العذب الفاضل لشرح ألبغة الفرائض" وكان يجيد الشعر وخطه جميلا، توفي في المدينة في ١٠/٨/١١٨٩ هـ الموافق ١٣٥٠/١٠/٦ م (ابن حميد ١٢٠١١، البسام ١٣٤/١، ١٣٥) وقد ذكر وفاته في ترجمة والده سنة ١١٩٢ هـ بينما ذكر في ترجمته أن وفاته عام ١١٨٩ هـ وهو ما ذكره ابن حميد ويبدو أن الأول خطأ مطبعي، وانظر القاضي ٣٣/١، ٣٤، ٣١٣).

(٢) ابن حميد ١٢، البسام ١٣٥/١، ٢٠١٣٥/٢، ٥٠٦، ٥٠٤، القاضي في اطلاق هذه التسمية على النجديين على أساس أن نجدا تقع شرق الحجاز.

(٣) ابن حميد ١٢، البسام ٢٩/١، ١٣٤، ١٣٥، ٢٠١٣٥/٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦، القاضي ٣٢٦، ٣١٣/١.

ولعل من أوضح مظاهر اندماج هذه الأسر في المجتمع المدني قيام بعض أفرادها فيما بعد بممارسة بعض المهن التي اشتهرت بها منطقة الحجاز عامة وبرزت بين أبناء المجاورين خاصة ومنها صناعة الكوافي المنقوشة التي توارثها أكثر من شخص في هذه الأسرة^(١).

ويبدو أن من أسباب تتلمذ عدد من النجديين على علماء هذه الأسر مكانتها الاجتماعية تلك اذ من المعتقد أن ينزل هؤلاء التلاميذ في غربتهم ضيوفا على هذه الأسرة طيلة تعلمهم، فالصلة الاقليمية احسدى الصلات التي يمكن أن تتيج للتلاميذ النجديين رفع الكلفة بينهم وبين أفراد هذه الأسرة^(٢)، كما أن من المعتقد أن تستضيف هذه الأسرة بعض النجديين الذين يفدون الى المدينة لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أى غرض آخر، ولهذا فان وجود مثل هذه الأسرة في المدينة كان عامل تسهيل لمن يريد قضاء حاجته من النجديين، وربما عامل جذب لمن أراد من النجديين الاستقرار في المدينة^(٣).

والواقع أن هذه الأسرة كانت حريصة على بقاء صلتها قوية بوطنها الأصلي (نجد) وقد تمثل ذلك في ذكر الشيخ عبد الله بن ابراهيم أن من أسباب اقامته في المدينة هو الاستعداد العلمي وجمع الكتب للعودة الى نجد

-
- (١) البسام: المرجع السابق ٥٠٤/٢
(٢) د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٥
(٣) من الأمثلة على ذلك تسهيل الشيخ عبد الله بن سيف مهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية في تعريفه بالمحدث محمد حياة السندی كما أنه عرف السندی كذلك بالشيخ محمد ومكانته ومكانة أسرته العلمية في نجد مما جعله يستفيد فائدة علمية كبيرة من هذا المحدث اذ يبدو أن تأثيره على حياته العلمية أعمق من تأثير ابن سيف وان كانت معرفته بابن سيف أسبق (ابن بشرر ٢٠/١، د. العثيمين: المرجع السابق ٣٤)

فيروي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوله : " كنت عنده يوماً فقال لي : أتريد أن أريك سلاحاً أعددتَه للمجموعة قلت: نعم فأدخلني منزلاً فيه كتب كثيرة فقال هذا الذي أعددتُه لها " ولكن هذا الشيخ لم يعد إلى المجموعة بل بقي في المدينة حتى توفي فيها^(١).

وقد برزت أسرة علمية أخرى هي أسرة آل فيروز ليس في منطقة الأحساء فقط بل في مناطق أخرى من الخليج ثم العراق بعد ذلك، ومنذ رحيلها من أشيقر^(٢) إلى شرق شبه الجزيرة ونجم هذه الأسرة في علو حيث أصبحت لها مكانة اجتماعية مرموقة في تلك المنطقة تعثلت في وجاهة هذه

(١) ابن بشر ٢٠ / ٢٠، البسام: المرجع السابق ٥٠٣ / ٢، ويسعدو أن هذا الحنين للموطن الأصلي كان يؤدي إلى زيارة المجموعة بين الحين والآخر، كما أنه قد أثر على بعض أحفاده الذين حرصوا على أن يعود بعض الأسر للاستقرار في المجموعة فتشير بعض المراجع إلى أن اثنين من أبناء الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأربعة تولوا قضاء المجموعة إلى أن توفي فيها بينما بقي في المدينة اثنان وتوفي فيها، وهذا يعني أن الأسرة انقسمت إلى قسمين قسم في المدينة، وقسم في نجد (القاضي : المرجع السابق ٣٤ / ١)

(٢) أول من رحل من هذه الأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المولود في أشيقر سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م، وليس من المؤكد هل كان رحيل الأسرة من أشيقر إلى الكويت ابتداءً أو أنها رحلت إلى الأحساء ثم انتقلت إلى الكويت فقد ذكر البسام أن رحيل الأسرة إلى الكويت ابتداءً ثم لما توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب كبير الأسرة في الكويت عام ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م انتقل ابنه عبد الله إلى الأحساء وهو الذي يترجع من أقوال محمد بن عبد الله بن فيروز، ومن مراجعة التواريخ الكويتية، إلا أن البسام في موضع آخر ذكر أن الرحيل كان من أشيقر إلى الأحساء كما ذكر ذلك بعض المؤرخين قبله وسعده (ابن بشر ١ / ١٠٥ حاشية رقم (١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت نشر دار مكتبة الحياة بيروت ٣٠ / ٧٦ ، البسام ٢ / ٦٢٧، ٣ / ٦٧٦، ٨٨٢، ٨٩٤، القاضي ٢ / ١٧٦، ٥٥، د. أحمد أبو حاكمه : تاريخ الكويت ١ / ١١٨، ١١٩، وقد خلط بين محمد بن فيروز الجد ومحمد الحفيد مما جراه على تخطئة بعض المؤرخين المحليين) .

الأسرة وغناها للذين خوّلاها الانفاق الواسع على التلاميذ الذين كانوا يرحلون بأعداد كبيرة لتلقى العلم على علمائها - كما مر - فضلا عن أن كثرة هؤلاء التلاميذ قد أضفى سمعة اجتماعية لهذه الأسرة في مناطق عديدة^(١).

وما سبقت الإشارة إليه عن آل سيف في المدينة وحرص الطلبة النجديين على الاستفادة من علمائها ينطبق تماما على أسرة آل فيروز فسي الأحساء فان كثرة من تتلمذ من النجديين على علمائها مرده الى تلك الصلة الاقليمية، وحذب هذه الأسرة على تلاميذها عامة والنجديين منهم على وجه الخصوص، وقد أشنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز حينما التقى به في الأحساء وسريما لديه مسن معرفة جيدة بالعقيدة السلفية، ولا يبعد أن يكون قد تتلمذ عليه، وأن ابن فيروز قد استضافه مدة بقاءه في الأحساء للرابطة الاقليمية فضلا عن صلة^(٢) الرحم بينهما^(٣).

-
- (١) ابن حميد ٢٥٨-٢٦٠، البسام : المرجع السابق ٣/٦٧٩، ٨٨٤، القاضي : المرجع السابق ٢/١٧٦، ١٧٧.
- (٢) البسام : ٢/٦٢٨، ٣/٨٨٤، ٨٨٥، ٨٩٥.
- (٣) ولد الشيخ عبد الله في ٦/٨/١١٠٥ هـ الموافق ٤/٤/١٦٩٤ م، وتلقى العلم على والده والشيخ فوزان بن نصر الله الزهري نسيبا العزى مولدا، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي والشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف وغيرهم حتى مهـ في الفقه وأصوله والتوحيد، اشتهر بالتقوى والورع والزهد وسلفية المعتقد، تتلمذ عليه عدد من العلماء أبرزهم ابنه محمد وغيره، توفي في الأحساء في يوم الأحد ٦/٧/١١٧٥ هـ الموافق ٢/٢٠/١٧٦٢ م في الأحساء (ابن حميد ١٦٤ وذكر أن ولادته في الأحساء، ابن بشر ١/١٠٥، ابن قاسم : الدرر ٩/٢١٦، البسام ٢/٦٢٧، ٦٢٨).

- (٤) ابن قاسم : ٩/٢١٦، البسام ٢/٦٢٧، ٣/٦٩٥، والقراءة بين أسرة الشيخ محمد وآل فيروز قرابة نسب ومصاهرة، فالأسرتان من آل وهيب من تميم، والشيخ سليمان بن علي جد لعبد الله بن محمد بن فيروز لأمه كما أن الشيخ سليمان قد تزوج عمة الشيخ عبد الله فولدت له الشيخ احمد بن سليمان العم الثاني للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ان من أوضح مظاهرها انتشار السمعة الاجتماعية لهذه الأسرة ففى منطقة الخليج عامة هو تعيين الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن فيروز أول قاض للكويت فى بداية تكوينها السياسى الحديث، ويبدو أن هذا التعيين كان من بدايات بروز هذه الأسرة فى هذه المنطقة اذ تبع وفاة هذا العالم رحيلها الى الأحساء وعلو مكانتها الاجتماعية فيها كاحدى الأسر العلمية البارزة فيها^(١)، ومن المؤكد أن توطن هذه الأسرة كغيرها من الأسر النجدية فى الكويت ثم فى الأحساء قد ساهم فى تغلغل بعض العادات النجدية فى منطقة الخليج عامة، كما أنها فى المقابل قد تأثرت بعادات المنطقة .

ولئن كان من الثابت أن رحيل هذه الأسرة الى البصرة ومالقيته من اكرام من واليها العثمانى انما كان بسبب معارضتها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحرص الدولة العثمانية على استغلال ذلك^(٢)، فأنه لولا تلك المكانة الاجتماعية العروقة لهذه الأسرة فى منطقة الخليج لما لقيت تلك الحفاوة من السكان البصريين على اختلاف مراتبهم حتى أصبحت لها شهرة اجتماعية لا تقل عن شهرتها فى منطقة الأحساء يؤيد ذلك الزيادة المطردة فى عدد التلاميذ الذين تلقوا العلم على علماءها من البصريين والنجديين والاحسائيين وغيرهم سواء كانوا من طلابهم السابقين أم ممن الذين رحلوا للتلمذ عليهم ابتداءً بعد أن استأنفوا نشر العلم فى البصرة^(٣).

ومن المتوقع أن اقامة الشيخ عثمان بن قائد فى مصر حتى وفاته

-
- (١) عبد العزيز الرشيد : المرجع السابق ٣٠، ٧٦، البسام ٨٨٢/٣
(٢) ابن غنام ١٨٩/٢، ابن بشر ١٣٨/١، ١٣٩، ابن حميد ٢٥٨،
٢٥٩، البسام ٨٨٥/٣، ٨٨٦
(٣) ابن حميد ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، البسام ٨٨٤/٣، ٨٨٥، ٨٨٦

(١) فيها قد أدت الى اختلاطه بالمجتمع المصرى سواء كانت معه أسرته فى رحلته أم كان بمفرده أم كون أسرة بعد استقراره فى مصر، وطبيعى نفسى أى من هذه الحالات أن يحصل تأثير أو تأثير فى بعض عادات وتقاليد هذا المجتمع.

كما أن مجاورة الشيخ أحمد بن محمد بن خيسخ فى المدينة حتى توفى فيها قد أوجدت له مكانة اجتماعية جيدة فى مجتمع المدينة، ذلك أنه لم ينتقل من نجد حتى أدرك فى الفقه ادراكا جيدا وعد من كبار طبقة فقهاء العارض، تلك الطبقة التى تعد من أهم طبقات الفقهاء النجديين قبل الدعوة، ولعل من أهم مظاهر تلك المكانة جلوسه للتدريس فى الحرم النبوى حيث انتفع بعلمه خلق كثير من أهل المدينة، والمجاورين فيها، والراجلين لطلب العلم اليها^(٢)، وليس من المعروف هل رحل الشيخ أحمد الى المدينة بمفرده، أو معه أسرته، أم كون أسرة من أهلها.

ان ذكر هذه الأمثلة للوجود العلمى النجدي خارجها لا يعنى أن الذين رحلوا لطلب العلم خارج نجد ثم عادوا اليها لم يؤثروا أو يتأثروا بالمجتمعات التى تعلموا فيها، فمشاركة الشيخ أحمد بن عطوة، والشيخ أحمد بن أبى حميدان فى إيقاف بعض مالدتهما من كتب على طائفة الحنابلة بدمشق - كما مر - يعد مظهرا من مظاهر الاندماج فى المجتمع الدمشقى، اذ أبقي ذكرهما فيه، ومن المعتقد أنه كان لهما أول غيرهما من النجديين فى الشام أو مصر مكانة اجتماعية على اختلاف فيما بينهم فى درجة هذه المكانة.

(١) عثمان بن قائد : هداية الراغب ٥٧٧ من مقدمة الشيخ عبد الملك ابن ابراهيم آل الشيخ، ابن حميد ١٧٦، ابن ضويان ٧٠، البسام

٦٨٦/٣، القاضى ٧٠/٢

(٢) المنقور: المصدر السابق ٢٨٦/٢، البسام ١٩٠/١

ثم ان هذه الأمثلة وغيرها تؤكد الحقيقة السابقة بأن القول بانغلاق المجتمع النجدي في تلك الفترة ليس على إطلاقه فهذه الرحلات العلمية، وتلك الأسر العلمية النجدية البارزة في بعض المجتمعات المجاورة قد ساعدت على تفاعل هذا المجتمع بهذه المجتمعات تماما كما ساهمت الرحلات التجارية، وان كان من الثابت أن التأثير ببعض عادات تلك المجتمعات عن طريق العلماء أكثر تهذيبا وتوجيها من ذلك التأثير الذي يأتي عن طريق التجارة أو عامة الناس.

٧- نقد الأدب الفصيح وتصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية:

لقد قرر بعض الكتاب والباحثين في الأدب أن ليس للنجديين قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أدب غير الأدب العامي شعرا كان أو نثرا^(١)، بينما رأى بعضهم أن الشعر خاصة لا يعرف من أمره شيء فيها^(٢) بل بالغ أحد هؤلاء الكتاب حينما قرر أنها تعيش الأمية بكل أبعادها، وأن الشعر فيها عامي لا تجد فيه نأمة من فصاحة، أو إثارة من عروبة، حتى لقد استطاعت العامة أن تلف نجدا، وخلص إلى القول: أن الحديث عن الشعر في نجد في تلك الفترة يعني الحديث عن الشعر العامي^(٣).

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: تاريخ نجد في عصور العامة مطبعة التقدم. القاهرة ص ١٠

(٢) د. محمد بن سعد بن حسيب الشعر والشعراء في نجد منذ منتصف القرن الثاني عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر وهي المحاضرة الثالثة من محاضرات الموسم الثقافي للكليات والمعاهد العلمية بالرياض - جامعة الامام حاليا - لعام ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م، المطابع الوطنية الحديثة بالرياض ص ٦٩

(٣) د. عبد الله الحامد: الشعر في الجزيرة العربية خلال القرنين (١١٥٠ هـ - ١٣٥٠ م) ط (١) مطابع الاشعاع التجارية الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ص ٨١ ومن الجدير بالذكر هنا أن الحامد قد انتقد ابن حسين على رأيه السابق، انظر: صحيفة الجزيرة عدد ٥٤٨١، السنة الرابعة والعشرين / الخميس ٨ / ٢ / ١٤٠٨ هـ ص ٩.

ولئن كان لهذه الآراء بعض الوجاهة في أن الحركة العلمية في نجد في تلك الفترة لم تكن شاملة، وأن الموروث الأدبي العامي أكثر انتشارا وتداولاً بين النجديين إلى الوقت الحاضر، رغم ذلك كله فإن الجزم بعدم وجود أدب فصيح فيه اجحاف بحق علماء تلك الفترة الذين يستطيع الباحث المنصف أن يجد لهم نصوصاً أدبية لا بأس بها شعراً أو نثراً^(١)، إذ أن كتابات عدد من المؤرخين النجديين تثبت أن التعليم في المنطقة في تقدم مستمر - كما مر - منذ القرن العاشر إلى قيام دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب حيث انطلق بعد ذلك^(٢)، كما تثبت أن بعض أقطاب التعليم كانوا على درجة من قوة الأسلوب وجزالة اللفظ فضلاً عن وجود موهبة الشعر لدى بعضهم^(٣).

وبالرجوع إلى ما سبق عرضه في الفصل السابق وخاصة في محث العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم يتبين لنا أن بعض النصوص التي وردت يمكن أن تندرج تحت أسلوب كتابة الرسائل أحد أنماط الكتابة النثرية، ويمكن أن توصف بالفنية لوجود سجع غير متكلف فيها، فضلاً عما تحتويه من معان

(١) يجد الباحث في السحب الوابلة لابن حميد، وعلماء نجد للبسام وروضة الناظرين للقاضي وغيرها من مصادر ومراجع تاريخ نجد، يجد الباحث في بعض التراجم الواردة في هذه المراجع، مطالع لعدد من القصائد الفصيحة سواء المنظومة منها أو التي تحمل حلاوة الشعر، فضلاً عن عدد من النصوص الأدبية النثرية بحيث تشكل مادة أساسية لمن أراد البحث في الأدب الفصيح في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) من أبرز من قرر ذلك أستاذي المشرف في بحثه عن التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمنشور في مجلة كلية الشريعة بالاحساء، وقد سبقت الإشارة إليه، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين في كتابه (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) وبحثه عن الحياة العلمية في نجد منذ القرن العاشر وحتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل السابق

(٣) من أبرز من جمع بين العلم الشرعي والأدب الشيخ راشد بن خنيس

جيدة وألفاظ قوية^(١).

أما الشعر فرغم أن بعضه كان على طريقة نظم العلماء لتقريب المسائل العلمية وتسهيلها، إلا أن بعض العلماء أثر عنهم بعض الأبيات التي تحمل حلاوة الشعر وجزالته ورغم قلة هذه الأبيات إلا أنها تشيّر الى وجود شعر قوى يرقى الى مستوى الشعر الذى يقوله فحول الشعراء فى أى عصر، ولاغربة فى ذلك فنجد تعدد أحد مواطن الشعر الفصيح^(٢).

وقد صورت قصيدة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف مدى تغلغل عادة التدخين لدى بعض النجديين حاضرة وبادية، ورغم أن المدخنين من الحضر فى تلك الفترة لم يكونوا بالنسبة التى عليها البدو إلا أن هذه القصيدة التى سبقت الإشارة اليها تصور بعض المظاهر، التى كان المدخنون يشتهرون بها فى تمسكهم بهذه العادة من عدم الصبر عن التدخين، وجرأة بعضهم على التدخين علنا، وبدأهم به الضيف، وقد أكد الشيخ على حرمتها لما تحمله من أضرار كثيرة وأنه ليس شرطا لتحريمها أن يوجد نص لذلك، ومن ضمن ما قال فيها بعد البيتين اللذين سبقا وهما مطلع القصيدة:

(=) وقد تتلمذ عليه فى الأدب عدد من العلماء، وكذلك الشيخ عبد الله ابن أحمد بن مشرف وعدد من العلماء (عثمان بن سند : سبائك المسجد ورقة ١٢، البسام ١/ ١٩٤، ٢/ ٤٧٤، ٥٢٣، ٥٢٤) .

(١) ومن الأمثلة تلك المراسلات العلمية الحادة بين الشيخ محمد بن اسماعيل وتلميذه الشيخ أحمد بن بسام (المنقور ١/ ٢١٥ - ٢١٨)

(٢) ان قول بعض علماء نجد للشعر على طريقة العلماء المعروفة بعدم الشاعرية ليس مرده الى عجز بعض هؤلاء العلماء عن قول الشعر الجزل بل ان ذلك عائد الى تأثرهم بمن سبقهم من العلماء ففى النظم على هذه الطريقة التى بها يحققون فائدة عظيمة للعلم فى تقريب وتسهيل مسائله، ولا أدل على ذلك من أن بعضهم كان يقول الشعر القوى الى جانب قيامه باعداد بعض المنظومات فى المسائل العلمية العقدية منها والشرعية .

(ابن حميد ١٣٥، البسام ١/ ١٩٤، ٢/ ٤٧٤، ٥٢٣، ٥٢٤) .

النار تأكل جسما للكفور غدا وأنت تأكلها ظلما وطغيانا
الى أن قال :

وكيف طاب لك الدخان تشربه هل ذاك الا ضلالات وعد وانا
لم تملك الصبر عنه ساعة أبدا مثل امرئ كان نحوالماء عطشاناً^(١)
هذا وأكل امرئ في السوق منقصة ينفي العدالة رجحانا ونيرانا
وشارب النار في الأسواق يشربها ولا يبالي بفعل الخزي اعلاناً^(٢)
دخانه قد علا أعلى الجبين له وشغره من قذاه صار ملآنا
وقد صور نفث المدخن للدخان بالبصاق بجامع القذى والكراهية
في كل حين قال :

يرمى بصاقا له في وجه صاحبه مع قبح عرف لذلك الوجه قد شانا
والشاربون له مازال عادتهم ان جاءهم زائر أو كان ضيفانا
يبدونه أولا بالنار تكرمسة لانهم قد غدوا صما وعمياناً^(٣)
يدعون ما شربوا دخانه تتنا وان تقل نتنا أحكمت اتقانا
لاشك من عاش في شيء يموت به وهكذا البيعت فيه كيف ما كانا
ان الجز اللورى من جنس ما عملوا نارا بنار كفى بالنار خسرا نا

(١) ان هذا التمثيل ينطبق تمام الانطباق على من بلى بهذه العادة بل ربما بدأ بها بعضهم افطاره بعد الصيام وهذا من أبرز مظاهر التمسك بهذه العادة.

(٢) في هذين البيتين اشارة الى قدم العلانية في ممارسة هذه العادة وما من شك أنه لأقوال بعض العلماء المبيحة لها منذ بدء انتشارها أثر في الجرأة على ذلك.

(٣) وهذا المظهر كذلك عامل من عامل انتشار هذه العادة ، اذ أن دخول التدخين كأحد مظاهر الكرم وخاصة لدى البدوى ساعد على أن تعد هذه العادة ندا لعادة شرب القهوة مما ساعد على انتشارها ، ولا يبعد أن يكون للرحالة الغربيين دور في أن يكون تقديم التبغ أحد مظاهر الكرم اذ أنهم محتاجون لسلوك مثل هذا السبيل بتقديم حبات من البن وحفئات من التبغ وبعض الأقمشة مقابل العيش بأمان في أوساط البدو والحصول على المعلومات المهمة التي يريدونها (جاكين بيريس ٢٢٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، رسالة الماجستير للباحث (٢٩١) .

قواعد الشرع عن هذا مصرحة تكاملت في الورى نصا وتبياننا
ثم ينمى على بعض العلماء الذين أفتوا بحلها مما كان سببا في انتشارها
محذرا إياهم بالمسئولية العظمى أمام الله في اضلال كل من تمسك بهذه
العادة :

لا تنسبوا حلها يوما لشرعتنا أوسعتم الشرع تزويرا وبهتاننا
قد أصبح الجهل بالتحقيق عندكم مع أوضح العلم والعرفان سياننا
ماحلل النار أكلا غير ذى نفسه فى العالمين غدا فى الدين فتاننا
شتان ما بين من أفتى بحرمتها وبين من قال بالتحليل شتاننا
يا ويحه لو رأى أى أهل الجحيم بها عليهم من دخان النار ألواننا
ان الدخان عذاب للكفور اذا ما حل فى قبره من أجل ما كاننا
لا تطلب النص فى تحريمه أبدا بل اطلب النص فى التحليل تبياننا^(١)

وقد كان بعض الناس يحرصون على حجز مكان لهم فى الصوف
الأول يوم الجمعة بأن يأتوا بكرين فيضعون شيئا لحجز هذا المكان اما
عصا أو نعل أو عباءة أو غير ذلك ثم يعودون الى أعمالهم أو بيوتهم
حتى اذا أتى الخطيب أو كادت أن تنتهى الخطبة اخترقوا الصفوف ليصلوا
الى المكان المحجوز اعتقادا منهم أنهم حازوا فضيلة التذكير يوم الجمعة
أو لمجرد حصولهم على مكان متميز ، وقد نقد الشيخ الأديب عبد الله بن
أحمد بن مشرف هذه الظاهرة مؤكدا أن المقصود بالتذكير والسبق الى هذه^(٢)

(١) فى هذه الأبيات تصوير لحدة الخلاف بين الميحيين والمحرميين
لهذه العادة ، فكما كانت أقوال الميحيين عاملا أسهم فى انتشارها
لدى بعض الناس فقد كانت أقوال المحرمين عاملا مهما كذلك حدد
من انتشارها لدى البعض الآخر ، بل أوجدت هذه الأقوال كرها
متبادلا بين المدخنين وغير المدخنين منذ فترة متقدمة من
انتشارها ، وللأبيات السابقة انظر مخطوطة القصيدة المرفقة صورة
منها فى آخر الرسالة .

(٢) سبقت ترجمته فى الفصل الأول من هذا الباب

الفضيلة انما يتحقق بأن يمكن الانسان من ساعة مبكرة عن الآذان حتى تنتهى الصلاة، ورغم أن مانظمه الشيخ عبد الله فى هذا الموضوع قد يكون الهدف منه تقريب الحكم الشرعى^(١) فى هذا الأمر، إلا أن وجود هذه الظاهرة لدى بعض النجديين^(٢)، وأسلوب الشيخ عبد الله فى هذا التنظيم يدلان على أنه كان يهدف الى معالجة ونقد هذه الظاهرة علاوة على تقريبه للحكم الشرعى، وما قاله فى ذلك :

هب القول المحق بعقد مئة تساعد مرتقا أعلا قرنه (٣)

فياقرما نشا من فرع قسرم لهم فى الناس آمال وسنه (٤)

اتيت الجمعة الغرا مريدا لنحر البدن أو بعض المنه

(١) كره العلماء حجز مكان فى المسجد ولكن هل للامام أو لمن أتى بعد الحاجز رفع ما حجز به المكان ؟ فيه خلاف : فقد قال بعض العلماء برفعه والجلوس مكانه لأنه لا حرمة له، والسبق بالابـدان فقط، وقال بعض العلماء ليس لاحد رفعه مالم تحضر الصلاة لأن فيه افتئاتا على صاحبه، وربما أفضى الى خصومه، وقد مال كثير من العلماء للرأى الأول حدا من استفحال هذه الظاهرة، بـل أكد بعضهم على حرمتها، وأنها بدعة وظلم منهى عنه (المنقـور الفواكه ١/ ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، محمد بن عبد الله آل حسين : الزوائد فى فقه الامام أحمد بن حنبل ط (٢) مطبعة البـيـطان والفجالة الجديدة، القاهرة ١/ ١٢٩، ١٨٠) .

(٢) رغم حرص النجديين على ايقاف أعمالهم ضحى الجمعة، إلا أن قسوة الظروف وفجأتها فى تلك الفترة ربما فرضت على بعض الناس فعل هذه العادة التىبقى بعض الناس يفعلها كذلك الى وقت قريب وربما الى الآن، وذكر المنقور لها فى أكثر من موضع دليل آخر على بروزها كظاهرة فى تلك الفترة .

(٣) المنة : بضم الميم وتشديد النون مع فتحها القوة وقد خص به بعضهم قسوة القلب، والقرن : الجبل الصغير أو القطعة من الجبل تنفرد عنه (القاموس والتاج باب النون فصل القاف والميم) .

(٤) القرم بفتح القاف تطلق على الفحل من الابل والمقصود بها هنا الرجل الكريم الأصل (القاموس والتاج باب الميم فصل القاف)

فسابق الجريد الى المصلى ونعلان وأثواب مصنعة (١)

فان كان السباق بذاً فعنـدى عصا ورقدت فى بيت مكنـه (٢)

فان السبق بالأبدان معنـى حديث المصطفى فيه ظنـه (٣)

وما من شك أن الأدب الفصيح فى تلك الفترة قد تفاعل مع مظاهر الحياة الاجتماعية فصور بعضها مؤيدا لها أو معارضا ، ولئن لم يكن ذلك بالصورة التى برز فيها الأدب العامى الا أن من المعتقد وجود تصويـرات أخرى لبعض تلك المظاهر فى الأدب الفصيح لكنها ضاعت أو جهلت أو تنوسيت لقللة المتداولين لها بين العلماء ، وعدم كتابتهم لها كما كتبوا الأحكام الشرعية التى تلبى حاجة المجتمع وتصور بعض مظاهره ، على عكس الأدب العامى الذى تداولته فئة كبيرة من المجتمع ورواه خلفها عن سلفها ، وتم جمع قسم كبير منه وكتب منذ فترة متقدمة عن بدء النهضة التعليمية الحديثة .

(١) مصنعة : ذات صنان وهى الرائحة الكريهة تنبعث من مغابن ومعاطف

الجسم فتلتصق بالثوب (المصدران السابقان باب النون فصل الصاد)

(٢) مكنة : تطلق على البيت لانه يقى من البرد والحر ويستر كما تطلق على جوف البيت أو مخادعه (المصدران السابقان باب النون فصل الكاف)

(٣) يشير فى هذا البيت الى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنه ، ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كشاً اقرب ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر (ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٩/٥ - ٢١ ، النووى : صحيح مسلم بشرح النسوى ١٣٥/٦ ، ١٣٦ ، وعن هذه الابيات : البسام ٩٤/١)

(٤) جرت محاولات لجمع الادب العامى منذ اوائل القرن الماضى ومن اوائل من قام بذلك الشيخ محمد بن بليهد الذى ضمن كتابه صحيح الاخبار عددا من القصص والاشعار العامية ، ثم رغب الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية فى عهد الملك عبد العزيز الى خالد الفرج ان يقوم بجمع ما يتيسر جمعه من الشعر العامى حتى يطبع ويتداول فجمع الفرج عددا من القصائد وترجم لبعض الشعراء ثم طبع ذلك فى جزئين بعنوان ديوان النبط وكانت اولى طباعته فى مطبعة الترقى بدمشق عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ثم فى المطبعة العربية بالقاهرة ثم توالى بعد ذلك جمع وطبع كثير من الدواوين الشعرية والقصص العامية وأغلبها تعتمد على ديوان النبط فضلا عن ان بعضها ينقل عن بعض حتى راجت سوق الادب العامى بين العامة وبعض المتعلمين وشكل ما صدر فى هذا السبيل مكتبة بحد ذاته ، وبدأ للمطلع على ذلك ان نجد ليس لها الا موروث عامى فقط سواء قبل الدعوة او بعيد قيامها كذلك (صحيفة الجزيرة عدد ٤٤٧٢ الاربعاء ١٤/٤ - ١٤٠٦هـ ص ٣١ من تعليق للشيخ حمد الجاسر حول بداية نشر الشعر العامى فى نجد) .

الباب الثالث

الأوضاع الاقتصادية

الفصل الأول

١- الرعي والثروة الحيوانية.

٢- الزراعات.

٣- الحرف اليدوية والمهن.

١- الرعى والثروة الحيوانية :

يعتبر الرعى الأساس الأول للحياة الاقتصادية لأى أمة من الأمم
اذ هو المرحلة الأولى التى قد يتحول الانسان منها الى الزراعة وقد يبقى
محافظا عليها الفا لكافة مظاهرها وما قد يعترضه فى سبيلها من مشاق وهذا
هو السرفى بقا مهنة الرعى وتنمية الثروة الحيوانية عن طريقها الى الوقت
الحاضر، كما أنه أيضا من أهم الأسباب فى وجوه النظرة السيئة التى تتسم
بها بعض صور العلاقة بين البدوى والحضرى عبر التاريخ نظرا لكره كل منهما
لأسلوب معيشة الآخر.

عندما قيل

ورغم أن هذا العامل الاقتصادى يعد بدويا صرفا الا أنه فى نجد فى
تلك الفترة والى وقت قريب ما يشترك فيه البدو والحضر على حد سواء وهذا
ما يجعل منه أساسا اقتصاديا فى الحياة البدوية والحضرية فى نجد .

واضافة الى كون الرعى للناس على قرارىط بشكل مهنة من المهن
التي كان يقوم البدوى والحضرى على حد سواء منذ ما قبل الاسلام^(١) . فلان
امتلاك الثروة الحيوانية على اختلاف أنواعها وتربيتها ورعيها هو الذى كان
يشكل عاملا اقتصاديا مهما للحياة البدوية والحضرية ، ومن هنا فقد ضاهت
هذه الثروة أحيانا مجالات الحياة الاقتصادية الأخرى الزراعية والتجارية
شراء وجاها ومكانة اجتماعية مرموقة .

وتعد الثروة الحيوانية محورا تلتقى حوله كافة مجالات الحياة
الاقتصادية اذ لا تقوم التجارة فى بعض أساليبها الا عن طريقها ، كما

(١) أبرز مثل على ذلك ما كان يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
برعيه غنم قريش وغنم أهله على قرارىط (أجر) يدفعونها له واعتز
بذلك مشيرا الى أنها كانت مهنة الأنبياء قبله (ابن هشام ،
١/ ١٧٦) .

لا تتحرك نواضح (سوانى) الزراعة لنزع المياه الا بقوة وجهد الحيوان وفى المقابل فان الزراعة بشكل خاص هي عماد وجود الحيوان بما تنتجه من أعلاف، ولهذا كان التكامل بين هذه المجالات ضروريا للازدهار الاقتصادى فى نجد فى تلك الفترة.

وقد كانت نجد غنية بالثروة الحيوانية بل كانت تعد من أغنى مناطق شبه الجزيرة العربية فيها وأبرز ما كانت نجد غنية به منها الابل ذات السنام الواحد التى تعد من أهم الحيوانات الأليفة التى استطاعت أن تتواءم مع ظروف البيئة الصحراوية القاسية منذ قديم الزمان اذ يشير بعض المؤرخين أن العربى قد ذلل الابل فى الألف الثانية قبل الميلاد تقريبا ثم انتقل بعد ذلك الى البلدان المجاورة لشبه الجزيرة، وقد بلغت نجد درجة فى كثرة ثروتها من الابل حتى أطلق عليها "أى الابل" (١) .

ولقد لعبت الابل دورا كبيرا فى حياة النجديين الاقتصادية فبالإضافة الى كونها أهم وسيلة لتنقلاته حتى أطلق عليها " موديات الغريب بلاده " فقد استغل الانسان كل تكوينات جسمها ومستخرجاته من ألبان ووبر وغيرها فى كافة نواحي هذه الحياة حتى أصبح مقياس فنى الفرد بما يملكه من الابل ، ولعظم نفعها ، ومجيب خلقها فقد جاء المثل النجدى " البل عطايا الله " مصورا لهذه الحقيقة

(١) محمد مبروك نافع : مرجع سابق ٢٩ ، ومحمد بهومي مهران ، مرجع سابق ١٢٧ ، ١٢٩ ، محمد البسام : الدور الفاخر فى أخبار العرب الأوائل والأواخر : تحقيق ونشر سعود العجمى ط (١) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، وقد ذكر فيها أعداد ابل قبائل من نجد ضمن مفاخرها ، د . العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠ حيث نقل فيه عن بركهارت أن الرجل الذى يملك أقل من عشر نوق يعتبر فقيرا فى عنزة ، كما أن معدل ثروة الأسرة فى قحطان حوالى ستين بعيرا ، والبسام وبركهارت وان كان مصدرين متأخرين نسبيا عن فترة هذا الفصل الا أنهما يمكن أن يعطيا فكرة عامة عن مكانة الابل لدى النجدى فى هذه الفترة بحكم تداخل القضايا التاريخية عموما والاجتماعية بشكل خاص .

(١) ومؤكدا لدورها الاقتصادى الكبير.

ولما للابل من دور كبير فى الفتوحات الاسلامية، والغزوات الأخرى فقد صور النجديون هذا الدور فى أمثلتهم الشعبية مدحا للابل واشادة بهذا الدور الكبير، ولعل أبرز مثل فى هذا المجال المثل القائل " البهل دقاقة الدول " ، ولا شك أنها كما كانت من العوامل التى سهلت الفتوحات الاسلامية الأولى، فإنها قد سهلت للعربى معرفة مواطن الأعمار والاستقرار فى البلدان المفتوحة ومن هنا جاء قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

(٢)

" لا يصلح العرب الا حيث تصلح ابلهم "

وقد بلغت أهمية الابل لدى النجدي درجة جعلته يبذل العالى والرخيس فى سبيل الحصول عليها، وقد صور المثل النجدي " البهل مايجسى بها الا الأحمرين الذهب والدم (٣) ونفاة الابل حيث أنها لا يحصل عليها (١) محمد العبودى : الأمثال ١/ ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، مثل ٤١٨، ٤٢٠، د . بيومى مهران ١٢٨ .

(٢) محمد مبروك نافع : مرجع سابق ٢٩، العبودى المرجع السابق ١/ ٢٧٨ مثل رقم ٤١٦، وقد تغنى الشعراء العرب وخاصة الجاهليون منهم بابلهم ووصفوها بأعظم الصفات فهذا طرفه بن العبد البكرى (ولد نحو ٨٦ - ق . هـ / ت ٦٠ ق . هـ / م ٦٤) يقول واصفا ناقته وهى من أروع ما وصفت به الناقة قديما وحديثا

وانى لا مضى الهم عند احتفاره . . . بهو جاء مرقال تروح وتفتدى
أمون كألواح الأران نسأتها . . . على لاحب وكأنه ظهر بهرجد
جطالية وجنا تردى كأنها . . . سفنجة تبرى لأزهر أنسد
الى أن قال :
وأعلم مخروط من الأنف مكارن . . . عتيق متى ترجم به الأرض تزدد
على مثلها اذا قال صاحبسى . . . ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
أحلت عليها بالقطيع فأجذبت . . . وقد خب آل الأمفر المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس . . . ترى ربا أذ بال سحل ممدد
للاستزادة : (السيد أحمد الهاشمى : جواهر الأدب ط ١٨ مطبعة
السعادة . القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م نشر المكتبة التجارية الكبرى
القاهرة ٦٨ / ٢ - ٧٧) .

(٣) العبودى : المرجع السابق ١/ ٢٧٩ مثل رقم ٤١٩ .

الا من كان غنيا أو استرخى دمه في القتال والغزول يحصل عليها كغنيمة حرب .

وانطلاقا من أهمية الدور الرئيسى الذى تلعبه الابل فى الحياة الاقتصادية النجدية ، فقد أولاها النجدى - البدوى والحضرى - كل عنايته ورعايته ، وقد يذهب كل طورا^١ه ودونه فى سبيل أن تعيش مكرومة معززة معززة جعلت أحد الباحثين الغربيين ينظر اليها على أنها تعيش حياة استقرائية بالنسبة للابل فى البلدان المجاورة ، ونظرة فى الأمثال والاشعار الشعبية النجدية سواء كانت بدوية أم حضرية تؤكد هذه الحقيقة ، فلا تكاد تجد قصيدة شعبية الا وفيها اطراء ومدح للابل مما ليس هنا مجال تفصيله الا أن مخاطبة الابل مخاطبة الحبيب الحبيب ، ووصف مشاعرهما هي الجديرة بالذكر هنا لأنها تصور العلاقة الحميمة بين الابل والنجدى التى جعلته يعزها ويقدرها حق قدرها . هذه المخاطبة وهذه المشاعر التى صورها الشاعر جبارة الصفار بقوله :

الى حفت ا لصفرا قلوبى تظاهرت .°. على أهوم ضربحالى لهيبها
الى ذكرت بين ا لذراعين مبرك .°. وطفل غدا فى راسى مفلأشعيبها
الى حركت غرس الحنين تهاملت .°. أعيونى بجارى الدمعما يصيبها
تعن فلولا ثقل عقلى وهيتسى .°. من الناس كنت العنسى أجيبها
تعن حنين ينجى القلب بعد ما .°. عفت عين خالى البال فى نوم طيبها
فقلت لها والعين تزداد عبرة .°. ونفسى من الوجلاضعيف صليبها
ياناق ذوقى مثل طذقت واعلمسى .°. لزوم تفارق كل عين حبيبها
فلا انتى باول عبيرة قد ركبتهما .°. بدوابة بيزرى المطايا نعيبها
وهاجرة ياناق لاقيت حرهما .°. من القيطكن النارحامى لهلبها

(١) قلوب : أى ناقة شابة قادرة على السيء ، أهوم : هموم بزيادة الهمزة على عادة النجديين فى الاتيان بالهمزة توصلا الى النطق بالسكون مبرك : موضع الجلوس من الناقة ، مفلأ : مكان رعى ، غرس الحنين : كناية عن الناقة وهو لقب من ألقابها ، العنسى : الناقة الصلبة القويمة الاحتمال ، أجيبها : مجموعة من أجى^٢ بها ينجى : تصحيف نجدى من

أما الخيل فانها فى نجد من أجود أنواع الخيول فى العالم وأعرقها نسبا وهى وان كانت ليست بالكثرة التى اشتهرت بها الابل الا أنها أصيلة فيها أصالة العربى نفسه الذى نسبت اليه فيقال : الخيول العربية الأصيلة، واشتجار النجدى بالابل واستعماله لها فى تنقلاته أكثر من الخيل لأنها أكثر تحملا وصبرا على مشاق الطريق، واشتجار بعض المناطق الأخرى فى الخيل لا يمنع أن يكون وصولها اليها عن طريق نجد التى كانت تضم سلالات الخيول فى العالم قديما^(١). مما أدى الى ظهور أنساب لها يحفظها العربى كما يحفظ نسبه وقبيلته ويعتنى بها كما يعتنى بنفسه وأسرته حتى أن النجدى يحتسب ويتعبد نفسه ليشترى له فرسا ولا يخدمها الا صاحب البيت نفسه لا زوجته ولا خادمه اطعنا منه على تهيئة الوضع الأفضل لها من دون سائر الحيوانات الأخرى التى يمكن أن بكل رعايتها لغيره^(٢). ولهذا كثرت المؤلفات قديما وحديثا عن الخيل عند العرب تتحدث عن أنسابها وتفصل تاريخها، وتبين أساليب العناية بها والقيام عليها^(٣).

(=) النضج : أدرك واستوى، والمعنى اشتد لوعة القلب، الوجلاء: تصحيف نجدى من الوجل : ضعيف صليها، أى ما كان فيها من قوة العزم، عيرة : العير هو الحمار الا انها غلبت على كل ما عير عليه وأعدل للتنقل اهلا كانت او بغالا أو حميرا، بدوابة : لعلها من الدأب وهو التعبد والسوق الشديد يزرى : من زرى بمعنى عاب، نعيمها : من النعمب وهو سيز الابل او ضرب من سيره، (الفيروز ابادى باب الباء فصل الدال والنون، باب الجيم فصل النون باب السين فصل الخاء والعين، وعن الأبيات : عبد الله الحاتم، خيار ١/ ٢٢٤) .

(١) محمد مبروك نافع: مرجع سابق ٢٩، محمد بيومي مهران من ١٢٩ -

١٣٢ وقد حاول ان يحقق فى كون نجد هى مصدر الخيول الاصيلية ولكنه لم يصل الى رأى قاطع.

(٢) حسن الريكى ١٨١ .

(٣) أحمد السباعى : مقال عن الخيل فى المجلة العربية، جمادى الثانية ١٤٠١ هـ ص ٢١، ٢٢، حمد الجاسر الخيل عند العرب، مقالات نشرت فى مجلة الحرس الوطنى ص ٢ ع ٦ شوال ١٤٠١ هـ ص ٨، ص ٢٤٢ ١٤٠٢ هـ ص ١٢، ص ٨ ع ٢ ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ ص ٨ .

ولما للخيل من دور رئيسي في الحروب والغزوات لخفتها وسرعتها
أكثر من بروزها في حمل الأثقال ، والقدرة على السير في مفاوز الرمال ، فقد
اشتهرت بكثرتها لدى بدو نجد أكثر من حضرم لا اختلاف الحياة الاجتماعية
بين الطرفين ، ولقلة الغزوات لدى الحاضرة ، ولهذا كان تعدادها يد غسل
ضمن مفاخر القبائل البدوية إذ أن امتلاك خيول أصيلة بين النجديين هو
رمز القوة ، وكثرتها من أبرز العوامل في تحول القوى السياسية بين القبائل
والبلدان النجدية^(١) . إلا أن ذلك لا يعني عدم اشتهاها عند الحضرا إذ تكثر
عند امراء البلدان والوجها وتستخدم في الدفاع والغزو .

ولقد كانت الخيول النجدية تصدر الى مناطق مختلفة سواء كانت
مجاورة كدول الخليج والحجاز والعراق أو غير مجاورة كالهند إذ كان سوق
الخيل في بمباي أهم مركز لبيعها ، وكانت الخيول النجدية كذلك من أهم
صادرات الشركة الانكليزية " شركة الهند الشرقية " الى الهند وذلك عن
طريق ميناء البصرة أو مسقط ومن ثم الى دول أوروبا وخاصة بريطانيا في القرن
الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي^(٢) ، إلا أن انصراف التجار فسي
سوق الخيل في بمباي عن شراء الخيول النجدية بعد أن كانوا من أكبر عملاء
نجد فيها قد حد من الاتجار بها بعض الشيء ، ولعلهم اكتفوا بما لديهم
منها للتفاسل ومن ثم قل الطلب على هذه الخيول فوجهوا بذلك ضرورة
قاضية ضد الفكرة التي كانت سائدة بأنه لا يوجد خيول عربية أصيلة الا في نجد
والتي كانت تعد مجالا تجاريا مربحا للنجديين^(٣) .

(١) عدد الشيخ البسام في كتابه " دور المفاخر " خيول قبائل نجد ضمن
مفاخرها من ص ٩٢ - ١٠٥ ، كما ذكرت الليدي أن بلانت في كتابها
رحلة الى بلاد نجد " مشاهداتها عن الخيل في نجد من ص ٢٦٧ -
٢٨٨ وهما ان كتبا ذلك بعد فترة هذه الرسالة إلا انهما يعطيان
تصوراً عن وضع الخيل في نجد قبلها ، وانظر مجلة الدارة العدد
السابق ص ١٩٠ ، ١٨٨

Dr. M. Al-Thanyon History Writing in Nagd p. 7, 8 (٢)

وانظر د . عبد الامير الامين : المصالح البريطانية في الخليج ترجمة
هاشم كاظم لازم مراجعة مكي حبيب القومن مطبعة الارشاد ببغداد
نشر مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٣٩٧ هـ تحت رقم ١٤ ص ٢١
وقد ذكر حسن الربيعي في اللمع ان خيول نجد كانت تجلب على سوريا
لأنها مرغوبة عند أهلها لشدة عدوها (ص ١٨٣) .
(٣) محمد مبروك : المرجع السابق ص ٢٩

وعلى أى حال فقد نظر النجديون الى الخيول على أنها تعتبر مصدر عز وقوة وجاه ، وامكانية لتحول سياسى بدوى أو حضرى ، ويمكن اعتبارها كذلك مصدرا رئيسا من مصادر الحياة الاقتصادية من طريق الكسب منها فى الاغارة والقتال كالكسب من ضرب الأرض فى الزراعة ، ومن هنا جاء المثل النجدي " الرزق تحت العجاجتين ؛ عجاجة الخيل وعجاجة المسحاة " (١) مصورا لهذه النظرة الاقتصادية نحو الخيول ولمدى حب النجديين المفروض لها ، هذا الحب المستمد من محبة العربى قديما للخيول هذه المحبة التى غذاها الاسلام . (٢)

وهناك من الحيوانات غير الابل والخيول ما كانت تؤدى أدوارا اقتصادية مهمة فى المجتمع النجدي آنذاك فالبقرة " أم اللبن والزبد " كانت تقوم بأعمال ذات فائدة جيدة فى المجال الزراعى حيث يحرق عليها الفلاح أرضه ويدرس زرعوه قبل هذا وذلك تقوم بنزع الماء من الآبار وعبر السوانى اضافة الىها تمنحه من الألبان ومشتقاته وخاصة الدهون ، هذه الفوائد مع غيرها جعلت الأبقار أثيرة لدى حاضرة نجد وخصوصا المزارعين منهم حيث لا تخلوا مزارعهم من عدد من الأبقار يستفيدون منها من وجوه عدة صور بعضها

-
- (١) عجت الريح : اشتدت فأثارت الغبار ، المسحاة : هى آلة جرف التربة ، فصيحة قال فى القاموس : سحا الطين يسحب ويسمده ويسحاه سحيا ويجرفه والمسحاة ما سحى به ، (الفيروز آبادى باب الجيم فصل العين ويا ب الواو والياء فصل السين وعن المثل العبودى الامثال ٥٨٩/٢ مثل رقم ٩٣٠) .
- (٢) ذكر الله الخيل فى القرآن خمس مرات مشيرا الى فوائدها الاقتصادية والحربى آل عمران آية ١٤ ، الانفال آية ٦٠ ، النحل آية ٨ الحشر آية ٦ ، الاسراء آية ٦٤) كما اطلقت إحدى صفات الخيل وهى العدو بسرعة على إحدى سور القرآن وهى العاديات ، اما الاحاديث فقد ذكرت الخيل فى مواطن كثيرة لعل ابرزها قوله صلى الله عليه وسلم فى روايات عدة " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم ، متفق عليه . (فتح البارى ١/٦٠٣ صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/١٦-٨) .

(١)

المثل النجدى عن البقرة " تجر رشاك وتد من عشاك " .

وتنتشر الأغنام ضأنًا وماعزًا في منطقة نجد وتلقى تربيتها الاهتمام من أهلها بادية وحاضرة وإن كان هذا الاهتمام لا يرقى إلى درجة الاهتمام برعى الأبل وتربية الخيول إذ كانت صفة الشاوى " راعى الشاة " ينظر إليها نظرة احتقار بين فئة لا يستهان بها من البدو وقد يصل ذلك إلى عدم الزواج من الشاوى ، ولعل ذلك راجع إلى الاعتقاد لدى هذه الفئة بأن الشاوى رجل بخيل وفير متصف بالشجاعة التى يتصف بها رعاة الأبل (٢) ومضى الخيول . هذا الاعتقاد الذى حدا بهذه البدوية أن تسخر من زاج ابنتها باحد الشاوى الذى تم بغير رضاها حيث تقول : (٣)
يا جيزة الشاوى عليه بلاوى . . . اللى لما شد التوى فى صميله

(١) الرشا بكسًا الحبل وارشى الدلو جعل له رشا وهو عند النجديين لا يطلق على الحبل عامة بل يطلق على الحبل الخاص بنزع الماء من البئر (الفيروز آبادى باب الواو والياء فصل الراء ، عن المثل : العبودى الأمثال ١ / ٢٧٣ ، ٣٠١ مثل رقم ٤٠٢ ، ٤٠٨) .

(٢) الشاوى بهذا المعنى فصحة . قال فى القاموس " الشوى والشية كعدة الشاة والشاوى صاحبه (٢ ، ٤ / ٣٥٠) وتجمع على شاوى / ويبدو أن هذه النظرة تجاه الشاوى قديمة فى العرب يؤكدها الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب وأبو هريرة رضى الله عنهما حينما سأل جبريل رسول الله (ص) عن آمارات الساعة قال (صلى الله عليه وسلم) أن تلد المرأة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان " الحديث متفق عليه قال فى دليل الفالحين ١ / ٢٢٣ " وخص مطلق الرعاة لانهم اضعف الناس ، ورعاء الشاة اضعف الرعاء " عن الحديث وشرحه (ابن حجر فتح البارى ١ / ١٩٢ - ١٢٠٧ / ١٨٠ ، ١٢٨ / ١٢٩ ، النووى شرح صحيح مسلم ١ / ١٥٧ - ١٦٦ محمد بن علان الصديقى : دليل الفالحين ط دار الفكر نشر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ / ٢١٥ - ٢٢٦) .

(٣) جيزة وجوازة : تصحيف نجدى من زواج ، عليه : على ، اللى : الذى ليا واليا : اذا ، شد : ارتحل ، التوى : تمنطق ، الصميل : قربة الماء أو سقاء اللبن وغالبا تطلق على السقاء ، واللفظة فصحة قال فى القاموس والتاج باب اللام فصل الصاد : " والصنل والصمىل اليايس أو السقاء اليايس " ، وفى الشطر الثانى كناية عن البخل . ابن رداى :

ونظرا لأن الأغنام لا تصبر على الجوع والعطش كصبر الابل فقد كان النجدى يدرك هذه الناحية فلا يرعاها الا قرب موارد المياه، وإذا قلت هذه الموارد أو شح الماء فيها فانه يقدم الاغنام على الابل ولو اضطر أن يستقى الغنم من حليب الابل في سبيل الحفاظ عليها من الهلاك^(١)، وقد صور المثل النجدى: "الغنم أم ليلة" عدم صبر الأغنام على الجوع والعطش بخلاف الابل، كما صور المثل الآخر "كل شاوى على قلبه" (٢) كثرة تكرار الشاوى بفننه على موارد المياه واهتمامه بها باعتبارها أحد أركان الثروة الحيوانية التى هى من أسس الحياة الاقتصادية اذ يفقد النجدى بدونها كان أم حضريا من الأغنام ضائنا وماعزا فى مختلف جوانب حياته فمن لحومها يغطى حاجته الأسرية ومستلزمات الاجتماعية، ومن أصوافها وأشعارها وجلودها بيوتا يستخفها حين يظعن من مكان الى آخر ولا تؤثر على كثرة أثنائه حين الإقامة، وكذلك يستفيد منها فى صنع أغلب ما يحتاجه من الأثاث كالفرش والأسقية والأغطية وما شابه ذلك، أما الالبان ومشتقاتها فشرايبا وماكلا وإداما ومن مخلفاتها فى أعطانها سمادا عضويا يضاف على الزراعة نماء وازدهارا.

-
- (=) شاعرات من البادية ١٧٤، ١٧٥، فهد المبارك : من شيم العرب ط (٣) ١٣٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ٢٥٧/٤ - ٢٨٠ حيث أورد هذين البيتين فى قصة كلها ازدراء وتهكم بالشاوى :
موت الفتى دون المعزة والأموال . . من فوق قب وارد كالنساوى
فى ساعة يثبت بها عرب الأخوال . . ويهرب بها الخايب بناخى الشاوى
(١) فهد المبارك : المرجع السابق ١٧٦/٢ - ١٧٨ .
(٢) عن الطلين : محمد العبودى : الأمثال ١٠٤٢، ٩٠٤/٣ مثل رقم ١٤٣٤، ١٦٥٦ .

أما الحمير فكانت تؤدي فوائد اقتصادية عديدة تتعلق بالزراعة —
بنقل ما يلزمها من سجاد وغيره، واحضار المنتجات الزراعية الى الأسواق، كما
تقوم بنقل كل ما يحتاجه النجدي في شئون حياته اضافة الى انتقاله —
عليها من مكان الى آخر، ويبدو أن النجديين أحياناً كانوا يستخدمون
الحمير في الدياسة وخاصة من نقل لديه الأبقار، وقد نقل المنقور عن شيخه
ابن زهران كراهة ذلك لنجاستها الظاهرة كما أثر عن النجديين كذلك
استخدام الحمير في نزع المياه من الآبار للزراعة، وكان يستخدمها في
الأغراض الزراعية الاغنيا والفقراء على حد سواء، إلا أنه في التنقل والأسفار
البعيدة يبدو أنها كانت تستخدم من قبل الفقراء ومتوسطى الدخل فقط^(١).

(١) المنقور : الفواكه ٢٦/١، المبودى : الامثال العامة ٤٢٧/١ -
٤٢٩، ٤٣٣، ٨٩٨/٣، عبد الكريم الجهمان : الأمثال الشعبية
٢/٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، د. عبد الله العثيمين، المرجع
السابق ص ١٩.

١- الزراعة:

تعد الزراعة أساس تحضر الانسان الأول ومن هنا نشأت الحضارات القديمة الى جوار الأنهار العظيمة في سائر بقاع الدنيا وخاصة تلك التي تتوافر فيها الشروط اللازمة لنجاح الزراعة.

ورغم أن نجد لا يوجد بها مثل تلك الأنهار العظيمة فقد كانت أراضيها خصبة صالحة للزراعة بوجود تلك الرياض والواحات التي اشتهرت بالخصوبة فضلا عن توافر المياه في كثير من أقاليمها سواء من طريق الوديان الكبيرة، أو المياه الجوفية القريبة منال التي بعضها على شكل آبار غير عميقة وبعضها على شكل عيون تنبع بالماء من دون أن يتكلف الانسان عناء حفرها أو نزح الماء منها^(١).

وقد يفهم من الحديث الذي ورد فيه : " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً الحديث^(٢) " موافقته للفكرة الجغرافية التاريخية التي تقول : ان منطقة نجد والجزيرة العربية عموماً كانت أكثر خصبة

-
- (١) د . جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/١٥٧، ١١٠.
(٢) المروج جمع مرج بسكون الراء وفتحها ومن معانيها الأرض الواسعة ذات النبات الكثير (الزبيدي باب الجيم فصل الميم).
(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده والحاكم والبيهقي في جميع الزائد، وقال : " ان رجاله رجال الصحيح " وأورده الألباني في الأحاديث الصحيحة، وما ذكرته أعلاه هو جزء من هذا الحديث الذي روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعة حتى يكتر الطال ويفيض حتى يخرج الرجل بركة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب . . . الحديث " (صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٩٧ كتاب الزكاة) وقد رواه الامام أحمد في موضعين أحدهما باللفظ السابق مع اضافة " وحتى يكتر الهروج قالوا : وما الهرج يا رسول الله قال : القتل القتل " وفي الموضع الآخر بلفظ " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتسى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق وحتسى بكتر الهرج . . . الحديث (المسند ٢ / ٣٧٠، ٣٧١، ٤١٧) وقد (=)

(١)
ونما وأوفر مياهها من الآن ، وأن كثيرا من أودية جزيرة العرب كانت
أنهارا في فترة من الفترات خاصة تلك الأودية الكبيرة في نجد ، ويسند
أن ذلك نتيجة أن المناخ كان أكثر مطرا من الآن فيما يسمى عنده
الجغرافيين " العصر المطير" الذي وإن كان قد انتهى في فترة متقدمة
قبل الميلاد إلا أن بعض آثاره من خصب ووفرة مياه امتدت فترة طويلة
بعد ذلك. (٢)

وقد أشاد عدد من الجغرافيين المسلمين بخصب التربة ووفرة المياه
وكثرة وتنوع الأشجار المثمرة وغير المثمرة في منطقة نجد في فترة متقدمة
قبل الاسلام بعده ، فضلا عن ذلك فقد قرر عدد من المستشرقين
في حضارة العرب قبل الاسلام (٤) أن نجدا كانت في القرن الأول قبل الهجرة ،
والأول الهجري / السادس والسابع الميلاديين لا تقل عن أراضي أوربا

(٣) أورده الهيثمي باللفظ الأخير الى " ضلال الطريق " (٣٣١ / ٢) ،
وانظر الألباني ، الأحاديث الصحيحة ١٠ / ١ .

- (١) أخذنا من أن العود لا يكون الا لشيء سبق أن كان أو حصل .
- (٢) د . جواد علي : المرجع السابق ١٥٨ / ١ - ١٦٢ ، ١٨٠ ، مجلة
العرب ج ٢ ، ٣ ، ٤ / ١١ / ص ١٦٠ ، ٢٩٩ .
- (٣) ابراهيم بن اسحاق الحري : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم
الجزيرة تحقيق حمد الجاسر مطبعة المتنبي . بيروت نشر
دار البعثة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ٥٨٦ ، البكري : مصدر سابق
٢ / ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ٤ / ٣٦٧ .
- (٤) من هؤلاء المستشرقون الألماني جوزيف هل في كتابه " الحضارة
العربية " الذي ترجمه ابراهيم العدوي ونشرته مكتبة الانجلو
المصرية عام ١٩٦٠ م والنساوي لويس موزيل في كتابه شمال نجد
الذي ألحق به بحثا بعنوان " الجفاف المزعوم في الجزيرة العربية
والحركة الاسلامية " وقد ترجمت مجلة العرب جزءا كبيرا من هذا
الكتاب وخصت بحث الجفاف في الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من السنة
الحادية عشرة من ص ١٥٢ - ١٦٠ ، ٢٨٢ - ٢٩٩ .

المزروعة اليوم بل ربما كانت تجزها خصبا ووفرة مياه في كثير من بقاعها وأنهما كانت ذات أشجار وغابات كثيفة تنتشر على ضفاف وديانها^(١).

ورغم أن نجدا قد عرف فيها عدد من الأشجار والنباتات منذ فترة متقدمة إلا أنها اشتهرت بزراعة القمح والنخيل، وما من شك أن ذلك عائد الى حاجة المنطقة اليه كصدرين غذائيين مهمين، فضلا عن تحملهم المناخ النجدي القارس البرد شتاء، الشديد الحرارة صيفا ومن هنا يمكن ادخال زراعة هذين النوعين في حقل الزراعة التاريخية اذ عاصرتا الحقب التاريخية التي مرت على المنطقة الى الوقت الحاضر، وكان أهل المنطقة يدلون على أهل المناطق الأخرى بوجود هذين العنصرين المهمين حيث أثار عنهم قولهم: " لا أطيب طعاما من حنطتنا ولا أشد حلاوة من تمرنا^(٢) " ورغم ما في هذا القول من مبالغة إلا أنه يصور اشتهار نجد بزراعة هذين النوعين.

ففي مجال زراعة القمح تشير قصة ثمامة بن أثال الحنظلي^(٣)

(١) محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الاسلام ط (٢) مطبعة السمادة مصر ١٩٥٢ م ص ٢٢، ويمكن بهذه الحقيقة الرد على الذين طمسوا أسباب الفتوحات الاسلامية تعليلا اقتصاديا فيما زعموه من حدوث جفاف حاد في الجزيرة قبل الاسلام دفع بعض العرب الى الخروج من جزييرتهم، وقد رد موزل في المبحث السابق على المستشرق الايطالي " كيتاني " الذي كان من أبرز متزعمي هذا الرأي.

(٢) عبد الله بن خميس: الدرعية ٥٨.

(٣) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة بن بنى الدول من بنى حنيفة كان أحد زعماء اليطامة، جنى به في أحد السرايا فحبس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان قد أراد قتل النبي - ثم أسلم ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ثبت على اسلامه فبقي في ردة بنى حنيفة وقال أبياتا بسب فيها سبيلمة ومن اتبعه ويحذر بنى حنيفة من متابعتهم، واثار هذا على بعض بنى حنيفة فانضموا بهم الى العلاء الحضرمي لقتال مرتدى البحرين، واستشهد في ذلك سنة ١٢ هـ / ٦٣٣ م (ابن هشام ٤ / ٢٥٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ابن

(١)

مع القرشيين أن اليمامة - أحد أقاليم نجد الحالية - قد ازدهرت فيها زراعة هذا المحصول وجاوزت في ذلك حد الاكتفاء الذاتى الى التصدير حيث عد القمح من أبرز صادرات المنطقة الى المناطق المجاورة وغير المجاورة اذ أن هذه القصة تؤكد أن نجدا كانت تمنّون مكة بالحبوب وربما التمور كذلك خاصة وأن مكة واد غير ذى زرع وتجبى اليها ثمرات كل شئ ولهذا أطلق على منطقة نجد (ريف مكة) وقد دفع ذلك زعماء قريش الى عقد معاهدات اقتصادية مع امراء اليمامة يضمنون بموجبها حصول مكة على القمح ، فضلا عن ذلك فقد كان لسوق اليمامة أهمية اقتصادية في امتياز كثير من قبائل العرب من الانتاج الزراعى للمنطقة علاوة على أهميته السياسية والأدبية مثله في ذلك مثل أسواق العرب الأخرى ، وصفة عامة فقد كانت نجد عموما واليمامة

(=) جرير ٢٥٦/٣ ، ٢٦٠ ، ابن الاثير ٢٤٩/٢ ، ٢٥١ ، ابن عبد البر : الاستيعاب ٢٠٥/١ - ٢٠٨ ، ابن حجر : الاصابة ٢٠٤/١ ، الزركلى : الاعلام ٨٦/٢ .

(١) فحوى القصة أن ثمامة لما أسلم أراد العمرة فلبى بها فكان أول من دخل مكة طلبيا فأخذه قريش لجراته وأرادوا قتله فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى الطعام من اليمامة ، فقالوا له : صبوت يا ثمام ؟ فقال : لا والله ولكن اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة - وفي رواية شئ مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا عن آخركم - وفي رواية حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج الى بلاده فمنع قومهم من حمل شئ من الطعام الى مكة فكتب أهلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فطلب منه التخلية بين القرشيين وميرتهم من اليمامة وقد وردت القصة في كتب الحديث والسيرة والتراجم بصيغ مختلفة وللتفصيل (ابن هشام ٢٨٨/٤ ، ابن عبد البر ٢٠٦/١ ، ٢٠٧ ، ابن حجر : فتح الباري ٢١٠/١٦ - ٢١٢ ، الاصابة ٢٠٤/١ ، جواد على ٣٨/٧) .

(٢) ابن حجر : الاصابة ٢٠٤/١ ، جواد على ٣٨/٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٢٥ ، ابن خيمس : المرجع السابق ٣٢ .

على وجه الخصوص تسد حاجة بعض مناطق شبه الجزيرة وغيرها من الحبوب في فترات الازدهار الزراعي فيها اثر هطول الأمطار وزيادة المياه الجوفية .

أما النخلة فقد كانت وما تزال أثيرة لدى العربي عموما والنجدى خاصة حتى لقد أطلق عليها لقب " ملكة أشجار العرب " حيث يحتفظ التمسر بمركز ممتاز بين العناصر الغذائية الزراعية لقلة كلفته وسهولة تناوله ، وقد ضرب المثل بكثرة نخل اليمامة وجودته ، وذكر الجغرافيون المسلمون اشتهاؤها بأنواع كثيرة من النخل تعد من أحسن الأنواع ، فضلا عن أن نخل بعض البلدان النجدية كان مجالا وصفيا لبعض الشعراء العرب لاشتهاؤها بكثرة التمر وجودة أنواعه .^(١)

ومن هنا فقد عدت اليمامة مركزا مهما بين مراكز النخل الرئيسية في جزيرة العرب ، ولا أدل على ذلك من أن عددا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنوا أن مهاجرة عليه الصلاة والسلام اليمامة أو هجر حينما أخبرهم أنه رأى في منامه - ورؤيا الأنبياء حق - أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل إذ كانتا مع المدينة أهم المناطق التي يكثر فيها غرس النخيل .^(٢)

وكما كانت نجد تصدر الحبوب والتمور إلى مكة منذ العصر الجاهلي فانها استمرت على ذلك إذ أن الحصول على هذين المصدرين الغذائيين كان من العوامل التي دفعت أشراف الحجاز قبل الدعوة إلى القيام بغزوات كثيفة على نجد ، وإيجاد موطئ قدم لهم فيها .

(١) ياقوت ١٩٦/٥ ، محمد مبروك نافع ٢٨ ، محمد بيومي مهران :

١٢٦ ، ١٢٥

(٢) ابن حجر : فتح الباري ١٥ / ٧٩ ، ٨٠

(١)

أحربوا واضربوا دون حذب الجريد .°. واذكروا قول حاتم ولاشئ سواء

ولكون النخلة كذلك أهم معالم البلدان النجدية فقد وضعها

حميدان مشيها به باعتبار رداً على بعض أنواعها وجودته ، فقد شبه بها

صنفاً من الناس لا خير فيه وبأخذ من المجتمع أكثر ما يعطى ، وصنفها

يعطى من جهده وطاقته أكثر ما يأخذ من المجتمع ، فيقول فى ذلك :

ومنهم هميلة كبيرة حوضها .°. لاهيب لا تشمر ولا فيها ذرا

ومنهم كنه دقيلة قنمها .°. دب الليالى حوضها ما يحفرا (٢)

ويجيد حميدان تصوير مالدى النجديين من حب وود للنخيل قد ترقى

الى مستوى حب وود الأولاد مينا أن النجدي يبذل كل ما يستطيع من جهد

وقوة ومال فى سبيل أن تقوم النخلة قواماً جيداً ، ويخاطب حميدان فى هذه

الآهيات نخيله فى القصب كما يخاطب الحبيب حبيبه الذى حبل بينه وبين

وصاله ، وكما يخاطب الأب ابنه الذى اغترب عنه ، مضنياً عليهن صفة العقلانية

وفى هذا تصوير بيانى رائع اذ صورهن وهن يرفعن أصواتهن بالبكاء ، والد موع

تنسكب من عسبن عند ما خيل بينهن وبين من كان يتعهدهن بالسقى من

(١) أحربوا : عامة من حاربوا ، حذب الجريد : المقصود بها النخيل

لأن عسبها معدبة ، وخصبها معدب كذلك . الفرج ١/٤٤ ، كمال

٢٩/٩ ، الحاتم ١/١٦٥ .

(٢) الهميلة : جمعها هماليل وهمالين وهى الضعيفة من كل شئ ،

والمقصود بها هنا نوع من النخل ضعيف القوام لا يثمر الا نادراً واذا

أثمر فلا يمكن أكله ، ذرا : ستر وظل ، دقيلة : تصغير دقلة ، وتطلق

على أروا أنواع النخل أو غير المعروف جنسها كالنبته ، القنعة : أحد

الاطلاقات النجدية على الباذنجان (المعربة وفصيحها الأنب) ،

ولعلمهم شبهوها بالباذنجان لكبر ثمرها وقلة مؤنتها ، ولعلمها

المعروفة فى القسم " بيدجانه " (الفيروز والزبيدى : باب الباء فصل

القاف والهاء ، المبرودى : بلاد القسم ١/١٠٥) وعن البيتين

الفرج ١/٣٤ ، كمال ٩/١٩ وبروى الحاتم ١/١٥١ البيتين بهذه

الصيغة :
ومنهم هميلة كبيرة حوضها .°. لاهيب لا تشمر ولا فيها ذرا
ومنهم كنه نخيلة قنمها .°. فى أسايها وأحويضها ما يحفرا

صافى الماء ، وكافة أنواع الخدمة ، محاولا تطمينهن بأنه لا يزال وسيظل
يكن لهن كل مودة وحب ووفاء ، وأن قسوة الليالى والأيام عليه ، وتعامل أهل
بلده عليه ، هو الذى جعله يعزف عن البقاء بجانبهن ، ويهرب مختفيا
عن أنظارهم حتى لا يسلموه لابن معمر الذى أهدر دمه حين أن رزقه ليس
فى بلدة القصب بل عند الله سبحانه يجعله له فى أى بلد ، وقد قال فى ذلك :
وما أروع ما قال :

الايام انخلت لى على جال عليهم .°. حدايق غلب شوفهن أيسروع
أخذت بهن عامين احيال زوافر .°. من القيط ماخلن فى أضلوع
فلا يا أنخلات الصدر جفن بالبكاء . وهلن يا حذب الجريد ادموع
حلفت صافى الماء فلا أشربنه .°. منى ولا يسقى لهن أجذوع
فلاكن عندى قبل هذا ، وانكرن .°. عليكن الليالى والزمان ايسروع
الى قرين من غيظ الأصحاب عفتن . لوهن على شط الفرات أشروع
وأنا فى السماء وعدى ورزقى ومطلبى . ماهوب فى صبغا مراغت جوع^(١)

وانطلاقا من أهمية هذين العنصرين الزراعيين فى الحياة
الغذائية البشرية والحيوانية وغيرهما من الأنواع الزراعية الأخرى كأنواع
الأعلاف الزراعية المختلفة التى تشكل مادة رئيسة لازدهار الثروة الحيوانية

(١) الجبل والجال : هى ناحية القبر والبئر والجبل والبحر جمعها
أجوال وجوال وجوالة وجيلان ، والمقصود بها هنا البئر إذ العيلم
معناها : البئر الكثير الماء أو الملح ولأن أغلب مزارعى نجد كانوا
يغرسون النخل ابتداء قرب ناحية البئر "اللز" والبركة : يروع : فزع
وخوف ، والمعنى غلب على رؤيتهن الخوف والفزع ، احيال : أى تامة
من حال الحول اذا تم ، والفصبح جمعها على أحوال لانها واوية
وليست يائية ، زوافر : جمع زفر ، وزفر ، فصيحة : اخراج النفس
واجهاد الجسم ، القيط ، صميم الصيف من طلوع الشرا الى طلوع
سهيل حيث يبدأ بعدها الخريف وفيه فى الجوزاء يبدأ نضج ثمرة
النخل حيث تشتد الحرارة والمعنى ظلمت عامين كاملين أجهد نفسى
فيها فى خدمة هذه النخل وخاصة فترة القيط حيث استغدت كل قوة

لدى الحاضرة، كما تكون متنفسا لأبناء البادية فى فترات المحل والقحط فيقطنون قرب البلدان النجدية مستفيدين من ثرواتها الزراعية فى مجال الرعى، والاعلاف سوا. كان ذلك عن طريق الشراء أم مقابل خدمة يؤدونها للفلاح، انطلاقا من هذه الأهمية فقد كانت الزراعة عموما تشكل أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى حاضرة نجد بشكل مباشر، ولدى باديتها بأسلوب غير مباشر، وكان النجديون يحبونها ويولونها كل عنايتهم مهما اختلفت مكانتهم الاجتماعية واتجاهاتهم الفكرية، فتجد أغلب أمراء البلدان اهتموا بالزراعة وامتحنوها ولا غرو فى ذلك فكما أنها مصدر للثراء، فقد كانت هى أساس عمارة البلدان النجدية اذ كان أغلبها عبارة عن مورد ماء، أو مزرعة صغيرة أو مندثرة، أو يبدأ فى حفر أول بئر فى موقع يرويه مناسبا للسكنى ثم ما لبثت أن تتكاثر الآبار، ويكثر الساكنون، ويملك ماحولها شيئا فشيئا من قبل أفراد قبيلة أول زارع لها، اضافة الى أن بعض العلماء النجديين نظروا الى الزراعة النظرة نفسها اعتقادا منهم أن خير الناس عيشا هم أولئك الذين يملكون زراعة ينفقون منها على أنفسهم، وفى سبيل الخير، ولا أدل على ذلك من أن بعض علماء نجد كان مصدر رزقهم الوحيد الزراعة التى كانوا يولونها اهتمامهم ويحرصون على ذكر بعض أخبارها فيما يدونونه من تاريخ، ولم تكن الزراعة مقتصرة على الأمراء والعلماء بل ان عامة أفراد المجتمع النجدي

(=) تحملتها اضلاعى، جضن : لعله من الجواظ الذى هو الضجر أو قلة الصبر أو الصباح، الصبر : لعله يقصد بذلك جال البئر الذى هو صدر البستان، غلاك : الغلاء ضد الرخص والمقصود به هنا درجة عالية من الحب، ايضوع : الأصل يضوع وهى هنا على عادة النجديين بزيادة همزة على أوله توصلا للنطق بالسكان ومعنى يضوع : الضوع : التضجر من شدة البكاء والمعنى الزمسان يقسو ويفزع، الغيظ : أول الغضب أو شدته، والمعنى مادام أن هذه النخلات قريبة من الأصحاب الذين جفوني وكرهوني فقد عافتهم نفسى، لوهم اشروع : أى يسقين من شط الفرات، ما بمعنى ليس، الباء زائدة، صبها : محرفة من السبحة بالتحريك والتسكين وهى الأرض ذات النز والطح، مراغت : الصحيح أن تكون مراغة التى هى مجتمع بعمر الشاة والابل، أو الأرض كثيرة الغبار، والمقصود بها هنا أرض القصب بلد الشاعر. لما سبق (الفيروز آبادى باب الغاء فصل (=)

الأرض ، وبين مستأجريها ، وفلاحيها من جهة ، وبينهم وبين جيرانهم مسن
جهة ثانية " وبين عموم المزارعين ومصالح المجتمع من جهة ثالثة تنظيما يقف
المطلع على تفاصيله منها موقف الاعجاب والتقدير .^(١)

وكانت تجابه المزارعين مشكلات متعددة ، فبالإضافة الى الظروف
المناخية التي كانت تقسو عليهم أحيانا كما مر كانت هناك مشكلات من ناحية
وفرة المياه وقلتها ، وأسلوب الري الزراعي الا أن هذه المشكلات ليست عامة
لمنطقة نجد ، فتوجد أقاليم منها لا تحس بهذه المشكلات تقريبا لسهولة
الري فيها ووفرة المياه وتفجرها على وجه الأرض بينما تعاني أقاليم أخرى
من شح المياه وندرتها ندرة قد تصل الى حد الجفاف الذي يدفعهم
الى الرحيل عن بلدانهم ، أما بعض الأقاليم فانها وان كانت لا تعاني من قلة
المياه الجوفية فان استخراجها من باطن الأرض يمثل مشكلة رئيسية
اذ قد تعدم الحيوان القادر على نزح المياه من الآبار اما لضعفه أو قلتها
في بعض الأحيان ، أو عدم وجود يد عاملة تشرف على خط سير هذه الحيوانات
في منطقة نزح المياه ، أو عدم القدرة على توفيرها مع وجودها وتشير بعض^(٢)
الفتاوى الى أنه يحدث أحيانا خلافات بين مالك الأرض والفلاح حول بعض
المشكلات التي تستتبع نفاد المياه من الآبار ، وأن على المالك للحفر حتى

(١) المنقور: الفواكه ١٥٦/١، ٩٨ - ١٥٨ - ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٨
٣٣٤ - ٣٧٤، ٣٦٩ - ٣٨٩، ٣٧٦ - ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠ - ٤٠٦ ،
وقد فصل فيها عددا من الأحكام في هذه المسائل التي جلبها
من الواقع النجدي .

(٢) الدارة : العدد السابق ص ١٨
DR. M. Then Al- Thenyan p. 1 , 2

د . العثيمين ، المرجع السابق ص ١٨

حتى يجد الماء ليلزم الفلاح السقى منها ولو أدى ذلك الى النفاد الى بحث
المالك عن الماء عن طريق بئر أخرى أو حفر الجب وهو ما يعرف بلهجة أهل
نجد " بالجسو " (١) إلا أن للفلاح الفرق بين كلفة التزحين (٢).

كما ذكرت إحدى الفتاوى أنه إذا كثرت السيول فأغنت عن العمل لم
ينقص نصيب العامل مما كان مشروطاً عليه بينه وبين مالك الأرض، إلا أن كان
مشروطاً عليه أدار معلومة فانه يلزمه سقيها من غير حساب سقى المطر لها (٣)،
وقد نظمت بعض الفتاوى كذلك بعض أساليب الري بين مصلحة الفلاح والمصلحة
العامة كإضطرار الفلاح مد منطقة نزح المياه من الآبار " المنحاة " الى الشارع
ومد ساق عبر الشارع بأن ذلك لا بأس به إذا أذن الامام ولم يحصل للمجتمع
ضرر منها (٤).

وتتعرض الحياة الزراعية كذلك لعدد من الآفات كغزو الجراد والذباب
" صغار الجراد " وتخریبها للمحاصيل ، كما تتعرض لغزو جيوش الأعداء واللصوص
الذين يتحينون فرصة الاثمار، وزهو المحاصيل فيغيرون على غرة ناهبين هذه
الثمار والمحاصيل (٥). إضافة الى تعرض المحاصيل للأمراض والمؤثرات المناخية
من عواصف وأمطار وبرد وحر.

-
- (١) الجب : بالفتح نقيض يجتمع فيه الماء ، والجب بالضم : البئر أو الكثرة
من الماء البعيدة القعر أو التي لم تطفو، أو مما وجد ناهبا لا مما
حفره الناس والمقصود بها لدى النجديين نبع الماء في البئر
المحفورة ، والذي لم يدخل ضمن الطي (الفيروز) بآدى باب الباء فصل الجيم
(٢) المنقور : المصدر السابق ١/٩ + ٣
(٣) المصدر السابق ١/٣١١
(٤) المصدر السابق ١/٣٦٠
(٥) المنقور : التاريخ ٦٦ ، الفاخري : ٨٤ ، ابن بشر : ١/٢١٨ ،
٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨

٤- الحرف اليدوية والمهن :

من الحقائق الثابتة أن المجتمع النجدي والعربي عموماً قد يمسحاً وحديثاً ينظر إلى كثير من الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء^(١)، إلا أن هذه النظرة لا ينفرد بها العربي فأغلب شعوب العالم القديمة كانت تنظر للنظرة نفسها لهذه الحرف^(٢)، وعجيب أمر أصحاب هذه النظرة فهم — حاجتهم الماسة لأرباب الحرف — الطبقة المنتجة — إلا أنهم يستنكفون القيام بهذه المهن ويحتقرون الممتنئين لها .

ورغم ثبات هذه الحقيقة إلا أنه قد وجد في المجتمع العربي قبل الاسلام وبعده أفراد يعدون من وجهاء المجتمع وسادته كانوا يقومون ببعض المهن التي كانت مستنكرة من قطاع عريض من الناس كالجزارة والخياطة والنجارة والحدادة والحجامة وغيرها^(٣) مما يشير بأن هذه الحقيقة رغم ثباتها لا ينبغي أن تعم على العرب عامة فتلصق بهم الصفة غير الحضارية وخاصة بعد مجيء الاسلام الذي شجع العمل والاحتراف وحث على احترام أرباب الحرف في المجتمع^(٣).

(١) جواد علي : ٥٤٤، ٥٠٦/٧ .

(٢) ممن اشتهر الجزارة من وجهاء قریش، الزبير بن العوام، وعمرو بن العاص، وعامر بن كريز، والوليد بن المغيرة، ومن الخياطين العوام ابن خويلد - أبو الزبير -، وعثمان بن أبي طلحة - صاحب مفتاح الكعبة - وقيس بن مخزومة، ومن النجارين : عقبة بن أبي وقاص - أخو سعد - ومن الحدادين : العاص بن هشام - أخو أبي جهل - ومن العجامين : الحكم بن أبي العاص، وحريث بن عمرو (عبد الله ابن قتيبة : المعارف، تحقيق د . ثروت عكاشة ط (٢) دار المعارف بمصر ص ٥٧٥، ٥٧٦، جواد علي ١٢٥/٤، ١٢٦) .

(٣) ليس هنا مجال الحديث عن نظرة الاسلام للحرف والمهن اليدوية ومن أبرز الأمثلة في هذا الصدد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتطاب واجابته دعوات بعض أرباب الحرف وزيارتهم فمسى منازلهم وللتفصيل انظر ابن حجر : فتح الباري ١٦٨/٩، ١٦٦/٧ - ١٧٠، ١٧٦ هـ بن محمد الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية

وقد كان المجتمع النجدى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب والى وقت قريب يزخر بالكثير من الحرف التى اشتركت فى القيام بها سائر الفئات الاجتماعية فى المنطقة سواء كان أفرادها متضامنين فيما بينهم فى بعض المهن كالأعمال الزراعية والتجارية أو قاموا بها منفردين كل فيما يتفق مع وضعه فى المجتمع ، وتميل اليه نفسه .

ولئن كانت بعض الفئات تستنكف القيام ببعض الحرف التى تمارسها فئات أخرى فانها تمتهن بعض الأعمال التى يحتاجها المجتمع مما أعطاهن تكاملا فى حرفة بين فئاته التى تؤدى هذه الأعمال والمهن فى محيط اجتماعى كفل لكل فئة فيه حريتها فى عملها ، واستفادتها من هذا العمل .

وقد أثر عن حضر نجد بفنّتهم الرئيسيتين امتهان كثير من الأعمال والحرف اليدوية حتى بدا هؤلاء وقد كفوا أنفسهم فى بعض ما يحتاجونه من هذه الاعمال والحرف الا أنه فى اطار التبادل التجارى الذى كان سائدا داخل نجد وبينها وبين البلدان الأخرى ، فقد كان الحضر النجديون يستفيدون مما تنتجه المهن البدوية والصلبية فضلا عما يستوردونه من انتاج ومصنوعات المناطق الأخرى ومن أبرز الحرف صناعة المنتجات الخوصية^(١) التى تتكون من جمع خوص النخل الأخضر وتشكيله بعد سفه على شكل خصاف^(٢)

(=) على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق احسان عباس ط (١) دار الفسّيب الاسلامى : بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٧٠٣ - ٧٤٢ ، جواد على ٥٤٣ / ٧ ، عبد العزيز العمري : الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ط (١) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٥٦ - ٦٠ .

- (١) الخوص : ورق النخل الواحدة بهاء فصيحة والخواص بائع الخوص ، وأخوصت النخلة : اخرجت خوصها . (الفيروزابادى : باب الصاد فصل الخاء)
(٢) الصف : نسج الخوص فصيح ، والسفة مايسف من الخوص على شكسمل الزنهيل أو الجلة ، والخصاف : مايعمل من الخوص كالجلة للتمر . ،
الفيروزابادى : باب الفاء فصل الخاء والسين) .

حسب الحاجة فخصاف على شكل سجاجيد للصلاة ، وحصر للجلوس والنوم ، وسفر مدوكة لتناول الطعام عليها ، وخصاف على شكل مكاتل أو زناجيل^(١) ينقل بها التراب وغيره ، وأوعية لجنى التمر والرطب من النخل (مخارف)^(٢) ، وأوعية لحفظ التمر بعد الجذاد لبيعه فى الأسواق بخصفه أحيانا وأحيانا^(٣) بدونها وأوعية أخرى حسب الحاجة وأغطية لهذه الأوعية حسب حجمها كما أن من هذه المنتجات أدوات تحريك الهواء^(٤).

وتأتى بعد ذلك المصنوعات الجلدية بعد دهنها وتشكيلها عن طريق الخرازة حسب الحاجة كالقرب ، والأسقية والعلك ، والأحذية^(٥) العملية الصيفية والشتوية " الزرابيل " حيث كانت الى وقت قريب تفى بحاجة

(١) المكتل والزنبيل أو الزبيل كلها فصحة . (الفيروزابادى : سبب اللام فصل الزاى والكاف والزنبيل جمعه زيلان (٣ / ٣٨٨) .

(٢) مخرف كمنبر زنبيل صغير يخترق فيه اطاييب الرطب ، وخرف الثمار خرفا ومخرفا وخرافا : جناه كاخترقه ، وفلان لقطله الثمر : الفيروزابادى باب الفاء فصل الخاء ، ولم اجد للفظه " المطحن " التى تدل على المعنى نفسه فى بعض مناطق نجد أى اصل فيما بين يدي من كتب اللغة ولعل ابتداء استعمالها لوضع الطحين فيها .

(٣) المنقور : الفواكه ٣٤٩ / ١ .

(٤) هى مايرف بنجد وشرق شبه الجزيرة والعراق بالمهاف جمعه مهقة لانها اذا حركتها اليد تحدث هواء هافا أى هادئا وهى فصحة الفيروزابادى باب الفاء فصل الهاء العبودى : الامثال العامة ١ / ١٠٨ ،

(١٠٩) وانظر عبد الرحمن السويدي : " نجد فى الأسس القريب ط (١)

دار العلوم . الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ١٥٠ - ١٥٢) .

(٥) الزرابيل : جمع زربول قال فى التاج (باب النون فصل الزاى)

الزربول والزربول هو مايلبس فى الرجل مولده ، وهى فى نجد كما فى بعض البلدان أحذية أو خفاف شتوية وأشار الشيخ احمد رضا نقلا عن شفاء الخليل انشاعامة مبتذلة وان العامة تنطقها أحيانا " زربول " وهذا النطق غير معروف لدى النجديين كما أعلم أواللبنانيين كما ذكر احمد رضا ويجعل لها فى نجد ساقان من الصوف المنسوج باليدوعرى يربط بعضها ببعض ، وقال الشاعر :

مرنى بصفع الأعدا اذا اضطربوا . من حسد اليوم بالزرابيل

(=)

المنطقة من هذه المصنوعات، وكان لقوة المادة الجلدية في الربط والشد ما جعلهم يستفيدون من الجلود على شكل سيور من القد^(١) يستخدمونها في ربط الأمتعة، وشد ما يحتاج الى شد من المصنوعات الخشبية كالقتيب^(٢) ونحوها اضافة الى دخولها في تركيب المصنوعات الجلدية السالفة، ولم تشر المصادر الى استنكاف هذه الفئة من مهنة السف والخرازة مما يسدل على امتنانها لهاتين الحرفتين وان كان لا يمنع من ذلك مشاركة الفئات الأخرى لها فيها .

وهذه المهنة تعتمد على مهنة أخرى وهى الدباغة وذلك لتوفير الجلد الصالح للتشكيل المطلوب بأن يدفع الخراز الجلد للدباغ ويستأجره على دباغته مشاركة أو مقاطعة أو باليوم أو الشهر أو السنة أو بالجلد ولأهمية هذه المهنة وكثرة الممتننين لها وشح المياه فقد سأل ابن عطوة شيخه عن الخراز الذى يمسس السيور ويضعها فى فمه لتلين من ريقه هل يفطر؟ فأجابه بأنه لا يفطر اذا بهق ريقه.^(٣)

(=) (الفيروزآبادى باب النون فصل الزاى ، عثمان بن قائد : هداية الراغب ص ٥٣ ، أحمد رضا : قاموس رد العامى الى الفصح ص ٢٢٦)

ويبدو أن هذا الاسم غير معروف فى مصر فان الدكتور أحمد عزت عبد الكريم حينما حقق كتاب (حوادث دمشق اليومية) ووردت لفظة زراويل فى المتن قال فى الحاشية: علها سزابيل (ص ٢٠٦ هامش ٣) السيور : جمع سيرة فصحوا لشد السير من الجلد (الفيروزآبادى باب الدال فصل القاف وباب الراء فصل السين)

(٢) القتب : فصيحة . قال فى القاموس : " جميع أداة السانية ، وما استدار من البطن والأكاف الصغيرة على قدر سنام البعير والجمع أقتساب (المصدر السابق باب الباء فصل القاف)

(٣) المنقور: الفواكه ١/ ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٣٤٠ ، السويداء : المرجع

السابق ١٤٥ - ١٤٧ ، ١٥٢ - ١٥٤ .

وكان الاشتغال بالطين الذى هو أساس بناء البيوت الحضرية يشكل حرفة أساسية فى المجتمع النجدى الحضرى تلقى التقدير، ومن يزاولها يلقي كل احترام ومودة سواء من كان يعد المواد الأساسية للبناء وهو الملبن^(١) الذى يعد لبن الطين على شكل مربعات يضعها فى مربع من الخشب تتشكل فيه حتى اذا يبست رفعت للبناء، وكان يتم بيعها امسا بالعدد أو الجزاف، أم من يقوم بعملية البناء نفسها وهو المعلم^(٢) الذى يعامل باحترام أكثر من غيره، أو من يقوم بتجهيز المواد الطينية اللازمة لشد البناء وتقديرها للمعلم، وقد أشار حميدان الشويعر أن هذه الحرفة مع الزراعة تشكلان مصدرين اقتصاديين فى المجتمع النجدى الحضرى كقيمتين باثرا من يمتنهما فى أقصر وقت ممكن، وأن من يزاولهما معا أو أحدهما جدير بالتقدير والاحترام من كافة أفراد المجتمع، وهذا ما كان يقابل به المجتمع من كان يمارسها، بل ان من يرى وفى يده طين يكرم على أساس أنه يساهم فى تشييد المنازل التى هى عماد الحياة الحضرية، يقول حميدان فى هذا :

الى جاك الولد بيديه طين .°. وله غرس يدقن فى جفاره

ترى هذاك ما ياخذ زمان .°. والى هو جامع عنده تجاره

وبالمقارنة فى البيتين التاليين :

-
- (١) الملبن ، واللبن ، والمَلْبَن والتلبن كلها فصيحة قال فى القاموس: اللبن ككتف المضروب من الطين مربعا للبناء ويقال فيه بالكسـر مكسرتين كابل ، لغة ولبن تلبننا اتخذه ، والطين كمنبر : قالـسب اللبن " (الفيروزابادى : باب النون فصل اللام) .
- (٢) هو المعروف نجديا بالستاد تحريفا من الاستاذ : الحاذق فى حرفته أو الرئيس على مجموعته على أساس ان المعلم يترأس فريق البنائين ، وأشار العبودى الى انها فارسية الاصل : (الزبيدى التاج باب الذال فصل الهمزة ، العبودى : الامثال ١٤٧٨/٤) .

والى جاك الولد زملوق خندق . ومن نوم الصفر غاش صفاره
فحاذريا أديب تحط عنده . لك بنت تموت بوسط داره^(١)
يتبين لنا مدى التقدير الذى يوليه المجتمع لهذه الحرفة ومن يعتنقها
وخاصة الشباب مما يستلزم معه تلبية مطالب هؤلاء الشباب العاملين وتهيئة
أسباب الاستقرار لهم بأنهم ان خطبوا فهم جديرون أن ينكحوا . اذ ان الموافقة
على التزويج أوضح مظاهر التكريم ، كما يتبين لنا مدى حب النجديين
للعمل وتقديرهم لمن يمارسه مؤديا دوره فى هذا المجتمع .

وتعتبر الجمالة وهى : نقل الأفراد والبضائع بين البلدان والمناطق
النجديين وبين نجد وما جاورها من البلدان على ظهور الابل ، مهنة رئيسية
من مهن الأغنياء ومتوسطى الحال من هذه الفئة الذين كانوا ينقلون
بواسطة الحطب والأعلاف البرية والزراعية ، كما تعتبر مصدرا اقتصاديا
لقسم كبير من النجديين آنذاك ، وكانت تشكل مع التجارة والعمل بالزراعة
والمهن والأعمال اليدوية الثالث الاقتصادى للمنطقة فى تلك الفترة ، والمصدر
الشرى لجمع المال اذ أن من يعتنق الجمالة ، أو التجارة ، أو العمل بهأى
مهنة لا يلبث أن يجمع نصيدا من المال ، بل يبدو أن الجمالة هى أضمنها

(١) الى جاك : اذا جاءك ، وله غرس : المقصود به النخل حيث يحفر
له حفرا يغرس فيها ، زملوق خندق : الزملوق : المقصود به نجديا
ساق النبات أو النبات الدقيق ، كما تعنى مجتمعه مع الخندق
الولد الذى لا خير فيه لنفسه ، وأهله ، ولم أجد لها أصلا فيما
بين يدي من كتب اللغة الا أن تكون معرفة من الدملوق الذى هو
نبته أصغر من العرجون يكون فى الرمل والروض كما ذكر ذلك
الفيروز ابادى ، أو تكون معرفة من الخندق التى هى بقلة يقال لها
الذرق وتطلق على الرجل الكل الطويل المضطرب الاحق (الفيروز
ابادى باب القاف فصل الخاء والزاي) وعن الابيات : خالسد
الفرج ديوان النبط ٤٨/١ ، محمد سعيد كمال : الأزهار
النادية ٣٢/٩ .

للاثراء لحاجة المجتمع اليها ، ولأن التجارة معرضة للخسارة ، بينما لا تتعرض الجمالة لتلك المخاطر الاقتصادية وكل ما على الجمال فعله الاعتناء بابله وحسن التعامل مع الزبائن وفاء بمواعيد الرحيل وأمانة في الاستلام والتسليم لما قد يرسل معه من منطقة الى أخرى . وقد أشار حميدان اليه في البداية حيث قد مها على التجارة والعمل حيث يقول : (١)
وبالناس من يجمع حلال يدفنه . . بجمالته وتجارته واكداه .

وكانت الجمالة تقوم بدور رئيسي في تجارة القوافل فيما بين نجد والأقطار المجاورة وغيرها ، وكانت العقيلات (٢) أو عقيل هي العنق الواضح على هذا الدور الذي كان يعتمد عليه كافة تجار نجد في نقل بضائعهم

(١) الحلال : المقصود به المال النقدي هنا ، وان كان يطلق نجد يسا على كل مال نقدي أو عيني منقول أو ثابت كالعقار والحيوان وغيرها وعن البيت خالد الفرج المرجع السابق ٢٧/١ ، محمد سعيد كمال : المرجع السابق ١٣/٩ .

(٢) عقيل بالتصغير أو العقيلات هم جماعة من التجار وناقلي التجارة النجديين وكان اول ما بدأوا يتاجرون به الماشية من نجد الى الشام ومصر والعراق وكان لهم وخاصة في العراق - أدوارا رئيسية في الحياة الاجتماعية والسياسية وخاصة في جنوبه وكان جانب الكرخ من بغداد يسمى صوب عقيل أي جانب عقيل ، وهو حتى لا تزال أطلاله باقية الى الآن وقد شاهدته في رحلتي العلمية للعراق ، وكانت عقيل تسكنه ، والذي يبدو أنهم سموا عقيلة على أساس أن بني عقيل الذين هم من بني عامر بن صعصعة كانوا في القديم هم الذين يترددون الى هذه الاقطار ، ثم خلفهم عليها بعض الحضائر النجديين فسموا باسمهم اجراء لهم مجرى اسم بني عقيل ، وكانت تطلق على عامة النجديين ويبدو انها انحصرت في الاخير على تجار وناقلي التجارة من منطقة القصيم ، لاستمرارهم في هذه المهنة الى وقت قريب - للتفصيل : (فهد المارك ، من شيم العرب ٤/٤٢ ، محمد العبودي : الأمثال العامة ١/٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤/٢ -

فيها بين نجد وتلك الأقطار، وهذا النوع من التجارة كان يعتبر مظهرا من المظاهر الهامة للحياة الاقتصادية لسكان المنطقة حيث كان رغم ما يتعرض له من بعض المخاطر كقطع الطريق والاضطرابات داخل البلدان النجدية، والبلدان المجاورة لها عامل جذب لكثير من النجديين ممن يعدون من الفئات العليا في المجتمع آنذاك^(١).

وقد أشار النص الفقهي الذي سبق ذكره والذي نقله المنقور عن شيخه ابن ذهلان إلى عدد من المهن كالكلالة أو العمالة، والحشاشة والحطابة، ويقوم بعض النجديين بهاتين المهنيتين مجتمعتين ويسمى في هذه الحالة قرّاشا والمهنة قرّاشة، كما أن الرياسة والدياسة والذراية والحصاد والعناية بالنخيل " الشعالة أو الولاية " كلها مهن كانت تسير كثيرا من مجالات الحياة العامة وتتوقف على استمرارها بقاء واستمرار عدد من المهن الأخرى، وهذا ما دفع بالشيخ ابن ذهلان إلى تخصيص أصحاب هذه المهن بجواز الفطر إذا لحقهم ضرر من ذلك كما مر^(٢).

(١) Dr. M. Thenyan . p. 8 , 9 وعن أقسام الجمالة : السويداء

المرجع السابق ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) المنقور : الفواكه ٧٣/٢ وقد سبق التعريف بهذه المهن عند عرض

هذا النص الفقهي في الفصل الثاني من الباب الثاني، أما القرّاشة ففصيحة قال في القاموس (باب الشين فصل القاف) : " قرشه يقرشه بالضم والكسر قطعة وجمعه ، ومنه قرش لتجمعهم حول الحرم ،

والقروش كجروول ما يجمع، والتقرش : الاكتساب، والمقرشة : المحلل لاجتماع الناس فيه، وتقرشوا : تجمعوا " ويجمع القرّاش على قراريش والتصغير قريرش وجمعه قريرشة وغالبا ما يأتي مصغرا مفردا كان أو جمعا تعبيراً عن ضعف هذه المهنة واحتقاراً لها لقلة دخلها

اذ أن القراريش يعدون من الفقراء في المجتمع، ولفقيرهم فهم يحملون ما يجمعونه على ظهورهم أو رؤوسهم، وقد وردت اشارتان عن هذه

المهنة في بيتين لحميدان الشويعر : (خالد الفرج : مرجع

سابق ١٩/١، ٦٤) .

وتعتبر النجارة احدى الحرف اليدوية التى لها أهمية بالغة لتسيير
دفة الحياة الاجتماعية فى سائر حاجات المجتمع الخشبية المتنوعة الأشكال
وهى حرفة أصيلة فى المجتمع النجدى تعتمد خدماتها لعموم فئات وأفراد
المجتمع كالبندو والحضر، التجار والزراع وغيرهم.

كما أن الحدادة احدى الحرف التى كان يجيدها بعض حضـر
نجد ولا يستغنى عن أعمالها المجتمع بأسره سواء فى وقت السلم أم فى وقت
الحرب وهذا ما جعل لهذه الحرفة أهمية كبيرة يلتقى مهتمها تقديراً لا بأس
به من سائر فئات المجتمع.

وليس هناك مجال العرض التفصيلى لأعمال هاتين الحرفتين فمما
توفره النجارة الأبواب والنوافذ والصناديق وسائر أدوات الزراعة وركوب الحيوان
والأدوات المنزلية وغيرها ، والحدادة توفر الأواني المنزلية صناعة وصيانة ،
وكذلك الأسلحة والسلاسل والمفاتيح الحديدية وغيرها^(١).

وتعد الصياغة حرفة من أهم الحرف فى المجتمع النجدى فعلى
طريقها يتم تشكيل خامات عدد من المعادن النفيسة الى حلى ومقابض
للسيوف وغير ذلك .

ورغم أن الذهب والفضة هما أبرز المعادن التى تعتمد عليهما
هذه الحرفة إلا أن شح الموارد الاقتصادية وغلبة النحاس فى سوق التعامل
النقدى وتجارة المعادن كما سيأتى كل ذلك جعل النحاس يتغلب على
هذين المعدنين النفيسين فى تلك الفترة سواء بتشكيل الحلى منسـجـمـة
وهو لا زال خاماً أم بتحويل بعض النقود النحاسية الى سائر متطلبات الصياغة^(٢).

(١) السويداء : مرجع سابق ١٣٥ - ١٤١ .
(٢) عن هذه الحرفة وأعمالها أنظر عبد الرحمن السويداء : مرجع
سابق ١٤٣ - ١٤٥ .

ولما كان تحويل بعض النقود الذهبية والفضية والنحاسية السبي سائر تشكيلات الصياغة عملا يقوم به الصاغة في كل وقت فقد أثر عن الصاغة النجديين في تلك الفترة تحويل عدد من النقود الى حلي ، فالمشخص والأحمر والمطبق وغيرها من العملات كما سيأتي كانت تدخل في مجال الحلي عبر مراحل السك التي تمر بها سواء كانت ذهبا أم فضة أم نحاسا عن طريق تصرف الصاغة فيها بتحويلها من النقود الى المجوهرات.

(٢)

أما الجزارة أو القصابة فهي مهنة أصيلة في المجتمع النجدي يتم عن طريقها توفير اللحوم اما بالموازين المستعملة في تلك الفترة أو قسمتها بغير ميزان ، ويبدو أن القسمة أكثر شيوعا من للوزن أحيانا ، فضلا عن أن هذه الطريقة هي التي كان يفعلها المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما بعده كذلك ، فقد كانوا ينحرون الجذور ويقسمونها بينهم بغير ميزان ، وربما كانت متأصلة في مجتمع العرب قبل الاسلام (٣).

ورغم أهمية هذه المهنة الا أنه نظر لبعض معتمديها نظرة ازدراء وحذر لما قد يقوم به بعض هؤلاء من غش وخداع في توزيع اللحم أو وزنه جودة أو خسا

(١) سيأتي الحديث عن ذلك في بحث العملات المتداولة في الفصل الثاني من هذا الباب ، وقد أورد المنقور في الفواكه (٢٥٣/١) فتوى نقلها عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعي تقول بجواز كسر الأحمر والمطبقة للصياغة اذا أراد بكسره تحويله السبي حلي مباح .

(٢) الجزار والقصاب واللحام كلها ألقاب فصيحة تعنى الذى يتولى ذبح الحيوان وتوزيعه وبيعه (الفيروز آبادى باب الباء فصل القاف ، ص ١٠٠)
الراء فصل الجيم ، الخزاعي : المصدر السابق (٧٤٢ ، ٧٤٣) .

(٣) المنقور : الفواكه ٢/٣١٥ ، ٣٣٠ ، السويداء ١٥٤ ، ١٥٥

(٤) من الأمثلة على غش بعض القصابين في تلك الفترة نفخ اللحم بعهد الذبح مباشرة وقبل أن تبرد الذبيحة وقد أفتى ابن ذهلان بكراهية ذلك فيما يباع وزنا ، وحرمة فيما يباع جزافا لأنه تدليس (المنقور ٢/٣١٥) .

أو لاستنكاف بعض النجديين من القيام بهذه المهنة ، واحتقار القائمين —
بها نتيجة لذلك ، ولعل ما يشير الى ذلك عبارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في رده على معارضة سليمان بن سحيم حيث يقول : " ولكن صائر لكم عنـد
خـمـاة^(١) في معكال : قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ، ونداريكم وودنا
أن الله يهديكم ويهديهم^(٢) .

وتعد الحياكة والنسيج إحدى المهن التي يجيدها بعض البدو
والحضر إذ تقوم النساء عند الفريقين بغزل الصوف والشعر والهرثم تشكيله
الى مختلف الأنواع التي يحتاجها البدوي والحضري على حد سواء كالبسـط
والخروج الكبيرة والصغيرة " المزارد " وبيوت الشعر وغير ذلك^(٣) .

وقد وجدت في نجد مراكز للنسيج منذ فترة متقدمة قبل الاسلام
وسعده ، ومن أشهر هذه المراكز منطقة الوشم عامة وثرمداء بشكل خاص إذ كانت
البرد اليمانية وبرد ثرمداء من الأنواع الغالية الثمن ، بل كانت برد ثرمداء
تضاهي أحياناً البرد اليمانية في الجودة ويصور ذلك قول الشاعر :
ما بال بردك لم تمس حواشيه . . من ثرمداء ولا صنعاء تحبير^(٤)

-
- (١) خماة : الكناسة وخم البيت : كنسه ، وتطلق على أراذل الناس
مفرداً خمّام وهي المقصودة هنا (الزبيدي : باب الميم فصل الخاء)
(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل ٢٢٦ ، وقد وردت (خماة)
بلفظ (جماعة) ، أما عند ابن غنام في الروضة ١٣٨/١ وفي نسخة
الأسد ص ٣٢٧ فقد وردت خماة بلفظها الذي أوردته هنا وهو
الذي يتفق مع سياق الكلام ، وانظر ابن قاسم : الدرر ٦١/٨ ، ومما
يندرج تحت ذلك قول الشيخ في الرسالة ذاتها : " وإذا خلست
مع شياطينك وقصاصيبك فلك كلام آخر " (الرسائل : ٢٢٩ ، ابن
غنام ١٤٠/١ وقد وردت فيه " قصاصيبك " ولعلها خطأ مطبعي ، ابن
قاسم : ٦٣/٨ وقد وردت فيه مع الرسائل " قصاصيبك ")
(٣) السويداء ١٤٧ - ١٤٩ .
(٤) ياقوت الحموي ٧٦/٢ ، جواد علي ٥٩٧/٧ ، ابن خيمس : معجم
اليمامة ٢٢٨/١ .

وقد بقيت شهرة الوشم وثرمدا خاصة فى النسيج الى ما قبل خمسين ومائتى سنة تقريبا ، ثم بدأ العمل فى هذه المهنة يضعف حتى تلاشى قبل خمسين ومائة سنة ، فلم تعد هذه المنطقة ولا تلك البلدة تعرف به ، ومن المعتقد وجود مراكز أخرى للنسيج فى نجد ولكنها لم تصل الى شهرة ثرمدا^(١) .

ومن الحرف التى لها علاقة بالنسيج والحياكة والخياطة وهى من الحرف المرائجة فى أوساط الحضر حيث تقوم المرأة الحضرية فى الغالب بهذه المهنة من بعض أنواع الأقمشة القطنية والصوفية التى يمتارها النجديون من المراكز التجارية المجاورة ، فتشكل المرأة هذه الأقمشة الى ثياب أو سراويل أو غيرها عن طريق الخياطة اليدوية^(٢) .

ورغم أن المصادر لم تسعفنا بمعلومات - ولو قليلة - عن هذه المهنة الا أنه الى وقت قريب وكل بلد نجدى يوجد به خياطة أو أكثر ، ويجد المطلع على أسلوب الخياطة النجدية تشابها مع أسلوب خياطة العرب قبل الاسلام وسعده رغم اختلاف شكل اللباس ، بل ان بعض الألفاظ التى استعملها العرب لبعض أجزاء اللباس قد بقيت لدى النجديين الى وقت قريب بعد لولها القديم " فالبنائى والتخاريمى^(٣) " مثلا كانت الخياطة النجدية تؤكد على وجودهما فى كل ثوب أو سروال حرصا على بقائها فضفاضة لا تتعرض لسرعة

(١) مقل الذكبر ورقة ١٧١ .

(٢) ويصور المثل النجدى " خياطة أو خياط برد " درجة اتقان الحضر للخياطة وعدم معرفة البدو لها اذ أن هذا المثل يتندرب به الحضر على البدو فى هذا السبيل (العبودى : الأمثال العامة ٢/ ٤٨٣ ، عبد الكريم الجهيان : الأمثال الشعبية فى قلب جزيرة العرب ط (٢) دار الثقافة : بيروت ، نشر دار أشبال العرب الرياض ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ٣ / ٥٩) .

(٣) البنائى : جمع بنية وهى لبنة القميص وكل رقعة تزداد فى الشوب ليتسع ، والتخاريمى جمع تخرمه أو تخرص أو تخراسة لغة فى الدخاريم (=)

التشقق ، وتخدم مدة أطول .

وعلى أى حال فقد كان جل حاضرة نجد فى ذلك الوقت يمارسون
المهن البدوية كرمى وتربية الماشية وخاصة الابل والاغنام نتيجة كونهم
يعيشون حياة متداخلة بين البداوة والتحضر ، وكانت هذه المهن لهم كما
هى للبدو مصدرا اقتصاديا مهما ، وبشكل موسمي الربيع فترة قلاشى الفسوارق
الحياتية بين أبناء البدو وجل الحضر فكلهم يرتاد الصحراء للرمى وجمع
العشب والكأويسكنون الخيام أو بيوت الشعر تماما كما يفعل البدو وقت
المحل حينما يقطنون فى البلدان النجدية أو قريبا منها .

(=) وهى أطول من البنية تتخذ للغرض ذاته وقد تطلقان فيراد بهما
معنى واحد الا أن التفريق أبلغ وهو المشهور عند النجديين
(الزبيدي : باب الصاد فصل التاء والذال ، وباب القاف فصائل
الباء ، جواد على ٦١١ / ٧ وذكر أن الدخري والتخريص أصلها
فارسي تعنى البنية) .

الفصل الثاني التجارة

- « ١ » أساليب التجارة .
- « ٢ » أسلوب التجارة المحلية .
 - « ب » أسلوب التجارة الإقليمية .
 - « ج » أسلوب التبادل التجاري بين البادية والحاضرة .
 - « د » أسلوب التجارة الخارجية أو تجارة القوافل .
- « ٣ » نظام الأسعار وأمثلة منها في تلك الفترة .
- « ٤ » أمثلة من أساليب البيع والشراء .
- « ٥ » المكاييل والموازين والمقاييس :-
 - أ - المكاييل .
 - ب - الموازين .
 - ج - المقاييس .
- « ٥ » العملات المتداولة .

توطئة:

تعد التجارة أحد أبرز مقومات الاقتصاد النجدي في تلك الفترة فضلا عن كونها عاملا مهما من عوامل التأثير الاجتماعي المتبادل بين النجديين أنفسهم وفيما بينهم وبين سكان المناطق الأخرى بما تتيحه من فرص الاحتكاك الاجتماعي الناجم عن التبادل التجاري وما صاحبه أو يتلوه من اكتساب أهل المناطق بعض العادات النجدية وتأثر النجديين ببعض عادات وتقاليدهم التي يتبادلون التجارة معها والقيام بنشر هذه العادات في أوساط المجتمع النجدي مثل ما يحصل عن طريق الرحلات العلمية كما مر، ولكون بعض الأفراد والأسر قد يطيب لهم المقام في البلد التي يتاجرون معها، فإن ذلك عامل آخر أسهم في الوجود الأسري النجدي في المناطق المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا، وهذا بدوره ساعد كذلك على وجود اختلاط اجتماعي بين التجار النجديين وبعض سكان هذه المناطق، كان مبعثه إعجاب كثير منهم بالآخلاق التي يتمتع بها هؤلاء التجار فضلا عن إجادتهم لعدد من أساليب التجارة وتقانيهم في أعمالها^(١).

١- أساليب التجارة:

وتقوم التجارة النجدية على الأساليب التالية:

أ- أسلوب التجارة المحلية:

وكانت تتم بين حاضرة نجد أنفسهم في كل بلدة على أفراد، وكان أبرز ما يتم البيع والشراء فيها هي المنتجات الحيوانية والزراعية بين المنتج والمستهلك داخل البلد الواحد، وعادة ما يحملها الفلاحون بأنفسهم إلى الأسواق ويبيعونها بدون وسيط بالمزاد وأحيانا بواسطة تجار الجملة الذين يشترون من المزارعين كمية كبيرة من منتجاتهم ويبيعونها إلى عملائهم

(١) حسن الريكي: لمع الشهاب. تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٩١

فى المدن وأحيانا يتم البيع بعد أن يجلب الفلاح منتجاته بواسطة
أحد السماسرة (الدالين) .

ويقوم التاجر المحلى باستيراد بعض السلع من خارج البلدة أو المنطقة
ليبيعها الى المستهلك كما يقوم بشراء المصنوعات المحلية من صناعاتها وبيعها
الى المستهلكين أو بيعها على حساب الصناع وأخذ دالة عليها . وقد
يذهب المستهلكون الى الصناع مباشرة هذا فى المدن أو كبريات البلدان
النجدية .

أما فى القرى فان التجارة المحلية تتم بالنسبة للمنتجات الزراعية
بأن يوصلها الفلاح نفسه الى المشترين من أبناء قريته أو يجمعها المستهلكون
من الحقول^(١) . وكانت الأعلاف تباع بالجفاف بأحواضها ، أو بوزنها عن طريق
ميزان خاص^(١) يصنع محليا ويوضع قرب الأحواض ، ويتم فى القرى والمدن بيع
الأعشاب البرية " الحشيش " للأعلاف وكذلك الحطب من القرايش^(٣) الذين

(١) الدارة العدد السابق ص ١٩
Dr. M. TH. Al-Thenyan p. 4

(٢) يتكون هذا الميزان من خشبة من الأثل ليست متينة ولا دقيقة تتحمل
الوزن الكبير ينجرها النجار ويكون فى الوسط منها حديدة تعلّق
بها المزرعة وتفصل بين أداة الوزن وهى صخرة متوسطة الحجم تزن
عشرين كيلا أو تزيد أو تقل وبين ما يراود وزنه من علف أو تمر أو قمح ،
وتسمى هذه الحديدة القلب ، وتقسم هذه الخشبة فى جهتيها
الى وحدات وزن صغيرة تكبر كلما ابتعدت عن القلب التى يعلّق
بها الميزان .

(٣) سبق تعريف القراش .

يقومون بجمعها من البرارى وجلبها على المدن والقرى ، وكان مما يتسم التبايع فيه كذلك على نطاق التجارة المحلية المواشى بأنواعها سواء كان ذلك عن طريق المقايضة أو بدفع أثمانها معجلة أو مؤجلة^(١).

ب - أسلوب التجارة الاقليمية (الحضرية) :

وهذا هو الذى كان قائما بين الأنحاء والأقاليم النجدية داخل منطقة نجد اذ من المعروف أن الأقاليم النجدية يكمل بعضها البعض الآخر تجاريا ، ذلك أن بعض البلدان أكثر انتاجا من البعض الآخر من ناحية زراعية أو ثروة حيوانية أو وفرة فى صناعة محلية أو مستوردة ويعود ذلك لازدهار زراعتها بسبب أسلوب الري ووفرة العمالة فيها ، وكثرة الحيوانات وسمنها نتيجة لكثرة الأمطار فى أحد الأقاليم فى سنة من السنين وتأخرها عن أحدها الآخر ، كما يعود ذلك لكثرة صناعاتها المحليين ، واحتكاك تجارها بتجار المناطق المجاورة لنجد سواء ذلك فى شرقى الجزيرة ، أم غربها . مما يؤدى الى كثرة السلع المستوردة فيها^(٢).

ج - أسلوب التبادل التجارى بين البادية والحاضرة :-

وقد فرض هذا الأسلوب حقيقة أن الاقتصادى الحضرى والاقتصاد البدوى يكمل كل منهما الآخر فى عطية اقتصادية متداخلة ، اذ أن الرعى ، والزراعة والتجارة ، والصناعة لا يمكن أن تكفى واحدة منها معيشيا لمن

(١) المنقور: الفواكه ١ / ١٩٠ وفيها أشار فى فتوى لشيخه ابن ذهلان

رحمهما الله الى أسلوب من أساليب شراء الاعشاب الجربة والحشيش كما أشار فى صفحات تالية ١ / ١٩٤ ، ١٩٨ الى أساليب أخرى من البيوع التى اعتادها بعض النجديين كما سيأتى بهان بعضها فى أساليب البيع والشراء فى هذا الفصل .

Dr. Al - Thanyan p.6

(٢) العثميين : المرجع السابق ص ١٩ ،

يمارسها ، وبشكل خاص فقد ظلت الزراعة والرعى جنباً الى جنب يحتاج من يمارس أحدهما الى الآخر حاجة ماسة ، وقد شكلا في نجد في هذه الفترة تكاملاً اقتصادياً لأن المستوى الاقتصادي لكليهما معا لا يتجاوز حد الكفاف بل كان اقتصادياً معيشياً فحسب ، وتكامله كان ضرورياً لئلا يختل نظام هذه المعيشة لكل من الطرفين^(١) .

وتعتبر المراكز الحضرية في تلك الفترة أسواقاً حيوية لابن البادية تتجلى فيها أسلوب المقايضة التجاري بين البدو والحضر ، يتم فيها تبادل منتجات البدو بسلع أخرى اذ يشتري البدو من هذه المراكز ما كانت تنتجـه وما كانت تستورده من خارج نجد ، فهم يشترون القمح والشعير والتمـور والذرة وبعض الأعلاف خاصة في سنى المحل ، اضافة الى الملح والبنـ وبهارات وأحياناً الطباقي " التنباك " الى غير ذلك من أنواع الطعمـام والشراب ، كما يشترون كذلك المواد المصنعة كالسرج ، والأشدة^(٢) ، والأسلحة ، والقرب والأواني المنزلية ، والحلى ، والملابس ، وكافة ما تحتاجه الحياة البدوية من وسائل الحياة الحضرية ومأكولاتها ، وكان موسم حصاد القمح وجداد التمر موسماً لورود أبناء البادية لمناطق الانتاج في نجد حيث يمتارون منها ما يحتاجونه من هذيه المحصولين^(٣) .

ويجلب البدو معهم حال مجيئهم الى هذه المراكز ما يريدون بيعه من ثروتهم الحيوانية ومنتجاتها سواء صنعوها بأنفسهم ، أم تركوا للحضر مهمة تصنيعها وأتوا بها مادة خاماً ، ويقبل الحضر على شراء هذه المنتجات التي تعتمد كثير من نواحي حياتهم عليها ، وقد رتبت بعض الفتاوى النجدية

(١) د . عمر الفاروق السيد رجب : دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ص ١١٠ ، Dr. Al Theryan p. 6

(٢) السرج والشداد فصيحتان ، والشداد مأخوذ من الشد الذي هو التقوية والايثاق على أساس أنه يشد على ظهر الجمل ويساعد راكبه على الثبات في مركبه (الفيروزآبادي باب الجيم فصل السين وساب الدال فصل الشين)

(٣) حسن الريكي : مع الشهاب ص ٦٠ ، د . العثيمين : المرجع السابق ص ١٩ ، Dr. Al Theryan p. 7

بعض الأحكام فى حال خلاف الفريقين فى البيع والشراء^(١).

ويقوم التجار الحضريون أحيانا بالشخص إلى البدو فى مزارعهم وخاصة من كانوا عملاء لهم - ليبيعوا لهم ما قد يحتاجونه من السلع، ويعودون محملين من نتاج البادية مما قد يشترونه، أو يكون مقابلا لتلك السلع، وقد يشخصون للبدو لاستيفاء دين سابق يكون قد حل موعده، أو لأخراج بعض مواشيهم فى فصل الربيع لرعيها لدى هؤلاء البدو لقاء أجر معلوم قد يقطع من هذا الدين فيكون ذلك فرصة للسداد، ويبدو أن هذا الشخص للبدو كان ظاهرة من ظواهر العلاقات الاقتصادية البدوية الحضرية حيث قد ورد سؤال لأحد العلماء النجديين هل يجوز لمن قصد البدو أن يأخذ بالرخصة ؟ فأجاب بجواز ذلك إذا كان بينه وبينهم مسافة قصر^(٢).

وعلى العموم فقد كانت الحياة الحضرية والبدوية تنعكس آثار الواحدة على الأخرى اقتصاديا إذ أن غنى البدو أو فقرهم ينعكس بشكل مباشر أو غير مباشر على الحياة الحضرية، كما أن ازدهار أو انحطاط الاقتصاد الحضري يؤثر سلبا أو إيجابا على مستوى المعيشة البدوية، وحين تزدهر الحياة البدوية بعد هطول الأمطار وتوفر المراعى التى تجعل الحيوانات تتكاثر ويتوفر انتاجها، فإن هذه الحيوانات وهذا الانتاج يتوفران فى المراكز الحضرية، ويمكن الحصول عليها بأسعار رخيصة والعكس يؤدى إلى العكس^(٣) تماما.

(١) المنقور: الفواكه ٢٤٥/١، المرجع السابق ٧ م.

(٢) المصدر السابق ١٢٢/١، العثيمين : المرجع السابق ص ١٩،

Dr. Al Thenyan p. 7

(٣) المرجع السابق ٧ م.

د - أسلوب التجارة الخارجية أو تجارة القوافل :

وهى تلك التى كانت قائمة بين نجد كمنطقة وبين سكان المناطق المجاورة وخاصة شرقى الجزيرة العربية وغربها ، وغير المجاورة اذ تعامل النجديون مع العراقيين ، وأهل الشام ومصر يجلبون ما تشتهر به بلادهم ليعودوا بها تحتاجه منطقتهم من منتجات هذه البلدان .^(١)

والواقع أن النجديين رغم أنهم كانوا يعيشون حياة العزلة سياسيا واجتماعيا الا أنهم كانوا مفتحين تجاريا على كافة البلدان المجاورة منها وغير المجاورة ، ولا شك أن هذا الانفتاح أكسبهم أساليب تجارية متجددة ، لكنه فى الوقت نفسه قد دفعهم الى التأثير بعض الشيء بعادات وطباع أهل البلدان التى كانوا يتعاملون تجاريا معها . وان كان بعضهم قدبقى محتفظا بعاداته وتقاليده الى حد ما وربما دفعه ذلك الى التأثير اجتماعيا على من تعامل معهم .

وقد دفعت رغبة جل أهل نجد بالتجارة الى أن يصفهم غيرهم بها على أنها من أبرز صفاتهم ، ولعل معرفتهم بأكثر قدر من أساليب التجارة الخارجية وتمتعهم بقدر كبير من الأخلاق الفاضلة التى أعجبت غيرهم بهم إضافة الى جوههم عددا كبيرا من البلدان المجاورة وغير المجاورة لنجد وممارستهم التجارة الخارجية بينها وبين نجد ، بل بروزهم تجاريا داخل بعض هذه البلدان وتفوقهم على أهلها الأصليين ، كل هذا جعل غالب أنواع التجارة بأيديهم فى تلك الفترة ، فقد كانوا يملكون كل المقومات النفسية للتجار الناجحين اذ كانوا - على ما قيل عنهم فى تلك الفترة - يجهدون أنفسهم وأبدانهم بأعمال التجارة الكثيرة من همة وكد ونصب ، إضافة الى

(١) حسن الريكى : المصدر السابق ص ١٨٣ ، العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠ .

رغبتهم الشديدة في الاغتراب من أجلها مدة تزيد على العشرين سنة
بمقضونها في الإقامة بالبلدان التي يتعاملون تجاريا معها ، ولعل الوضع
الاقتصادي المتدني داخل نجد هو الذي دفعهم الى الاغتراب الطويل^(١).

وكان أبرز المناطق التي تعامل معها النجديون تجاريا هي منطقة
شرقي الجزيرة العربية ، وجنوبي العراق اذ تشير المصادر النجدية ،
المحلية ، ومصادر هذه البلدان الى أن هذه المناطق كانت تشكل متنفسا
اقتصاديا لأهل نجد مما كان يؤثر أحيانا على تدني المستوى الاقتصادي
لهذه البلدان وكانت القوافل النجدية تجوب الطريق مابين هذه المناطق
وبين نجد محملة بكافة البضائع التي يحتاجها المجتمع النجدي ممّا
ترد على موانئ الخليج .^(٢)

والذي يبيد للباحث من حركة التجارة في منطقة الخليج في هذه
الفترة أن النجديين لم يقتصرُوا في تعاملهم على منطقة معينة من مناطق
الخليج بل شمل تعاملهم التجاري المنطقة من عمان الى البصرة ، وان كان من
المعتقد أنه قد تركّز نشاطهم التجاري في أبرز الموانئ في منطقة الخليج
وهي مسقط والبصرة والبحرين ثم الكويت بعد ذلك ، ويبدو كذلك أن هذه
الموانئ كما كانت مراكز تجارية للنجديين فقد كانت لهم كذلك مراكز عمل
تهيئ لهم فرص الكسب والارتزاق اذا اضطرتهم ظروف الحياة في نجد الى
الارتحال عنها والبحث عن عمل خارجها .^(٣)

(١) حسن الريكي : المصدر السابق ص ١٩٤

(٢) ابن بشر ٢/٢١٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، س . لونكريك : أربعة قرون من
تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة الخامسة
مكتبة التحرير ، بغداد ص ٧٤ .

(٣) لقد كان السفر الى منطقة الخليج وجنوب العراق أسهلها يلجأ اليه
النجديون كلما ضاقت بهم السبل في منطقتهم وأبرز مثل على هذا
حميدان الشويعر حيث عمل في بساتين الزبير ، ودباس بن محمد

وكانت البضائع الهندية التي يحتاجها المجتمع النجدي ترد عن طريق هذه الموانئ وأحياناً عن طريق موانئ اليمن وحضرموت، إضافة إلى البضائع الانجليزية التي تجلبها شركة الهند الشرقية على الخليج، ومن هذه البضائع : السكر، والبلوط^(١) والزنجبيل، والهيل، والقرنفل، والقرفة^(٢)، والفلفل والكرام^(٣)، والتبغ والفاكهة والحلتيت^(٤) والأرز والعباءات الشرقية المفضلة لدى النجديين والمنسوجات القطنية والصوفية وبعض الأواني الخزفية والنحاس ومصنوعاته، والثوم، والرصاص، واللبان الجاوي، وأنواع البخور، والممساول والحرايب والبنادق وبعض أدوات الزراعة، وغير تلك من البضائع الهندية والانجليزية^(٥)، ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى ما ذكرته المصادر من أن العلاقات الاقتصادية الخارجية كانت سبباً رئيساً في إخراج ابن معمر

-
- (=) الدياس الذي عمل في سقطر) خالد الفرج : ديوان النبط ١٤/١، عبد الله الحاتم. خيار مايلتقط ٢٦٣/١، مجلة الدارة العدد السابق ص (٢١) .
- (١) البلوط أو الأبلوج معرب : نوع من أنواع السكر ولعله المعروف بنجد بسكر النبات (الفيروز أبادي باب الجيم فصل الباء) .
- (٢) القرفة : نوع من التوابل يستطب بها وتخلط مع الطعام، أمما القرف : فهو قشور الرمان وكان النجديون يصيغون به ملابس النساء إذا مالت للبياض (الفيروز أبادي باب الفاء فصل القاف) .
- (٣) يطلق الكرم على الزعفران والعصفر واللبان . (الفيروز أبادي باب الميم فصل الكاف) .
- (٤) الحلتيت : صمغ يستخرج من جذور بعض النباتات وهو مر الطعم يستعمل كعلاج لبعض الأمراض كالتشنج ، (د . عبد الأمير الأمين : المصالح البريطانية حاشية ص ٢١١) .
- (٥) المنقور: الفواكه ١٩٢/١، ١٩٧، حسن الريكي : المصدر السابق ص ١٨٤، ٣٤، د . عبد الأمير الأمين ٢١١ ، ويمكن رصد حركة تجارة الخليج التي تتعامل معها منطقة نجد من قراءة الفصل السابع بأكمله من ص ١٩٢ - ٢٤٩، ٢٥٣، د . أحمد أبو حاكمة : تاريخ الكويت الفصل السابع من ص ٢٦٩ - ٢٩١، د . العثيمين المرجع السابق ص ٢٠ ، ١١ ، ١٠، Dr. M. Al - Thanyan p.10, 11 وتعد (=)

للشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة.

والملفت للنظر ومن تتبع حركة هذه التجارة أن بادية نجد لم تكن أحيانا تعتمد في ميرتها على ما يجلبه التجار النجديون الحضر من موانئ الخليج بل كان البدو يذهبون بأنفسهم على شكل قوافل من كل قبيلة قافلة يمتارون من منطقة الاحساء منتجاتها ، ومن موانئ الخليج مستورداتها ، وكان غلاء الأسعار وجذب الأرض في نجد هو العامل الرئيسي في جلب قبائل البادية ميرتهم بأنفسهم من هذه المناطق إذ أن ما يجلبه التجار الحضر منها لا يفي بحاجة المجتمع الحضري فضلا عن حاجة المجتمعين معا .^(١)

ولئن كانت المصادر الخليجية تمدنا باحصاءات شبه دقيقة عن مدى حجم تجارة منطقة الخليج مع الهند وبريطانيا والتي كانت تقوم بها شركة الهند الشرقية في تلك الفترة^(٢) فانها وغيرها من المصادر المحلية تشج علينا بحجم هذه التجارة بين منطقة الخليج ومنطقة نجد ، ويعدم الباحث ما يستأنس به في هذا المجال ، وخاصة ما كانت تصدره نجد الى هذه المنطقة الا من اشارات خفيفة ذكرها بعض المؤرخين تتعلق بهذه الصادرات اذ ذكروا أن الابل والخيول النجدية كانت تأتي في مقدمة هذه الصادرات وخاصة الى العراق حيث كانت البصرة تصدر هذه الخيول الى الهند ، وكانت

(=) المنتجات الزراعية العراقية من أبرز الواردات النجدية كذلك إذ كان الأرز أو القمح العراقي من أبرز ما يجلبه التجار النجديون كذلك وكان تقديمه للضيوف عنوان الشراء والكرم ولهذا اشار اليه راشد الخلاوي في قوله يمدح منيع بن سالم :

يذبح لهم من كل كبش مقــــــرن . . . وعيش العراقي بالصحون فراش
(عبد الله بن خميس : راشد الخلاوي ص ٣٠٩) .

(١) المنقور : التاريخ ٥٤ ، الفاخرى ٧٦ ، ابن بشر ٢ / ٢١٢ ، ٣٩٠ ، ٢٤١ .

(٢) أورد الدكتور عبد الأمير الامين عددا من الاحصاءات عن حجم هذه

التجارة في القرن ١٢ هـ / ١٨ م من ص ٢٥٠ - ٢٥٤ .

البلدان الكبيرة فى المنطقة مراكز حيوية لتنشيط الاقتصاد النجدى اذ تعتبر حلقة الوصل للخطوط التجارية بين نجد وشرقى الجزيرة والعراق والشام ومصر كما تعتبر مراكز انطلاق للقوافل النجدية التى تحمل هذه الصادرات ، بالاضافة الى كونها محطات استقبال للقوافل القادمة من شرقى شبه الجزيرة محملة بالبضائع والحجاج اذ كانت هذه القوافل تمر بها سنويا^(١) ، ويلمح الباحث بالاضافة الى ذلك الحقيقة الاجتماعية التى تؤكد بأن هذه البلدان كانت مراكز الاتصال الاجتماعى بين نجد والمناطق المجاورة وهذا أمر تقرر عوده كثير من الأسر النجدية فى هذه المناطق الى أصول أسرية تعود الى هذه البلدان .

وتأتى منطقة غربى شبه الجزيرة وخاصة المدينتين المقدستين ، وجدة فى المرتبة الثانية فى التعامل التجارى الخارجى الذى كان يمارسه أهل نجد ، هذه المدن التى كانت تعتبر من أقدم المراكز التجارية فى بلاد العرب وكانت جدة بشكل خاص أكبر هذه المراكز فى تلك الفترة ، ومن تتبع أنشـواع السلع الموجودة فى أسواق جدة آنذاك يمكن أن يلمح الباحث فرص امكانية التجار النجديين جلب ما يحتاجه المجتمع النجدى منها ، فالسكر والبن والعطور والبخور ، والقرنفل ، وكافة أنواع البهارات ، والملاعق الخشبية أو ما تعرف " بالمغارف " والمرايا ، والفلايين والخزف الصينى وخاصة فناجين شرب القهوة وآنية الزجاج ، وأنواع الأقمشة ، وآنية النحاس كل هذه سلع كانت موجودة فى أسواق جدة ، ومن المعتقد أن المجتمع النجدى كان يجلب شيئا منها ، أما التبغ فقد ضربت جدة رقما قياسيا فى الاتجار به

(١) ك . س توتيشل ، ادوارد ج . جورجى : المملكة العربية السعودية
ص ٨٣ ، *De Al - Thenyan p. 10. 11* ،
(العثيمين : المرجع السابق ص ٢٠)

اذ كان يوجد فيها آنئذ واحد وثلاثون تاجرا لا يتعاطون الا تجارة التبغ ومن المتوقع كذلك أن التجار النجديين كانوا يجلبون منها شيئا من هذا التبغ وان لم يكن هذا علي نطاق واسع حيث لم يشكل شرب التبغ ظاهرة اجتماعية ذات انتشار واسع^(١).

وتعد جدة مرفأ تجاريا لمكة المكرمة، ولهذا كانت معظم البضائع التي ترد جدة ان لم تكن كلها تتوفر في أسواق مكة، وساعد على كونها مركزا تجاريا قلة العكس الذي كان يؤخذ بجدة بالنسبة لما كان يؤخذ من بعض المرافئ في بلاد العرب، وكان التجار النجديون يستوردون منها^(٢) البن والملابس والزيت، والفضة وبضائع أخرى كثيرة، وكانوا يجلبون اليها^(٣) الابل والخيول، والأغنام ومنتجاتها من السمن والصوف والتمور والقمح، وخاصة في موسم الحج حيث ترتفع أسعارها في مكة، كما أن موسم الربيع وفتحات الحصاد والجذاذ كانت مناسبات جيدة لانخفاض أسعار تلك الصادرات النجدية في أسواق مكة.

أما المدينة المنورة فكانت أكثر تعاملات تجاريا مع نجد وخاصة مع باديتها اذ كان النجديون يستوردون منها الزيت والملابس والمصنوعات الفضية والذهبية، ويصدرون اليها الابل والخيول الجيدة والمواشي ومنتجاتها كالسمن والألبان والصوف، والقمح، والتمور، ورغم اشتهار المدينة في التمور الا أنها كانت لا تستغنى عن تمور القصيم وقمحها، فكان تجار هذا الاقليم يصدرونها الى المدينة كلما اعتقدوا أن أسعارهما في المدينة تناسبهم، وخاصة في موسم الحج^(٤).

(١) جاكلمين بيرين : مرجع سابق ص ٢٣٦، ٢٣٧

(٢) علي بن حسين السلیمان : العلاقات الحجازية المصرية ١٧٣٠

(٣) Dr. Al - Thenyan p. 9, 10

(٤) المرجع السابق : p. 9, 10

وقد ذكر فيها نقلا عن مانجان أن تجار نجد كانوا يحملون الى الحجاز بعض سلع نجد الفاخرة مثل ريش النعام، وانظر علي بن حسين السلیمان : ص ١٨٠

وكان لأهل القصيم كذلك دور كبير فى تطوير غرس النخل فى المدينة ،
واضافة بعض أنواع النخل الجيدة المعروفة فى القصيم الى نخيل المدينة ،
مما أكثر النخل الجيد فيها وزاد من اشتهارها فيها وأعطى تبادل أنواع
النخيل بين المدينة والقصيم تكاملا فى هذا المجال اذ انتشرت فى
المنطقتين أنواع من نخيل كليهما ، ولعل اطلاق أهل المدينة على جودة
بعض نخل القصيم جعلهم يرغبون فى استيراد ثمرورها اليهم مع جلب فوائدها
كذلك .^(١)

وقد تعامل النجديون تجاريا مع بلاد الشام بشكل واسع اذ كانوا
يستوردون منها السكر والصابون السوري والحديد ، والرصاص والنحاس
ومصنوعاته ، والحرير ، وكان يتم جلب هذه البضائع وغيرها من مدينة دمشق
وحلب ، كما كانوا يستوردون من الشام الفراء ، والعباءات الشمالية التى كان
يفضلها النجديون ، وتلقى منهم تقديرا كالتقدير الذى تلقاه العباءات الشرقية^(٢)
ان لم تفقها عند عامة الناس ويبدو أن ذلك لكونهما تصد عنهم غوائل البرد
أكثر من العباءات الشرقية التى تتمثل جودتها فى استعمالها للأبهة
فقط .

كما أن كثيرا من التجار النجديين كان يطيب لهم المقام فى المراكز
التجارية فى بلاد الشام وخاصة حلب ، ودمشق فيقضون فيها فترة طويلة
يمارسون فيها التجارة الداخلية ، ثم يعودون الى نجد ، وقد يستقرون هناك .^(٣)

وكان أسلوب المتاجرة مع أهل الشام يتم بأسلوبى المقايضة والنقد
الا أنه غالبا ما يتم بأسلوب النقد بالعملات المتوفرة آنذاك ، واذا جلبوا بعض
سلع نجد فانهم يبيعونها فى السوق ثم يشترون ما يحتاجه المجتمع النجدي
من السلع الموجودة فى أسواق الشام ، وكان أبرز ما يصدره أهل نجد السى

-
- (١) محمد العبودى : بلاد القصيم ١/١٠٣ ، ١٠٤
(٢) حسن الريكى ص ١٨٣ ، Dr. Al-Thenyan p. 10, 12
(٣) المنقور: الفواكه ١/١٩٢
(٤) حسن الريكى ص ١٨٤

الشام، وخاصة دمشق، وحلب الخيول النجدية الأصيلة المرغوبة لدى الشاميين والابل التي كان يجلبها بعض بادية نجد وكذلك التمور التي اشتهرت بها مناطق في نجد، وخاصة منطقة القصيم التي يحرص تجارها أن يجلبوا معهم كمية تجارية من تمورها الجيدة ليبيعوه في الأسواق الشامية وخاصة دمشق، وحلب، ويبدو أن الشاميين كانوا يرغبون هذه الأنواع من التمور القصيمية.^(١)

وقد مارس النجديون التجارة المتبادلة مع بلاد اليمن، ويبدو أن ذلك كان عن طريق وادي الدواسر أقرب الأقاليم النجدية الى اليمن، والذي مازال يمارس التجارة مع اليمن، وكان البن أبرز المستوردات النجدية من اليمن الموطن الأصلي القديم للبن، والذي لم يعرفه الأوروبيون، وبلدان العالم الأخرى إلا عن طريق اليمن.^(٢) وكانت الحديدية مع المخا وميت الفقيه هي المستودع الرئيسي للقهوة لتصديره للخارج بحيث غدت اليمن في تلك الفترة السوق العالمية لتجارة البن، ويتم تصديره على السفن، والابل^(٣) التي يبدو أن نجدا كانت تحصل على كفايتها من البن بواسطتها.

وتستورد نجد من حضرموت واليمن كذلك المر والبخور واللبان، وأنواع

(١) حسن الريكي : ص ١٨٣، والمرجع السابق ١٠ م.

(٢) حسن الريكي : ص ١٨٣، والمرجع السابق ٩ م.

هانز هولفريتز: مرجع سابق ص ١٩١، ١٩٢، ٢٠٥ - ٢٠٧
وقد فصل فيها القول عن البن اليمني ودوره في العلاقات بين اليمن والبلدان المجاورة والبعيدة، وتاريخ معرفة العرب للقهوة.

(٣) جاكين بيرين : ص ٨١، ٨٨، ١١٣، ١١٤، هانز هولفريتز

ص ٢٠٥، ٢٠٦

(١) العطور وخاصة الميعة، وأعواد الند والسورس، هذه الأشياء التي كانت حضرموت المصدر الرئيسى لانتاجها منذ أقدم العصور اذ كانت تسمى منذ القدم "بلاد البخور" كما قد اشتهرت بذلك بلاد اليمن اذ كان اليمنيون يزرعون شجيرات المر والبخور وأعواد الند بين أشجار البن، وكانت العكلا والمخا والشحر موانئ لتصدير هذه المواد الى العالم الخارجى، أما نجد فيبدو أنها كانت تحصل على حاجتها منها عبر الربع الخالى (٣).

كما كان يتم عبر الموانئ اليمنية والحضرية استيراد بعض البضائع الهندية التي سبقت الإشارة الى بعضها والتي كان التجار اليمنيون والحضارم يستوردونها من الهند كما يفعل ذلك تجار الخليج، وكان التجار النجديون يستوردون من هذه البائع عبر تلك الموانئ، وكان غالب ما يحملونه من نجد فى عملية التبادل التجارى هذه التمور، ولا يبعد أن يحملوا مواد أخرى كالقمح، أو حيوانات كالابل والخيول (٤).

(١) الميعة : قال فى القاموس: الميعة والميعة عطر طيب الرائحة أو صمغ يسيل من شجر، أو هى صمغ شجرة السفرجل وذكر لها تعريفات أخرى، والمقصود انها نوع طيب من العطور (الفيروز ابادى باب العين فصل الميم) ولعلها الزباد المعروف فى نجد بطيب رائحته.

(٢) السورس : نبات كالسمسم يزرع باليمن ينفع للكلف طلاء وللبهق شربا واطلق على اصباغ تؤخذ منه تصبغ بها الثياب (الفيروز ابادى : باب السين فصل الواو) ومما يستورد من اليمن كذلك الشب والزاج اليمانيين وهما من المواد شديدة الحموضة التى تستخدم فى الأدوية واللباغة والحبر وسائر الأصباغ وكانت اليمن تصدره منذ فترة متقدمة قبل الاسلام الى الوقت الحاضر (جواد على ٥٢٠ / ٧).

(٣) حسن الريكى ١٨٣، جاكين بيرين ١٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٣٣٧، هانز هولفريتز ٥٢، ١٩٠، ١٩١.

(٤) حسن الريكى ١٨٤، جاكين بيرين ٨٠، ٨١.

وفيرة، أما الخيول فكانت الخيول النجدية مرغوبة لدى المصريين، وتشير بعض اللوحات التاريخية الحديثة أن بعض حكام مصر كانوا يتعاونون مع بعض الرحالة في سبيل الحصول على خيول نجد الأصيلة، ومن المحتمل مع ذلك أن يبيعوا وفودا لشرائها مما جعل مصر في بعض الفترات تضم أكبر الاصطبلات للخيول العربية في العالم^(١).

وكانت قوافل تجار الحاضرة تجوب تلك المناطق لتصل الى المراكز التجارية في مصر تنقل منها البضائع السابقة وغيرها مما يحتاجه المجتمع النجدي آنذاك، وكانت الرحلات التجارية المتكررة أحيانا تفرض على بعض التجار البقاء فترة من الزمن في أرض مصر اما لجمع أكبر قدر ممكن من البضائع المصرية أو يطيب لهم المقام فيها ليمارسوا فيها التجارة الداخلية بين أهلها، أو يكونوا ممثلين تجاريين لأهل نجد مما يجعلهم يقيمون في المراكز التجارية المصرية فترة طويلة ثم يعودون، وقد يستقرون هناك ليوصلوا اجتماعيا بين المنطقتين، ووجود بعض الأسر النجدية في مصر في الوقت الحاضر دليل على كبر حجم ذلك الاتجار الذي استمر بشكله السابق الى وقت قريب^(٢).

٢- نظام الأسعار وأمثلة منها في تلك الفترة:

ولم تكن الأسعار بصفة عامة تخضع لتحديد أو نظام دقيق وأبرز ما كان ينظمها هو أسلوب العرض والطلب فكلما كثرت البضائع وزاد الجلب في السوق اكتفى أغلب الناس وقل الطلب فهبطت الأسعار، وكلما قلت البضائع والمحاصيل

(١) جالكين بيرين ٢٧٥، تويتشل ٣١، ٣٥

(٢) الريكي ١٨٤

(٣) فهد المبارك : من شيم العرب ٤٦/٤ - ٤٨

زاد طلب الناس عليها وارتفعت الأسعار، وكانت أسعار المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية المحلية بصفة خاصة يبرز فيها قانون العرض والطلب أكثر من غيرها حسب جودة هذه المحاصيل ووفرة المنتجات أو تعرضها للأمراض الزراعية والحيوانية وهذا ما يجعلها تتذبذب وفترة أو قلة من عام لآخر، وتبعاً لظروف القحط والخصب (١) .

ولأن الأسعار هي عماد الحياة الاقتصادية وعنوان الرخاء، فقد كان ارتفاعها وانخفاضها مثار اهتمام مؤرخي نجد الذين أعطوا احصاءات دقيقة عنها في أغلب سنوات تلك الفترة وما بعدها مما يستطيع معه الباحث أن يهتدى الى بعض الأسباب التي تكمن وراء هذا الارتفاع أو الانخفاض كهطول الأمطار أو حصول الجفاف أو اغارة بعض البادية على بعض البلدان النجدية أو تلف بعض المحاصيل، أو قدوم جماعات كبيرة منهم فتشترى ما ينزل الى السوق من أطعمة أو محاصيل مما يؤثر على الأسعار بالارتفاع فيما يتعلق بنتاج الحاضرة والانخفاض فيما يتعلق بنتاج البادية، كما يمكن للباحث أن يتعرف على نوعية الأطعمة المشتهرة في نجد في تلك الفترة وعلى فترات الغلاء والرخس، وتزامنها غالباً مع فترات الحصاد والجذاذ التي يحصل فيها الرخص غالباً بينما يحصل الغلاء في فترات ما قبلها، كما توضح الأسعار العملات التي يستعملها النجديون آنذاك كما سيأتى .

ويمكن بتتبع بعض سنى تلك الفترة من خلال أسعارها الكشف عن كافة نواحي الحياة الاقتصادية من معرفة أسباب ارتفاعها وانخفاضها ففي سنة ١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م مثلاً بلغ سعر صاع القمح الحنطة في بعض مناطق نجد ثلاث محمديات، بينما بلغ سعر الموزون - ويبدو أن المقصود بذلك التمر - اللوزة أو ما يقاربها بمحمدية، وتعتبر هذه السنة من سنى انخفاض

(١) العثيمين : المرجع السابق ١٩٠ .

(١) الاسعار أو انكسار الزاد بتعبير مؤرخى نجد .
(٢)

وفى سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٢م تراوح سعر القمح من ٤ - ٥ آصع بالمحمدية فى منطقة سدير، أو الوسق بحرف فى منطقة العارض، وبلغ سعر التمر عشرون وزنة بالمحمدية، بل بلغ فى منطقة العارض وفى بلدة الدرعية بالذات ألف وزنة بالأحمر أو ثلاثة آصع منه بمحلق وكان لكثرة الأمطار ووفرة العشب والكمأة فى الأسواق ومجئ الجراد بكمية كبيرة السبب الرئيسى فى رخص الطعام رخصا عظيما مما جعل النجديين يعتبرون هذه السنة من سنى الرخاء^(٣) فى تلك الفترة، وتاريخها يعد معلما من معالم الحياة العامة فى نجد آنذاك، وما حصل فيها من رخاء سجل من النجديين على مختلف فئاتهم اذ لم تسجل من المؤرخين فحسب، بل كانت محل تسجيل الشعراء النجديين الذين قال أحدهم فى هذه السنة^(٤):

-
- (١) الزاد : تطلق على الطعام وهى فصيحة وقد وردت فى عدة أحاديث (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى مادة زود)
(٢) المنقور: التاريخ ص ٦١، الفاخرى ص ٨٠، حيث ذكرا بأن ما يقارب الوزنة بالمحمدية بينما ذكر ابن بشر ٢١٦/٢ أن الوزنة بالمحمدية وتسمى هذه السنة فى بعض مناطق نجد بشديدة ابن عون لشخص اخذ وقتل قرب الزلفى كما تسمى عند اهل العارض مطبق لتعاملهم بالمطابق وهى دراهم، ولعل ذلك كان اول مرة، وسكت مؤرخو نجد عن تمييز الوزنة بالتمر مع انه لا يمثل غير هذا الا انه من المتعارف عليه فى المنطقة آنذاك وان كان يكال كيلا فى بعض الاحيان كما سيأتى (د . عبد العزيز الخويطر: ابن بشر ٥٢) .
(٣) المنقور ص ٦٤ حيث ذكرا بان سعر القمح ٤ آصع بالمحمدية بينما ذكر الفاخرى ص ٨٢، وابن بشر ٢١٩/٢ وابن عيسى ص ٧٢ أن سعره ٥ آصع بالمحمدية واتفق الجميع على ان هذه السنة سنة رخاء وخصب هو عبد الله بن على بن سعدون من اهل الدرعية، وقد اجتهدت فى معرفة بعض المعلومات عنه ولم اهتد الى ذلك ولعله من السعدون سكان العارض الذين يتركزون فى الرياض ومنفوحة سابقا وفى الدرعية كذلك وهم من بنى ثور من سبيع والله أعلم . (المنقور ٦٤، الفاخرى ٨٢، ابن بشر ٢١٩/١، حمد الجاسر: معجم أنساب الاسر المتحضرة ١/٣٧٧) .

أن ارتفاع الاسعار ربما اقتصر على هاتين البلدتين الا أنه لابد أن يتسرك تأثيره على منطقتيهما وعلى نجد بشكل عام .

ويحدث فى سنة من السنوات أن تهبط الأسعار هبوطا حادا ، وتنزل الأسواق قوافل من البادية فتشتري حاجتها من محاصيل مما يخفف من حدة هذا البهوط ويهيئ لابناء الحاضرة شراء ما يجلبه البدو معهم من المواشى ونتاجها ، ففي سنة ١١٢٥هـ / ١٧١٣م رخص الطعام رخصا ظاهرا حتى وصل سعر التمر الى رقم قياسى فى النزول اذ بلغ سعره مائتوزنة بالأحمر ثلثم ارتفع سعره فجأة وربما فى الحال الى الضعف حيث بلغ خمسين وزنة بالأحمر الا أن هذا كان فرصة للحضر ليتزودوا مما مع البدو حيث عرضت عنزة جلائبها من الابل ونتيجة لذلك وصل سعر الفاطر منها ^(١) الى خمس محمديات ولم يزد عن أربعين ، كما قد عرضت نتاج ماشيتها بكثرة حيث انخفضت أسعارها فبلغ سعر السمن مثلا عشرة أصع بالأحمر ^(٢) ، كما بلغت أسعار ابل الركاب ثمانين جديدة للمركوب الواحد ^(٣) .

وقد حدث كذلك فى سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م أن قدمت بعض قوافل البادية فى آخر القيط - عند جذاذ ثمر النخل حيث تهبط أسعاره - فرفعوا أسعار الأطعمة بما اشتروه من الأسواق ، ولكن أسعار المواشى وخاصة

(١) الفاطر فصيحة وهى الناقة السمينة الصنة ، قال فى القاموس: انفطر ناب البعير فطرا وفطورا طلع أى من الكبر (الفيروز آبادى باب الرأ فصل الفا) .

(٢) يؤخذ من هذا ان السمن كان يكال كيلا اعتبارا كما سيتضح ذلك فى الميكلات ان شاء الله

(٣) الفاخرى ٩٥ ، ابن بشر ٢ / ٢٣١ ، ابن عيسى ٩٠ غير أنه لم يشير الى قدوم عنزة وارتفاع الاسعار ، وعرضها جلائبها التى ذكرها الفاخرى وابن بشر .

الابل - قد هبطت بما عرضه معهم منها خاصة وأن هذا العام من أعوام القحط والمحل الذى ترتفع فيها أسعار الأطعمة وتهبط أسعار المواشى حيث يتضايق البدو من كثرتها لديهم لديهم مع قلة المراعى^(١).

وكان هطول الأمطار فى موسمها وتتابعها فيما بعد ، وبغزارة السبب الرئيسى فى هبوط الأسعار ، كما أن شح الأمطار أو انعدامها وما يستتبع ذلك من غور الآبار السبب الرئيسى فى ارتفاع الأسعار حيث لا تكفى المحاصيل المزروعة بعض الحاضرة فضلا عن الحاضرة والبادية مما ينتج عن ذلك موت كثير من الناس جوعا كما حدث سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٥م على سبيل المثال^(٢) اذ من الثابت تاريخيا تعرض نجد لمثل ذلك كثيرا فى تلك الفترة وما بعدها .

وبمثل مرور قوافل الحجاج بمنطقة نجد سببا آخر فى ارتفاع الأسعار وتنشيط الحركة التجارية بما يتزودون به من الأسواق النجدية كما حصل فى سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م حينما نزل حجاج الاحساء فى منطقة العارض فى طريقهم الى الحجاز واشتروا صاع السمن بمشخص ، ولاشك أنهم بهذا قد كسروا سوق السمن فى العارض ، كما اشتروا ذكر الضأن " الطلى"^(٣) بأحمرين وليس من المستبعد أن يكونوا قد عرضوا ما كان معهم من بضائع سواء كان ذلك بما تنتجه بيئة الأحساء أو ما يرد على موانئ الخليج من التجارة الدولية^(٤)؛

(١) المنقور ٧٨ ، الفاخرى ٩١ ، ابن بشر ٢ / ٢٢٦ ، ابن عيسى ٨٥

(٢) الفاخرى ٩٦ ، ابن بشر ٢ / ٢٣٢ .

(٣) الطلى : الحمل أو الخروف الصغير فصيحة سمي بذلك لأنه يطفى أى تشد رجله بحبل الى وتد حتى لا ينطلق قال فى القاموس : الطلاء الحبل الذى يشد به رجل الطلاء ، وطليته ربطته وحبسته ، والطفى كفى : أولاد الغنم الجمع طليان كرفغان (الفيروز آبادى باب الياء فصل الطاء) ، العبودى ١٧٤٩ / ٥ ، ١٧٥٠ مثل رقم ٢٩٠٨ ، قلت هذا فى الفصحى أما فى لهجة نجد فانها تطلق على ذكر الضأن صغيرا كان أو كبيرا .

(٤) الفاخرى ٩٦ ، ابن بشر ٢ / ٢٣٢

فقد تزامن هبوط سعر التمر هبوطا حادا مع مرور حجاج الاحساء ففى العارض ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م اذ بلغ سعره مائة وعشرين وزنة بالأحمر، ويبدو أنهم قد جلبوا معهم من تمر الاحساء ما أثر على سعره فى نجد، وأثـر من جهة أخرى على سعر القمح - باعتبار التمر مغنيا عن القمح فى بعض الأحيان - فوصل الى خمسة وأربعين صاعا بأحمر، ومن جهة ثالثة فان ضعف السيولة النقدية آنذاك كان سببا من الأسباب التى تؤدى الى هبوط الأسعار، ولم يذكر مؤرخو نجد مدى تأثير هذا المرور على أسعار المواد الأخرى سواء كانت من نتاج الحاضرة أو البادية.

وتكرر الأقوات بعد نزول الغيث ونفعه الأرض الخلوية والزراعية حيث تخرج الأرض من ثمرات كل شئ ويعمها النماء والخصب وقد حدث فى سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م أن بلغ محصول الغرب الواحد من القمح فى إحدى بلدان نجد أكثر من ألفى صاع مما جعل الأسعار تهبط، ولاشك

(١) الفاخرى : ٩٧، ابن بشر ٢ / ٢٣٣، وقد ذكر الفاخرى مرور حجاج الاحساء على العارض هذه السنة بينما لم يشر الى ذلك ابن بشر وابن عيسى ص ٩٣ واتفق الفاخرى وابن بشر على ان سعر القمح خمسة وأربعون صاعا بالأحمر بينما ذكر ابن عيسى أن سعره خمسة وعشرون صاعا بالأحمر.

(٢) الغرب : الدلو الكبير التى يخرج بها الماء من البئر على الدابة حمارا أو بغيرا أو بقرة وهى فصيحة قال فى القاموس: " الغرب الدلو العظيمة " والجمع غرب (الفيروز آبادى : باب الباء فصل الغين) ، العبودى ٨٩٨ / ٣ مثل رقم ١٤٢٢، والمقصود ان المساحة التى يسقيها الغرب الواحد انتجت ألفى صاع. الفاخرى ٩٤ من حاشية المحقق .

(٣) هى ضرمى المعروفة قديما بقرما والمشهورة بكثرة النخيل ومزارع القمح والواقعة غرب الرياض، للتفصيل : (الأصفهاني : ١٢٤، ٢٤٠، ٣٦٢ البكرى : ٤٩١ / ٢، ياقوت ٤ / ٣٢٩، ٣٣٠، قبل الذكير : ورقة ١٠٨، ١٠٩، عبد الله بن خميس : معجم اليطامة ٩ / ٢ - ٩٧) .

(٤) الفاخرى ٩٤، ابن بشر ٢ / ٢٣٠، وقد اشار الى ان الزرع قد صلح وضاعف انتاجه مما كان سببا فى هذا المحصول الوفير والهبوط فى الأسعار.

أن التعاون الاقتصادي البدوي في سنى الغيث والاقتصاد الحضري في سنى الخصب والازدهار والنماء ومحاولة بعض قبائل البدو الامتياز من خارج منطقة نجد أحياناً^(١) هذه الأسباب وغيرها تجعل أسعار الأطعمة تحافظ على مستواها أو تنزل أحياناً ولو امتارت قوافل أخرى من أبناء البادية من منطقة نجد ففي سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م بلغ سعر التمر مائة وزنة بالأحمر والقمح أربعة أصع بالمحمدية^(٢) رغم قدوم قافلتين^(٣) من أبناء البادية للامتياز في هذه السنة وسنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م ولكن بيد وأنهم لم تكونوا بحجم القوافل الكبيرة، والا لأثر امتيازهما هذا على ارتفاع الأسعار وشح المواد الغذائية.

وعموماً فقد كان التمر والبر والذرة هي المقياس عند مؤرخي نجد للأسعار فقد أشاروا إلى أنه بعد هذه الفترة بقليل - وفي إحدى سنين القحط - بلغ سعر مدي البر والذرة محمدية، وسعر التمر الوزنة بمحمدية، ويمكن من خلال هذه الإشارة التعرف على أهم المواد الغذائية في تلك

الفترة، كما يمكن من خلال اتفاق البر والذرة في السعر معرفة أنهم - مصدران غذائيان مهمان لدى النجديين إذ أنهم كما يصنعون من البر

-
- (١) ابن ربيعة ٢٠٩٠، ابن بشر ٢٩٩/٢
 - (٢) الفاخري ١٠١، ابن بشر ٢٣٨/٢، ابن عيسى ١٠١ وذكر فيها سعر التمر فقط. وذكر ابن ربيعة ص ٩٠ أن سعر التمر في هذه السنة عشرون وزنة والقمح ستة أصع بالمحمدية.
 - (٣) ذكر الفاخري وابن بشر امتياز الموايق من عبده من السبعة من عنزة في هذه السنة (١١٣٩هـ) ولم يؤثر ذلك على ارتفاع الأسعار، كذلك ذكر الفاخري سنة ١١٤٠ امتياز بني وهب من مسلم من عنزة من حريملاء ولم يشر إلى تأثيرهم على رفع الأسعار.
 - (٤) الفاخري ١١٥ وأشار فيها إلى أن ذلك كان سعر العيش الذي هو البر أو القمح ولم يشر إلى الذرة بينما أشار إلى ذلك ابن بشر ٦٦/١، عبد العزيز الخويطر : ابن بشر ٥٢.

وجبة رئيسة فانهم يصنعون من الذرة كذلك سواء كان بحفرد ها أو مع البر
والدخن كما سيتضح ذلك عند الكلام على الأطعمة ان شاء الله .

٣- أمثلة من أساليب البيع والشراء :

واذا كانت الأسعار فى تلك الفترة تخضع لنظام العرض والطلب فقط، ولم يكن لأى جهة تشريعية أو تنفيذية سلطة عليها كما مر، فان أسلوب البيع والشراء كان يخضع لتقارير وفتاوى وأحكام علماء وقضاة تلك الفترة، وقد حفلت المؤلفات الفقهية النجدية لهؤلاء العلماء والقضاة بالكثير من هذه التقارير والفتاوى والأحكام مما ليس هنا مجال تفصيله الا أنه يمكن التعوض بايجاز لبعض البيوع التى كانت مشتهرة فى تلك الفترة مما أشارت اليه هذه المؤلفات، ولعل أبرز هذه القضايا التى يبدو أنه يكثر حولها الاختلاف بين المتبايعين مسألة تولى طرفى العقد فى البيع أو ما يسمى بخيار المجلس الذى تعرض له عدد من الفقهاء النجديين بالبحث لكثرة ذلك الاختلاف الذى ينشأ من عدول أحد المتبايعين عن اتمام البيع، وكان اعتماد هؤلاء الفقهاء غالبا على المشهور من مذهب الامام أحمد فى هذه القضية وغيرها — الذى ينهى اختلاف المتبايعين فيها خاصة وأن هناك عبارة فى المذهب تقول " فان تشاغلا بما يقطعه - أى الخيار - عرفا بطل البيع^(١) والتعرف على ماينهى هذا الخيار فى عرف النجديين كقيل بالبت فى هذه القضية من اتمام البيع أو الفائه .

(١) المنقور : الفواكه ١/١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، وعن هذه القضية فى المعتمد من كتب الحنابلة لدى النجديين اشار الشيخ منصـور البهوتى فى شرحه لمنتهى الارادات حيث قال : (١٦٧/٢) "وببقى خيار المجلس حيث ثبت الى أن يتفرقا للخبر بما يعده الناس تفرقا عرفا لا طلاق الشارع التفرق وعدم بيانه".

والى جانب أساليب البيع الحاضر المعروف والذي لا يحدث بسببه خلافات كثيرة هناك أساليب بيوع أخرى يحدث بسببها بعض الخلافات التسي تستدعى استفتاء العلماء أو الاحتكام الى القضاة، ومن هذه الأساليب أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال على أن يدفع له مقابل ذلك بعد مدة مقداراً من أحد المحاصيل تكون موصوفة نوعيته بينهما، ومنشأ الخلاف فى هذه المسألة أنه قد يظهر لدافع المال أن هذا المحصول مخلوط بنوع آخر بغير علمه اذ أن تجار المحاصيل الزراعية يجمعون أنواعا مختلفة من المزارعين، وقد أفتى ابن ذهلان فى هذه المسألة بالتحالف بينهما ثم فسخ البيع إذا لم تكن هناك بينة لواحد منهما، وذكر أن هذا هو الذى يعمل به المتورع فى مثل هذه المسألة^(١)، والذي يظهر أن هناك أساليب بيوع أخرى مشابهة لهذا الأسلوب كان يتعامل بها النجديون، ويجمع بينها مواطن اختلافات تنشأ بسببها بين البائع والمشتري كوجود العيب فى السلعة، وكونها مختلفة الأجزاء^(٢).

ومن أساليب البيوع النجدية كذلك بيع الأراضى التى يكون فيها صبرة معلومة السنين، وقد ذكر بعض علماء نجد صحة ذلك البيع اذ لا فرق بينه وبين بيع الأرض التى فيها خراج على القول بصحة بيع الخراجية، والمقصود جواز بيعها من المالك لا من المستأجر (المتصبر)، ويشترط فيها التصبير.

(١) المنقور : المصدر السابق ١٩١/١

(٢) المنقور ١٩١/١

(٣) الصبرة : نوع من أنواع الاجارة العقارية والزراعية تمتد مدته السى أمد طويل يخول المستأجر من التصرف به كأنه ملكه ماعدا البيع لعين العقار أو البئر وما يحيط بها من أرض زراعية وقت العقود وما حولها له حق التصرف الكامل ولم أجد لذلك أصل فى كتب اللغة ولعله من الصبر بمعنى التجبىس والتجميد، أو من الصبر على أساس ان المؤجر والمستأجر يصبر كل منهما على هذا النوع من الاجارة هذه المدة الطويلة ولو تضررت العين أو تضرر المستأجر.
(الفيروزابادى : باب الرأء فصل الصاد، العبودى : الامثال ٦٤٢/٢، ٦٤٣ مثل رقم ١٠١٦، وهى فى الفقه احد قسمى اجارة العين البهوتى ٣٦٣/٢).

وأشار ابن ذهلان أن كثيرا من أهل الوشم اعتادوا بيع النخل الذى فيه صبرة حيث يوصى أحدهم فى عقار بمثل هذه ، ويقدم الموصى به العقار فى الغلة على المشتري حيث يأخذ حصته ، وبعد ذلك يتصرف مستأجر الأم " المتصبر " ببيع مابقى من الغلة ، وقد ذكر ابن ذهلان أن هذا البيع على هذه الصيغة صحيح .^(١)

ويبدو أنهم كانوا يجمعون بين البيع والاجارة فى عقد واحد حيث يحدث أن يبيع بعضهم كامل نخل البستان ويستثنى منها نخلتين أو أكثر ويستأجر المشتري على سقيهما مدة معلومة ، وأفاد بعض فقهاء نجد بصحة هذا البيع ويرجع فى كيفية السقى الى العادة والعرف .^(٢)

وقد وقف علماء نجد موقفا حازما ضد بيع الحيلة وخيار الشرط فيه وهو ما كان يتعامل به بعض أهل نجد وهو أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال مقابل نخل فى بستان والمال أقل من ثمن مثله ولكن بشرط الخيار للبائع فقط مدة معلومة ليبيع من هذا المال الذى لم ينعقد البيع به لوجود الخيار ، ويطلب البائع البقاء بهذا البستان والاعتناء بهذا النخل مقابل جزء من ثمرته التى هى ربح للمشتري حسب غلاء السعر ورخصه ومصدر اعتراض علماء نجد على هذا البيع وهذا الشرط فيه أن البائع بشروط

-
- (١) المنقور: ١٩٤/١ ، ولعل المقصود بذلك بيع ثمر النخل أو فوائدها لا النخل الموجود فى الأرض المحددة حال التصبير .
- (٢) المنقور ٢١٣/١ ، وللجمع بين البيع والاجارة أكثر من صورة لكنه على الصورة السالفة يعتبر بيعا صحيحا على المشهور من مذهب الإمام أحمد ، أما على صورة بعثك هذا البستان على أن تؤجر نسي دارك بكذا فهذا شرطا فاسدا يبطل العقد . (منصور البهوتى : شرح المنتهى ١٦٢/٢ ، ١٦٣) كما أن الاستثناء على هذه الصورة صحيح على المشهور من مذهب الإمام أحمد . محمد بن عبد الله آل حسين : الزوائد ٣٦٩/١ ، وأكد ابن عطوة على معلومية المدة للسقى والقيام بامر النخل والا فالشرط فاسد (المنقور ٢١٢/١) .

الخيار لا يستحق قبض الثمن الا بعد انقضاء مدة الخيار، وإن قبضه حرم عليه التصرف فيه ، وقد فصل علماء نجد الكلام حول هذا الأسلوب من البيوع مما يدل على انتشاره في بعض مناطق نجد وخاصة منطقة الشمال حيث يطلب البائع من المشتري اعطاءه دراهم معدودة ليبيع عليه بها نخله ويعمرها له بعدد معروف من الأسهم من الثمرة على أنها ربح في الدراهم وللبيع الخيار الى مدة معلومة وينظران الى غلاء السعر ورخصه ، ولا شك أنه يساعد على تحريك الاقتصاد باعمار البساتين وتوفير السيولة النقدية ولكنه يجر الى الاختلاف بين المتبايعين ، وفيه تحيل بأخذ ما حرم الله أخذه الا ببيع صريح ليس فيه استغلال للبيع في مقابل دفعه المشتري من المال المسمى ثمنًا ، وقد خلص بعض علماء نجد الى أن ذلك هو عين الربا المنهى عنه .^(١)

ومن أساليب البيوع المشهورة عند النجديين - وخاصة البدو - ما يسمى برجل الفرس أو نصف الفرس وهي أن يستثنى البائع نصف الفرس أي أنها بعد ما تنجب مهرتها الأولى يكون الخيار للبائع أو للمشتري حسب الاتفاق بأخذ المهرة الأولى أو أمها ، أما رجل الفرس فيكون للبائع الحق في أن يملك المهرة والثالثة أو الرابعة ، وقد وقف علماء نجد قبل الدعوة وسعد هـ ضد هذا الأسلوب من البيوع على أساس نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الثنيا الا أن تعلم ، ونهى عن بيع المضامين والملاقيح والمجر والتي ييسدو ان النجديين كانوا يتعاملون بها قياسا على رجل الفرس أو نصفه .^(٢)

(١) للتفصيل في هذا الأسلوب وشيوعه في بعض مناطق نجد وآراء العلماء فيه المنقور ٢١٤/١ - ٢٢٤ . وقد سبقت الإشارة الى بعض هذه الآراء في فقرة " العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم " في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) المقصود بالثنيا الاستثناء والمضامين ما في اصلاص الفحول ، والملاقيح ما في بطون الامهات ، وكذلك المجر ما في بطن الناقة كما يطلق على الربا والقمار عن أسلوب رجل الفرس أو نصفه وآراء العلماء

وكانوا يتعاملون ببيع السلم وهو ما عجل ثمنه وأجل ثمنه وصفتـــــــــــــــــه
 أن يدفع شخص الى آخر مبلغا من المال على أن
 أن يدفع اليه مقدارا معيناً من التمر أو البر بعد مدة سواء وقت جنى الثمار
 أم قبله أم بعده^(١)، كما كانوا يتعاملون ببيع الذمة وهو عكس بيع السلم، ويبدو
 أنه أكثر انتشاراً بينهم من بيع السلم، وقد أدى بيع الذمة دوراً اجتماعياً
 ايجابياً في تحقيق التعاون، ونظرة ذي العسرة الى الميسرة، هذا من جانب
 كما أنه من جانب آخر كان مجالا لاستغلال بعض الأغنياء لبعض الفقـــــــــــــــــراء
 برفع السعر عالياً بدل التأجيل، وقلب الدين بزيادة اذا حل ولم يستطع
 المستدين الوفاء بأن يجعل الدين السابق رأس مال ثم يضاف اليه الربح للسنة
 القادمة^(٢)، وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلاميذه ضد هذا
 الأسلوب التجاري معتمدين في ذلك على مذهب الامام أحمد وغيره من الأئمة
 وقد وصف الشيخ التحيل على قلب الدين باحضار عدة دراهم من الدين
 المقلوب ويتم العقد عليه بما يسمى بعقد التصحيح وصف هذا التحيل بالبطلان
 حيث قال فيه " وهذه الحيلة الطعونة التي هي مغلظ الربا أو الحيلة
 التي استباح بها أكثر المطاوعة الآن^(٣) .

(=) فيه . (البهوتي ١/١٤٧، ١٤٩، ابن قاسم : الدرر ٥/١١، ١٢،
 محمد ال حسين : المرجع السابق ١/٣٦٦، ٣٧٠)، وعن انتشار
 بعض هذه البيوع في نجد : (فهد المارك : من شيم العرب ٣/
 ٢٣٦، ٢٣٧) .

(١) المنقور ١/٢٥٥، وقد ورد نهى صريح عن بيع الثمرة قبل بـــــــــــــــــد
 صلاحها، (البهوتي ٢/٢١٠، ٢١٤، ابن قاسم : الدرر ٥/٨٣ -
 ٨٧) ولكن السلم على نوع من الطعام غير مقصود به ثمرة لم تـــــــــــــــــزه
 بعد يجوز كما في هذه المسألة على ما يبدو ، اذ وردت السنة
 بجواز السلم (الدرر ٥/٨٩) .

(٢) ابن قاسم : الدرر ٥/٦١، ٦٢، وكان الامهال على المديـــــــــــــــــن
 الى ميسرة احيانا ، والصالح بالدين والتصدق به أحيانا أخرى مجالى
 فخر واعتزاز من النجديين في تلك الفترة : فهذا ابو حمزة العامري
 من شعراء القرنين التاسع والعاشر الهجريين يقول :
 وحنا ندين جارنا من كيلنا . . . وندينه دين بغير وفائي

(عيد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ١/٣٦)
 (٣) ابن قاسم ٥/٦٢، وعن موقف علماء الدعوة بعد الشيخ من هذا
 الأسلوب ٥/٦٢ - ٧٠ .

وبالجملة فقد كان النجديون يتعاملون بمختلف أساليب البيوع التي كانت تقرها الشريعة وكانوا - في فترات الجهالة - يخرجون أحياناً في بيوعهم عما تقره الشريعة، وقد شهدت تلك الفترة حركة بيع وشراء بمختلف أساليبها المؤجلة وغير المؤجلة، والموافقة للشريعة وهي الأغلب، ومحاولات الخروج عن ذلك، وقد ساهمت هذه الحركة بأحياء الحياة الاقتصادية في نجد رغم الوضع السياسي والأمني الذي كانت تعيشه في تلك الفترة، وكان للعلماء النجديين الدور الأكبر في توجيه حركة البيع والشراء إلى ما تجيزه قواعد الشريعة على المشهور من مذهب الإمام أحمد بن حنبل مع خروج عنه أحياناً إلى بعض الآراء في المذاهب الأخرى، ومداراة لأهل نجد أحياناً في معاملاتهم يدفعهم في ذلك ما قد يجدونه من رأي فقهي مؤيد لهذه المعاملات^(١)، أو خفاء لبعض الأحكام حولها خفاء يجعلهم يوافقون أهل نـجـد في بعض هذه المعاملات وهذه كانت من ضمن ما أولاها إمام الدعوة محمد ابن عبد الوهاب - وتلاميذه من بعده جل اهتمامهم وعنايتهم - حيث يجد الباحثون ملاحظتهم العديدة على بيوت تلك الفترة والفتاوى التي

(١) يجد الباحث في تلك الفترة الكثير الكثير من خروج علماء نجد فيها إلى المذاهب الأخرى وخاصة إلى المذهب الشافعي الذي تحول بعض علماء نجد من المذهب الحنبلي إليه. وما يمكن اعتباره وعياً فقهيًا من هؤلاء العلماء رغم ما اشتهر عند عامة الباحثين من أنهم كانوا يلتزمون بمذهب الإمام أحمد يؤيدهم في ذلك تحمس بعضهم لآراء مجتهدى الحنابلة، الأمر الذي جعل خروجهم عن بعض آرائه لا تبدو واضحة عند البعض.

(٢) يمكن الاستشهاد بهذا النص للشيخ محمد بن عبد الوهاب والذي ينتقد فيه تحيل بعض أهل نجد على الربا حيث يقول "وهنا فائدة ينبغى التنبيه عليها وهي أن الحيل على الربا قد نشأت من عليها أنتم ومشايخكم وتسعونها التصحيح، والأمر التي نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلفة والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء، وما عليه المشايخ أمر عظيم لا يوفق له أكثر الخلق فأمر الحيل ومثاله مثل الشرك فكما أنكم لم تفهموا الشرك

(١)

صدرت بشأنها مما ليس هنا مجال تفصيله .

٤- المكاييل والموازين والمقاييس:

١ - المكاييل :

لقد كانت وحدة الكيل النجدية في تلك الفترة وحتى العصر الحاضر هي الصاع وما ينقسم اليه من وحدات أصغر، ومن المؤكد في تلك الفترة أن منطقة نجد قد عرفت عددا من الأصع تختلف مقاديرها من اقليم لآخر بالنسبة للصاع النبوي (وحدة الكيل الشرعية) فعلى حين أشار بعض العلماء أن صاع العارض يزيد خمس صاع وخمس الخمس على الصاع النبوي^(٢) الذي قدره أحد العلماء بكيلين وأربعين غراما، فقد أشار علماء تلك الفترة

(=) أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة ولم تفهموه كله الى الآن فكذلك الحيل لأجل نشأتكم عليها وتسميتها التصحيح تحتاج منكم الى نظـر وفطنة فأكثروا التدبر لها والمطالعة والتعميل في اغاثة اللفـان وغيرها " (ابن قاسم : الدرر ١٠٢/٥) .

(١) لقد زخرت كتب البيع لدى الفقهاء النجديين في تلك الفترة وما بعدها بالكثير من أساليب البيع والشراء مما يحتاج هو لبحث خاص مقارنا بملاحظات علماء الدعوة عليها ولعل أبرز من ذكر صور هذه البيوع : (المنقور : الفواكه الجزء الأول كتاب البيع لفترة ما قبل الدعوة ، وابن قاسم : الدرر الجزء الخامس كتاب البيع لفترة ما بعد الدعوة للاستزادة والمقارنة يرجع اليهما) .

(٢) ابن بشر ٢١٩/٢ من حاشية المقق ، ابن قاسم : الدرر ٣٠٠/٤

(٣) محمد الصالح العثيمين ، مرجع سابق ص ٢٢٨ ، وقد ذكر فيها مقدار الصاع النبوي بالمثاقيل أربعمائة وثمانين مثقالا ، كما قدرها بالوزن السالف بالكيلو غرام عند الكلام على زكاة الفطر من رمضان ، وقد ذكر الفيروز آبادي في القاموس باب العين فصل الصاد أن معيار الصاع النبوي الذي تدور عليه الأحكام بين المسلمين أربع حفنات بكفى الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما . وانظر (البهوتي شرح المنتهى ٣٨٩/١) وعلى هذا فصاع العارض يعادل كيلين وخمسمائة وثلاثين غراما تقريبا .

(١)

الى صاع سدير الذى يعادل صاعا وثلاثة أرباع الصاع النبوى ، كما أشاروا الى صاع وادى الدواسر الذى يبلغ ضعف صاع العارض (٢) وهو ما يبدو أنه المعتمد عند النجديين ومن المعتقد أن نجدا قد عرفت آصاعا أخرى غير تلك ، إلا أن المشهور منها هذه الآصع وأشهرها صباع العارض حيث الثقل العلمى والقوة السياسية نسبيا كما أن من المعتقد أن آصع المناطق الأخرى كانت تقوم على أساس الصاع العارضى .

ومن المكاييل التقديرية الكبيرة الوسق الذى يقدر بستين صاعا بالصاع النبوى باتفاق العلماء^(٣) ، وما يقل عن ذلك بالآصع النجدية أو حمل بعير^(٤) ، وقد أخطأ المنقور حينما ذكر فى تاريخه ونقله عنه بعض مؤرخى نجد أن الوسق ستون صاعا بصاع العارض ، والصحيح أن الوسق

(١) نقل المنقور فى مجموعه ١٦٢/١ من خط الشيخ اسماعيل بن ربيع (ت ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م) مانصه : " اخترنا صاع النبوى صلى الله عليه وسلم فوجدناه كل أربعة آصع بصاع سدير الآن سبعة آصع بصاع النبى صلى الله عليه وسلم ، فعلى هذا نصاب الثمار مائة وسبعون صاعا . . . " ويعادل صاع سدير كيلين وستمائة واثنين وخمسين غراما تقريبا .

(٢) ابن قاسم : المصدر السابق ٣١٠/٤ وعلى هذا فصاع الوادى يبلغ خمسة اكيال وستين غراما وفى هذا نظر .

(٣) ابن حجر ، فتح البارى ٦٦٠٦٥/٧

(٤) أصل الوسق : الحمل ، ومنه الوسيقة من الابل اذا حملت ، كما تطلق على كل من حملت ، وأوسق البعير حمّله حمّله ، ولهذا اشتهر عند اللغويين أن الوسق حمل بعير أخذا من قوله تعالى فى سورة يوسف : " ونزداد كيل بعير " آية : ٦٥ ، أى وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا (الفيروز آبادى : باب القاف فصل الواو ، أبو السعود العمادى : التفسير ١٦٥/٣) . والى وقت قريب وأهل نجد بادية وحاضرة يتعاملون ببيعا وشراء على أساس حمل البعير أو الحمار مكتفين بذلك عن الوزن ، ويشبهون فى ذلك أهل القرى والبادية العراقية (جواد على ٦٣٢/٧ ، ٦٣٣) .

ستون صاعا بالصاع النبوى لا الصاع العارضى أو أى صاع نجدى غيره اذ أنها
تزيد عن الصاع النبوى على اختلاف فى مقاديرها .

ونتيجة لذلك فقد اشتهر لدى مؤرخى نجد أن وحدة الكيلو
فى الحجاز أنقص منها فى نجد ، وهذا الأمر لا يزال قائما اذ أن الكيلة
فى الحجاز نحيفة طويلة وهى أقل من الصاع النجدى الذى هو قصير
عريض، وعلى ذلك فيبدو أن مقدار الكيلة الحجازية قريب من مقدار الصاع
النبوى ان لم يكن المقدار نفسه .

-
- (١) المنقور : التاريخ ٦٥ ، الفاخرى ٨٢ ، ابن بشر ٢١٩/٢ - من
حاشية المحقق ، وكان النجدىون كذلك يكيلون ويزنون بالمن وهو
يزن ٣٣ وزنة فى نجد ، أى ما يعادل ٤٩٥ كيلوغرام ، وهو مشتهر
فى الاحساء والقطيف أكثر من نجد ويزن به التمر والحبوب ، كما أنه
معروف فى العراق ، وهو فيها يختلف ثقله بحسب نوع الموزون فهو
أنواع عديدة فمن الحبوب أثقلها تليه الأنواع الأخرى وأشتهر منها
منتصف القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى نوعان ١ :
المن البقالى ويزن ٨٨٦ ر ١٠ كيلوغرام ٢ : المن العطارى ويزن
٨١٦٥ كيلوغرام ، وقد اشتهر المن فى العراق وشرقى الجزيرة عامة
أكثر من نجد ، وعرفه العرب قبل الاسلام كذلك كما عرف حديثا فى
عدد من البلدان حيث ينسب اليها كالمن التبريزى والشيرازى وغيرها
(عبد الرحمن بن عبد الله السويدي : تاريخ حوادث بغداد ، والبصرة
من عام ١١٨٦ هـ الى ١١٩٢ هـ / ١٧٧٢ - ١٧٧٨ م تحقيق وتعليق
د . عماد عبد السلام رؤوف : مطابع دار الحرية للطباعة - بغداد ، نشر
وتوزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان . وزارة الثقافة والفنون العراقية
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م سلسلة كتب التراث رقم : (٧٣) ص ٩٦ ، ٩٧ ، من
حاشية المحقق ، جواد على ٧ / ٦٣ ، ٦٤ ، د . عبد الفتاح
أبو علي : النقود والموازين والمقاييس فى سنجق الحسا فى العهد
العثمانى ، مطبعة نهضة مصر نشر دار المريخ ٢١ ، ٢٢ ، لوريير :
دليل الخليج : القسم الجغرافى ٢ / ٨٤٩ ، ٥ / ١٨٣٣) .
- (٢) الفاخرى : ابن بشر : ١ / ١٨٣ ، د . عبد العزيز الخويطر (ابن
بشر) : ٥٣ .

ويصنع الصاع من الخشب كما ينقسم الى وحدات أصغر، أكبرها المَدّ ويختلف تقديره من صاع لآخر بل ان الصاع النبوي اختلف في تقدير امداده ومقدار المد نفسه فبعض العلماء ذكر أن الصاع النبوي يبلغ أربعة أو ثمانية أرطال وكل مد رطلين ، أو رطل وثلث . وبعضهم ذكر أن الصاع النبوي يبلغ ثلاثة أمداد ، فيكون المد ثلث الصاع، كما ذكر بعضهم أنه يبلغ أربع حفنات بيدى الرجل المعتدل في الخلقة مجتمعة ، والمد حفنتان فعلى هذا يكون المد نصف الصاع النبوي^(١)، إلا أن كون المد ثلث الصاع النبوي هو الذى تطعن له النفس لأنه لا يجوز أن تنقص صدقة الفطر عن مد بر أو نصف صاع من غيره ، وقد وردت هذه المعادلة في الحد الأدنى لصدقة الفطر كما فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : " أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر صاعا من شعير ، قال عبد الله فجعل الناس عدله مدين من حنطة " ، وكما فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : " كنا نعطيها فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام ، أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير ، أو صاعا من زبيب ، فلما جاء معاوية وجاءت السمراء قال : أرى مدا من هذا يعدل مدين " وفى رواية قال : " فلما كان معاوية عدل الناس نصف صاع بربصاع من شعير " خلافا لمن قال بأن الذى عدل عن ذلك عمر ثم عثمان رضى الله عنهما^(١) ، وعلى أى حال فيمكن

(١) الفيروزابادى باب العين فصل الصاد ، البهوتى ١/٤١٤/٤١٥ ، وأشار فيها الى أن الصاع أربعة أمداد ، ابن قاسم : الدرر ٣١٩/٤٢١ وقد أورد فيها آراء العلماء النجديين وغيرهم قديما وحديثا فى مقدار الصاع والمد النبويين ، دائرة المعارف الاسلاميَّة ١٤/١٠٥ مادة " الصاع " من اعداد المستشرق / الفرد بـل ، وأشار فيها الى اختلاف مقدار الصاع والمد باختلاف البلدان والاقاليم ابن حجر : فتح البارى ٧/١٤١ - ١٤٥ ، وقوله : السمراء أى القمح الشامى ، وقد أورد فيه آراء متعددة حول هذه المعادلة وهل أساسها اختلاف القيمة بين البر وسائر الطعام أو الكيل كما يعيل الى ذلك أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وقد ذكر

الاستدلال بذلك على أن المد أقل من النصف وأقرب اليه من الربع فيكون على هذا ثلث الصاع تقريبا .

أما عموم الأصع النجدية فقد اتفق علماء نجد على أنها كلها تزيد عن الصاع النبوي على اختلاف في مقاديرها كما مر، كما أنه قد تواتر لدى النجديين أن المد ثلث الصاع^(٢) على اختلاف في مقاديرها كذلك، وقد أخذت تسميته من مقداره وأسلوب تقديمه إذ أنه يقدر بملء كفى الانسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما فالمد هو الممدود^(٣) وأخطأ من ظن أن المد هو ربع الصاع^(٤)، ويمكن اعتبار الصاع العارضى مقياسا للأصع النجدية، والممد العارضى مقياسا للأمداد النجدية التي لم يرد تقديرها، وعلى هذا فالمد العارضى يعادل ثمانمائة وخمسين غراما تقريبا .

وينقسم المد الى وحدتين كل وحدة تسمى نصيفا من باب التصغير ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا أصحابي فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدكم ولا نصيفه" رواه البخاري^(٥) ومسلم

(=) ابن حجر كذلك أن ابن عباس رضى الله عنهما لما كان أميراً على البصرة أمر الناس باخراج زكاة الفطرويين لهم أنها صاع من تمر الى أن قال : أو نصف صاع من بر .

(١) المنقور : الفواكه ١/١٦٢، ابن بشر ١/٢١٩ من حاشية المحقق ابن قاسم : الدرر ٤/٣٠٠، ٣١٩ .

(٢) الفاخرى : ١١٥ من حاشية المحقق، العبودى : الأمثال العامية ٢/٥٦٩ .

(٣) الفيروزابادى : باب الدال فصل الميم

(٤) عبد الكريم الجهيان : الأمثال الشعبية ٤/١١٨

(٥) وفي رواية : مابلغ ومعناه : لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا مابلغ ثوابه في ذلك نفقة لأحد أصحابي مدا ولا نصف مد ، وقد ورد

هذا الحديث برواية أبى هريرة من دون ذكر سببه ، ورواية أبى سعيد الخدرى ، قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن

(=)

وإذا كانت لفظة " النصف " صيغة تصغير لنصف المد في اللغة العربية^(١) فان النجديين ينطقونها " النصف " مبالغة في التصغير قياسا على الصاع، لأنه إذا كان المد هو نصف الصاع أو ثلثه فان النصف يعتبر نصيفا بالنسبة له، وعلى هذا فالنصف هو ربع الصاع على رأى من قال : ان المد هو نصف الصاع النبوى، وسدس الصاع فى عموم الآصع النجدية^(٢)، وعلى رأى من قال : أن المد ثلث الصاع النبوى .

ويستعمل النجديون للمقادير القليلة لربيع الذى هو نصف النصف، فيكون مقداره على هذا جزءا من اثني عشر جزءا من الصاع، وقالوا له ربيعاً بالتصغير تمييزا له عن ربع الصاع^(٣)، ومن ثم فقد وهم من قال أن الربيع هو ربع الصاع^(٤) وتصغيره بهذه الصيغة دليل على حقارة كيلته لدى النجديين، وعدم الاستفادة مما تحتويه من الطعام لقلتها، بينما كيله ربع الصاع يمكن الاستفادة بما تحتويه من طعام^(٥).

وكانوا يكيلون بالصاع وما يتفرع منه من مكاييل سائر المحاصيل الزراعية من القمح والذرة والدخن والشعير، أما التعرف فقد دلت الوثائق والأحداث^(٦)

-
- (=) ابن عوف رضى الله عنهما شئ فسه خالد فقال رسول الله (ص) لا تسبوا أصحابي .. الحديث ، (ابن حجر: فتح البارى ١٤ / ١٧٠ - ١٧٢، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٩٢، ٩٣) .
- (١) الفيروزابادى باب الفا٢ فصل النون
- (٢) العبودى ٢ / ٥٦٩
- (٤) الجهيمن : ٣ / ١٧١، ١٧٢ .
- (٥) العبودى : الامثال ٢ / ٥٧٠
- (٦) كما فى وصية صقر بن قطام التى كتبت سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م والتسى سياى الكلام عنها عند الكلام على التكافل الاجتماعى والأعمال الخيرية لدى حاضرة نجد وعن نص الوصية: (مجلة العرب ج/٦ / س/ ٢ ذو الحجة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ص ٥٥٧ - ٥٥٩) .

الاقتصادية فى كتب التاريخ النجدى فى تلك الفترة - كما مر - أنه كان يكال بالصاع على الطريقة الواردة فى الحديث النبوى الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : " فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير " ، الحديث رواه الجماعة ^(١) وكانوا ينظرون الى أن تمر نجد يأتى كيله مثل تمر المدينة لكونه يابساً فى الغالب حيث لا تغشى أرضه المياه ، أما التمر التى تنتج بسواد العراق وما شابهها من الأراضي التى تغشاها المياه فانها تكون رطبة لا يتحرز منها الا بالوزن ^(٢) ، والذى يبدو أنهم كانوا فى بعض فترات هذا العصر لا يرون تقدير الصاع من التمر بالوزن لأن التمر يعتبر مكيلاً فلا يحتاج فيه الى التقدير ، الا أنهم فى بعض الفترات الأخرى يرون تقدير الصاع النبوى وكانوا يحتاطون فى ذلك ، فقد جعلوه مرة وزنة ونصف ومرة وزنتين ، كما أنهم فرقوا بين التمر المكنوز (المضغوط بعضه الى بعض) فجعلوا مقدار صاعه وزنتين الا ثلثاً وغير المكنوز الذى قدره بوزنة أو وزنة ونصف أو وزنتين حسب ثقل التمر وخفته ، ولعل هذا التقدير ^(٣)

-
- (١) انظر نص الحديث وشرحه فى فتح البارى ١٣٩/٧ ، ١٤٠ .
- (٢) البهوتى : شرح منتهى الإرادات ٤١١/١ ، ٤١٤ ، المنقور : الفواكه ٢٦٤/١ ، وقد أورد فيها خلافاً فى المكيلات والموزونات التى يجوز والتى لا يجوز بيعها الا كيلاً أو وزناً خلص فيه الى أنه فيما يتهياً وزنه الوزن وفيما يتهياً كيله الكيل ، كما يبدو أن الشيخ البهوتى يميل الى امكانية وزن التمر الا اذا كان ثقيلاً فيحتاط فيه حين مقارنته بالصاع .
- (٣) ابن قاسم : الدرر ٣١٦/٤ ، ٣٢١ وقد جرى بين ابن عطوة وزميله أحمد الشويكى (المتوفى ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م) نقاش حاد حول التمر المعجون ومدى امكانية كيله أو وزنه ، وكان رأى ابن عطوة كيله ورأى الشويكى وزنه وأيده فى ذلك الشيخ عبد الله بن رحمة الناصرى (عبد الله بن محمد البسام : تحفة المشتاق ورقة ٢٣ ، عبد الله ابن عبد الرحمن البسام : علماء نجد ٢٠٢/١) .

كان تمهيدا لاعتبار التمر موزونا كما فى عصرنا الحاضر .

(١)

كما أنهم كانوا يكيلون السمن بالصاع ، ومن المعتقد أنهم يقدرّون الصاع ببعض الأواني التى لا يسيل منها السمن اذ الصاع من الخشب ولا يتأتى كيل السمن به ، أو أنهم يقدرّونه بالعكك وهذا ما حصل من أبناء البادية حيث يستطيعون نقله وعرضه فى الأسواق بسهولة .

(٢)

أما اذا كان السمن جامدا أو كان الدهن من النوع الودك فانهم كانوا يزنونه ، اذ أنه فى هذه الحالة يمكن وزنه ، وقد نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان تقريره أن الدهن اذا كان جامدا لا يعتبر فى التعامـل الا موزونا ^(٣) لسهولة الدقة فى ضبط تقديره ، ولصعوبة كيله بخلاف السائل منه الذى يتأتى كيله على ما جرى عليه عرف النجديين آنذاك .

ب - الموازين :

لقد كانت وحدة الوزن المعروفة آنذاك الوزنة وهى ماساوى أقة وثلاث بأوزان الحجاز ، وما يتفرع عنها من وحدات وزنية أصغر وكان يتم الوزن بها مالا يتأتى كيله بالصاع ، وفى آخر هذه الفترة بدأ التحول تدريجيا من جعل التمر مكيلا الى جعله موزونا ، حتى اذا أطلقت الوزنة فى

(١) الفاخري : ٩٥ ، ابن بشر ٢ / ٢٣١ .

(٢) الودك فصيحة : الدسم ، (الفيروز آبادى باب الكاف فصل الوام) ، وهو فى نجد الدهن المستخرج من شحم الحيوان .

(٣) الفواكه : ٢٥٦ / ١ وظاهر كلامه أن الدهن وان كان سائلا يمكن تجعده بعد فترة فانه لا يكال بل ينتظر حتى يجمد فيوزن ، وذكر بعض مجتهدى المذهب الحنبلى أن السمن اذا كان جامدا فهو موزون واذا كان مائعا فهو مكيل اعتبارا ، (ابن قاسم : الدرر ٨٩ / ٥) ، وأورد المنقور عن ابن ربيع أن البصل موزون وأن البطيخ والخوخ لا مكيل ولا موزون وكذلك التين ، نقل عن ابن عطوة أنه لا مكيل ولا موزون . (المنقور : الفواكه

٢٥٣ ، ٢٤٣ / ١) .

(١)

الطعام انصرفت الى التمر، وان كان يصار الى تقديره بالصاع وخاصة
اذ أريد صرفه في أحد المصارف الشرعية.

وكذلك يتم الوزن بالوزنة وما يتفرع منها، كافة السلع والمحاصيل مما
لا يستطاع الا وزنه، وخاصة الأعلاف التي توزن بميزان خاص يتم وضعه
في الحقول وظل التعامل بالوزن به الى وقت قريب بل حتى الآن في بعض
المناطق الزراعية في نجد كما مر.

ومن وحدات الوزن الكبيرة التي عرفت في الأحساء وبعض المناطق النجدية
القياسة التي تعادل سبع وزنات، أما أوزان المعادن النفيسة والأشياء
القليلة فكانت الحبة والتولة وبعض العملات المتداولة وبعض هذه الوحدات
معروفة في المناطق المجاورة كما عرفها العرب قبل الاسلام^(٢).

ومن الموازين التقديرية الشقل بمعنى المعايرة والوزن وقد عرفه العرب
قبل الاسلام عن بعض الأمم الأخرى باسم الشاقل وهو معروف في العراق وبعض
البلدان المجاورة، وفي نجد الى الوقت الحاضر حينما لا تكون وحدات الوزن
متوفرة فيطلب ممن لديه معرفة بالأوزان شقل المطلوب تقديره ويعطيه معيارا
يتفق في الغالب مع الأوزان المعروفة^(٣).

وكما عرف عرب ما قبل الاسلام عددا من وحدات الكيل والوزن من مناطق
الشام والعراق فيبدو أن النجديين كذلك قد أخذوا بعض المكاييل والموازين

(١) د. عبد العزيز الخويطر (عثمان بن بشر) ص ٥٢، وتعادل الوزنة
كيلا ونصف تقريبا (الفاخرى ص ٨٠ من حاشية المحقق) وبيدو
أن كيلو اللاتينية قد أخذت من لفظة الكيل العربية بمعنى الوزن
والقياس عموما.

(٢) جواد علي ٦٢٨/٧، د. أبو علي: المرجع السابق: ٢٤، ٢١.

(٣) جواد علي ٦٢٨/٧

عن هذه المناطق ومنطقة شرق شبه الجزيرة اذ تتفق كثير من مسميات
المكاييل والموازين فيها مع تلك التي في نجد ولا شك أن هذا يعود لكبر
حجم التبادل التجارى بين هذه المناطق وبين نجد^(١).

ج - المقاييس :

ولقد كان النجديون يقيسون الأطوال والأبعاد والمسافات والمساحات
بالباع أو البوع وهو مقياس مابين أطراف اليدين اذ مدتا من جسم الانسان
المعتدل خلقه، أو مايعادل مترين تقريبا^(٢)، وكذلك الذراع وهو من طـ
المرفق الى طرف الاصبع الوسطى يساعد الانسان المعتدل خلقه أو مايعادل
نصف متر تقريبا ، وكان المعمول عليه غالبا فى كافة المقاييس فى نجد أكثر
من غيره سواء أكبر منه كالباع أم أصغر منه كالشبر والفرز غالبا ما يقيس به
النجديون ما يستلزم القياس فى جميع أمور حياتهم ، وعليه تدور الأحكام
الشرعية المتعلقة بالأطوال والأبعاد^(٣).

-
- (١) جواد على ٦٢٧/٧ ، رسول الكركوكلى : دوحة الوزراء ترجمة موسى
كاظم نورس مطبعة كرم . بيروت نشر دار الكاتب العربى ، بيروت
ومكتبة النهضة ، بغداد ص ١٨٣ ، لوريمر : المرجع السابق القسم
الجغرافى ١٨٤٩/٢ ، ٨٥٠ ، ١٦٩٧/٥ ، د . أبوعلية ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣
- (٢) الباع والبوع بفتح الباء وضمتها كلها فصيحة . (الفيروزابادى : بساب
العين فصل الباء) ، وانظر الفاخرى ١٢٩ من حاشية المحقق .
- (٣) المنقور : الفواكه ١١٠/١ ، ابن قاسم : الدرر ٢١١/٤ ، السذراع
كذلك فصيح . (الفيروزابادى باب العين فصل الذال) وقد عوف
الذراع فى عدد من البلدان المجاورة وتختلف تقديراته من بلد
لاخر (لوريمر : المرجع السابق ١٨٥٠/٢ ، ٨٥٠ ، ١٠٠٢/٣ ، ١٤٣٢/٤ ،
١٦٩٧/٥ وقد حدد مقدار الذراع النجدى ب ١٩ بوصة
أى ٥٠ سم ، وانظر د . أبوعلية ٢٥) .

ومن أساليب القياس الصغيرة استعمال الشبر وهو مسافة ما بين طرف الابهام الأعلى الى طرف الخنصر الأعلى كذلك اذا مدا ، أمـ القياسات الأصغر فيستعملون لها الفتر وهو مسافة ما بين طرف الابهام الأعلى ، وطرف السبابة الأعلى المسماة المشيرة اذا مدا ، وهو أقصر من الشبر ^(١) بقليل .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الوزن ووحداتها الصغرى قد استمر التعامل بها في سائر أنحاء نجد لوزن كافة السلع غير المكالة ، وكذلك جميع أنواع القياس الأخرى حتى ١٣ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م حيث صدر قرار من مجلس الوزراء^١ مبلغ الى وزارة التجارة باحلال ١ الكيلوغرام والوحدات العشرية التابعة له محل الوزن في نجد ، والاردب والأقة والأوقية فـ الحجاز ، وكذلك احلال المتر وكافة الوحدات العشرية التابعة له محل الباع والذراع والشبر والفتر ، واحلال اللتر والوحدات التابعة محل وحدات الحجم القديمة كالصاع ومشتقاته وتعادل بالصاع فيما يتعلق بالأحكام الشرعية ، وقد تضمن هذا القرار أن تطبيقه يبدأ من غرة محرم سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، وقد تولت وزارة التجارة متابعة تنفيذ هذا القرار منذ ذلك التاريخ حيث ابتدئ بتطبيقه في الرياض ثم عمم تدريجيا على سائر مدن وقرى المملكة ، الا أنه لا يزال بعض الناس في المدن والقرى النجدية يبيعون ويشتررون على أساس الوزن وخاصة الأعلاف والتمر والقمح الذي يحول بعد ذلك الى الصاع ، وكذلك وحدات القياس الأخرى ، وان كان هذا قد أصبح على نطاق ضيق حتى أوشك على التلاشي تقريبا .

(١) الشبر والفتر فصيحتان : (الفيروزابادى باب الرأء فصل الشين والفاء)

وانظر العبودى : الامثال : ١٥٤٧/٤ ، ١٥٤٨ .

(٢) ابن عيسى : ص ٢٥١ ، من اضافات الشيخ حمد الجاسر ، د . عبدالعزيز

الخويطر : المرجع السابق ٥٢ ، أمين سعيد : فيصل العظم

الطبعة الثانية ، مطابع نجد التجارية ، نشر وزارة التعليم العالى

ص ٣١٤ ، صحيفة الجزيرة عدد ٥٣٨٧ الاثنين ١١/٣/١٤٠٧هـ ،

٢٩ يونية ١٩٨٧م ص ٧

٥- العملات المتداولة:

لئن كان عرب ما قبل الاسلام قد تعاملوا بالمبادلة أو المقايضة (النقد الطبيعي) ويوزن الذهب والفضة، وبالعملة^(١)، فإن النجديين بادية وحاضرة قد تعاملوا بالمقايضة أحيانا وبما توافر لديهم من عملات أو عرفوها عن طريق البلدان المجاورة أحيانا أخرى .

ولقد زخر التاريخ الاقتصادي النجدي في تلك الفترة بعدد وافر من العملات الكبيرة والصغيرة التي كان النجديون يتعاملون بها فيما بينهم داخلها وفيما بينهم وبين جيرانهم أهل البلدان المجاورة، وكانت جل هذه العملات ان لم تكن كلها ترجع الى سلة العملات العثمانية، أو الفارسية، وأحيانا كانت ترجع الى سلسلة العملات الأوربية أو الهندية .

(٢)

وقد ذكر علماء تلك الفترة تعامل النجديين بالدينار القبارصة من ضربة السلطان مراد بن سليمان^(٣)، ويبدو أنها كانت من أوائل النقود التي

(١) جواد علي ٤٨٨/٧

(٢) الدينار: معرب من اليونانية اللاتينية أصله دينار فأبدل من احدى نونيه ياء لئلا يلتبس بالمصادر . وكما تطلق على نقود بعينها فقد تطلق على عمود النقود الذهبية (الفيروزابادي باب الرء فصل الدال ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٣٩ مادة دينار، د . السيد يعقوب بكر : نصوص في فقه اللغة العربية : دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م ٢ / ٦٩) . وقد أورد فيها عددا من الآراء التي تقول : ان الدينار انتقل الى العربية من اللاتينية عن طريقة الآرامية، وقيل عن طريق التدمرية، ورد على القول بفارسيته وان كان قد استعمل لاحد العملات الساسانية ولكن نقلا عن اليونانية .

(١) ليس في سلاطين العثمانيين اسم مراد بن سليمان، ولعله قد اشتبه على علماء نجد بالسلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان الذي

(=)

تعامل بها النجديون فى تلك الفترة ، كما أنها من قطع النقود الكبيرة ، وقد أورد المنقور رأيين عن العلماء فى هذه الدنانير - ١ - الأول عن شيخه بوجود صور عليها ، وحكم الدخول بها المساجد والبيوت بناً على ذلك^(١) .
والثانى : عن تحديد نصاب زكاتها وأنه عشرون قبرصيا ، وثلاثا أو ثلاثين .

-
- (=) ولد ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م وتولى السلطة بعد وفاة والده سليمان الثانى عام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م وتوفى عام ١٠٠٣هـ / ١٥٩٥م ثم تولى بعده ابنه محمد الثالث للتفصيل (محمد فريد بك تاريخ الدولة العلية العثمانية . احسان حقى ط (١) دار النفائس / بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م من ص ٢٥٩ - ٢٦٦ ، د . على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ط المكتب الاسلامى . دمشق ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٨٥ ، ٨٧) . ويبدو أن تسميتها بالقبارصة لأنها كانت تسمى فى قبرص التابعة للدولة العثمانية آنشد ، ولعل هذه الدنانير هى المقصودة بالنقد المرادى الذى كان يقدر باثنتى عشر جديدة والذى أشار اليه الجبرتى فى أحداث ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م (١ / ٢٢٠) المنقور : الفواكه ٩٩ / ١ وقد أورد فيها الفتوى بتحريم ذلك استنادا الى الحديث الذى رواه أبو طلحة قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ، وفى رواية ولا كلب) رواه البخارى ، وذلك جوابا عن سؤال هل يدخل فى ذلك ما على الدنانير القبارصة فأجاب صاحب جمع الجوامع بأن ذلك داخل فى الحديث كما نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان قائلاً الظاهر ان كان ما على الدنانير صورة حيوان دخل فى الحديث وان كان صورة جماد كشجر فلا . وعن الاحاديث الواردة فى هذا المجال وشرحها : (ابن حجر : فتح البارى ٢٢ / ٦٤ - ١٦٨) .
- (٢) المنقور : المصدر السابق ١ / ١٦١ ، ١٦٢ وقد نقل فيها عن شيخه الذى نقل بدوره عن شيخه أحمد بن ناصر بن مشرف (ت ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م) أن نصاب الدنانير عشرون ونصف أو ثلاثان على رأى أحد المالكية ، كما نقل عن ابن ربيع أن شيخه محمد بن مانع (من علماء القرن العاشر الهجرى) اعتبر نصاب القبارصة عشرين قبرصيا وثلاثا وشك فى آخر الكلام هل قال ثلاثين بعد العشرين ، قلت : يبدو لى بعد المقارنة مع رأى المالكي الذى اثنى عليه ابن ناصر أن الثلاثين اقرب وعلى هذا فالرأى واحد .

وليس من المؤكد معرفة مدى استمرار التعامل بهذه الدنانير
الا أن الذى يظهر أن نجدا عرفت عددا من الدنانير سواء كانت تركية
أو فارسية اضافة الى ما هو معروف من أن كل قطعة نقد كبيرة تسمى دينارا
مما يصعب معه معرفة نوعية هذه القطعة أو تلك وجهة اصدارها ، ويدل على
هذا الغموض الاشارة الى الدينار فى قول حميدان الشويعر :

فالفز فى كفه دينار . لياه يضربك اليهم^(١)

وقد أشار المنقور فى المسائل التى وقع عليه فيها اشكال أثناء قراءته
على الشيخ عبد الله بن ذهلان الى الدنانير المصرية ، مما يدل على أن نجدا^(٢)
كانت تتعامل بهذا النوع من الدنانير ، لكن تاريخ اصدارها والسلطان
الذى صدرت باسمه والمعلومات العامة عن هذه الدنانير ، كل هذه لم
أستطع الحصول عليها ، الا أنه يبدو أنها من الدنانير المملوكية ، أو العثمانية
المسكوكة فى مصر خاصة وأن مصر والشام تعدان من البلاد المتحضرة
فى الدولة الاسلامية ، أو من بلاد الاسلام السلطانية بتعبير ابن ذهلان^(٣)
اذ كانت الدولة العثمانية ترخص أحيانا بسك بعض العملات بدار السك
بالقلعة بالقاهرة ، كما يبدو أنها كانت متزامنة مع الدنانير القبرصية ، وتقصف^(٤)

(١) خالد الفرج : مرجع سابق ١/٧٦ ، محمد سعيد كمال مرجع سابق
٩/٥٧ . وقد سبق تحليل البيت فى الفصل الأول من الباب
الأول .

(٢) ٣٧١/٢

(٣) المنقور : المصدر السابق ، ١/٢٦١ ، ٢٦٢ ، وقد بدأ فى القبارصة
الزيف فى تلك الفترة وانتبه علماء نجد ومنهم ابن ذهلان لذلك
حيث ذكر أن ذلك من الغش والمقاسد مؤكدا أنه يجب التفريق بين
القبارصة السليمة والمغشوشة على غرار ما ذكر العلماء من التفريق بين
الدينار الكامل والناقص .

(٢) الحلاق : مصدر سابق ، ع ٤ حاشية ٤ .

فى صفها فى سوق التعامل التجارى فى ذلك الوقت اذ يحدث أن تزيف تلك بتلك أو تتبادل إحداهما بالأخرى، ويبدو أن الدنانير المصرية كانت أكثر قبولاً من القبارصة حينما تعرضت لبعض أساليب السك المغشوش فضلاً عن حداثة المصرية وعدم تعرضها لمراحل سك مختلفة قد تفقد الثقة ^(١) بها.

وتعامل النجديون نقدياً بالأحمر، وهو عملة ذهبية ويعتبر من النقود الكبيرة وإن كان أقل من الدينار فيما يبدو، إلا أنه قد تأتى فترة يعادل فيها الأحمر بدينار قبرصى حسب ارتفاع سعر الذهب وانخفاضه وحسب وفرة أو ندرة أحد هذين النقيدين فى الأسواق، ويحدث هذا التعادل عادة أثناء تغيير فى السكة، أو حاجة الصاعة الى الذهب لتشكيله حلياً أو ماشابه ذلك، وقد افتى ابن زهلان بتحريم توفية الحرمان بالقبارصة مما يدل على التفاضل بين الأحمر والقبرصى فى القيمة والجنس، وأن استيفاء واحد منهما عن الآخر يحدث بين الناس فى ذلك الوقت. وقد أشار بعض الباحثين الى أنه بمنزلة الريال الآن ^(٢)، ولعل من مظاهر قبوله فى الأسواق النجدية ما ذكره ابن زهلان من عدم جواز اخراج جدد مغشوشة زكاة عنه.

(١) المنقور ٢٦٢/١ حيث نقل عن شيخه أنه قيل له عن حصول سك القبارصة مغشوشة واذ أكد على حرمة ذلك طبعاً فقد أشاروا الى أنه لا يحل لمن قام بذلك أن يقول هذا مصرى ونحوه مما يوحي بمزامنة الدينار المصرى للقبارصة وأنه أقوى منها فى سوق التعامل خاصة بعد ما طرأ على القبارصة من زيف.

(٢) المنقور: الفواكه ١/١٥٨، ٢٦١، ٣٥٢، التاريخ ٦٥، الفاخرى ٨٢، ٩٥، ابن بشر ٢/٢١٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨، ابن بسام تحفة: ورقة ٥٥، ٦٥ د. أبو علي، مرجع سابق ص ١٨ وذكر فيها أن الأحمر يساوى ¼ ليرة عثمانية ذهبية و. ه قرش عثمانى ٩/١٦ د ولار نسأوى و ٢٠٠ محمدية و ٧ رويات هندية.

ويعد الأحمر من العملات العثمانية المعروفة في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية إلا أنه لقلته أحيانا فضلا عن تعرضه لمراحل سك قد تفقد قيمته فقد كانت الدولة العثمانية تعتبره عملة محلية لا تسمح باستخدامه في جبايتها من المناطق التابعة لها في شبه الجزيرة وكان التعامل به متقدما في نجد ، فقد ورد هذا التعامل به في فترة متقدمة عن بدء الدعوة واستمر التعامل به الى فترة متأخرة من بدء الدعوة كذلك حيث كانت حكومة الدرعية تفرضه ضمن النكال على بعض البلدان أو القبائل التي لم تدخل في الطاعة أو التي تعلن العصيان ^(١) .

(٢)
ومن العملات المتداولة المشهورة في نجد في تلك الفترة المحمدية وهي من العملات العثمانية التي تعامل بعض سكان المناطق المجاورة لنجد إلا أنها اشتهرت في نجد أكثر من غيرها وقد عاينتها الدولة العثمانية كما عاينت الأحمر تماما ، وهي من النقود الصغيرة إذ ذكر أحد الباحثين أنها تقل عن ربع الريال أو مايسوى خمس الريال تقريبا ، وقد ذكر بعض علماء نجد أنه لا يجوز صرف المحمديات بالقطع " الفلوس " التي من النحاس وتعادل عشر البارة ، مما يدل على التفاضل بين المحمدية والفلوس في القيمة والجنس ، وذكر

(١) ابن بشر : ٦٦/١ ، وقد ذكر البسام في تحفته سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م نقلا عن أحد مؤرخي الطائف أن سعر الأحمر وصل الى قرشين مما يدل على انتشاره في الحجاز وذكر أن سعر صرفه قرشان للأحمر مما يشير الى بدء تدنى قيمته النقدية وارتفاع القرش الذهبي أمامه ، د . أبو علي ١٨ .

(٢) سكت في عهد السلطان محمد الرابع الذي تولى من ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨ - ١٠٩٩هـ / ١٦٨٧ م حيث بدأ نشاط أسرة كوبريللي عندما تولى الصدارة العظمى محمد كوبريللي (ابن ربيعة ٩٠ من حاشية المحقق) .

المنقـسـور لها نقلا عن أحد العلماء الذين سبقوه يدل على أنها من العملات قديمة السك، وأن تعامل النجديين بها كان متقدما هو الآخر كما ذكر ذلك مؤرخو نجد، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إحدى رسائله لأهل شقراء إلى هذه العملة وقيمتها النقدية الضئيلة حينما قال " يا الله العجب تحاربون ابراهيم بن سليمان (العنقري أمير ثرمدا) فيما مضى عند كلمة تكلم بها على جاركم أو حمار مايسوى عشر محمديات" وقد استمر التعامل بهذه العملة حتى وقت متأخر عن قيام الدعوة كذلك^(١).

ومن العملات التي كان أهل نجد يتداولونها، وتتمتع لديهم بسمعة نقدية عالية المشخص وهو أكبر وأثمن من الأحمر^(٢)، إذ أنه من الذهب الخالص، كما أنه ذو عيار عال إذ يقرب من أربعة وعشرين قيراطا، وهو من النقود الأوربية (٣)، وينسب إلى مدينة البندقية التي بدأت تظهر

(١) المنقور : الفواكه ١/ ٢٥٥، ابن ربيعة ٩٠، الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل ٢٩٢، ٢٩٣، الفاخرى ٨٠، ١١٥، ابن بشر ١/ ٢٦٦، ٢/ ٢١٦، ٢١٩، ٢٣٨، أحمد البديري : حوادث دمشق ص ٣٥، د. أبو علي مرجع سابق ص ١٨، لوريير : مرجع سابق : القسم الجغرافي ٢/ ٨٥١ وذكر أنها تعادل ١/٢ القرش العثماني الذهبي، ١/٣ من الليرة العثمانية الذهبية و١/٤ من دولار ماريا تريزا و١/٣ - ١/٤ من الروبية الهندية.

(٢) الفاخرى : ص ٩٦ من حاشية المحقق

(٣) لقد بدأت عقدت الخواجة (الاعجاب بالغربيين) مقدمة في العالم الاسلامي ولعل الجانب الاقتصادي كان من أهم جوانب هذا الاعجاب وأولها يدعمه الوضع السيئ في هذا الجانب بالنسبة للعالم الاسلامي الذي كان يعيش منذ ما قبل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في شبه فوضى اقتصادية بشكل عام وفوضى نقدية بشكل خاص حتى أطلق أحد الباحثين على هذا العصر " عصر النحاس " إذ كانت العملة النحاسية قاعدة النقد منذ عصر الماليك في مصر مما أدى إلى تقليل كميات الذهب المتداولة في الأسواق على أساس القاعدة النقدية " العملة الرديئة تطرد

أهميتها ككيان سياسى فى أوربا منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، فأصبحت بذلك تضرب نقودا ذهبية يطلق عليها البندقيات أو الدوقات ، والدوقات نسبة الى دوقات البندقية الذين تضرب بأسمائهم وتوضع صورهم عليها ، اضافة الى النقود الفضية كذلك . إلا أن اشتهارها بدوقات الذهب كان أوضح ، والبندقى أو المشخص نقد عام يطلق على عموم النقود التى بدأ ضربها منذ سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م تقريبا فى وقت بدأت النقود المملوكية الذهبية تفقد سمعتها العالمية بسبب خفض عيارها نتيجة خلطها ببعض المعادن الأقل نقاسة مما دفع ببعض سلاطين المماليك أنفسهم الى التعامل بهذه النقود البندقية ، وأطلق عليها المشخصة لوجود صور شخصية آدمية عليها تتمثل أحيانا بصور بعض القديسين

(=) العملة الجيدة من الأسواق " واستمر هذا فى مصر حتى بعد مجئ العثمانيين حيث كانت قد اندثرت الأهمية النقدية لسدور السك المنتشرة فى مصر منذ عصر المماليك ولم يبق منها حين مجئ العثمانيين إلا داران فى الاسكندرية والقاهرة ، ويبدو أن الأمر اقتصر أخيرا على دار السكة بالقاهرة " المضرب خانة " التى كانت فى القلعة ، والتى كان العثمانيون يرسلون اليها قوالب السك من استانبول وزامن ذلك وجود غش فى العملات كان سببه قلة مايسك من العملات ، اضافة الى امتصاص الغربيين للمعادن النفيسة من ذهب اوفضة مما ادى الى نشاط دور الضرب الاوربية فى البندقيات وفلورنسا والنمسا والمجر واسبانيا وبدأت تصدر العملات الاوربية بكمية كبيرة للعالم الاسلامى الذى كان يعاني من الوضع النقدي السيئ ، ومما زاد الامر سوءا حرص الاوربيين على اغراق اسواق العالم الاسلامى بالنقود اكثر من حرصهم على اغراقها بالبضائع اد كانوا اذا اشترؤا سلعا من المسلمين لم يقايضوهم ببضائع اوربية بل بنقود ذهبية على درجة عالية من النقاوة جعلها تنال تقديرا عاليا من العرب فى شبه الجزيرة ، والهنود وكافة المسلمين حتى لم يعودوا فى فترة من الفترات يقلوا أى نقد ماعدا النقد المجرى المعروف بابسي طاقة (الفرنسية) والنقد البندقى والاسبانى والفرنسى ، وقد استغل الاوربيون نقطة الضعف هذه فاجدوا فى العالم الاسلامى فكرة سلامتهم من الغش والكذب فى معاملاتهم ، حتى ذكر الجبرتى : ان جميع معاملته (أى عملة) الكفار سالمة من الغش والنقص ، بخلاف معاملات المسلمين (العثمانية) فان الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص) وهكذا أخذ الاوربيون يحاربون المسلمين على الجبهة الاقتصادية بعد ان عجزوا عن الجبهة الدينية والسياسية ثم اخذوا فى الحرب على هاتين الجبهتين عن طريق الاقتصاد والثقافة يشجعهم على ذلك الوضع السيئ الذى يعيشه العالم الاسلامى فى هذين الجانبين ، للتفصيل : (الجبرتى)

(=)

وأحيانا بصور دوقات البندقية، والذي بيدو أن البنادقة كانوا يضربون
المشخص منذ تلك الفترة على مراحل كلما أرادوا الغاء شخص طرَحوا
فى الأسواق شخصا آخر لا يختلف عنه الا فى الشكل، وعهد القسيس
أو الدوق الذين توضع صور أحدهما عليه^(١).

ومنذ سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م كثر تداول النقود المشخصة فى مصر،
وما جاء العثمانيون الى مصر الا وقد انتشر التعامل به فى كل أنحاء مصر،
وأصبح وسيطا للتعامل التجارى بين المصريين وغيرهم، بالإضافة الى كونه
أحسن ذهب يجتهد الفرد فى طلبه وكثرت^(٢) ويبدو أنه دخل لشبه الجزييرة
العربية من المصريين عن طريق الحج والاتجار بين مصر والحجاز، ووصل
الى نجد عن طريق الحجاز، وانتقل المشخص بعد ذلك ليكون وسيلة تعامل
تجارية فى كل بلدان الشرق الأدنى^(٣) وليكون هو نفسه مجالا للاتجار

(=) المصدر السابق ٣/ ١٠٣-١٠٦، أحداث ذى الحجة عام
١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م، د. عبد الرحمن فهمى : النقود المتداولة
أيام الجبرتي طبع ضمن كتاب : عبد الرحمن الجبرتي " دراسات
وبحوث ص ٥٥٣ - ٥٧٩، هاملتون جب، هارولد بوون : المجتمع
الاسلامى والغرب، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة
د. أحمد عزت عبد الكريم . طبع ونشر دار المعارف - القاهرة
١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ٢/ ١٥٨، ١٥٩) .

(١) د. عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق، ص ٥٧٧، وقد تعامل بها
بعض السلاطين العثمانيين كذلك (محمد فريد بك مصدر سابق
٢٩١) .

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق : ص ٥٧٧ .

(٣) المقصود به منطقة الشرق الأوسط، وتسمية الشرق الأدنى تسمية
أقدم على أساس أن وسط آسيا هو الشرق الأوسط، وشرق وجنوب
شرق آسيا الشرق الأقصى، وغربها مع شرق افريقيا الشرق الأدنى
فهى على هذا تسمية أدق من الشرق الأوسط الحالية التى أطلقها
عليه رجال السياسة والحرب الغربيين على أساس أن هذه المنطقة

والاكتناز والصياغة .

وقد وردت اشارات متكررة للمشخص فى كتب التاريخ النجدى فى تلك الفترة مما يدل على كثرة تداوله فى نجد ، وتفضيلهم ايام على سائر النقود لأنه من الذهب الخالص العالى العيار ، ولاشك أن طرح البنادقة كميات كبيرة منه فى سوق النقد الدولى آنذاك ، ووجود الغش فى كثير من النقود سواه جعل النجديين لا يرضون بغيره بديلا ، عدا ما كان يتمتع به من تفضيل فى مناطق شبه الجزيرة الأخرى كالحجاز والأحساء حيث وردت اشارات لدى مؤرخي نجد تدل على أن حكام هذين الاقليمين وشعوبهما كانوا يمارسون التعامل بـ (١) فضلا على غيره .

وقد بلغ من حب النجديين للمشخص على أساس أنه ذهب خالص عالى العيار أن كانوا يطلقونه على الرجل الطيب الأصل النقى المعدن أو على الحبيب الغالى ، ويحرصون على تسمية أبنائهم به لتصوير مدى ما يلقونهم به منهم من حب وتقدير ، ويبدو أن البدو هم الذين يحرصون على ذلك على عادتهم فى تسمية أبنائهم أسماء تعبر عن أشياء محسوسة أو غير محسوسة لها أثر فى حياتهم ، وقد عبرت هذه الشاعرة البدوية التى ترضى ابنها "شخص" عن هذه الحقيقة بأبلغ تعبير حيث قالت من قصيدة لها : (٢)
ما شفت ليه (مشخص) فى صراره .
عنده من أولاد العطاوى حراوى
ومن النقود الى عرفت بنجد فى تلك الفترة المطابق - جمع مطبقة أو مطبق
وهى دراهم عرفت أول ما عرفت فى منطقة العارض سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م مما

(=) تجمع شتات بلدان يريد الغرب تطبيق أهدافهم العسكرية والسياسية والاقتصادية والعلمية فيها وعلى أساس أن هذه المنطقة تتمتع بموقع جغرافى وتاريخى واقتصادى فريد وأهم ذلك كله أنها موطن الاسلام حيث يسعى الغرب بكل قوته لقطع هذه الفكرة عن أجيال أبناء المنطقة المحدثين - للتفصيل : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، مادة الشرق الأوسط .

(١) عن هذه الاشارات : الفاخرى ص ٩٦ ، ابن بشر ١ / ٨٠ ، ١٥٢ ، ٢ / ٢٣٢

(٢) ما استفهامية بمعنى هل ، شفت ، من الشوف فصيحة بمعنى الجلوس

(=)

يبدو معه أنها لم تعرف في غيرها من مناطق نجد إلا أن من المتوقَّع أن تكون قد عرفت في غيرها من المناطق النجدية، لكن معرفة أهل العارض بها أولاً واقتران مجيئها لهم باحدى السنين العجاف سنة ١٠٩٦ هـ، جعل

(=) أو الرؤية بتمعن، ليه : مكونة من لى بمعنى الاختصاص، والهاء زائدة، ومن عادة بادية نجد التعبير عن الاختصاص بالجمع بينهما شخص: فيه تورية بين اسم ابنها شخص وبين النقد المعروف وذكرت ما يلائم النقد وهو الحفظ في الصرة، وقد كان مع ابنها نقود، أو قد يكون فيه استعارة تصريحية معنوية حيث استعارت لفظ الشخص لابنها بجامع المحبة في كل، وهذا إذا لم يكن اسم ابنها شخص والاحتمال كبير بأن اسمه شخص على عادة النجديين عمومًا وبأديتهم خصوصًا، أولاد العطاي: من المزاحمة من الروقة من عتيبة وأحد هم عطوى أو عطاي وهم أنخاذ، حراوى : مظنة وخليق (فصيحة) بأن يكون مدته على أحد العطوات الذى خفر ذمة رجل قبيلته الذى آوى ابنها (الفيروزآبادى باب الفاء فصل الشين وباب الصاد حرف الحاء، حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة ٢/ ٥٣٧) وعن البيت وقصته : عبد الله بن رداشاعرات من البادية (٣٧١، ٣٧٢، ٤٢٦، ويؤكد بيت ابن لعبون القائل : عن شخص ما عاضنى فيه سايم .٠٠ باربع عشر شاخة وعشرين دهنيم الجانب الثانى من مفهوم الشخص لدى النجديين خاصة حاضرتهم فى إطلاقه على الحبيب الغالى إذ أن ابن لعبون يقصد به حبيبه، والشاخة أحد نقود الفضة التى تعامل بها النجديون حيث ذكرها القاضى فى قصيدته فى القهوة ويبدو أنه فارسى، والدّ هنيىم نقد فارسى نحاسى ورد ذكره فى فواكه المنقور، وذكر ابن لعبون للمشخص وهو قد توفى سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م وكذلك محمد العبد الله القاضى المتوفى ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م يدل على تأخر التعامل به إضافة الى أن الاحداث التاريخية والفتاوى تؤكد تأخر هذا التعامل وقيمة الشخص العالية فى نجد وشبه الجزيرة عامة، ومن ناحيية أخرى ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى أحد فتاويه تعامل النجديين بالمشخص فى وقته، لكل ما تقدم: (المنقور : الفواكه ١/ ٢٥٥، ابن بشر ١/ ٨٠، ١٥٢، ابن قاسم : الدرر ٥/ ٧٣، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ١/ ٣٦١، ١٥٥ / ٢، خالد الفرج) (=)

(١)

ابن بشر يوحسي بأنها لم تكن معروفة بغير العارض، وقد أشار المنقور
في فتوى للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعي الأحسائي^(٢) الى جواز
استيفاء المطبعة بالطويلة اذا لم يكن ذلك بلفظ البيع أو التعويض
وجواز كسر المطبعة لصياغة الحل^(٣) مما يدل على التماثل والتزامن بين المطبعة

(=) ديوان النبط ١/١٦٣، ٢/٣١، محمد سعيد كمال : الازهار
٥/٢٣، ١٠/٩٨، وقد ذكر البسام في تحفته ورقة ٧٤ أنه
في سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م بلغ سعر صرف الشخص أربعة قروش
وهو أعلى صرف لقيه نقد في الحجاز آنئذ وذلك نقلا عن أحد
مؤرخي الطائف.

(١) ٢/٢١٦ وعلى طريقة النجديين في تسمية السنين بما يحصل فيها
من أحداث ملفتة للنظر فقد سمي اهل العارض هذه السنة مطبق
أو سنة مطبق نسبة لمعرفة بهم بهذه العملة وربما أنهم عرفوها عن
طريق شرق شبه الجزيرة اذ تشير الفتوى التالية الى ذلك.

(٢) لم أجد لهذا الشيخ ترجمة فيما بين يدي من كتب التراجم والتاريخ
الا أن المنقور في الفواكه ذكر عددا من فتاويه التي تارة يذكرها
باسم عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الشافعي الأحسائي
وتارة عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر الشافعي الأحسائي أو المفتي
بالأحساء، ويبدو أن الاسم واحد وان هناك، تقديم أو تأخير
في الجددين، ناصر وحسين لأنه تارة يذكره باسم عبد الرحمن بن
عبد الله بعد الفتوى التي باسم عبد الرحمن بن عبد الله بن ناصر
أو ابن حسين، وتارة باسم عبد الرحمن الشافعي الأحسائي فقط
وقد ورد له سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م سؤال من سيف بن محمد بن عزاز
المتوفى سنة ١١٢٩هـ/١٧١٦م كما ورد له سؤال من عبد الله
ابن ذهلان المتوفى سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م مما يدل على أنه
من علماء أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر
الهجريين وأن ابن عزاز وابن ذهلان من تلاميذه، للتفصيل :
(المنقور: الفواكه ١/٤٢، ٢/٢٢٩، ٣/٣١٥، ٤/٣٥٢، ٥/٣٩٥، ٦/٥١٧،

١٥/٣١٣ - عبد الله البسام : علماء نجد ١/٣٣٠، ٢/٦٢٢)
(٣) المنقور : المصدر السابق ١/٣٥٢

والطويلة، والمحتمل أن المطبقة أعلى سعرا من الطويلة، كما يدل على اتخاذ المطبق أحيانا حليا، مما يوحي بأنه كان يسك من الذهب أو الفضة وليس من النحاس، كما يدل على انتشار المطبقة في مناطق أخرى من نجد بحكم أن العلاقة بين نجد والأحساء ليست مقصورة على منطقة ما من نجد ولم تحصل على ما يدل على جهة سك هذه العملة فيما بين يدي مــــن المصادر.

وتعامل النجديون نقديا بالحرف، ويبدو أنه لم يكن من النقود ذات التداول أو الانتشار الواسع في نجد إذ لم أطلع على ذكر له في المصادر النجدية إلا في البيت الذي مر ذكره ضمن أبيات عبد الله بن سعدون عند الكلام على الأسعار في نجد في تلك الفترة حيث قال :

وبر فحرب بوسقينه . . . وتاريخه ذاكساد يشح

قال الفاخرى وابن بشر : " الحرف : نوع من الدراهم الذي يتعاملون بها في زمانهم ^(١) ويفهم من البيت أنه ذو قيمة نقدية عالية من وصول مثمنه من البر الى وسق (ستين صاعا) بحرف واحد ، وأن هذه القيمة قد تعطينا تصورا بأن الحرف من فئة الدنانير الذهبية إلا أن جهة ضرب هذا النقد وتاريخه لم استطع العثور على إشارة تلقى الضوء على أحدهما أو كليهما ، وإذا وضعنا في الاعتبار أن أهل نجد قد يعبرون بالدراهم أو الدنانير عن العملات الكبيرة والمتوسطة أمكننا فهم إشارة الفاخرى وابن بشر على أن الحرف نقد متوسط القيمة ، والمتوقع أن هذا النقد يرجع اما الى سلة النقود الفارسية أو العثمانية وان كنت أميل - غير جازم - الى كونه من النقود العثمانية ^(٢) وأما تسميته بالحرف فلم أعثر على سبب لذلك أيضا ولعل ذلك

(١) الفاخرى : ٨٢ ، ابن بشر ٢ / ٢١٩ .

(٢) ذكر العصامي تعامل الحجازيين بالحرف مما يعطى بعض الانطباع أنه من النقود العثمانية : (عبد الملك بن حسين العصامي : سمط

لوجود حروف فى اطاره على غرار بعض النقود الفضية أو الذهبية .

أما الجديدة فهى من العملات التى كان يتعامل بها النجديون وأهل البلدان المجاورة وهى عملة عثمانية مادة سكنها غير واضحة إلا أن بعض الاشارات التاريخية تعطى تصورا بأنها كانت من الفضة التى تخلط بالنحاس أحيانا وقد تزيد نسبته على نسبة الفضة فى بعض الأحيان ، وهى تقل عن ربع الريال بما يقرب من خمسة ، ويبدو أن الجديدة كانت تطلق على أكثر من نقد ، أو أنها مرت بأكثر من مرحلة سك مما جعل قيمتها تتغير من مرحلة الى أخرى تبعا لنفاصة المضروب ودرجة خلطهمواد أقل نفاصة كالنحاس مثلا ، فيذكر الجبرتي أن الجديدة تساوى $\frac{1}{4}$ من النقد المرادى وأنها عملة نحاسية ، وأنها يطلق عليها الفلوس أو الأفلس ، كما أنها تعتبر أدنى وحدات العملة العثمانية المضروبة بمصر آنذاك ، وهى المرادى أحيانا والنصف فضة^(١) ،

(=) النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، طبع المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة . نشر الشيخ على بن عبد الله آل ثانى ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م / ٤ / ٥٠٠ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ () وقد ذكر فيها فى عام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م سعر صرف الأحمر فى الحجاز وتذبذب هذا السعر من ثمانية حروف وربع الى سبعة حروف الى ستة ونصف الى أربعة ومن ذلك يفهم أن الحرف أقل قيمة من الأحمر والمشخص والريال ، إلا أنه يمكن أن يصنف تحت قائمة النقود متوسطة القيمة .

(١) الفضة أو نصف فضة : نقد تركى كان يتعامل به منذ ٩٩١هـ / ١٥٨٣م وكانت خالصة الفضة وتساوى ٤ آجات " أخشا " ولكن سرعان ما بدأ الغش والتزييف فيها حتى سميت نصف فضة ، ثم قل ما فيها من الفضة حتى أصبحت نحاسا بالكامل رغم تسميتها بالفضة ، وكانت الى أوائل القرن ١٣هـ / ١٩م تضرب باستانبول حتى رخصت الدولة العثمانية بضربها بالقاهرة مع استانبول ، وبدأ يطلق عليها اسم البارة الفارسية والتى تضرب بمصر " المصرية " وانتشرت المصرية فى منطقة الشرق الأدنى وخاصة الشام حتى أصبحت المصارى - جمع مصرية - علما على أى نقد حتى الآن عند الشاميين ، وضعفت قيمتها النقدية حتى

(١)

على ذلك بأن الجديدة تساوى تسع البارة، ومعنى هذا أنه يميل إلى أن الجديدة يطلق عليها الفلاس وأنها تعادل الدهنيم أو القطعة^(٢) التي ذكرها المنقور في مجموعه كذلك^(٣).

ويظهر أن الجديدة قد مرت بمرحلة سك من الذهب، مما يبدو معه أنها كانت ذات قيمة عالية، ثم طرأ عليها الغش والتزييف حتى كثرت فيها الفضة فأصبحت أقل من قيمة الريال، ومن الممكن القول بأنها كانت من الفضة التي تخلط بكميات متفاوتة من النحاس، وإلى هذا أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - مفتياً بأنه لا يجوز بيع الجديدة بالريال، بعد ما أصبح فيها من الفضة أكثر من فضة الريال لما في ذلك من التفاضل في الفضة

(١) كانت تساوى $\frac{1}{3}$ من البارة (المصرية) إلا أن أسعد باشا أحد ولاة الشام في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي قد أمر بأن يكون سعر الجديدة $\frac{1}{4}$ من البارة (المصرية) (البيدرى الحلاق : ص ١٠٨).

(٢) يبدو أنها سميت بالقطعة لأنها غير كاملة الاستدارة بسبب قطع أجزاء منها (أى مقطعة)، ويبدو أن القطعة تطلق على أكثر من نقد ضئيل القيمة (صحيفة الرياض عدد ٥٣٤٧ سنة ١٩-٢١/٤/١٤٠٣ م ٤ فبراير ١٩٨٣ م ص ٥١).

(٣) أكد الجبرتي أن الجديدة هي الفلاس، بينما ذكر الحلاق : أن القطعة تطلق على الفلاس، أما الدهانيم جمع دهنيم فهي النقد الفارسي الذي مر ذكره، وقد نقل المنقور عن الشيخ محمد بن ناصر الشافعي قوله : "أما صرف المحدثات - جمع محمديّة - بالقطع أو الدهانيم فلا يجوز لأنه عين الربا، وذكر من الحيلة الشرعية الصحيحة فيه أن يهب صاحب المحدثات محمديات لصاحب القطع ويقبضه إياها، ثم يهبه صاحب الدهانيم أو القطع إياها ويقبضه إياها، فإذا وقع كذلك فهو جائز على مذهب الشافعي" قلت : يفهم من هذا أن الدهانيم تعادل القطع التي تعادل الجدد في مراحل سكها المتدنية وكلها يطلق عليها أحياناً فلوس، (المنقور ٢٥٥/١)،

(=)

(١)

من غير مقابلة بشئ، وهذا صريح الربا .

وكان استهداف الجديدة للغش والتزييف أكثر من غيرها من النقود مدعاة لبعض علماء نجد في عدم اعتبارها من النقود السليمة، والحاقها بالمغشوش الذي يعامل في البيع والزكاة، إما معاملة النقديين على حسب ما فيه من الذهب والفضة وبلوغه النصاب، أو معاملة عروض التجارة إذا قل ما فيه من الذهب أو الفضة أو عدم بالكلية^(٢).

واعتراض بعض علماء الدعوة على كون الجدد من الفلوس منشأوه ما اشتهر في البلدان المجاورة - كما مر - من اعتبارها أحد النقود المعتمدة في مجال البيع والصرافة بغض النظر عن التفاضل الذي ورد النهي عنه، أو التعاثل الذي وردت إباحته في الحديث : " لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلاً بمثل ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلاً بمثل " متفق عليه ، ولا شك أن هؤلاء العلماء بايضاحهم رأى الشرع في الأمور النقدية، قد أوجدوا في المجتمع وعياً نقدياً بحقيقة العملات المستوردة التي كانوا يتعاملون بها، إلا أن قلّة أو انعدام السيولة النقدية في تلك الفترة - وحتى بعد الدعوة - جعلت الجديدة - بشكل خاص - ترتفع قيمتها في نجد عن البلدان المجاورة رغم انخفاض قيمتها في تلك البلدان ، ورغم توضيح العلماء لحقيقة تعرض الجديدة للغش والتزييف .

وعدا تلك النقود فقد كان النجديون يتعاملون بنقود أخرى مثل

(=) الجبرتي : ٦١٩ / ٢ ، البديري الحلاق : ٣٥ ، ٥١ ، ٦١ .

(١) ابن قاسم : الدرر ٧٣ / ٥ من فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحفيده عبد الرحمن بن حسن - رحمهما الله .

(٢) ابن قاسم : المصدر السابق ٧٨ ، ٧٧ / ٥

(١) الطوال - جمع طويله - وهى نوعان : طويلة من فضة ، وطويلة من نحاس وتتبع لسلة النقود الفارسية وقد اشتهرت بالأحساء ويبدو أن نجدا عرفت بها عن طريقها ، وقد أشار المنقور فى فتوى للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشافعى الأحسائى الى الطويلة مقرونة بالمطبعة ، مما يتبين معه اشتهار الأحساء بها أكثر من غيرها^(٢) ، وكون الطويلة أقل سعرا من المطبعة حيث نصت الفتوى على عدم جواز أخذ الطويلة عن المطبعة بلفظ البيع أو التعويض ، ولو بلفظ الصلح ، الا اذا كان استيفا لا معاوضة فيه ، كما يدل ذلك على أن الطويلة والمطبعة من العملات المعروفة فى القرن الحادى عشر الهجرى /

- (١) د . أبو عليّة : الدولة السعودية الثانية ٢٧٥ ، وذكر الدكتور أبو عليّة أنها ثلاثة أنواع ١- الطويلة الفارسية اللارية من الفضة . - ٢ - طويلة آل عريعر التى سكها بنو خالد فى حكمهم للمنطقة وهى فضة مخلوطة بنحاس ٣- الطويلة النحاسية وهى أقل قيمة من النوعين الأولين ، وسميت طويلة لأنها عبارة عن قضيب رفيع معكوف على نفسه ، ويتضح من شكلها وقد منها أنها عملة بدائية قديمة الا أنها احتفظت بقيمتها كعملة متميزة فى الأحساء ونجد الى أن الغيت فى عهد الملك عبد العزيز بعد أن مرت بمرحلة أصبحت فيها تعادل قرشا سعوديا أو لجم من القرش ، لمزيد من التفصيلات حول الطويلة انظر د . ابو عليّة النقود والموازن والمقاييس فى سنجد الحسا ص ١٣ - ١٥ ، د . عبد العزيز القويّز : دراسة فى تاريخ العملة النقدية السعودية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ٢٤ سنة ٦ ذوالقعدة ١٤٠٠ هـ / تشرين أول ١٩٨٠ م ص ٧٤) .
- (٢) وما يدل على اشتهار الأحساء بالتعامل بالطويلة المثل النجسدى "مثل الطويلة ماتمشى الا فى الحسا" ولكن ليس معنى هذا اقتصار التعامل بها على الأحساء وحدها بقدر ما يعنى اشتهار تعامل الأحسائيين وتقديرهم لقيمتها النقدية أكثر من غيرهم مما يبدو معه أن لها قيمة نقدية لا بأس بها فى الأحساء وقد اعترفت الدولة العثمانية بها فى معاملاتها المالية فى الأحساء : عبد الكريم (=)

ومن النقود ذات القيمة المتدنية البارة التركية وهى التى كانت تعادل $\frac{1}{4}$ من القرش التركى (٢) وأحيانا $\frac{1}{3}$ كما مر ، وليس من المؤكد هل كان النجديون يتعاملون بتلك التى تضرب فى الآستانة أو التى تضرب بمصر المعروفة بالمصرية الا أن من المتوقع أن يكون التعامل بالمصرية بشكل أكثر وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالبارة فى قول حميدان :

Bely Winder Saudi Arabia . in the 19th Century, London
Melbourne toronto. 1965. p. 214.

(٢) القرش في الأصل تعريب للفظـة (*Groschen*) الألمانية ، وكانت تطلق على البياستر (*Piestre*) النقد الأسباني الفضة المضروب في القرن ١٠ هـ / ١٦ م والذي كان يعادل ثمانية ريالات ونظرا لقوة النواحي المالية والنقدية في اسبانيا والبرتغال آنذاك فقد كثر تداوله بمنطقة الشرق الأدنى حيث أطلق عليه لفظـة قرش أو غرش ، وقد ضرب القرش التركي أول مرة في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩ هـ / ١٦٨٧ م - ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م) ، وذلك في دار الضرب باستانبول ، كما ضرب في دار الضرب بالقاهرة سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م ، والقرش نوعان : ١ - قرش صاغ قضة وقيمتـه أربعون بارة ، ٢ - قرش بربع هذه القيمة ويبدو أنه من النحاس أو الفضة المخلوطة بالنحاس وقد اشتهر القرش التركي بالقرش الرومي ، وللقرش أجزاء غير البارة أهمها نصف القرش ويسمى عشرون قضة " أي بارة " إلا أن تسعير القرش يختلف من بلد الى آخر حسب الظروف الاقتصادية والنقدية لكل بلد ، ومن المتوقع أن تكون نجد قد عرفت هذا القرش وان لم تشر الى ذلك المصادر . (الجبرتي : ١ / ١٦٤) ، أحمد البديري ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، وذكر فيها تسعير والي الشام بأن يكون القرش ٣٦ بارة بعد أن كان ٤٠ بارة ، د . عبد الرحمن فهمي ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٥ مادة قرش) .

(١)

بارة فى ضحى اليوم عن باكر . عند راعى العقل خير من جوهره

ومن المحتمل أن يكون النجديون قد عرفوا بارة الآستانة عن طريق
الأحساء بعد استيلاء الأتراك عليها^(٢). حيث تشكل فيها البارة وحيدة
نقدية أصغر من القرش وتجد لها خانة فى السنوات المالية العثمانية.

(٣)

كما أن المثل النجدي " لوتى بارة " يبين مدى ضآلة قيمتها نظرا
لسعرها المتدنى بالنسبة للقرش التركى الذى يعتبر سعره متدن هو الآخر
ونظرا لوزنها الذى كان ست عشرة قمحة^(٤) أى ١١١ غرام، ثم انخفض هذا
الوزن الى ربعة فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر
الميلادى، وإذا أضفنا الى ذلك دخول البارة فى قائمة النقود الحسابية
التي لا وجود لها فى الواقع النقدى حيث شحت البارة فى أيدي الناس
سواء كان ذلك فى مجال التجارة أو الصرافة، وسواء كان ذلك فى مصدر
سكها (مصر) أو فى المناطق الأخرى ومنها نجد، إذا أضفنا ذلك الى ضآلة

(١) معنى هذا البيت أن الحصول على النقد حاضرا سواء كان فى مجال

البيع والشراء أو غيره مهما قلت قيمته أفضل عند العارف بأمور

الحياة من جواهر الذهب مؤجلة لا يعلم متى تأتى أو قد لا تأتى

على الإطلاق، عن البيت : خالد الفرج : ديوان النبط ٢٩/١

د أبو علي : الدولة السعودية الثانية ٢٧٦، النقود ١٢٠١١

العبودى : الأمثال : ١١٤٢/٣، مثل رقم ١٨٤٧

(٢) هذا أسلوب من أساليب الوزن للشئ الخفيف حيث يضعون بضـع

حبات من القمح فى كفة والشئ المراد وزنه فى كفة ليقوم ذلك مقام

المقال، ثم استعويض عن ذلك بالتولة التى تساوى $\frac{1}{4}$ من الرطل

أو $\frac{1}{2}$ مثقال أو روبية هندية واحدة، وأحيانا كانوا يستعوضون عن

ذلك بقطع النقود الفضية أو النحاسية- د . أبو علي ٢٧٧، النقود

٢٤)

(٥) د . عبد الرحمن فهمى : مرجع سابق : ٥٧٣

قيمتها النقدية أمكننا فهم هذا المثل النجدي الذى يعنى اليأس ———
الحصول عليها نتيجة لهذا الشح ، واليأس من الطمع فيها رغم ضآلة قيمتها .

وإذا علمنا أن البارة هى إحدى النقود العثمانية والتي كان
العثمانيون قد أخذوا لفظتها من البارة الفارسية ، فإن من غير الواضح فى عهد
أى من السلاطين تم سك هذه العملة التى كان أهل نجد والبلدان المجاورة
يتعاملون بها فى تلك الفترة ، إلا أن من المعتقد أن يكون سكها فى
عهد سلاطين تلك الفترة حيث أن البارة من أوائل النقود العثمانية التى كان
يتم سكها فى كل عهد سلطان تحت اسمها الذى تحول من فضة الى نصف
فضة الى بارة أخيراً ، واطلاق الفضة عليها كان حقيقة فى الأصل ثم أصبح
اسمها بعد ذلك بعدما اختلطت بالنحاس الى أن تحولت اليه تحوُّلاً
كاملاً ، ويبدو أن ذلك هو الذى غير أسمها الى البارة .

وكما سبق - فى نظام الأسعار فى نجد - فقد أشار ابن سعدون
فى أبياته الثلاث الى المخلِّق كعملة كان النجديون يتداولونها حيث قال :
وتمر ثلاثة أصواع ——— . بدفع المخلِّق فيها نزع (١)
وقال أحد النجديين على لسان أحد ملابسه : (٢)
شريتني برخص الثمن يوم ما به . . . الا محاليق بجيبك شوية

-
- (١) المنقور: التاريخ ٦٥، الفاخرى ٨٢، ابن بشر ٢/٢١٩ .
(٢) الجيب : فصحة ، شوية ، الشوى : فصحة بمعنى الأمر الهين
والقليل من المال وغيره (الفيروزآبادى باب الباء فصل الجيـم
وباب اليا فصل الشين) وعن البيت وقصته . محمد الشـمـى :
الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ولم أطلع على معلومات تبين جهة سك هذه العملة الا أنه من المحتمل أن تكون مملوكة في بداية سكها ثم سك منها عملة عثمانية، فقد أشار العصامي الى المخلّق كعملة انتشرت في الحجاز عن طريق الحجاج، كما أن من المحتمل كذلك أن تكون نجد قد عرفت بها عن طريق الحجاز التي أصبح المخلّق فيها من العملات الرئيسية رغم ما كان يأتي به الحجاج في بعض السنوات من محاليق مغشوشة قللت من قيمة المخلّق النقدية لدى الحجازيين حتى بلغ سعره ثلث الدرهم بل لم يعد يقبل في بعض الأحيان، بعد أن كان من العملات الرئيسية التي يتلقاها الحجازيون بالقبول لدرجة أنه في سنوات الشدة يندر وجودها ^(١).

ومن نظرة لبني سعدون السابق حيث ذكر فيه سعر التمسر بالنسبة للمخلّق - ثلاثة أصع بمخلّق - ونظرا لأن هذه السنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م

(١) العصامي: المصدر السابق ٤/٤٨٨، ٤٩٦، ٥٠٠. وذكر فيها سعر المخلّق الدرهم و $\frac{1}{4}$ و $\frac{3}{4}$ مخلّق بالشرقي الأحمر - ويبدو أنه نقد باسم أحد أشرف الحجاز - وذكر أن سعر المخلّق كذلك يصل $\frac{1}{70}$ من القرش التركي، وأحيانا يصل سعر المخلّق الواحد الى سبعة حروف ونصف، وانظر ص ٥٠٢ وقد ذكر فيها شدة الطائف التي ندر فيها وجود المحاليق. وقد عرفت مكة المخلّق أول مرة عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م وراج في أسواقها حتى عد نقدا سائدا لكثير من سلعها وتراوح سعره في تلك الفترة بين ١٢ الى ١٦ الى ٢٠ درهما مسعوديا ووصل سعره بالنسبة للدينار الأشرفي المملوكي $\frac{1}{25}$ مخلّق للدينار الواحد. (ريتشارد مورتل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ط (١) مطابع جامعة الملك سعود نشر عمادة شئون المكتبات بالجامعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ، ١٩٦).

التي أرخها بقوله : " ذا كساد يشج " أى هبطت الأسعار تعد من سن الرخاء والخصب ، فانه يمكن القول : أن المعلق من العملات قليلة القيمة في نجد ولعل ذلك بعد تطرق الفش والتزييف اليها - خاصة اذا قارنا ذلك السعر بسعر التمر منسوبا الى الأحمر حيث بلغ ألف وزنة بأحمر مما لا يدع مجالا للشك بفضالة قيمة المعلق ، والا لكان عدد الأصبع التي يمكن شراءها به أكثر من ذلك^(١) ، ويؤكد ضالة هذه القيمة البيت الشعبي السالف حيث أبرزها بهذه الصورة .

وليس من المستبعد استنادا الى ما سبق أن يكون المعلق عملة فضية ثم اختلطت الفضة بالنحاس الى أن طغى عليها حتى اعتبرها بعض علماء نجد من العملات النحاسية مثلها مثل الجديدة لغلبة النحاس فيها^(٢) ، وإذا تعمنا في قول العصامي : " أنه في سنة ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م جاء الحجاج بدراهم محلقة فاسدة مطيرة كاسدة وأخربوا بها معاملة البلاد^(٣) ، تبين لنا أن المعلق كان قد مر بأكثر من مرحلة سك غيرت من مادته وقللت من قيمته خاصة اذا علمنا أن العصامي قد ذكر المعلق أكثر من مرة كأحد النقود التي يجلبها الحجاج معهم ، ولم يشر الى تعرضها للفش والتزييف بل كان يذكرها مكفيا بذكر ثمنها من المواد الغذائية وغيرها^(٤) .

(١) تاريخ المنقور : والفاخرى ، وابن بشر : الصفحات السابقة .

(٢) ابن قاسم : الدرر ٨٠ / ٥

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٥٥٠ .

(٤) انظر الصفحات السابقة في العصامي . ويشير الجزيري في السدور

الفرائد ١ / ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٦ ، في تسعيره لبعض المواد المحلية في الحجاز أن هذه العملة من العملات الرئيسية في الحجاز وتعد من ذات القيمة المتوسطة المقبولة في سوق التعامل قبل غلبة النحاس عليها ، وإذا علمنا أن ذكر هذه التسعيرات في السنوات ٨٩٥ هـ ، ٨٩٦ هـ ، ٨٩٨ هـ وأن الجزيري يذكرها مقارنة بالنقد الأشرفي المملوكي أدركنا أن هذه العملة كانت مطلوبة ثم أصبحت عثائية .

ومن الغريب أن المصادر التاريخية النجدية لم تشر إلى المخلّق كعملة تداولها النجديون رغم إشارتها إلى عملات متعددة كما مرّسوا^١ كانت عالية القيمة أو أقل من المخلّق، فلم أعتربها إضافة إلى البيتين السالفين وإشارة علماء نجد التي مرّت، لم أعترب على شيء من هذا القبيل إلا على المثل الشعبي القائل "مخلّق ولا وجه رجل"^(١) الذي يمكن أن يعطى تصورا بانتشار المخلّق في منطقة نجد كأحدى العملات المتداولة.

وليس من الواضح سبب تسميته بالمخلّق، ولعل ذلك راجع إلى وجود حلقة به، أو إلى كون سكه كان على شكل حلقة، وعلى أي حال فسبب تسميته بذلك وتاريخ سكه، وفي عهد أي السلاطين تم ذلك. كل هذا شحت علينا به المصادر التاريخية وغيرها.

وقد عرف النجديون الزراو "الزرمحبوب" وهو عملة ذهبية تركيبة ضربت في عهد السلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع الذي تولى من (١١٠٦هـ / ١٦٩٥م - ١١١٥هـ / ١٧٠٣م) وكان يطلق عليها "فندق التوني" بزنة ٥٣ حبة قمح أي ٣٤٤ غرام، ثم في عهد السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع (تولى من ١١١٥هـ / ١٧٠٣م - ١١٤٣هـ / ١٧٢٧م) ضرب نوع من الفندق (٢) تحت اسم الزر بزنة ٤٠ قمحة أي ٢٥ غرام جنبها إلى جنب مع الألتون، وهو يعادل مائتي نصف فضة مع تذهذب في هذه المعادلة بزيادة أو نقص، وقد أطلق عليه في تركيا ومصر عدة أسماء إلا أنه في بقية البلدان العربية أطلق عليه الزر محبوب، أي الذهب المحبوب وقد مرّ عليه عدة مراحل تتعلق بنقص وزنه وعيار ذهبه حتى وصل في عهد السلطان محمود الثاني بن عبد المجيد الأولى (تولى من سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م - ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م) إلى ٢٥ قمحة أي ١٦٢ ،

(١) العبودي: الأمثال ١٣٣١، ٣٣٢٢، مثل رقم ٢٢١٦.
(٢) اشتق اسم الفندق أو الهندقي من زخرفته بحبيبات في أطرافه تشبه الهندق أو الفندق وليس على أساس أنه ضرب في الهندية كما وهم البعض، فهو نقد عثمانى، (عبد الرحمن فهمي: ٥٧٢)

وظل التعامل به مستمرا في منطقة الشرق الأدنى حتى ضربت المجيد بسنة الكبرى سنة ١٢٨٠هـ/١٨٤٤م، فبدأ يختفى تدريجيا كنقد وبدأت تتخذ منه النساء حليا وقلائد^(١).

وقد ذكرت بعض المصادر النجدية الزر، وأشار بعض الباحثين الى أنه بمنزلة الريال الآن، كما قرر بعض علماء نجد جواز دفع الزرور عن الريالات ما يقتضى التماثل بينهما في القيمة والجنس، كما قد أفق الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجواز دفع الزرور عن المشاخصة بشرط كونه وفاء ظاهرا وباطنا^(٢)، ولا شك أن ذلك قبل انقاص وزن الزر ذلك النقض الفاحش، لأن الشيخ توفي قبل أن يتم ذلك أو بعد ما ضرب منه قطعة تساوى ضعفه أو أربعة أمثاله تحمل الاسم نفسه، أما كونه بمنزلة الريال فذلك بعد انقاص

(١) للتفصيل في الزر محبوب : (الجبرتي : ٢٢/١ أحداث سنسنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٦م، ٣/١٠٣، ١٩٥٠ أحداث ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م، د. عبد الرحمن فهمي : ٥٧٥، ٥٧٦) وفيها ورد أكثر من اسم للزر كطغرا إلى التون : أي الذهب المختوم أو النقوش وتصحيفها بمصر " دينار طربى " أو أبو طرة، أو جنزلى على أساس أن حافته وأطاره مشرشرة كالجنزيرة " السلسلة " كما يطلق عليه الأشرقي والفندقلي، وللإستزادة (دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٤، ٣٤٣/١٠ مادة زر محبوب، والموسوعة العربية الميسرة ٩٢١ مادة زر، عبد الله الحاتم : خيار ما يلتقط ٢٦٦/١) .

(٢) الفاخرى : ١٣٤، ابن بشر ٧٧/١، ابن قاسم : الدرر ٣١١/٤، ٧٣/٥، من فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابنه عبد الله الأولى بمعادلة الزر بالمشخص، والثانية بمعادلة الزر بالريال .

وزنه ، أو بعد ما ضرب منه قطع تساوى نصفه أو ربعه وتحمل الاسم نفسه أيضا وقد ورد ذكر الزر الجنزلى فى فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب كذلك بتحريم اخراج ثمانى جنازرة مثلا مغشوشة بالفضة زكاة عن جنازرة تساوى أكثر لقلة الغش^(١) ، ويبدو أن ورود أكثر من اسم للزر كان تبعا لمرحلة السك التى يمر بها والتى تعطى هذه الأسماء قيمة مختلفة فيما بينها هبوطا أو ارتفاعا حسب مرحلة السك التى مرت بها ، وجنس المعدن الذى سكت منه .

ومن المحتمل معرفة نجد بهذه العملة اما عن طريق الحجاز أو الأحساء التى يتوقع كذلك أن يكون النجديون عرفوا عن طريقها الزر الفارسى الذى كان متداولاً فى الأحساء فى تلك الفترة وهو من النحاس ، فقد كان الأصل فى الزر أنه فارسى يطلق على الذهب ثم أخذ الاتراك هذه التسمية ليطلقوها على النقد السابق ولا يستبعد أنه مر بمراحل سك أصبح نحاسا ، كما لا يستبعد أن الزر التركى الذى كان يوصف بالمحبوب قد فقد هذه الصفة بعد أن خالطته الفضة أو النحاس وأصبح يطلق عليه بعد ذلك الزر فقط ، وليس من المعروف هل كان أبو دباس يقصد الزر الفارسى أو التركى فى قوله

يا أدباس لوجبت لى دحب الأكياس .: . مختلفة ما بين زر ونيسره^(٢)

(١) ابن قاسم : ٣١١ / ٤ ، دائرة المعارف الإسلامية : ٣٤٤ ، ٣٤٣ / ١٠

(٢) سبقت ترجمة أبى دباس فى الفصل الثانى من الباب الأول ، وجبت :

اصل اللفظة فصيح من " جئت بـ " ولكن العامة من باب الحذف والايصال غيروا فى تركيبها حسب حالة نطقها فيقولون جابه بجيبه حيث يحذفون همزة جاء ويصلونها بالجاء والمجرور أو بالجاء والفاعل ، دحب : بضم الدال وكسرهما فصيحة بمعنى الدفع والجمع فهى على هذا الأكياس المدفوعة بدون تأخير أو المجموعة ، كما تأتى بمعنى الكثير اذا ضمت أخذاً من الدحبة من الغنم فالمعنى على هذا الأكياس كثيرة النقد ، نيرة : أصلها فصيح من النور ، والقصود بها نجد يا قطعة النقد الذهبية على أساس لونها الأصفر المنسور

ومن النقود الفارسية التي أثار عن النجديين معرفتهم بهـ
التومان ^(١) الذي عرفته فارس عن طريق المغول وعرف فيها كعملة ذات قيمة نقدية عالية في سوق التعامل التجاري منذ القرن السابع فقدر التومان بأربعين فرنكا فرنسيا حوالى عام ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م، وبالنسبة للجنبيه الانجليزى فقد قدر عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م، ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م بثلاثة جنيهات وستة شلنات وثمانية بنسات، ثم ضرب تومان ذهبى بعد فترة وكان وزنه يتراوح بين ٩٢ حبة (٦١٦ جرام) فى بداية سكه الى ٧٠ حبة (٤٥٠ جرام) الى ٥٣ حبة (٣٢٤) جرام ثم قدر التومان بعشرة قرانسات أو عشرة آلاف دينار إيراني ^(٢)، وقد ضرب من التومان قطع ذهبية تتراوح قيمته

- (-) الفيروزآبادى ١ / ٦٥ ، أحمد رضا : قاموس رد العاصى الى الفصح
ص ١٠٩ ، ١١٠ ، وعن البيت : عبد الحاتم : خيار ١ / ٢٦٦ ،
عبد المحسن أبابطين ٣٣ ، محمد سعيد كمال : الأزهار ١ / ١٩٦
ويروى البيت باختلاف بسيط عن المرجعين السابقين وبشكل غصاص
تطلق الفيرة على الجنه الانكليزى من ضربة ادوارد وجورج الخامس
وهو ما يسمى جنه أبو خيال لوجود صورة فارس مقطعا جواده على
أحد جانبيه ، صحيفة الرياض : العدد السابق ص ٥١ .
- (١) قيل ان اللفظة تركية الأصل من تمنأوتوم بمعنى كثير جدا وقيل
أن اصلها صيني أو طخارى ، واستعملت عند المغول بمعنى عشرة
آلاف ، أو القبيلة ، أو المنطقة التى يجند منها عشرة آلاف مقاتل ،
على أنها كانت تطلق أحيانا على الوحدات الادارية الصغرى خاصة
أيام حكم المغول لفارس والعراق ، ويعرف بها سكان القرى - أهل
القومان - عن سكان الجبال ، ثم أطلق التومان على عشرة
آلاف دينار مغل أو ستين ألف درهم ، وفى عهد تيمورلنك كانت
الأموال تقدر بالتومان ثم سك منه عملة نحاسية ، للاستزادة (دائرة
المعارف الاسلامية ٦ / ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ مادة تومان) .
- (٢) سياتى الحديث عن القرآن أما الدينار فلم يكن فى فارس مسكوكا
سواء فى عهد المغول أو عهدا الحديث - بل كان وحدة مالية
صغيرة خيالية تستخدم للعدد فقط وعلى هذا فهو عملة وهمية مثله
مثل البول الذى لا يستعمله الا التجار المحليون فى حساباتهم
وهو يعادل الج من القرآن (المرجع السابق ٦ / ٣٠ ، لوريير : مرجع
سابق القسم الجغرافى ٥ / ١٨٣٢) .

الواحدة من $\frac{1}{4}$ تومان الى تومان واحد الى تومانين الى خمسة تومانات الى عشرة تومانات ، واستمر التعامل به في ايران حتى جاءت الأسرة الفهلوية في القرن الرابع عشر فحل محله الفهلوي الذي يزن ٢٩ حبة أو ١٨٨ جراما من الذهب^(١).

وقد عرف التومان في العراق ومنطقة شرق شبه الجزيرة عامة ومن هنا فيبدو أن منطقة نجد قد عرفت عن طريق هاتين المنطقتين^(١) ، وقد ورد ذكر التومان في رسالة بعثها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أحد الأحسائيين حينما قال في آخر الرسالة : " فان الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما بسوى بضاعة^(٣) تريح تومانا أو نصف تومان^(٤) ، ورغم أن هذه الاشارة عن التومان تعد الوحيدة - حسب علمي - في الصادر النجدية ، والشيخ أرسل رسالته الى أحسائي فخاطبه بما يعرفه في بلده ما لا يدل بالضرورة على انتشار هذه العملة في نجد ، رغم ذلك كله فان هذه الاشارة قد تعطى انطبعا عن تداول - ولو محدود - لهذه العملة في نجد ، كما أنها تشير الى معرفة الاحسائيين بها كذلك بل ان من المعتقد أن يكون النجديون قد عرفوها عن منطقة الاحساء في اطار التبادل التجاري والصلات الاجتماعية بين المنطقتين .

واذا أضفنا الى ذلك ثبوت تعامل النجديين بالقران - كما سيأتى - وهو نقد فارسي مرتبط بالتومان - كما مر - أمكننا حينئذ فهم اشارة

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٦ / ٣٠ ، لوريمر ١ / ١٦ ، ٥ / ١٨٣٣ .

(٢) لوريمر ٣ / ١٠٠٤ .

(٣) بضاعة تصغير بضاعة

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٢٤ ، ابن غنام

١ / ١٢٠ ، ابن قاسم ٨ / ٨١ ، واسم الشخص المرسل اليه : أحمد

ابن عبد الكريم .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ولو أنها الوحيدة حتى الآن - على أنها تأكيد على معرفة النجديين بهذه العملة سواء قبل الدعوة أم بعدها ، وأن تداولهم لها ليس مقتصرًا على حركة التبادل التجارى بين نجد والعراق وشرق شبه الجزيرة بل يبدو أنها كانت تعد أحد العملات التى كان يستعملها النجديون فى أساليبهم التجارية المحلية كذلك .

ومن العملات واسعة الانتشار فى منطقة الشرق الأدنى عامسة الريال^(١) الذى أطلق فى العالم الاسلامى على النقود الفضية الأوربية عماد العملات الدولية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، والتى كان أبرزها وأولها الريال الاسبانى " بيزو " *Peso* الذى يقدر بثمانية ريالات من العملات الأوربية التى ضربت بعده ، ثم أطلق بعد ذلك لفظ الريال على نوع من العملة الهولندية التى عرفت فى منطقة الشرق العربى باسم الريال " أبو كلب " حيث اعتقد أن صورة الأسد التى رسمت عليه هى صورة كلب ، كما سعى الريال الاسبانى فى المنطقة نفسها باسم الريال " أبو مدفع " حيث نقش على أحد وجهيه صورة مجموعة من الأعمدة اعتقد معها سكان المنطقة أنها مدفع أو مدافع ، كما يطلق عليه كذلك المغربى لارتباط هذا النقد بحجاج المغرب الذين يعبرون بمصر^(٢) ويجلبونه معهم من المغرب واسبانيا .

-
- (١) لفظة ريال مقتبسة من (*Real*) التى تعنى أصلًا أو غير مزيف كما تأتى بمعنى ملكى ، وانتشر اسم الريال فى العصر الحديث حيث أطلق فى مملكتى العراق والحجاز الشريفتين على أكبر قطعة نقدية فضية والتى قيمتها مساوية لريال ماريا تريزا كما أطلق على عملة زنجبار التى سكّت عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م ، وقد انتشر استعمال لفظة الريال لكثير من العملات فى العصر الحاضر إلا أن بعضها ليس له وجود فى الواقع بل يدخل فى مجال الحسابات النقدية المعادلة . (دائرة المعارف الاسلامية ٢٩٩/١٠ ، مادة ريال الموسوعة العربية الميسرة ٩٠٥ مادة ريال . د . عبد الرحمن فهمى ٥٧٨)
- (٢) دائرة المعارف الاسلامية : ٣٩٣/١ ، ٣٩٩/١٠ ، الموسوعة العربية الميسرة : ٩٠٥ ، د . عبد الرحمن فهمى ٥٧٨ .

كما عرفت العملة الألطانية والفرنسية الاكو (Ecu) والايطالية السكودو (Scudo) باسم الريال ، واذا كان جل هذه العملات الأوروبية قد عرفتها منطقة الشرق فان ريال مملكة النمسا والمجر في عهد ماريـ ثيرزا (حكمت من ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م - ١١٨٠هـ / ١٧٨٠م) الذي ضرب أول مرة سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥١م وهو المسمى بالتالير أو أبو طاقة نسبة للطاقة (النافذة) المرسومة على صدر النصر المصور على أحد وجهي الريال هذا الريال لقي قبولا في سوق التعامل النقدي في منطقة الشرق العربي مما جعله يتعرض لمضاربات نقدية خطيرة أضرت بالعملات الأخرى سواء ، وكانت أسواق الشام ومصر تتنافس عليه فيما بينها حيث كان سعره في الشام أقل من مصر الأمر الذي دفع بالتجار الى امتصاصه من سوق الشام الى مصر ليعاد سكه من جديد بعد اضافة ثلاثة أمثال وزن فضته نحاسا ولم تفلح جهود الدولة العثمانية من طريق ولايتها في الشام ومصر في تحديد سعر ثابت لهذا الريال بعد أن دخله الغش والتزييف .^(١)

(١) الجبرتي : ٢ / ٣٨١ / ١٠٥ / ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، وذكر فيها هذه العملة بما اشتهرت به في نجد ومنطقة الشرق العربي عامـة وهي " الريال الفرنسية " وليس من المعروف سبب تسميته بالفرنسية مع العلم أنه نمسوى مجرى ، الا أنه يبدو أن سكان هذه المنطقة اعتقدوا أنه عملة فرنسية لما لفرنسا في منطقة الشرق من سمعة سياسية قوية خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر ، وذكر الجبرتي تذبذب سعر الريال الفرنسية في هذه الفترة ، أما عملة المجر فليس من المعروف لدى هل هذه العملة نفسها على أساس أن مملكة النمسا والمجر كانتا مملكة واحدة أو أن ذلك كان عملة غير فرنسية وأنه ضرب بعد انفصال المجر عن النمسا ، وللاستزادة (دائرة المعارف الاسلامية ١٠ / ٢٢٩ ، مادة ريال ، الموسوعة العربية الميسرة ٩٠٥ مادة ريال أيضا ، د . عبد الرحمن فهمي ، ٥٧٩ ، ٥٧٨) وذكر فيها الفرنك الفرنسي وأنه غير الفرنسية النمسوى ، وأن الحملة الفرنسية على مصر قد طرحت الفرنك فـي

(١)

بما تعرض للخلط والغش لما لقي كل هذا التقدير ، وليس من المستبعد أن يكون هناك مصدر لهذا الريال السليم بالنسبة للنجديين غير الشمام وهو الهند الذى كان يزخر بعدد من الشركات الأوروبية الدينية والسياسية المستترة تحت مظلة الاستعمار والتجارة والتي كانت تطرح عملات أوروبية سليمة ومنها هذا الريال لتزداد الثقة بجدوى التعامل معها ثم تصل هذه العملات الى الخليج العربى الذى يدفع بكميات منها الى نجد فى نطاق التعامل التجارى بين المنطقتين .

ومن العملات التى عرفها النجديون وتعاملوا بها على جهل منها بسعة هذا التعامل الشاهية أو الشاهي التى ترجع فى أصلها الى سلسلة النقود الفارسية ، ومن البديهي أن النجديين قد عرفوها بواسطة منطقة شرقى الجزيرة العربية .

والشاهية أو الشاهي من العملات قليلة القيمة وواضح من اسمها أنها تنسب الى ملوك فارس حيث كان يطلق على كل ملك منهم " شاه" أى ملك أو شاهان شاه : أى ملك الملوك ^(٢) ، ومن هنا فان معنى الشاهية ^(٣)

(=) تاريخ ابن بشر ، وفؤاد حمزة الذين ذكرا أن أول سك للريال كان عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، كما ذكر القويز أنه قد حدثت عملية سك عامي ١٣٤٤، ٤٣هـ / ١٩٢٥، ٢٤م ، لكنها من فئة القرش ونصف القرش وربعه ، وذلك قبل اطلاق الاسم الحالى للمملكة ، كما ذكر القويز مراحل سك العملة السعودية بمختلف فئاتها ليس هنا مجال للتفصيل فيها ، ولعزيد من التفصيلات تراجع المجلة المذكورة .

(١) الجبرتي : ٥٢٩/٣ ، د . عبد الرحمن فهمي ٥٧٨ ، هاملتون جيب هارولد هوبون : المجتمع الاسلامي والغرب ١٥٩ .

(٢) للتفصيل فى لفظة شاهان شاه واشتقاقاتها اللغوية الفارسية راجع دائرة المعارف الاسلامية ١١٢/١٣ - ١٢٠ .

(٣) هناك عملة عثمانية تحت اسم شاهي ولا شك أن هذه التسمية أخذت من الفارسية شأنها شأن البارة والزر والملاحظ تشابه بعض العملات الفارسية بالتركية ، والشاهي العثماني نقد من الذهب (=)

أو الشاهي : الملكية أو الملكي فهي في مقابل الريال باللاتينية ، ويبدو أن هذه العملة قد سكّت في زمن متقدم^(١) مما يدل على أنها موزع بمراحل سك تحولت فيها من عملة كبيرة ، إذ قدرت قيمتها في أوائل ضربها عندما كانت من الفضة الخالصة وكبيرة الحجم بخمسين ديناراً ثم بدأت قيمتها تنسب الانحدار إلى أن أصبحت أصغر عملة فضية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تزن ١٨ قمحصة

(=) الأصل في تسميته وجود لفظة شاه عليه عندما ضربه السلطان سليم الأول (حكم من ٩١٨هـ / ١٥١٢م) إلى ٩٢٦هـ / ١٥١٩م) وشاع استعماله في بغداد منذ عام ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م ولذلك كان يسمى بغدادياً إلى جانب شاهي ، ويبدو أن ضرب السلطان سليم هذا النقد من الذهب وتسميته باسم النقد الفضي الذي ضربه الشاه اسماعيل الصفوي في تلك الفترة كان لاغاية هذا الشاه ، فإذا علمنا الحروب الطاحنة التي جرت بين الزعميين والتي استغل السلطان سليم انتصاراته في أحدها بإرسال أربعين شخصاً من أمهر صنّاع الفرس إلى إسطنبول ، ولعل من بينهم من كان يشتغل بسبك النقود والتي أراد السلطان سليم أن ينافس الشاه اسماعيل فيها بأن يسك عملة شبيهة لها بالاسم وأقوى منها في مادتها حيث كانت الشاهية الفارسية من الفضة بينما كان شاهي السلطان سليم من الذهب ، إذا علمنا ذلك أدركنا أن سك هذه العملة بهذه القوة يعتبر في سلسلة الحروب التي دارت رحاها بين السنة والشيعة بزعامة العثمانيين والصفويين (محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٩٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٠٧١ مادة شاه ، وقد أطلق فيها اسم شاهي على النقد العثماني ، وشاهية على النقد الفارسي بينما أطلق فيها اسم شاهي على النقد العثماني ، وشاهية على النقد الفارسي بينما أطلق في دائرة المعارف الإسلامية ١٣ / ١٤٢ على النقد الفارسي الشاهي المشتهر لدى النجديين بالشاهية ، ويبدو أن الاسمين معا يطلقان على كل من هذين النقدين ويفرق بينهما بأن ذلك عثماني وذلك فارسي) .

(١) ضرب هذا النقد في أول عهد الصفويين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (الموسوعة العربية الميسرة ١٠٧١) .

(١) أي ١١٧٠ فراما ، وتساوى ربع عباسي من عملة عباس الأول الصفوي ، أو نصف محمودي ، أو عشر قطع نحاسية فارسية ، وقد بدأت شمس الشاهية بالأفول في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي عندما ضرب فتح علي شاه القاجاري^(٢) القران فأصبحت الشاهية تساوي $\frac{1}{2}$ من القران الفضي ، ثم انحدرت قيمة التعامل بالشاهية انحدارا شديدا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي عندما أصبحت هذه العملة تسك من النحاس الخالص وتساوي خمسة سنتيمات من عملة الشاه ناصر الدين^(٣) أو بارة عثمانية واحدة ، واستتبع سك الشاهية من النحاس سك العملات التابعة لها سواء كانت من القطع الكبيرة كالقطعة ذات الشاهيتين والأربع شاهيات أو من القطع الصغيرة كالقطعة ذات نصف الشاهية^(٤) ، ورغم هذا التدنّي في قيمة الشاهية فقد استمر التعامل بها وما يتبعها من عملات كبيرة أو صغيرة حتى قبيل الحرب العالمية الأولى حينما أبطل تداولها بعد طرح العملة

-
- (١) هو عباس الأول أو الأكبر الصفوي حكم فارس منذ ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م - ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م ضرب بهد من حديد على غارات الأزبك ، واستولى على عدد من أراضي الأتراك ، واستولى على مضيق هرمز من البرتغاليين بمساعدة الانجليز ، أسس بندر عباس ، شهد أبنية ضخمة من أصفهان ومع الرخاء والتعمير ، واستتب الأمن والنظام في عهده . (الموسوعة العربية الميسرة ١٧٥) .
- (٢) حكم منذ ١٢١١هـ / ١٧٩٦م - ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م معظم عهده كان حروب داخلية وخارجية ، وهزم أمام روسيا التي انتزعت رقعة كبيرة من القوقاز وضمتها إليها . (الموسوعة العربية الميسرة ١٢٧٤) .
- (٣) حكم فارس منذ ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م - ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م أعاد تنظيم الحكومة وانتزع هراة من الأفغانيين ، ومنع البريطانيين امتيازات كبيرة انتشرت البهائية في عهده حيث سمح لها بترويج أفكارها واغتاله أحد رعاياه . (المرجع السابق : ١٨١٦م) .
- (٤) ذكر لوريمر تعامل العراقيين بالشاهي الإيراني الذي يعادل $\frac{1}{2}$ من البنس أو $\frac{1}{2}$ من القران أو . . دينار كما ذكر أن الشاهي الواحد يسمى بكشاهي أو دھولي ، والشاهيين بسميان دوشاهي أو جهار بولي (القسم الجغرافي ٣ / ٤٠٠ ، ١٨٣٢ / ٥ ، ١٨٣٣) .

(١)
الايروانية الجديدة .

وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالشاهية الفارسية فى بيت
حميدان الشوير التالى :

(٢)
وراعى المقرون عبيد الله . والله مايسوى شاهية
واذا كان هذا البيت يلمح الى تداول النجديين الشاهية فى مراحل تدنى
قيمتها النقدية التى وصلت الى حد المساواة بالبارة عند النجديين فى عدم
الاهتمام بها كنقد معتبر فى ميزان التبادل التجارى ، فان من المعتقد
أن يكون النجديون قد عرفوا الشاهية منذ أوائل ضربها عبر المراحل التى
مرت بها من عملة فضية كبيرة الى أن أصبحت عملة صغيرة ومن النحاس
أيضا مما قلل من أهميتها تدريجيا حتى جعلها حميدان مثلا ضربه فى ضعف
وحقارة صاحبه عبيد الله على طريقة النجديين فى ضرب مثل هذا المثال
فى تغذية حقير بحقير .

(١) للتفصيل فى الشاهية الفارسية ومراحل سكها . دائرة المعارف الاسلامية
١٤٢/١٣ ، والمرجع السابق ١٠٧١ وقد أورد البديرى الحلاق فى
حوادث دمشق اليومية ص ١٥٣ ذكر تعامل أهل الشام بالشاهية
حيث ذكرها كنقد معتبر فى تحديد أسعار سنة ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م
ومن غير المؤكد معرفة هل هذه العملة المقصود بها الفارسية
أو العثمانية إذ أن من المحتمل أن تكون هى الفارسية فقد تكون
الشام قد عرفت بها من طريق العراق كما قد يكون المقصود بها
الشاهية العثمانية .

(٢) راعى : فصحية بمعنى صاحب أو مالك ، المقرون : لم أعثر على مفهوم
لهذا اللفظ النجدي ولعله من قران الشئ بالشئ ويبدو أنه نسوع
من اللباس مقرون ببعضه ببعضه ، عبيد الله : تصغير لاسم عبد الله
وهو أحد الأربعة الذين رافقهم حميدان فى سفرة قابلهم فيها
لصوص سلبوهم وهربوا فقال حميدان قصيدة منها هذا البيت يصف
فيها الحادث ويصغر من نفسه ورفاقه عجزهم عن ملاقة اللصوص ،
والله مايسوى شاهية : هذا من الأمثلة المتوافرة لدى النجديين
وغيرهم وأمثله كثيرة والمعنى أنه لا يساوى حتى هذا النقد الضعيف

ومن العملات الفارسية التي تعامل بها النجديون القرانات جميع ^(١) قران والتي مر أن الشاه فتح على قد ضربها من الفضة وجعل الواحدة منها تساوي ٢٠ قطعة من الشاهية، ومرت بمراحل سك متتالية الى أن أصبحت ^(٢) تساوي ما يعادل خمسة مليطات مصرية.

وقد ورد ذكر تعامل النجديين بالقرانات في فتوى نجدية بتحريم صرف الريالات بالقرانات لوجود التفاضل بين الريالات والقرانات ^(٣)، ويبعدو أن هذه الفتوى قد صدرت بعد أن تدنت قيمة القران كأي نقد يمر بمراحل سك متدرجة مما يوحي بأن النجديين قد عرفوا القران منذ أن كان عملة فضية كبيرة وحتى أصبح عاجزا عن الوقوف في صف النقود الكبيرة المعتبرة نتيجة التفاضل بينه وبينها في القيمة والجنس ضعفا من ناحيته وقوة من ناحيتها.

وإذا كان النجديون قد عرفوا البيزة الهندية (Pice) التي هي

(=) ويسوى فصحة وهي لغة في يساوي أن يعادل (الفيروزابادي : باب الواو فصل السين) ومن البيت وقصته : (خالد الفرج ديوان النبط ١/٧٢، ٧٣، ٧٤، محمد سعيد كمال ٩/٥٤، ٥٥، محمد الشيرى الفنون الشعبية في الجزيرة العربية ٢٠٣) ومن ما يشبه هذا المثل في الأمثال النجدية : (محمد العبودي الامثال : ٣/١٢٨٨ ١٢٨٩، ١٢٩٠/٤)

(١) بعضهم يسميها قرانات جمع قران بتخفيف الراء على طريقة سكان شرقي شبه الجزيرة في تخفيف القاف بالغين (ابن قاسم : الدرر ، ٥/٨٠)

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ١٣/١٤٢ وذكر لوريير تعامل العراقيين بالقران الايراني وانه يعادل $\frac{1}{4}$ بنس أو $\frac{1}{3}$ روبية والعودج $\frac{1}{4}$ بنس ونصف القران ٢ بنس، والتومان يعادل كذلك عشرة قرانات وذكر أن القران من الفضة وان فئاته تتراوح بين $\frac{1}{4}$ قطعة الى قطعة السي قطعتين وهي أكثرها شيوعا الى خمس قطع، كما اشار الى القران البحريني وأنه عملة خيالية (١/٣١٢، ٣/١٠٠٤، ٤/١٤٣٢، ٥/١٨٣٢، ٥/١٨٣٣)

(٣) ابن قاسم : المصدر السابق ٥/٨٠

(١)

عملة صغيرة تابعة للروبية وتساوى بلج منها كما مرفان من المعتقد أن يكونوا قد عرفوا الروبية كذلك خاصة وأنها اشتهرت في منطقة الخليج العربي وشرقى الجزيرة العربية عامة اضافة الى أن ضربها وبالتالى انتشارها كانا قديمين في شبه القارة الهندية حيث بدأ ضربها في القرن السادس والسابع الهجريين / الثالث عشر الميلادى عندما كان يطلق عليها اسم تنكة^(٢)، ثم بدأ يطلق عليها اسم الروبية منذ القرن التاسع والعاشر الهجريين / الخامس والسادس عشر الميلاديين بعد أن فقدت التنكة قيمتها النقدية العالمية وأصبحت تضرب من النحاس، وزنة الروبية الأصلية ١٢٨ حبة قمع أى ١١٥٣ غرام فضة مما أسرع فى ارتفاع قيمتها بين الناس خاصة وأنها كانت تضرب فى عهد سلاطين المغول فى الهند فى أكثر من مائتى دارسك فى جميع أنحاء الهند، اضافة الى أنها كانت فى ارتفاع مستمر فى قيمتها ووزنها بخلاف النقود الأخرى التى مرت والتى كانت تتعرض لانخفاض مستمر فى قيمتها ووزنها، فقد زاد وزن الروبية وقيمتها زيادة على وزنها وقيمتها السابقتين حيث ضرب أحد سلاطين المغول الروبية الثقيلة التى تزن ٢٢٠ قمحة أى ١٤٢٥٩ غرام فضة، ويدهى أن هذه الزيادة قد قفزت بالروبية على علو قيمتها السابقة - الى مستوى نقدي عال فى ميزان التبادل التجارى

-
- (١) روبية : لفظة سنسكريتية ينطقها الهنود روبيا ورويكه ومعناها العملة الفضية . (دائرة المعارف الاسلامية ١٠ / ٢١٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٧) .
- (٢) تنكة أو تنكجة نقد فضى أول ما ضرب المغول منذ القرن السادس والسابع عشر الهجريين / الثالث عشر الميلادى ويتراوح بين ٢٠ - ٢٥ قمحة أى ١٣ - ١٩٥ غرام، وأخذ الروس اسم هذه العملة من المغول وحرفوها الى دنجة (Denga) فأصبحت عملة روسيا حتى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى الا أنها فى هذه الفترة بدأت تضرب من النحاس . وهناك عملة فضية صغيرة كذلك يطلق عليها تنكة ضربت فى تركيا قبل العثمانيين يبلغ وزنها ٥٠ قمحة أى ٣٢٥ غرام وليس لها صلة بتنكة الهندية (دائرة المعارف الاسلامية ٥ / ٥٠٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٧)

مما دفع بشركة الهند الشرقية أن تستمر فى ضرب هذه العملة مستفلسة السمعة النقدية العالمية التى تتمتع بها الروبية المغولية. ثم مالبت هذه الشركة أن نافست بروبيتها العملات المحلية وأبرزها الروبية المغولية حيث أقصت الروبية الانكليزية التى ضربتها هذه الشركة كافة العملات المحلية شيئاً فشيئاً من سوق التداول النقدى والتجارى بعد أن كانت هذه العملات المغولية هى صاحبة الشأن الرئيسى فى هذا السوق مما اضطر دور السك الكيرة المنتشرة فى الهند آنذاك الى اغلاق أبوابها نتيجة لهذا الاقصاء للروبية المغولية وما يتبعها من عملات محلية بحيث لم يبق منها الا القليل^(١).

وأصبحت من العملات الرئيسية فى منطقة الخليج العربى وشرقى الجزيرة العربية عامة، بل تجاوزت فى رواجها هذا المجال لتنتشر الروبية فى شرقى افريقية عامة وكذلك فى منطقة الحجاز نتيجة لجلب الحجاج الهندود والعراقيين وعموم حجاج شرقى الجزيرة معهم كميات من الروبيات^(٢)، ومن الطبيعى نتيجة

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠/٢١٠، ٢١١، الموسوعة العربية الميسرة ٨٨٢، ويبدو أن النجديين قد استفادوا من الاحصائيين التعامل بالبيزة العثمانية التى تساوى $\frac{1}{4}$ طويلة أو $\frac{1}{8}$ من الدولار النمساوى أو ٣٤ر من البنس أو $\frac{1}{4}$ فارثنع أو $\frac{1}{184}$ من القرش العثمانى (د. أبوعلية : النقود ص ١٩).

(٢) الحلاق : حوادث دمشق اليومية ١٦١ وذكر فيها جلب الحجاج معهم كميات من الروبيات الا أنه ذكر أنها من الذهب مع أن المشتهر عن الروبية انها من الفضة، ولعلها فى بعض الأحيان كانت تسك من الذهب، (دائرة المعارف الاسلامية ١٠/٢١١) ويبدو أن الحلاق كان يشير الى استفادة الشام من هذه الكميات نتيجة مرور هؤلاء الحجاج بدمشق أو أن حجاج الشام هم الذين جلبوها معهم، وذكر الحلاق كذلك أن سعر الواحدة من هذه الروبيات ثلاثة عشر قرشاً.

لهذا الرواج أن تصبح الروبية إحدى العملات الرئيسية التي تلقى قبولا من النجديين ، وانتشارها في منطقة شرقي الجزيرة ومنطقة الحجاز بجمـعـلـ منطقة نجد تعرف هذه العملة من هاتين الجهتين كلتيهما أو أحدهما (١) مما زاد من كثرة تداولها وانتشارها في نجد .

وتؤكد الأمثال والأشعار الشعبية النجدية تعامل النجديين ببعض العملات غير تلك التي سلفت غير أن فترة تداولهم لها ليست معروفة إلا من متابعة مراحل سكها ، وأبرز هذه العملات البشلك أو البيشلك والتي ينطقها النجديون : البشيلية (٢) ، وهي نقد عثمانى أول ضرب لها كان في فتوة الإصلاح النقدي الذي وضعه السلطان سليمان خان الثاني بن إبراهيم الأول (٣) وكان ضربه على غرار القروش الأوربية التي كانت متداولة في العالم الاسلامي التي الى تلك الفترة ، وفي الوقت نفسه ضربت عملة أخرى تحمل اسم القرش وتضاهيه في القيمة النقدية ، وضرب معها أجزاء تابعة لها هي البارات السابقة التي قوم البشلك على أساسها حيث بلغ في فترة من الفترات خمس بارات ، وليس من المعروف نوع المادة التي سك منها البشلك ، فقليل من الذهب ، وقبـلـ

(١) ضرب الأفغان عملة سموها روبية ، كما أن ولايات الهند المحلية كان كل واحدة منها تضرب روبية خاصة بها وفقا لمعيار الروبية الأم ، وبعد انفصال الهند هاكستان أصبحت كل دولة منها تضرب لها روبية خاصة بها إلا أن الروبية الهاكستانية أكبر وأعلى سعرا من الهندية . دائرة المعارف الاسلامية (٢١١ / ١٠) ، الموسوعة العربية (٨٨٢)

(٢) يتألف لفظ البشلك من بش المخففة من بيش الفارسية بمعنى خمسة وللمعنى النسبة ، أو هي على طريقة الأتراك في إلحاقها بعدد العدد لتدل على ما يحويه من الوحدات ليصبح معناها ذه الخمسة وقد ربط بعض الباحثين ذلك بكون البشيلية تعادل خمسة قروش ، واشتهارها في مصر بالخمسوية كما تنطق في مصر والشام والعراق بشلخ بشلاق أما النجديون فيلقون بها بالنسبة العربية فيقولون بيشلية : (الجبرتي ٣ / ٦١٨ د . عبد الرحمن فهمي ٥٧٣ ، ٥٧٢ محمد العبودي : الأمثال ١٤٣ / ٣ مثل رقم ١٨٤٨ ، ابن رداس : شاعرات من البادية ٢٣٤ ، الموسوعة العربية ٤٦٧) .

(٣) ولد هذا السلطان في ١٥ محرم ١٠٥٢ هـ / ١٥ أبريل ١٦٤٢ م ، وتولى بعد عزل أخيه محمد الرابع في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ / ٨ نوفمبر ١٦٨٧ م تميز عهده بالإصلاح والتسامح الديني مع النصارى الذين كثر دخولهم في طاعة الدولة نتيجة لهذا التسامح . توفي في ٢٦ رمضان ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م . وتولى بعده أخوه أحمد خان الثاني (محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ٣٠٤ - ٣٠٧) .

من الفضة، وقيل من النحاس ويبدو أنه مر بهذه المراحل كلها تبعاً
للاخفاض التدريجى الذى يمر به النقد عادة فى تلك الفترة^(١).

وكان هذا النقد يضرب فى تركيا ومصر، وزاد انتشاره فى أوائل
القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى، وسعيد منتصف القرن
الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ثم ضربت كمية من البشلك تحت
اسم جيرك، المأخوذة من جهاريك التى معناها ربع حيث قوم بربع المجديسة
التي تعادل خمسة قروش المعادلة للفرنك الفرنسى حالياً تقريباً، ويروى أنه
فى أوائل ضربه كان يعادل خمسة قروش ذهب، وقيل خمسة قروش فضة صاغاً^(٢)
ثم تحول الى أن أصبح يعادل $\frac{1}{8}$ قرش مصرى وأحياناً خمس بارات كط^(٣)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٣/٦٦٣، ٦٦٤، د. د. عبد الرحمن فهمى
٥٧٣، الموسوعة العربية ٤٦٧، وأكد الدكتور البحراوى أن البشلك
أول ماسك كان من الذهب وكان يزيد من ١٧٥ قيراطا السسى
٢٣ قيراطا صافيا وسعر البشلك ٥ دولارات أو ما تعادل خمسة
قروش تركية، وأن ذلك قد تم من الذهب مرة أخرى فى عصر
محمود الأول (حكم ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ / ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م
الى يوم الجمعة ٢٧ صفر ١١٦٨هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٥٤م) وكذلك
فى عصر السلطان مصطفى الثالث (حكم من ١٦ صفر سنة ١١٧١هـ
٣٠ أكتوبر ١٧٥٧م الى ٨ ذى القعدة ١١٨٧هـ / ٢١ يناير ١٧٧٤م
(د. د. محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى
عهد السلطان محمود الثانى - الطبعة الأولى مطابع المختار
الاسلامى، نشر وتوزيع دار التراث، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)،
ص (٣٧).

(٢) خمسة قروش صاغاً كانت تعادل عشرين قرشا رائجاً، وأحد هــ
يعادل بيشلية، ويبدو أن الفرق بين الصاغ والرائج أن الصاغ هــ
السالم من الغش والتزييف، والرائج فيه غش أو كله مغشوش، ولعل
الكلمة المصرية الحالية قرش صاغ مأخوذة من الصاغ.

(٣) الجبرتى : ٣/٦١٨ أحداث ذى الحجة ١٢٣٥هـ / أكتوبر ١٨٢٠م،
وذكر فيها أن البيشلية تعادل القرش أو خمس أنصاف فضة. (دائرة
المعارف الاسلامية ٣/٦٦٤، د. د. عبد الرحمن فهمى ٥٧٣، الموسوعة

ولم تذكر المصادر التاريخية النجدية شيئاً عن تعامل النجديين بالبیشلية سواء كان ذلك عن بدء معرفتهم بها، أو دخولها فى أى مرحلة من مراحل سكها فى معاملاتهم النقدية والتجارية، وكل ما عثرت عليه فى هذا الموضوع مثلين شعبيين وميتا عاميا، وهى تذكر أن تداول النجديين للبیشلية كان فى مرحلة تدنى قيمتها النقدية، ولعل ذلك بعد بدء ضربها من النحاس وهى كما تؤكد هذا الأمر فإنها تعطى تصوراً بأن معرفة النجديين لها كان متزامناً مع أول ضربها خاصة إذا علمنا سرعة تحرك أهل نجد تجارياً مع البلدان المجاورة، وقد صور المثل النجدى : " لوتى بيشلية ^(١) ضالة قيمة هذا النقد فى المجتمع النجدى تبعاً للتغير الدائم باتجاه النقص فى جنسه وقيمتها النقدية سواء كان ذلك فى مصدر سكه أو فى البلدان المجاورة.

ونتيجة لسعة حجم التبادل التجارى بين بادية نجد وحاضرتها فان الوعى النقدى بحقيقة أى عملة لم يقتصر على الحاضرة بل أن أبناء البادية يملكون رصيداً لا بأس به من هذا الوعى بحب واعزاز النقد القسوى القيمة والجنس، واحتقار وامتهان النقد متدنى القيمة وفضيلها، وكما سبق فى الشخص الذى بلغ من حب أبناء البادية له تسميه أولادهم به واطلاق الحاضرة له على الحبيب والأصيل فان البيشلية على النقيض من ذلك لأن ذكرها فى مقابلة أى شخص علامة على احتقاره وفضه وبالتالى هجائه،

(=) العربية ٦٧٤ وقد تعامل العراقيون بالبیشلية التى تعادل خمسة متاليك أو ٢ ¼ بنس (لوريمر ٣ / ١٠٠٤ وذكر أنها تسك أحياناً من الذهب) .

(١) تبنى الحضرية، وتبنى البدوية أصلهما معرفتان من تنفى وتنفى بمعنى تطلب أو تريد (الفيروز آبادى باب الباء فصل الباء) وجواب أو محذوف تقديره ما أعطيتك . عن المثل وشرحه : (العبدودى

ويؤكد هذه الحقيقة قول أحد البدو في امرأة مدحت عند مجيئها فلم
يأبه بذلك قائلا :

(١)

قلت بنت اللآش ما فيها مسرة .° بايع حقى عليك ببيشلية

كما أن المثل النجدى الآخر : " فرق بين النيرة الصفراء والبيشلية " يبين
تداول النجديين للبشلية ، ومنزلتها النقدية بينهم مؤكدا ما بينه المثل السابق
من ضالة هذا النقد بعدما بدأ يضرب النحاس الخالص ، وندرة الذهب
الصافي في ذلك الوقت ، يجعل النقد من أى معدن كان له قيمته النسبية
في سوق التبادل النقدى والتجارى ، إلا أن هذه القيمة تتدنى بشكل ملحوظ
أمام النقد المضروب من الذهب ، ومن هنا عبر هذا المثل عن البون الشاسع
بين قطعة الذهب والبشلية النحاسية وان جمعت بينهما الصفرة ، وان كان
هذا المثل يتجاوز هذا المعنى المحسوس ليفرق بين أى شئ أصيل وبين
ضده ولو شابهه سواء كان ذلك فى الانسان أو الحيوان أو سواهما ، وسواء
كان ذلك من المحسوسات أو غيرها^(٢) .

ويرجع العبود فى أمثاله أن صلدى الواردة فى المثل العامى " لو
تبى صلدى " محرفة عن زلطة أو زلاطة^(٣) التى تعنى احدى قطع النقود العثمانية

(١) اللآش : أصل الكلمة فصيح فهى اما أن تكون من اللآشى أى الذى

لا قيمة له ، أو من اللشاشة وهى كثرة التردد واضطراب الاحتمال
وهو لشلاش ، أى جبان ، ومفهومه لدى عامة نجد يقرب من هذا فهو
الرجل الخامل الذكر الذى لا قيمة له ولا خير فيه ، (الفيروز آبادى
باب الشين فصل اللام) وعن البيتوقسته وشرح بعض كلماته : (عبد الله
ابن رداى : شاعرات من البادية ٢٣١ - ٢٣٤ ، ٤٢٥) .

(٢) عن المثل : عبد الكريم الجهمان : الأمثال الشعبية ٥٨/٥ مثل

رقم ٤٢٠٢ ، ويطلق على البيشلية أحيانا القطعة كآى نقد ضئيل
القيمة (صحيفة الرياض العدد السابق ص ٥١) .

(٣) بيدوان أصل هذه اللفظة عربى أو معرب ، فقد ذكر صاحب القاموس

المحيط أن الزلطة المشى السريع ، والزلطبة اللقمة المنزلة من
العصيدة ونحوها مولدة (باب الطاء فصل الزاى) وذكر صاحب

(=)

التي كانت تصك من الفضة أو النحاس وكانت تساوي ثلاثين بارة، وقد انتشرت في مصر وسوريا والعراق وكافة بلدان الشرق الأدنى منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ما يبدو معه أنها قديمة السك، وقد شاعت في الشرق شيوعا جعل أهل اليمن يطلقون الزلطة على الدرهم عامة^(١) ويعتقد أنها كانت من النقود ذات القيمة العالية نسبيا ومن المحتمل أنها قد مرت بمراحل سك متفاوتة قد تكون بدأت بالذهب ثم بالفضة ثم بالنحاس إلى أن أصبحت نحاسا خالصا ما جعل قيمتها النقدية تتدنى ويصبح قبولها

- (=) قاموس رد العامي إلى الفصح أن الزلطة عند العامة حصيات ما بين حجم حبة اللوز أو ما يملأ الك وقد نعمت جوانبها بجريان الماء عليها فذهبت حروفها ، وذكر صاحب التاج أن الزلطة كذلك الحصى الصغار مثل حصى الجمرات ، ويشبه بها الفول الذي لم يجـرش وأفاد بأنها عامة ، ومنها قولهم زلطة اللقمة زلطا إذا ابتلعها من غير مضغ ، وقيل فيها أنها عربية الاشتقاق ولم يسمع من العرب أنها مولدة ، ثم رأى أن الزلطة للمعنى مأخوذ من الزلق بمعنى الأملس مؤيدا كلامه بالتعاقب بين الطاء والقاف المعروف بفصاحته مثل أحاط به العذاب وحاق ، وحلق رأسه وحلطه ، وقيل ان الزلطة بتفخيم الزاي قبطية وأن فصيحها هو الجرول كجعفر الأرض ذات الحجارة أو ما يملأ الك منها أو اسم سبع ، وتجمع على جراول ، واستطرد صاحب هذا القاموس في ذكر تفريعات أخرى لهذه اللفظة مقارنة بالعامية ويحتمل أن ما أن الـ تـراك أخذوا هذه اللفظة من العربية وأطلقوها على هذه العملة لنعومتها ، أو أن عامة بلاد الشام ومصر والعراق واليمن أطلقوا عليها هذا الاسم ولها اسم بالتركية تركوه ، وأضافوا عليها ما تعارفوا عليه ، أما عامة أهل نجد فأنهم - على ما يبدو - لم يرق لهم هذا الاسم " الزلطة " وسوها باسم أفصح منه وهو صلدي من الصلد بفتح الصاد وكسرهما مع التشديد بمعنى الصلب الأملس كالصلود وكسفرجل ، ومنه قول الله تعالى : " فعثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا " من الآية ٢٦٤ من سورة البقرة . للاستزادة (الفيروز آبادي بـسبب الطاء فصل الزاي والزبيدي ، أحمد رضا : قاموس رد العامي إلى الفصح ٢٣٧ ، ٢٣٨ -) ومتابعة لتحليل هذين اللفظين يتأيد ترجيح العبودي أن الصلدي هو الزلطة أو الزلالطة .
- (٢) العبودي : المرجع السابق ١١٤٣ / ٣ ويرى بعض الباحثين أن لهذه (=)

ضعيفا أمام العملات الكبيرة أو المتوسطة، هذا التدنى الذى يبدوا أنه كان دافعا للمصريين عامة وعمل دار السك بالقاهرة على وجه الخصوص إلى الامتناع عن ضرب الزلاطة وما يشبهها من العملات ضئيلة القيمة فى دار السك المصرية وذلك حينما حضر إلى مصر أحمد الكتخدا^(١)ت لولايتها ومعه أوامر صادرة من الباب العالي العثمانى - بأن يتم ذلك الضرب فى تلك الدار بقوالب سك أحضرها معه من استانبول على عادة الدولة العثمانية فى أسلوب سك العملات المراد ضربها فى مصر، ومن ذلك يتبين أن الزلاطة كانت تضرب فى استانبول وأن قيمتها النقدية تدنت وهى تضرب فيها - إذ لم أشر على محاولة سك لها فى مصر بعد هذا الامتناع مما يدل على أن انعدامها كان تدريجيا من سوق التبادل النقدى والتعامل التجارى وهى فى آخر مرحلة سك لها قبل امتناع المصريين عن ضربها ولم تشتر المصادرات التى بين يدي - بسبب ذلك - إلى تجديد سكها فى استانبول وكان من المعتقد أن تكون غالبية الثمن نتيجة هذه الندرة إلا أنها حينما تزامنت مع التدنى فى قيمتها فإن هذا جعل رحيل الزلاطة من عالم النقد غير مأسوف عليه، وهذا ما أشار إليه هذا المثل الشعبى مصورا ضآلتها فى المجتمع النجدي وانعدامها من عالمه النقدى والتجارى فى الوقت نفسه .

(=) اللفظة التى ينطقها اليمينيون (ظلط) صلة ببعض أسماء النقود اليمانية

قبل الاسلام (جود على ٧ / ٤٩٢٢٩١) .

(١) الكتخدات جمع كتخدا وهو الوكيل عن الباشا ويعينه السلطان برتبة

صنلق (لوا) ويتغير بتغير الباشوات وقد حرفه الاستعمال

والتداول إلى كخيا ، ويبدو أن السلطان يكل إليه الباشوية وهو

فى مرتبته (محمد أديب غالب من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ

الجبرتي ، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م بأشراف دار الطباعة

الرياض ص ٢٦٥ ، ٢٧٠) .

(٢) الجبرتي ١ / ٥٦٠٥٠ حوادث صفر ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م وحسوات

١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م ، د . عبد الرحمن فهمي : ٥٧٢

ومن العملات التي لم يرد لها ذكر في كتب التاريخ النجدي المحلية وألمحت لها الأمثال الشعبية المتليك أو المتليكة وهو نقد من المعتقد أن يكون أحد العملات العثمانية، وهو نوعان : متليك نحاسي ومتليك نيكل، وكلا هذين المعدنين ضئيل القيمة، وقد انتشر التعامل به في سوريا والعراق ونجد وربط منطقة الشرق العربي بأكلها إلا أن تاريخ بدء سكّه وفي عهد من من السلاطين تم ذلك والمراحل التي مر بها . كل هذا غير متوفر فـ في المصادر المعروفة، غير أن من المعلوم كونه يساوي عشر بارات^(١)، ويظهر أن انتشار التعامل به في البلدان السابقة لم يكن بالدرجة التي حظيت بها بعض النقود التي مر ذكرها بحيث أنك إذا علمت نقدا منها في نجد مثلا وبحثت عنه في مصادر البلدان المجاورة تجد أخبار التعامل به مبثوثة في ثنايا هذه المصادر بتفصيلات أوسع مما في المصادر النجدية المحلية وهذا ما يفسر لنا أن المثل النجدي : "لوتبي متليك"^(٢) يكاد يكون هو المصدر الوحيد الذي يشير إلى التعامل النجدي بهذا النقد، وإلى ضآلة قيمته في سوق التبادل التجاري، والنقدي في تلك الفترة.

ورغم أن انتشار هذا النقد كان ضئيلا سواه كان ذلك في نجد أوفى البلدان المجاورة فانه على ما يظهر - كان منتشرا في العراق أكثر من غيرها، وإذا علمنا أن باشوية العراق من الباشوات المبهمة في الحكم الإداري للدولة العثمانية لأنها تشرف على ولايات الدولة في شرقي شبه الجزيرة، وتقصف

(١) العبودي : الأمثال العامة ١١٤٤/٣ مثل ١٨٥٢ .

(٢) العبودي : المرجع السابق ١١٤٤/٣ المثل السابق . وذكر لوريمر أنه قد ضرب منه فئة متليك أو متليق واحد ويساوي فلسين أو نصف بنس، وكذلك فئة متليكين تساوي بنسا واحدا، وفئة أربعة متليك وتساوي قرشا صاغا أو بنسين وخمسة متليك تساوي ببشلكا واحدا أو بنسين ونصف، وفئة ثمانية متليك وتساوي قرشين صاغا أو أربعة بنسات (القسم الجغرافي ١٠٠٤/٣)

سدا منيعا أمام هجمات الصفويين ، أدركنا الى أى مدى يمكن أن تقوم به من أدار لتعزيز سيطرة الدولة السياسية والاقتصادية من طريق طرح العملات العثمانية فى العراق لتنتشر منها الى البلدان المجاورة ، وانتشار الشاهي العثماني فى العراق حتى سعى بغدادى ، وكذلك المتليك يؤكد هذه الحقيقة التى أشار اليها أيضا المثل النجدى المأخوذ عن العراقيين : " متليك يوصلك البصرة ^(١) " وهو كما يعنى قصر المسافة العراء قطعها بهذا النقد فانه - فى الوقت نفسه - يصور رخص هذا النقد ويؤكد مما أشار اليه المثل السابق فى هذا المجال .

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة الى وعى النجديين بحقيقة الوضع النقدى المحيط بهم والذي من أبرز ملامحه الغش والتزييف فى مادة كثير من العملات كما مر ، هذا رغم ما كانت تعاني منه منطقة نجد من قلة أو انعدام كبير من العملات المعروفة على ما كان يعتورها من هذا الغش والتزييف ، هذه المعاناة التى كانت محصلة طبيعية لما كانت تتعرض له نجد فى تلك الفترة من سوء وترد فى كافة الأحوال الاقتصادية ، وهذه المعاناة النقدية التى أوجدت فى نجد حالة نقدية أشبه ما تكون بالمجاعة النقدية تتزامن غالبا مع المجاعات الغذائية التى كانت تتعرض لها نجد كثيرا فى تلك الفترة أو بعدها ، والتى لم تقف حجر عثرة أمام الوعى بتلك الحقيقة حيث أصر المثل النجدى : " ضرب تحت المقفزة ^(٢) " ، واقع هذه العملات المزيفة

(١) الجهمان : الأمثال الشعبية ٢٦٢/٧ وذكر لوريير تعامل العراقيين بالمتليك بفئاته السابقة (١٠٠٤ / ٣) .

(٢) ضرب : أى سك ، المقفزة : أحد أنواع النخيل النجدية المنتشرة فى نجد تؤكل بسررا وكانت موجودة فى القصيم الا أنها انقرضت فيه الآن أو كادت أن تنقرض لاستعاضة أهل القصيم عنها بأنواع غيرها وهى تنتشر فى منطقة العارض أكثر من مناطق نجد الأخرى (العبودى بلاد القصيم

فاذا سلمنا بأن لهذا المثل قصة واقعة تقول : (أن أحد الصاغة عمل
قالبا لاحدى العملات المعروفة وصار يسك فيه من هذه العملات ويكتب
عليه ضرب تحت المقفزة^(١)) ، فان هذا المثل يكشف حقيقة العملات المزيفة
وأن هذا التزييف من السهولة بحيث أى شخص يمكن أن يقوم به مما
ينبغى معه الجبى والانتباه ، وهذا المثل من قبل ومن بعد يحوى صورة من
صور التندر والمرح المروح عن النفس لدى عامة النجديين عندما كانت
الأحوال الاقتصادية تضيق بخناقها عليهم .

والذى يظهر للباحث من هذا العدد الوافر من العملات الأجنبية
التي تعامل بها النجديون ، وغيرها مما ليس هنا مجال التفصيل فى البحث
عنه . الذى يظهر أنه لا الدولة السعودية الأولى ولا الثانية قد حاولت
اصدار عملة خاصة بها بل تركت لهذه العملات المجال مفسوحا فى الانتشار
والتداول فى كافة مناطق سيادتها غير مفضلة بين عملة وأخرى إذ لم تتبن
الدولتان أى عملة معينة بل ان العملة الأقوى مادة هى التى تشبهت
جدارتها وتنال الثقة من الدولة والمجتمع ، وان كان يحدث فى بعض الأحيان
أن العملة الرديئة هى التى تنتشر فى أسواق التجارة والنقد لرغبة عامة
المجتمع فيها وهم غالبا من محدودى الدخل^(٢) ، ولئن كان لهذا الوضع فى
منطقة نجد فى عهود الامارات السابقة للدعوة والتكوين السياسى للدولسة
السعودية أسبابا فى عدم ضرب عملة خاصة بالمنطقة أبرزها التفكك السياسى
فان التنظيمات الادارية للدولة بعد قيام الدعوة كان ينبغى أن تشمل ضرب

(١) عبد الكريم الجهمان : المرجع السابق ١٨٩/٤ مثل رقم ٣٣٩٣
(٢) على أساس المبدأ النقدى القائل بأن العملة الرديئة تطرد الجيدة
من الأسواق . (د . عبد الرحمن فهمى : ٥٥٥) .

السكة الا أن شيئاً من هذا لم يحدث بل ذكرت المصادر النجدية تداول المجتمع والدولة في عهد الدولة السعودية الأولى للعملات التي سبق الكلام عنها وخصوصاً الأحمر والجديدة والعشخص والريال الفرنسية أبرز العملات المتداولة في أوائل وأواسط عهد هذه الدولة، بالإضافة إلى العملات المصرية من سك دولة محمد علي باشا في أوائلها^(١)، ولعل السبب الرئيسي في تأخر الدولة السعودية الأولى في تحقيق مثل هذا العمل هو انشغالها بنشر الدعوة وتوطيد الكيان السياسي للدولة، وتحديثنا ببعض المصادر عن محاولة قامت بها الدولة السعودية الثانية - ويبدو أن ذلك في عهد الامام فيصل بن تركي - وهي طبع المتليكات بطابع أئمتها وكتابه أسماهم عليها ، الا أن هذه المحاولة لم يتم لها النجاح وبالتالي فلم تستمر وذلك نتيجة للانقسامات السياسية في الدولة والتي أعقبت وفاة الامام فيصل بن تركي^(٢).

ولم تنجح محاولة من هذا القبيل الا في عهد الدولة السعودية الثالثة عندما تبلور المفهوم الحضاري للدولة الحديثة، وانتهى المطبوع عهد العزيز تقريباً من توحيد أجزاء الدولة في عهديهما السالفين وبالتحديد سنة ١٣٤٣ هـ ، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٤ م ، ١٩٢٥ م^(٣).

-
- (١) أشار علماء الدعوة الى تعامل النجديين بقروش محمد علي ، (ابن قاسم : الدرر ٧٦/٥) ، ويبدو أن نجداً قد عرفت بها أثناء حملات محمد علي على شبه الجزيرة ثم انتشرت بعد ذلك .
- (٢) د . أبو علي : الدولة السعودية الثانية ٢٧٦ ، النقود : ١٩
- (٣) د . عبد العزيز القويز ، المرجع السابق ٧٤ ، ومن الجدير بالذكر هنا خروج الكلام عن العملات الحديثة نسبياً عن فترة هذا البحث كالمجيدية والعملات الهاشمية مثلاً ، ولهذا فلم أتطرق لها . ولمعرفة ملاح بعض العملات الواردة في هذا الفصل انظر الصور المرفقة في آخر هذا البحث .

صعد : فرغم محاولة الاستقصاء التي قمت بها للعملات المتداولة في نجد منذ القرن العاشر الهجري الى قيام الدعوة ومعيد ذلك بقليل فانه من المؤكد وجود عملات أخرى أغفلتها المصادر النجدية التاريخية، وغير التاريخية سواء كانت تابعة للمجموعات النقدية السابقة : الأوربية والعثمانية والفارسية ، والهندية ، أم كانت تابعة لسلالات نقدية أخرى كالعمانية مثلاً اذا كانت سلطنة عمان ومسقط أقوى امارات الجزيرة العربية في تلك الفترة وامتد سلطانها الى شرقي أفريقيا وأجزاء من ايران الحالية ، ومن الطبيعي أن تكون لها عملة خاصة ، أو أن يطبع بعض حكامها أسماءهم على العملات المتداولة آنذاك ، وأن تتعامل نجد بهذه العملات للصلات الواسعة بين المنطقتين .

الباب الرابع
الظواهر العامة
للحياة الاجتماعية

الفصل الأول الملاحة العامة للهجرات النجدة

١- أسباب الهجرة :

«أ» الأسباب الأمنية .

«ب» الأسباب الاقتصادية .

٢- أنواع الهجرات النجدة :

«أ» الهجرة الداخلية .

«ب» الهجرة الخارجية .

توطئة:

تشكل المظاهر العامة للحياة الاجتماعية عند حضر نجد في تلك الفترة وضعا فريدا اذ أن العزلة التي فرضتها الأوضاع الأمنية والاقتصادية وغيرها أفادت المجتمع النجدي في بقاءه محافظا على كثير من عاداته وتقاليده.

ورغم تلك الرحلات العلمية والتجارية وما يحدث أحيانا من هجرة داخلية أو خارجية لبعض الأسر والأفراد بسبب الظروف السابقة فإن ذلك لم يؤثر كثيرا على تلك الحقيقة الاجتماعية اذ قد يطيب المقام لأولئك المهاجرين في البلدان التي رحلوا اليها، وما قد يصاحب ذلك أحيانا من نقل متبادل لهذه المظاهر بين نجد وتلك البلدان فهو محدود لا يلغى احتفاظ المجتمع النجدي بخصائصه الاجتماعية العامة.

واستنادا الى تلك العزلة، ولوجود عناصر الخير في المجتمع النجدي الحضري - كأي مجتمع - فقد كان هذا المجتمع يعج بكثير من العادات والتقاليد ومظاهر الحياة الاجتماعية الحسنة التي حفظت له أصالته وتكافله على أن هذا المجتمع كذلك لم يخل من بعض المظاهر الاجتماعية السيئة التي تعد حوادث القتل من أبرزها، وهي حوادث لم تكن نجد بدعا فيها سواء تلك التي تنجم عن الصراعات السياسية أم الأسرية والفردية اذ أنها موجودة لدى كل الأمم والشعوب^(١).

(١) د. العثيمين: تاريخ المملكة ١/ ٤٥ والمطلع على مصادر البلدان الأخرى يرى بروز هذه الظاهرة فيها رغم ما تتمتع به من حكم منظم بالمقارنة بعهد الامارات السائد في نجد قبل الدعوة. وعلى سبيل المثال انظر (دحلان: خلاصة الكلام ١/ ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠) الجبرتي: عجائب الآثار ١/ ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧٨، ٨٦، البديري: حوادث دمشق ٤٢ - ٤٦ من مقدمة المحقق ١٨ - ٢٠، ٣١، ٣٢).

ورغم ما تركه تلك الصراعات من آثار كبيرة على بعض المظاهر الاجتماعية أحيانا، إلا أن ذلك كان عاملا ايجابيا دفع سكان المنطقة الى المساندة لجهود الاصلاح المحدودة في المجتمع وأصبحوا بالتالي مصدر عون لأي حركة محلية تجعل هدفها لمّ الشمل وتوحيد الكلمة اذ أن النفوس كانت قد ملست حياة الفوضى والسلب والنهب وأصبحت مهياة - بشكل عام - بل متحفزة للانقياد لحركة من هذا القبيل .

وتشكل منطقة نجد وحدة اجتماعية مميزة تتشابه عاداتها وتقاليدها وتتماثل مظاهرها الاجتماعية، ورغم وجود بعض الاختلافات في التفاصيل الدقيقة للمظاهر الاجتماعية بين منطقة نجدية وأخرى بل وأحيانا بين بلد وآخر فإن ذلك لا يؤثر على تلك الحقيقة الاجتماعية التاريخية، وكما سبقـت الإشارة اليه^(١) فقد كان موقف علماء تلك الفترة جيدا في توحيد الكثير من المفاهيم الاجتماعية أو تماثلها على الأقل، وكل هذا عائد الى تركيز العلماء في مناطق معينة وعدم انتشارهم في كل مناطق نجد، على أن بروز مراكز علمية ثم اختفاءها أو تقلص دورها لتظهر مراكز أخرى قد ساعد على أن تمتزج الكثير من العادات والتقاليد بين المناطق والبلدان النجدية لتؤكد تلك الحقيقة فيما بعد .

وبعد هذا وذاك فقد كان هذا التشابه عاملا دفع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى أن يعد هذه المنطقة مجال تحركه الأول مما سهل - فيما بعد - توحيد هذه المنطقة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفق أحكام الشريعة الاسلامية، وهذا ما جعل مؤثرات دعوته أكثر بروزا في هذه المنطقة عن غيرها^(٢) .

(١) في الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٢) أشار الشيخ الى هذا في قوله لعثمان بن معمر في أول لقاء بينهما حينما عرض عليه دعوته وطلب منه نصرته : " اني أرجو ان أنت قمست بنصر لا اله الا الله أن يظهر ك الله وتملك نجدا وأعرابها " (ابن بشر ٢٢/١، د . العثيمين : المرجع السابق ٩٣/١) .

تعد منطقة نجد (قلب شبه جزيرة العرب) مصدرا بشريا للبلاد المجاورة عبر التاريخ اذ منها خرجت الموجات البشرية التي قدمت اليها من مصدرى الامداد البشرى العربى : اليمن والحجاز وعمرت الأرض فى الهلال الخصيب وبلاد الرافدين بل قد انتقل قسم من هذه الموجات الى مصر وافريقيا ومناطق أخرى ، كما خرج منها معظم جيوش الفتح بعد الاسلام^(١).

وتنطبق على تحركات الأسر والأفراد داخل نجد وخارجها كلفة أنواع الهجرة التى قررها علماء الاجتماع كالهجرة الداخلية التى تحدث داخل اقليم نجد بين بلد نجدى وآخر ، والهجرة الخارجية التى تتجاوز منطقة نجد الى المناطق المجاورة وغير المجاورة أحيانا ، والهجرة الدائمة التى يتبعها توطن كامل فى المنطقة المهاجر اليها ، والهجرة المؤقتة التى تنتهى بانتهاء الهدف منها علما أو عملا أو تجارة ، والهجرة الاختيارية التى تحدث بمحض اختيار المهاجر وبدون ضغوط أمنية واقتصادية أو غيرها ويندرج تحتها تلك الرحلات العلمية التى سبق ذكرها وبعض الرحلات التجارية ، وهناك الهجرة القهرية التى يضطر اليها كثير من النجديين فى تلك الفترة وما شابهها تحت ضغط تلك الظروف وغيرها من الأمور القسرية التى تلجى بعض الأفراد والأسر الى ترك بلدانهم وقد يطلق عليها : (الهجرة^(٢) الاضطرارية) .

وعلى هذا فيمكن تقسيم الهجرات النجدية الى نوعين رئيسيين هما :
الهجرة الداخلية ، والخارجية ، اذ أن الأقسام الأخرى تندرج تحت هذا

(١) د : عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية مطابع دار الكتب نشر دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٣٦ .

(٢) مجموعة من الأساتذة المتخصصين : معجم العلوم الاجتماعية
تصدير ومراجعة : د . ابراهيم مدكور طبع الهيئة المصرية العامة
للكتاب نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالتعاون مع مركز تبادل
القيم الثقافية بالقاهرة ومنظمة اليونسكو ١٩٧٥م ص ٦٢٩ (مادة
هجرة) .

التقسيم الذى يشكل اطارا عام ، ويعد علامة بارزة لمظاهر الحياة الاجتماعية العامة عند حضر نجد فى تلك الفترة بما نقلته تلك الهجرات لبعض العادات والتقاليد النجدية الى المناطق والبلدان الأخرى .

وقبل الحديث عن هذين النوعين لابد من عرض للأسباب الرئيسة وراء تلك الهجرات وهى تردى الأوضاع الأمنية ، وسوء الأحوال الاقتصادية فى بعض الفترات ، فعلى الرغم من أن هناك أسبابا أخرى للهجرة من نجد كالأسباب العلمية والتجارية إلا أنها ليست بحجم تلك الهجرات العائدة لهذين السببين ، على أن بعض الهجرات العلمية والتجارية تعود فى أساسها الى السببين السابقين ثم تبرز أسر علمية أو تجارية اثر ذلك .

١- أسباب الهجرة :

١ - الأسباب الأمنية :

من الحقائق الثابتة فى التاريخ النجدى قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تردى الأوضاع الأمنية الى درجة كبيرة وهذا راجع الى تعدد الامارات ، وعدم وجود قوة حاكمة تحمل الناس على الحق وتردع المعتدين بل كان حكام كثير من البلدان النجديين ضالعين فى العديد من حوادث القتل الفردية وشبه الفردية ، وكانت مشكلة الأخذ بالثأر على مستوى الفرد والجماعة - عاملا أدى الى بروز هذه الظاهرة فى تلك الفترة اذ أن سلسلة الأخذ بالثأر قد تمتد أجيالا طويلة ولا يدرك لها طرف مما يؤدي الى تأصل هذه الفكرة فى أفراد الأسر يأخذونها عن آبائهم وأمهاتهم ولا يرضون عنها بديلا لحفظ مكانتهم فى المجتمع .^(١)

وعلى الرغم من أن نجد ليست بدعا فى وجود هذه الظاهرة فإن استعراض أحداث تلك الفترة فى المصادر النجدية سواء التاريخية أم غير التاريخية يؤكد بروزها كظاهرة أثرت على كثير من مجالات الحياة الاجتماعية اذ أن الصراعات الأسرية السياسية منها وغير السياسية وط ينجم عنها من

(١) تاريخ ابن ربيعة . مقدمة المحقق ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٧ .

حوادث قتل عديدة وجلاء جماعى أو شبه جماعى ، كل هذا بدا وكأنه الشغل الشاغل لكثير من أفراد المجتمع وأسره حتى طغت أخبار هذه الظاهرة على قسم كبير من أخبار مجالات الحياة الأخرى ، وتصور تلك الأخبار بعض النجديين فى صراع مستمر يتحىن أهل كل قرية فرصة الانقضاض على الأخرى ، وتهتبل كل أسرة الفرص للثأر من الأخرى حول مورد ماء ، أو مجرى واد لسقيا أرض زراعية أو حمى رعوى أو زراعى أو صراع حول الزعامة رغم أن العائلات المتعادية والمتقاتلة قد تلتقى نسبا فى جد ليس بالبعيد كثيرا ، ويشبه التاريخ النجدى فى هذه الناحية بالذات تاريخ العرب قبل الاسلام^(١).

ونظرا لتأكد هذه الحقيقة وبروز أحداث كثيرة لها فقد قرر فقهاء تلك الفترة أن ما بين البلدان النجدية مخوف ورتبوا على ذلك مجموعة من الأحكام الفقهية منها أن الرجل اذا أمسكه لصوص ليأخذوا متاعه ان كان من بلاد معين فحلف بالطلاق ثلاثا أنه من المدينة الأخرى كاذبا لأجل الخوف أنه لم تنعقد يمينه ، وكذلك جواز أخذ اللقطة فى أنحاء نجد للحفاظ لأن تركها يؤدى الى تلفها بأخذ الظلمة وقطاع الطرق لها وخاصة لمن يأمن نفسه عليها ولو مع الامتناع ، وتحريم بيع السلاح فى زمن الفتن والفوضى ، كما قرروا عدة فتاوى أخرى تندرج حول هذا الوضع الأمنى فى تلك الفترة وهى تعطى دليلا على وعى الفقهاء بحقيقة مجتمعهم^(٢).

وتشير الأحداث التاريخية الى الأثر البارز الذى يتركه الوضع الأمنى السيئ فى نجد على الهجرة الداخلية والخارجية سواء نتجت هذه الهجرة عن ايثار بعض الأسر السلامة وعدم الدخول فى صراع فترحل خوفا من ذلك أم نتجت اثر صراع تزيج الأسر القوية فيه الأسر الضعيفة أو المغلوبة وتستولى على ما كان لها من مكانة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، الا أنه لكون

(١) تاريخ المنقور ص ٢٢ ، ٢٣ ، مقدمة المحقق ، تاريخ ابن ربيعــــــــــــــــة

٤٥٠٣٦ - ٤٧٠

(٢) المنقور: الفواكه ١/١٩٣ ، ٢٠٣٩٣ / ٢٠٣٦ ، ٥٤٠٣٦

النزاعات الداخلية هي سمة العلاقات داخل البلدان النجدية وبينها ، فقد كانت الهجرة بسبب ذلك أكثر بروزا في الأحداث التاريخية .^(١)

ومن أبرز الأحداث التاريخية التي تقرر هذه الحقيقة وتؤكد هـا بجانيها السابقين ، ما حصل بين آل وهيب (الوهبة) من تميم ، وبين بنى وائل من عنزة في أواخر القرن السابع الهجرى / أواخر الثالث عشر الميلادى في أشيقر^(٢) التي كانت في الأصل لأفخاذ من تميم حتى قدم عليها أسر من بنى وائل فملكوا بعض الأراضى فيها بطريق الاحياء والشراء وكسروا أتباعهم من قبيلتهم ، وتمكنوا في أشيقر حتى أصبحوا هم والوهبة كقرسى رهان فى التعداد البشرى وكثرة الأملاك والوجاهة وهنا أصبحت المسألة متعلقة بالسيادة على البلد خاصة وأن الوائليين قد أظهروا من صنوف الكرم للعابر والمقيم ما خشى الوهبة أن يكون ذريعة لاستيلائهم على البلدة وطرد أهلها الأصليين ، أو يصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، أو خشية استفحال الخلاف الذى يحدث عادة بين الأقارب فكيف بمن هم من قبيلتين مختلفتين .^(٣)

وكان هذان الحيان قد اتفقا فيما بينهما على قسمة الأعمال الى قسمين وهما القيام على المزارع والخروج للرعى بحيث أن يتم هذان العملان فى آن واحد فى وقت الربيع ، وقد أوجدا لذلك نظاما يخرج الوهبة على أساسه فى يوم بمواشيهم للرعى والاعتشاب ، ويجلس الوائليون فى البلد

(١) Abdulrahman. H. Said : *Saudia Arabia The Transition from Atribal Society to Anation - State* . p. 27.

(٢) رغم أن أشيقر قد عرفت بهذا الاسم قديما الا أنه قد ورد تسميتها بعكس نسبة لقبيلة عكل التي استقرت فيها قديما ، وهذا الاسم يطلق عليها أو على قسم منها حتى اشتهر بعد ذلك اسم أشيقر ، على أن الجغرافيين المسلمين قد ذكروها باسم أشيقر ويبدو أن الاسمين كليهما يطلقان على هذه البلدة مع غلبة اسم أشيقر ، ومما يرجح انتشار عكل كاسم لأشيقر فى بعض الفترات أن عزوة أهل أشيقر أولاد عكل وورود هذا الاسم فى وصية صبيح على أن المقصود به أشيقر ، وكانت منذ العصر الجاهلى لبنى تميم فجاءهم أبناء عمهم الرباب ثم الوهبة من تميم الذين اختصوا بسكنائها والبلدة تاريخ حافل حيث خرج منها عدد من الأسر المشهورة بالعلم (الأصفهاني : بلاد العرب ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ياقوت ١/٢٠٣ ، ٤/٤٣١ ، ابن بلهيد : ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته ويقاعه ١٥٨ ، حمد الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة ٢/٦١٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، البسام : علماء نجد ١/١٤ ، ١٥ ، ابن خميس معجم اليمامة ١/٨٠-٨٥ لعبد العزيز المبارك : وثائق الأحوال الشخصية مجلة العرب ج ١ ص ٢ رجب ١٣٨٧ هـ ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨) .
(٣) ابن عيسى : تاريخ بعض الحوادث ٢٨ ، ٢٩ ، ابن بسام : تحفة ورقة ١٧٠ الجاسر : المرجع السابق ٢/٢٨٨ ، ٢٨٩

يحفظونها ويسقون النخيل والزروع، وفي اليوم الثاني يحصل العكس، فتمالاً الوهبة على أنه وقت خروج الوائليين يتم اخراج نسائهم وأولادهم وأموالهم المنقولة وتغلق أبواب الأسوار ونهم، ويكون على الأبراج حراساً مسلحين حتى إذا رجع بنو وائل من مرعاهم منعوا من الدخول، وطلب منهم أخذ أموالهم ونسائهم وأولادهم والبحث عن مكان آخر يستوطنون فيه^(١).

رجع الوائليون آخر النهار ليجدوا نذر الرحيل أو الحرب أمامهم حيث منعهم الوهبة من دخول البلدة، وقالوا لهم: هذه أموالكم ونسائكم قد أخرجناهم لكم حيث ليس لنا شيء منها مطمع، والسبب الوحيد الذي ألجأنا لهذا العمل هو الخوف من احن بيننا قد توقع شرور وحروب، ونحن أهل البلد الأصليون فارتحلوا عنه إلى أي مكان يرضى منكم وتتصاف فيما بيننا، ومن له زرع فليوكل وكيلا منا ونحن نقوم بسقيه حتى يحصد، وأما بيوتكم ونخيلكم فكل منكم يختار له وكيلا منا يوكله عليهما، فإذا سكنتم في أي بلد فممن أراد القدوم إلى بلدنا لبيع عقاره أو نخيله فليفعل، ولن يمنع من ذلك أحد، وأكد الوهبة أن ليس لهم طمع في أموال الوائليين في البلد إلا أنهم خافوا من حزازات قد تقع بينهم، أو أن يملك الوائليون البلد ويرحلوهـم عنها، أو يغلبوهم على أمرهم وتكون لبني وائل السيادة والمكانة الاجتماعية المرموقة في هذه البلدة^(٢)، وهكذا اتفق الطرفان على ذلك برضى واقتناع ندر أن أن يوجد مثله في تاريخ العلاقات الاجتماعية بين البلدان والأسر النجدية ورغم أنه يمكن أن يكون لهذا جذوراً من بعض الخلافات الجانبية إلا أن إيثار بني وائل السلامة ورحيلهم في هجرة شبه جماعية قد ساعد على تكثيف حركة التحضر في نجد حينما تمكن المهاجرون الوائليون من تأسيس وإعادة بناء بعض البلدان النجدية منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي^(٣).

(١) ابن عيسى ٢٨، ٢٩، البسام ٧٠، الجاسر ٢ / ٧٩٠

(٢) ابن عيسى ٢٩، ٣٠، البسام ٧٠، الجاسر ٢ / ٧٩٠

(٣) من الأمثلة على ذلك إعادة بناء التويم عام ٧٠٠هـ / ٣٠٠هـ تقريباً

على يد مدلج بن حسين الوائلي أثر رحيل آل وائل من أشيقر وكذلك

(=)

وحيثما تفرع من هؤلاء المهاجرين أسر عديدة انتشرت في مختلف مناطق نجد على غرار الأسر النجدية الأخرى .

وتتري الأحداث التاريخية مثيرة لهذا الجانب ومؤكدة أثر الأوضاع الأمنية على هذه الهجرات وان كانت بعنف أكثر مما دفع كثيرا من الأسر النجدية الى هجر بلدانها في رحلات جماعية وشبه جماعية الى مناطق وبلدان أكثر أمنا داخل نجد وخارجها ، فلئن لم تجر هذه الحادثة الى حروب ومنازعات فقد كان كثير من الأحداث الأخرى يؤدي الى حروب ينتج عنها انتزاع السيادة في البلدان النجدية من الأسر المؤسسة لها أو القديمة فيها فضلا عن حصول تلك الهجرات .

ومن الأمثلة التاريخية في هذا الصدد جلاء آل عبهول من حوطة سدير عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م بعد انتزاع امارتها منهم اثر منازعات بينهم وبين ابناؤ قبيلتهم من تميم ، ورغم أن اماره هذه البلده لم تخرج عن بنسى العنبر من تميم فانها قد أدت الى هجرة آل عبهول عن الحوطة ، وفقد هم ما كانوا يتمتعون فيها من زعامة سياسية وسمعة اجتماعية .^(١)

(=) حرمة التي عمرها ابراهيم بن حسين الوائلى عام ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م ، وكذلك حريملاء التي عمرها على بن سليمان بن حمد آل أبى رباح من بنى وائل عام ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م . (ابن عيسى ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، البسام ، ورقة ٧٠ ، ب ، ٧١ أ) .

(١) ينتمى آل عبهول الى بنى العنبر بن عمرو بن تميم بن مر ، وقد حفلت مادة عبهول في لغة العرب بعدة معان : فعبهول الابل أهملها ، والعباهلة لقب يطلق على ملوك اليمن ، وعلى من لا يد لأحد عليهم ونحو ذلك من المعانى التي ربما كان في هذه الأسرة صفة منها ، (الفيروزابادى والزبيدى : باب اللام فصل العين ، الحقيق : كنز الأنساب ١١٠ ، الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة ٢ / ٥٥٧)
(٢) المنقور : التاريخ ٧٢ ، الفاخرى ٨٧ ، ابن بشر ٢ / ٢٢٢ ، ابن عيسى ، ٧٧ ، ٧٨ ، البسام : تحفة ورقة ٨٦ ، أ ، واصبحت اماره الحوطة بعد آل عبهول فى القعاسا (جمع قعيسا) من بنى العنبر من تميم .

ان اشتداد الحروب الأهلية داخل بعض البلدان النجدية ولجوء بعض الأسر الى الرحيل خارج نجد بسبب ذلك دليل واضح على أثر الناحية الأمنية على سير تلك الهجرات، وأن تلك الحروب قد بلغت في بعض الأحيان درجة جعلت أطراف النزاع لا يرضون بغير الهجرة الخارجية بديلا حتى يكونوا في منأى عن موطن الخلاف .

ويبدو أن بعض الأسر النجدية - وهي ترك نجداً بسبب ذلك - تتوطن في المناطق المجاورة لها ، وهي في هذا تجمع بين الهجرة عن نجد وعدم النأي عنها يدفعها الى ذلك ازدهار الناحية الاقتصادية في هذه المناطق قياسا على الاقتصاد النجدي سواء عن طريق التجارة أم الزراعة أم توفر فرص العمل بشكل عام .

والأحداث التاريخية في هذا المجال كثيرة الا أن هجرة مانع الحديثي^(١) مع أسرته تعد من أبرز هذه الأحداث حيث جلا مانع هذا وأسرته عام ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م من منطقة سدير الى الأحساء اثر منازعات بين مانع وأسرته من جهة وبين بعض من أهل سدير من جهة ثانية^(٢) .

ويبدو أن جذورا من المنازعات بين مانع وأسرته وبعض أهل المنطقة

-
- (١) هو مانع بن عثمان بن عبد الرحمن آل حديثه من بني العنبر بن تميم كان أميرا لبلدة الحصون في سدير حتى عام ١٠٨٣ هـ حيث استولى عليها آل تميم - بتشديد اليا - من بني خالد بمساعدة أمير جلاجل ابراهيم بن سليمان بن حماد الدوسري كما كان والده عثمان أميرا على قارة سدير (المنقور ٤٣ ، ٧٥ ، ابن ربيعة ٦٨ ، ٦٩ ، الفاخرى ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ابن بشر ٢ / ٢٠٥ ، ابن عيسى ٥٢ ، ٦٤ ، البسام تحفة ٦٣ أ ، ٧٤ ب ، الجاسر : جمهرة الأنساب ١ / ١٤١ ، ١٤٢) .
- (٢) المنقور ٥٤ وقد ذكرها سنة ١٠٨٦ هـ ، ابن ربيعة ٦٩ ، ابن عباد وذكرها سنة ١٠٨٦ هـ ، الفاخرى ٧٧ ، ابن بشر ٢ / ٢١٣ ، البسام : تحفة ٧٥ ب .

عمقت هذا الخلاف الأسرى ووسعته مما ألجأ مانعا الى ذلك الرحيل خارج نجد ، ففي سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣ م حدثت حروب في سدير قتل فيها عدد من آل حديثة^(١) ، كما أنه في سنة ١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م حدثت اغارة من بعض زعماء المنطقة أدت الى تجريد مانع من امارته على احدى بلدانها^(٢) ولعل هذا الحدث الأخير كان السبب المباشر وراء هجرة مانع تلك اذ أن حدوث تلك الهجرة بعد ثلاث أو أربع سنين^(٣) قد يفهم منه محاولة مانع وأسرته العودة الى الامارة فلما عجزوا عن ذلك آثروا الرحيل عن نجد نهائيا .

وتتداخل الأسباب الاقتصادية مع الأسباب الأمنية في هذا الحدث مؤكدة أهمية هذه الأسباب في هجرات بعض الأسر النجدية داخل نجد وخارجها فقد تزامنت هجرة مانع تلك مع حصول قحط شديد استمر عدة سنين رغم هطول أمطار جعلت الأرض مخضرة والسبب في هذا القحط الشديد هو هجوم أسراب كثيرة من الجراد والدبابة أكلت الأخضر واليابس ومات كثير من الناس جوعا بسبب ذلك وهذا ما دفع أهل نجد أن يطلقوا (جرادان) على أحد مراحل هذا القحط وهي الأشد وطعا على النجديين حيث عد هذا العام من أعوام الشدة باجماع مؤرخي نجد في تلك الفترة لما بلى اللـه النجديين فيه من القحط والجراد والدبابة والغلاء والجوع ونقص من الأموال

(١) المنقور ص ٤٣ وقد ذكرها في النسخة المخطوطة سنة ١٠٤٤ هـ ، ابن ربيعة ص ٦٠ وأشار فيها الى الحروب التي حدثت في قارة سدير وهي المقصودة هنا ، الفاخرى ٦٧ وذكرها سنة ١٠٤٤ ، ابن بشر ، ٢ / ٢٠٥ وذكر الرأيين في سنة حدوثها ، ابن عيسى ٥٢ وذكرها سنة ١٠٤٤ هـ ، البسام : تحفة ٦٣ أ وذكرها سنة ١٠٤٤ هـ .

(٢) وهي بلدة الحصون احدى بلدان منطقة سدير قيل عمرت عام ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م وقيل ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م (ابن ربيعة ٦٨ من حاشية المحقق ، الفاخرى ٢٦٥ ، ابن بشر ١٩٦ / ٢ ، ابن عيسى ٥١ ، البسام : تحفة ١٥٦) .

(٣) المنقور ٥٣ ، ٥٤ وذكر أن ذلك في شوال ١٠٨٤ هـ / يناير ١٦٧٤ م ، ابن ربيعة ٦٨ ، ابن عباد وأوردها عام ١٠٨٤ هـ ، الفاخرى ٧٦ ، ابن عيسى ٦٤ ، ٦٥ وذكر الرأيين في سنة حدوث تلك الاغارة ، البسام ، ٧٤ ب

والأنفس والشمرات، ومن هنا فلا يبعد أن يرحل عدد من الأسر النجدية إلى خارج نجد بسبب تلك الضائقة الاقتصادية^(١).

ب - الأسباب الاقتصادية :-

رغم أن أهل نجد قد قاموا بمختلف الأعمال الاقتصادية في تلك الفترة - كما مر - من الرعي والزراعة والحرف والتجارة، إلا أن قطاعا عريضا منهم كان يعتمد في حياته الاقتصادية والمعيشية على الرعي والزراعة مما جعل هذه الحياة بسيطة في متطلباتها، ولكنها تتأثر سريعا - سلبا وإيجابا - بأدنى المؤثرات البشرية والكونية -، فكثرة المطر وقلته أو انعدامه ومجئ العواصف وشدة البرد وكثرة البرد وغزو الجراد ونهب البدو والحضر من القوى المحلية وغير المحلية للمحاصيل الزراعية التي قد تتعرض كذلك للآفات، كل هذه عوامل متعددة ومتنوعة تجعل هذين المصدرين الاقتصاديين عرضة لعدم الثبات في الانتاج مما ينجم معه شح في المواد الغذائية الضرورية بئدريتها أو انعدامها أحيانا مما يضطر بعضا من أهل نجد - بادية - وحاضرة - أن يرحل إلى بعض مناطقها الأكثر نماء وخصبا في هجرة داخلية أو إلى المناطق المجاورة وغير المجاورة في هجرة خارجية.

(١) سمي هذا القحط جرادا ن لكثرة الجراد والدباء، أو لكثرة أكل الناس الجراد وموتهم بسبب ذلك إذ بينما يذكر بعض مؤرخي نجد أن موت الناس فيه بسبب الجوع يذكر بعضهم أن ذلك بسبب أكلهم الجراد ولكنهم يجمعون على اعتبار هذه الفترة من فترات الشدة بسبب هذا الجراد رغم كثرة الأمطار ووفرة الربيع، وكان أهل نجد أرادوا استغلال كثرة هذا الجراد للاعتماد عليه كغذاء رئيس، والقضاء عليه وحماية الزروع وعشب الصحراء منه، ولكن هذا الجراد أضرا أهل نجد من جهتين باهلاك من أكثر من أكله، والقضاء على المزروعات وعشب الصحراء مما جعل هذه الفترة تتضاعف فيها مسببات الشدة وانكسار الحال. عن هذا القحط : المنقور ٥٤، ابن ربيعة ٦٩، ابن عباد أحداث ١٠٨٦هـ، الفاخرى ٧٧، ابن بشر ٢/٢١٣، ابن عيسى ٦٦، البسام: تحفة ٧٥ أ.

ومن هذا المنطلق فإن انحباس المطر أو قلته يعد عاملا مهما يشترك في التأثير بأضراره البدو والحضر على حد سواء، ولهذا فقد حفلت أحداث تلك الفترة بهجرات بدوية جماعية أو شبه جماعية داخليا وخارجيا بتأثير هذا العامل الاقتصادي المهم مما يعكس شمول المعاناة التي يعيشها كافة أهل نجد إذا ألت بهم كارثة ينجم عنها قحط وغلاء وجوع تماما كما يستفيدون استفادة شاملة من سنى الخصب والرخاء سواء أصاب هذا الخصب الأرض الخلوية أم الزراعية أم هما معا^(١).

أما الحضر فقد تمثلت أضرار انحباس المطر أو قلته في غور الآبار وخاصة في بعض مناطق نجد التي تتأثر مياهها الجوفية سريعا بهذا العامل حيث لا يكتفى أهل هذه المناطق بترك مزارعهم والبحث عن أعمال أخرى في بلدانهم بل يرحلون عنها مما يجعل هذه البلدان تقفر من أهلها، فقد رحل بعض أهل هذه المناطق الغائرة الى مناطق الخصب والنماء داخل نجد، كما اضطر قسم آخر الى ترك نجد نهائيا وولى وجهه شطر المناطق الغنية تجاريا أو زراعيًا في شرق شبه الجزيرة والعراق والشام وغيرها.

ومن الأحداث التاريخية في هذا الصدد ما حدث عام ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م حين غارت الآبار وغلت على اثره الأسعار ومات كثير من الناس جوعا وجلا قسم من النجديين بسببه، وقد استمر هذا الحال ثلاث سنين، واذ لم

(١) ليس هناك مجال التفصيل في الهجرات البدوية سواء الى البلدان النجدية أم الى المناطق الأخرى مما جعل القبائل النجدية تنقسم الى قسمين بادية وحاضرة، وتتوزع بين نجد والمناطق المجاورة وللتفصيل انظر: الفاخري ٧٣، ٩٨، ابن بشر ٢/ ٢٠٩، ٢٣٥، ابن عيسى ٩٥، ٩٦، البسام: تحفة ٩٨ أ، س. هـ. لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ترجمة جعفر الخياط ط (٥) مكتبة التحرير. بغداد ص ١٠٤، رسالة الماجستير للباحث ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٤.

يحدد بعض مؤرخي نجد المناطق التي حصل فيها هذا الغور فقد ذكر بعض بعضهم منطقتي سدير والعارض مما يبدو معه أن ذلك كان شاملا لعدد من المناطق النجدية.

وضمن أحداث هذا الغور فقد ذكر أحد مؤرخي نجد أنه في سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٧م غارت مياه آبار العيينة مما اضطر قسما كبيرا من أهلها إلى الجلاء عنها حيث توجهوا إلى منطقة القصيم التي تعد من أهم المناطق النجدية الخصبة والتي تتوافر فيها المياه الجوفية قريبة المنال بغزارة، وما من شك أنه لم تتأثر آبارها بهذا الغور، ولا يبعد أن يكون قسم من أهل سدير قد رحل إليها كذلك^(٢).

ولعل السنة الأكثر غورا للآبار في منطقة سدير وربما في غيرها من مناطق نجد هي سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م حيث عم القحط والغلاء المنطقة في تلك السنة وشطر من السنة التالية لها بل شملت هذه الضائقة مناطق أخرى من شبه الجزيرة وكذا الشام حيث مات كثير من الناس جوعا من البدو والحضر ونفق قسم كبير من مواشيهم، وقد أعطى مؤرخو نجد معلومات دقيقة في وصف درجة أضرار هذا الغور في سدير خاصة حيث لم يبق في بلدتي العودة والعطار^(٣) إلا بثران في كل بلد بينما غارت كل الآبار في بعض^(٤)

(١) ابن عباد أحداث عام ١١٢٨هـ / ١١٣٠م، الفاخرى ٩٦، ابن بشر ٢٣٢/٢، البسام: تحفة ٩٤ أ

(٢) ابن عباد: أحداث عام ١١٣٠هـ

(٣) من معاني العود والعودة في اللغة العربية الكبير عمرا، ولهذا

فعودة سدير من أقدم بلدانها ان لم تكن أقدمها وتقع أسفل وادي سدير بالقرب من التويم، وقد حفلت بأخبار في كتب التاريخ النجدي قبل الدعوة وبعدها (ابن ربيعة ٨٠، ٨٤، الفاخرى

٨٩، ٩٤، ٩٨، ١٠٨، ١١٠، ١١٤، ابن بشر ١/٤٠، ٤٨، ٦٥،

٢٠٨٨/٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٥، ابن عيسى ٨١، ٩٠، ٩٥، ٩٦، مقبل

الذكر ١٥١، ابن خميس: معجم اليمامة ٢/١٨٨ - ١٩٠).

(٤) العطار: بتشديد الطاء مع فتحها إحدى بلدان سدير القديمة (=)

بلدانها ، وكان جلاء الناس كثيرا من منطقة سدير الى داخل نجد وخارجها ، وشكل خاص فقد ضربت العطار رقما قياسيا في رحيل أهلها عنها حيث لم يبق فيها الا أربعة رجال^(١) ، ورغم أن عدد السكان محدود في البلدان النجدية الا أن بقاء هذا العدد الضئيل جدا يصور درجة ضرر هذا الغور ، والدور الواضح الذي لعبه هذا الغور في هجرة عدد كبير من الأسر من منطقة سدير عامة وبلدة العطار خاصة ، ويبدو أن هؤلاء الرجال الأربعة الذين بقوا كانوا بمفردهم إذ أن الأسر بكثرة عدد أفرادها وضعف بعضهم لا تقوى على تحمل الآثار القاسية التي نجمت عن هذا الغور مما يدفعها الى الهجرة الجماعية .

وقد صور أحد الشعراء الأضرار الناجمة عن تلك الضائقة الاقتصادية في تلك السنين العجاف ، وأن الناس فيها - بادية وحاضرة - قد انقسموا الى ثلاثة أقسام :

١- قسم تشرد وترك أمواله وهرب بنفسه عله يجد منطقة يعيش فيها

(=) وتقع أسفل وادي سدير قريبا من العودة والمجمعة وتشكل الأحداث التي مرت بها مصدرا تاريخيا لها سواء قبل الدعوة أم بعدها :
(ابن ربيعة ٦٦ ، ٧٨ ، الفاخري ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٦١ ، ابن بشر ١ / ٦٦ ، ٩٤ ، ٢٠ / ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ابن عيسى ٦١ ، ٩٥ ، ١٥٨ ، ١٩٩ ، مقبل الذكير ١٤٩ ، ابن خميس ٢ / ١٦١) .

(١) ابن ربيعة ٨٨ وقد ذكر القحط العام في نجد وغيرها وجلاء أكثر أهل نجد عنها ولكنه لم يذكر التفصيلات الأخرى المتعلقة بهذا الحدث ، ابن يوسف : أحداث ١١٣٦ هـ ، ابن عباد أحداث ١١٣٥ هـ ، ١١٣٦ هـ وذكر فيها أن شدة القحط كانت عام ١١٣٦ هـ وأنه كثرة أضراره على أهل نجد فقد كثرت التسميات له وإن كان أشهرها (سحي) ، الفاخري ٩٨ ، أحداث عام ١١٣٦ هـ من نبذة تاريخية عن نجد بخط الشيخ عثمان بن منصور الحسيني (ت ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م) ، ابن بشر ٢ / ٢٣٥ ، ابن عيسى ٩٥ ، البسام : ٩٨ .

متحملاً ما قد يرافق هذا التشرد من الجوع والخوف وربما الهلاك، وهذا لم يحدد الوجهة التي هو موليتها .

٢- قسم بقي في منطقته وصبر فيها حتى واجه الهلاك بنفسه ونفقت معه بهائمه وخسر كل ما يملك .

٣- قسم جلى عن المنطقة وتركها في هجرة فردية أو جماعية إلى مناطق الخصب والنماء والازدهار الاقتصادي سواء داخل نجد أم خارجها ، وهذا القسم هو الذى يشكل الأغلبية بين سكان نجد بدواً أو حضرا-الذين عمتهم أضرار هذا القحط في تلك السنة وما قبلها وما بعدها ، ورغم أن تقسيم الشاعر للناس في هذا القحط قد يقتضى التساوى إلا أن بروز ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية مع كل ضائقة اقتصادية يؤكد أكثرية الناس المهاجرين في ذلك العام، إذ أن هذه الظاهرة تعد أفضل مخرج من تلك الأزمات التي تضيق بخناقها على النجديين بما تحققه من أمل في عيش رغيد نسبياً في البلدان المهاجر إليها .

يقول الشاعر - وهو من منطقة سدير - في ذلك :

غدا الناس أثلاثا : ثلث شريدة .^١ يلاوى صليب البين عار وجائع
وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت .^٢ وثلث إلى الأرياف جال وناجع^(١)

(١) الفاخرى ٩٩، أوراق الشيخ عثمان بن منصور أحداث عام ١١٣٦ هـ ، ابن بشر ٢ / ٢٣٥ ، ابن عيسى ٩٦ ، البسام : تحفة ٩٨ أ ، ومعنى يلاوى صليب البين : تشتت أمره وضاع فلم يعرف له خبر أخذاً من الواء الدهر : ولاوى الشيء : فارقه ، والألوى من الطريق : البعيد المجهول ، والصليب يطلق على الشديد أو صعب المنال وتطلق البين على البئر البعيدة القعر التي لا تصلها الدلاء ، أو المهجورة فتكون مجمعا لليوم والغربان ومنه (غراب البين) (الفيروز ابادى والزبيدي : باب الباء فصل الصاد ، وباب النون فصل الباء ، وباب الواو والياء فصل اللام) . ولعل المقصود بها هنا الفراق .

ورغم أهمية غور الآبار كسبب واضح فى رحيل سكان بعض مناطق نجد عنها فان القحط عامة ولو لم ينجم عنه غور بشكل سببا رئيسا ورا* هجرة قسم كبير من حضر نجد ، ففى سنتى ٨٦٩، ٦٨ هـ / ١٤٦٤، ٦٣ م حـل فى نجد قحط شديد وغلاء فاحش حيث لم يأت فى الأولى أمطار وكانت أمطار الثانية قليلة ، واستمر حتى عام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ هـ ، وقد مات فى هاتين السنتين عدد كبير من أهل نجد جوعا ، بينما أكل قسم منهم الميتات ، فيما قام قسم كبير منهم بهجرة جماعية بأسرهم الى مناطق الازدهار الاقتصادية فى شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق ، وقد تزامن هذا القحط والغلاء مع انتشار أمراض متعددة أهلكت أناسا كثيرين من بادية نجد وحاضرتها مما جعل الهجرة الجماعية الى خارج نجد تشكل المخرج الوحيد من تلك الضائقة الاقتصادية والصحية .^(١)

وبشكل مجئ الجراد مع قلة الأمطار عاملا مهما فى شدة القحط والغلاء مما يدفع بقسم كبير من النجديين الى الهجرة خارجها ففى سنة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م هجعت أسراب كثيرة من الجراد والدباء على زروع نجد وأشجارها ، وأكلت أخضرها ويابسها حيث اشتد القحط والغلاء الذين لم يتحملهما بعض النجديين فقاموا بهجرات الى منطقتى الأحساء والبصرة .^(٢)

والواقع أنه لا تكاد تمر سنة الا ويقوم الجراد والدباء بهجوم كاسح على مزارع نجد مسببا قحطا وغلاء شديدين يلجئان بعض النجديين الى الرحيل عن منطقتهم ، ففى سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م هجم الجراد والدباء على مزارع نجد فأكلها وغلّت اثر ذلك الأسعار ، وفى سنة ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م غزا الجراد والدباء المناطق الزراعية والرعية فى نجد فأقحلت الأرض وهلكت الأشجار وغلّت الأسعار ، ومن هنا فان هجوم الجراد والدباء لا يمكن النجديين من التمتع بنعمة الأمطار رغم كثرتها فى بعض السنين ، ففى

(١) البسام : تحفة ١٧، ١٨، ١٩

(٢) المرجع السابق ٣٧

سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م كثرت الأمطار وأخصبت الأرض الا أن هجوم الجراد والدبابة فيها قضى على أى محاولة للاستفادة من هذا الخصب، على أن شدة البرد ووقوع البرد يعدان حائلين دون تحقيق الفائدة المرجوة من الأرض الرعوية والزراعية، ففي سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م وقع برد كبير وكثيراً تلف زرع عدد من مناطق نجد، وفي سنة ٨٩٤هـ، ٩٥٣هـ / ١٤٨٨، ١٥٤٦م وقع برد فى الصيف أهلك محاصيل بعض المناطق النجدية، وفي سنة ٨٩٩، ٩٦٩هـ / ١٥٦١م تضررت مزارع بعض مناطق نجد من شدة البرد^(١)، وما من شك أن تلك عوامل أخرى جعلت بعضها من النجديين لا يرضى بغير الهجرة الخارجية بديلاً أمام تلك الأزمات الاقتصادية المتعددة.

٢- أنواع الهجرات النجدية:

يمكن القول ان الزراعة فى نجد - كما فى غيرها من المناطق - عامل تكثيف للوجود الحضرى، على أنها فى بعض الأحيان تقوم بدور فاعل فى طرد أهل نجد عنها اذا شحت المياه وتدهورت الزراعة، ومن الطبيعى والحال هذه - أن ييم المضطر الى الهجرة وجهته نحو مناطق الخصب والنماء داخل نجد فى هجرة داخلية، فيما يلجأ بعض الناس الى مناطق الازدهار الاقتصادى الشامل خارج نجد، وقد يكون هدف المهاجر من هجرته داخلية كانت أم خارجية الحصول على قدر ولو محدود من الأمن كان قد فقده فى بلده السابق.

١ - الهجرة الداخلية:

يشكل كبر مساحة نجد، واختلاف أقاليمها وفرة فى المياه وخصوبة فى التربة أسباباً واضحة تدفع بعض النجديين الى البحث عن مخرج لتدهور حالتهم الاقتصادية فى تلك المناطق الغنية - الى حد ما - بالمياه الجوفية

(١) المرجع السابق، ١٨، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤٠، ٤٣

والخصوبة المنتظمة، والقريبة من الوديان الكبيرة في نجد، وهم في هذا يلجأون الى المخرج الأسهل والأقرب ولو لم يكن ذلك بالمستوى الاقتصادي الجيد الذي قد يتحقق لهم في الهجرة الخارجية.

ولعل من المهم هنا أن نشير الى ذلك الحدث التاريخي الذي سبق أن عرضته حينما ترك قسم من أهل العيينة بلدتهم اثر غور آبارها عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م في هجرة داخلية الى منطقة القصيم، ولا يبعد أن تكون هجرتهم هذه تندرج تحت اطار الهجرة الدائمة فمن المتوقع أن يكون هؤلاء قد توطنوا في القصيم واستقروا فيها.

ولئن كان المجال يضيق هنا عن العرض التفصيلي لأحداث الهجرة الداخلية في نجد، والتتبع الدقيق للحركات الاستيطانية للأسر النجدية في بلدان نجد، فضلا عن الشح في المعلومات في هذا السبيل، لئن كان المجال يضيق عن ذلك كله، فمن الضروري الإشارة الى مصدرين من مصادر الامداد البشرية لمنطقة نجد وهما أشيقر وقفار لعلنا أنهما الوحيدتان في هذا الموضوع بل على أنهما مثالان للبلدان والأقاليم النجدية الأخرى التي انطلقت منها هجرات داخل نجد، اضافة الى قدمهما في تلك الهجرات وكثرة الأسر المهاجرة منهما.

أما أشيقر فقد كانت في الأصل لأفخاذ من تميم الا أنها في فترة متقدمة من تاريخها ضمت أسرا متعددة من قبائل شتى، واستطاعت أن تقيّد بلدان نجد الأخرى في تجربتها الحضرية في الاعمار والعلم منذ نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وخلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين عدّت أشيقر أكبر مركز علمي في نجد وهذا ما أتاح لها كثرة في العلماء وزيادة في العلوم، وهو ما أدى بالتالي الى بروز أسر

علمية فيها جعلت أكثر من نصف علماء نجد فترة ما قبل الدعوة ينتمون الى هذا المركز العلمى سواء كان ولادة وتعليما أم تعليما فقط، وما من شك أن وضعها كهذا قد أثمر انتقال قسم كبير منهم الى بلدان نجدية أخرى لسد حاجتها من العلماء فى مجال القضاء والامامة والفتيا والتعليم^(١).

ان اثره أشيقر لمنطقة نجد فى رحيل بعض علمائها بمفردهم أو بأسرهم الى البلدان النجدية الأخرى يعد سمة بارزة فى تاريخ هذه البلدة بـل فى تاريخ نجد عامة، وهو علامة واضحة على الدور الاجتماعى العلمى الفاعل الذى لعبته هذه البلدة فى تلك الحقبة من التاريخ النجدى ذلك أن هجرة العالم - بعد ادراكه - الى بلدان أقل مستوى علمى من بلده التى تلقى العلم فيها لابد أن يترك آثاره العلمية والاجتماعية واضحة فى البلد المهاجر اليها بدءاً أو تنشيطاً للعلم فيها، وتهذيباً للعادات والتقاليد الاجتماعية فيها وفق أحكام الشرع هذا فضلاً عن ازدياد النمو العمرانى والاقتصادى فى تلك البلدة نتيجة لاتجاه الناس اليها للتعليم والفتيا وما الى ذلك^(٢).

من جانب آخر فقد كانت هجرة عدد من الأسر الأخرى من أشيقر

(١) عبد الله البسام: علماء نجد ١/ ١٤، ١٥، د. عبد الله العثيمين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢٥، نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب: مجلة الدارة ع ٣/ س ٣ص، ٣٤، ٣٥، منصور الرشيد: قضاة نجد أثناء العهد السعودى مجلة الدارة ع ٢/ س ٤ ص ١٨، ١٩، ٢٠

(٢) لعل من الأمثلة فى هذا المجال رحيل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام من أشيقر الى القصب فملهم فالعينة لتولى القضاء فيها، ورحيل الشيخ سليمان بن على بن مشرف - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أشيقر الى روضة سدير فالعينة للقضاء كذلك، والملاحظ أن العينة قد شهدت ازدهاراً اقتصادياً وعلمياً فى تلك الفترة (ابن عيسى ٢٠٥، ٢٠٦، البسام علماء ١/ ١٨٧، ٣٠٩، ٣١٠).

عاملا أضفى جانبا من الاتصال الأسرى بين سكان نجد رغم قسوة بعض الأسباب التي دفعت الى هذه الهجرات وهي أسباب تتصف بالدموية أحيانا كما أن هذه الهجرات كانت سببا في تأسيس أو انعاش الحياة العامة في بلدان نجدية أخرى .

ولعل من الأمثلة التاريخية في هذا الصدد حدوث مذبحتين فسي أشيقر عام ١٠٨٤هـ ، ١٠٨٥هـ / ١٦٧٣ ، ١٦٧٤م بين بعض الأسر المتنفذة فيها وقتل فيها عدد من الأشخاص ، وقد أعقب هذين الحادثين - فيما يبدو - قيام بعض الأفراد والأسر بهجرات الى المناطق والبلدان النجدية الأخرى .

وقد خرجت من أشيقر موجات هجرية أسرية كبيرة اثر أحداث قتل بين أهلها حصلت في ربيع الأول ١١٠٩هـ / سبتمبر ١٦٩٧م ، وقد قتل في هذه الأحداث عدد كبير من وجهاء أشيقر وزعمائها ، وهدمت بعض المباني والحصون ، ورغم أن بعض الأسر قد عادت الى البلدة بمجرد سكون الفتنة فان البعض الآخر لم يرجع وتشتت من تبقى منهم أفرادا أو أسرا في البلدان النجدية الأخرى وطاب لهم المقام فيها حيث استقروا استقرارا نهائيا فيها ^(٢) .

وفي عام ١١١٥هـ / ١٠٧٣م حدث مثل ذلك تماما مما دفع ببعض الأسر الى الهجرة من أشيقر ، والتفرق في بلدان نجد الأخرى ، ورغم أن بعضهم قد عاد وانتقم من الذين قاموا بتلك الأحداث حيث قتل عددا منهم فان البعض الآخر لم يعد ورضى بالاستقرار في موطنه الأخير مؤثرا السلامة على تكرار مثل هذه المذابح ^(٣) .

-
- (١) ابن يوسف : أحداث ١٠٨٤ ، ١٠٨٥هـ ، ابن عيسى ٦٥ ، ٦٦ ، البسام تحفة ٧٤ ، ٧٥
(٢) ابن يوسف أحداث ١١٠٩هـ وقد حدد الشهر ، الفاخرى ٨٨ ولم يحدد الشهر وتابعه ابن بشر ٢ / ٢٢٣ ومن حدد الشهر كذلك ابن عيسى ٧٨ ، البسام : تحفة ٨٦
(٣) المنقور ٧٨ ، وأشار الى الحدث باقتضاب هو وابن يوسف فسي (=)

والمطلع على تاريخ هذه البلدة منذ تأسيسها يستطيع الحصول على معلومات جيدة تثرى هذا الجانب سواء فيما يتعلق في ابتداء عمارة بعض البلدان النجدية أم إعادة عمران بعضها الآخر من بعض الأسر التي تعود في أصلها إلى أشيقر أم فيما يتعلق بكثرة الأسر المتحضرة التي تتوزع في مناطق نجد المختلفة ذلك أن هجرة الأسر غير العلمية من هذه البلدة قد فاقت كثرة وتوزعا الأسر العلمية، ونظرة في كتب أنساب حضر نجد تؤكد هذه الحقيقة وتوضحها. (١)

(٢)

أما قفار فقد كانت أكبر بلدان منطقة شمر منذ القرن الثامن الهجري إلى منتصف القرن الثالث عشر تقريبا حينما بدأت تتضاءل مكانتها أمام مكانة حائل السياسية والعمرانية في المنطقة، ولعل من أبرز العوامل التي ساعدت

(=) أحداث هذه السنة، وكذا فعل الفاخرى ٩١ وابن بشر ٢/ ٢٢٦، ابن

عيسى ٨٤، ٨٥، البسام: تحفة ٠٨٨.

(١) مما يمكن أن يندرج تحت هذا الموضوع إعادة عمران آل صقيه من وهبة

تميم من أشيقر للقرينة - قريبا من حريمل - سنة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ م،

وكذا عمران آل صقيه للرس في حدود ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ثم بيعه

على آل أبي الحصين سكانه حاليا، ثم عمران آل صقيه كذلك لقفار

بعد خروجهم من الرس، وكذلك عمارة الشبارمة من وهبة تميم من

أشيقر لبلدة سميرا - جنوب حائل - في حوالي القرن العاشر الهجري

السادس عشر الميلادي، عن هذه المعلومات وعن توزع بعض أسر

أشيقر في مناطق نجد انظر (ابن ربيعة ٧٧، الفاخرى ٨٤، ابن

بشر ٢/ ٢٢٠، ابن عيسى ٧٥، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، البسام:

تحفة ٨٣، الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١/ ٤٨،

١٤٧، ١٥٦، ١٦٤، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٥، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٩٠ -

٢/ ٤٩٢، ٥٦٣، ٥٦٨، ٥٨٨، ٦٢٥، ٧٠٠، ٧١٦، ٧٥٧، ٩٢٦،

٩٧٩.

(٢) تقع قفار جنوب حائل بحوالي ١٥ كيلا شرقي سلسلة جبال أجا وتنقسم

إلى قسمين ١- بدائع قفار وهي الكبيرة وسكانها من بني تميم وخالطهم

بعد ذلك غيرهم وهي المقصودة هنا ٢- نقرة قفار وسكانها من شمر،

وقد أصبحت الآن إحدى ضواحي حائل (الجاسر: شمال المملكة،

المطابع الأهلية، نشر دار اليمامة ٣/ ١١٠٩).

بلدة قفار على أن تكون لها تلك المكانة الشبيهة بمكانة أشيقر تشابه هاتين البلدين في الأصل السكاني إذ أن سكان قفار تميميون مثلهم في ذلك مثل سكان أشيقر، وقد استمدت هاتان البلدتان نمو مكانتهما الاجتماعية الحضرية في نجد من أهمية قبيلة تميم المشهورة بكثرتها العددية، ونزعتها القديمة إلى التحضر والاستيطان، وحب الزعامة، وكثرة الهجرات الداخلية والخارجية التي أثمرت أعمار بعض البلدان النجدية واكتار الأسر العائدة لتمييم داخل نجد وخارجها^(١).

على أن لأشيقر فضل السبق في نزوح كثير من الأسر التميمية منها إلى داخل نجد وخارجها، ومن هنا فإن كثرة المنتميين لتمييم في قفار نفسها منشأه مجيء بعض الأسر إليها من أشيقر، وسواء كان الوجود التميمي في قفار سابقا لهجرات بعض التميميين من أشيقر أم كان اثر تلك الهجرات، فقد كان للأسر القادمة من أشيقر الدور الفاعل في كثرة بني تميم في قفار، والانسياح بعد ذلك في هجرات أسرية لأعمار بلدان في منطقة الجبل والمناطق المجاورة لها^(٢).

ومن الطبيعي أن تتجه الأسر التميمية من قفار لتحقيق هدفها العمراني نحو المناطق القريبة لها سواء لتأسيس بلدان جديدة أو إعادة عمران ما اندثر من بعضها في منطقة الجبل نفسها أو المناطق القريبة منها كالقصيم مثلا إذ أن ذلك أسهل لها حتى إذا لم يتح لبعضها تحقيق هذا

(١) د. عبد الله العثيمين : المرجع السابق ١٤

(٢) من أبرز الأسر التميمية القادمة من أشيقر إلى قفار مروراً بالرس آل صقيه، والشبارمة الذين قدموا من أشيقر وتوطنوا فترة في الخبراء في القصيم ثم رحلوا إلى قفار وهاجروا منها إلى سميرا التي تكاثروا فيها وأصبحت أمارتهم فيهم ومنها - فيما بعد - رحلت أسر شبرميقة إلى القصيم (عبد الله بن صقيه : بنو تميم في بلاد الجبلية، المطابع الأهلية بالرياض، نشر دار اليمامة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٧١، ٨٧).

الهدف الأسهل تحت أى سبب من الأسباب ولت وجهتها نحو المناطسق
الأخرى من نجد وربط خارج نجد أحيانا .

وبدءا بمنطقة الجبل فقد كانت على وجه الخصوص مسرحا لهجرات
عدد كبير من الأسر التيمية ذات الأصل القفارى ، ومن هنا فان جل من فى
بلدان هذه المنطقة من بنى تميم ان لم يكن كلهم قد نزحوا من قفار ، وهذا
ما أعطى الوجود القبلى التيمى فى الجبل كثافة أكثر من ذى قبل مما جعله
يزاحم القبائل والأفخاذ العائدة لطىء سواء القديمة منها كقبيلة لام أم الحديثة
(١)
كقبيلة شمر .

(٢) (٣)
وتعد المستجدة من أقدم بلدان جبل شمر التى نزحت اليها بعض
الأسر التيمية من قفار حيث أسستها إحدى الأسر من بنى عمرو بن تميم اثر
رحيلها من قفار حتى اذا كبرت وازدهرت رحلت اليها أسر تيمية أخرى من
قفار ومن منطقة سدير ، ويبدو أنها بلغت من القوة والنمو الاقتصادى حدا
(٤)

-
- (١) ابن صقيه : المرجع السابق ٦٢ ، ٦٣ .
(٢) تقع المستجدة جنوب حائل وتبعد عنها ١٢٥ كيلا ، وهناك مستجدة
أخرى من موارد قبيلة حرب تبعد عن حائل ٣٠٠ كيلا جنوبا ، ومستجدة
صفيط بلدة تنسب الى وادى صفيط وتبعد عن حائل ٢٧٠ كيلا
جنوبا غربا ، والمستجدة هجرة فى منطقة الدوادمى (حمد الجاسر :
المرجع السابق ٢ / ٣٠٧٨١ ، ١٢٢١ / ١٢٢٢ ، مقدمة المعجم
الجغرافى ١١٥١ / ٢ ، ابن صقيه ٥١ - ٥٦) .
(٣) تشير هجرة بعض أسرة آل سعدى من المستجدة الى عنيزة عام
١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ م الى تاريخ عمران هذه البلدة اذ من المتوقع
أنها لم ترحل الا بعد ازدياد عدد الأسر التيمية فيها ، وينمى
يتفق البسام والقاضى على هذا التاريخ يذكر البسام أن رحيل الأسرة
من المستجدة الى عنيزة ، ويذكر القاضى ان رحيلها كان من قفار
الى عنيزة وأسرة السعدى لازال لها بقايا فى المستجدة والوسيطا
(البسام : علماء نجد ٢ / ٤٢٢ ، القاضى : روضة الناظر -
٢١٩ / ١ ، ابن صقيه ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥) .
(٤) من أبرز من انتقل من تميم سدير الى سميرا فالمستجدة أفراد ممن
أسرة المنقور من بنى سعد من زيد مائة بن تميم الذين انتقلوا بعد
(=)

جعلها تنافس قفار في بعض الفترات .

(١)

على أن بلدة السبعان تعد كذلك من البلدان القديمة في هذه المنطقة وقد تم انشاؤها عن طريق أسرة تميمية هي أسرة آل مفيد من بني عمرو ابن تميم اثر رحيلها من قفار^(٢) ، وقد ازدهرت وكثرت الأسر التميمية فيها حتى اضطر قسما منها الى الرحيل الى منطقة القصيم والى المناطق الأخرى خارج نجد^(٣) .

وقد اندفعت موجات هجرة أسرية من تميم قفار في فترات مختلفة فعمرت بلدانا أخرى في منطقة الجبل ففي مطلع القرن الحادى عشر الهجرى خرج أحد أفراد أسرة آل عمير من بني عمرو بن تميم من بلدة قفار واتجه الى موقع بلدة الروضة^(٤) وبدأ مزاولة الزراعة حتى أصابه قبول فيها فوفد عليه بقية أسرته وأقاربه وجاوروه فيها بعض الأسر من القصيم حتى نمت البلدة وازدهرت وعدت من المراكز التميمية في منطقة الجبل^(٥) .

(=) ذلك الى الوسيط ، وهم يضيفون يا النسب فيعرفون بالمنقورى تميزا لهم عن منقور سدير (ابن صقيه ٥٥ ، ومقابلة شفوية مع أحد هم) .

(١) تقع السبعان أسفر واد يحمل الاسم نفسه غرب جبل سلمى على بعد ٧٥ كيلا جنوب حائل (الجاسر : شمال المملكة ٦٥٢/٢ - ٦٥٤ ، ابن صقيه ٢٠ - ٣٣) .

(٢) ابن صقيه ٢٦ (٣) المرجع السابق ٣١

(٤) تقع الروضة جنوب حائل على مسافة ٧٥ كيلا (الجاسر : المرجع السابق ٦٠٩/٢ ، ابن صقيه ٤١ - ٤٣ ، عبد الرحمن السويداء ملاحظة حول مبعث الروضة في كتاب الجاسر السابق نشرها في مجلة العرب ج ٨٠ ، سنة ١٤ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦ وذكر فيها انها تبعد عن حائل ٨٧ ميل نحو الجنوب الشرقى عنها) ولعل هذا أقرب لان السويداء من اهل الروضة .

(٥) ابن صقيه ٣٤-٤٤ وقد ذكر فيها أن ابتداء تأسيسها في مطلع القرن الحادى عشر الا أن السويداء ذكر في ملاحظته السابقة والتي نقل بعضها ابن صقيه أن تاريخ انشائها كان في نهاية القرن الثانى عشر فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد حينما استقطع موضعها أحد رجاله من شمر وباعها على حمود بن سليمان التميمى من آل عمير من بني عمرو .

وفى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى هاجرة أسرة الشبارمة التميمية من قفار حيث تمكنت من تأسيس واعمار بلدة سميراء^(١)، وذلك اثر رحلة من أشيقر الى القصيم فقفار استغرقت مائة وخمسين سنة قبل أن تحط عصا الترحال فى سميراء التى عرفت فيها هذه الأسرة وتكاثرت بعد نمو البلدة وازدهارها ورحيل عدد من الأسر التميمية من بلدان الجبل وغيرها فضلا عن مساكنة بعض الأسر من القبائل الأخرى التى أصبحت لها مكانة اجتماعية مرموقة فى سميراء لا تقل عن مكانة الشبارمة^(٢)، واثرت تكاثر هذه الأسر التميمية رحل قسم منها الى بلدان أخرى فى منطقة الجبل، ومناطق أخرى خاصة منطقة القصيم^(٣).

وتتوالى حالات الهجرة التميمية من قفار لاعمار عدد من بلدان الجبل ابتداءً أو إعادة عمران، فبلدة موق^(٤) الزراعية القديمة أعادت عمرانها أسر من

(١) سميراء بفتح السين بلدة قديمة ذكرها الجغرافيون المسلمون وذكر ابن بليهد أنها قسمان للشبارمة والجلعيد وهى تقع جنوب حائل وتبعد عنها ١٣٠ كيلا تقريبا وهناك سميراء أخرى قرب البجادية بعالية نجد (الحسن الأصفهاني: بلاد العرب ٣٣٧، ٥١، الهمداني: صفة جزيرة العرب ٢٨٦، ٣٣٧، الحرى: كتاب المناسك ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١١-٣١٦، ٥٥١، ٥٥٢، البكرى: معجم ما استعجم ٣/٧٥٧، ياقوت ٣/٢٥٥، ٢٥٦، ابن بليهد: ماتقارب سماعه وتباينت أماكنه ويقاعه ٩٢، الجاسر: شمال المملكة ٢/٦٩٣-٦٩٥، ابن صقيه ٦٨-٧٣).

(٢) هم الجلعيد من الدهامشة من عنزة وقد تولى بعض أفرادها إمارة سميراء مما يدل على قوة مكانة هذه الأسرة فيها، وهى منتشرة فى عدد من بلدان نجد وكذا الاحساء (ابن صقيه ٧١، ٧٢، الجاسر: الجمهرة ١/١١٥).

(٣) الجاسر: المرجع السابق ١/٤٤٢، ابن صقيه ٧١.

(٤) موق: بفتح الميم وسكون الواو بلدة قديمة كذلك ذكرها الجغرافيون المسلمون على أنها ذات نخل وزرع وتقع فى السفح الغربى لأجسا غرب قفار وتبعد عن حائل ٧٥ كيلا غربا، وقد تعرضت لغزوات القادة الأتراك فى نجد عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م ويوجد فيها غير بنى تميم أسر من شمر (البكرى ٤/١١١٦، ١٢٧٩، ياقوت ٥/٢٢٦، ابن بشر ١/٣٠٧، الجاسر ٣/١٢٨٨-١٢٩٠، ابن صقيه ٧٥-٧٧).

(١) تميم رحلت من قفار في فترة متقدمة ، كما أن قصر العشروات أسسته أسـر من بنى عمرو بن تميم في رحلتها الاستيطانية التي بدأت من قفار منذ القرن العاشر الهجرى تقريباً ، إضافة الى الدور الذى لعبه آل صقيه فى اكتسار الوجود التميمي فى منطقة الجبل وحائل على وجه الخصوص حينما رحلوا من أشيقر وعمروا بلدانا فى القصيم وواصلوا رحلتهم الى قفار ومنها رحل قسم منهم الى حائل وبعض بلدان الجبل ، وعاد قسم الى القصيم ورحل قسم آخر خارج نجد . (٤)

ولم تقتصر حالات الهجرة التيممية المنطلقة من قفار والهادفة لاعمار بلدان جديدة ، لم تقتصر تلك الحالات على منطقة الجبل بل انطلقت بعض الأسر من هذه البلدة الى مناطق أبعد من ذلك داخل نجد ففى القرن السابع الهجرى تقريباً / الثالث عشر الميلادى هاجر من قفار جدان مشهوران ينتمى اليهما فرعان من أكبر الفروع التيممية وهما مزروع بن رفيع بن حميد جد آل مزروع مفيد جد آل مفيد وهما من بنى عمرو بن تميم ، واشترى — مزروع موضع روضة سدير وعمرها وتداولته ذريته من بعده ، ومعروف أن منطقة سدير

-
- (١) ابن صقيه ٧٥ .
(٢) قصر العشروات بضم العين وسكون الشين وضم الواو وتشديد الواو مع فتحها جمع عشر يقال فى سبب تسميته أنه كان فى عهد العثمانيين مركزاً تستوفى فيه رسوم البضائع الواردة الى حائل بنسبة العشر ، وهو بلدة تقع شرق أجا وتبعد عن حائل ٣٥ كيلاً جنوباً (الجاسر : ١٠٩٩ / ٣ ، ١١٠٠ ، ابن صقيه ٧٩ - ٨١) .
(٣) ابن صقيه ٧٩ ، ٨٠ .
(٤) المرجع السابق ٨٦ ، ٨٧ ، الجاسر : الجمهرة ١ / ٤٩٠ - ٤٩٢ .
(٥) حدد الشيخ حمد الجاسر فترة مزروع التقريبية القرن السابع بينما ذكر الشيخ يوسف المبارك فى نسب آل مبارك أهل الأحساء من بنى مزروع أن ذلك كان فى القرن الثامن وقد نشر ذلك فى مجلة العرب (ج ٩ ، ١٠ ، السنة الثامنة ص ٦٦٧) وقد نقل عنه ذلك الجاسر فى الجمهرة (٢ / ٧٧١ - ٧٧٢) .

من مناطق تميم قبل الاسلام وبعده ، فهذه الهجرة ما هي الا عودة للمناطق التيممية السابقة^(١) ، وقد تكاثرت الأسر العائدة للفرع المزروعى فى منطقة سدير ، ورحل قسم منهم الى خارج نجد^(٢) ، أما مفيد فأغلب المصادر قد أشارت الى مرافقته لمزروع فقط بينما المح أحد مؤرخى نجد الى أن لآل مفيد بقية فى سدير ، وليس من المعروف لدى هل توطن فى سدير فترة ثم رحل أو رحل عقبه أو بعض منهم الى منطقة الجبل حيث لازال هناك أسر فى هذه المنطقة وفى منطقة القصيم تنتسب اليه^(٣) .

ولقد كان اثراء بلدة قفار لمنطقة نجد بالأسر التيممية كبيرا وشاملا ففوق ما ذكر انتشرت من هذه البلدة عدة أسر تيممية فى بلدان أخرى فى منطقة الجبل ومنطقة القصيم ، وسدير ، والزلفى ، وجنوب نجد ، والاحساء والكويست والعراق ، ومن هنا يمكن أن تعد قفار المركز الحضرى الثانى بعد أشيقر اذ كان دورهما كبيرا فى اثراء وتكثيف الوجود الحضرى فى نجد وخارجها وفاقنا فى ذلك الدور الذى لعبته بعض البلدان بسبب قوتها السياسية فقط كالعبينة مثلاً^(٤) .

وعلى أى حال فالهجرة الداخلية فى نجد تعد عاملا مهما أضفى وحدة اجتماعية لمنطقة نجد . صلة فى النسب ، وتماثلا فى العادات والتقاليد

-
- (١) يذكر الشيخ المبارك أن قسما من آل مزروع سكن الروضة وقسما سكن قارة سدير المعروفة بصباحا وسط وادى سدير (مجلة العرب العددان السابقان ٦٦٧ ، الجاسر : المرجع السابق ٢/ ٧٧٢) .
- (٢) من أبرز من رحل خارج نجد قاسم بن حمد جد آل مبارك فى الاحساء كما رحل قسم الى حوطة بنى تميم فازداد بذلك الوجود التيممى فى جنوب نجد (مجلة العرب : العددان السابقان ٦٦٧ ، الجاسر ٢/ ٧٧١ ، ٧٧٢)
- (٣) ابن بشر ٢/ ٢٠٨ ، ابن عيسى ٥٦-٥٨ ، البسام : تحفة ٦٧ ، الجاسر ١/ ٢٠٧٢ ، ٢/ ٣٦١-٣٦٦ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٨١١-٨١٤ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ابن صقيه ٢٠ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٧٨ ، وقد أشار ابن لعبون فى تاريخه المطبوع (ص ٢٢) الى أن لمفيد عقبا فى سدير ، ولم يشر الى مصيرهم فيها .
- (٤) الجاسر ١/ ٧٢-٧٧ ، ١٨٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢/ ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٨٨٦ ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

سواء كانت هذه الهجرة من أشيقر أم من قفار أم من غيرهما ، وسواء قامت بها أسر تيمية أم أسر من قبائل وأفخاذ أخرى ، ولعل كون هذه الهجرة كذلك من نوع الهجرة الدائمة المستقرة في الغالب مما أعطى تلك الوحدة قوة أكثر من قبل خصوصا وأنها تزامنت مع حركة الأعمار التي مرت بها البلدان النجدية في تلك الفترة وهي حركة جعلت الأسر المؤسسة لهذه البلدان تستقر وتتكاثر فيها مع عدم نسيان مكان سكنها الأول أو أصولها الأسرية السابقة .

ب - الهجرة الخارجية:

رغم حرص كثير من النجديين على عدم النأي عن منطقة نجد الواسعة والاقترار في هجراتهم على البلدان النجدية المعروفة أو إقامة بلدان جديدة في مواقع يهاجرون إليها حرصا من هؤلاء على عدم الاغتراب عن نجد ، رغم ذلك كله فإن قسما لا يستهان به من أهل نجد قد لجأ إلى الهجرة الخارجية يدفعه إلى ذلك الاستقرار النسبي في الحياة السياسية والأمنية ، وازدهار الحياة الاقتصادية في بعض البلدان المجاورة وغير المجاورة مقارنة بمنطقة نجد .

وكما كانت منطقة الخليج العربي والعراق مجالا حيويا للتحرك العلمي والتجاري للنجديين ، فقد كانت من جانب آخر أماكن جذب لبعض النجديين الذين قد لا تكون التجارة ولا العلم دافعهم الوحيد للهجرة الخارجية ، إذ أن البحث عن مجالات عمل أخرى غير التجارة ، والحصول على موطن أكثر أمنا من نجد تعد أسبابا مباشرة يتعلل بها بعض النجديين للخروج من نجد ، والبعد عن الاكتواء بنار أوضاعها التي تزداد سوءا بين فترة وأخرى في مختلف مجالات الحياة .

ولعل من أهم البلدان التي هاجر كثير من النجديين إليها على فترات مختلفة بلدة الزبير جنوب غرب العراق والتي كانت إلى وقت قريب مكانا لرحيل النجديين إليه لا للتعلم والتجارة فحسب بل للعمل المتنوع فيها ، والاندماج في الأسر النجدية المقيمة فيها منذ أمد طويل ، وهذا ما جعل

الزبير في فترة متقدمة من تاريخها والى الوقت الحاضر تضم أكبر جاليـة نجدية لا في منطقة الخليج العربي والعراق فقط بل خارج نجد بشكل عام وهي جالية لم تنس أصولها النجدية نسبا أو بلدانا رغم استقرار بعض الأسر النجدية قديما فيها^(١).

وتشكل أسباب وأحداث ونتائج الهجرة النجدية الى الزبير خاصة مجالا رحيا يمكن بها اثراء وتوسيع جوانب البحث في هذه الهجرة سواء كان ذلك قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أم بعد قيامها وانتشارها وشمول آثارها الواضحة منطقة نجد بشكل عام حينما جدت أسباب أكثر الحاحا على هذه الهجرة، وبرزت أحداث أكثر تفصيلا لجوانب تلك الهجرة، ومن هنا فان من الضروري هنا الاكتفاء بعرض أمثلة لاحداث تلك الهجرة خلال فترة هذا البحث^(٢).

في سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م كانت الزبير من أهم البلدان التي هاجر اليها قسم كبير من النجديين بنسائهم وأولادهم اثر قحط عظيم وغلاء فاحش حل بنجد نتيجة قلة الأمطار وقد صاحب ذلك وقوع أمراض مستعصية عند حضر نجد وباديتها أهلكت مجموعات كبيرة منهم مما جعل الهجرة الخارجية

(١) يوسف البسام: الزبير قبل خمسين عاما ١٠٢، والواقع أن هجرات الزبيريين المعاكسة الى نجد في فترات الرخاء تعكس حرصهم على استمرار العلاقة مع أصولهم النجدية كلما لاحت في الأفق بسواد

انفراج للحالة الاقتصادية في نجد، وخاصة عندما تكون هذه الحالة الاقتصادية الجيدة قد استقرت فترة واخذت في النمو، ولعل الهجرات الكبيرة العائدة الى نجد في الآونة الأخيرة تؤكد هذه الحقيقة.

(٢) يمكن اعتبار معاداة بعض حضر نجد للدعوة في بداية انتشارها عاملا دفع بهم الى الهجرة سواء للزبير أم لغيرها مثل ما حصل من بعض بادية نجد كذلك وسواء كانت هذه الهجرة بمحض اختيارهم أم عن طريق الاجلاء القسري من أئمة الدعوة بعد أن ثبت عدم ولائهم للدعوة ودولتها وعلى سبيل المثال انظر (الفاخرى ١١٨، ابن بشر

الحل الوحيد للخروج من هذه الأزمات المتنوعة^(١).

وقد ازداد الوجود النجدي في الزبير بهجرة عدد كبير من النجديين إليها عام ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م حينما تكرّر ما حدث في السنة السابقة وعسدت تلك السنة من سنى الجوع والشدة إذ مات فيها كثير من الناس جوعاً نتيجة شح أو انعدام المواد الغذائية في أغلب بلدان منطقة نجد ، حيث أطلق النجديون على تلك السنة (بلادان) مبالغة في كون القحط والغلاء والجوع قد عم البلاد النجدية^(٢).

وفي الفترة من ٦٤ إلى ١٠٦٦هـ/ ٥٣ إلى ١٦٥٥م مر على منطقة نجد قحط شديد ألجأ قسماً من النجديين إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى الزبير ضمن بلدان أخرى ، وقد بلغت شدة هذا القحط واستفحال الجوع فيه أن مات عدد من الناس جوعاً ومن بقي منهم لم يجد ما يسد رمقه إلا جيف الحيوانات والجلود بعد حرقها ، وليس من المستبعد أن يشمل ذلك جيف الحيوانات الحلال والحرام أكلها من باب الضرورة القصوى^(٣).

(=) ١ / ٨٨ ، ابن عيسى ١١٧ ، البسام : تحفة ١٢١ ، يوسف البسام : المرجع السابق ٦٣ ، ٦٤) .

(١) البسام : تحفة ١٩ .

(٢) المنقور ٤٣ ، ٤٤ وقد أشار إشارة موجزة لهذا القحط ولم يشـر للهجرة ، وكذا فعل ابن ربيعة ٦٠ ، ٦١ ، وابن يوسف ، وابن عباد في أحداث السنة المذكورة ، الفاخري ٦٨ ، ٦٩ ، ابن بشر ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ابن عيسى ٥٤ ، البسام : تحفة ٦٤ وذكر فيها تلك الهجرة ، ومن الأدلة على شمول هذا القحط والغلاء معظم قديم قافلة لجساس شيخ آل كثير من بني لام للامتيار من نجد فلم تجد طعاماً يباع في بعض بلدانها .

(٣) المنقور ٥٠ وذكر أن هذا القحط ابتدأ ٦٥ وانتهى ١٠٦٦ وعرض له بايجار شديد ، ولكنه رجح في النسخة المخطوطة أن بدايته آخر ٦٤ وبداية ١٠٦٥هـ ، ابن ربيعة ص ٦٣ وذكر أنه عام ١٠٦١هـ ، وذكره الفاخري عام ٦٥ متردداً بين هذا العام وعام ٦١ ، بينما ذكر ابن بشر ٢٠٩ / ٢ أنه عام ٦٣ ، وذكر ابن عيسى أنه عام ٦٥ ، أما البسام الذي الذي ذكر تفاصيل أضرار هذا القحط وهجرة بعض النجديين فيه فقد حدده من عام ٦٤ إلى ١٠٦٦ ، وهذا القحط هو المسمى (هيران) .

ورحلت مجموعة نجدية الى الزبير فى عامى ١٠٨٦، ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ ،
١٦٧٥ م حيث عانت نجد نهاية قحط شديد أكل الناس فيه كسابقه الجيف ،
ورغم أنه عام ١٠٨٦ هـ هطلت أمطار أعشبت الأرض اثرها الا أن الغلاء بقى
على حاله بسبب ندرة الأقوات وامتداد آثار القحط السابق لتلك السنة كذلك
مما جعل هجرة النجديين تبدو متساوية مع التى قبلها^(١) .

وخلال القحط الشديد الذى مربنجد ومناطق أخرى من شبه
الجزيرة والمسمى (سمدان^(٢)) هاجر قسم من النجديين الى الزبير وغيرها
من البلدان ، ومما ضاعف فى نسبة المهاجرين خلاله أنه استمر عدة سنوات من
١١١٤ هـ الى ١١١٨ هـ / ١٧٠٢ الى ١٧٠٦ م ، ومبرماحل كانت أشد
وطئا ، وكل مرحلة مهاجر فيها مجموعة من النجديين^(٣) .

وماكاد النجديون يفيقون من آثار ذلك القحط السابق حتى عـم

(١) المنقور ٥٤ ، وعلى عادته أشار الى هذا القحط المسمى جرمان بذكر
اسمه فقط ، وكذا فعل ابن يوسف ، ولم يذكر ابن عباد هذا القحط
باسمه هذا بل ذكر أنه ضمن القحط المسمى جرمان عام ١٠٨٦ هـ ،
الفاخرى ٧٦ ، ابن بشر ٢ / ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن عيسى ٦٦ ، ٦٥ ، ولم
يذكر هؤلاء المؤرخون الهجرة بينما ذكرها البسام فى التحفة
وأكد حصولها فى هذين العامين على التوالى : ورقة ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) من معانى السمود فى اللغة الذهاب والهلاك . (الزبيدي باب
الدال فصل السين) .

(٣) المنقور وقد حدد بدايته سنة ١١١٥ هـ مؤكداً أن شدته عام ١٦ ، وذكر
ابن ربيعة أنه عام ١٤ وسماه سمدان العوازم مما يشير الى تضرر
هذه القبيلة أكثر من غيرها ، الفاخرى وذكره عام ١٤ هـ وأن شدته عام
١٥ ، وتابعه ابن بشر ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ابن عيسى ٨٣ وسماه القحط
والبلاء العظيم وأنه عام ١٤ وذكر له شدتين عام ١٥ ، ١٦ ، وأكد
البسام فى التحفة ورقة ٨٨ حدوث هجرة كبيرة من النجديين الى
الزبير والبصرة والاحساء .

المنطقة قحط آخر عام ١١٢٨هـ / ١٧١٥، حيث غارت فيه الآبار وشحست اثر المواد الغذائية مما رفع أسعار القليل الموجود منها وهلك قسم من النجديين جوعاً، وقسم هاجر الى الزبير ضمن عدد من بلدان شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق، وكان استمرار هذا القحط الى سنة ١١٣١هـ / ١٧١٨م عاملاً آخر كف من هجرات النجديين الى هذه البلدان وخاصة الزبير^(١).

وتعد السنة التي سبق ذكرها وهى الأكثر غوراً فى بعض مناطق نجد (١١٣٦هـ / ١٧٢٣م) من أهم سنى الشدة التى ضرب النجديون فيها رقماً قياسياً فى الهجرة عن منطقتهم الى خارجها، واذ ورد ذكر الزبير فى أول البلدان التى هاجر النجديون اليها فى هذه السنة فالمعتقـد أن هجرتهم اليها - بشكل خاص - كانت ينسب تفوق نسبة المهاجرين الى غيرها من بلدان شرق شبه الجزيرة وجنوب غرب العراق^(٢).

وليست الأسباب الاقتصادية هى الوحيدة التى دفعت بعض النجديين الى الرحيل خارج نجد كما مر وان كانت أهمها، فالى الزبير على سبيل المثال هاجرت بعض الاسر بسبب ضعف الناحية الأمنية التى نجمت عن بعضها حوادث قتل، ومن الأمثلة فى هذا الصدد رحيل آل وطبان الى الزبير بعد أن قتل وطبان ابن ربيعة بن مرخان ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان سنة ١٠٦٥ / ١٦٥٤م فهرب الى هذه البلدة خوفاً من أن يلحقه ثأر، وأصبح لهذه الأسرة مكانة اجتماعية مرموقة فى الزبير أهلتها لتولى الرئاسة فيها فى بعض الفترات، كما

(١) ابن عباد : أحداث عام ١١٢٨هـ، ١١٣٠هـ، الفاخرى ٩٦، ابن بشر

٢ / ٣٣٢، البسام : تحفة ٩٤.

(٢) الفاخرى ٩٩، أوراق تاريخية للشيخ عثمان بن منصور : أحداث عام

١١٣٦هـ، ابن بشر ٢ / ٢٣٥، ابن عيسى ٩٦، البسام : المرجع

السابق ٩٨.

(١)

برز منها علماء وشعراء.

ان هذا العرض لبعض أحداث الهجرة النجدية الى الزبير ليس الا على سبيل المثال فحسب على أساس وجود أكبر جالية نجدية فيها، ونظرا لضيق المجال عن عرض أمثلة لهجرات النجديين الى البلدان الأخرى التي وجدت فيها جاليات نجدية بنسب لا بأس بها وان لم تصل الى نسبة الوجود النجدى فى الزبير، ومن هنا فان الزبير والاحساء والبصرة تعد أماكن ثلاثة كثف النجديون من هجرتهم اليها بسبب القرب المكانى لها من نجد، وبسبب التواضع الاجتماعى القديم بين نجد وهذه البلدان، اذ أن تلك الأحداث التى سبق ذكرها وغيرها من الأحداث السابقة والتالية لها قد زرد فيها ذكر هذه البلدان الثلاثة كمهاجر للنجديين، اضافة الى الكويت التى بدأ بعض النجديين كذلك يفضلون الرحيل اليها بعد أن تأسست وتبوءت مكانة اقتصادية بين بلدان المنطقة، كما أن لبغداد نصيب من هجرة أعداد من النجديين اليها اما ابتداء أو بعد الاستقرار فى البصرة على أن منطقة الحجاز والشام ومصر والهند كانت هى الأخرى مراكز هاجر اليها بعض النجديين وفضلوا البقاء والاستقرار فيها مما ليس هنا مجال التفصيل فيه. (٢)

(١) المنقور ٤٩ وأشار بايجاز الى حادث القتل، ابن ربيعة ٦٤، الفاخرى ٧٢، ابن بشر ٢/٢٠٨، ابن عيسى ٣٨-٤٠، البسام: ١٠، ١٢، ٦٩، خالد الفرج: دويان النبط ١/١٨٢، الجاسر: الجمهرة ١/٣٠١، ٩٢٦/٢ - ٩٣١، البسام: الزبير ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ٣٠٩.

(٢) ان نظرة عامة فى كتب أنساب النجديين عدا الأحداث التاريخية تعطى تصورا عن وجود عدد من الأسر النجدية فى هذه المناطق وعلى سبيل المثال أنظر: (ابن عيسى ٣٤، ٣٥، ٥٧، ١٣٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٢٧، الجاسر: الجمهرة ١/١٧، ١٩، ٣٥، ٤٢، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠١، ١١٥، ١٢٥، ١٥٢، ١٧٢، ٢٠١، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٨٩، ٤١٦، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٢).

وعلى أى حال فقد ظلت الزبير البلد الأكثر تفضيلا لدى النجديين فى هجراتهم الخارجية، وان أوضح معطيات تلك الأحداث وغيرها مما حفلت به كتب التاريخ والمرويات الشعبية الى وقت قريب أن الزبير تعد البلد الوحيد الذى لا تخلو سنة من سنوات الشدة التى كانت تمر بها نجد من حالة أو أكثر من حالات الهجرة اليها سواء كانت هذه الهجرة أسرية أم فردية^(١).

ويعد : فان أبرز ملامح هجرات النجديين الخارجية كونها تعتمد عامل وجود أو تكثيف للعنصر النجدي والعربى فى المناطق المهاجر اليها، وعامل تشابه بين العادات النجدية وعادات تلك المناطق، فهى بالتالى تشكل مصدر عون وتسهيل لأى محاولة تجعل هدفها التوحيد ولم الشمل أو التعاون فى أى مجال من مجالات الحياة المختلفة، وتتسم هذه الهجرة بسمات الهجرة المستقرة أحيانا وغير المستقرة أحيانا أخرى، على أنها من جانب آخر كانت عاملا بارزا أدى الى انخفاض ملحوظ فى عدد السكان فى نجد يمكن أن يضاف الى الانخفاض الذى يحصل من كثرة حالات الوفاة فى تلك الفترة، علاوة على أن حالات التعويض عن هذا الخلل السكانى قليلة فيما عدا بعض حالات الهجرة الحضرية من خارج نجد اليها وهى حالات محدودة لا توازى تلك الحالات الكبيرة من الهجرة الخارجية، الا أن وجود بعض حالات التحول من البداوة الى التحضر قد ساهم فى سد بعض جوانب هذا النقص، وهى حالات قد عرفت لها منطقة نجد فى فترة متقدمة من تاريخها الى الوقت الحاضر.^(١)

(١) لعل مما ينبغى الإشارة اليه هنا رحلة حميدان الشويعر للعمل فى مزارع الزبير والبصرة (خالد الفرج ١٤/١) والواقع أن عددا كبيرا من الأسر النجدية قد وجد لها منتعمون فى الزبير أفرادا وأسرًا وللتمثيل أنظر: (أبن عيسى، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٨، ١٥٦، ١٦٠، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦، الجاسر ١/٢٢، ٢٩، ٦٧، ٨٧، ٩٩، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٤، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٢٨، ٤١٠، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٩٣).

(٢) لقد عرفت نجد فى تلك الفترة وما بعدها عددا من الأسر التى تحولت الى التحضر سواء كانت تنتمى الى القبائل البدوية النجدية أم الى القبائل البدوية من المناطق المجاورة، على أن أبرز هجرة حضرية من خارج نجد اليها هى هجرة آل عفالق عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م من

.....

(=) الاحساء الى نجد التي تكاثروا فيها وأسسوا أو ساهموا بتأسيس بعض البلدان فيها فيما بعد ، حيث تفرعت منهم بعد ذلك عدد من الأسر، وقد بقي لهم في الاحساء بقايا لازالوا محتفظين باسمهم السابق ، والواقع أن آل عفالق وجودا سابقا في نجد فالشيخ عبد الله بن عفالق كان قاضيا للعيينة ومن كبار علماء نجد وتوفى في العيينة سنة ١٠١٩هـ / ١٦١٠م . (المنقور : النسخة المخطوطة وانفرد بذكر وفاة ابن عفالق عام ١٠١٥هـ ، ابن ربيعة ٨٢ ، ٥٨ ، الفخرى ٩٧ ، ٦٥ ، وأشار الى أن آل عفالق قد أجلسوا من الاحساء ، ابن بشر ١٩٦ / ٢ ، ابن عيسى ٩٣ ، ١٠١ ، البسام : تحفة ٩٦ ، ٥٦ ، ١٠٤ ، البسام : علماء نجد ١ / ١٦٣ ، ٢ / ٥٩٧ ، ٨١٨ / ٣ ، الجاسر : الجمهرة ٢ / ٦٠٢ - ٦٠٤) .

الفصل الثاني

نظرات المجتمع لبعض الفئات الاجتماعية

١. نظرة الحضرى للبدوي .
- ب. النظرة للمرأة ومكانتها في المجتمع .
- نساء شهيرات .
- ج. وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم .

١ - نظرة الحضري للبدوى :

لقد تأصل لدى البدوى النجدى والعربى عموما كرهه لأسلوب المعيشة الحضري ومنشأ ذلك كون البدو أصل للحضر وسابق عليه كما أكدت ذلك الأحداث التاريخية ، وكما قرر ذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصيته لمن يلى أمر المسلمين بعد وفاته حينما قال : "وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام" (١) ، وكما قرر ذلك مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون (٢) حينما عقد فصلا فى مقدمته تحت عنوان : " فصل فى أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأماصار مدد لها" (٣) ، وكان هذا الفصل مبنيا على العديد من الأحداث التاريخية التى تثبت أن التحول انما يكون من البداوة الى التحضر كما كان كذلك توضيحا للنظرة العمرية الصائبة نحو البدو والبداوة .

- (١) وردت هذه الوصية فى صحيح البخارى وكتب التاريخ الاسلامى ، وعنهما وعن التعليق عليها : ابن حجر : فتح البارى ١٤ / ٣١٢ ، وكان عمر رضى الله عنه كثيرا ما يردد هذه الفكرة فى حياته مما يدل على تحمسه لها (ابن جرير : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٣٣) وقد استعرضت تلك النظرة العمرية فى رسالة الماجستير ص ١١٢ ، ١١٣ ، وهى مستمدة من فهمه العميق والشامل لنظرة الاسلام للبدو والبداوة التى فصلت الحديث عنها فى تلك الرسالة كذلك ص ٨٣ - ١١٤ .
- (٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٣٣٢ هـ / ١٣٣٢ م - ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ليس هنا مجال التعريف بشخصه فقد كثرت الدراسات عنه وعن مؤلفاته ، فقد ضمن الجزء الأخير من كتابه العبر (٢ / ٣٧٩ - ٤٦٢) تعريفا شاملا بشخصه ورحلاته ، كما ألف الدكتور على عبد الواحد وافى كتابا عنه فى سلسلة أعلام العرب رقم (٤) ، وكذلك محمد عبد الله عنان ، وأفرد المستشرق الفردبيل له ترجمة وافية فى دائرة المعارف الاسلامية (١ / ١٥٢ - ١٥٧) وكذلك الزركلى (الاعلام من حياته فى عدد من الجامعات والمراكز العلمية .
- (٣) مقدمة ابن خلدون ١٠٣

وانطلاقاً من هذه الحقيقة التاريخية الاجتماعية فقد حفل تاريخ العلاقات البدوية الحضرية منذ القدم وحتى العصر الحاضر بعدة حالات تبين كره البدوى لمعيشة الحضرى ، وعدم تأقلمه مع أساليب الحياة الاجتماعية عند الحضرا اذا اضطر اليها ، فكلما أرادت مؤثرات الحضارة جذب ابن البادية اليها وقف الحاجز النفسى ضد التحضر سدا منيعا فى وجه تخليه عن بداوته .

(١)

وتصور قصة ميسون بنت بحدل الكلبية أصالة هذا الجانب عند البدوى وخاصة المرأة حينما تضطرها الظروف الزواج من حضرى ، فقد تزوجها معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهما ولكنها ما لبثت أن ملّت الحياة الحضرية الراقية فى كنف خليفة المسلمين ، وقالت اثر ذلك أبياتا منها :

لبيت تخفق الأرواح فيـــــــــه .°. أحب الّى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينــــــــى .°. أحب الّى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى جنب بيتــــــــى .°. أحب الى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فــــــــج .°. أحب الى من نقر الدفوف
وخرق من بنى عمى نحيف .°. أحب الى من علج عنيف
خشونة عيشتى فى البدو وأشهى .°. الى نفسى من العيش الطريف

(١) هى ميسون بنت بحدل بن أنيف من قبيلة بنى حارثة أشرف بطون كلب كان أبوها نصرانيا - قيل مات على نصرانيته طلقها معاوية اثر سماعه لهذه الأبيات ، وكانت حاملا بيزيد ، وقيل كان رضيعا وحاملا بينت نشأ يزيد معها فى الصحراء عند أخواله وأضفت ميسون بهذا الزواج لأسرتها شهرة ومكانة كبيرتين حيث عد البحدلية من كبار أتباع بنى أمية ، توفيت سنة ٨٠ هـ / ٧٠٠ م (ابن جرير ٦ / ٨٣ ، ٧ / ٦٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٤٥٧ وذكر أن بحدل أخو معاوية لأمه فان كان يقصد ابن أبى سفيان فهذا وهم يناقضه زواج معاوية من ميسون ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥ / ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٣ / ٢٦١ ، ٣١٧ ، ابن كثير ٨ / ١٤٥ ، وقد أثنى على ميسون ووصفها بعض الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينــــــــا الزركلى ٨ / ٢٩٨ ، ١٣ / دائرة المعارف الاسلامية ٣ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

(١)

خشونة عيشتى فى البدو وأشهى . الى نفسى من العيش الطريف
ولعل من أبرز القصص المشابهة لقصة ميسون والمؤكدة لتلك
الحقيقة المتأصلة لدى البدوى ماورد أن أعرابية قالت لبنات عم لها : السعيدة
منك من يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين ورحيين فينسب
التيسان وينهق العيران وينبح الكلبان وتدور الرحيان فيعج الوادى ، والشقية
منك من يتزوجها الحضري فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة
الزفاف على عود (تعنى سرجا أو هودجا) .^(٢)

ان الاعتقاد المتوارث لدى البدو أنه يجب الاحتفاظ بالعادات والتقاليد
الأصيلة فيهم وأن ذلك يتعارض مع التحول الى الحياة الحضرية ، ولهذا فقد
كان البدوى منذ القدم والى الوقت الحاضر فخورا بنفسه وأصالته فى الصحراء
التي يرى أنها المكان المناسب لحفظ شخصيته وعاداته وتقاليد ، كما
يعتقد أنها أعطته الحرية الكاملة فى القول ودوام المناقشة وابداء الآراء ببساطة
وصراحة ، وأضفت عليه نوعا من العزة تأبى عليه أن يخضع أو يذل ، وهى عزة
جعلته يجمع كل صفات البطولة^(٣) ، علاوة على كونه قد أشرب حب الكرم جيلا عن

(١) تخفق : تتحرك ، الأرواح : جمع ريح وهو كناية عن بيت الشعر ،
الشفوف : جمع شف بكسر الشين وفتحها الثوب الرقيق الذى يحكى
ماتحته ، كسيرة : تصغير كسرة وهى الخبز يخرق : بضم الأول والثاني
وفتحهما ، وسكون الراء فى الحالين ، من معانيه : الرجل الذى لا يحسن
العمل ولا التصرف فى الأمور ، وكذا الأحق ، والمرأة خرقاء ، علسج :
بكسر الأول وسكون الثانى : الرجل من قفار العجم ، أو الأعجمى عامة
والرجل الشديد المعالج للأمر . (الفيروز آبادى والزبيدي باب الجيم
فصل العين ، وباب الفاء فصل الشين ، وباب القاف فصل الخاء ، عبد الله
ابن خميس . الأدب الشعبى فى جزيرة العرب ص ٢٠٨) .

(٢) ابن عبد ربه : طبائع النساء تحقيق محمد ابراهيم سليم . مكتبة

القرآن ، القاهرة ص ٨٠ ، ٨١

(٣) يعتبر الراصدون للحياة الاجتماعية عند البدو أن العزة من أهم
المظاهر المميزة التى يعتقد البدوى أن الحياة فى الحضرة تؤدى (=)

جيل حتى أصبح ظاهرة يحترم ويهان على أساسها ، هذه العادات وغيرها جعلت البدوي ينظر الى الحضري في الغالب نظرة احتقار لاعتقاده أنه يفقد الكثير من هذه الصفات العالية^(١).

(٢)

وتصور قصة بداح العنقري أمير ثرمداً جانباً من النظرة الاجتماعية المتبادلة بين البدو والحضر ويمكن أيضاً الاستفادة منها في نظرة كل منهما للآخر، وملخص القصة أن من عادة البادية الإقامة (المقطان) وقت الصيف وخاصة في سنى المحل بجوار البلدان النجدية، وبينما كان أحد أحياء البدو قاطناً قرب ثرمداً، وكان الأمير بداح كثيراً ما يمر على منازل هذا معطياً فرسه بحكم مسئوليته عن البلد وما حوله، وفي إحدى جولاته أثار فضول فتيات القطين حينما مربهن فتغامزن بينهن قائلات: (خيال الحضر زين

(=) الى فقدانها والى هذه الحقيقة يشير بيت أبى العلاء المعري
(ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) :

(١) الموقدون بنجد ناربادية . لا يحضرون وفقد العز في الحضر ليس هنا مجال العرض التفصيلي لنظرة البدو تجاه الحضر فقد فصلت الحديث عنها في رسالة الماجستير من ص ٢١٥ الى ٢٣٦ ، الا أنه لا بد من العامة عامة عن تلك النظرة حتى يمكن فهم وجهة النظر الحضرية حيال تلك القضية المتداخلة .

(٢) هو بداح بن بشر بن ناصر بن ابراهيم بن خنيفر العنقري من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وكان العناقراً من ثرمداً منذ القرن الحادى عشر الهجرى ، تولى بداح اماره ثرمداً عام ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م وقد حصل فى عهده عدة معارك بين ثرمداً والبلدان القريبة منها ، توفي سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م ، وتولى بعده ابراهيم بن سليمان العنقري الذى يعد من أبرز امراء نجد معارضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب الا أنه والى الدعوة بعد ذلك ، وقد قام على مجموعة من العناقير ومنهم ابنا بداح فقتلهم لحزازات بينهم ، وينتشر العناقير فى عدد من بلدان نجد كما رحل قسم منهم الى خارجها (ابن عباد : أحداث عام ١١٣٦ هـ ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٢٠٧ ، الفاخرى ٩٩ ، ابن بشر ١ / ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٢٠٢ / ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ابن عيسى ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٦) .

(١)

زين التصافيح) أى أن مظهره حسن ومخبره بخلاف ذلك فهو رعديد لا يستطيع أن يصمد أمام الغارات فضلا أن يغير هو بنفسه ، كما يروى أن العنقري قد شغفه حب إحدى بنات القطين ولعلها ابنة زعيمه - وكان قد خطبها من أبيها فامتنعت قائلة كلاما يشبه كلام البنات السابق ، وحدث ذات مرة أن أغار غزو من إحدى القبائل على هذا القطين فأخذ مواشيه ، فأبت شيمسة العنقري أن يؤخذ جيرانه فأغار فى اثر الغزو وهاجمهم حتى انتصر عليهم ، وعاد بابل وخيل القطين التى سلبت مضافا اليها بعض ابل وخيل الغزو ، ولما قام تجاه جيرانه بواجبه أحسن قيام وقف ليقى نظرة على هذا القطين وقال قصيدة يعاتب فيها تلك الفتيات أو الفتاة التى قالت عنه ما قالت ومنها :

الله الحد ياما عزينا وجينا . . . ويا ما ركبنا حاميات المشاويح
ويما على أكوارهن اعتلينا . . . ويا ما ركبنا عصير مراويح
ويما تعاطت بالهنادى يدينا . . . ويا ما تقاسمنا حلال المصاليح
وراك تزهد يا أريش العين فينا تقول " خيال الحضر زين تصفيح "
ترى الظفر مهوبس للظاعنين . . . مقسم بين الوجيه المفاليح
البدو واللى بالقرى نازلين . . . كل عطاء الله من هبة الريح

(٢)

(١) لعل مما يؤيد هذه النظرة كذلك قول الشاعر:

حسن الحاضرة مجلوب بتطرية . . . وفى البداوة حسن غير مجلوب
فرغم أن الشاعر قد يقصد معنى خاصا للحسن هنا ، إلا أنه يمكن أن يعد دليلا على أصالة الأخلاق الكريمة عند البدو وأنها غير مصطنعة سواء كانت شجاعة أم كرما أم غير ذلك ، وأن الحضر على النقيض من ذلك وإن كان هذا ليس قاعدة مطردة .

(٢)

الله لحد : قسم فيه معنى التكثير مخفف من والله الأحد ، ياما : كثيرا
حاميات المشاويح : كناية عن الابل ولعل المقصود هنا هو حفظها
لمنابت الشيخ على خطأ فى جمع الشيخ على مشاويح والصحيح مشايح
والتي تطلق على القيعان والرياض فيكون المعنى على هذا : حاميات
المراعى ، أكوارهن : جمع كور بضم الأول وسكون الثانى رحل البعير
كالقنب والشداد ، عصير : تصغير عصر ، مراويح : وقت الرواح والمقصود
اللاتى رواحن عصرا ، تعاطت : تبادلت ، الهنادى : السيوف

(=)

ولقد اتسمت نظرة الحضري نحو البدوى كما صورها العنقري في هذه الأبيات برد الفعل تجاه نظرة البدوى المتعالية نوعا ما ، فإذا كان البدوى يعتقد أنه يبرز الحضري كثيرا بشجاعته وفروسيته وجوده ، وأن الحضري يفقد كثيرا من هذه الصفات ، وإذا كان لهذا الاعتقاد بعض الصحة فإن الحضري ممثلا في العنقري قد حدا به رد الفعل أن يبين قولا وعملا أن تلك الصفات البطولية متوافرة لدى البدو والحضر على حد سواء ، وأنه بقدر ما يكون في البدو وأبطال فقد يوجد في الحضر مثلهم كذلك ، ويقدر ما يكون لدى الحضر جبنا وضعاف نفوس فقد يوجد في البدو مثلهم كذلك .

ولقد كان العنقري واقعيا حينما اعترف ضمنا بأصالة الظفر في البدو اذ قدمهم في الذكر على الحضر مستندرا قناعة محبوبيته في الاعتراف بوجود شجعان في أوساط الحضر ، ويبدو من تلقف الحضر لهذه القصة وتردادهم

(=) المشحونة أو المصنوعة في الهند ، حلال المصالح : مال الذين يصلحونه بالنماء ، وراك : مالك وهي لفظة نجدية لم أجد لها أصلا فيما بين يدي من كتب اللغة ولعل أصلها وراءك أي ما وراء فعلك هذا أو ما وراء العمل الذي حدث وينطقها بعض النجديين أراك ، تزهد فينا : ترغب عنا ، أريش العين : ذو الرموش الطويلة كالريش وهذا من صفات الجمال الأنثوي ، الظفر : الشجاعة والنجاح فسي الأمور (فصيحة) بس : بفتح الباء بمعنى حسب وفقط قيل عريضة وقيل فارسية ، الظاعنين : المرتحلين والمقصود البدو ، الوجيه : جمع وجه والأفصح جمعها على وجوه ، المغاليج : المتصفة بالفلاح ، عطاء : أعطاء ، هبة الريح : الأفعال الطيبة يقولون : فلان هب الريح أو هاب أو هباب ربح أي انسان ندب شجاع كرم ذو نخوة (الفيروز آبادي ، والزبيدي باب الحاء فصل الشين ، وباب الراء فصل الظاء ، وفصل الكاف ، باب السين فصل الباء ، العبودي : الأمثال العامية ٣ / ٩٤٥ ، ١١٣٦ ، ٤ / ١٥٥٥ ، ٢١٣٦ ، محمد كمال : مرجع سابق ١ / ٣٧٥ ، عبد الله بن ردا س : شاعرات من البادية ص ٣١٦ ، محمد الثميري : الفنون الشعبية في الجزيرة العربية ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن خميس المرجع السابق ١٨٩ - ١٩٢) ، وللقصة والأبيات بقية وروايات تفصيلية أخرى ولكنها تنس نظرة البدوى للحضري ولذا فقد عرضتها في رسالة الماجستير من ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

لأبياتها أنها تصور شعورا نفسيا قبل هذه القصة وسعدها يتمثل في اقناع البدو أن يخففوا من حدة تعاليهم على الحضر في سائر الأخلاق الكريمة التي يعتقدون بفقدانها في الحضر، ومن ثم فإن هذه القصة بتفاصيلها الأخرى، وأبياتها قوية المعاني ستبقى مثلاً رائعاً يطفىء نار الفخر والاعتزاز لدى البدوي لتقوم العلاقات الاجتماعية بينهما على التعاون والأخوة وحسن الجوار.

ولئن كانت النظرة الواقعية لدى الحضر التي صورتها هذه القصة هي النظرة الغالبة، فقد كان بعض الحضر ينظر نظرة أخرى تجاه البدو، حيث ولد تعالي بعض البدو أحيانا، واغارات البدو المتكررة على البلدان النجدية في تلك الفترة، ولد ذلك قناعة لدى بعض الحضر بأن البدوي متغطرس لابد أن يعامل بعنف وقسوة حتى يسير سيرة حسنة، ويكف عن تعديسه المتكرر على الحضر، ولعل من صور هذه النظرة الشاعر العامي حميدان الشويعر الذي ما من شك أن لنظريته القائمة نحو المجتمع النجدي عامة - حاضرة وبادية - الأثر الواضح في تحمسه بل تبنيه لهذه النظرة القاسية نحو البدو، فقد قرر أساليب في معاملة البدو لا يمكن أن تتخذ قاعدة عامة، وإذا كان التاريخ النجدي قد شهد حالات من سوء العلاقة بين الطرفين تمثلت أحيانا ببروز الطابع الدموي لهذه العلاقة في تلك الفترة وحتى قرب الاستقرار الاجتماعي القريب، فإن الباحث لا يستطيع تحميل طرف واحد تبعة هذا سوءا إذا كان لأسلوب الاثارة من كل من الطرفين ضد أحدهما الآخر، ومنافسة الحضري للبدوي في الرعي والاعشاب من الصحراء التي يعتقد البدوي أنها مجاله وحده، فضلا عن مزاحمة البدو للحضر في البلدان وقرب المزارع زمن الصيف والقحط، كان لذلك كله الأثر الواضح في ظهور تلك الحالات من العلاقات السيئة.

يقول حميدان الشويعر:

البدوي ان عطيته تصلط عليــــك .°. قال : ذاخايف ميرباك عطاه

ان ولى ظالم مفسد للكمّام .° وان ظلم زان طبعه وساق الزكاة
مثل كلب الى رمي فهو يروح .° وان رمي له بعظم تبع من رمّاه
حاكم ياكلونه ومنهم يخاف .° من رجا ميتة ما هنين ثـواه
وحاكم داواهم بفعل يشاف .° كلما خالفوا لحق فيهم منـاه
كل يوم عليهم صباح شريـر .° غير ذبح اللحى عزل بوش وشـاه
مثل وصف الحبارى تعرف الطيور .° يوم جا حاذق موثب من سمـاه (١)

ويتبين من هذه الأبيات أن حميدان قد قسا فى نظره للبدو ومما جعله يستعمل أبشع الالفاظ فى حقهم عموما محاولا استعدادا حكام البلدان النجدية ليعاملوا البدو بهذه المعاملة القاسية، ولو أنه فرق بين من يستحق القسوة من البدو ومن لا يستحقها لكان لكلامه وجه من الحقيقة والواقع وسواء كان حميدان قد تبنى هذه النظرة ضمن نظراته القائمة نحو المجتمع أم أن ذلك نتيجة تلك العلاقات الاجتماعية السيئة أحيانا بين الفريقين، فان مجئ تلك النظرة ضمن أبيات كلها نصح وارشاد وحكم جعل قسما ممن حضر نجد يجعلها قاعدة للتعامل بينه وبين البدو عامة.

(١) تسلط: تسلط وتأمر، خاف: خائف، مير: عامية والمعنى لكـن بالك: اياك، عطاء: أن تعطيه، الكمّام: الوحدة وهيمنة الحكم وشموله، ساق: دفع، الى: اذا، رخاميته: ضعفه ولكونه شبه طائر الرخمة وهو طائر شبيه بالنسر الا أنه جبان وضعيف، ما هنين: معتهنين ومستهيئين به، ثواه: مقره أو جنابه، داواهم: عاملهم أو أدبهم لحق فيهم مناه: أوصل فيهم منيته ورغبته، صباح شريـر: غارة صباحية شديدة الوطء عليهم، ذبح اللحى: القتل على أساس أن الذبح أعلى العنق من جهة اللحية بخلاف النحر الذى أسفل العنق ممن جهة الصدر، ولعل المقصود بها الرجال لان اللحية أهم ما يميز الرجل عن المرأة عزل بوش وشاه: أى تقسيم ماشيتهم من ابل وغنم وغنائم، والبوش فصيحة بمعنى الاخلاط من الناس والنعم الكثيرة، الحبارى: طائر معروف يصاد بواسطة الصقر، حاذق: منته، موثب: منقض (الفيروزابادى والزبيدى باب الشين فصل الباء، العاملى: قاموس رد العامى الى الفصحى ص ٦٨، وعن الأبيات: خالد الفرج ديوان النبط ١/ ٤٣، محمد كمال: الازهار النادية ٩/ ٢٨) .

وفى معرض مدحه لبعض الأمراء النجديين حزما ضد الأعداء وحسن سياسة ورفقا بالرعية والاصدقاء يؤكد حميدان أهمية هذه السياسة لحفظ الأمن فى البلدان النجدية كلما تعرضت لاغارات القوى الحضرية المجاورة وغير المجاورة، وغزواته القبائل البدوية المتكررة مشددا على نظرتة السابقة فى استعداد الحكام النجديين ضد البدو، وأن الأمير الجيد هو الذى يؤدب البدو الذين ينهبون البلدان ويخلون الأمن فيها، يقول فى ذلك :

وبالحكام من يحمى الرعيــــــــــــــــة .°. عن العدوان عن سرق وغارة يزور الضد بمجموع صـــــــــــــــــاح .°. بواديها ومن يسكن دـــــــــــــــــياره الى من البدو داسوا كما مـــــــــــــــــه .°. يخليهم جثايا بالمعـــــــــــــــــاره (١)

ويبدو أن تلك النظرة القاتمة نحو البدو - وقد وجد لها ما يبررها أحيانا - قد نادى بها من الشعراء غير حميدان فهذا جبر بن سيار يؤكد فى بيت له ضمن قصيدة فى الحكم ويان صفات بعض فئات المجتمع أن من البدو من لا خير فيهم ويجب الحذر منهم، فيقول :

وكل اعرابى دنوع مكهـــــــــــــــــه .°. خبيث ونفسه فى مصافيه بايــــــــــــــــره (٢)

(١) غارة : اغارة ، الضد : العدو ، يخليهم : يتركهم ، جثايا وردت عند الحاتم " اجثي " ومكانها فراغ فى الأزهار النادية وعند الفرج جثايا والمعنى جالسين على ركبهم من الذلة ، أو جاثين بمعنى ميتين ، ورواية الحاتم أفصح بحذف الألف التى عادة ما يبدأ بها النجديون بعض الكلمات ، ومنه قوله تعالى : " ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا " وقوله : " ونذر الظالمين فيها جثيا " (سورة مريم آية ٦٨ ، ٧٢) ، المعارة : أرض معرة ومعارة قليلة النبات أولا نبت فيها يقولون أمعرت الارض ثم امعرت اذا محلت ثم أخصبت ، والمقصود هنا : أرض المعركة (الفيروز آبادى والزبيدي باب الراء فصل الميم ، وباب الواو والياء حرف جيم ، وعن الابيات : الفرج : ٤٩ / ١ ، الحاتم ١ / ١٦٣ ، محمد كمال : ٣٣ / ٩ ، ٣٤) .

(٢) دنوع من الدنع وهو الفسل الذى لالب له ولا عقل وفيه لؤم وخسه مأخوذ من دنع البعير وهو ما يطرحه الجازر منه فكان الذى من سفلة الناس وأرداهم يطرحه الناس من بالهم واهتمامهم ، كما يطلق على الطمع

(=)

ولقد كان جبر واقعيا فى عدم تعميم تلك النظرة على البدو حيث يفهم ذلك من هذا البيت بقراءة ما قبله ، وإذا علمنا أن جبرا كان أميرا لحدى البلدان النجدية - كما مرفى ترجمته أمكننا فهم عدم تعميمه لتلك النظرة ، وأن ذلك مبنى على تعامله مع فئات خيرة من البدو ، وفئات على النقيض من ذلك .

وتصور الأمثال العامة جانبها من نظرة الحضرى تجاه البدوى ففيمما يتعلق بتلك النظرة القاتمة - التى لها ما يبررها أحيانا - نجد أن الأمثال العامة قد غدت هذه النظرة سواء كانت سابقة لنظرة حميدان أو امتدادا لها ، ففى معنى قول حميدان السابق : " البدوى ان عطيته تصلط عليك " الى آخر الأبيات ورد فى أمثال العامة قولهم : " الأعراب سود الوجوه ، ان لم يظلموا ظلموا " ^(٢) ويضرب هذا المثل فى سوء الظن بالبدو ، وخاصة فى تلك الفترة حينما كان حبل الأمن مضطربا ، وكان كل من البدو والحضر يتبادلون سوء الظن وأوصاف الذم فى كثير من الأحيان ^(٣) .

(=) والخضوع والذلة ، مكهلة : لعل المعنى صاحب كهالة أو كاهل وهو الشديد الغضب لأمر يسيرة وهى صفة تنطبق على بعض البدو ، ونفسه فى مصافيه بايره : من معانى البائر الدنيء وهى مأخوذة من البوار والبور بمعنى الكساد . (الفيروز آبادى والزبيدي باب العين فصل الدال ، وباب اللام فصل الكاف ، وعن البيت : الحاتم : خيار ما يلتقط ١ / ١٣٥) .

- (١) سبقت ترجمته فى الفصل الثانى من الباب الأول .
- (٢) العبودى : الأمثال العامة ١ / ١١٢ وأورد أمثلة مشابهة له تطلق على بعض الفئات فى بعض البلدان .
- (٣) ولولا أنى محكوم بفترة هذا البحث لعرضت فى المتن لقصيدة بديوى الوجدائى العتيبي (ت ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٨ م) التى تبين أن جانبها من هذه النظرة القاتمة نحو الجوانب السيئة عند البدو موجودة فى أوساط البدو أنفسهم ، وفى هذا دليل على أن بعض البدو وقد تأصل حب الخير فيهم - يمارسون النقد الذاتى للجوانب السيئة عند أبناؤهم ، يقول بديوى مخاطبا ابنه عبد العزيز :
عبد العزيز الليث ياسبع غابسة . يا شيت ويش اللي مع البدو وشبك

ولما كانت حياة البدوى غير مستقرة ومدعاة فى غالبها للجفــــــــــــــــاء
فى الطباع والغلظة فى الدين بسبب البعد عن مراكز العلم والاصلاح فقد
نظر اليها الحضري المحب للاستقرار على أنها شقاء وجفاء وأنها هى السبب
فى بعد البدوى عن الأسلوب الامثل فى التعامل ، وقد جاءت هذه النظرة
فى هذين المثلين : " البداوة جفاء " و " البداوة شقاوة " ^(١) ويبدو أن الحضري
يرد بهذين المثلين على البدوى الذى يعتبر حياته فى الصحراء قمة سعادته
ناعيا على الحضري حياته المستقرة الوادعة ، ومن هنا فهما يندرجان فى
اطار رد الفعل تجاه نقد البدوى لحياة الحضري الذى رغم أن بعض الظروف
قد تجبره على العيش عيشة البدوى فى فصل الربيع فانه لا يلبث أن يتضايق
منها ليعود الى حياته الحضرية ، والواقع أن هذين المثلين يعودان فى
أصلهما الى الحديث النبوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
" من بدا جفا " وفى رواية : " من سكن البادية جفا " ^(٢) وما من شك فى أن مرد

(=) ما أخبرك يا باغي من البدو ثابة . البدو وان شافت معك شى تنهبك
خل البدو ولعلمهم بالذهاية . . . حيث أن مذهبهم مخالف لمذهبك
احذر تطرف ياخذونك نهابة . . . وترافقهم يحتون مذهبك
ان جوا على العيشة سواة الذباية ترفع مخالبتهم عن الزاد مخلبك
الديك لو صلى عليه الجنابة . . . والكلب مايومن ولو كان صاحبك
ورجالهم عنده من المدح صابه . . . لو تسمعن فى بعضر لالحن شيبك
وان جيت تذكر فى النبى والصحابه . ما واحد صلى عليهم وجاوك
ما عندهم حشمة ولالك مهابة . . . وان جيت تهرج طارف القوم كذبك
(محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ١ / ٣٥ ، ٣٦) .

- (١) عبد الكريم الجهمان : الأمثال الشعبية ٢ / ١٤ ، ١٥ .
(٢) ورد هذا الحديث بهذين اللفظين وتكلمته بعدهما كل على روايته
" من بدا جفا " ، ومن تتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان
أفتتن ، وما ازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا " .
رواه الامام أحمد فى مسنده بسند حسن (٢ / ٣٧١ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ / ٢٩٧)
ورواه كذلك مع أبى داود والنسائى بلفظ : " من سكن البادية جفا " .
الحديث الى " افتتن " (المسند ١ / ٣٥٧ ، سنن أبى داود ٣ / ٢٧٨ ،
النسائى ٧ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، وقد تكلم الشوكانى بتفسيره ٢ / ٣٩٧ فى
سند الحديث ، وأثنى الالبانى على سنده فى الأحاديث الصحيحة
٣ / ٢٦٧) .

ذلك الذم يعود الى أن سكنى البادية قد يدفع البدوى الى الانزواء فيها والانشغال عن تعلم أبسط قواعد الدين ، وما يسببه ذلك من تغلب الجوانب السيئة على السلوك الاجتماعى عند البدوى ، ومن هنا فان هذا الحديث لا يمكن أن يفهم منه الذم المطلق لحالة البداوة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مدح البداوة وركز على الجانب الخير فيها فى كثير من أقواله وأفعاله وتقريراته وأوصافه مما ليس هنا مجال التفصيل فيه^(١).

وانطلاقاً من تلك النظرة فقد كان الحضرى حذراً من سطوة البدوى واغارته عليه فجأة وسيطرته عليه ، ورغم حذره هذا فلا يلبث أن يقع تحت سيطرته وينهب ماله من مال أو متاع ، ومن هنا جاء المثل النجدى : "البدو جن الأرض"^(٢) مصوراً أن البدو لا يتجمعون الا عند الانقضاء على من يريدون نهبه ، ولا يستبعد أن بعض البدو كذلك وقد استهواهم هذا المثل فاجبوا به حيث يصورهم شجعاناً يستطيعون السيطرة على من حولهم اذا أرادوا ، ويحدثون الرعب فى الحضر الذين يخافون البدو خيفتهم من الجن سواء بسواء .

وفى مجال البيع والشراء فان الحضرى كان يسخر من البدوى لجهله ببعض أساليبيهما والتى منها عدم اطمئنان البدوى لأى مستند يثبت له حقه كالوثيقة التى تثبت البيع والشراء ومقدار الثمن حتى أنه لا يؤمن الا بما يمسكه من مال نقدى أو عينى مقابل البيع ، بعكس الحضرى الذى يمكن أن يكتفى

(١) قمت بجمع عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الامهات الست وسند الدارمى وسند احمد وموطأ مالك سواء التى تدم البداوة أو التى تشن عليها وقمت بالعرض والتعليق على بعضها فى رسالة الماجستير (من ص ٩٧ - ١١٢) .

(٢) الجهمان : المرجع السابق ١٦ / ٢ ، والمقصود ظاهر الأرض لاباطنها أو أنهم كالجن .

بورقة يوثق فيها البيع وأجله باقرار وشهود ، ولعل لعامل الاستقرار عند الحضري وعده عند البدوي دور في بروز هذه الظاهرة التي ربما جعلت البدوي أحيانا يبيع بثمن بخس على أن يستلمه نقدا ، وهذا ما جعل الحضري يتندرون على البدو بهذا المثل " قُضِبَ البدوي الريال ، وقُضِبَ الحضري الورقة " (٢) وإذا كان هذا ليس حكما عاما فانه يعطى تصورا لأسلوب التقاضي بين البدو والحضر .

ويبدو أن صوراً عديدة من مسألة تلقي الركبان التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) كانت تحدث بين بدو نجد وحضرها ففى تلك الفترة ، ولعل من أبرز العلل فى هذا النهى استغلال الحضري للجهل التجارى عند البدو حيث يخرج تجارهم الى البادية أو الى ظاهر البلدان قبل أن يصل البدو اليها فيشترون منهم ما يحملون من نتاج البادية بثمن بخس لا يلبث البدو بعد وصولهم القرى والتقاىهم ببقية أهلها والتجار فيها أن يتقالوه فيدعون الغبن ، على أن للنهى علة أخرى ، وهى أنه متى ترك البدوي يبيع سلعته بنفسه للناس عند وصوله البلد اشتراها الناس برخص فوسع عليهم بعكس اذا اشتراها تاجر أو تولى بيعها للبدوي فانه لا يبيعها الا بسعر مرتفع فيضيق على الناس فى ذلك . (٤)

(١) قُضِبَ : فعل أمر قُضِبَ وهى تصحيف نجدى لقبض بمعنى أمسك اذ معنى قُضِبَ فى اللغة قطع وبترو وهو مخالف لما تدل عليه هذه اللفظة عند عامة النجديين (الفيروز آبادى والزبيدي باب الباء فصل القاف ، العبودى : المرجع السابق ٩٧٧/٣) .

(٢) المرجع السابق ٩٧٨/٣

(٣) ورد ذلك فى الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتلقى الركبان وأن يبيع حاضر لباد " قيل لابن عباس : ما قوله " حاضر لباد ؟ قال : لا يكون لسه سمسارا " متفق عليه ، ولحديث جابر مرفوعا : " لا يبيع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض " رواه مسلم . عن هذه المسألة (البهوتى : شرح المنتهى ١٥٦/٢ ، ١٥٧) .

(٤) المصدر السابق ١٥٧/٢ .

وفى هذا الاطار فقد كانت ترد أسئلة الى علماء نجد فى تلك الفترة تنظم هذه المسألة وفق الشرع، فقد ورد سؤال للشيخ عبد الله بن زهلان^(١) عما اذا نزل البدو بلدا وظهر عليهم شخص فاشترى منهم شيئا ثم صار فيه غبن، هل للبائع دعوى الغبن والحالة هذه، أم لا لأنهم كالمقيمين بأهاليهم؟ وقد فصل ابن زهلان اجابته بأنه ان كانت قافلة فللبائع الخيار^(٢)، فان كان المشتري يقبل معهم ولم يكن قصده الشراء أولا، بل جاءهم لحاجة، أو للشراء منهم بعيدا من البلد، فأقبلوا الى البلد قافلة، فاشترى منهم فى طريقه، ففيه ثقل^(٣)، هل للبائع دعوى غبن، أم لا دعوى له؟ والثانى أقرب للفهم^(٤)، ومعنى هذا أن القافلة المتجهة للبلد للبيع تنطبق عليها مسألة تلقى الركبان اذا قصد المشتري الشراء منها، أما اذا لم يقصد الشراء ابتداء فلا ينطبق عليها هذا النهى.

ومن ناحية أخرى فقد توهم احدى قوافل البدو أهل القرى أنه لم يقدم من البادية غيرها فتبيع عليهم ما معها بزيادة، وأفاد الفقهاء أنه اذا بان كذب هذه القافلة ودخل جلب بعدهم وكثرت السلع فان للمشتري الخيار، أما اذا لم توهم هذه القافلة أو تلك أهل القرى أنه لم يقدم غيرها ولو باعت بزيادة دون أن يجرى كلام فى هذا فلا خيار فى ذلك ولو جاء جلب ونزلت الأسعار^(٥)، ومن هنا فان الادعاء بالغبن كان يأتى من الحضر والبدو على السواء مما يعطى تصورا أن الأسواق النجدية كانت تشهد اختلافا محتدما أحيانا بين الطرفين تغذيه تلك النظرة السيئة المتبادلة بينهما.

(١) سبقت ترجمته فى الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) المقصود خيار الغبن وهو أحد صور البيع التى لا يثبت معها.

(٣) قوله: "فيه ثقل" أى رأى متأرجح بين القولين.

(٤) المنقور: الفواكه ١/ ٢٤٥.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٣٩.

وفى اطار تلك النظرة المتبادلة وفى ظل الظروف الاقتصادية السيئة التى تضيق بخناقها على النجديين بادية وحاضرة فقد كان بعض البدو يغيرون على البلدان النجدية حيث يسلبون ما يستطيعون سلبه من هذه البلدان ، فعلى سبيل المثال وفى سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م أغار قسم من قبيلة الظفير على بعض بلدان سدير ونهبوا أغنامها^(١) .

ويبدو أن احساس بعض البدو بضرورة الاكثار من الغزو للبلدان القريبة من مزارعهم وما قد يحدث من أهل تلك البلدان من رد فعل انتقامى ازاء تلك الغزوات ، يبدو أن ذلك كان يدفع هؤلاء البدو الى اعادة الغزو أكثر من مرة هادفين من وراء ذلك الحصول على غنائم أكثر من التى حصلوا عليها فى الغزوة السابقة ، وفى سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م أغارت قبيلة سبيع على العيينة واستولت على قسم من أغنامها ثم لما لم تتمكن من الحصول على غنائم أكبر أغارت اثر تلك الغزوة على العيينة نفسها وغنمت بعض الابل ، كما حدث مثل ذلك عام ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م حيث أغارت فيه سبيع على العيينة مرتين وأخذت ابل أهلها الذين ردوا عليها وقتلوا منها عددا من الرجال وتمكنوا من استعادة بعض مواشيهم المنهوبة^(٢) .

(١) البسام : تحفة ورقة ٢٥ .

(٢) البسام : تحفة ٢٦ ، ٢٨ ، وقد تكررت اغارات سبيع على العيينة كسنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م ، سنة ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م وسنة ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م كما أن آل نهبان من آل كثير كانوا يكثران الغارات على العيينة كما حدث سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م وسنة ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م ————— ان آل نهبان قد قتلوا أمير العيينة محمد بن حمد بن معمر (خرفاش) سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م ، الا أن الملاحظ أن أهل العيينة كانوا لا يتركون الغزوب بل يلحقون به ويردون ما أخذ منهم منهم ويشخنون الجراح أحيانا بمن يغزوهم ويستاقون ماشيتهم غنائم ولعل السبب فى ذلك كون العيينة فى تلك الفترة تعد كبرى البلدان النجدية تخاف سلطتها وترتجى بمالها من هبة فى نجد وهذا ما دفع قبيلة سبيع - كبرى قبائل العارض - أن تعقد صلحا مع أهل العيينة سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م . عن هذه الأحداث وغيرهـــــــــــــــــا (المنقور: التاريخ ٦٢، ابن ربيعة ٩١، الفاخرى ١٠٢، ابن بشر ٢/٢٤٠، البسام : تحفة ٣٠، ٣٦، ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ١٠٥) .

وكانت قوة سطوة بعض القبائل البدوية، وضعف بعض الحضر عن الرد على تلك الاغارات عاملا يدفع الحضر الى الاستنجاد ببعض البدو وأحيانا ممن تربطهم بهم رابطة نسب أو حلف أو جوار، وفي هذا الصدد فقد أغار آل كثير^(١) على بلدة حرمة في سدير سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م وأخذوا أغنام أهلها، وحتى لا يتمكن رعاتها من ابلاغ الخبر بالسرعة الممكنة فقد استاقوا الرعاة معهم كذلك، الا أنه لما وصل الخبر الى أهل حرمة استنجدوا بفريق من قبيلة عنزة كان في البلدة لغرض ما، حيث تمكنوا وهذا الفريق من رد الأغنام بل استولت عنزة على بعض ابل آل كثير وقتلت منهم بعض الأفراد^(٢).

ونظرا لكون بعض الحضر يرحلون الى الصحراء في فترة الربيع للرعى وجمع العشب والحطب، فقد كان بعض البدو في ظل تلك النظرة لا يسمحون لهم أن يضربوا أطنائهم بجوارهم الا اذا اشترط الحضر الجوار منهم فحينئذ يلتزم البدو بحمايتهم، الا أن الحضر بقدر ما يكونون أقوى وأكثر بقدر ما يزداد امتناعهم عن تنفيذ مطالب البدو التي من أهمها الرحيل عن جوارهم وتنشأ من جراء ذلك حروب بدوية حضرية يكون البقاء فيها للأغلب^(٣).

ورغم كثرة تلك الحروب والاغارات التي لا يعدو وما ذكر كونه أمثلة

(١) ينتمي آل نيهان الى قبيلة طيء وانضموا الى آل كثير من بني لام من طيء (الجاسر : الجمهرة ٢ / ٧٣٧، ٨٩٧) .

(٢) البسام : ٢٧، ويبدو أن عون عنزة لأهل حرمة ضد آل كثير يندرج في اطار التحرشات التي كانت تقوم بها هذه القبيلة ضد بني لام وغيرها من قبائل نجد كجزء من استعراض قوتها أمام تلك القبائل حتى تتمكن من تسنم ذرى الزعامة القبلية في نجد وهو ما حصل لها اثر أفول نجم بني لام.

(٤) M. Al Thenayan , p. 13 .

، جاكين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ٢٧٨ .

لها فقد كان بعض البدو يستنكفون القيام بغارات على الحضر في بلدانهم أو الدخول معهم في حرب مكشوفة يبدؤونها هم، أو القيام بأى عمل ممن شأنه سلب الحضرى، ولعل ذلك يدخل في اطار تلك النظرة المتبادلة بين الفريقين، أو أن ذلك كان نتيجة لمسالمة الحضرى، ومحاولة من بعض البدو ايجاد نوع من الثقة المتبادلة بين البدو والحضر، هذه الثقة التى ييـدو أن قسما من البدو يحرص على ايجادها لتخفف حدة التوتر فى العلاقات الاجتماعية بينهما، وهذا مايمكن فهمه من وجود عدد من علاقات الأخوة والتعاون بين قسم من البدو أبى أن يسئ الى الحضر، وقسم من الحضر رضى أن يبادل هؤلاء هذه النظرة بمثلها، وهى نظرة تتطلبها ضرورة التكامل بين مجالات الحياة عند الفريقين سواء فى فترات المحل حينهما يضطر قسم من البدو الى الاقامة قرب البلدان النجدية، أم فى فترات الربيع حينما يضطر قسم من الحضر الى الاستفادة من خيرات تلك الفترة.

ولئن كانت الأمثال العامة التي سبق ذكر بعضها ^(٢) قد أعطت تصورا واضحا عن جانب من نظرة الحضر تجاه البدو وأضفت جانبا من التندر والتهكم والسخرية من حياة البدو الا أنها لا تعد دلالة أكيدة على بروز هذا الجانب أو ذاك في الحياة البدوية عامة بل انها تندرج ضمن شعور الدفاع عن النفس الذي كان الحضر يشعرون به ، وبمرور الزمن عممها الحضر على البدو

(١) ابن بليهد: صحيح الأخبار ١٢٢/٢ وقد نقل عن أحد زعماء القبائل قوله: "والله ما أخذت الحضري ولا أرضي بأخذه".

(٢) قمت بجمع عدد من الأمثال الشفوية والمكتوبة التي تصور جانباً مـمن
نظرة الحضر تجاه حياة البدو وجوانبها المختلفة إلا أن عرضها يتطلب
مجالاً أوسع من هذا البحث وللإستزادة: "(العبودى ١/ ٢٥٣، ٢٧٧،
٩٥٤ / ٣، ٧٩٩، ٦٩٤، ٥٣٧، ٤٨٣، ٤٢٠، ٤٠٢، ٣٧٩، ٣٦٥ ،
٩٧٠، ٩٧٨، ١١٤١، ١٣٢١، الجبيطان ٢/ ١٦، ٣/ ٥٩، ٢٧٥ ،
٩/ ٣٠٩، ٣٦٦، ٥/ ٦٨، ٢٧٠، ٢٧٥).

كما لا يمكن النظر اليها على أن سائر الحضري ينظرون من خلالها الى حياة البدو، اذ أن الحضري يعتقدون أن أبناء البادية - كأي مجموعة من الناس - فيهم الحسن والسيء من الطباع، وأنه بقدر ما حفل تاريخ العلاقات الاجتماعية بين الفريقين بالعديد من صور الفرقة والسلب والنهب وقطع الطريق، فقد حفل كذلك بالكثير من صور المودة والاخاء والوفاء والتداخل الأسرى بين هذين الفريقين مما تزخر به قصص وأشعار تلك الفترة، بل ان الحضري رغم معاناته من تصرفات بعض البدو ويعتقد أن البدوى على جانب من البراءة وسرعة التصديق أحيانا نتيجة الجهل وعدم المعرفة^(١)، رغم ما يشوب هذا الاعتقاد لدى الحضري في بعض الأحيان من الحذر والشك.

ب - النظرة للمرأة ومكانتها في المجتمع

ان المطلع على نظرة المجتمع الحضري النجدي للمرأة ووضعها ومكانتها فيه لا يجد اختلافا كثيرا بين ذلك وبين وضع المرأة ومكانتها عند البدو، فكما عانت المرأة البدوية من قضية التحجير التي تعد أبرز ظاهـرة أهينت المرأة من خلالها فقد كانت المرأة الحضرية كذلك تهان عند نسبة

(١) العبودي ١/ ٤٢٠

(٢) التحجير أو التحجير أو التحيين كلها ألفاظ لمعنى واحد : وهو قصر البنت في الزواج على ابن عمها حتى ولو لم يحدد موعدا للزواج بحيث يتركها أمدا طويلا حتى يرى رأيـه وقد تأبى البنت الزواج منه ويأبى هو الا الزواج منها فينشأ من جراء ذلك اضرار بالمرأة، ومنازعات، وخصومات قد تصل الى اراقة الدماء وهي من العادات المتأصلة عند البدو منذ عصر الجاهلية، ولما جاء الاسلام أكد على أهمية رأي المرأة في اختيار زوجها في عدة أحاديث ليس هنا مجال عرضها الا أن الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها له مساس بقضية التحجير، قالت عائشة: " جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان أبى زوجنى ابن أخيه يرفع بي خسيسته فجعل الأمر اليها قالت : فاني قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء " وقد بقى التحجير لدى

لابأس بها من المجتمع، وكما لقيت ابنة البادية التكريم والاعزاز من الرجل فى مجالات أخرى فقد حظيت امرأة الحضربنوع من التكريم كذلك عند فئة أخرى من المجتمع .

وتتشابه النظرة للمرأة فى بعض جوانبها عند حضر نجد مع النظرة اليها عند عرب ما قبل الاسلام فالازدراء الذى تلقاه النسوة الحضريات عند بعض الناس له أساس من نظرة عرب الجاهلية القائمة نحو المرأة، على أن تكريم بعض الجاهلين للمرأة فى بعض الحالات التى تمثل فيها بروز نساء شهيرات فى المجتمع الجاهلى قد قابله بروز نساء شهيرات كذلك عند حضر نجد، اضافة الى أن هناك فئة لها ثقلها فى المجتمع نظرت الى المرأة من خلال نظرة الاسلام اليها تكريما ومراعاة لدورها الرئيسى فى المجتمع، وتمشيا مع خصائصها التى تختلف بها عن الرجل .

وقد تمثلت النظرة القاسية نحو المرأة عند من ينظرون بها فـسـى ولادة البنت، وما من شك أن هذه النظرة من بقايا النظرة نحو المرأة عند الجاهليين التى كان من مظاهرها لديهم وأد البنات والتشاؤم بمولد الأنثى فكان المولود له أنثى يعد ذلك بلاء وشرا عليه وعلى أسرته كما قال تعالى فى أدق وصف عن حالتهم: " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمكسه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون (١) .

-
- (=) بعض البدو الى وقت قريب بل الى الوقت الحاضر رغم افتاء العلماء بتحريمه وتشديد النكير على فاعله (الامام أحمد : المسند ١٣٦/٦ د . جواد على : مرجع سابق ٦٣٨/٤ ، محمد بن عرفة : حقوق المرأة فى الاسلام ط (١) مطبعة المدنى . القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ص ٥٩ - ٦٢ ، رسالة الماجستير للباحث (٢٤٢ - ٢٤٤) .
- (١) سورة النحل آية ٥٨ ، ٥٩ ، وعن نظرة عرب الجاهلية نحو المرأة انظر د . جواد على ٦١٦/٤ - ٦٢٧ ، محمد بن عرفة : المرجع السابق ٣١ - ٣٤ ، والواقع أن الفرح بولادة الذكر والحزن عند ولادة الأنثى موجود عند غير العرب كذلك (د : جواد على ٦٥٠/٤) .

وسواء كان عدم فرح بعض حضر نجد بولادة البنت عائداً لا تنقصاص المرأة لديهم أم أنه عائد لكون البنت لا تفيد أسرته كثيرا كما يفعل الولد الذى يعد لديهم المعين الأ قوى فى سائر الأعمال التى تقوم بها الأسرة، سواء كان السبب هذا أم ذاك فإن تلك نظرة جاهلية لاتمت الى الاسلام بصلة اذ أن المرأة التى يتح لها المشاركة فى أعباء الأسرة تقوم بأعمال جلييلة توائم طبيعتها ولا يستطيع الذكر القيام بها، فضلا عن أنها قد تقوم بأعمال قد لا يقوم بها الا الرجال وقد تجزمهم فى هذا المجال .

ومما يؤكد احتقار المرأة لدى تلك الفئة من حضر نجد المثل العامى الذى يقول : " بغیضة وجابت بنت " ^(١) فهذا يصور ولادة البنت عند هذه الفئة مصدر شؤم، ذلك أن الزوجة المكروهة عند زوجها تزداد كراهية اذا أنجبت بنتا، وكون هذا المثل قد تواتر لدى قسم من حضر نجد سواء بلفظه أم بمفهومه فإن ذلك يعنى أن جانبا من نظرة الجاهليين نحو ولادة البنت قد اعتقد به بعض حضر نجد بغض النظر عن أى تبرير يمكن أن تعلل به هذه النظرة ^(٢).

وفى اطار تلك النظرة المتدنية وتبعها لمظاهر الانحراف عن العقيدة السليمة عند حضر نجد قبل الدعوة كما سبق فانه يمكن الربط بين اعتقاد بعض النساء فى شجرة الطرية اذا ولد لهن ذكر فرحا به وعدم حصول ذلك الاعتقاد اذا ولد لهن أنثى فقد ذكرت بعض المصادر التى رصدت بعض جوانب الحياة الدينية قبل الدعوة أن النساء يأتين تلك الشجرة ويعلقن عليها خرقا اعتقادا منهن بأن ذلك وسيلة لحماية مولودهن الذكر من الموت

(١) العبودى : المرجع السابق ٢٧٣/١

(٢) رغم حرص الاسلام على اامة تلك النظرة القاتمة نحو المرأة الا أنه بقى جانب منها ظل يعتقد به بعض العرب بعد الاسلام ، ويصور هذا البيت المنسوب لجبرير وجود جانب من تلك النظرة فى قوله :
اذا ما المرء شبه له بنات . . عصبن برأسه لؤما وعارارا

(١)

أو الأمراض، وما من شك أن هذا مظهر من مظاهر تأثر المرأة نفسها بتلك النظرة القاسية نحو ولادة الأنثى، وحرصا من المرأة أن تجد لها مكانا فى قلب الرجل اذا شاركته هذا الشعور خوفا على مستقبلها معه.

وقد أكدت رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (وقف الجنف والاثم) التى سبقت الإشارة إليها أن قسما من النجديين كان يتحايل بطريق الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن من رحمته الله أن ذلك " من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر، وأنه تغيير لشرع الله ودينه، والتحيل على ذلك بالتقرب إليه، وذلك مثل أوقفنا هذه اذا أراد أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو امرأة ابن أو نسل بنات أو غير ذلك^(٢).

ورغم الآثار الايجابية لهذا الوقف بصرفه فى أوجه الخير العامة الا أن الشيخ نظر اليه على أنه امتحان لكرامة المرأة وسلب لحقوقها مما اضطره الى بسط الكلام فيه مشددا النكير على فاعله، والمفتى بجوازه مقيما الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وفعل الصحابة على بطلانه، واعتبر ذلك من التحايل على الله بالتقرب إليه، مشيرا الى اختلاف السلف فى الوقف الذى يقصد به وجه الله على غير من يرثه، فقال فى ذلك : " وأما سألتنا فهى اذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه وفر من قسمة الله، وتمرد عن دين الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه الا حياة عينها، أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فرارا من وصية الله بالعدل أو يريد أن يحرم نسل البنات، أو يريد أن يحرم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده، ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب الى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله فهذه سألتنا^(٣) "

(١) ابن غنام : روضة الأفكار ١/ ٧، د. الشبل: الشيخ الامام محمد بن

عبد الوهاب ص ١٣ .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ٧٨، ٧٩

(٣) المصدر السابق ٧٨

الى أن قال : " فاذا شرع الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم ——— ويزيدوا من شاءوا ، أو يحرموا النساء والعصبة ونسل البنات فلأى شئى " لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأى شئ لم يفعله التابعون ، ولأى شئ لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم ؟ أتراهم رغبوا عن الأعمال الصالحة ، ولم يحبوا أولادهم ، وآثروا البعيد عليهم ، وعلى العمل الصالح ، ورغب فى ذلك أهل القرن الثانى عشر^(١) .

ولئن كانت المسألة خلافية بين الفقهاء كما مر فانه فى اطار النظرية المتدنية للمرأة عند بعض حضر نجد قبل الدعوة وجد أناس يستغلون الرأى الفقهي الذى لا يرى دخول الزوجات والبنات ونسلهن فى أى وقف أو وصية يوصى بها الا بقرينة أو نص صريح من الواقف أو الموصى ، ومن دوافع هؤلاء الرغبة فى أن تعم أفعال الخير قطاعا عريضا من المجتمع مع أن هذا يتعارض مع قول الله عز وجل : " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن تترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين " .^(٢)

(١) المصدر السابق ٧٩

(٢) البقرة آية ١٨٠ ، وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى تفسير هذه الآية بعد ذكره اختلاف المفسرين فيها : " الأحسن أن يقال : ان هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة ردها الله تعالى الى العرف الجارى الى أن قال : " وفى الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الارث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف ، فان الانسان مأثور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس بجره " وقال سيد قطب : " وحكمة الوصية لغير الورثة تتضح فى الحالات التى توجب صلة القرابة البر بغير الأقارب على حين لا تورثهم آيات الموارث لان غيرهم يحجبهم ، وهى لون من ألوان التكافل العائلى العام فى خارج حدود الورثة ، ومن ثم ذكر المعروف ، وذكر التقوى فلا يظلم فيها الورثة ، ولا يهمل فيها غير الورثة " (عبد الرحمن بن سعدى : تيسير الكريم الرحمان فى تفسير كلام المنان ، مطابع الدجوى ، القاهرة نشر المؤسسة السعيدية بالرياض ٢١٧/١ ، ٢١٨ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن ١/٢٢ ، ٢٣) .

وقد كانت النظرة الواقعية للمرأة هي الغالبة في المجتمع الحضري ،
فرغم أن تلك النظرة القاتمة قد وجد لها مؤيدون فان قسما كبيرا من النجديين
ينظر الى المرأة من خلال ما تتحلى به من خصال حميدة وما قد يوجد عند
بعض النساء من خصال مذمومة ، والمرأة في هذه النظرة لا يختلف وضعها
عن وضع الرجل الا باختلاف الخصائص بينهما ، وقد أكد حميدان الشويمس
هذه النظرة الواقعية باختلاف النساء ، وان كان قد قسا في اختيار الألفاظ
تماما كما قسا على المرأة في أبيات أخرى وعلى فئات أخرى من المجتمع
الا أن أبياته التالية تشير الى أن النظرة العامة في المجتمع نحو المرأة تختلف
باختلاف طبيعتها وأخلاقها حيث يقول فيها :

وبالنسوان من هي شبه صفراء . ولدها بالشبه تعرف مهاره
وبالنسوان من هي مثل باقر ... ولدها بين غيه الثوارة
ولا لليوم يوم شيف صيد .. ولا شيفت بقرة بالمعارة
وبالنسوان من جنس الفواسق .. ولدها جرذى من نسل فارة
وهذا من اله الناس قسمة .. وطبع العبد ما هو بختيأره^(١)

وتبعا لتلك النظرة الواقعية فقد كان قطاع عريض من المجتمع
يكرم المرأة ويضعها في مكانها اللائق بها أما أو زوجة أو أختا أو بنتا ،
وما من شك أن ذلك منطلق من نظرة الاسلام نحو المرأة ، ولئن كان تكريم

(١) النسوان : بكسر النون جمع امرأة من غير لفظها ، صفراء : فـرس
بيضاء ، مهارة : جمع مهرة وهي ولد الفرس ، باقر : لغة في البقرة
الثوارة : الهيجان أو البلادة أو الحق والجنون ، شيف : رئيس
المعارة : أرض المعركة ، الفواسق : جمع فاسق أو فاسقة وهي الفارة
جرذى : نوع من الفئران ويجمع على جرذان ، (الفيروزابادى باب
الراء فصل الباء والثاء باب الواو والياء فصل النون) . وعن الأبيات
خالد الفرج ١/ ٥٠ ، ٥١ ، محمد سعيد كمال ٩/ ٣٤ ، ٣٥

الأم والبر بها أمرا لازما ومقررا عند النجديين وغيرهم فانه فى تلك الفتسرة يعد علامة بارزة لاثبات الرجولة والأصالة والوفاء، اذ أن أى تساهل فى هذا البر يجعل الانسان يعرض أصابع الندم، وتصور قصيدة الكليفي^(٢) التى تبلغ سبعة وستين بيتا جانبا من مظاهر هذا التكريم والبر، ومناسبة هذه القصيدة تضى عليها طابعا شعوريا يتسم بالتوجع فى قلب الشاعر اذ أنه قالها بعدما خرجت من بيته لتسكن عند أخيه الذى يصغره سنا، ويبدو أن ذلك بسبب عتاب أو غضب منها عليه مما جعله يبدى تأثره الشديد بهذا العتاب أو الغضب ويتحسر أشد الحسرة على ذلك الخروج، ومما قال فى هذه القصيدة:

الى الله مشكى ليرة مادرى بها .. جماد ولا عند البرايا حكى بها
كنيتها بالقلب والقلب ما صيبا .. يوم عليها والمقاسى صليها
على الولف والفرقا غياويل من غدا .. بفراق من أمه بتالى مشيها
جفتنى وعافتنى ونسيت جمالي .. وزهدت بنفسى يوم قصر نصيها
ليتنى مع الموتى تقدمت مآرات .. عيني افراق اللى عسى الله يثيها
وياخذ باياديها الى هى على البقا .. مع طول عمر فيه وأنا حبيها
الى عاد ما يشفق على العبد والده .. ويرفا لخملات الضنا عن معيها
فلا الناس ارحم بالفتى من كريمه .. ترانى بدنيا قد شبانى ديبها
فلا هزنى أو حل بالحال مثلما .. سيرة اسوات أمى بمن يخشى بها
على غير مزعول زعلها فغاضنى .. تيمم هواها دارى غيرى وهى بها
هى نور عيني ثم روحى ونعشتى .. وهى النفس واسقام حالى غطيها
وهى الرجا والخير فى شوف من عسى .. ربي بعلم اسرار لطفه يجيها
وياذن بجمع لامها لى على الرجا .. بحسن الرضا معنا عسى اليوم طيها
من هولها مثلى الى خش ما نظر .. بالبيت غير أمه وجا يحتضى بها
عن من ربي عنده بلطف الى حكى .. معها وهى بالود ما ينصخى بها
عندى ولو تنسام فى موسم الغلا .. وتحكم بقالى الروح حيثما شترى بها

لو كنت من عقب الغلا شفت قيمتى . . رخصت وقدرى صار ماينتهى بها
حناها الكبر عنده وصارت لکنها . . كما فح حبال بالایدی حنى بها
يدخل يحب الراس والعين واليدا . . والى ظهر للسوق ماش بربيهـا
مع ذا يوادعها بلطف كأنهـا . . مامونة بسدود من يصطفى بها
ولا هو كثير عاد منى ولول جرى . . هذا وهو من طيب صافى حليها^(١)

وتمضى القصيدة على هذا المنوال فهى جزلة المعانى قوية الألفاظ
ثرة بالأساليب العاطفية تجاه الأم ومن هنا فهى تعد من غرر الشعـر

(١) مشكى : شكوى : اللوعة : حرقة القلب ، كنيتهـا : أخفيتـها وسترتهـا
ماصبا : ما جهل وما عمل ما يشين ، المقاسى : المعانى من شدة : صليب
شديد وقوى ، الولف والألف : القرب والاجتماع والوصل ، الفرقا : الفراق
جفتنى : الجفاء ضد الصلة ، عافقتنى : كرهتنى ، عسى الله يثيبهـا :
يجزيها الثواب ، الى عاد : اذا ، يرفا : من الرفو وهو ازالـة
الفرع والمداراة ، خملات : جمع خمل وخملة وهى هنا المعاييب
الضنا : الولد ، شبانى : علانى وأمسك بى ، دببها : جمع دبب وتطلق
على النمل وسائر الحشرات القارصة ، سيرة : طريقة ، اسوات : هـى
تحريف لسواة وسواية والمقصود فعل ما يكره ، مزعول : من الزعل وهو
الغضب ، وغاضنى : صحتـها بالظا وليس بالضاد من الغيظ وهو الغضب
نعشتى : من الانتعاش وهو رفع الرأس أى سبب عزتى ، عطيبها : لعلها
من العطب وهو الهلاك والمعنى واسقام حالى سبب هلاكها ، شوف :
رؤية ، يجيبها : مركبة من كلمتين : يجى ، بها ، وحذفت الهمزة
ووصلتالياً بالباء ، اللام : القرب أو الاجتماع ، طيبها : أصفاها ،
خشى : دخل " فصيحة " ، ينصخى بها : تبذل وتعطى بأريحية
تنسام : تطلب للبيع ويعرض فيها ثمن ، تحكم : يطلب فيها سعرا
مرتفعا ، حناها الكبر : أى احدودب ظهرها وأضعفها الكبر ، لکنها :
تخفيف لكانها ، كما فح حبال : تشبه مصيدة الصائد حينما تحنسى
بالأيدى ، يدخل يحب الرأس الخ : اذا دخل قبل رأسها وعينيهـا
ويديها واذا خرج ودعها بلطف ، ولا هو كثير الح : أى أن ما فعلهـ

(١) العامى اذ أن توجع قلب الشاعر وتحسره جعله يبدى استعداداه لبذل الغالى لارجاعها الى منزله أو الحوز منها برضى يجعل قلبه يطمئن ومشاعره المتأججة تهدأ ، ولا توضح لنا القصيدة هل تم شئ من ذلك أم لا ولكنها على أى حال تعطى تصورا واضحا لما تلقاه الأم فى المجتمع النجدى من بر وصلة ، وهيبة نحو المساس بمكانتها العالية كيف لا وقد قرن الله عز وجل رضاه برضا الوالدين ، ومن هذا المنطلق فان الاحسان الى الوالدين مرتبط بعبادة الله عز وجل ، والى هذا المفهوم المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية أشار الشاعر بقوله :

وغضى نظير الطرف عنها كرامة .. وكسرى جناح الذل خوفى حسيبها
حيثه على حث الرضا قال : من بغى .. يرضين يرضي والده وارتضى بها
ولى جنة بالفوز للناس بها .. باقدام والد حي من حضى بها (٢)

(=) مع والدته من بر ليس بكثير عليها فهى تستحق أكثر من ذلك لانها أرضعته الحليب الصافى :

(الفيروز ابادى والزبيدى : باب الباء فصل الدال ، وباب الشين فصل الخاء ، وباب الظاء فصل الغين ، وباب العين فصل اللام ، وباب الواو والياء فصل الراء ، وعن الأبيات : أبابطين ٩٩ ، ١٠٠ ، الحاتم ٥٣ / ١ ، ٥٤ ، وتختلف رواية بعض كلمات القصيدة بينهما كما أن الحاتم اسقط البيت : " على wolf والفرقا " .

(٢) وان جزالة الفاظها لتقربها من الشعر الفصيح حيث من السهل تحويلها الى الفصحى .

(٣) غضى : خفضى ، نظير الطرف : الطرف يطلق على العين والنظير الناظر النقطة السوداء وسطها ، وغضا كناية عن الحياء ، وكسرى جناح الذل أو خفضه كناية عن التواضع ، وخوفى حسيبها محاسبتها ، والشطر الثانى فيه اقتباس لفظى من قول الله عز وجل عن الوالدين : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الآية ٢٤ الاسراء " حيثه على حث الرضا : على الحث على الارضاء ، وضرورة الشعير الجأت الى حذف ال التعريف وحرف الجر ، وفى الأبيات اشارة الى الآيات والأحاديث الدالة على البر بالوالدين . عن الأبيات : أبابطين : ١٠١ ، الحاتم ٥٥ / ١ .

ثم يدعوا لله أن يهدي أمه لتعذره وتصفح عنه وتعود اليه فيقول :
يهدا جناب أمى عن الغيظ بعد ما . . نحتنى بلام البعد وأنا التوى بها
وأبرم د واليب الرضا حيث قصرت . . حركات نفسى عن ملاقا ثوبىها
بجاش غدى للدوب ياعين منتهى . . فياعين ابكى عين من ينيكى بها
ابكى على من شرف الله قدرها . . بالدع دم ثم هلى سكيها
هلى دموع مهملات على الجفا . . لو قرحت من طول هيامى صبيها
أمى سراج البيت ياعين بالكبرى . . تلقى نجوم قاصدات مغيبها
ربيت وربتنى على طول مابقى . . وعند التناهى صرت فيها حريبها
والله قسم ثم والله ماسدا . . على باكود من فراقى جنيها
لكن ذا أمر من الله كاتبه . . على العبد وأرجى من الهى يجيها (١)

(١) لام البعد : شدته وقسوته ، وأبرم د واليب الرضا : أى أرجع رضاها
السابق ، الجاش : بهمة أو بدونها هو رواع القلب ، الدوب ، التعب
هلى : هلت العين : سالت بالدع ، سكيها : ما يذرف بسرعة
بسرعة وكثرة ، مهملات : من هملت الدموع بمعنى فاضت وسالت
باستمرار ، الجفا : هى الجفان بحذف النون لضرورة الشعر إلا أن
صحتها أجفان وجفون جمع جفن وهو غطاء العين من أعلى
وأسفل ، لو قرحت من طول هيامى صبيها : أى لو آلمنى صبيب
تلك الدموع من طول وشدة محبتى لوالدتى ، وعند أبابطين " هامى
حبيبها " ولعلها خطأ مطبعى إذ مافى " خيار ما يلتقط " هو المتناسق
مع القصيدة ومناسبتها ، الكرى : النوم أو الليل ، وقد وردت عند
عند أبابطين الكبرى ، وتلقى : تلقى وقد وردت الأولى عند الحاتم
والثانية عند أبابطين ، سدا : إما أن تكون من التسدية بمعنى التابع
فالمعنى تكرار القسم أو بمعنى لم يكف القسم إذ جاءت معها ما كفا
عند الحاتم ، أكود : أصعب أو أكلف ، أرجى : الأصح أن يقول : أرجو
(الفيروز آبادى : باب الباء فصل الدال والسين ، وباب الشين فصل
الجيم ، وباب اللام فصل الهاء ، وباب الميم فصل اللام ، وباب الواو
والياء فصل الكاف) وعن الأبيات أبابطين ١٠١ ، الحاتم ١ / ٥٥

ولقد كان لبعض مؤرخي نجد في تلك الفترة اسهامات واضحة في ابراز النظرة الواقعية نحو المرأة ولاغرو في ذلك فأغلب مؤرخي تلك الفترة على درجة من العلم الشرعي ، وعلى الامام كامل بمكانة المرأة في الاسلام ، وقد تمثلت تلك الاسهامات في ايضاح حكم الشرع في كثير من المسائل التي لها اساس بالمرأة وذلك في مؤلفاتهم الفقهية مما قد يرد جانب منها في الفصل الثالث مسن هذا الباب فيما يخص العادات المرتبة بالزواج والطلاق وما اليها ، أما في المؤلفات التاريخية فقد تمثلت في رصد بعض الأخبار المتعلقة بالمرأة والتي يلح المطلع عليها أن تكريم المرأة قد تزعمه العلماء والمؤرخون في تلك الفترة نظرا لكونهم هم الفئة الواعية في المجتمع والحريصة على توجيه عادات الناس وتقاليدهم وفق أحكام الشرع.

ويعد المنقور من أبرز مؤرخي نجد الذين حرصوا على تضمين نبذهم التاريخية جانبا من أخبار المرأة سواء كانت أما أم زوجة أم أختا أم بنتا وذلك في حالات الولادة والزواج والوفاة فكما ذكر تاريخ وفاة والده في سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م فانه كان قد أورد وفاة والدته واسمها غالية - سنة ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م ، كما أنه ذكر ولادة أخته سلمى سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م ، وذكر زواجه الثاني بامرأة أشار اليها بابنة رويشد سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م ، وفي ١١٠٦ / ٢ / ٢٥هـ الموافق ١٠ / ٨ / ١٥٩٧م أورد خبر ولادة ابنته الأولى التي سماها على اسم والدته - غالية - ، أما ابنته الثانية (هيفاء) فقد ولدت في ١٠ رمضان سنة ١١١٣هـ الموافق ٩ / ٢ / ١٧٠٢م ، كما ذكر خبر ولادة ابنته الثالثة (موسى) في ١٩ / رمضان سنة ١١١٦هـ الموافق (١) ١٧ يناير ١٧٠٠م .

أما ابن ربيعة فرغم أنه لم يعد لنا الا بمعلومات يسيرة عن حياته الاجتماعية حيث ذكر أخبار ولادة بعض ابنائه وأحفاده الذكور فقط، رغم ذلك

(١) المنقور: التاريخ ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

فقد أشار الى بعض أخبار الزيجات فأورد سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م زواج الشيخ سليمان بن علي بفاطمة بنت أحمد بن بسام، كما ذكر سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م خبر زواج شخص اسمه عبد الله بن سويلم على امرأة اشار اليها ببنت فوزان^(١).

ولئن كانت تلك الاخبار النسائية وأمثالها قد تبدت وعادية فلان رصدها في مجتمع شديد الحافظة والحساسية فيما يتعلق بالمرأة من قريب أو بعيد بحيث تتخرج فئات منه من ذكر أخبار النساء وأسمائهن، هذا الرصد يعد علامة وعي اجتماعي حرص العلماء والمؤرخون على إبرازها لتجنيبا للمجتمع عن الحساسية المفرطة ازاء قضايا المرأة، وتعويدا له على عدم اهمالها، وعلى تكريمها في اطار التكريم الاسلامي لها.

نساء شهيرات:

وقد أتاحت تلك النظرة المستمدة من نظرة الاسلام نحو المرأة أن يبرز عدد من النساء النجديات في تلك الفترة في بعض المجالات الاجتماعية تماماً كما برزت نساء في تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده، كما برزت نساء كذلك عند بدو نجد في تلك الفترة.

ومن أبرز النساء اللاتي أشار اليهن التاريخ النجدي في هذا المجال زوجة الأمير عبد الله بن محمد بن معمر أمير العيينة^(٢)، فقد هجا حميدان الشويعر هذا الأمير أو أنه نسب اليه بعض الوشاة أبياتا مما كان يقوله حميدان

(١) ابن ربيعة ص ٢١ من مقدمة المحقق، ٦٥، ٧٠.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن حسن بن طوق آل معمر من العنقر من بني سعد من تميم تولى إمارة العيينة سنة ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م ومكث فيها اثنتين وأربعين سنة وهي مدة طويلة أتاحت له النهوض بإمارة العيينة حتى كبرت وأزدهرت وخطبت ودها قبائل نجد وبلدانها وتوفي في أواخر عام ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م. (المنقور ٦١، ابن ربيعة ٨٣، ٨٩، الفاخرى، ١٠٠، ابن بشر ٢ / ٢١٦، ٢٣٦، ابن عيسى ٦٩، ٩٨، البسام: تحفة ٧٩، ١٠٣).

في الهجاء مما حدا بهذا الأمير أن يهدر دم حميدان الذي كان يعلم مكانة تلك المرأة التي لم تسعفنا المصادر باسمها حيث استجار بهـ خفية فشفعت له عند زوجها فعفا عنه وكساه وأجازة مما كان منه إلا أن مدحه بقصيدة تزيد على الستين بيتا تعد من أروع ما قاله حميدان ومطلعها :
الأموال ترفع من ذراريه خانسه . . والقل يهفي مرفع من مغارسه^(١)

وما كان ابن معمر - وهو المشهور بقوة البأس - أن يقبل شفاعنة امرأة لمجرد أنها زوجته بل من المؤكد أنها فعلت ذلك بما تملك من ميزات أهلتها لهذه المكانة عند زواجها ، ولتشكيكها في صدق الواشين بحميدان فقد حملت زوجها الأمير على قبول هذه الشفاعة ومنح الشاعر هدية اثر ذلك ومن المعتقد بروز أعمال اجتماعية أخرى لهذه السيدة إلا أن المصادر النجدية المتنوعة بخلت علينا بذكرها كما لم تشر إلى أن حميدانا قد مدحها بقصيدة تبين شيئا من هذا الجانب ، ولعله خاف من ابن معمر أن يعد هذا تشبيها بزوجه ، وربما كان قد قصد ما ضمنا في مدحه لبعض النساء الذي مرجح أن قال :

وبالنسوان من هي شبه صفرا . . ولدها بالشبه تعرف مهاره
ومن فضليات النساء وشهيراتهن في تلك الفترة الجوهرة بنسبت
عبد الله بن محمد بن معمر (الأمير السابق) ، وليس من المعروف هل

(١) الذراري ، والذريات جمع ذرية وهم أولاد الانسان فهو جمع لجمع خانسه : انخنس تأخر وتخلف ، ومنه قول الله عز وجل " من شر الوسواس الخناس " سورة الناس آية (٤) فهو على هذا المتخلف أو الكسلان ، القل بكسر أوله هو الفقر والاملاق ، يهفي : يضع ، مرفع من مغارسه المقصود النخيل حيث يطلق عليه الغرس والمعنى أن الفقير يضيع زراعته بسبب الفقر والدين . (الفيروز آبادي والزبيدي باب السين فصل الحاء ، وباب الواو والياء فصل الذال ، وعن البيت : خالسد الفرج ١ / ٥١ ، أبابطين ٦٧ وروى (خانسه) حائلة ، ومثله الحاتم في خيار ما يلتقط ١ / ١٤٢ ، الأزهار النادية ٩ / ٣٥ .

(٢) البسام : تحفة ٧٩ ، الفرج ١ / ٥١ ، الأزهار ٩ / ٣٥ .

كانت المرأة السابقة أما لها أم لا ، إلا أن المهم أن المصادر النجدية أشارت الى ثلاثة أدار رئيسية للجوهره جعلتها تحتل مكانة فى التاريخ النجدى لا تقل مكانة عن المرأة السابقة بل فاقتها فى ذلك ، وهـذـه الأدار هى :

١- أنها كانت سببا فى انقاذ حياة محمد بن سعود الذى قام بنصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نشر دعوته ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد أراد لها أن تقوم بهذا العمل حتى يؤدى ابن سعود عمله العظيم ، فى احتضان الدعوة ومؤازرة صاحبها .

ففى سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٦م أصاب العيينة وباء شديد أفنى كثيرا من رجالها وعلى رأسهم أميرها السابق عبد الله بن معمر ، فطمع زيد بن مرخان فى أموالها وأراد نهبها فسار إليها مع بعض بوادى العارض ، إلا أنه وهو فى الطريق أغراه أمير العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر الملقب (خرفاش)^(٢) بأن يرضيه بالأموال بدون قتال ولا نهب من البوادى التى

(١) هو زيد بن مرخان بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المردى الوائلى ، تولى اماره الدرعية بعد وفاة أميرها سعود بن محمد بن مقرن سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م ، ولم يجلس فى الامارة الا سنتين حيث قتله خرفاش سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م (الفاخرى ٦٠ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ابن بشر ٨ / ٢ - ١١ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ابن عيسى : ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ٩٩ ، البسام : تحفة ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، محمود الألوسى اخبار بغداد وماجاورها من البلاد ، مخطوط ٢٢٤ - ٢٢٧) .

(٢) هو محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر ، لقب بخرفاش ، والمخرفاش المخلط ، ورجل مخرفش وخرفاش بين الخلاطة أى متسرع ، والخرفاش من التمر هو ملا وزن له ولا مذاق ولعل فيه شى من ذلك - تولى اماره العيينة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م بعد وفاة جده وعمه عبد الرحمن ، غدر بأمر الدرعية فى الحادثة السابقة ، كما عزل الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان - والد الشيخ محمد - عن قضاء العيينة اثر نزاع بينهما قتل سنة ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م على يد آل نيهان من آل كثير مسن بنى لام وتولى بعده أخوه عثمان (الفيروزابادى والزبيدى باب الشين

(=)

معه ، ففرق زيد من معه من البدو ، وسار اليه بأربعين رجلا منهم محمد بن ابن سعود ، فأدخلهم بن معمر في قصره وأوكل رجالا أن يقتلوا زيدا مع بعض رجاله ، فلما تم ذلك خاف محمد بن سعود ومن معه وتحصنوا أحد مواضع القصر ، وطلب منهم خرفاش النزول فرفضوا خشية أن يلقوا مصير زيد ، ولمّا ألح عليهم جددوا رفضهم مهما أعطاهم من أمان إلا أن يكون تحت أمان الجوهرة هذه ، فلما كان منها إلا أن أعطتهم ذلك فنزلوا سالمين ، ورحلوا الى الدرعية ، وتولى بن سعود اشارة الدرعية بعد زيد بهد أن تم توسيع نطاقها بضم بعض المناطق المجاورة لها^(١).

ورغم أن المصادر النجدية لم تشر قبل ذلك الحدث أو بعده الى مكانة هذه المرأة في أسرتها ، إلا أنه بتتبع الاحداث ومقارنتها بعضها ببعض يتبين أنها عمّة للأمير (خرفاش) لانه كان حفيدا للأمير عبد الله بن معمر من ابنه حمد ، ومنذ عهد أبيها الى عهد ابن أخيها استطاعت أن تتبوأ مركزا مرموقا في أسرتها وتتمتع بسمعة اجتماعية خاصة في العينة .

٢- قبول هذه المرأة الزواج من الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أنه كان قد تزوج في سن مبكرة من عمره بناء على رغبة والده - ولم تشتر المصادر الى طلاقها أو وفاتها - ، وتأتي أهمية هذا الدور من أن قبولها

(=) فصل الخاء ، ابن ربيعة ٨٩ ، ٩١ ، الفاخرى ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
ابن بشر ١ / ٢٠٢١ / ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ابن عيسى ٣٨ ،
٣٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، البسام : تحفة ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
(١) ابن بشر ٢ / ٢٣٧ ، البسام ١٠٣ ، ١٠٤ ، حمد الجاسر : المرأة
في حياة امام الدعوة . بحث قدم لاسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
ونشر ضمن بحوثه التي طبعتها ونشرتها جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ١ / ١٧٠ ، ١٧١ .

الزواج من الشيخ كان بعد أن تبلورت الدعوة في ذهنه وبدأ تنفيذها وبعد أن أطلت المعارضة النجدية برءوسها ضد الشيخ ودعوته محاولاً قتله، وقبولها هذا الزواج رغم زواجه السابق ورغم وضوح الدور العظيم الذي سيقوم والذي سيكلفها معه جهداً عظيماً، قبولها هذا الزواج يعنى أنها كانت على استعداد تام للتحضية معه في سبيل دعوته رغم العقبات التي ستلاقيها^(١)، وأنها كانت ترى في نفسها خير معين له في حركته المباركة^(٢).

وإذا كان من الواضح أن هذا الزواج قد تم بعدما اقتنع ابن أخيه عثمان بن حمد بن معمر بمبادئ الدعوة مما يتوقع أن يكون له تأثير عليها في اتمام هذا الزواج فإنه لولا إعجابها بامام الدعوة، وتقديرها للجهد الذي ستقوم به معه لما رضيت اتمام هذا الزواج خاصة وأن عثمان لا يملك ارغامها على هذا الزواج لمكانتها الكبيرة في الأسرة ولأنها عمته

(١) ولعل اخراج ابن أخيها الامير عثمان للشيخ كان من أهم العقبات التي واجهتها مع الشيخ بما يحمل من ضغوط نفسية.

(٢) وقد وهم الشيخ حمد الجاسر حينما قرر في بحثه السابق (١٦٩) أن الشيخ محمد لم يتزوج قبل الجوهرة أي بعد أن بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، وبعد أن انتقل الى العيينة و وفاة والده عمام ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م مع أن جل مؤرخي نجد قد ذكروا أنه قد تزوج في سن مبكرة على خلاف بينهم هل كان ذلك قبل حجته الأولى أم بعدها. (ابن غنام ١/ ٢٥، ٢٦، عبد الرحمن آل الشيخ : مشاهير علماء نجد ١٧، عبد الله البسام : علماء نجد ١/ ٢٧، عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٠، حسين خزل : حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٦، ٥٩، أحمد آل طامي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٥، مجلة العربي عدد ١٤٧ ذو الحجة ١٣٩٠هـ / فبراير ١٩٧١م ص ٢٦ من مقال للشيخ حسن آل الشيخ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦).

(٣) هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر تولي امانة العيينة بعد مقتل أخيه، استقبل الشيخ في عودته الى مسقط رأسه - العيينة - اثر وفاة والده وأعلن قبول دعوته، وقام معه بتطبيق بعض مبادئها

(١)

وليست ابنته .

ولئن لم تشر المصادر بالتفصيل الى الأدار التي قامت بهـ
هذه المرأة فى سبيل الدعوة بعد زواجها فمن المؤكد أنها قامت بأعمال
كبيرة فى سبيل نشر هذه الدعوة سواء فى مرحلتها الثانية أم الثالثة فى
أوساط النساء .

٣- تقوية الصلة بين زوجها الشيخ محمد وبين ابن أخيها الأمير
عثمان ، فرغم أن هذا الأمير قد قبل مبدئيا الدعوة السلفية ، فان من المؤكد
أن علاقة الاثنين قد ازدادت توطدا بهذا الزواج الذى يبدو أن الشيخ
محمد كان حريصا عليه لا لشهرة آل معمر فى المجتمع فحسب فأسرتـه
كذلك لها شهرة عالية فى هذا المجتمع ، بل لسمعة الجوهرة الاجتماعية
الخاصة بها الذى مر جانب منه ، ويبدو أن الشيخ كان يعتقد أن هـذه

(=) فى أصول الدين وفروعه حتى جاءه الضغط الخارجى من حاكم
الاحساء لاجراء الشيخ من العينة ففعل ، ثم ما لبث أن جاءه الى
الدرعية معتذرا من الشيخ طالبا العودة فاعتذر هو والامام محمد
ابن سعود ، ثم وفد الى الدرعية مابعا مع بعض أهل العينة ،
واشترك فى بعض الغزوات فى جيئ الدولة السعودية بل عين فى
بعض الفترات قائدا عاما لهذا الجيش ، قتل سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م
على يد بعض أهل العينة المؤيدين للدعوة وأمر الشيخ بعـده
فيها مشارى بن ابراهيم بن عبد الله بن معمر (ابن ربيعة ٩١ ،
حسن الريكى : لمع الشهاب ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ - ٣٢ ، ٣٧ ، حسين
خزعل ٨١-٨٣ ، امين سعيد : سيرة الامام الشيخ محمد بـ
عبد الوهاب ٢٢ - ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، عبد الله اليسام : علماء نجد
١/ ٢٣٩ - ٢٤٣ ، د . عبد الله الشيل : الشيخ الامام محمد بن
عبد الوهاب ٤٤-٤٦ ، د . عبد الله العثيمين ، المرجع السابق ٤٦-٦٠ ،
٦٨ ، تاريخ المملكة العربية السعودية ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥) .

(١) وقد وهم مؤلف كتاب " كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بـ

(=)

(١)

السمة ستؤثر على انتشار دعوته ولو في العينة بشكل مبدئي .

ومن هذا المنطلق فإن من المؤكد أن هذا الزواج قد وفر جـوا
مناسبا وهادئا للشيخ محمد للصدع بدعوته في العينة هذا مع ما كان يتمتع
به الشيخ نفسه من سمعة حسنة سواء في شخصه أم في أسرته .^(٢)

ولعل من أبرز النساء الشهيرات في المجتمع النجدي والدة الشيخ
نفسه ابنة محمد بن عزاز من آل مشرف^(٣) ، وقد شحت علينا المصادر باسمها
وأخبارها ، إلا أن أسرتها أسرة علم من بلد العلم (أشيقر) ، ومن المعتقد
أن لها دورا رئيسا في توجيه ابنها منذ صغره الى الاهتمام بالأموال الدينية
وتربيته التربية الصالحة ، ومن المؤسف أن الشيخ نفسه لم يشر لها لا من
قريب ولا من بعيد إلا أن من يعرف طبيعة المجتمع النجدي وتحفظه في ذكر
الأعمال التي تقوم بها المرأة يدرك الى أي مدى كانت تؤثر فيه ، ولكن بستر
وهدف ، ومما لا شك فيه أن الشيخ قد اكتسب من والدته كما أفاد من والده
الكثير من الخصال الحميدة في بيت جعل الاهتمام بالأموال الشرعية هاجسه
الأول .^(٤)

ورغم أن زوجة الأمير محمد بن سعود موسى بنت أبي وهطان قد برز

-
- (=) عبد الوهاب * (ص ٥٤ ، ٥٥) حينما ذكر أنها أخت عثمان .
(١) د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٧٠ ، تاريخ المملكة
٧١ ، حمد الجاسر : المرجع السابق ١٧١ / ١ .
(٢) د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٤٧ ، ٧١ .
(٣) سبقت ترجمة أخيها سيف بن محمد بن عزاز في الفصل الأول من
الباب الثاني .
(٤) اليسام : علماء ٢٦ / ١ ، ٣٢٩ ، الجاسر : ١٦٨ / ١ ، ١٦٩ .
(٥) هي موسى بنت أبي وهطان من آل كبير من بني لام ، وقيل انها من
الفضول من بني لام كذلك ، وقد أطلق عليها بعض الذين كتبوا عن
تاريخ نجد من غير أهلها بنت أبي وطحان ، كما أطلق عليها الشيخ
عبد الرحمن آل الشيخ بنت أبي وطبان كما وجدت في إحدى نسخ
ابن بشر (١٤ / ١ ، ١٥) أغرب فيها المعلق حينما قال : " لعلها
بنت محمد بن سويلم " ابن بشر ٢٤ / ١ ، الجاسر ١٦٤ / ١ ، ١٦٥ ،
أمين سعيد ٢٨ وقد سماها موسى بنت وطبان) .

دورها الواضح في تسهيل اقتناع زوجها بدعوة الشيخ محمد مما قد لا يدخل في فترة هذا البحث إلا أن من المعتقد أن هذا الدور لم يأت وليد ساعتها بل كان نتيجة لما كانت تتمتع به هذه المرأة من نفوذ قوى في إمارة الدرعية قبل مجئ الشيخ إليها ، فقد أثار عنها أنها كانت صاحبة عقل ودين ومعرفة وامرأة عندها هذه الصفات الكريمة لابد أن يكون لها أثر واضح في مختلف مجالات الحياة في هذه الإمارة ، إذ أن المرأة العاقلة الحكيمة تملك التأثير على زوجها حتى في أخطر الأمور ومهما كانت قوة شخصية هذا الزوج ^(١) .

وبعد : فقد كانت المرأة النجدية - رغم نظرة بعض الفئات المجحفة تجاهها - تقف الى جانب الرجل في محاولة التغلب على ظروف الحياة القاسية فكانت تقوم بكل شئون المنزل وتربية الأطفال ، فضلا عن العمل في الزراعة أو الاعتشاب وجمع الحطب من الصحراء ، أو الرعى ، والمساعدة في مجالات الانتاج المختلفة مع اسلامها القيادة العامة للرجل ، واعتراؤها له بحقوق القوامه وأعبائها كما قررها الاسلام ^(٢) .

ج : وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم :

لقد كان المجتمع النجدي بادية وحاضرة يحصل على الرقيق من مصادره شتى ، حيث تشكل سواحل افريقية الشرقية أكثر هذه المصادر امدادا لنجد - بل ولغيرها - من الرقيق فمن زنجبار تبحر السفن محملة بالرقيق

(١) ابن بشر ٢٤ / ١ ، ابراهيم عبيد : تذكرة أولى النهى والعرفان ط (١)

مطابع النور : الرياض ٣٠ / ٣١ ، الجاسر ١ / ١٦٤ ، ٦٥ .

(٢) د . العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١٣ ، ١٤ ، الأوضاع

الاجتماعية والاقتصادية في نجد . الدارة ع ٣ / ٣ س ٣ شـــــــــــــــــوال

١٣٩٧ هـ / سبتمبر ١٩٧٧ م ص ٢٣ .

الى منطقة الخليج وخاصة الى مسقط التي تعد أكبر مركز لتجارة الرقيق في منطقة شبه الجزيرة في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، حيث كانت بدورها توزع الرقيق على شبه الجزيرة والخليج وفارس والعراق والهند وغيرها ، وهناك مراكز جنوب غرب شبه الجزيرة التي تباع رقيقها في موانئ البحر الأحمر الجنوبية الغربية كالحديدة وجازان وغيرهما من الموانئ القريبة من مضيق باب المندب الذي يعد عامل وصل بين شبه الجزيرة وافريقية ، اضافة الى المراكز الحجازية كجدة ومكة ، الا أن نجد رغم حصولها على كمية من الرقيق من هذه المراكز فان للقواسم وهم من كبار تجار الرقيق في الخليج - دورا كبيرا في امداد نجد بأكثر كمية من الرقيق حيث يتم ذلك عبر عدد من المراكز في منطقة الأوساء وخاصة العقير والقطيف^(١) .

على أن هناك مصدرا آخر للرقيق وهو الهند فان السفن التي تفرغ بعض رقيقها الأفارقة في بومباي تعود محملة ببعض الرقيق من الهند وخاصة النساء لبيعهن في مناطق أخرى ومنها منطقة الخليج التي يتم منها امداد منطقة نجد كذلك بالرقيق الهنود ، ويبدو أن هذا المصدر كان يجلب عن طريقه رقيقا من أجناس أخرى من تلك الجزر الواقعة في المحيط الهندي كجزر سيلان والمالديف وغيرها ، فضلا عن حصول المنطقة على الرقيق من مراكز أخرى كمدن الشام والعراق التي كان يتم جلب الرقيق من المناطق الشمالية عبرها ، وكانت نجد تحصل على بعض هؤلاء وخاصة من النساء ففى اطار التعامل الشامل بين نجد وهذه المناطق^(٢) .

-
- (١) جون كيلي : بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠ م) ترجمة محمد أمين عبد الله . مطبعة عيسى الحلبي . القاهرة . نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ١٧٠٩٨٠٧/٢ .
- (٢) المرجع السابق ١٧٠٩٨٠٧٦٠٧٣٠٧٢٠٦٠٠٥٩٠٥٨٠٢٤/٢ .

وكما هو الحال عند بدو نجد في تلك الفترة فقد كان لا يمتلك الرقيق الا الوجهاً، والأغنياً وعلية القوم في الحضر، حيث يشكل هذا العامل علامة واضحة على ثراء المالك، ولعل هذا هو ما حدا بالشيخ أحمد المنقور الى أن يسجل السنة التي اشترى فيها عبده (ميريك) وهي سنة ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م على اعتبار أن هذا الشراء حدث مهم في حياة المنقور يؤكد أنها ميسرة الرزق مكنته من الحج أربع مرات ثلاث منها متوالية سنة ٩١، ٩٢، ٩٣ هـ، ومكنته من التفرغ لطلب العلم، والرحيل في سبيله، فضلاً عن التوسع الزراعي حيث كان يملك مزرعتين تعدان كبيرتين بمقاييس تلك الفترة، ومن هنا فان تأريخه لشراء ميريك يندرج في اطار تسجيله الشامل لحالته الاقتصادية من باب الشكر لله والتحدث بنعمه .^(١)

ويبدو من ذكر حالة الشراء تلك اثر ذكره لحجته الثالثة مباشرة أنه اشترى هذا المملوك من أحد أسواق النخاسة في الحجاز سواء من مكة أم من جدة بعد أن أنهى أعمال حجه، ونظرا لتعدد حجاته فقد عرف تلك الحجة بتزامنها مع ذلك الشراء حيث قال : " وفي سنة ثلاثة وتسعين^(٢) حجتى الثالثة يوم اشترى ميريك^(٣) مما يدل على أنه كان ينظر لهذا الحدث نظـرة^(٤)

(١) المنقور: التاريخ ١٨، ١٩، ٥٨ .

(٢) كذا في الأصل وصحتها (ثلاث) ص ٥٨ من تعليق الدكتور الخويطر على الحدث .

(٣) قال الدكتور عبد العزيز الخويطر في تعليقه على هذه الكلمة : أنها عامة الفعل للفصح " اشترى " والواقع ان شري ومشتقاتها احـد الاستعمالات الفصيحة لا شترى ، وقد جاء هذا الاستعمال في القرآن الكريم وان كان اقل من اشترى قال تعالى : " وليش ما شروا بـه انفسهم لو كانوا يعلمون " ، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، فيقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، وشروهم بثمان بـخس دراهم معدودة (السور والايات على التوالي البقرة ١٠٢ ، ٢٠٧ ، النساء ٧٤ ، يوسف ٢٠) رغم ان المقصود به هنا البيع وليس الشراء ، الا ان شري فصيحة ، قال في القاموس والتاج (باب الباء والواو فصل الشين) : شراء بشريه شراء ، وبالقصر والمد : المد لغة الحجاز ، والعصر لغة نجد وهو الأشهر . وقد وردت عند المنقور في احدى نسخه شراى .

(٤) المنقور : المصدر السابق ٥٨ .

خاصة اما من قبيل اعجابه بهذا المملوك أو عكس ذلك ، واذا علمنا أن توسعه الزراعى كان لاحقا لذلك الشراء أمكننا تغليب جانب الاعجاب على عكسه حيث من المتوقع أن يكون لميرك دور فى ذلك مما يبدو معه أن الشيخ كان بكل تصرف هاتين المزرعتين اليه أحيانا وخاصة اذا دفعت الرغبة فى العلم الى الرحيل عن بلده ، ولعل هذا هو السبب فى كون أولى رحلاته العلمية الى الرياض قد تلت هذا الشراء مباشرة عام ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م ، حيث توالى بعد ذلك تلك الرحلات لتلقى العلم على شيخه عبد الله بن ذهلان^(١) .

ونظرا لتعدد الأعمال التى يقوم بها الأرقاء فى المجتمع كالعمل فى المزارع والبيوت والرعى والاعتشاب وجمع الحطب من الصحراء وغيرها فقد كانت دواعى الاعجاب بهم أكثر ، ونظرة المجتمع فى عمومهم تتسم بالتكريم والتقدير لهم ، بل ان قسما من هؤلاء الأرقاء قد يبرز سيده فى حسن الأخلاق والصفات الحميدة ، وهذا ما كان محل اعجاب شديد من بعض فئات المجتمع حيث عبر عن ذلك حميدان الشويعر بقوله :

لقيت بالعبد أن عبر جـيـد^(٢) . . . كل المراحل فى يمينه تذكر
ولقيت بالأحرار حر باطل^(٣) . . . يسوى نصف لو يباع ويشترى

- (١) المصدر السابق ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) العبدان : احدى حالات الجمع لعبد وهى فصيحة ، جيد ، هكذا عند الفرج ، ومحمد سعيد كمال فى الأزهار ، وعند الحاتم (لقيت بالعبد عهد هيلع) ومعنى هيلع فى اللغة الضعيف وهو مغاير لما يقصده الشاعر هنا فهو من باب تحريف المعنى أو قد يكون من الهلع الذى من معانيه السرعة فى كل أمر وهى هنا صفة مدح على أساس أن بعض الرقيق سريع فى أداء الخدمة لسيده ومن يطلبها من سائر الناس ، يسوى نصف الخ : لعلها ما يسوى نصف ، والنصف مقدار كيل سبق بيانه ، وعند الحاتم : بنصف ملح لو يباع ما يشتري ، وفى هوامش الفرج وكمال : بنصف ملح لو يباع ويشترى : (الفهريز اهادى والزبيدى باب الدال فصل الممن ، وباب الممن فصل الهاء) .
ومن البيهتين : الفرج ١ / ٣٤ ، محمد سعيد كمال ٩ / ٢٠ ، الحاتم ١ / ١٥١ .

مقدرة ورغبة فى وقف جزء من ماله حفظ لكلتا الزوجتين معاملتهما معه فجعل
جزءاً من وقفه على أولاد سيده عقبه من تلك الزوجة التى تكرمه ، وحرّم منسبه
أبناء الزوجة الأخرى ، فضلاً عن أنه جعل ولاية الوقف الخيرية العام المذكور
فى وصيته لآمام مسجد أشيقر ويساعده - إذا ضعف - المصلح من آل عقبه
وان ترك الآمام الولاية فليس له أن يأخذ المقرر للوالى وهو ربع سدس حائط
ونصف السدس ، ومعنى هذا أنها ترجع الى من يتولاه من أبناء عقبه ، والمعتقد
- إذا صحت تلك الرواية - قصر ذلك على أبناء الزوجة التى تكرمه^(١).

والواقع أن صبيها لم ينس أصله السابق فى أنه مولى فقد أكد ذلك
فى وصيته المنشورة ، وقد عد بعد العتق من كبار الأثرياء فى أشيقر بما يملكه
من عقارات زراعية وغيرها مما ذكره فى وصيته ، وهذا يوضح جانباً اجتماعياً
مهما يتمثل فى إتاحة المجتمع النجدى الحضرى فى تلك الفترة للرقيق سواء
فى حال رقهم أم بعد العتق أن يعيشوا عيشة غنى مما يمكنهم - وخاصة
بعد العتق - أن يصبحوا من كبار الأغنياء فى المجتمع ويتبواوا مركزاً مرموقاً
فيه بما ينفقونه من أموالهم فى سبل الخير^(٢) ، بالإضافة الى ما هو متعارف فى
أوساط المجتمع النجدى كذلك من إتاحة الفرص للرقيق كي يتلقوا العلم ومن
ثم يحصلوا على مكانة اجتماعية عن طريقه حيث يلقى حامل العلم الشرعى
من النجديين التقدير والاحترام ربما فاق فى ذلك البارزين فى مجالات أخرى.

وتشكل الخدمة فى المنازل أحد أبرز مجالات العمل التى يقوم بها
الرقيق عند حضر نجد فى تلك الفترة ، وكان الذكور منهم بشكل خاص - يتولون
تجهيز القهوة وتقديمها للضيوف سواء بحضور أسيادهم أم لا ، ويصور دهباس
هذا الجانب فى قصيدته الجوابية على قصيدة والده حيث يثنى على أبيه قائلاً :

(=) العم ، العاطى : قاموس رد العامى الى الفصح (١٨٥) وعن البيتين

الفرج ٥٠ / ١ ، كمال ٣٤ / ٩ ، العاتم ١٦٤ / ١ .

(١) البسام : علماء نجد ٧١٦ / ٣ ، عبد العزيز المبارك وثائق الأحسوال

الشخصية من الناحية التاريخية ، العرب ج ١ / س ٢ رجب ١٣٨٧ هـ ،

ص ٥٧ (نص الوصية)

(٢) المرجع السابق ٥٦

راعى معامل بها العبد جلاس . . للبن بشرى بالسنين العسيرة (١)

وما من شك أن دباسا وقد ضمن قصيدته بعضا من مظاهر الفخـسر
بوالده قد عد امتلاك والده للرقيق أحد تلك المظاهر حتى يتسنى لـه
الاستمرار فى اكرام الضيوف مما يبدو معه أن لوالده مكانة اجتماعية جيدة.

وصفة عامة فقد كان الرقيق يلقون من حضر نجد التقدير والاحترام
تماما كما يلقون ذلك من بادية نجد وهذا ما مهد الطريق أمامهم نحو العتق
حيث يلقى المعتق كذلك معه وأثره التكريم والمساعدة كذلك، ويمثل هذا
باعطائه مال من مال عند سيده الذى يستعفف عن أخذ هذا المال رغم
أنه حق له على رأى بعض العلماء، بل قد يهبه شيئا من المال يستطيع
أن يواجه به متطلبات حياته الجديدة. (٢)

ونظرا لأهمية العتق كمرحلة أخيرة ينتقل فيها الرقيق من العبودية
الى الحرية فقد كان حضر نجد كباديتها يولونها أهمية قصوى حيث يشهدون
على ذلك بل يكتبون وثيقة على ذلك يكتبها القاضى أو أحد كتاب العدل
كتابة موثقة سواء كان الاعتاق لوجه الله تعالى أم كان بعوض، ويتم ذلك إما
فى حياة المالك أو يعلق حصول العتق بعد موته وهو ما يطلق عليه (التدبير) (٣)

ويختلف الحضر عن البدو فى بعض مظاهر النظرة الى الرقيق، فقد
كان بعض البدو يمتنع عن معاشرة رقيقة النساء، ولعل ذلك جهلا منهم بأحكام
الاسلام كجزء من جهلهم العام بأصول الدين وفروعه قبل دعوة الشيخ محمد

(١) راعى : صاحب ، معامل : يقصد بها أدوات عمل القهوة ، ورغم أنها
ذات أصل فصيح من العمل إلا أنها عامة بحتة فيما يظهر لـى ،
للبن بشرى الخ : أى أنه يشترى البن فى سنى الشدة والفقر حتى
يكرم ضيوفه . عن البيت : أباطين ٣٤ ، الحاتم ١/٢٦٧ .

(٢) ابن قاسم : الدرر السنية ٩/٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) سمي تعليق العتق بالموت التدبير لأن الموت دهر الحياة أى بعد ها
وصغته أن يقول لرفيقه أنت عتيق إذا مت ، أو يوصى بذلك فى وصيته
(ابن قاسم : المرجع السابق ٥/٣١٠) .

ابن عبد الوهاب^(١) ، أو أن ذلك نتيجة ترفعهم عن معاشره الرقيقات حفظاً
لأنسابهم وأصالتهم ، أما الحضر فوجود بضاعة من العلم الشرعى لدى بعضهم
وتوافر العلماء الذين يبينون لهم أحكام الرقيق ، فقد كانوا يعاشرهم من
شأنهم من رقيقاتهم لوجود النصوص الدالة على جواز ذلك من الكتاب والسنة .

ولما كان قسم كبير من رقيق نجد فى تلك الفترة يتمكن من تحرير
نفسه أو يمن سيده عليه بذلك فإنه لا يلبث أن يتزوج ويقيم أسرة له ، وقد
يبقى بعضهم على صلة بسيده ويمرور الزمن بتدرج ضمن فئة الخضرين ، وتنقطع
صلته بسيده ، إلا أن بعضاً من هؤلاء قد يلحق نسبه بالأسرة التى أعتقته
مما ترتب عليه تكثير الأسر التى لها أرقاء محررون ، كما نجم عنه كذلك رفع
الوضع الاجتماعى لهؤلاء الأرقاء بعد التحرر حيث عدوا ضمن التركيب
الأسرى عند حضر نجد لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، ويدين كثير من أنساب
هؤلاء الموالى للوضع الأمثل الذى حصل عليه آباؤهم أو حصلوا عليه هم
بعد التحرر ، وهذا ما يجعل المطلع على وضع الرقيق عند حضر نجد فى تلك
الفترة يتبين أن هذه الفئة قد لقيت من هؤلاء الحضر كما لقيت من البدو وكذلك
كل عطف ورعاية وتكريم لم تلقه فئة الرقيق فى كثير من المناطق المجاورة وغير
المجاورة ، مما أثر على هؤلاء الرقيق والموالى فيما بعد بتشبعهم بكثير من
عادات وتقاليد النجديين ، واندمجوا فى المجتمع النجدي بحيث يستحيل
تمييزهم عن بقية الأسر الحضرية فيه ، وما من شك أن هذا نتيجة تأقلمهم
الأسر النجدية مع هذا الوضع الذى قبله هؤلاء وأولئك ، ومنوا علاقاتهم
الاجتماعية فى إطاره^(٢) !

Burckhardt . J. L. Notes on the Bedouins and Wahabys , (١)
London 1831 . 1 / 181

(٢) الجاسر : معجم أنساب الأسر المتحضرة ٨ / ١ ،

A. Al- Juhany p. 175.

ويمكن القول أن النظرتين المتشددة والمتسامحة قد غلبتا على
حضر نجد في تلك الفترة بحيث سارتا في خط متواز سواء في نظرة المجتمع
الى البدو أم نظره الى المرأة أم نظره الى الرقيق ، وفي هذه الفئات
كذلك ، وهذا يشير الى تكامل هاتين النظرتين ، فاذا جنحت النظرة
المتشددة بأصحابها الى القسوة في آرائهم مالت بها النظرة المتسامحة
الى الهدوء وتغليب المنطق السليم ، واذا أفلحت النظرة المتسامحة الزمسان
في البت بأي قضية اجتماعية التفتت الى الجوانب الحسنة في النظرة
المتشددة من أخذ الحيطة والحذر والحزم وما الى ذلك ، وهكذا حافظت
هاتان النظرتان مجتمعيتين على الاندماج الكامل للفئات الاجتماعية عند حضر
نجد ، وأسهمت بقدر جيد في وحدة المجتمع النجدي بادية وحاضرة بحيث
بدا المجتمع - رغم كثرة الصراعات فيه - ذاكيان اجتماعي واحد تلتقى أصوله
الأسرية وتتماثل عاداته وتقاليده .

ومن جانب آخر فان تشابه تلك النظرتان للفئات السابقة وغيرهما
مع نظرات عرب الجزيرة قبل الاسلام وحده قد أوجد بين الجانبين جذورا
من الاتفاق في وجهات النظر بين هؤلاء وأولئك في كثير من القضايا
الاجتماعية ، بل ان الباحث في عادات وتقاليد النجديين في تلك الفترة
يستطيع تلمس أوجه الشبه بينهم وبين أولئك الأقدمين في كثير من مجالات
الحياة ، مما يتيح له تطبيق بعض المظاهر الاجتماعية القديمة على أهمل
نجد .

الفصل الثالث

العادات والتقاليد المتعلقة بالحياة اليومية

- ١- أمثلة من العادات الخاصة بالزواج .
 - ٢- الممكن وبعض الأساليب المتبعة فيه .
 - ٣- الملبس وأنواع الملبوسات .
 - ٤- أبرز أنواع الأكل والعادات الخاصة به .
 - ٥- أبرز المشروبات وأنماط من العادات المتعلقة بالمشرب .
-
-
-

التفضيل لابنة العم أحيانا منشأوه قديم عند العرب اعتقاداً منهم أن ابنة العم أصبر ومن هنا فقد عداوا النكاح منها أحد المناكح الكريمة^(١).

إن التفضيل المتوارث عند بعض حضر نجد للزواج من ابنة العم لا يترتب عليه اضرار بها كما يحصل عند البدو في هذه القضية بل متى عدل عنها ابن عمها أو لم ترضه هي مضى كل منهما في سبيله ولا يحصل من جراء ذلك قطيعة بين الأسر الا قليلا .

ومن هذا المنطق فقد عرف حضر نجد مختلف أنواع الزيجات التي كان العرب قبل الاسلام ويعدده يتزوجون على أساسها وهي : ١- الزواج المحصور في الأسر فلا يتعدها ، ٢- الزواج الأوسع مجالا وهو الزواج من القبيلة نفسها وخارج نطاق الأسرة ، ٣- الزواج الاغتراقي وهو الزواج من خارج الأسرة وربما من خارج القبيلة التي ينتمى اليها يريد الزواج ، وقد يضطر الى ذلك لوجود عدة أسباب كمنع بعض أفرادها من الزواج من أقاربهم أو عدم وجود بنات صالحات للزواج داخل الأسرة أو ما شابه ذلك ، وهذا الزواج قد أقره الاسلام بل أكد عليه في بعض النصوص ، ٤- الزواج الذي يجمع

(١) د . جواد علي : مرجع سابق ٦٣٩/٤ ، ٦٤١ .

(٢) يرى بعض الباحثين الاجتماعيين أن تحريم الاسلام لزواج الانسان ببعض قريباته الذي ورد في آية النساء (٢٣) : " حرمت عليكم عليكم امهاتكم " الآية يندرج في اطار تفضيل الاسلام للزواج الاغتراقي كما أورد بعض العلماء أثرا نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : " اغتربوا لا تزوجوا " أي تزوجوا فريبات ليقوى نسلكم ولا تتزوجوا في العمومة ومنشأ ذلك اعتقاد بعض العرب أن ولد الرجل من قرابته يجي ضاويها أي نحيفا ، ولم أتبين درجة صحة هذا الحديث - رغم بحثي عنه - كما أوردوا قولاً لعمرجاء فيه " يابني السائب انكم قد ضويتم فانكحوا في النزائع أي تزوجوا في البعيدات نسباً عنكم ، وقد أكد النجديون اعتقادهم بهذا الرأي في الشل العامي " ابعد اللحم من اللحم لا يخيس " أي لا يعفن ، ورغم أن هذا الشل شامل لمعان أخرى الا أنه في موضوع الزواج أوضح وللاستزادة (=)

بين الأنواع الثلاثة السابقة بحيث يتم الزواج من الأسرة والقبيلة وخارجهما في حالات عدة، وما من شك أن هذا الأخير عامل من عوامل التواصل الاجتماعي بين الأسر النجدية المنتمة الى أصول قبلية مختلفة^(١).

ورغم أن التكافؤ في النسب في الزواج يعد قضية خلافية فقد أخذ حضر نجد بالمشهور من المذهب الحنبلي الذي يؤكد على هذا الجانب على خلاف بين متقدمي الحنابلة ومتأخريهم هل الكفاءة في النسب شرط لصحة النكاح أو للزومه، إذ أن المتقدمين يرونه شرطاً للزوم والصحة، والمتأخرون يرونه شرطاً للزوم فقط^(٢)، ويبدو أن علماء نجد في تلك الفترة قد عدوا الكفاءة شرطاً للصحة، وقد أكد ذلك ابن ذهلان حينما قال في موضوع النكاح: "فمن لم يعرف له نسب من العرب، ليس كفواً لمن هو معروف^(٣) وإذا علمنا أن نظرة أهل نجد قبلية محضة في موضوع الزواج بشكل خاص أدركنا أهمية تمسكهم بهذا الرأي.

وليس تفضيل بنت العم على إطلاقه فقد كان يقرن في كثير من الحالات بالتحقق من سلوك وطبيعة أمها، على أن هذا التحقق أمر لا بد منه سواء كانت المقصودة بالزواج ابنة عم أم غيرها، وهذا الأمر أصيل عند العرب كأصالة تفضيل بنت العم تماماً فقد أثر عنهم التأكيد على خطورة

(=) (الفيروزابادي والزبيدي باب الواء والياء فصل الضاد، د. جواد علي ٦٣٩/٤، معجم العلوم الاجتماعية مادة أضواء، وزواج افتراهي ص ٤٧، ٤٨، ٣٠٦، عبد الكريم الجبهيمان: الامثال الشعبية ٣٠/١).

- (١) د. جواد علي ٦٢٩/٤، معجم العلوم الاجتماعية ٣٠٦.
- (٢) منصور البهوتي: شرح منتهى الارادات ٢٦/٣، ٢٧، ابراهيم بن ضويان: منار السبيل ط (٤) المكتب الاسلامي دمشق، بهسروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١٥٨/٢-١٦١، محمد آل حسين: الزوائد ٦٤٣/٢.
- (٣) المنقور: الفواكه ٣٢/١.

نزع العرق من جهة الأم كقولهم: "عرق الخال لا ينام" بل أثر عن بعض العلماء القول ان عرق الخال أنزع من عرق العم،^(١) وقد أكد النجديون أهمية أثر طباع الأم وأخلاقها في طباع بنتها وسلوكها وأهمية مراعاة هذا الجانب عند التزوج بها، وذلك في المثل العامي الذي يقول: "الى بغيت تضمها فانشد عن أمها"^(٢) وما يدل على قدم هذا المثل عند النجديين وروده في بيت لحميدان الشويعر يقول فيه:

والمره ضمها لا عرفت أمها . . . ثم صن عرضها لا يغربحها^(٣)

على أن للنجديين رأيا آخر في ضرورة التحقق من طبيعة وأخلاق الرجل سواء كان المقصود به الزوج أم والده أم والد الزوجة، فمع التشدد في موضوع النسب لابد أن يتصف الرجل أو الأسرة بصفات فاضلة كالكرم، وفي هذا الصدد فقد حذر حميدان من مصاهرة البخيل الذي لا يطعم نفسه وأهله الا بشق النفس مؤكدا على ضرورة مصاهرة الكريم الذي يرحب بضيوفه ويحرص على دفع عائلة الجوع لمن لجأ اليه بسببها، ثم هو لا يمل من كثرة الوافدين عليه بل يقابلهم في كل مرة بكثرة الترحيب الذي تبدو سيماه على وجهه ومحياه بالتبسم وادخال السرور على من قدم اليه، وهذا كله يرينا الى أي مدى كانت نظرة النجديين متشددة في موضوع الزواج من جميع الجهات حرصا على أن تكتسب الأسرة الجديدة صفات محمودية، وخوفا من حدوث مشكلات أسرية تغذيها تلك الصفات السيئة الموجودة لدى البعض، يقول حميدان:

لا تناسب بخيل كثير الحلال . . . مهنته كل يوم يقيس عشاه

-
- (١) د. جواد علي ٤/٦٤١، ٦٤٢
(٢) العبودي: المرجع السابق ١/١٣٨، وانشد: أي اسأل.
(٣) خالد الفرج ١/٤٣، محمد كمال: الأزهار النادية ٩/٢٨: خيسار ١/١٦٥، ويروى بعض كلمات البيت: الى عرفت، لا يغرب ولا والى بمعنى اذا.

ناسب اللى يرحب الى جوجهماع . . . والتبسم بسنه من أول قراءه^(١)

وتنتشر فى نجد فى تلك الفترة ظاهرة الزواج المبكر نظرا لبساطة الزواج وبسر أموره فى اطار البساطة العامة لكافة مجالات الحياة ، فمتسنى ما رأى أهل الفتى أو الفتاة فى أنفسهم القدرة على القيام بتكاليف الزواج فانه يتم باجراءات سهلة وميسرة سواء فى أوساط الأسر الغنية أم الفقيرة اذا تحققت هذه الأسر من وصول أبنها أو بنتها حد البلوغ الشرعى ولو لم يبلغا سن الخامسة عشرة^(٢) ، ومعلوم أن الحرص على الزواج المبكر تدفع اليه عدة عوامل فى تلك الفترة كاحسان الشاب ، والحرص على تكثير النسل لتعويض النقص الحاد فى عدد السكان الحاصل بسبب الوفيات من الأمراض أو الحروب أو الهجرات الخارجية ، كما أن لسرعة الانجاب فائدة مهمة ، وهى أن يكون الأولاد فى سن يتمكنون معها - فى فترة قياسية - من مساعدة أهلهم للتغلب على سائر العقبات فى مجالات الحياة العامة ، وحتى يكونوا عزوة لأهلهم فى مجتمع برزت فيه ظاهرة الصراع بين الأسر والأفراد ، ولعل مما يذكر فى هذا الصدد كمثال للزواج المبكر ما روى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تزوج فى سن الثانية عشرة من عمره بعد تحقق والده من بلوغه الاحتلام فى هذه السن ، وقد أكد الشيخ عبد الوهاب ذلك فى رسالة

-
- (١) الفرج ١/٤٢، ٤٣، كمال ٩/٢٧، الحاتم ١/١٦٤، ويروى التبسم (بتبسم) ومعنى يقيس عشاء أى يقدر عشاء تقديرا محددا أو ناقصا .
(٢) أشار الفقهاء الى أن البلوغ الشرعى له علامات اذا ظهرت واحدة منها فقد بلغ الفتى أو الفتاة وهى ١- انزال المني ٢- نبات شعير العانة ٣- بلوغ خمس عشرة سنة وتزيد الفتاة علامة رابعة وهى الحيض كما ذكر بعض علماء الاجتماع علامات أخرى كخشونة الصوت، وزيادة الطول والوزن ، ولهذا فعلماء الاجتماع يعرفون البلوغ بأنه " ظاهرة يعربها النشئ فى سن معينة وتتميز بنضج الوظائف الجنسية وما يصاحبه من تغيرات جسمية وعقلية وانفعالية " ولهذا فليس له سن محددة تماما فقد يقل عن الخمس عشرة سنة أو يزيد . (محمد العشيمي : مرجع سابق ٤٣ ، ٤٤ ، معجم العلوم الاجتماعية : مادة بلوغ الحلم ص ٩٨) .

الى بعض أصحابه قائلا : " وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل اكمال اثنتى عشرة سنة على الاتمام " الى أن قال " وزوجته بعد البلوغ فى ذلك العام (١) وما من أن مذكروه الشيخ عبد الوهاب عن بلوغ ابنه سن الاحتلام فى هذه السن بعد أمرا غير عادي (٢) إلا أنه معقول وممكن الحدوث بل المعتقد أن تلك حالة من حالات عديدة عرفت بها هذه المنطقة وغيرها فى كل وقت نظرا لكون البلوغ له عدة علامات قد تظهر احداها فى وقت مبكر .

ومن الأمور المألوفة والمنتشرة تعدد الزوجات فى حدود ماسمح به الشرع ، وحسب المقدرة المالية ، فعلية القوم قد يصل التعدد لديهم الى أربع زوجات ، إضافة الى التسرى مما ملكت اليه من الامام ، وعامة الناس لا يتجاوز التعدد المثنى أو الثلاث .

ومن عادة النجديين تخفير البنت المراد تزويجها بحيث أن البنت اذا بلغت الخامسة عشرة من عمرها أو بعد ذلك أو قبله تحبس عن الأنظار حتى يتم تزويجها حيث تنطلق بعده الى الحياة العامة لتتارس دورها فيها ، وهى فى هذه الحالة تتمتع عن مقابلة غير أقاربها بل ربما منع بعض النساء من رؤيتها كذلك .

-
- (١) ابن غنام : روضة ١ / ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) د . عبد الله العثيمين : الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ٣ .
(٣) الخفر محرقة فصيحة تعنى الحياء أو شدته واستعمال هذا اللفظ فى نجد له دلالة من معناه الفصيح فهو يعنى حجب البنات أو احتجابها ومنه المثل العامى عن الولد " يطعن ويطعن والبنات مخفرات " (الفيروز ابادى والزبيدى باب الرأء فصل الخاء ، العبودى المرجع السابق ٥ / ١٤٧٤ ، ١٧٤٨) ، ولما كان تخفير البنات يسبق زواجها فى الغالب فقد كان عامل اغراء فيها ، وصفة مكلمة لحسنها اذ جمال المرأة يكمن فى حياتها والى هذا المعنى أشار الهزائى بقوله :

سالبات الملا تلح الرقاب .. خردات بالبيوت مخفرات
(محمد سعيد كمال : الأزهار النادية ١٢ / ١١٥)

أما الصداق فكان على جانب كبير من البساطة سواء كان نقدا قليلا أم شيئا عينيا محدودا، ومن أبرز ما تصدق المرأة به النخل حيث ي مهرها عدد من النخل نبعها وشعرا تزيد أو تقل حسب حال المتزوج سواء كان صاحب مزرعة أم لديه بعض النخل في بيته، كما قد يصدقها بعض الفرش أو الألبسة أو الأغطية أو الأحذية^(١).

ويبدو أن عادات النجديين تختلف في طريقة دفع المهر فبعضهم يدفعه مرة واحدة سواء كان حالا أم مؤجلا وبعضهم قد يدفعه على مرحلتين مقدم ومؤخر بحيث يدفع المقدم قبل العقد ويؤخر الباقي إلى مدة معلومة، وقد أكد الشيخ عبد الله بن زهران على جانب من هذه العادات حين قال "وظاهر عاداتنا وعرفنا أن الصداق المذكور عند العقد أنه يكون مؤجلا بلا شرط ولا يخسر على القول بالفسخ به"^(٢).

وكان بعض الآباء يأخذ من صداق ابنته مقدارا معلوما كحق لـه وربما شرط لأمرها كذلك، وقد أفنى العلماء بجواز ذلك للأب فقط عند الخلاف وشرط أن لا يجحف بمال البنت واستدلوا على ذلك بقول شعيب لموسى عليهما السلام فيما حكاه الله عنه بقوله: "انى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج"^(٣). الآية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت ومالك لأبيك" وقوله: "ان أولادكم من كسبكم فكلوا من أموالهم" وفي رواية: "أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم"^(٤)، ورغم وجسود

(١) ابن قاسم: الدرر السنية ٦/٣٤٣، عبد الرحمن السويداء: مرجع سابق ٢٧٠.

(٢) المنقور: المصدر السابق ٦٢/٢.

(٣) القصص آية ٢٧.

(٤) روى الامام أحمد هذه الألفاظ في حديث واحد بثلاث روايات فيها بعض الاختلافات البسيطة في الرواية، (السند ٢٠٤٠، ١٧٩/٢، ٢٠٤٠، ٢١٤).

هذه العادة عند عدد - ولو محدود - من النجديين واقتفاء العلماء^(١) بجوازها فان الظاهرة البارزة لأغلب النجديين حرصهم على تزويج بناتهم الأكفاء من الرجال والاستعفاف المطلق عن أن يأخذوا من مهرهن قل أو كثر بل كانوا يعمنون على اتمام الزواج بدفع بعض النفقات، واعداد بعض التجهيزات، وعدم التعقيد في اجراءات الزواج سواء كان للتطلع الى الكسب المادى أم المعنوى من وراء الزواج، وقد صور بروز هذه الظاهرة الخيرة لدى النجديين المثل الذى يقول: "زوجوهن وأعينوا عليهن"^(٢) ومن هنا فقد كان مقت النجديين شديدا لمن يأخذ من مهر ابنته.

ويطلق النجديون على الصداق المهر أو الجهاز على أساس أنه تجهز به العروس الى بيتها بأثاث وكسوة وما الى ذلك، وهذا هو الذى بموجبه يتم الاتفاق على الزواج، الا أن للنجديين عادة فى هذا المجال، وهى أنه اذا اتفق على المهر الذى يعادل تكاليف الجهاز فى الغالب يتم العقد على مبلغ زهيد جدا كرمز لرغبة أهل البنت لهذا الزوج وبالتالى رغبة الطرفين فى اتمام هذا الزواج، ومن هنا فقد نظر فقهاء نجد فى تلك الفترة الى أن ما يتم العقد عليه بعد دفع المهر يعد زيادة لصحة العقد، وتلحق بالمهر فيما يرتبط به من أحكام كالرجوع على الزوجة بنصفه اذا طلقها قبل الدخول، وتملكها له بزيادته اذا طلقها بعد الدخول^(٣).

(١) ابن قاسم ٣٤٤/٦

(٢) الجهيان: المرجع السابق ٢٤٣/٣، وما من شك أن هذا ينطلق من فهم جيد لموضوع الزواج كما أكد عليه الاسلام فى تيسير أموره وتسهيل متطلباته فهذا المثل يعبر عن فهم للحديث الذى رواته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ان أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة" وفى رواية عنها كذلك: "أعظم النساء بركة أيسرن مؤنة" رواه الامام أحمد فى مسنده (١٤٥، ٨٢/٦).

(٣) المنقور ٥٨/٢

وينظر النجديون الى الجمال الأنثوي البارح بشئ من الحذر لكونه صورة زائلة، ولما قد يحدث عنه من شدة الادلال، ومحنة الرضة لكنهم يفضلون حسن الصورة وجمال الجسم وتناسق أعضائه بشكل واقعي ويؤكدون على هذه الناحية عند الرغبة فى الزواج، ومن هنا فانهم يحرصون بالدرجة الأولى على أصالة البنت وكرم أخلاقها، وهم فى هذا ينطلقون من نظرة أصيلة عند العربى منذ القدم الذى تواترت القصص على شدة مراعاته لهذا الجانب عندما يبدى رغبته فى الزواج، وقد جاء المثل النجدى: "من أخذ عشق خلى عياف" ^(١) مؤكداً على النهى عن اعتبار الجمال الخلقى أساساً لاختيار الزوجة مع ترك الاهتمام بالأمور الخلقية والدينية، وموافقاً فى مفهومه مع الحديث الوارد بهذا الخصوص والآثار الأخرى التى توضح هذا الجانب وتقرره، ورغم تقرر هذه النظرة عند غالب أهل نجد إلا أن الزوجة النجدية أثيرة عند زوجها فهى ذات مركز مرموق فى البيت ومكانة سامية فى الأسرة رغم ما قد يبدو أن الوضع خلاف ذلك ومن هنا فقد وجد فى نجد - كما سلف - زوجات فرضن أنفسهن على عالم الرجال من خلال عدد من المزايا التى تحلن بها مما دفع الرجال الى أن يكرمهن ويحظوهن حتى ضرب النجديون مثلاً للمرأة الأثيرة عند زوجها بقولهم: "مدللها دلال السيف بحلاقه، والمفتاح بفلاقه" ^(٢) وهذا المثل كما يصور درجة

(١) العبودى: ١٣٨٩/٤، الجبهان ١٥٧/٨، أخذ يعنى تزوج، ففى

عشق تعريف فى نحوها اذا المفروض نصبها لانها مفعول لأجله، خلى: سبق تعريف التخلات أو التخلية فى عرف النجديين وأنها تعنى الطلاق أو الخلع البائن وذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى ورد النهى عن اعتبار الجمال مقياساً عند الزواج فى الأثر المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم والذى يقول: "اياكم وخضراء الدمن، فقبل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء" ضعفه بشدة الألبانى فى الاحاديث الضعيفة (٢٤/١، ٢٥) بل

قال: انه متروك ومزاً ذلك لسنده واعتمد على عدد من كتـــــــــــــــــب الحديث فى ذلك، كما ورد النهى كذلك فى الحديث الذى ورد فيه "لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن من أن يرديهن" الحديث رواه ابن طاجه (٥٩٧/١) وضعفه المحقق، ومن تأصل هذه النظرة عند العرب انظر د. جواد على ٦٣٥/٤، ٦٤٠.

(٢) العبودى ١٣٤٠/٤، معنى حلاقة حليته، وفلاقه، قفله وحفظه (=)

حب بعض الرجال لزوجاتهم الى درجة التدليل فانه يصور ضعف بعض الرجال أمام نسايتهم ، ووقوفهم تحت تأثير اغرائهن سواء كان عن طريق جمالهن أم ما يتصفن به من صفات كريمة .

ويطلق النجديون على المرأة مرهدة الزواج أو المراد الزواج منها نعوتا تبين جانبها من طبع بعض النساء اللاتي على وشك الزواج كالرغبة في الزواج من الغنى وتفضيله على غيره ، وهذه الصفة مما تأصلت لدى النساء في فترات التاريخ المتعاقبة ولدى أغلب المجتمعات ، وقد أكد المثل النجدي " المرة جردة " بروز هذه الصفة عند غالب النساء ، وبعض النجديين يزيد على المثل ما يوضحه فيقول : " المرة جردة ما تاقع الا على خضرة ^(١) وهذا المثل في الحقيقة لا يبعد وأن يكون توضيحا وتقريراً لتلك الصفة المتأصلة والتي أكدتها النصوص الفصيحة المتواترة عند العرب ، ومن أبرزها قول الشاعر عبدة بن الطبيب :
 فان تسألوني بالنساء فاننسى . . . علم بادوا النساء طبيب
 اذا شاب رأس المرء أو قل ماله . . . فليس له في ودهن نصيب ^(٢)

(=) يريدون أن المرأة الأثيرة عند زوجها بمكانة السيف الغالى الثمن ذى الحلية الذى لا يمس ، ومتملة الفتاح للخزنة التى تحوى أشياء ثمينة فهو فى حرز مصون .

(١) العبودى ٤ / ١٣٤٥ ، تاقع : تقع ، ومعنى المثل أن المرأة كالجسرادة لا تقع الا على شئ أخضر ويقصدون أن المرأة التى على وشك الزواج لا ترغب الا فى الغنى الشاب .

(٢) هو عبدة بن يزيد الملقب بالطبيب أو الطبيب بن عمرو بن على بن بنى سعد بن زيد مناة بن تميم أحد الشعراء المخضرمين الفحول شهد بعض فتوح العراق وفارس مع المشنى والنعمان ، رثى قيس بن عاصم المنقرى التميمى بأرثى بيت قالت العرب وهو :

وما كان قيس هلكه هلك واحد . . . ولكنه بنىان قوم تهدما
 وكان عمر رضى الله عنه يعجب بشعره ، وقيل لأحد العارفين به انه لا يحسن الهجاء فقال : بل كان يترفع عنه توفى أو استشهد قريباً
 من سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م (أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٢٣ / ٨١٨٠ -

يردن ثراء المال حيث علمنا أنه . . . وشرح الشباب عند هن عجيب (١)

وتتأكد تلك النظرة فيما يروى على السنة العذارى والعوانس الراغبات في الزواج حيث يروى عنهن قولهن : " يا الله مالي " جصيسته ، رابط بغيرته ، دافن أميته^(٢) وهو دعا الى الله عز وجل أن ييسر زوجا على درجة من الغنى والمسر تتمثل في توفر كمية كافية من التمر لديه حيث يشكل غذا^٣ رئيسا في تلك الفترة وأن يبلغ هذا التمر قدرا يجعل هذا الزوج يملأ مكان خـزن التمر المعروف آنذاك وهو الجصة^(٣) ، وأن توجد لديه بقرة يربطها في بيته للحصول على اللبن منها في أى وقت ، وإذا توفر للانسان حينذاك تمرا ولبننا فذلك يعنى ارتفاع مستوى المعيشة لديه وهو قمن اذا خطب أن يتكج ، أما الفقرة الثالثة من المثل فتعنى أن والدته قد توفيت حتى تنفرد الزوجة بزواجها من غير مشاركة والدته لها في حبه ، ومعلوم ما يكون بين والسدة الزوج (الحماة) والزوجة من الخصام والنزاع في الغالب في كل فترات التاريخ وعند سائر المجتمعات ، وإذا توفرت هذه الأمور الثلاثة في رجل فان ذلك سيحقق قدرا كبيرا من السعادة لزوجته .

ولما كان الوضع اللائق بمكانة المرأة في الزواج أن يتم عن طريق الخطبة وهي أن يطلب الرجل المرأة للزواج بأى وسيلة حفظا لكرامتها فقد كانت نظرة النجديين منسجمة مع هذه القاعدة ولهذا فقد نظروا لمن يعرض ابنته للزواج نظرة ازدراء مهما كان الهدف وراء هذا العرض مثل أن يرى فسى

(=) ٨١٨٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ / ١١٣ ، ٦ / ١١٤ ، ٧ / ٩٦ طبائع النساء ١٦٠ ، ابن حجر : الاصابة ٣ / ١٠٠ ، ١٠١ ت ٦٣٩٢

الزركلى : الاعلام ٤ / ٣٢٢ .

(١) ابن عبد ربه : العقد ٧ / ٩٦ ، طبائع النساء ١٦٠ ، وشرح الشباب أوله وربعانه .

(٢) العبودى ٥ / ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ .

(٣) سيأتى تعريف الجصة ضمن الحديث عن المسكن باعتبارها من أهم محتويات البيت النجدي .

شخص كفاءته أو ماشابه ذلك ، وقد أكد النجديون هذه النظرة في المثل الموروث من عرض بنته للزواج ^(١) بارت^(١) ورغم أن هذا المثل لا يشكل قاعدة عامة فقد توفق بعض الزيجات بهذا الأسلوب الا أنه يؤكد على أهمية الخطبة في الزواج كما يشير الى وجود بعض الحالات التي تعرض فيها البنت للزواج وهذه النظرة تتطابق تماما مع النظرة المتأصلة لدى العربى منذ القدم فى أن يتم الزواج عن طريق الخطبة للمرأة وليس عن طريق الاختطاب للرجل حيث يعتقدون أن الاختطاب لا يكون الا لامرأة فيها بعض العيوب نفسى خلقتها أو خلقتها أو طبعها وأنها لو كانت خالية من أى عيب لتسابق اليها الخطاب^(٢) ، ورغم أن لهذا الاعتقاد وجه من الصحة فى بعض الحالات فانه يتعارض مع نظرة الاسلام فى اختيار الزوج الكف عن طريق الخطبة أو الاختطاب ، ومن هنا فقد قرر الفقهاء أن الخطبة هى السبيل الأشمل للزواج الا أنهم قرروا كذلك أنه لا بأس بسعى الأب لتزويج ابنته لاختيار الكف لها ، واستدلوا على ذلك بعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان رضى الله عنهم^(٣) .

ان هذا العرض المجل لبعض عادات حضر نجد فى مسألة الزواج لا يعدو أن يكون اطارا عاما يندرج حوله الكثير من العادات الأخرى فى هذا

(١) الجهمان ١٩٧/٨ .

(٢) الفيروز آبادى والزبيدى باب الباء فصل الخاء

(٣) ابن ضويان : المرجع السابق ١٤٥ / ٢ ، وللتفصيل فى قصة عرض عمر حفصة على أبى بكر وعثمان وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر على الهيثمى : مجمع الزوائد ٢٧٧ / ٤ حيث عرض هذه القصة معها قصة أمرا بى عرض ابنته على رسول الله صلى الله عليه وسلم للزواج منها ، ابن حجر : الاصابة ٢٩٤ / ٤ ، ٢٩٥ .

المجال ، حيث توجد تفصيلات لمراحل الزواج تتشابه فيها نجد مع بعض المجتمعات المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا ، وإذا تحدثت عنها بعض المؤلفات التي تبحث في العادات النجدية فليس هنا مجال التفصيل فيها .^(١)

٢- السكن وبعض الأساليب المتبعة فيه :

يعد أسلوب السكن الحد الفاصل الواضح بين حياة البدو والحضر في نجد منذ أقدم العصور الى وقت قريب ، حيث تتداخل أساليب الحياة الأخرى في الغالب بين الطابع البدوي والحضري ، أما السكن فهو أبرز ما يميز كل فريق عن الآخر ، على أن بعض الباحثين يرى أن أسلوب السكن ذاته تغلب عليه الطبيعة البدوية - وإن بدا في الظاهر أن الحضر أهل قسار والبدو أهل نجوع - ففي نجد - بشكل خاص - برزت الطبيعة البدوية على مظاهر السكن غير المادية عند الحضر الذين يمكن أن تنطبق عليهم صفة التحضر من ناحية السكن والاستقرار ، والتعلق بالأرض ، وعدم ارتحالهم عنها كما يفعل البدو ، إلا أنهم لم يشكلوا تجمعات سكانية حضرية كذلك التي تكونت في المناطق المجاورة لنجد من ناحية كبر هذه التجمعات وقيام الدول الكبرى على أساسها ، فبقيت المساكن الحضرية في نجد أشبه بمساكن البدو في بساطة البناء وتناثرها حول الواحات وآبار المياه ، ويزور طابع العصبية على تكوين هذه المساكن .^(٢)

وتتفق المساكن النجدية - على اختلاف أشكالها - مع عناصر وأنماط مساكن حضر العرب الأقدمين ، فمن حيث تكوينها تتخذ من الطين المستخرج

(١) عبد الرحمن السويداء : مرجع سابق ٢٦٩ - ٢٧٣

(٢) د . جواد علي ٢٧٢/٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، د . أبو علي : الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز : المطابع الأهلية للأوقاف والرياح . نشر دار الملك عبد العزيز ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٢٥٥ .

من بطون الأودية المتوافرة في المنطقة، والملاحظ في هذا الصدد أن اتخاذ مادة الطين كوسيلة للبناء لا تنفرد بها نجد أو المناطق المجاورة لها بل عرف ذلك الانسان القديم في مناطق كثيرة من العالم، مما جعل هذه المادة تعد أقدم الوسائل العمرانية في العالم، ويبدو أن طرق الاستفادة من الطين كذلك تتفق فيه نجد مع غيرها من المناطق سواء عن طريق استخدام القوالب الخشبية لتشكيله الى " لبس^(١) " أم بوضع الطين على شكل عروق طبقات بعضها فوق بعض ترتفع حتى يكتمل الجدار، هذا فضلا عن أسلوب خلط الطين بالأقدام العارية^(٢).

وكما عني العرب الأقدمون بزخرفة الأبواب والنوافذ وبعض الجسدر الداخلية لبعض الغرف الخاصة بالضيافة والجلوس فقد اهتم النجديون الحضري بهذا الجانب، والمطلع على بعض ما أبدعته يد النجار النجدى من زخارف وأشكال فنية في العيادين السابقة الى وقت قريب يمتلكه الاعجاب من دقة هذه الأشكال وجمال تلك الزخارف التي تدل على حسن فنى لدى النجديين رغم ما تتسم به من طابع البساطة، ورغم قسوة الأحوال العامة في تلك الفترة، ورغم أن هذه الزخارف ليست في مستوى ما كان معروفا في المناطق المجاورة ككرة في تلك الأشكال ودقة في تنميقها^(٣).

(١) سبق تعريف اللبن والطين والتلبن في الفصل الأول من الباب الثالث

(٢) صحيفة الرياض عدد ٦٧، ٨ السنة (٢٣) بتاريخ ١٢/٣/١٤٠٧ هـ ص ١٩، وقد نقلت تفاصيل خبر عن وكالة رويتر ملخصه أن أحد المختصين

الامريكيين في مجال البناء فتح مدرسة في جنوب غرب الولايات المتحدة لتعليم الطلاب كيف يقيمون منازل عن طريق الاستخدامات الطينية، وكيفية التلبن وأسلوب خلط الطين، وهي طريقة تشبه طريقة النجديين، ويبدو من فعوى الخبر أن هذه المدرسة تدرس كذلك تاريخ البناء في الطين في مختلف المناطق.

(٣) د. جواد علي ١٤/٥، ١٥، د. ابو علي ٢٥٥، السويداء ١٤٢،

ولئن كان بناء البيوت من الخارج لا يخضع لنظام معين أو خطة مرسومة فقد كان تشكيل الغرف يتم من طريق تخطيط لا بأس به في مقياس تلك الفترة حيث تأخذ الشكل المستطيل أو المربع في الغالب ويتم التحقق من ذلك من طريق وحدات القياس التي مرت كالباغ والذراع أو صافة ما بين القدمين إذا بلغ الخطو أقصى اتساع له^(١).

وتحيط ببعض المساكن النجدية أفنية داخلية وخارجية ، فالفناء الداخلي يطلق عليه (الليوان)^(٢) حيث تفتح الغرف أبوابها عليه ، ويمتد امتدادا لها من ناحية الفناء الخارجي (الحوش)^(٣) ، ويتم الاستفادة من الليوان بالجلوس والقبولة به صيفا بحثا عن الهواء البارد إضافة الى بعض الاستخدامات الأخرى ، ويبدو أن فكرة الليوان وأسلوب بنائه قد استفادها النجديون من أشكال البناء الفارسي الذي ربما كانوا قد تأثروا به من طريق العراق أو بلدان الخليج^(٤).

-
- (١) د . أبو عليه ٢٥٣ ، السويداء ١٤١٠ .
 (٢) لم أجد فيما بين يدي من كتب اللغة أو كتب المأثورات العامية معلومات عن لفظة " ليوان " والذي يبدو لي أنها تسهيل للفظـة " ايوان " الفارسية الأصل التي تعنى الصفة العظيمة ، كما أنها تطلق على البهو الذي تفتح الحجرات عليه وهو مفهوم الليوان عند النجديين ، ويذكر يوسف البسام في كتابه الزبيدي أنها معروفة هناك بلفظة ايوان ، وفي الكويت معروفة بالليوان ، وهي في هاتين المنطقتين تدل على ما تدل عليه عند النجديين (الفيروز آبادي والزبيدي : باب النون فصل الهمزة البسام ٤٦ ، د . فائز سلطان : البيت الكويتي القديم : مقالة منشورة في مجلة العربي الكويتية عدد ٣٥١ السنة ٣١ ج ١ ج ١ الآخرة ١٤٠٨ هـ / فبراير ١٩٨٨ م ص ٨٩٥ ، ١٩٦٠ ، وقد ذكر السويداء (ص ٣٥٨) لفظة الايوان والليوان مما يبدو معها أنها معروفة بشمال نجد بهذين اللفظين .
 (٣) الحوش فصيحة لفظا ومعنى (الفيروز آبادي والزبيدي باب الشين فصل العاء)
 (٤) الرمي : لمع الشهاب ١٨٧ ، البسام : ٤٦ ، د . فائز سلطان : مجلة العربي ، العدد السابق ١٩٥ ، ١٩٦٠ ، السويداء ٣٥٨ .

ويتألف البيت النجدى من مجموعة غرف يضمها دور واحد فى الغالب وتتعدد الغرف حسب حجم البيت والمكانة الاجتماعية لرب الأسرة، وقد يضاف الى ذلك غرفة أو غرفتان فى الدور الثانى عند عامة الناس، أما عليه القسوم فتتميز مساكنهم بارتفاع بنائها وكثرة غرفها وكبر المساحة فيها وكونهم يضيفون دورا ثانيا تكون الغرف فيه أكثر من غيرهم، ومن هنا فقد أشرع عامة الناس فى تلك الفترة عدم رغبتهم فى ارتفاع الصانى، وهى رغبة تندرج فى إطار البساطة فى البناء الذى تحكمت فيه عدة عوامل بيئية وشرعية^(١).

ولعل من أبرز محتويات البيت النجدى فى تلك الفترة والى عهد قريب غرفة خزن الطعام من القمح أو التمر حيث يتم خزن التمر بضغطه (فى أماكن خاصة وهى (الجصاص^(٢)) لدى بعض النجديين، ولها تسميات أخرى عند البعض الآخر، على أن بعضهم قد يخزن التمر فى (القعد^(٤)) ولاشك

-
- (١) الرىكى ١٨٧، د. ابو عليه ٢٥٣، السويدا ٣٥٨
 (٢) الجصاص بكسر الجيم جمع جصة وهى مكان مستطيل الشكل يختلف كبرا وصغرا يبني من الحجارة الرقيقة والجص الذى يستخرج من الأرض ويوضع فيه فتحة صغيرة لادخال التمر واخراجه منه، واستخدام الجص للبناء والطلاء قديم عند العرب: (الفيروزابادى والزبيدى باب الصاد فصل الجيم، احمد رضا: مرجع سابق ٩٧، العبودى الأمثال (١٦٢٨)، وقد ورد ذكر الجصة فى بيت لعبدان الشويمى يقول فيه:

تعيزل وتعيزل فى ماله . . ما قال الجصة مخسورة
 (الفرج ٦٢/١ وقد ورد عنده وعند كمال فى الأزهار ٤٥/٩ فى البيت تعزل وتعيزل - لا قال الخ)، الحاتم ١٤٦/١، أبابطين ٧٠).

- (٣) كالصه، قال فى القاموس والتاج باب الباء فصل الصاد: "الصهبة: الجماعة من الطعام، والكدسة من الحنطة والتمر، والصهبة الجرب من أى موضع التمر" وهى اكبر من الجصة وتوجد عادة عند تجار التمر.
 (٤) القعد بضم القاف وفتح العين جمع قعدة ويبدو أنها سميت بذلك لأنها تشبه قعدة الشخص، وهى مبنى أصغر من الجصة ويبنى مسنكوناتها على شكل اسطوانى فى وسطه حزام بارز، ويوجد نوع منها فى متحف الكلية).

أن الوضع الاجتماعي لرب الأسرة عامل في توفر الجصة عند بعض النجديين وفقدانها عند البعض الآخر الذي قد يستعيز عنها بالقعدة .

ورغم أنه لم يكن لدى النجديين صرف صحى لمجارى البيوت فقد كانت بعض بيوت الموسرين لا تخلو من بيت للخلاء يشبه بيوت الخلاء لدى عسرب الجاهلية إذ قد يكون غرفة في ناحية بعيدة من البيت وتسمى " كنيفاً^(١) " أو " برجاً " وقد يكون سترًا من قماش أو سعف أو نحو ذلك ، أما عامة الناس فكانوا يفتسلون من مياه الآبار الزراعية ، ويقضون حاجتهم في ظواهر البلدان ، والمطلع على أسلوب التخلي عند النجديين لا يجد اختلافًا بينه وبين أسلوب التخلي عند العرب الأوائل بل يجد في الكثير من حالاته جانبًا من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قضاء الحاجة مما ليس هناك مجال التفصيل فيه .^(٢)

ولعل كون بيته الخلاء في مكان منزو من البيت هو ما جعله مكانًا لا اختباء من يضطره الخوف الى ذلك ، وفي هذا الصدد يذكر ابن بشر أنه في سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م قتل أمير الدرعية مقرن بن محمد بن مقرن فنى بيت الخلاء - ولعله الخاص - بسكن مقرن - بعد أن حاول الاختفاء فيه ، والذي قتله ابن أخيه محمد بن سعود بن مقرن ، ومقرن بن عبد الله بن مقرن ، والسبب في ذلك خلاف عائلى حول الامارة بين زيد بن مرخان ومقرن ابن محمد انتهى الى الصلح الظاهري حيث طلب مقرن من زيد أن يأتيه لاتمام الصلح واضفاء جو من الثقة بينهما ، وكان قد بيت قتل زيد الذى كان

(١) الكنيف مفرد جمعه كنف بضم الكاف والنون من معانيه الساتر والعالي من البنيان ، وقد اطلق على المرحاض لأن الانسان يستتر به عند قضاء الحاجة ، أما البرج فيبدو أنها أطلقت عليه لكونه منعزلاً عن عرف المنزل كالبرج يكون منعزلاً عن مباني البلدة (الفيروز آبادى والزبيدي باب الفاء فصل الكاف)

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ١ / ٦١ ، د . جواد على ٥ / ٣٣ .

حذرا فلم يأت الا بكفالة محمد بن سعود ، ومقرن بن عبد الله فتم ذلك وأتى زيد ، هناك من مقرن بن محمد عزمه على قتله ، فأراد الكفيلان ثنيه عن ذلك فحملا عليه فهرب من مجلسهم الى بيت الخلا فادركاه فيه وقتلاه وأعادا زيدا الى الامارة^(١).

ومن مظاهر معاشلة أسلوب البناء النجدى للبناء العربى القديم وجود الأسوار والأبراج ، فقد كان يحيط بالسكان سور له باب أو عدد من الأبواب ، وأحيانا يكون للبلدة سوران يكون بينهما مسافة قد تستغل فى الرعى أو ماشبه ذلك حين تضطر الأحوال الأمنية الأهالى الى عدم الخروج الى الصحراء البعيدة ، وتنظم الأسوار عددا من الحصون ترتفع سامقة فوق المباني السكنية ليستغلها المدافعون عن البلدة بعدا فى النظر ، وسهولة فى ضرب المهاجمين على البلدة ، وتشكل هذه الحصون أو ما تعرف بالأبراج عند بعض النجديين ، والمراقب^(٢) عند البعض الآخر ، تشكل علامة واضحة على معرفة جيدة من النجديين بالفن المعمارى العربى الذى ورثوه عن أسلافهم ، واستفادوه من جيرانهم ، ومن هنا فان وجود بعض الأبراج والمراقب شامخة الى الوقت الحاضر دليل على رسوخ قدم النجديين فى هذا الفن ، ووسيلة

(١) ابن ربيعة ٨٩ ، وأشار الى القتل باقتضاب ، ابن بشر ٢ / ٢٣٧ ، البسام تحفة ١٠٣ ، وقد أشار ابن خميس فى كتاب الدرعية ص (٤٠٥) أنه يوجد فى حى الطريف بالدرعية حمام على شكل الحمامات الخارجية بقنواته وأحواضه ومواقده ، كما دلت دراسة قام بها بعض خبراء الآثار فى الدرعية القديمة على وجود حمام مبنى على فرار الحمامات التركية ، ولا شك أن ذلك اثر النهضة الاقتصادية التى عمت المنطقة بعد قيام الدولة السعودية الأولى ، ولكنه قد يشير الى وجود تنوع من ذلك ولو كان محدودا عند علية القوم فى البلدان النجدية الكبيرة قبل ذلك . (صحيفة الجزيرة عدد ٣٨٠٠ السنة ٢٠ / ٥ / ١٤٠٣ هـ ص ٦) .

(٢) المراقب : جمع مراقب بفتح الميم وسكون الراء وفتح القاف فصيح لفظا ومعنى (الفيروز آبادى والزبيدى باب الباب فصل الراء) .

جيدة تنير سبيل الباحث فى التاريخ العربى عند النجديين .

ولعل ما يمكن أن يؤكد هذه الحقيقة التاريخية ويوسع مجال البحث فيها مكونات تلك الأبراج وشكل بنائها ، فهى سميكة البناء مكونة من الحجارة والطين وليس من الطين فقط كالساكن ، ويوضع فى أعاليها منافذ يتمكّن المدافعون من رؤية المهاجمين وتوجيه الرمي بدقة اليهم ، وقد تضم مخزناً للأغذية والأسلحة^(١) .

وبشكل عام فقد كان تفاعل النجديين واضحاً مع بيئتهم فى الناحية السكنية على وجه الخصوص حيث استطاع النجدي أن يستغل كل امكانات البيئة المتاحة له لتشكيل سكنه ، فمن الأودية أخذ الطين ، ومن النخيل والأثل أخذ المواد اللازمة للتسقيف وصنع الأبواب ، وما إليها ، كما أن النجدي استطاع أن يكيف نفسه مع الظروف البيئة المحيطة سواء من ناحية المناخ أم التضاريس ، فجاءت أنماط البناء النجدي موائمة للعناصر المناخية التى تميزت بها نجد وهى عناصر الحرارة والرياح والأمطار ، فالحرارة الشديدة صيفا حيث يتلظى حرها ويقضى على الأخضر واليابس ، والبرودة القارسة شتاء التى تصل الى أقل من الصفر حتى داخل البيوت أحيانا ، وهذا العامل جعل النجدي يشكل مسكنه ليوائم حالة الشتاء والصيف ، فضم البيت النجدي الليوان والأحواش والأسطح أمكنه تخفف من حر الصيف اللاهب ، وضم غرفا داخلية محكمة ، وأمكنه لابقاد النار توفيراً لقدر لا بأس به من الدفء فى الشتاء ، أما الرياح فقد حرص على اتقاء أخطارها بعدم رفع المبنى وتقوية الأسس الخاصة بها ، وتسميك الجدران الخارجية وخاصة تلك التى تواجه هبوب الرياح العاتية أحيانا كالمواجهة من الشمال أو الغرب أما المطر فقد حرص على الاستفادة منه واتقاء خطره فى آن واحد حيث يحرم على تلقى مياه الأمطار

(١) د . جواد على ١٩/٥ ، د . أبو عليّة ٢٥٥

(١)
من الأسطح عن طريق الميازيب للاستفادة منها لسد حاجته من الشرب والطبخ وما اليه ، كما يحرص على اتقاء خطره بالقيام بأعمال الصيانة المؤدية لهذا الغرض كإضافة قدر من الطين بين فترة وأخرى على السقف ، وتقوية ما تأثر من المطر كالجدران وما حول الأبواب ، أما التضاريس فقد حرص على الابتعاد عن بطون الأودية ، والمرتفعات الشديدة سوا كانت جبلية أم رملية وهذا ما جعل المساكن النجدية بعيدة عن أخطار الأودية ، وزحف الرمال وأخطار البناء على المرتفعات الجبلية التي تجعل مؤثرات الرياح العاتية قوية فيها مما ينجم عن ذلك سقوط المبنى ، وصعوبة الحركة والتنقل بين المساكن ، وهكذا نرى أن أشكال البناء جاءت صورة واضحة للتكيف البيئي والتحايل البشرى الذى انتج قدرا لا بأس به من التعايش والانسجام بين الإنسان والبيئة فى نجد ، وهو تعايش وانسجام يعد مثلا واضحا لعلاقة البيئة بمظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة .

٣- الملبس وأنواع الملبوسات :

يشكل اللباس مظهرها واضحا من مظاهر الاختلاف بين الناس ففى أى مجتمع تبعاً للحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية للفرد ، وتلك سنة من سنن الله فى خلقه ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليهلوكم فيما أنتم وهذا الاختلاف مقبول شرعا وعرفا وعقلا اذا لم يجر الى التمايز الفئوى والتناحر الطبقي .

وكسوة النجد بين وأنواع ملبوساتهم تختلف باختلاف وضع الشخص فهناك الملابس الرجالية التى تختلف عن الملابس النسائية وما يتعلق بها من

(١) وقد ورد فى المثل العامى : " يوم السيل كل يتلقى من مرزاه المرزاه والمرزاه والمرزاه والمرزاه والمرزاه " كلها ألفاظ نجدية تطلق على مخرج المطر من السطح ويكون عادة من الخشب ، وبعضها فصيح وبعضها معرب من الفارسية والمثلث أفصحها (الفيروز آبادى والزبيدى باب الباء فصل الثاء وفصل الزاى ، اليهودى ١٢٩٦/٥ ، ١٢٩٧) .

(٢) الأنعام آية ١٦٥ .

أنواع الحلى ، كما أن هناك بعض الملابس التى قد تضى طابعا خاصا على مرتديها كـ بعض أجزاء اللباس الخاص بالعلماء وأئمة الصاجد ومن تظهـر عليهم سيما الصلاح والتقوى والورع، هذا فضلا عن أنواع الأحذية الشتوية والصيفية ، وما يمكن أن يكون من أوجه شبه فى ذلك بين نجد والبلدان المجاورة .

وكان النجديون يحصلون على القماش الخام سواء الشتوى أم الصيفى من بلدان الخليج أو العراق ، كما تشكل الحجاز والشام ومصر ومان واليمن وتركيا مصادر أخرى لجلب القماش الى نجد اضافة الى استيراد الملابس الخارجية الجاهزة كالعباءات^(١) .

ويتفق الحضرى النجدى مع البدوى فى ارتداء الملابس الفضفاضة المريحة ، كما قد يتشابهان أحيانا فى شكل الأكمام وكونها واسعة انسجاما مع سعة الثوب حيث عرف " الثوب المروتن" فى تلك الفترة عند البدو والحضر^(٢)

والغالب على ملابس الرجال الخارجية كونها من القطن الأبيض^(٣) ، وأحيانا الأديمى والأسود والعودى " القرنفل" والسماشى^(٤) ، وتبدل هذه الأقمشة تبعا لحالة الطقس والوضع الاجتماعى ، ومن هنا فان نجداً قد عرفت نوعا من الألبسة غالبية الثمن تلبس فى فصل الشتاء وهى الصمطة " الجوخ"^(٥) التى

(١) الريكى : لمع الشهاب ١٨٧ ، ١٩١٠ .

(٢) السويداء : مرجع سابق ٣٧٦ ، والمروتن هو الثوب الذى تتكون أكمامه من ردين ، والنجديون يأتون بصيغة الجمع فيقولون: ردون ——— انهما اثنان ، وهى لفظة فيها .

(٣) يذكر الريكى أن الغالب على لباس الرجال الكرياس بكسر الكاف وهو الثوب المكون من القطن الأبيض وهى لفظة فارسية الأصل .

(٤) الفيروزآبادى والزبيدى باب السمين فصل الكاف ، الريكى ١٨٧ .

(٥) الريكى ١٨٣ ، ١٨٧ .

(٥) الجوخ : نسج من الصوف الانجليزى غالى القيمة لا يلبسه الا الأثرياء فى نجد ومنطقة الخليج والعراق وكان من أهم صادرات شركة الهند الشرقية الى منطقة الخليج فى القرن الثالث عشر الهجرى /

كان لبسها الى وقت قريب مظهرا من مظاهر التمايز بين الفئة الثرية والفقيرة في المجتمع، ويبدو أن بعضا من طلاب العلم قد أشكل عليه حكم لبس الأحمر والمصفر خشية التشبه باليهود، فأفتى ابن ذهلان بعدم كراهية ذلك في نجد لانتفاء العلة وهي عدم وجود يهود فيها^(١).

ومما يشير الى قدم معرفة نجد بهذا النوع الفاخر من اللباس قول راشد الخلاوى:

(٢)
فاصل الحرير العال من جوف دودة . . والجوخ صوف لكن اجزاءه جات به
وكما عرف العرب قديما الجباب والأقمية فقد عرف حضر نجد هـــــ
الطبوسات سواء كانت بأسمائها القديمة تلك أم كانت تحت أسماء أخرى كالزبون والصاية وغيرها مما يجد المطلع على بعض طبوسات البلدان المجاورة تشابهها

(=) الثامن عشر الميلادي، وقد حوى الأدب الشعبي في نجد ومنطقة الخليج أمثلة وأبياتا تشيد بهذا النوع من القماش (العبودي :
١٠٣٣/٣، الجهيمن ٢٩٤/٧، ٢٩٥، د. عبد الأمير الأميسن :
المصالح البريطانية في الخليج العربي ص ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،
البسام : الزبير ١٣١، الحاتم : خيار مايلتقط ٢٧٦/١) .

- (١) المنقور ٧٧/١، والمصفر بكسر العين نبات معروف في نجد يتخذ من بزره صبغا للثياب ولفظه فصيح (الفيروز آبادي والزبيدي باب الراف فصل العين)
(٢) ابن خميس : الخلاوى ٢٥٣، ويتضمن الشطر الأول الإشارة الى الله عز وجل بأنه فاصل الحرير من جوف دودة القز، أما الشطر الثاني فيشير الى أن الجوخ صوف معروف .
(٣) د. جواد علي ٥٢/٥، والجباب جمع جبة، والأقمية جمع قبا .
(٤) الزبون : معروف في العراق ومنطقة الخليج بهذا الاسم وفي الشام باسم القنناز وفي المعاجم العربية الزين والزبون، وهو شبيه بالشوب بجسده وأكمامه ولكنه مفتوح من الامام وقماشه من النوع الثقيل الملسون ويلبس فوق الملابس، وتشبهه الصاية ولكن قماشها من النوع الخفيف الأبيض (الفيروز آبادي والزبيدي باب النون فصل الزاي، أحمد رضا قاموس رد العامي الى الفصح ٢٢٤، ٤٨٣، ٤٨٤، السويدا ٣٧٩) .

بين أهلها وبين النجديين في شكل هذه الملابس وطريقة لبسها .

ومن الملابس المعروفة في تلك الفترة اللبدة أو اللبادة، وهي نسج من صوف يؤخذ من أغنام المنطقة ويصنع محليا ويبطن بقطن حتى لا يخدش الجلد، وربما جلب من المناطق المجاورة، وهي لباس داخلي للنصف الأعلى من الرجل على شكل الصدرية فيما يبدو، وقد ورد ذكر اللبدة في قول حميدان :

يوم جا ماعطاني لبيسببده . . أتدفا بها يوم ظهري عري (١)
ومن أهم أجزاء اللباس التي يحرص البدوي والحضري في نجد على ارتدائها العباية (٢) ومن أفخر أنواع العبي التي عرفت في نجد في تلك الفترة العبي القيلانية التي يأتي منها ألوان أشهرها الأسود، وقماشها يجلب السى الأحساء ثم يحاك على شكل عباية محاطة بنوع من الخيوط الصفراء، وهي ناعمة ولا يلبسها الا الأثرياء في المجتمع (٣).

ومن أنواع العبي الفاخرة كذلك العبي الشرقية، وليس من المعروف هل هي القيلانية أو أنها تنافسها في الجودة، إلا أنه يمكن من معرفة جهة ورودها وهي شرقي شبه الجزيرة والعراق مكانة اعتبارها القيلانية نفسها أو أن النوصيين من جهة واحدة، ويبدو أن ذلك اطلاق عام للعبي الواردة من شرقي شبه الجزيرة المشهورة بجودة حياكتها، وتدخل القيلانية

(١) الفرج ٦٦/١، كمال ٤٨/٩، الحاتم ١٥٦/١ ويروى أتدفا :أتوقى واللبدة فصيحة (الفيروز أبادي والزبيدي باب الدال فصل اللام) .

(٢) العباية أكثر استعمالا وإن كانت العباة والعباوة لغتين فيهما، وتجمع على عبي وعباة (المصدران السابقان باب الواو والياء فصل اللام) .

(٣) الريكسي ١٨٣، ١٨٨ .

ضمنها تميزا لها عن تلك التى تحاك فى نجد فى تلك الفترة، وقد أورد المنقور فى الفواكه اشارتين الى جودة هذه العبي فى باب الرد فى البيع اذا حمل غبن، حيث أن الناس يفضلون تلك العبي وقد يجهلون صفاتها فيشترونها على أنها شرقية فأفتى ابن ذهلان بأن للمشتري الرد ان بانء أردا^(١).

على أن العبي الشمالية كذلك لا تقل جودة عن الشرقية خاصة وأنها فى الغالب من النوع الثقيل الذى يتحمل برد نجد القارس، وهذا ما جعلها تلقى تفضيلا كذلك عند النجديين فى تلك الفترة والى الوقت الحاضر، وفى هذا الصدد كذلك أورد المنقور فتوى لشيخه ابن ذهلان مفادها أن المشتري اذا اشترى عبادة يظنها شمالية بثمن الشمالية فبانء أردا^(٢) فله الرد.

ويلبس عامة أهل نجد عباء شقراء تصنع من الصوف، وأحيانا من تلك التى تكون مخططة بأبيض وأسود وتجلب محاكة من الشام والعراق والأحساء وأحيانا تحاك فى نجد، وتعتبر أردا^(٣) من النوعين السابقين، ومن هذه العبي البرق^(٤) التى كان يلبسها الفقراء والأدنون من الناس، ومن هنا جاء المثل: "أبرق عبادة" للشخص المجهول أو المغمور، وكذا المثل "برق العبي تشبهه" يضرب للأشخاص الذين لا خير فيهم يشبه بعضهم ببعض فى الرد^(٥)، ويبدو برق العبي كانت معروفة عند العرب قديما ولبسها يعد صفة ذم كذلك، وهذا ما جعل جريرا يقول ضمن هجاء له:

(٦)

فانكم قطين بنى سليمان . . ترى برق العباء لكم ثيابا

(١) المنقور ١/١٩٢، ١٩٧، الريكى ١٨٨٠

(٢) المنقور ١/١٩٢٠

(٣) الريكى ١٨٨

(٤) من معانى أبرق ورقاء: كل شئ اجتمع فيه سواد وبيض (الفيروزابادى والزبيدى باب القاف فصل الباء) .

(٥) العبودى: ١/٣٦، ٢٥٩

(٦) محمد اسماعيل الصاوى: شرح ديوان جرير ط (١) مطبعة الصاوى نشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ٧٦، والعبودى ١/٢٥٩

(١) ومن هذه العبي "الدويرجية" نسبة الى بلدة دويق التي اشتهرت منذ فترة متقدمة بحياكة بعض الملابس المنسوجة لها ، ويبدو أن منطقة نجد عرفت هذا النوع من العبي عن طريق الأحساء نظرا لقرب بلدة دويق منها ، أو جنوب العراق الذي يعد أقرب المناطق اليها ، وقد ورد ذكر هذين النوعين من العبي في قول الشاعر العامي :

تكسيه المحرمة والعبات . . برقاً أو عبات دويرجية (٢)

أما أغطية الرأس فقد عرف حضر نجد في تلك الفترة لبس الكفية (٤) وفوقها عمامة حمراء أو مخططة بلون أحمر ، وقد يلبس كمة أو طاقية (٥) تحتها ، وقد يلبس عقالا أو عصاية (٦) تشبه عصائب قداماء العرب التي قيل أنها هي العمامة وقيل أنها شبيهة بالعقال (٧) ، وما يؤكد شبهها بالعقال قول حميدان في ذم بعض الصفات السلوكية عند البعض .

وصف المحابس وزين الملابس . . وكب العصائب وكسع المحارم (٨)

- (١) على لهجة شرق شبه الجزيرة بقلب القاف جيما أحيانا .
- (٢) تقع بلدة دويق في منطقة خوزستان وهي منطقة عربستان الحالية العالية (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/٤٨٣)
- (٣) الحاتم ٢/١١٦ ، والمحرمة تطلق على الثوب .
- (٤) الكفية قيل أنها من الكف بمعنى الجمع أي المكثف بعضه الى بعض وقيل انها نسبة الى الكوفة فذكر بعضهم أن أصلها عربي ، وبعضهم ذكر انها ليست عربية ، ومن مجموع الأقوال فيها يتبين أنها اسم جامع لكل ما يوضع على الرأس عدا العمامة فهي تشمل الشال والفترة والشماغ والحطة والمنديل والحلالية والقزبة وغيرها (أحمد رضا : مرجع سابق ٥٠٤ ، ٥٠٥) .
- (٥) الطاقية اسم لكل ما يوضع تحت الكفية ويدخل بعضهم القلنسوة فسي معناها ، والطاقية ليست فصيحة وفصيحتها الكمة لأنها تغطي الرأس كما تغطي الاكام اليديين (المرجع السابق ٣٦١ ، ٣٦٢) .
- (٦) العقال والجريم والعصابة والخزام والسب كلها أسماء لسمى واحد حسب المناطق العربية (المرجع السابق ٥٠٥ ، ٥٠٦) .
- (٧) د . جواد علي ٤٩/٥٠٠ .
- (٨) الفرج ١/٤٦ ، كمال ٩/٣١ ، وهويان الشطر الأول : ونظف الملابس ولبس المحابس ، الحاتم ١/١٦١ ، وصف المحابس : أي وضع الخواتم (=)

فهذا البيت كما يبين بعض الطبوسات فانه يشير الى أساليب اللباس التي يظهر بها بعض المترفين كلبس الخواتم والعناية بمظهر اللباس بشكل ملفت للنظر، وامالة العصائب أو العقل على أحد جانبي الرأس وإطالة الثياب خيلاً وكبراً، وعلى ندرة الفاعلين لذلك في تلك الفترة فان إشارة حميدان تدل على قيام بعض المترفين بهذا العمل مما يعطى تصوراً بتشابه هذه الصفات السلوكية عند المترفين قبل تلك الفترة ومعدّها .

وتختص بعض الفئات في المجتمع بأنواع من اللباس وأساليب في اللبس تميزها عن الآخرين، فمن تظهر عليهم سيما الصلاح يلبسون العمامة أو نوعاً خاصاً منها يضاف عليهم المهابة والاحترام وإلى هذا أشار الهزاني بقوله:
ما ينومن لو كان يلبس عمامة . . لو هو نقي فالعرب به يشكون^(١)

ولم يكن لبس العمامة وحده مظهراً خاصاً بهذه الفئة فقد يشترك معهم في ذلك بعض العامة إلا أن لبسها بطريقة خاصة مما يميز هذه الفئة ممن يلبس العمامة من غيرها، فكبر العمامة وتكويرها تعد أبرز الصفات التي يتصف أفراد هذه الفئة بها، وتعطى تصوراً بشرف لبسها وقيمتها الاجتماعية وإلى هذا المظهر أشار الهزاني كذلك مصوراً جمال محبوبته حيث أطلق على المتدينين كبار العظام:

(٢)
لو شاهدوا حسنه كبار العظام . . تبدلوا عقب الهدى بالمواتم

-
- (=) في الأصابع، وكب العصائب: إمالة العقال، وكسع المحارم: إطالة الثياب وإمالتها (د . عبد الله الفوزان: حميدان الشويمس (١) ، مطابع نجد . نشر شركة الجويهي للتوزيع ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ١٤٣) .
- (١) الحاتم ١ / ١٨٣ ، كمال ١٢ / ٢٦ ، وينومن: يؤمن، ومعنى البيت لا يؤمن جانبه حتى لو لبس العمامة تديناً أو تظاهراً بأي مظهر تدين فلو كان نقياً فان المجتمع يشك في صدقه .
- (٢) الحاتم ١ / ٢١٦ ، كمال ١٢ / ١٣٥ ، وصيغة جمع الائم هنا غير مصرّح فصيحة، وتكثر في اللهجة النجدية لغة: أكلوني البراغيث كما في الشطر الأول ومعنى البيت لو شاهد حسن هذا المحبوب وكان على درجة من التدين لتغير هداه إلى ضلالة، وسبحان مقلب القلوب .

ولم يكن تكوير العمامة^(١) وحدها علامة على الجاه والمكانة الاجتماعية العالية التي يحظى بها المتدينون في المجتمع فلبس الشال المهسب بطريقة خاصة من أساليب اللباس لدى هذه الفئة، وقد أشار جبر بن سيار الى كبر العمامة ولبس الشال ضمن ألبسة المتدينين في المجتمع في معرض الذم لمن يتظاهرون بالدين وهاطنهم خلاف ذلك حين قال :

وكل كبير التاج فسل مطسوع . . يأبى الى كشف الغطا عن سرايره
كما الديك براق الجناحين مكمل . . يرى الطوغى شال على الرأس كايه^(٢)

وقد عرف النجديون النعال المتخذة من جلود الحيوانات المذبوحة التي سبقت الإشارة الى أنها تصنع في نجد وتختص بلبسها في الغالب الفئة الثرية أما عامة الناس فمن لابس للنعال الشبيهة بالجلدية والمصنوعة من خوص النخيل بعد سفعه، ومن مكث بالعراقيب بلبسها اذا الجأتهم^(٣) الضرورة القصوى الى ذلك.

(١) تكوير العمامة هو لفها على الرأس وتحويرها عكس ذلك فالأول يبدل على الرخاء والنعمة وحسن الحال، والثاني يعنى تغير الحال الى أسوأ وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الحور بعد الكور - بفتح الأول والثاني - أى من النقصان بعد الزيادة (الامام احمد : المسند ٨٢/٥، الفيروز آبادى والزبيدى بسبب الراى فصل الحاء والكاف، د. جواد على ٤٩/٥).

(٢) الحاتم ١٣٥/١، والمقصود بالتاج هنا العمامة اذا يطلق على العمام منذ القدم تيجان العرب، فسل : رذل لا مروءة له، مطسوع : ذات تركيب فصيح فهى مأخوذة من اطاعة أو امر الله، أو محرفة من مطسوع بمعنى مطيع ومعنى الشطر الثاني : يرفض اذا كشفت اسراره ان يعترف بها، ومعنى البيت الثاني انه كالديك مختلط بياض جناحيه بسواد أو حمرة، وقد كحل عينيه ويعتقد أن التدين فى وضع الشال على الرأس بطريقة مهيبه (الفيروز آبادى والزبيدى باب السلام فصل الفا، د. جواد على ٤٨/٥، العبودى ١٣٥٧/٤).

(٣) محمد القويمى تراث الأجداد ط (١) مطابع البادية للأوقاف ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٩٢، ٩٦، ١٥٧، والعراقيب جمع عرقوب وهو نعل نصفى من الجلد على قدر عرقوب القدم ومن هنا جاءت تسميته.

أما الخفاف فأبرزها الزرابيل التي تصنع من الجلود كذلك والتي كانت معروفة في بعض المناطق المجاورة منذ فترة متقدمة ، وظلت تلبس فيها وفي نجد الى وقت قريب مما يعطي تصورا بتشابه منطقة نجد وهذه المناطق في لبس مثل هذا النوع من الخفاف^(١).

وتختلف ملابس النساء وأنواع حليهن تبعاً لثراء الأسرة والمكانة الاجتماعية للمرأة ، فالنساء الثريات يتخذن ملابسهن من الحرير الهندي عالي القيمة المعلى بالذهب حيث تأتي منه ألوان عديدة ، وكذلك الحرير الإيراني الذي يعتبر أكثر صفاً من غيره إضافة الى الحرير الشامي المطرز بالذهب وكذلك الحرير الرومي " التركي " ، أما عامة النساء فيتخذن ملابس من قماش أسود متوسط القيمة أو قليلها ، وأحياناً من قماش أزرق أو أحمر ويتم خياطة تلك الأنواع سواء الراقية منها أم العكس على شكل مقاطع أو أشواب وقد نقل المنقور عن شيخه ابن ذهلان فتوى حول بلاء الكسوة ومتى وفي أي نوع من الأقمشة يكون للمرأة على الرجل كسوة إذا بليت؟ فأفتى بأن الشقة السمرية - وهي فيط يظهر نوع رديء من القماش - لا تكفي العام غالباً إذا كانت وحدها وأنها قرب ثلثي العام أو ثلاثة أرباعه^(٢).

ويبدو أن المعتدات عدة وفاة يتخذن ملابس للعدة من هذه الشقة

(١) البهوتي : شرح المنتهى ٦٠/١ ، عثمان بن قائد : هدية الراغب ٥٣ ، الفيروز آبادي والزبيدي : باب النون فصل الزاي ، المنقور ٦٠/١ ، الحلاق : حوادث دمشق ٢٠٦ ، أحمد رضا ٢٢٦ ، وقد سبق الحديث عن الزرابيل ضمن بحث الحرف اليدوية في الفصل الأول من الباب الثالث.

(٢) المنقور ٦٧/٢ ، الريكي ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، السويداء ٣٨٠ ، ٣٨١ والفرق بين المقطع والثوب أن المقطع شبه بثوب الرجل مقطع السبي قطع يوصل بينها بخياطة على قدر الجسم بينما الثوب له اكمام واسعة فضلاً عن سعته هو وقد تلبسه المرأة على المقطع وفي الصلاة.

السعراء ما حدا بابن ذهلان كذلك أن يفتى بأن المقصود الشقة السعراء التي ذهب نيلها فهذه يجوز للمعتدة لبسها بخلاف المصبوغ، وفضل أن تكون غير جديدة وإن لم يشترط ذلك^(١).

وتخضع أنواع العبي كذلك للمقاييس الاجتماعية السابقة فالنساء الثريات يلبس نوعا من العبي القيلانية تقارب في جودتها القيلانية الرجالية وهي محاطة بخيوط من الذهب وتجلب من منطقة الأحساء، أما عامة النساء فيلبس عبيا سوداء تقل قيمتها كثيرا عن القيلانية، ورغم شبه خياطتها بخياطة عباية الرجل إلا أنها تختلف عن الرجالية بلونها الأسود دائما ويكون أكمامها ضيقة أو مغلقة حتى تخفى المرأة يديها بها^(٢).

أما أنواع الحلى فقد كانت هي الأخرى تختلف وتتباين نفاسة ورداءة بين الفئات الثرية والمتوسطة والفقيرة في المجتمع، وكما سبقت الإشارة إلى بعض العملات المتداولة آنذاك فإن بعضا من النساء المقتدرات ماليا يتخذن منها حليا وقلائد بالربط بين كل عملة وأخرى سواء كان للتحلى بها في الرقبة أم الأذن أو اليد.

ولما كان الهزاني يعد من أبرز الشعراء الذين تغزلوا بالمرأة فقد جاء وصفه واضحا لعدد من أنواع الحلى ووسائل التجميل عند المرأة في تلك الفترة، ومن أبرز أنواع الحلى التي ذكرها البراهيش وهي حلى تعقصها المرأة على جدائلها بعد تصغيرها، وقد أشار إليها بقوله:
واستأنست روجي للاحباب واشفيت . . باغى مواصل لابسات البراهيش^(٣)

ومن أنواع الحلى كذلك المفاتيل وهي على شكل مفتول تلبس فسى المعصم وتتكون من أنواع من المعادن تختلف نفاسة ورداءة وربما شكلت من

(١) المنقور ٧٣/٢.

(٢) الريكي ١٨٤، ١٨٨، السويداء ٣٨٢.

(٣) كمال ٥٧/١٢، باغى: مرشد.

من غير المعادن كذلك ، اضافة الى الطوق وهى حلى تطوق به المرأة عنقها على شكل قلادة وقد يطلق عليها المورقة ، وقد أشار اليها والى المفرك وهو نوع من الحلى ، أو الثوب النسائي المفرك بأصباغ جميلة ، أشار الى هذه الثلاثة بقوله

قلت : الرهانة قالت : دوك العفاتيل . . الطوق والمفرك ولياك تطريش^(١)

وتعد الخواتم ذات الفصوص المكونة من الأحجار الكريمة ، وكذلك المحابس وهى التى بدون فصوص وتشبه خواتم الرجال ، تعد هذه الحلى من أهم ما كانت تتحلى به المرأة قديما وحديثا ، فهى مظهر من مظاهر الجمال عند المرأة ، وطريقة لبسها وعددها يعطى جمالا أكثر ، ففى اليد اليمنى تختار المرأة أربعة أصابع منها لتجعل فى كل اصبع خاتمين مما يجعل جمال الكف متناسقا والى هذا المظهر أشار الهزانى بقوله :

والذال ذهب الحواجر بيمنها . . أصابعه تزها الخواتم ثمانى^(٢)

وتحلى المرأة النجدية رجليها من أسافل ساقها بالخلاخيل جمع خلخال أو ما يطلق عليها الحبول جمع حجل^(٣) ، وهى من أنواع الحلى

(١) المرجع السابق ١٢/٥٨ ، السويداء ١٤٣ ، دوك : خذ أوهاك ، أصلها فصيح من دونك فحذفت النون ، لياك : منحوتة من لا ويساك تطريش : من الطرش والطراشة : السفر ابتغاء الكسب ويرجع العبودى أنها فصيحة أهملتها المعاجم . (الأمثال العامية ١/٤٩ ، ٢/٦٥ ، ١٦٦٢/٥)

(٢) كمال ١٢/١٢ ، السويداء ١٤٤ ، ولعل معنى ذهب الحواجر تعريف للشئ بأصله اذ الذهب أصله من الحجر أو أن ذلك على أساس أنه يطلق على الذهب الحجر ، وفى الشطر الثانى يبين أن الخواتم قد زهت بأصابع محبوتة وليس العكس ، والخاتم والمحبس كلها فصيحة (أحمد رضا ١١١ ، ١١٢) :

(٣) الخلخال والحجل كلها فصيحة (الفيروز آبادى والزبيدى باب اللام فصل الحاء والخاء) .

تلك هي أبرز مظاهر اللباس عند الرجال والنساء وما يتعلق بذلك من أدوات التحلى ووسائل التجميل، ويجد المطلع عليها وعلى مثيلاتها عند العرب الأقدمين أنها عند النجديين مفرقة فى الأصالة، وهى أصالة تنسجم مع الوضع الاجتماعى العام الذى يعيشه النجدى فى مختلف مجالات الحياة.

٤- أبرز أنواع الأكل والعادات الخاصة به:

يختلف أكل الحضر عن أكل البدو حيث يتسم أكل الأولين بالتنوع الى حد ما بينما تبرز فى أكل الآخرين البساطة المتناهية وهذا بشكل عام اذ أن شح الموارد الاقتصادية قد تعكس الوضع أو قد يتساوى الطرفان شحا فى الأكل وندرة فى عناصره، على أن الأكل - من جانب آخر - يعد مظهرا من مظاهر الاختلاف بين فئات وأفراد المجتمع حسب الحالة الاجتماعية لكل منهم.

ويشكل التمر أهم المواد الغذائية التى عرفتها نجد منذ فجر تاريخها حيث كانت تكفى منه ذاتيا فى فترات الازدهار الزراعى بل انسه يعد فى تلك الفترات مادة من أهم المواد التى تدخل فى حركة التبادل التجارى بين نجد البلدان المجاورة، وفى المقابل فانه فى فترات الشح الاقتصادى يتم تعويض النقص فى التمور باستيراد كميات منه من البلدان المجاورة سواء من تلك التى داخل الجزيرة العربية أم من خارجها^(٢).

(١) الحاتم ٧٥/١، كطال ٣٤/١٢، ٥٤، السويداء ٣٨٧، ٣٨٨.
(٢) الريكى ١٩١، وأعيد هنا ما سبق أن ذكرته فى حركة الأسعار فى الفصل الثانى من الباب الثالث حينما انخفض سعر التمر حينما مر حجاج الأحساء بالعارض عام ١١٣٣هـ / ١٧٢٠م.

ويتم الاعتماد على التمر كغذاء رئيس طيلة موسم جنى التمر حتى إذا جاء وقت صرام النخل تزود الناس منه إلى أن يتم زهو التمر في عام قابيل حيث يتم حفظه طيلة هذه الفترة بعدة طرق تحول بينه وبين الفساد .

ومن أبرز طرق حفظ التمر كنزة وهو ضغطه أو كبسه وهي طريقة معروفة عند عرب الجاهلية بالأساليب التي عرفها النجديون إلى وقت قريب بـ بعضا بقى إلى الوقت الحاضر فعدا الجصاص والصوب والقعد كـ النجديون يكتزون التمر في ظروف ومكاتل من الخصوص تسمى خصافا أو قفافا أو في أكياس وقرب من القماش أو الجلد ، وهي تشبه أوعية التمر المكنوز لدى عرب الجاهلية^(١).

وبالإضافة إلى الاعتماد على التمر بمفرده كغذاء رئيس فقد أدخله النجديون - تماما كما فعل أسلافهم العرب الأوائل - في تركيب بعض المأكولات حيث عد من أهم عناصرها الغذائية ، فقد عرف بنو حنيفة طعاما بشكل التمر أهم عناصره وهو الحيس أو الحويس حتى عرف هذا الطعام بهم فـ قيل (حيس بنى حنيفة) وبلغ من حبهم له أن اتخذوه الها^(٢) ، وهو مكون من تمر وقمح وأقط أو تمر واقط وسمن تعجن إلى بعضها ، وهذا الطعام يشبه تماما طعام الحنيني الذي يتكون من الخبز مخلوطا بالتمر بعد نزع نواه

(١) المنقور: الفواكه ٢٦٠/١ ، ٢٦١ ، د . جواد على ٦٨/٧ ، ٦٩ ، وقد سبق ذكر الخلاف الذي جرى بين ابن عطوة وزميله الشويكي حول التمر المضغوط وهل يتأتى كيله أو وزنه .

(٢) د . جواد على ٩٨/٤ ، ٣٩/٧ ، وقد ورد أن بنى حنيفة أو بعضا منهم حينما جاعوا أكلوا حيسهم الذي اتخذوه الها فقال أحد الشعراء بهجهم :

أكلت حنيفة ربهـا . . . زمن التقم والمجاعة
لم يحذروا من ربهـا . . . سو العواقب واتباعه

مضافا اليه الزبد وربما شئ من حاض الأترج أو الليمون ، كما يشبه طعام الحويس أو العفيس أو الخلاصة الذى تعرفه كثير من مناطق نجد الى الوقت الحاضر وهو يتكون من التمر مع خلاصة (بقايا) السمن بعد طبخه مع شئ من الدقيق^(١) .

أما القمح فقد سبقت الإشارة الى قدم زراعته فى هذه المنطقة ، والسى بروزه كسلعة رئيسة عند الحديث عن حركة الأسعار فى تلك الفترة ، وهذا ما جعله مادة غذائية مهمة سواء بمفرده أو بخلطه مع التمر - كما مر - أو بدمجه مع بعض أنواع الحبوب الأخرى .

ولئن كان الخبز المصنوع من القمح على أنواعه قد عرفه العرب فى مراحل تاريخهم الطويل فقد أشار مؤرخو العرب قبل الاسلام الى الرقاق أو المرقق أو المرقوق مما يبدو معه أن الطعام المعروف عند النجديين بالاسم الأخير منه له جذور تاريخية وان لم يكن ذلك بالدقة فى طريقة صنعه وإضافة المواد الأخرى اليه^(٢) .

وقد أشار المنقور فى مجموعه الفقهى الى القمح المعروف باللقيمى وخلط بعض الباعة له بنوع أردأ منه وهو السويلمى حيث نقل فتوى لشيخه ابن ذهلان أنه لا بد من رؤية جميع المبيع فى هذا ولا يكفى ظاهره^(٣) ، والنسوع الأول عرف بجودته واتخاذ النجديين لطعام الجريش منه فى تلك الفترة وربما قبلها الى الوقت الحاضر ، وقد ذكر صاحب اللمع أن هذا الطعام من أبرز أطعمة النجديين وأنه يطبخ كالرز مع إضافة الدهن الكثير اليه ، وهذا

(١) الحنينى مجهول التسمية ، ولعله منسوب لشخص يقال له حنين ، أو من تحنن الطعام إذا تغير طعمه وريحه ، أو من الحناء على أساس قرب لون الحنينى من لون الحناء ، أما الحويس فهو من الحوس بمعنى الخلط ، والعفيس من العفس بمعنى الدعك أو الدلك ، أما الخلاصة فعلى أساس أن بقايا الزبد (خلاصته) تشكل عنصرا غذائيا مهما فى تكوينها (الفيروز آبادى والزبيدى باب السمن فصل الحاء ، وفصل العين ، أحمد رضا ١٤٢ ، ٣٨٠ ، العبودى ١ / ٤٣٤ ، ٣ / ١٠٣٣ ، الجهيطان ٨ / ٣٠٦ ، القويمى ١١٧) .

(٢) د. جواد على ٧ / ٥٧٣ ، السويدا ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
(٣) ١ / ٢٤٩ ، ويبدو أن اللقيمى بهذا الاسم والصفة كان معروفا عند (=)

وصف ينطبق تمام الانطباق على طريقة اعداد هذا الطعام وتقد ~~يمسكه~~
حتى يومنا هذا^(١).

أما خلط القمح بأنواع الحبوب الأخرى واعداد طعام واحد منها
فقد برز شكل واضح فى الطعام المعروف بالثلوث وهو نوع من أنواع العصيد
مكون من القمح والذرة والدخن وسمى بالثلوث على أساس ثلاثية عناصره والله
أشار حميدان الشويعر بقوله :

(٢) تعباً الثلوث من الجهممة . . من ليل يرعد تنوره

ويتخذ النجديون من الذرة طعاما اما بمفردها واما بخلطها
مع بعض الحبوب الأخرى حيث تعد الذرة المحصول الزراعى الثالث الذى يلقي
طعامه تفضيلا لدى النجديين ولا أدل على ذلك من دخوله فى حركة
أسعار الأطعمة فى تلك الفترة كما مر .

ومن أبرز الأطعمة المتخذة من الذرة العصيد وهو من الأطعمة

(=) العرب منذ فترة متقدمة فقد ذكر الفيروزابادى والزبيدى فى باب
الميم فصل اللام أن " الحنطة اللقيمية هى الكبار السروية (أى التسي
تأتى من السراة) ، أو نسبة الى لقيم كزبير قرية بالطائف موصوفة
بجودة البر والشعير " قلت ربما كان النجديون قد جلبوا هذا القمح
من الطائف حتى اذا اعجبوا به زرعه ، كما لا يبعد أن تكون الطائف
قد عرفت هذا النوع من نجد باسم قديم ثم اشتهرت به لقيم لان نجدا
مشهورة بجودة وكثرة زراعة القمح منذ فترة قديمة كما سبق .

(١) الريكى ١٩٠ ، السويدا ٢٧٨ ، وهو يشبه البرغل المعروف فى بلاد
الشام حتى أن البرغل يتخذ منه جريشا ، على أن الجريش معروف عند
العرب قديما (الفيروزابادى والزبيدى باب الشين فصل الجيم ، وباب
اللام فصل الباء ، أحمد رضا ٤٠) .

(٢) الفرج ٦٢/١ ، كمال ٤٥/٩ ، الحاتم ١٤٦/١ ويروى " من ليل " من
فجره ، وتابعه أبابطين ٧٠ ، وتعبا : تهى وتجهز (فصيحة) ، والجهممة
يقصد بها أواخر الليل (فصيحة) ، والتنور قيل أصله عربى وقيل معرب
وهو حفرة ليست بالكبيرة تبنى بالطين ويخبز فيها (الفيروزابادى
والزبيدى باب الميم فصل الجيم وباب الواو والياء فصل العين ،

د . جواد على ٥٧٤/٧) .
(٣) من فعيل بمعنى مفعول .

التي عرفها العرب في فترات تاريخهم المختلفة ، وفي أغلب بلدانهم ، وهم في هذا يتفقون مع النجديين في طريقة اعداده ، والمواد المضافة اليه ، وقد وردت العصيدة ضمن الأطعمة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيعها^(١) ، ولئن كان النجديون قد عدوها من أهم أطعمتهم الى وقت قريب فقد أشار حميدان اليه على أنها من أبرز أطعمة تلك الفترة حينما قال^(٢) : ليتك حاضر عذره وتحليفه . . يوم جاب العصيدة في الطسيل

ويتخذ النجديون من الذرة والقمح كذلك طعاما شبيها بالعصيد الا أنه يكثر ماؤه حتى يكون شبيها بالحساء الغليظ وهو ما يعرف بالد ويفة في بعض بلدان نجد والمويسة^(٣) في بعضها الآخر ، وقد وردت كطعام معروف آنذاك في بيت لحميدان الشويعر يقول فيه :

(١) روى الامام أحمد في مسنده (٢٩٨ / ٦) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة فدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيد " الحديث وللإستزادة (٤ / ٣٣ ، ١٨٨ ، ٣١١)
 (٢) الفرج ٥٩ / ١ ، كمال ٤٣ / ٩ ، الحاتم ١٧٢ / ١ ، أبابطين ٧٧ ، د .
 الفوزان ١٩٦ ، ومعنى البيت ليتك قد حضرت تقدميه الأعذار الواهية المقرونة بالايمان المغلظة لحظة مجيئه بالعصيدة في الطسيل وهو تصغير طسل بكسر الطاء يطلق على الصحن (فصيحة) ، ورغم أن كسل الرواة اثبتوها (الطسيل) الا أن بعض الشراح ومنهم د . الفوزان قد جعلوها في الهامش (السطيل) وهو غير الطسيل الذي يقصده حميدان الشعوير (الفيروزابادي والزبيدي باب اللام فصل السين والطاء) .

(٣) وهي شبيهة بالحريقة والسخينة عند العرب قبل الاسلام وهي مأخوذة من داف يدوف دوافود يافاهمعي خلطه أو حركه صله وفي المفهرج تعرف بالحريرة وكذا في المناطق التي لاتزال متأثرة بالحضارة العربية في اسبانيا . (الفيروزابادي والزبيدي باب الفاء فصل الدال ، د . جواد على ٦٥ / ٦٦ ، السويداء ٢٨٤ ، وإفادة من أستاذي المشرف)

(١)

مادريت أن الدويقة طريفة . . لين جيت البير جعله مايسيل

أما الأرز فقد عرفتة نجد في تلك الفترة كما أنه معروف لدى العرب
وعد من أغذيتهم وكان يجلب الى المنطقة من الأحساء التي اشتهرت بزراعته
وقد ذكر صاحب اللمع أن لابن معمر مزرعة في الأحساء تحتوى على النخيل
والرز (٣) كما عرفت نجد الرز العراقي ، ولأنه محصول خارجي فان نجدا لاتعرفه
الا في فترات الرخاء وعند سراة القوم ، أما في فترات قلة الموارد فانه يختفى
وتبقى المحاصيل المحلية هي الرائدة في المواد الغذائية ، والى السـرر
العراقي أشار الخلاوى بقوله :

(٤)

يذبح لهم من كل كبش مقرون . . وعيش العراقي بالصحون فراش

(١) الفرج ٥٩/١ ، كمال ٤٣/٩ ، الحاتم ١٧٢/١ ، أبابطين ٧٧ ،
د . الفوزان ١٩٦ ، ومعنى طريفة شئ نادر وصعب العتال وأهل نجد
يطلقون على اللحم طريفة لندرته فكأنه شبهه به ، وهي فصيحـة
فالطريف النادر عكس التليد المعروف ، لين : مخففة ومجموعة من
الى أن ، جيت مخففة من جئت البير : بلد سبق التعريف
به في الفصل الثاني من الباب الثاني ، جعله مايسيل : أى لا أنزل
الله عليه الغيث ، وقيل في مناسبة القصيدة أن أهل البير لم يضيفوه
حينما مربهم .

(٢) كان العرب يسمونه الى وقت قريب الرز والأرز والرنز والتمن (ابن
القيم : زاد المعاد ١٥٧/٣ ، الفيروزابادى والزبيدى باب السزاي
فصل الألف والراء ، الريكى ٣١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، العبودى ٣٢٤/١ ،
السويدا ٢٨٤) .

(٣) الريكى ٣١ ، ١٨٣ ، ١٨٤٢ .

(٤) ابن خنيس : راشد الخلاوى ٣٨٥ ، وقد وردت في هذه الطبعة خطأ
مطبوعيا (مفرح) بينما في الطبعة الأولى ص ٣٠٩ مقرر وهي الصحيحة
ومعنى مقرر أى له قرون وهي أكباش مرغوبة للأكل في نجد .

ويعد الجراد مأكولا مهما لدى النجديين فكما أنه يجتاح الأرض الرعوية والزراعية ويقضى على الأخضر واليابس فإن جمعه وادخاله ضمن المأكولات يؤدي الى رخص أنواع الأطعمة الأخرى، وهذا ما جعل المؤرخ النجدي يسجل سنى غزو الجراد لا بسبب ما تحدثه من أضرار فقط بل لما ينجم عن صيدها من توفرها فى الأسواق النجدية ورخص الأطعمة واللحوم اثر ذلك^(١)، وقد أشار حميدان الى الجراد كطعام من أطعمة تلك الفترة بقوله :

ولو كان مأكولى جراد وغلطمة .. قصيل وأنالى فى المعزة شأن^(٢)

(٣)
واذا كان عرب ما قبل الاسلام يكونون عن الجوع ب (أبى مالك) فسان النجديين يطلقون عليه لقبا قريبا من ذلك وربما كان أدق حيث يسمونه (أبا موسى) وهم فى يشبهونه بآلة القطع الحادة المعروفة (الموسى) وقد أشار الى ذلك حميدان بقوله :

ولقيت الجوع أبو موسى .. بان له بيت بالحجرة^(٤)

هذه أبرز أنواع الأطعمة التى عرفت بها نجد فى تلك الفترة والمعتقد أن النجديين قد عرفوا غيرها كذلك كاتخاذهم من الشعير طعاما وغيره من

(١) وقد ورد فى السنة ما يبين أهمية الجراد كمأكول منها ما روى عن عبد الله ابن أبى أوفى رضى الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وفى رواية ست فكلنا نأكل فيها الجراد" متفق عليه ورواه الامام أحمد والنسائى والترمذى والدارمى، ويصور المثل النجدي "كثر الجراد يرخس اللحم" جانبا من ذلك، وانظر السويداء^{٣١٨-٣١٦} وقد سبقت الإشارة الى بعض تسجيل مؤرخى نجد لذلك فى الفصل الاول من هذا الباب.

(٢) الحاتم ١/١٦٦، ومعنى البيت لو كان أكلى جراد ومعه أعواد شعير مقصولة مع عزة وشيمة نفس فهذا أحب الى، ويروى الفرج ١/٢٠، وكمال ٩/٨ البيت بهذا اللفظ فى الهامش الا أنه روى فى المتن البيت هكذا: ولو صار شربى ما هاج مخالطه .. حنظل وأنالى بالمعزة شان

(٣) د. جواد على ٥/٦١، كما يكونون عنه وعن الافلاس ب (أبى عمرة) .

(٤) الفرج ١/١٦، كمال ٩/٥، الحاتم ١/١٦٨، أباطين ٧٢، والحجرة هضبة تقع الى الشمال الشرقى من المملكة وتمتد الى العراق والشام وهى منطقة رعوية الا انه يبدو أن القحط قد عمها حينما مر بها حميدان فى مودته من الزبير الى نجد.

المواد الغذائية الأخرى ، ومن هنا فإن الأطعمة الشعبية المعروفة الى الآن لها جذور تاريخية ، الا أن عدم ذكر المصادر المعاصرة لفترة هذا البحث لها قد حال دون التفصيل فيها فضلا عن الاكتفاء بما ذكرته كتب المأثورات الشعبية التي نتحدث عنها الى ما قبل النهضة المعاصرة.^(١)

هـ- أبرز المشروبات وأنماط من العادات المتعلقة بالشرب :

لقد كانت مشروبات النجد بين محدودة حتى القرن العاشر وهى لا تختلف فى محتوياتها عن مشروبات العربى منذ القدم ، فالماء الصالح للشرب يحصلون عليه من بعض الآبار المحدودة التى قد تبرز عموم الآبار بكونها أعذب منها ماء نوعا ، كما قد يحصل بعض عليه من بعض العيون والحسي ، الا أن أفضل ماء وأعذبه هو ماء الفيث الذى يحصل عليه النجدى اما عن طريق الميازيب كما مرأو عن طريق بعض الغدران (جمع غدير) التى تتكون هنا وهناك اثر هطول الأمطار ، أو عن طريق الأودية.^(٢)

ولا تختلف طريقة شرب الماء عند النجديين كذلك عنها عند عرب ما قبل الاسلام أو عند البدو كذلك فجمع اليدىين واغتراف الماء بهما من عين الماء أو مستجمعه ، وكذا الانبطاح على الأرض ثم مد الفم الى الماء ، أو من أفواه القرب والدلاء ، كل هذه طرق تأصلت لدى النجدى منذ القدم اذ لم يعرف الجرار الفخارية أو ماشابهها ، ولكنه قد يشرب الماء فى بعض الأوانى التى تتوافر لديه للاستعمالات المنزلية الأخرى.^(٣)

وتبقى المشروبات المأخوذة من الحيوانات هى البارزة ضمن المشروبات

(١) السويداء ٢٧٧ - ٢٨٧ .

(٢) د . جواد على ٧٦/٥

(٣) المرجع السابق ٧٧/٥

الأخرى حيث يعد وجود الأبقار أو الأغنام أو الماعز - قلت أم كثرت - من أهم الأمور الضرورية لكل بيت للحصول على الحليب أو اللبن فضلا عن المنافع الأخرى، علاوة على أن بعض الحضر قد تتوافر لديهم ابل كذلك .

ولم يكتف النجديون بالاعتماد على التمر كأحد الأطعمة الرئيسية بل اتخذوا منه مشروبا يسمى المريس حيث ينزع نواه وقمعه ويمرس بالماء^(١) حيث يحصلون على شراب حلو، وقد يمزج معه بعض الأقط ليخفف من حلاوته ويعطيه طعما بين الحموضة والحلاوة، وهذا المشروب معروف عند العرب الأوائل^(٢) .

وقد جدت على حياة النجديين الاجتماعية منذ القرن العاشر بعض المشروبات نتيجة الاتصال بين المجتمع النجدي والمجتمعات المجاورة سواء في الميدان التجارى أم العلمى أو امتهان الأعمال الأخرى، وكان من أبرز المشروبات المستجدة القهوة والتدخين سواء للتبع أو النارجيلة^(٣)، ورغم انتشار الأولى كان بشكل واسع وسريع فان الثانية قد وجد لها بعض الفاعلين وان لم يكونوا بالكثرة التى اشتهر بها غيرهم لكنها على أى حال اشارات تستحق الرصد والتحليل .

وقد سبقت الإشارة الى الموقف الجيد الذى وقفه علماء نجد فى

(١) القمع بكسر القاف فصيحة وهو غطاء رأس التمرة من جهة الشمراخ وهو من مادته وليس من مادتها ولذلك ينزع عند الأكل (الفيروز ابادى والزبيدى باب العين فصل القاف) .

(٢) المصدر السابق باب السين حرف الميم، السويداء ٣٠٠، القويمى ١١٨

(٣) سبق الحديث عن أصل لفظ التبغ أما النارجيل بالهمزة والألف فهى جوز الهند ولفظها معرب وأصله العربى (العقل) وهى نخلة تشبه نخلة التمر الا أنها أدق منها وألين نعما، وتحمل الى ثلاثين نارجيلة فى كل قنواحيانا، ولها لبن له خاصيات، وهناك نارجيل البحر ويؤخذ من جوز الهند مادقا للنارجيلة التى تدخل عناصرها فى (=)

تلك الفترة من هذين المشروبين في بداية معرفة نجد بهما^(١) اباحية
للأول وتحريماً أو كراهة للثاني مما نجم عنه دخول القهوة كأهم مشروب فسي
المنطقة، واعتبار شرب الدخان سبة حيث لم يكن المجتمع متقبلاً له كل التقبل
بدرجة تقبله للقهوة.

أما القهوة فيبدو أنه لشح المنطقة في المشروبات السابقة، ولموقف
العلماء الإيجابي تجاهها لم يكتف النجديون بعدّها أهم مشروب بسبل
أصبحت لديهم عنوان الكرم وعلامة الرجولة، وطالما تغنى بها الشعراء بدوا
وحضراً^(٢).

وكما أن كثرة رماد القدر واسوداده كناية كنى بها العرب الأوائل
عن الكرم واشباع الضيوف، فإن اسوداد الدلة علامة على الرجولة والكرم عند
النجديين إذ يجعلون الدلة قرب النار في كل وقت تحسباً لمجئ أي ضيف
فجأة، ولا يعتد بأي تكريم مهما بلغت طيبة طعامه وكثرته وتنوع أصنافه ما لم
يسبق ذلك أو يعقبه تقديم القهوة، إذ يقرن النجدي بين هذا وذاك فسي
مسألة الكرم^(٣).

ولقد كان اهتمام النجدي بدوياً كان أم حضرياً بالحصول على البن
كبيراً فانه يقطع الفياق والقفار في سبيل أن يبتاع بنّاً له ولضيوفه مهما
بلغت حالته المادية، ومهما أعوزه وجود هذه المادة ثم هو بعد ذلك يحافظ

-
- (=) مشروب النارجيلة أو الشيشة أو البريرة كما كان يعرفها حضر نجد
في تلك الفترة (الفيروزآبادي والزبيدي باب اللام فصل الميم والنون،
الموسوعة العربية الميسرة ٦٦٤، ٦٦٥).
(١) وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .
(٢) السويداء ٢٨٩ - ٢٩٦ .
(٣) عبد الله بن رداًس: شاعرات من البادية ١٢٦، السويداء ٢٨٩ .

عليها وعلى أوانيها كأعز ما يملك، ولعل هذا هو ما حدا بدباس أن يعسد
ذبح الغنم والاكتار من الطعام وشراء البن وتقديمه للضيوف صفات مدح بارزة
لوالده في أبياته التي يقول فيها :

مهفي الغنم لأهل الركائب والأفراس . . لا روحوا له لاعليهم قصيرة
راعى معاميل بها العبد جلاس . . للبن يشرى بالسنين العسييرة
هذى بمركاها وهذى بمحمساس . . وهذى يصبه للوجيه السفيرة^(١)

ويبدو أن معرفة النجديين بالمواد المضافة للبن كالهيل والقرنفل
كانت في تلك الفترة كذلك وإن كان من المعتقد تأخرها بعض الوقت عن
معرفتهم بالبن أصلاً، وقد وردت إشارات للهيل في بعض أشعار تلك
الفترة تفيد استخدام النجديين له عدة استخدامات كخلطه مع بعض أنواع
الطيب فضلاً عن إضافته للقهوة.^(٢)

أما التدخين للتبع فرغم عدم استفحاله في المجتمع فقد ابتلي به
بعض الأفراد حيث أصبح لديهم أمراً مكماً لوجود القهوة حيث لا بد من
شراؤه معها أو مع الهيل وإلى هذا المعنى أشار أحد شعراء تلك الفترة :

(١) الحاتم ١/٢٦٦، ٢٦٧، ويروى " هذى بمركاها " هذى مركيها، أبا
بطين ٣٤، ومعنى مهفي : مذهب والمقصود يذبحها، الركائب :
جمع ركاب وهي الأبل المعدة للركوب، ومعنى الشطر الثاني إذا ذهبوا
إليه في غير قصر من الوقت، والبيت الثاني سبق شرحه في فقرة الرقيق
في هذا الباب، والمركاة : حديدة ترفع القهوة عن النار قليلاً،
والمحساس : أنا. حص القهوة، والأولى أن يقول في الثالثة هذى
يصبها ولكنه أتى بها على بعض اللهجات النجدية التي تحذف
الألف الدالة على التأنيث والاكتفاء بالهاء مع فتح ما قبلها تمييزاً عن
التذكير الذي يضم ما قبله، الوجه : جمع عامي للوجه والفصيح الوجوه،
والسفيرة : المسفرة ومنه قوله تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة " سورة عبس
آية ٣٨.

(٢) الحاتم ١/٩٠، ٩٢، ٢٣٥، أما الشاي فيبدو أن معرفة النجديين
به متأخرة إذا لم يعرف في الحجاز إلا عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م، ويبدو
أنه قد عرف مناطق الخليج في هذا التاريخ أو قريباً منه قبل أو بعداً
وهاتان المنطقتان أقرب مناطق التأثير على نجد في العادات،
(د. إبراهيم الفوزان : إقليم المجاز ٢٥٣، السويداء ٢٩٧).

(١) تمتع بخردات الحباب وتشتري . . بهيل وتنباك القرا وعصير

ونظرا لكون صناعة التبغ لم تتطور اذ ذاك فقد كان النجديون يحصلون عليه بأكياس أو بالوزن ، وهم يمتارونه اما من بلدان الخليج أو من الحجاز التي وجد في احدى بلدانها - وهي جدة - اثنان وثلاثون تاجرا لا يتعاطون الا تجارة التبغ ، وقد يحصلون عليه عن طريق الرحالة الغربيين الذين يجوبون المنطقة آنذاك^(٢) .

(٣) وقد عرفت نجد في تلك الفترة الغلايين المصنوعة التي كسان النجديون يجلبونها من جدة التي راجت فيها تجارة الغلايين هي الأخرى تبعا لرواج تجارة التبغ ، على أن من لم يستطع الحصول على الغلايين المصنوعة قد يتخذ غليوننا من العظم حيث يقطع عظما نحيفا بشكل مناسب ويملاه بالتبغ^(٤) ، وقد وردت اشارات الى الغلايين في بيت حميدان الشويمس الذي يقول فيه :

(٥) يا عيال الغد يارضع الخدم . . يا غدايا الغلاوين والبريرة

(١) الحاتم ٩٢/١ ، والخردات : جمع خريد وخريدة وخرود تطلق على المرأة البكر ، أو الخفرة الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة (الفيروزابادي والزبيدي باب الدال فصل ١٠٠) .

(٢) جاكين بيرين ٢٣٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٣) الغلايين : جمع غليون وهي ما يدخن به المدخن التبغ كالقسيبة ، وذكر الشيخ أحمد رضا في قاموسه (ص ٤٠٢) أنه معرب من قليمان الفارسية التي تعني النارجيلة التي نزع لبها ، ويسمى عند بعض الناس السبيل وجمعه سبلان ، وذكر انهم ربما سموه بذلك بمعنى الوقف من سبله اذا وقفه لأن الغليون في المضافات السابقة يدور بين الضيوف يتداولونه من فم الى فم فكانه وقف عام بينهم .

(٤) بيرين ٢٣٧ ، عبد الله الصقري : من نوادر الأشعار ط (١) مطابع الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٢٨ .

(٥) الفرج ٣١/١ ، كمال ١٧/٩ ، الحاتم ١٤٩/١ ، ومعنى البيت يسا أيها الأولاد المتقدم عليهم الذين تتولاهم الخادومات والخدم فلم يربوا من قبل آباؤهم ، والذين لاهم لهم الا شرب التبغ من الغلايين

(=)

وهذا البيت يرينا الى أى مدى كان مقت المجتمع شديدا للمدخنين
مما يشير الى محدوديتهم فى المجتمع حيث جمعها حميدان ضمن صفات
مذمومة سخر من وجودها لدى بعض الناس، واذ جمعها مع النارجيلة فذلك
لتشابههما فى بعض المواد ونفث الدخان منهما .

كما أشار الهزاني الى الغليون بقوله :

عوجوا رقاب ركابكم يا مطاليق . . مقدار شرب مولع الكيف غليون^(١)

ولئن كان التدخين بالتبغ مما يشترك به البدو والحضر بل ربما
بز البدو والحضر فى كثرة المدخنين به فانه يبدو أن النارجيلة أكثر انتشارا
عند الحضر ولعل ذلك راجع الى كثرة ترحال ابن البادية وتنقله وغزواته
التي يصعب معها حمل النارجيلة بخلاف التبغ الذى قد يصره فى ثوبه ، وقد
أشار اليها حميدان فى بيته السابق ، كما أكد ثانية على وجودها فى المجتمع
حينما أشار الى اقتران رغبة بعض الناس لها برغبتهم فى القهوة فى قوله :
اليمنى فيها الفنجال . . واليسرى فيها البريرة^(٢)

(=) (وهى أفصح جمعا من الغلاوين) ثم هم يشربون النارجيلة ، والبريرة
إطلاق على النارجيلة على أساس أن صوتها عند الشفط يحدث أثره
ما يشبه كلمة (برير) متكررة .

(١) كمال ١٠٧ / ١٢ ، ومعنى البيت : اميلوا رقاب اهلكم اليها وأقيموا عندنا
يا من انطلقتم فى سفركم ولو زنا يسيرا بمقدار ما يشرب المدخن ما ملاء
غليونه من التبغ ، (ومولع الكيف) أى مشعل التبغ وكفى بالكيف عنه
لما يعتقد بعض المدخنين من تكيف نفسه به وهو مما سولت لهم
به أنفسهم .

(٢) الفرج ٦١ / ١ ، كمال ٤٤ / ٩ وقد وردت عندهما (الفنجال) بسدود
أل التعريف ، الحاتم ١٤٦ / ١ ، أبابطين ٧٠ ، والفنجال معرب من
الفارسية التى تعنى القدح أو الكأس الصغير تشرب به القهوة والشاي
أو أنه من فيالجة المعربة بباله ، وربما كان عربيا من الفلج وهو مكيال
عرفه العرب فيكون أصله فلجال أو فلجان ، وقد فصل الزبيدى ورضا
فى ذلك ، وأضاف الشاعر واو للبريرة لضرورة الشعر وموافقة لقافية
الآبيات السابقة (الفيروز ابادى والزبيدى باب الجيم فصل الفـاء
رضا ٤٣٤ - ٤٣٦ ، البسام : الزبير ١٣٧) .

ولا يعنى كونه قد ضم القهوة بالنارجيلة فى بيت واحد فى مجال
سخريته من ابنه مانع أن المجتمع اذ ذاك لم يتقبل القهوة بل العكس هو
الصحيح اذ الثابت محبة المجتمع للقهوة ولكنه قصد من ذلك السخرية من
ابنه فى انشغاله بشرب القهوة عن العمل ، كما قصد كذلك سبه لشربه
النارجيلة .

وعلى أى حال فان تلك الاشارات عن شرب الدخان سواء التبغ
أم النارجيلة لا تعنى استفحالها فى المجتمع اذ أنها وردت فى معرض
التنديد بالشاربين لها الذين لاشك أنهم على محدوديتهم يلقون المقت
والسخرية من عامة المجتمع مما يجعلهم يستخفون من الناس حين شربها ،
وكفى بعزلة المجتمع عقابا ودليلا على عدم بروزها كظاهرة متفشية كما عرفت
بعض المجتمعات المجاورة .

(١) د . عبد الله العثيمين : بحث فى مجلة الدارة ع ٣ / ٣ ص ٢٢ ، ٢٣
وقد سبقت الاشارة اليه .

الفصل الرابع

التكافل الاجتماعي والأعمال الخيرية

- عرضت موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعي في الإسلام .
- أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي عند مضر نجد قبل الدعوة .
- « ١ » الزكاة الواجبة .
- « ٢ » صدقات التطوع .
- « ٣ » الأوقاف الشخصية .
- « ٤ » الوصايا وأنواعها .
- « ٥ » طرق الخير والاحسان الأخرى .

عرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعي في الاسلام:

لقد كان التكافل الاجتماعي في الاسلام من أبرز ما يميزه عن سائر سائر الأديان والنظم لانه يقرر هذا المبدأ في كافة صوره وأشكاله تقريباً جعل الاسلام دين التكافل الاجتماعي بحق ، ولا غرو في ذلك فهو يجعل الأمة مسئولة عن حماية ضعفائها ، ورعاية مصالحهم " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . الآية ^(١) ثم ان عليها أن تحافظ على أموالهم صيانة لها عن الضياع ، وتنمية لها عن طريق الربح الحلال " وابتلوا البتامة حتى اذا بلغوا النكان فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا أو بدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف . . الآية ^(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الساعى على الأرطمة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه قال : " وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر " متفق عليه ، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا " وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " رواه البخارى . ^(٣)

والاسلام يجعل الأمة مسئولة عن فقرائها ومعوزيها فتزقهم بمافيها الكفاية سواء كان ذلك عن طريق الزكاة الشرعية أو صدقة التطوع أو الوصايا والأوقاف وغيرها من سبل التكافل انطلاقا من الحديث القائل : " مثل المؤمن من توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى " . متفق عليه ^(٣)

- (١) الآيتان على التوالي من سورة النساء ٦٠ ، ٧٥
- (٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام ط (٧) ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ص ٧٢
- (٣) المرجع السابق ٧٢ ، ٧٣ وقد توسع سيد قطب في موضوع التكافل الاجتماعي كأحد صور العدالة الاجتماعية في الاسلام بما لا مجال للتفصيل فيه هنا وذلك من ص ٧٢ - ٧٦ .

أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي عند حضر نجد قبل الدعوة:

وقد تجسدت في المجتمع الحضري النجدي في تلك الفترة بعضاً من تلك المظاهر وغيرها مما أكدت النصوص الشرعية أهميتها ، وبرزت فسي المجتمع المسلم في فتراته التاريخية المختلفة، ولا أدل على ذلك من توافر الكثير من أعمال الخيرية التي ظاهرها الاحتساب، والتي أوجدت في المجتمع تكافلاً اجتماعية وأريحية واستعداداً جماعياً لتبني كل ما شأنه القضاء أو التخفيف من أسباب العوز والفقر والفاقة لدى بعض الأسر حيث كانت هذه الأعمال تتضمن رعاية لليتامى والأرامل والمساكين، والمنقطعين للعبادة في شهر رمضان المبارك على وجه الخصوص، وتوفير الطعام إذا أصاب الناس مسغبة، ولم تقتصر على الحضر أو من كانت سبل الانفاق الخيرية في محيطهم بل كانت تشمل البدو والحضر وكل قادم إلى أي بلد نجدى توافرت فيه سبل الخير تلك، كما أنها لم تقصر موارفها على الأحياء فحسب بل امتدت منافعها لتشمل الموتى الفقراء الذين لم يخلفوا أكلاناً حيث كانت تتضمن توفير الأقمشة اللازمة لتأمين ذلك عملاً بالقول المأثور "حرمة المسلم ميتاً كحرمة حياً"^(١)، فضلاً عن أن جانباً من أعمال الخير تلك لم تصرف منافعها في منطقة نجد بل امتدت لتصل إلى أماكن أخرى.

وقد أنت مظاهر التكافل الاجتماعي تلك وغيرها - كما سيرد تفصيلها - منسجمة - مع القواعد الشرعية للتكافل الاجتماعي في الاسلام المتبثلة فسي الجواب التالية :

(١) يبدو أن هذا القول مأخوذ بمعناه عن الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كسر عظم الميت لكسره حياً " رواه أبو داود وابن ماجه، وروته أم سلمه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: " كسر عظم الميت لكسر عظم الحي في الاثم " رواه ابن ماجه وقال في الزوائد : في اسناده عبد الله بن زياد مجهول، ولعله عبد الله بن زياد بن سمعان المدني أحد المتروكين، ولم أعثر فيما بين يدي من كتب الأحاديث على حديث كسر بلفظ : حرمة المسلم، على انني قد اتصلت بأحد المختصين فأفادني

١- الزكاة الواجبة :

لقد سبقت الإشارة في بحث العملات المتداولة الى أن علماء نجد في تلك الفترة قد حددوا نصاب بعض العملات المتوافرة آنذاك وكذلك نصاب الحبوب والثمار وعروض التجارة وهي أبرز أنواع الزكاة التي يبدو أنها كانت تخرج بشكل واضح لبلوغها حد النصاب أكثر من غيرها ، ولما كانت الزكاة هي قوام التكافل الاجتماعي في الاسلام فمن المؤكد أن زكاة النقدين والحبوب والثمار وعروض التجارة كانت تصرف في بعض مصارفها الشرعية مما أوجد نوعاً من التكافل عند الحضر في تلك الفترة .

ورغم أن نجداً قبل الدعوة لم تقم فيها حكومة منظمة تأخذ الزكاة من الأغنياء وتردها الى الفقراء كما هي الحال بعد قيام الدولة السعودية ، ورغم أن بعض أمراء البلدان آنذاك كانوا يفرضون نوعاً من المكوس على الأهالي فقد أوجد فقهاء تلك الفترة مخرجاً للناس بجواز دفع المكوس بنية الزكاة ويسقطها ذلك ولو لم يكن على صفتها - كما مر بيانه - ، كما أكدت إحدى الفتاوى صراحة على جواز دفع الزكاة بنيتها ولفظها الى أمراء البلدان بلا تردد مما يبدو معه أن بعض هؤلاء الأمراء كانوا يصرفونها في مصارفها الشرعية التي تأتي الجوانب التكافلية في مقدمتها^(١) .

وأشارت إحدى الفتاوى الى أن من مصارف الزكاة رزق الفقهاء والقضاة والأئمة والمؤذنين ومصالح البلد سواء كان هذا الصرف عن طريق المزكى نفسه أم عن طريق أمير البلد ، وتلك الفتاوى شاملة للنواحي التكافلية والانفاق على العمال والموظفين ومتطلبات الضيافة والدفاع عن البلد ، وهذا توجيه من هذه الفتوى بأن يصرف على هذه المجالات حسب الأهمية والحاجة^(٢) .

(=) بالحدِيث الذي مر بلفظه والله أعلم (ابوداود السنن ٣/٥٤٣، ٥٤٤ حديث ٣٢٠٧، ابن ماجه : السنن ١/٥١٦، حديث ١٦١٦، ١٦١٧) .

(١) المنقور : الفواكه ١/١٥٤، ١٥٩

(٢) المصدر السابق ١/١٦٢ .

وما من شك أن تشدد الفقهاء في تطبيق الأحكام الفقهية المتعلقة بجودة المخرج للزكاة قد جعل المستفيد من هذه الزكاة يحصل على نوعية جيدة من احتياجاته الضرورية، وفي هذا الصدد أكد ابن زهلان في إحدى فتاويه أنه إذا أصاب القمح بلل فغطن في القوع المخزن فيه فان زكاته تلزم من غيره من القمح الجيد لاستقرار الزكاة بوضعه في قوعه قبل عيبه، بخلاف ما لو غاب قبل وضعه ولو بعد حصاده، أو أتاه مرض فضر حبه فيجزئه الإخراج منه لشمول العيب القمح كله، وكونه بعد استقرار الزكاة فيه^(٢).

ويبدو أن النجديين كانت تواجههم بعض الاشكالات وهم يقومون بدفع الزكاة ثم يدخرون ما تبقى، ومنها ما يتعلق بدفع زكاة الثمار بعد دفع الأولى إذا ادخرها للنفقة فأفتى ابن عطوة أنه سأل شيخه عن ذلك فأجابته: بأن الزكاة لا تجب ثانية بخلاف النقدين، وقرر ذلك بعدها ابن زهلان مفيداً بأنه لو أعدّها للتجارة لا تجب إلا بعد البيع فيزكي على الثمن إذا حال عليه الحال، وهذه الفتوى ترينا إلى أي مدى كان المجتمع - عن طريق علمائه - حريصاً على الاهتمام بأمور الزكاة ومسائلها الدقيقة والجليلة كعامل مهم لتحقيق التكافل الاجتماعي^(٣).

ومما يندرج في إطار الزكاة الواجبة زكاة الفطر التي حفلت الفتاوى النجدية في تلك الفترة ببعض المسائل الفقهية حولها والتي تشير إلى أن النجديين كانوا حريصين على الاهتمام بشأنها عن طريق طرح بعض الاستفسارات حولها على العلطاء حينذاك لا على سبيل المعرفة التفصيلية بأحكامها فحسب بل على أساس أنها مظهر من المظاهر الموسمية للانفلاق على الفئات المحتاجة في المجتمع، هذا المظهر الذي يحرض أفراد المجتمع على القيام به لأن أحكامه الشرعية تؤكد على ذلك، بحيث كان تكافل فئات

(١) القوع : هو المسطح الذي يلقي فيه التمر أو البر جمعه أقواع وأقوع ويطلق على البيدر والجوين وكل هذه الالتفات نصيحة . (الفيروز آبادي والزبيدي باب العين فصل القاف) .

(٢) المنقور: المصدر السابق ١/ ١٥٤

(٣) المصدر السابق ١/ ١٥٨

(١)
المجتمع واضحا فى أواخر الشهر الكريم أكثر من أى وقت آخر.

٢- صدقات التطوع :

تشكل صدقات التطوع عاملا آخر يؤدي الى تقوية التكافل الاجتماعى
فهى بمثابة المكمل للزكاة الواجبة فى هذا الجانب بل تؤدي الى سد
حاجات أوسع مما تقوم به الزكاة^(٢) التى حصرت مجالات صرفها فى الثمانية
الذين ورد التأكيد عليهم بذلك فى قول اللعز وجل : " انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم فى الرقاب والفارمين وفى سبيل
الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"^(٣).

ولئن كان من المعتقد أن تكون الصدقات الطوعية عند النجديين
فى تلك الفترة شاملة لكافة مجالات الخير وفى كل أشهر السنة ، فقد كان موسم
جنى التمر فرصة سانحة ينتظرها أهل الخير بفارغ الصبر لتجود نفوسهم مما
أناء الله عليهم من تمور تما كما كان الفقراء والمحتاجون ينتظرونها
ليحصلوا على قدر من حاجتهم من التمر طيلة موسم الجنى ، الا أن انتظار
الفئتين ليوم جداد النخل أو صرامها عظيم اذ يعد هذا يوما مشهودا فى
كل البلدان النجدية ، ولا يمنع من الأكل فيه أحد فضلا عن كثرة الأعطيات فيه
ومن هنا جاء المثل النجدى " يوم الصرام كل كرام"^(٤) مصورا درجة السخاء
فى هذا اليوم حيث يتساوى فى العطاء فيه كل المزارعين على اختلاف بينهم
فى درجة هذا العطاء.

-
- (١) المصدر السابق ١٦٢/١ ، ١٦٣
(٢) د . عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الاسلام ط (٣) نشر
دار السلام القاهرة ، حلب ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ١٧٣ .
(٣) سورة التوبة آية ٦٠
(٤) العبودى : الأمثال ١٧٩٧/٥ ، والصرام والجداد والجذاذ كلها
فصيحة لمعنى واحد (الفيروزابادى والزبيدى باب الدال فصل
الجيم ، باب الدال فصل الجيم ، باب الميم فصل الصاد) .

وقد صور حميدان الشعوير - فى معرض ثنائه على النخلة الذى مر ذكر جانب منه - أهمية غرس النخل لطرق كافة سبل الخير فهى التى تتمثل فيها هذه السبل واضحة اذا ضيقت الأزمت الاقتصادية بخناقها على النجديين سواء كان المردود من هذه السبل عائدا الى أقارب الشخص أم الى الفقراء والمساكين فى مجتمعه مما يتيح للانسان اللحاق بركب أهل الخير فى كثرة الأعطيات فى موسمي الحصول على التمر منها : الجني ، الصرام ، فضلا عن الاستفادة منها وافادة المجتمع بعناصرها الأخرى :

ترى الخير فى راسيات الجذوع . . الى دلبحن السنين الحطاييم
توفر حلالك وتفرح عيالـك . . ويكثر نوالك بيوم الصراييم^(١)

ويبدو من بعض الاشارات الفقهية أن أفرادا من المزارعين كانوا كانوا يغلّقون أبواب حوائط مزارعهم يوم الجداد وينطلقون وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين ، ورغم ما قد يلتص لهم من أضرار تتمثل فى قسوة الظروف الاقتصادية المتمثلة أحيانا بقلّة ، أو ضعف المحصول من التمر أمام كثرة الفقراء والمحتاجين فى المجتمع ، رغم ذلك كله فقد كانت هذه المسألة من ضمن المسائل التى عدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المظاهر السلبية فى المجتمع مفتيا بعدم الجواز لذلك فى قوله : " وأما اغلاق الباب أيام الجداد فلا أتجسر على الجزم بتحريمه ، ولكن أظنّه

(١) الفرج : مرجع سابق ٤٦/١ ، كمال : مرجع سابق ٣١/٩ ، الحاتم مرجع سابق ١٦١/١ وقد سبق عرض هذين البيتين وتأصيل كلماتهن فى الفصل الأول من الباب الثالث ، وقد صور الشاعر محمد بن لعبون (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م - ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) أهمية موسم الصرام لطرق سبل الخير حينما قال :

ياسنين لى مضت مثل الحلووم . . كنهن فى دار ابن عوام عام
هل غريم الشوق يشبع منك يوم . . شبعة المسكين بايام الصرام
ورغم تأخر زمن الشاعر عن فترة اعداد هذا البحث الا انه يمكن الاستئناس ببيتيه هذين فى بحث هذا الجانب الخير عند النجديين .

لا يجوز في هذا المعنى ومن الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ما ذكرها الله في سورة (ن) عن أصحاب الجنة : (اذ أقسموا ليصرفها ^(١) مصحين) وهم لم يغلّقوا الباب بل تحيلوا بالصرام في وقت لا يأتي فيه ^(٢) الساكين .

كما يعد موسم حصاد الحبوب عامة والقمح خاصة مناسبة أخرى يجود فيها أهل الخير من المزارعين على المحتاجين سواء باعطائهم كميات من الحبوب بعد تصفيتها أم باتاحة الفرصة لهم لتعقب الحصاد والتقاط ما قد يسقط منهم من سنابل صغيرة حيث يتولون تصفيتها بطرقهم الخاصة، ويعرف هذا الأسلوب بـ (اللقاط) ، ويبدو أن تلك الفئة التي تغلق أبواب حوائط مزارعها وقت الصرام تفعل الأسلوب نفسه وقت الحصاد نظرا لكون الحبوب والتمور عماد العناصر الغذائية آنذاك مما يدفع بالفقراء والمحتاجين إلى التواجد بكثرة عند المزارع في الموسمين ، وتلك قضية أخرى تطرق إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما قال بعدم جواز ذلك ، وقاسها على مسألة الصرام بالاستشهاد بآية (ن) إلا أنه زاد الحديث حولها مستشهدا بآية : " وآتوا حقه يوم حصاده " ^(٣) مينا شمولها للزكاة الواجبة وصدقة التطوع من خلال أقوال عدد من الصحابة والتابعين في تفسير هذه الآية ، بل أنه نقل عن أحد التابعين أن المقصود بها هو ائاحة الفرصة للمحتاجين للقاط حينما قال في تفسيرها : (ماسقط من السنبلة) ^(٤) ، وتشير افاضة الشيخ محمد في الحديث عن تلك الظاهرة أكثر من ظاهرة اغلاق الباب

(١) آية ١٧

(٢) الفتاوى ٤٠ ، ٣٩

(٣) سورة الأنعام ١٤١ .

(٤) الفتاوى ١٠٥ ، ١٠٦ ، ابن قاسم : الدرر ٤ / ٣٠٩ ، ولعل من الأدلة التي استدل بها الشيخ كذلك على عدم اخفاء الحصاد والجسداد مارواه البيهقي بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل (ابن كثير : التفسير ٤ / ٤٠٨) .

وقت الصرام أن الفاعلين لذلك في الحصاد أكثر منهم في الصرام على أنه من المعتقد أن هؤلاء وأولئك كانوا محدودين في المجتمع النجدي ، اذ المشهور أن ظاهرة الانفاق في أوجه الخير في الموسمين هي الأكثر بروزا عند المزارعين الى درجة ان احدى الفتاوى أكدت أنه على الخارص للزكاة أن يدع ثلث النخيل أو ربعها فلا يدخلها في حساب الزكاة حتى يأكل منها ^(١) المزارعون ويتصدقون ويهدون ، وتقاس الحبوب على ذلك فيما يبدو .

ان بروز الصدقات الطوعية في هذين الموسمين لا يعنى الاقتصار عليها فيهما فمن المعتقد أن تكون فترات المسغبة الكثيرة في نجد حينذاك أوقاتا يتنافس فيها أهل الخير باطعام الطعام وتقديم كافة الأعمال الخيرية ، كما أن الأزمنة الفاضلة كشهر رمضان وعشر ذى الحجة وغيرها مواسم يحصر النجديون على بذل الصدقات فيها هذا فضلا عن تخصيص قدر من الصدقات للفقراء في الأمكنة الفاضلة كمكة والمدينة ، وكل هذا خارج نطاق الوصايا التي يوصي بها المتوفون أو يوقفونها كما سيأتى .

٣- الأوقاف الشخصية :

يعد الوقف أبرز مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعى فى الاسلام نظرا لشموله لعدد من مجالات الخير واستمراره سواء فى أصله أم فى منافعه وقد نظر اليه المسلمون عبر تاريخهم على هذا الأساس ، ولورود التأكيد على أهميته فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له) وقد فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف ، كما فصل الفقهاء فى أحكام الوقف تفصيلا لم يدع سألة فيها حكم شرعى الا بينها لعنايتهم به ، واهتمامهم ببيان أحكامه التفصيلية . ^(٢)

(١) ابن قاسم : ٣٠٨ / ٤

(٢) البهوتى : مصدر سابق ٤٨٩ / ٢ ، د . الخياط : المرجع السابق ١٨٣ - ١٨٥ ، والحديث رواه الجماعة الا البخارى ومما يؤكد عظم أهمية الوقف عند المسلمين ما روى عن جابر قوله : " لم يكن أحد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة الا وقف " .

وانطلاقاً من هذه الأهمية القصوى التي أولاها المسلمون عامية وخاصة للوقف فقد تعددت مساهمات النجديين الخيرية في تلك الفترة عن طريق الوقف حتى عد أوسع مجالات الخير لديهم حيث أشارت الوثائق الشخصية منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي الى طـسرق العديد من الأعمال الخيرية سواء كانت هذه الوثائق منفردة وتداولها الناس جيلا بعد جيل أم وجدت مدجة في أحكام الوقف ضمن الكتب الفقهية النجدية.

ولعل من أبرز وثائق الأوقاف الشخصية ان لم تكن أبرزها هي وصية صبيح عتيق عقة التي أكد فيها أنه أوقف وقفا مهيدا آباره التي في عكـل (١) (٢) وريعتها لمنافع المسلمين ومحتاجيهم، كما أشارت أنه اذا تعطلت منافـع أحد الآبار أو كلها جعلت على بئر غيرها مما ينتفع به المسلمون ، (٣)

وقد خص منافع هذا الوقف أهل عكل ، والفرعة ، ومن ضمن هـذه الأعمال الخيرية تخصيص ستين صاعا تصرف أثمانها بدل أكلان لموتى هـذه البلدان الذين لا يجدون ما يكفئهم ، وقد جعلت الوصية مصرف هذا الوجه أولها بعد أن يأخذ ولي الوقف حصته ، وبعد أن يخرج منه دلو وحبلـه للبئر التي تغذى هذه المزارع ، (٤) لأن هذا الوقف هو أولى وجوه صرف الوقف بالاسراع به عملا بالقول المأثور السابق ، ولأن غسل الميت وتكفينه وتجهيزه

(١) سبقت الإشارة الى بعض الجوانب المتعلقة بهذه الوصية مسـن دون التفصيل في أوقافها ، وذلك في الفصل الأول من الباب الثاني والفصل الثاني من الباب الرابع .

(٢) سبق أن أعطيت تعريفا عن أشيقر وأن اسم عكل كان يطلق عليها أحيانا ، وذلك في الفصل الأول من الباب الرابع .

(٣) الفرعة : بفتح الفاء وسكون الراء إحدى بلدان الوشم تقع على وادي أشيقر لاصقة به عن الجنوب وسكانها من النواصر من بني تميم وهناك أكثر من بلد بهذا الاسم . (ابن بليهد : ماتقارب سماعه

٩٦ ، ١٣٥ ، ٢٦٤ ، ابن خميس : اليمامة ٢ / ٢٤٧ - ٢٥٠) .

(٤) وهي بئر العصامية .

من أعظم القربات عند الله^(١).

ونظرا لأهمية اطعام الطعام، كأحد مصارف الوقف فقد أولت[—] الوصية اهتمامها حينما أكد صبيح على أن يخرج الولي من الربيع طعاما[—] يعد لشهر رمضان وخاصة ليالى الخميس والجمعة والاثنين، بعد أن يوزع منه ثلاثين صاعا على الأرامل اللاتي يحتجن الى الطعام ويستحجن فلا يسألن الناس الحافا^(٢).

وقد فصل الواقف كيفية هذا الاطعام بأن يجعل سقاطا^(٣) عاما يأكل منه كل من حضر ورغب فى الأكل سواء كان غنيا أم فقيرا، بدويا كان أم حضريا ولم يشر الواقف الى مكان تقديم هذا الطعام هل هو فى المسجد أو قربه، أو فى بيت الواقف أو مكان معهود، وان فى شمول هذا المصروف البسود والحضر دلالة على أن البدو يتمتعون بأوجه صرف الوقف الذى يوقفه حضر نجد عادة على أساس أن المسلمين سواسية، ولأن البدو عابروا سبيل لايمرون بالقرى الا لعاما فيحتاجون الى تكريم من أهلها، وان هذا المصروف ليندرج فى اطار العلاقات الطيبة بين البدو والحضر، ولايبعد أن يكون هذا قد أوجد لدى بعض البدو معرفة - ولو محدودة - ببعض أحكام الوقف وسبيل صرفه^(٤).

وكان الواقف متحمسا لتعدد أوجه الصرف فى هذا الوقف حينما أعطى الولي مرونة فى التصرف بهذا الطعام فى غير شهر رمضان، وخاصة اذا أصاب الناس مسغبة عامة أو خاصة، فيطعم منه فى أى وقت متى رأى فى

(١) عبد العزيز المبارك: وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية

(مجلة العرب ج ٢/١ ص ٥٨، ٥٧).

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) السقاط بكسر السين جمعه أسمطة وسقاطات يطلق على الصف، وعلى

مايعد الطعام عليه وهو فصيح (الفيروزابادى والزبيدى باب الطباء

فصل السين) .

(٤) نص الوقف فى المرجع السابق ص ٥٨

(١)

ذلك حاجة للمسلمين ، وإذا أعدنا للأذهان الضوابط الاقتصادية العديدة التي كان يمر بها المجتمع النجدي حضريا وبدويا آنذاك أمكننا الادراك أن مصرف هذا الوجه مهما الى أبعد الحدود تحسبا لأي ضائقة يمر بها هذا المجتمع.

وانسجاما مع ظاهرة السطاح بأكل التمر وقت الجداد والتصدق منه كذلك ، فقد جعل الواقف ذلك من أوجه صرف وقفه حيث أوصى الولي بأنه لا حرج عليه هو أو من يحضر أن يأكلوا عند الجداد^(٢) ، وإذا كان الواقف لم يشر الى اعلان ذلك للناس في هذا اليوم ، فان مجرد السماح بالأكل كاف عن الاعلان اذ أن موسم الجداد معروف ، ومثل هذا الأمر في الوقف لا يحتاج الى اعلان مسبق في مجتمع يعد الهس فيه ضجيجا ، ويتداول أهله الخبر بسرعة صغرا أم كبرا.

وقد ختم الواقف وقفه بالأسلوب الشرعي المعتاد في ختام الأوقاف بالتحذير الشديد لمن يتعرض لهذا الوقف بظلم أو نقص أو تغيير أو تحريف سواء فعل ذلك بنفسه أم أعان عليه بقول أو عمل أو مشورة حيث دعى عليه الله عز وجل أن يذيقه صنوفا من العذاب يوم القيامة ، وكل هذا حرصا من الواقف على استمرارية العمل بوقفه سواء في أصله أم في منفعه ، وصولا الى شمول هذا الوقف وتلك المنافع الى الفئات والمصالح التي ورد ذكرها فيه ، فضلا عن أن اكتار الشهود على هذا الوقف وتسجيلهم شهاداتهم ، وكتابتهم أسماءهم بأنفسهم عامل مهم لزيادة توثيق هذا الوقف ومعرفة عدد كبير من الناس له^(٣).

ونظرا لأسبقية وقف صبيح وشموله لعدد من مجالات الخير فقد كان

(١) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ ، ٥٩ .

عدد من أهل الخير يعتمدون ما ذكره من أوجه صرف أساساً لأوقافهم، فقد اتفق وقف صقر بن قطام بن صقر الذي جعله قرية لله تعالى على أهل أشيقر مع وقف صبيح في مسألة الاطعام حيث أكد صقر في هذا أن على الولي أن يجعل " في المسجد سماطاً في شهر رمضان على حكم اطعام وقف صبيح" (١) إلا أن الواقف لم يحدد ليالي معينة كما في وقف صبيح بل ترك للولي حرية في هذا السبيل فيطعم في أي ليلة من رمضان يرى أن الناس أحوج فيها للطعام من غيرها سواء كانت تلك الليالي الفاضلة أم غيرها من ليالي الأسبوع ويبدو أن الواقف كان حريصاً على شمول الاطعام كل أيام رمضان من غير تفضيل عشرينه الآخر على غيرها في الاطعام وعدمه إذ يبدو أن الأمل الموقوف من الكثرة بحيث كانت تدر ريعاً كثيراً، كما أن الواقف قد أطلق المجال للولي أن يطعم الناس في غير شهر رمضان إن أصاب الناس مسغبة، أو رأى نفس الاطعام في غير شهر رمضان صلاحاً، واذ لم يحدد الواقف مجالات هذا الصلاح فقد ترك للولي فهمه على أوجه الصلاح العامة، وإن تأكيد الواقف على أن يتم ذلك بما يفضل لدى الولي دليل على ثقته بأن الريع سيغطي هذا الاطعام سواء في رمضان أم في غيره. (٢)

ومن بنود الاتفاق بين الوقفين أنه لا حرج على من حضر هذا السماط في الأكل منه سواء كان غنياً أم فقيراً حضرياً أم بدوياً، أم ناظر الوقف نفسه وإن تقديم هذا السماط في المسجد أو قرية ليضفى عليه صفة الشمولية سواء لمن ذكروا في الوقف أم لم يذكروا حيث يمكن أن يستفيد من هذا الطعام كل مؤد للصلاة في المسجد وكل ما فيه حال تقديم الطعام. (٣)

ولم يغفل الواقف هنا - تماماً كما ورد ذلك في وقف صبيح - التأكيد على الولي أن يخرج كل عام أربعين صاعاً من تمر تنفق على الأراذل في (٤)

(١) المرجع السابق ج ٦ / ص ٢ ص ٥٥٧

(٢) المرجع السابق ص ٥٥٧، ٥٥٨

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨

(٤) هنا إشارة إلى أن التمر كان يكال كيلاً في تلك الفترة. انظر تعليق الأستاذ المبارك على الوقف في المرجع السابق ص ٥٥٤ ، ومبحث المكاييل في الفصل الثاني من الباب الثالث.

بيوتهن لأنهن يشتهين الطعام عن حاجة ماسة ولكنهن يستحين أن يسئلن الناس ذلك، إلا أن وقف صقر لم يقتصر عليهن في هذا المصرف بل أدخل معهن المرضى من الرجال الذين لا يطيقون وصولا إلى الطعام في المسجد أو قريه، ومن المعتقد أن هذا الوجه قد شمل كذلك كل من لم يطق الوصول إلى الطعام في مكانه سواء كان لكبر سن أم مرض أم أى عائق يحول بينهم وبين ذلك^(١)، ولئن كان هذا البند قد زاد عما في وقف صبيح عشرة أصع، فلربما كانت هذه قد خصصت للرجال العاجزين، وأن نصيب الأرامل هنا متفق مع نصيبيهن في وقف صبيح، على أن صبيحا لم يحدد في وقفه نوع الطعام المقدّر بثلاثين صاعا هل هو من القمح أم من التمر وإن كان المكمل من الطعام إذا لم يحدد ينصرف إلى الحبوب عامة والقمح خاصة^(٢)، ومن هنا فإن أصع وقف صبيح ربما كانت من القمح الذى تفوق قيمته قيمة التمر، ولهذا فلا تعد زيادة وقف صقر عليه ميزة يمتاز بها .

ونظرا لكون الأمطار الغزيرة من الأمور التى تحدث اضرارا بالمزارع سواء كان فى الزروع والنخيل نفسها أم فى الأسوار المحيطة بها وكذلك فى المنازل، لكل هذا وغيره من الأضرار فقد نص الوقف بتخصيص جزء من الوقف يصرف فيما يسببه السيل من غرم، إضافة إلى الصرف على ما يسببه الجراد من اضرار فى المزروعات سواء كان هذا بمكافحة الجراد، أم اصلاح ما أفسده من الزروع التى يتسنى اصلاحها، أو أخذ الحيطة منه قبل انتشاره وإذا أعدنا إلى الأذهان ما سبق أن بيناه^(٣) من اضرار الجراد الذى يفسد الأرض المنخفضة فيجعلها قاحلة أدركنا إلى أى مدى تكمن أهمية هذا المصرف، على أن الوقف قد أطلق الحرية للولى أن يصرف من هذا الوجه على أى كارثة تحل سواء كانت بسبب المطر أم الجراد أم الريح العاصف

(١) نص الوقف فى المرجع السابق ص ٥٥٨

(٢) د . عبد العزيز الخويطر : عثمان بن بشر ص ٥٢

(٣) وذلك فى الفصل الأول من الباب الرابع.

(١) أم غيرها اذ أن قوله : " أو طارقة تعم البلد " يجعل الوقف يساهم بشكل شامل في أى نازلة تصيب البلد سواء كانت اقتصادية أم غير ذلك ، وما من شك أن الواقف هنا حريص على استمرار الانتفاع من وقفه كل وقت يربح فيه بحيث أنه اذا تعطلت منافع الوقف في وجه من الوجوه أمكن استحداث أوجه أخرى تحت تلك الكلمة العامة التى تشمل الانفاق على الأعمال الخيرية سواء ما يتعلق منها بذات الانسان أم ممتلكاته ، ولعل أبرز ما يؤكد حرصه على هذا الجانب تأكيده على الولي أن " يصلح الأوقاف من غلاتها بما يزيد في نفعها من خدمة وغيرها " .^(٣)

وقد جعل الواقف من أهل المعروف والخير في أشيقر قواما على الولي يراقبون أعماله في هذا الوقف يحق لهم عزله ، وتولية أمين غيره ان عدت الأمانة فيه ، أو عجز عن العمل في الولاية لمرض أو كبر أو نحو ذلك ، وقد اتبع الواقف في وقفه هذا المشهور من المذهب الحنبلي حيث وقف على نفسه ثمانى نخلات ، وبعد موته على بنات أخيه محمد بن قطام ، وخصلة بنت فياض . ولم يوضح درجة صلتها به - ويبدو أن صقرا لم يكن له أولاد اذ لم يجمع شيا من هذا الوقف لهم ، وقد ختمه بمثل ما ختم صبيح وقفه من وجوب الاستمرار فيه وانجازه ولزومه وثباته وعدم بيعه وهبته وارثه والتحذير الشديد لمن يتعرض له بأى شئ يعطل منافعه ، وكانت أولى كتاباته في ٥ شعبان سنة ١٠٥٣٣ هـ / ٢٠ فبراير ١٩٤٠ م .^(٥)

(١) نص الوقف في المرجع السابق ٥٥٧ .

(٢) ص ٥٥٧

(٣) ص ٥٥٧

(٤) أورد البهوتى في شرح المنتهى (٢ / ٤٩٤) خلافا في وقف الانسان على نفسه ، كما أورد المنقور في الفواكه (١ / ٤٢٠) رأيا لأحد العلماء انه باطل ، وعرض اختلاف المذاهب فيه ، وكونه عند الحنابلة في رواية متكافئتان .

(٥) نص الوقف في المرجع السابق ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

وقد اقتصر رميثة بن قضيبي في وقته على أن يجعل جزءا من مزارعه في أشيقر طعاما للآكلين في ليالي شهر رمضان في مسجد أشيقر على حكم وقف صبيح ، وإذا وضعنا في الحسيان تتابع سني الجوع التي كانت تمر بها المنطقة كما مر تبين لنا الأهمية القصوى التي تقوم بها الأوقاف التي تقتصر على الاطعام وخاصة في ليالي الشهر الكريم في الحد أو التخفيف من الأزمات الغذائية^(١).

وقد وثق الواقف وقته عند قاضي أشيقر في وقته محمد بن أحمد بن منيف القاضي الذي كان أحد نساخ وقف صبيح ويحتفظ بنسخة منه لديه يعتمد عليها في كل وقف يكتب عن طريقه ، وكان حرص الواقف على حضور الولي مظهرا من مظاهر التوثيق ، كما أنه حرص على شموله الأحكام الشرعية في الوقف والتحذير لمن يتعرض له بشيء يعطل منافعه جيلا بعد جيل ، وكانت أولى كتاباته في ١٩ رمضان ٩٨٦ هـ / ١٩ نوفمبر ١٥٧٨ م^(٢).

ان تأكيد الأوقاف السابقة على أهمية الاطعام كأحد مصارفها لابد أن يكون قد ترك أثرا واضحا في التخفيف من قسوة الحالة الغذائية التي قد تمر بها أشيقر إذ أن تضافر هذه الأوقاف الثلاثة في توفير الطعام للصائمين والمحتاجين قد جعله متوافرا - الى حد ما - لسد حاجة تلك الفئات ، ولو قصرت النفقة أو الربيع لوقف منها عن تمضية مصرف الطعام عنده في فترة من الفترات سد الوقفان الآخران أو أحدهما هذا التقصير.

(١) المرجع السابق ص ٥٦٠

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام بن منيف بن عساكر من آل محمد بن علوي من بني وهيب من تميم ولي قضا " أشيقر ، طلبه أحد اشراف مكة لقضا " عالية نجد فرفض فسأل عنه علما " أشيقر فأكدوا أهليته للقضا " فألزمه على ذلك ، ولقب من هذا التعيين بالقاضي ونسبت اليه أسرة القاضي المعروفة ، يبعد من علما " أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . (البسام : علما " نجد ، ٧٩١ / ٣)

(٣) نص الوقف ص ٥٦٠ ، ٥٦١ .

ومن استعراض تلك الأوقاف يتبين أن وقف صبيح كان هو الأساس الذي عوّل عليه كتاب الوقفين التاليين وربما غيرهما كذلك مع اختلافات جزئية تحكمها الظروف الحياتية التي تمر بها منطقة نجد بين فترة وأخرى ، وهذا بلا شك عائد لدقة الألفاظ الوقفية في وقف صبيح ، وشموله وتداول عدد من القضاة وكتاب العدل الذين كتبوا الوقفين التاليين له ، وبعد اطعام الطعام في كل وقت وخاصة في شهر رمضان مصرفا مشتركا تتفق فيه هذه الأوقاف الثلاثة .

والواقع أن تفتير الصّوام واطعام الطعام في هذا الشهر الكريم يشكل ظاهرة بارزة لدى النجديين عموما إذ تشير بعض الفتاوى أن كثيرا من مزارعي المنطقة كانوا يخصصون كل عام عددا من آصع القمح تصرف في شهر رمضان على الصّوام في مسجد معين في البلدان النجدية ، على أن بعضهم كان يقرن بين الوقف على أممام مسجد معين ومؤذنه والصّوام الذين يؤدون الصلاة في ذلك المسجد بنسب قد تتفق أو تختلف حسب حالة كل منهم فضلا عن أن بعض أهل الخير يوقفون عددا من الآصع على فقراء الجيران توزع عليهم في شهر رمضان سواء كان ذلك في حياة الواقف أم يوصى بذلك بعد موته ، ويجعل هؤلاء الجيران الفقراء في المقام الثاني في هذا المصرف بعد المحتاج من الذرية مباشرة^(١) .

ومن مظاهر شمول الوقف لديهم إيقاف الذكور من الأنعام والفحول من النخيل لتلقيح أناث من ليس عنده ذكر ، فضلا عن إيقافهم الرّجى للعامة حتى يطحنوا بها حبوبهم وما يحتاجون الى ذلك من أى شئ ، أما الوقف^(٢) على بناء المساجد وشراء أراض لها فكانت مصارف يتسابق اليها النجديون وقد سبقت الإشارة الى أن أسرة الشيخ عبدالله بن سيف قد حولت أرض بيتها

(١) المنقور: الفواكه ١/٤٤٠، ٤٤٣، ٤٥٠

(٢) المصدر السابق ١/٤٤٦، ٥٢٠

(١) لبناء مسجد وأوقفت عليه وعلى منافعها وإمامه ومؤذنه بعض الأوقاف، كما أن كثرة الفتاوى في هذا السبيل تشير إلى تفضيله كمصرف خير عند النجديين انطلاقاً من التأكيد على أهمية بناء المساجد في عدد من الآيات والأحاديث^(٢).

ولقد كان بعض النجديين يوقف آنية ينتفع بها المسلمون في الشرب والأكل عن طريق الإعارة، وكذلك الدلاء - جمع دلو - لتضخ المياه لعامة الناس من الآبار التي تحفر ليكون مأوها وقفاً على المسلمين، ومما يتعلق بذلك بناؤهم للبرك والمساقى - جمع سقاة - لتتجمع فيها المياه لشرب الناس واستعمالاتهم الأخرى وسقى ماشيتهم سواء كان للحضر أم للبدو والماريين بها، ويوقفون بعض النخل لصيانة تلك البرك والمساقى، وكذا القرب لتبريد الماء للشرب في الصيف^(٣).

ولم يقصر النجديون مجالات أوقافهم داخل بلدانهم أو منطقة نجد فقط بل مدهم وأتوا الأعمال الخيرية حتى وصلت إلى مناطق أخرى وخاصة الأمكنة الفاضلة كالحرمين الشريفين تماماً كما كانوا يفعلون في صدقات التطوع، وفي هذا السبيل تشير فتوى لابن زهلان أن بعض النجديين كانوا يوقفون نخلاً على الحرم المكي وأكد ابن زهلان في هذا أن العرف أرسال ثمرها تصرف عليه حيث يؤجر على توصيله إلى مكة بسهم منه، أو يباع ثم يقسم ثمنه يرسل بعضه ويدفع منه قيمة إيصاله، كما أشارت فتوى أخرى إلى بسروز

(١) راجع الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) المصدر السابق ١/٤١٩، ٤١٧، ٤٤٥، ٥٠٣، ٥٣٥، ومن الآيات المؤكدة على عمارة المساجد قول الله تعالى: "انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة" الآية ١٨ من سورة التوبة، ومن الأحاديث ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة" متفق عليه.

(٣) المصدر السابق ١/٤٧٣، ٤٧٦، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٤٧، ٥٥٤، ٥٥٧.

ظاهرة نقل الوقف الى بلدان أخرى ، فافتى ابن ذهلان نفسه بجواز نقسل
آنية وقف على نفع المسلمين الى بلد آخر ان لم يعين الموصى أو الواقف
بلدا معينا .^(١)

ورغم أن الأوقاف العلمية الخاصة والعامة التى سبق الحديث عنها
تعد أوقافا فى مجال خاص الا أن مردودها لابد أن ينعكس على مجالات الحياة
العامة وخاصة تلك الأوقاف العينية من التمر أو القمح اذ أن نيل المحتاجين
شيئا منها أمر متوقع فى اطار التشجيع الواضح من العلماء وطلبة العلم على
انتشار المجالات الخيرية فى المجتمع .^(٢)

كما أن الأوقاف ذات الطبيعة الأسرية الخاصة أو ما تسمى بالوقف
الأهلى أو الذرى^(٣) لها مفعول جيد فى تركيز فكرة الخير فى المجتمع —
أسره ، اذ أنها نوع من أنواع التكافل العائلى الذى يندرج تحت مفهوم صلة
القرابة بالبر ببعض الأقارب المحتاجين من غير الورثة وتكمن أهمية هذه
الأوقاف فى أن المحتاجين من ذرية الواقف أو قرابته يستغنون بذلك عن
الأوقاف العامة بحيث توجه مصارفها الى فقراء المجتمع ممن لم توجد لهم
أوقاف أهلية أو ذرية ، على أن كثيرا من الواقفين — كما مر — كانوا يجمعون فى
أوقافهم العامة والخاصة ، فاذا لم يوجد محتاجون بين ذوى القربى أو اكتفوا
بعد ذلك وجهت تلك الأوقاف مصارفها الى عموم المحتاجين وضرورات المجتمع
العامة ، وهذا يشيع مبدأ التكافل الاجتماعى بين الناس بتعدد مصارفه
وألوانه .

٤- الوصايا وأنواعها :

تختلف الوصايا عن الأوقاف فى كون الأولى يعلق تنفيذها بعد الموت

(١) المصدر السابق ١/٢٠٥٦ ، ٧/٢

(٢) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى .

(٣) سعى بالوقف الأهلى نسبة الى أهل الواقف والذرى الى ذريته
(معجم العلوم الاجتماعية ٦٤٦ ، الموسوعة العربية ٩٥٥ ، مادة وقف)

بينما يمكن للإنسان أن يوقف من ماله في حياته، بل أنه إذا علق تنفيذ الوقف بما بعد موته فإن ذلك يحوله من وقف إلى وصية وتجرى عليه أحكامها فلا يصح إلا في الثلث^(١)، وتعد الوصايا أحد مظاهر التكافل الاجتماعي سواء كانت وصايا خاصة أم عامة، وهي تسد ثغرات كبيرة في حالات الأزمات والضوائق الاقتصادية إذ تشمل في مصادرها كثيرا من المجالات التي يحتاجها المجتمع.

وقد طرقت النجديون في تلك الفترة مختلف أنواع الوصايا التي تندرج تحت هذين القسمين، وتتداخل مصادرها أحيانا بينهما كذلك إذ قد يوصي أحدهم بفعل خير أو قرية تستفيد من منافعها ذريته وأقاربه والمحتاجون في المجتمع على حد سواء أو بنسب متفاوتة، وفي كلتا الحالتين فالوصية تساهم بقدر جيد في تحقيق التواصل الاجتماعي بين أسرة الموصي والأسر التي تنال شيئا من تلك الوصايا، وتضفي أثر ذلك جوا من المحبة والوثام بين أسر المجتمع.

ومن أبرز أنواع الوصايا الوصية بأضحية أو أضحى قد تشمل الثلث كله أو جزءا منه، وفي هذا الصدد فقد كان بعض النجديين يوصي بثمر نخلة أو نخل معين أن تصرف في أضحية كل عام، وفي إطار الأحكام الفقهية المنظمة للوصايا فقد أفاد ابن ذهلان أنه متى تحصل على الثمر اشترى به وقت الأضحية، فإن لم يتحصل عليه رصدت الأضحية إلى عام قائل^(٢).

ورغم أن الأضحية المطلقة في الوصية لا يلزم فيها إلا قدر المجزئ إلا أن عادة كثير من الأوصياء إخراجها من الأنعام مرتفعة القيمة أبراء للذمة

(١) وقد رأى البعض أن في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصية في الثلث "والثلث كثير" أفضلية ما أقل من الثلث كالربيع والخمس والتفصيل: (البهوتي ٥٤٠/٢، ابن ضويان ٣٦/٢، ٣٧)

(٢) المنقور، المصدر السابق ٦/٢

وحرصا على الانفاق من طيب الكسب تحسبا لزيادة الأجر من الله عز وجل للميت والحي ، وقد أفتى الشيخ سليمان بن علي بأن ذلك لا يجوز في حالة كون أحد الورثة قاصرا مما يؤثر على نصيبه من التركة^(١).

ويبدو أن عادة بعض النجديين في اطلاق الوصية أنها تنصرف الى الأضحية لكونها أهم أنواع الوصايا التي يحرص عليها النجديون ، فقد أشار الى ذلك سؤال ورد الى ابن زهلان يقول فيه السائل : أوصى مريض بثلاث ماله (هكذا ولم يعين) وأتى وقت الأضحية وهو حي مريض فضحي ثم مات ، هل تحسب من الثلث ؟ أم من رأس المال ، فأفتى ابن زهلان بأنها تحسب من رأس المال ، اذ لاحق له في شيء من ماله حال مرضه وخاصة اذا عاين معه الموت باتفاق الفقهاء^(٢).

ونظرا لكون أشيقر البلدة العلمية الأولى في نجد في تلك الفترة فقد كانت صيغ كتابات الأوقاف والوصايا الصادرة منها هي التي يعتمد عليها كثير من النجديين حينما يوقفون أو يوصون لاشتغال تلك الكتابات على ألفاظ دقيقة تلبي رغبة الواقف أو الموصى ، وفي هذا الصدد - وفي مسألة الوصية بالأضحية خاصة - فقد تواتر لدى أهل أشيقر عبارة يؤكدون على الوصى الالتزام بها وهي قولهم في مواصفات هذه الأضحية : " تشتري ضحوة العيد ، من يد البيع في يد المشتري ضحوة العيد خشية التلف^(٣) " ولقد تأصلت فكرة تلك العبارة لدى النجديين حتى أنهم يحرصون على تأخير شراء الوصية حتى يوم العيد أو أحد أيام التشريق حتى لو لم ينص الموصى على ذلك خشية من أن يؤدي شرائها قبل ذلك الى تعرضها للهلاك ، وهذا عامل مهم في انجاز الوصية ابراء للذمة على العكس من الأضحية غير الموصى بها

(١) المصدر السابق ٦/٢

(٢) وهو ما يطلق عليه العرض المخوف . المصدر السابق ١٢/٢ ، ابن

زويان ٣٥/٢

(٣) افادة من فضيلة الشيخ عبد الله السعد وكيل الجامعة لشئون المعاهد والبيع لغة في البائع أى كثير البيع (الفيروزابادي والزبيدي بسبب العين فصل الباء) .

فقد تشتري قبل العيد بفترة قد تقصر وقد تطول .

ولئن كان أكثر الموصين يوصون بأضحى فان من يمت ولم يوص بشئ أو أوصى بغير أضحية يحرم بعض ورثته على تخصيص أضحية له كل عام أو اشراكه في أضحية البيت وأهله حيث تعد الأضحية عن الميت سواء أوصى أو لم يوصى من أهم المظاهر البارزة في المجتمع النجدي يدفعهم في ذلك الشعور بعجز الميت عن العمل الصالح وانقطاعه عنه وحاجته الشديدة للشباب خاصة وأن هناك عبارة في المذهب الحنبلي تقول : " والتضحية عن ميت أفضل منها عن حي " (١) رغم أن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى أنها عن الأحياء إلا أن أوصى الميت بأضحية عنه أو تبرع له بها أو أشرك مع الأحياء فيها ، ويبدو أن الاعتقاد بأهمية تخصيص الميت بأضحية حتى لو لم يوص قد واكبته بعض الأمور المخالفة للشرع كأضحية الحفرة التي يبدو أنها تأصلت لدى بعض النجديين ، وهي تخصيص الميت بأضحية أول عيد أضحى بعد موته لا يشرك معه فيها غيره ، وهذه من البدع التي نشأت بسبب التأكيد على موضوع الأضحية عن الأموات أوصوا أم لم يوصوا . (٢)

ويتم توزيع لحم الأضحية سواء كانت وصية أم غيرها حسب التوزيع الشرعي لذلك : ثلث يأكله أهل البيت ، ثلث يتصدق به ، وثلث يهديه — إلا أن بعض الموصين يخص بعض أقاربه في الاستفادة من لحم الأضحية كله أو بعضه ، والواقع أن التوزيع الشرعي هو الغالب مما كان له الأثر في الاستفادة من الأضحية بحالتها في تحقيق قدر لا بأس به من التكافل الاجتماعي ، والتواصل الأسري . (٣)

ومن مظاهر الوصايا الأخرى الوصية بحجة تؤدي عنه بعد وفاته — قد تكون فريضة أو تطوعاً ، كما قد يوصى أحدهم بقدر معلوم من المال يحج به

-
- (١) البهوتي ٨٧/٢
(٢) الشيخ محمد العثيمين : خطبتي عيد الفطر وعيد الأضحى . مطابع
السليم . الرياض ص ١٢ ، ١٣ .
(٣) المنقور : المصدر السابق ٦/٢

عنه ولا يحدد هل هي واحدة أو أكثر، وقد افترى ابن ذهلان أنها تكون واحدة إذا كانت القرينة تدل على ذلك بحيث تقدر تكلفة الحجة الواحدة حال إقراره الوصية، ولو رخصت الأشياء بعد ذلك، وأكد على أن يوكل القيام بها الأصلح علما وورعا وأن على الولي التقيد بذلك خاصة إذا أكد الموصي على ذلك^(١).

ويبدو أن بعض الموصين يخول الولي التصرف الكامل في الثلث بما يراه صالحا للصرف منه على أي وجه من أوجه البر والاحسان، إذ أكد العلماء على أنه إذا خول الموصي فلا بد أن يبحث الولي عن الأفضل في تلك الأوجه حرصا على إبرا^(٢) الذمة وزيادة الثواب للميت، إلا أن بعض الموصين يقيد ولي^(٣) الوصية على الصرف منه على وجه بر معلوم بينهما.

وكما كان النجديون يوقفون أوقافا تستفيد من منافعها مكة والمدينة فقد كانوا يفعلون الشيء نفسه في الوصايا إذ يوصون بمال يقسم في هاتين المدينتين تحسبا لمضاعفة الأجر فيهما، وقد أشار ابن ذهلان في إحدى فتاويه أن هذا المال يقسم على أهل هاتين المدينتين، والمجتاز بهما ممن حاج وغيره، ويخرج من ذلك الوكيل الذي يقبض الصدقات لأشخاص آخرين، ويبدو أن بعض النجديين يوصي للحرمين بشكل خاص سواء كانت أمولا أم أشياء أخرى منقولة كقرب ودلاء، وأطعمة وغيرها مما يمكن أن يحقق الراحة لقاصديهما^(٣).

هـ- طرق الخير والاحسان الأخرى :

ولم يقصر النجديون أنفسهم على تلك المجالات التكافلية رغم أهميتها وشمولها المجتمع بأسره فقد طرّقوا مجالات خيرية أخرى لا تندرج تحت تلك المصارف ولكنها تلتقي معها في إضفاء روح المحبة والتواصل بين

(١) المصدر السابق ٢/٦/٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ١/٤٤٢، ٤١٢، ٥٠٤.

(٣) المصدر السابق ٢/٧.

أفراد المجتمع.

ولعل من أبرز تلك المجالات نظرية ذى العسرة الى الميسرة، اذ يقوم بعض الموسرين فى المجتمع الذين يضطر الناس الى الاستدانة منهم ————— بامهال المعسر منهم، وربما أسقط الدين أو جزءا منه فى حال التحقق من العجز الكامل عن السداد ، وقد أشار الى هؤلاء حميدان الشويمع بقوله :

وبالتجار من يذكر بخير . . . وصبار على كود الخسارة
ومّال على المعسر ليسره . . . وجيرانه وضيغه والخطاره
ترى هذا يدعى له بخير . . . وينجيه الولي من حر ناره
لعله عند تفريق الحسانى . . . كتابه فى يمينه عن يساره^(١)

ولقد كان الامهال على المعسر واسقاط الدين عنه أحيانا والصبر على زلات الجيران مجالات يفتخر بها الفاعلون لها ، وهذا عامل مهم فى معرفة الناس عنهم هذه الصفات الكريمة فيقصد ونهم لقضاء حوائجهم مؤملين أن لا يطالبوهم بسداد الديون عاجلا أو اسقاط جزء منها عنهم، ومن هنا

(١) الفرج ١/٥٠، كمال ٩/٣٤، الحاتم ١/١٦٤ وقد وردت ببعض الأبيات لديه على النحو التالى :

وبالتجار من يظهر حقوقه . . . بتزكات وقروض وخطاره
وبحسان على رحمه ولحمه . . . وصبار على كود الخسارة
وامهال عن المعسر ليسره . . . وخيمه طيب به خيساره
ومعنى الأبيات التى فى المتن: كود الخسارة : صعوبتها، مهال أى ينظر ولا يضايق، ليسره : حتى يأتيه اليسر مقتبس من قول الله تعالى : " وإن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة " . البقرة آية ٢٨٠ ،
الخطارة : لعلها من الخاطر الذى هو الهاجس، ومالقيته الاخطرة :
أى أحيانا ، وهى تطلق على الضيوف ولعل أصلها أن الضيف الخاطر
يأتى دون سابق خبر كما يخطر فى الذهن ، عند تفريق الحسانى : أى
يوم القيامة ، وتفريق الحسانى : أى يجزل لهم الله عز وجل الحسنات
عن يساره : أى بسبب غناه ويساره الذى بذله فى سبيل الخير .

(١) فقد كان فخر أبى حمزة العامرى فى هذا البيت واضحا حينما قال :

وحنا ندين جارنا من كبلنا . . وندينه دين بغير وفاء
ونصبر ولو طق القصير خيارنا . . من خوفة تشمت بنا الأعداء (٢)

وفى المقابل فقد كان مقت المجتمع شديدا للتاجر الذى يسلك
سبلا معوجة للتجارة ولا ترى آثار نعمة الله عليه والى هذا النوع أشار حميدان
بقوله :

وبالتجار حراز بخيل . . يرابى باغى كثر التجارة
وهو مستجهد يجمع لغيره . . حرمان ولا هو بختياره
فنى عمره وهو ما ذيسق زاده . . وماله حازمه جود صراره
يجيه الوارث من بعيده . . وهو يقدم على الله فى أوزاره (٣)

وما من شك أن تلك الجوانب الخيرية وخاصة امهال المعسر كانت
جوانب مشرقة أمام تلك الجوانب السلبية فى المداينات النجدية من مضايقات
المدينيين وقلب الدين عليهم حتى يقل كاهلهم عن السداد ، وهو فى
الوقت نفسه يرينا الى أن هذه الجوانب السيئة ليست منتشرة فى المجتمع

(١) هو الشاعر الفارسى أبو حمزة العامرى لم تسعفنا المصادر بمعلومات
عنه الا أنه من بنى عامر من سبع ومن شعراء القرن التاسع والعاشر
الهجريين (الحاتم ٣٣/١ ، وقد أورد له قصيدتين ، فهد الربيعان :
العريانات مطابع البادية ، الرياض ١٣٩٨ هـ ص ٩٨) .

(٢) الحاتم ٣٦/١ ، الربيعان ٩٩ ، طق : ضرب والمقصود هنا قتل ، القصير
الجار وهى فصيحة مأخوذة من مقاصري أى قصره - منزله - بهذا قصرى ، خيارنا
اهل الخير فينا والمقصود الوجهاء ، من خوفه الخ : أى نصبر على ذلك
خوفا من شماتة الأعداء . (الفيروز آبادى والزبيدي باب الراء فصل
القاف) .

(٣) الفرج ٤٩/١ ، كمال ٣٤/٩ ، الحاتم ١٦٣/١ ، ومعنى حراز : ممسك
حرمان : محروم ، ما ذيق زاده : لم يطعم أحدا فى بيته ، حازمه ممن
الحزم أى الربط ، جود صراره : امسك وأوكى صرته ، ومعنى يجهه
الوارث الخ : أى يأخذ ماله بعد موته وارث قد لا يكون ابنا لله
أو قريبا جدا ، فقد يعصبه شخص ليس بالقوي القربانه ، فيستفيد
من ماله بينما هو يقدم على الله فى أوزاره التى منها جمع المال وعدم
الاتفاق منه فى سبل الخير .

وأنه بقدر وجودها فيه فإنه لم يعدم أناسا حرصوا على طرق سبل الخير عن طريق الدين ذاته، ولعل التأكيد على أن تلك الجوانب السيئة مظهر من مظاهر الربا كاف في بيان درجة مقت المجتمع لتلك الجوانب وذلك عن طريق التقارير الفقهية التي مربعضها في إشارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) وإشارة حميدان في البيت من القصيدة السابقة كذلك .

ان تلك الأعمال الخيرية التكافلية وغيرها مما حفل بها المجتمع النجدي قد ساهمت الى حد كبير في التخفيف من قسوة الظروف الحياتية العامة في تلك الفترة مما جعل هذه الأعمال مهما كانت ضالة مردود بعضها على المجتمع أحيانا تسهم الى حد كبير في توفير قدر لا بأس به من مستلزمات الحياة العامة، وفي تعميم وتأصيل ظاهرة حب الخير والتكافل بين أفراد المجتمع وأسرهم، وما من شك أن هذا كان عاملا ساعد دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والدولة السعودية في استثارة نوازع الخير في المجتمع باعتبار ذلك أحد الأهداف الرئيسية التي تسعى الى تحقيقها حيث انطلقت بتلك الجوانب الخيرة الى مجالات أرحب مما كانت عليه وسخرتها لأهداف الدعوة العقديّة وغيرها .

(١) لقد مر جانب من نقد الشيخ لقضية قلب الدين حيث أكد على أنه احد مظاهر الربا وذلك في الفصل الثاني من الباب الثالث .

الخاتمة

لن استعرض في هذه الخاتمة كل النتائج التي توصلت اليها بعهد
إعداد هذا البحث إذ أن كثيرا منها مثبت في ثنايا فقرات ومباحث كل باب
وفصل على حدة ، وأنا على يقين بأن تلك النتائج وغيرها من تلك التي مرت
في هذه الرسالة لا تتسم كلها بطابع الجدة فبعضها معروف للنجديين
سواء كانوا باحثين أم غير باحثين ، وقد عرضت لي - كما قد تكون عرضت
لغيري - أثناء الاطلاع على المصادر والمراجع المكتوبة أو السماع للروايات
الشفوية لأى جانب من جوانب الحياة الاجتماعية عند حضر نجد في تلك
الفترة ، إلا أن جمع مثل هذه المعلومات من مصادرها الأولية المحلية وغير
المحلية وعرضها بقلب جديد قد يضيف مزيدا من النتائج التي تبين بعض
الجوانب التفصيلية للحياة الاجتماعية ، ولا يمكننى بأى حال من الأحوال اعتبار
ما توصلت اليه من نتائج قضايا مسلمة وتعبر تعبيرا صادقا عن مجتمع حضر
نجد في تلك الفترة بجوانب حياته الدينية والعلمية والاقتصادية وغيرها
إذ لا تعدو أن تكون محاولة لرصد العلاج العامة لجوانب تلك الحياة ، وعمل
كهذا شأنه شأن أى عمل بشرى يعتوره النقص ومعرض للخطأ والخلل ، إلا أن
لى من ملاحظات أستاذى المشرف السابقة واللاحقة وأساتذتى الكرام
المناقشين ومن يطلع على هذه الرسالة من بعدهم ما عساه أن يسد بعض
جوانب هذا النقص ويصحح بعض مظاهر الخطأ والخلل ، كما أن أى نقد
لأى جانب دينى أو علمى أو مظهر اقتصادى أو اجتماعى لا يمكن إلا أن يعد
صفحة من صفحات التاريخ ولا يعبر عن أى اتجاه من الباحث ضد أى فئة
فى المجتمع بقدر ما هى محاولة للتقويم والإصلاح على قدر المستطاع وما عدا
ذلك فلا يجوز أن يتخذ ذريعة للنقد غير البناء المصلح (تلك أمانة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) .

وانطلاقا من تلك الحقيقة التاريخية المهمة فإن من الواجب
أن لا تؤثر على مسيرة حياتنا الاجتماعية تلك الأحداث السلبية التى تندرج فى
إطار العلاقات بين بعض الفئات الاجتماعية عند النجديين وخاصة بين البدو

والحضر فى ظل فقدان الوضع الأمنى الجيد والسلطة الرادعة .

وبداية من المدخل فان وجود ذلك التقسيم الرئيس بين الفريقين البارزين يذكرنا بذلك التقسيم بين العرب سواء فى جاهليتهم أم بعد اسلامهم بين بدو وحضر ، وهو التقسيم الذى يذكرنا كذلك بالعديد من صور العلاقات التى كانت تتم بين هؤلاء العرب فى فترات تاريخهم سواء فى الجانب السلبى أم الايجابى من تلك العلاقات .

ومن ناحية أخرى فان وجود تلك الفئات الاجتماعية الأخرى التى عرفتھا منطقة نجد فى تلك الفترة والى وقت قريب لم ينجم عنه ما يعكر صفو العلاقات العامة بين هذه الفئات كحدوث فتن عرقية أو فئوية من تلك التى كانت تحدث بين الفئات الاجتماعية فى كثير من البلدان المجاورة وغير المجاورة ، بل ان تلك الفئات النجدية قد قامت بأعمالها الحرفية والمهنية فى المجتمع دون أى مضايقة من الفئات الأخرى بل شكلت تلك الأعمال التى يحتاجها المجتمع ويستنكف القيام بها بعض فئاته أماناً لتلك الفئات ، هوأثها مكانة جيدة فى هذا المجتمع أتاح لأفرادها وأسرھا المساهمة فى الأنشطة العامة فى نجد من علمية واقتصادية ، وبرزت لهؤلاء الأفراد وهذه الأسر أعمال اجتماعية زادت من قوة تلك المكانة كالمشاركة الواضحة فى أفعال الخير التى لاشك فى قوة أثرھا لزيادة مكانة الفرد والأسرة فى المجتمع .

ومن أبرز نتائج هذا البحث أن وجود تلك الانحرافات فى أصول الدين عند حضر نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تنزل الى ذلك المستوى الذى كانت عليه بعض المجتمعات الاسلامية المجاورة وغير المجاورة بل لم تصل الى ما كان عليه بدو نجد كذلك ابان تلك الفترة ، الا أن هذه الانحرافات قد كانت صدى لتلك التى عرفتھا البلدان المجاورة ، وهى فى الوقت ذاته جعلت نجداً بحاجة ماسة الى هذه الدعوة المباركة وهياتھا من جهة أخرى لأن تكون أرضاً صالحة لقيامها اذ لو لم توجد تلك

الانحرافات والبدع لما كان لدعوة الشيخ ذلك الدور الفاعل العظيم الذى قامت به فحيث تنتشر البدع والخرافات تنجح محاولات الاصلاح لازالتها أو تهذيبها والعودة بها الى العقيدة الصافية، واذ ران على الناس التعود على البدع والألف لها قيض الله للامة من يجدد لها أمر دينها .

على أنه من جانب آخر لم تكن تلك البدع والخرافات شاملة لكل بلدان نجد اذ الواضح من تقارير الشيخ محمد نفسه، ورصد المؤرخين المحليين - كما مر - وجود تلك البدع فى مناطق محدودة من نجد، إلا أن ذلك لا يعنى عدم وجود بدع أخرى سواء كانت أخطر أم أقل خطورة من تلك البدع فى تلك المناطق التى لم ترد الإشارة إليها فى تلك التقارير وذلك الرصد ، ولكنها ضاعت فى اطار الشح الشامل لأحداث نجد فى تلك الفترة واقتصار تسجيل تلك الأحداث - على ندرتها - على مناطق معينة، ومن هذا المنطلق فان نجدا - لا مناطق معينة منها فحسب - كانت بحاجة ماسة لهذه الدعوة، ولعل هذا هو ما دفع الشيخ لأن يعتبر منطقة نجد بشمولها مجال تحركه الاصلاحى الأول كما سبق بيانه رغم أن نقده كان لتلك البدع فى تلك المناطق المعينة، وهو - رحمه الله - دقيق فى هذا الجانب اذ لم يطرق إلا لما كان يعرفه فى بيئته وما حولها .

ان وجود تلك الانحرافات فى فروع الدين كذلك قد أثبتت حاجة المنطقة لهذه الدعوة والدولة السعودية التى تبنتها ونظمت المجتمع على أساس من مبادئها اذ أن المجتمع الحضرى النجدى كما عانى من الانحرافات العقدية فقد عانى من تلك الأعمال المخالفة للشرع، ورغم محدوديتها كما كذلك فقد كان نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب شديدا للواضح منها مما يدل على أنها قد تغلغلت فى نفوس كثير من الناس، ومما يرينا الى أى مدى كان الشيخ حريصا على أن تكون العادات والتقاليد موافقة للشرع تماما كما كان حريصا على تصحيح العقيدة، وهى فى الوقت ذاته تعطى تصورا عن مواقف بعض علماء نجد قبل الدعوة فى مداراة أهل نجد فى عاداتهم تلك .

ورغم تلك الانحرافات في اصول الدين وفروعه فقد كان المجتمع الحضري النجدي في عمومه يعيش على فطرة الاسلام يقيم أركانه الخمسة كما أثبتت ذلك التقارير التي أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما عقد مقارنة - أكثر من مرة - بين البدو والحضر في درجة تمسكهم بالدين وكما أكد ذلك في عدد من الأدلة التي سبق عرضها ، وهذا ما شكل أرضية جيدة لتلك الدعوة استطاعت الانطلاق بها الى الاصلاح الشامل للمجتمع ، ولا يعني ذكر تلك الجوانب الحسنة في الحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة وجود تناقض في عرض الجوانب السيئة والحسنة في هذه الحياة اذ لا يجب أن يفهم من وجود تلك الانحرافات الدينية بجانبها خلو المجتمع النجدي من الأسس العامة للدين ، كما يجب التأكيد بأن تلك الجوانب الحسنة ليست كافية للحكم على أن هذا المجتمع يطبق تعاليم الدين بشكل أقرب الى التفصيل ومن هنا فانه يمكن القول ان هذه الجوانب الثلاثة للحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة قد أثبتت حاجة هؤلاء الحضر لهذه الدعوة وأهلتهم فسي الوقت نفسه لقبولها والقيام بنشرها .

ان وجود ذلك الكم من العلماء يبرز تلك الأسر العلمية يثبت بما لا يدع مجالا للشك ازدهار الحياة العلمية في نجد في تلك الفترة ولو لم يكن ذلك بالشكل الذي أصبحت عليه هذه الحياة بعد قيام الدعوة والدولة السعودية الا أن طرق التجديدين للسبل المتنوعة في التعلم كان دليلا على الحرص الواضح على الاستفادة القصوى من أى فرصة تسنح لتلقى العلم فيها ومجارة من سبقوهم في هذا المضمار من أهل البلدان المجاورة ، ومن الاستعراض السابق لتلك السبل ، والرحلات العلمية يتبين لنا أنها قد أدت دورا كبيرا في ازدهار الحياة العلمية رغم أنها كانت تتم بنسب متفاوتة بين بلد وآخر ، وحسب المقدرة الشخصية بحيث أن الذى يستطيع الترحال في سبيل العلم كان يقوم برحلات علمية سواء الى المراكز العلمية داخل نجد أم خارجها ، في شبه الجزيرة أم في البلدان والمناطق الأخرى المجاورة لها

ومن لم تسعفه أحواله القيام بتلك الرحلات كان يقصر همه على التعليم المحلى مكتفيا به جامعا بينه وبين القيام بأعباء الحياة الأخرى التى لا تسمح له بالخروج من بلده ، على أن قسما من طلبة العلم النجديين كان ينتظر بلهفة وشوق مرور بعض العلماء من البلدان الإسلامية الأخرى على نجد فى طريقهم الى الحجاز أو غيرها ليحقق من الاستفادة العلمية على أيديهم ما لم تتحقق له بالرحلات العلمية ، وما لم يحققها له التعليم المحلى ، وهذا العرض السابق قد بين أن قسما لا يستهان به من النجديين كان حده التعلم ، بحيث لا تمر فترة الا وقد تم فيها رحلة علمية أو أكثر ، اضافة الى خروج بعضهم الى ظاهر البلدان النجدية عسى أن يمر ببلدتهم عالم أو أكثر من أولئك الذين لهم سمعة بارزة فى هذا السبيل ، ويبدو هنا أن قسما من هؤلاء كان يجمع بين التعليم المحلى ، والاستفادة من مرور علماء البلدان الأخرى على نجد .

وتصور العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم جانبا مهما أدى الى نمو الحركة العلمية الى جانب تصويرها للعلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الطلاب وأساتذتهم ، تلك العلاقات التى حفظت للشيخ كرامته وتقديره وللطالب احترامه ولم تحل دون وجود تلك المناقشات العلمية المستفيضة اذ وعى الطلاب والأساتذة حقيقة أن التقدير والتكريم والاحترام شئ وضرورة النقاش العلمى شئ آخر وقد كيف كل منهما علاقته بالآخر على هذا الاطار ، مما أعطى الحياة العلمية مرونة وجانب المناظرات العلمية فيها نموا وازدهارا .

ومن جانب آخر فان طرق المؤلف النجدي لعدد من مجالات التأليف على اختلاف فيما بينها فى درجة التأليف - هذا الطرق أضفى عاملا آخر مهد لنمو الحركة العلمية وتوسع التأليف فرغم أن التأليف اقتصر على الفقهاء والتاريخ والتوحيد وعلوم الآلة ، الا أن ذلك كان ارهاصا لسعة التأليف فى هذه المجالات وغيرها مما حصل بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اذ يلجح المطلاع على هذا الجانب زيادة العلماء وتوسع مجالات التأليف

كلما قرب الزمن من قيام هذه الدعوة، على أن من المعتقد وجود بعض التأليف في مجالات أخرى ولو على نطاق محدود - حيث أثر عن بعض النجديين معرفتهم واهتمامهم ببعض العلوم الأخرى كالتفسير والحديث مثلا .

وتعد طريقة التأليف أسلوبا اتبعه المؤلف النجدي وينبىء عن استفادة هذا المؤلف من طريقة من سبقوه في هذا المجال كما ينم عن حرصه على توخي الأمانة العلمية التي تستمد توجيهاتها من خوف الله عز وجل ومراقبته فسي عدم نسبة ما لم يقله أو يفعله الى نفسه بل عزو المعلومات التي يستفيد منها الى أصحابها انطلاقا من ذلك الخوف وحرصا على الخروج من تبعثها أمام الأجيال القادمة، وما من شك أن تلك قمة الأمانة العلمية .

ولقد كان وجود بعض الخطاطين والنساخ وكتاب العدل في تلك الفترة عاملا ساعد على وجود حركة نشر وتوزيع لا بأس بها في مقاييس تلك الفترة التي يعد نشر الكتب وتوزيعها عن طريق النساخ الأسلوب الوحيد في هذا السبيل تماما كما أدى النساخ والخطاطون الدور ذاته في تاريخ التربية والتعليم في الاسلام في الفترات التاريخية المختلفة، كما أن وجود العديد من كتاب العدل قد ساعد في تنظيم عقود المبيعات والأنكحة وسائر أنواع العقود مما أكد الأثر الواضح لحركة التعليم في نجد في تنظيم أمور الناس الاجتماعية .

ورغم أن المكتبات في تلك الفترة لا تعد وأن تكون مكتبات خاصة وتشبه الخزانات المحدودة للمكتب إلا أنها قد أدت دورا لا بأس به في تنشيط الحياة العلمية، وأعطت تصورا عن مدى حرص المتعلم النجدي على اقتناء الكتاب والاستفادة منه وإفادة الناس عن طريقه وهذا ما جعل بعض هذه المكتبات مكتبات ذات صفة عامة توسعت الاستفادة منها فضلا عن دخول بعض هذه المكتبات في بعض سبل الأوقاف الخيرية العامة والخاصة .

وعموما فقد كان رجال التعليم في نجد في تلك الفترة حريصين على طرق مجالات الأوقاف العلمية سواء في مجال المكتبات أم غيرها كإيقاف القرآن

الكريم، وتخصيص أماكن للدراسة، والحرص على استمرار الناحية العلمية في عقبهم بما يوقفونه من أوقاف علمية على طلبة العلم في ذريتهم، كما أن من المظاهر الجيدة حرص بعض أمراء البلدان النجدية على طرق هذه المجالات احتساباً منهم للأجر من الله عز وجل، واقتناعاً منهم بأن ذلك يدخل في إطار الاهتمامات التي يجب أن تضعها أمانة البلد في الحساب.

ويمكن القول أن المجتمع النجدي قد أعطى مكانة جيدة لعلماء تلك الفترة رغم أن تلك المكانة لا ترقى إلى مكانتهم بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي جعلت إكرام العلماء والأخذ بمشورتهم من أهم أسس السياسة الداخلية لها، إلا أن مما ينبغي الإشارة إليه هنا أن تلك المكانة السابقة كانت عاملاً استفاد منه الشيخ محمد في بداية دعوته حيث استطاع اقناع عدد من كبار علماء نجد في وقته بدعوته حتى إذا اقتنع بها عدد لا بأس به من الناس مضت الدعوة في سبيلها رغم تغير مواقف بعض هؤلاء العلماء فيما بعد.

ولعل من أبرز عوامل تأصل تلك المكانة حرص الفقيه النجدي على طرق الموضوعات الفقهية ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدي اعتماداً على أن مراعاة العرف السائد أساس لأي فتوى أو حكم شرعي، وتجب مراعاته ما لم يتعارض مع نص أو إجماع أو قياس، وكان الفقيه النجدي ينطلق من هذا الأساس وأن طرق موضوعات فقهية غير ذات صبغة نجدية قد يؤدي إلى بلبلة في أوساط العامة، فكل بيئة لها ما يناسبها من الأحكام الفرعية في إطار القواعد العامة للشرع التي يستمد منها المسلمون كافة أحكامهم.

وتدلنا بعض الفتاوى التي سبق عرضها على إدراك جيد من علماء نجد في تلك الفترة بحقيقة مجتمعهم إذ كانوا يحرصون على مراعاة أوضاع بعض الفئات العاملة في المجتمع انطلاقاً من يسر الدين وسماحته ولكنهم كانوا في الوقت ذاته حريصين على أن لا يستغل أي جانب من هذه الفتوى في

التحلل من مبادئ الدين والتنصل من أحكامه .

كما أن بعض الأحداث تؤكد لنا أن هؤلاء العلماء كانوا على اطلاع جيد على تلك المؤثرات الخارجية على المجتمع سواء تلك المؤثرات التي ليس على المجتمع فيها ضرر أم تلك التي يمكن أن تؤثر على قيمه وعاداته الأصيلة ومن هنا كان موقف علماء تلك الفترة جيدا في بيان حكم الشرع في بعض المشروبات المستجدة كالقهوة والدخان حيث أفتوا بحل المشروب ، وتحريم أوكراهية الثاني مما كان له الأثر الواضح في انتشار الأول حتى عد أحد مظاهر الكرم في المنطقة وقلة انتشار الثانية وتمهيد السبيل للدعوة والدولة السعودية في وقوفها أمام هذا المشروب الضار .

ومن استعراض بعض الأحداث التاريخية يتبين لنا الجهود الجيدة التي قام بها بعض علماء نجد في الإصلاح الاجتماعي ، وهي جهود على محدوديتها وتفرقها - قد أدت أدوارا جيدة في اصلاح ذات البين ، والحيلولة دون استفحال بعض مظاهر التعدي والظلم سواء بين عامة الناس أما قديأتى من أمراء البلدان النجدية ، وزعماء القوى المجاورة الذين يغزون نجدا بين الفترة والأخرى ، وما من شك أن هذا ينسجم مع الدور الفاعل الذي يقوم به العلماء المسلمون في مختلف المناطق وسائر الفترات .

وفي إطار تفاعل العلماء مع قضايا مجتمعهم فقد كان لبعضهم مساهمات واضحة في سبل الخير سواء كانت أوقافا أم وصايا أم غيرها ، وهذا ليس بغريب على العلماء الذين تأتي مساهمتهم تلك انسجاما مع الاهتمام العام بهذه السبل ، وتشجيعا منهم لهذا الجانب الخير في المجتمع ، ومن هنا فقد كان حرص بعض العلماء شديدا على بذل الخير والتفاني في ذلك والمعاناة فيه اعتقادا منهم بأنه لا بد من تحقيق القدوة في أنفسهم أمام عامة الناس الذين ينظرون الى أن العالم اذا قرن علمه ببذل الخير للناس كان ذلك أدعى لقبول كلامه فيما بينهم .

وقد أثمرت تلك الرحلات العلمية خارج نجد عن وجود أسرى فسى بعض المناطق وزادته مكانة اجتماعية فى هذه المناطق كثرة المتعلمين على هذه الأسر مما أدى الى معرفة عدد من العلماء وطلاب العلم فى مختلف البلدان بتلك المكانة، وهذا بدوره أعطى سمعة خارجية لهذه الأسر، على أن أولئك الذين رحلوا ولم يستقروا فى تلك البلدان المجاورة قد كانت لهم مكانة بين علماء تلك البلدان سواء كان فى مرحلة تلقيهم العلم أم بعد بلوغهم مرحلة الادراك .

ولقد كان تصوير الأدب الفصيح - وهو مظهر من مظاهر الحياة العلمية - مع قضايا المجتمع دقيقا الى حد ما ، اذ رغم قلة النصوص فى هذا السبيل فقد صوّرت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية سواء كانت مؤيدة لها أم معارضة، ولئن لم يكن ذلك التصوير بدرجة تصوير الأدب العامى فقد كانت عرضه لبعض المظاهر وأسلوب نقدها أكثر تركيزا وتوجيها نحو الوجهة الشرعية، ولاغرو فى ذلك فرواد الشعر الفصيح فى تلك الفترة هم من فئة الفقهاء .

ان كل ما سبق يرينا الى أى مدى كانت الحياة العلمية ذات أثر واضح فى توجيه مظاهر الحياة الاجتماعية الوجهة السليمة، ويؤكد لنا أن هؤلاء العلماء لم يكونوا بمعزل عن قضايا مجتمعهم، وهذا أمر يندرج فى اطار كون الحياة العلمية أحد الأركان المهمة للحياة الاجتماعية، وكون فئة الفقهاء والعلماء أبرز الفئات الاجتماعية تأثيرا فى المجتمع اذ يحرص الناس على التقرب منهم والاستفادة من آرائهم وتوجيهاتهم، مما أثمر تغلغلا لنفوذ هؤلاء الفقهاء والعلماء فى المجتمع فاق فى كثير من الفترات نفوذ ذوى الحكم والسلطان .

وبعد النشاط الاقتصادى جانبا اجتماعيا مهما نظرا لكون قطاع عريض من المجتمع يقوم به، ونظرا لمؤثراته الاجتماعية البارزة الناجمة سواء كان فى مجال الرعى والثروة الحيوانية أم كان ذلك عن طريق الزراعة أم الحرف

اليدوية والمهن والأعمال عامة ، أم فى مجال التجارة وأساليبها المتعددة ووسائلها الكثيرة من مكاييل وموازين ومقاييس وعملات .

وبما أن الثروة الحيوانية يشترك فى امتلاكها الحضر والبدو على حد سواء فقد كانت صفة الراعى من المهن التى كان الحضر يقومون بها اذ تعد أحد أساليب التشابه فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين هذين الفريقين ، ويجد المطلع على الجوانب التفصيلية لهذه المهنة تشابها بين نظرة العرب الأوائل نحوها ونظرة عامة النجديين خاصة النظرة تجاه رعاها شاء كما وردت الإشارة الى ذلك .

ويختص الحضر من دون البدو فى القيام بأمور الزراعة ، وقد أثبتت الدراسة قدم هذه الناحية فى نجد من خلال عرض بعض الأحاديث والدراسات التخصصية فى هذا السبيل التى أكدت أن نجداً أحد المراكز المهمة فى شبه الجزيرة العربية سواء فيما يتعلق بزراعة الحبوب أم كشجرة النخيل وغيرها ، ولا أدل على أهمية الزراعة عند حضر نجد من أن الأمراء وعلية القوم عموماً كانوا يحرصون على القيام بها وامتلاك مزرعة أو أكثر ، فضلاً عن أن الزراعة هى أساس تكوين البلدان النجدية تماماً كما كانت أساس تحضر الانسان الأول فى فجر التاريخ ، ويجد المطلع على الفتاوى النجدية فى تلك الفترة أن كثيراً من المسائل المتعلقة بالزراعة قد أخذت نصيبها من الوافر من البحث والتحقيق عند علماء نجد ، نظراً لامتهان قسم كبير من المجتمع لكثير من الأعمال الزراعية الرئيسية والفرعية .

ان نظرة المجتمع النجدى لبعض الحرف اليدوية امتداد لنظرة العرب المتأصلة فى هذا المجال ، وهى نظرة ليس العرب بدعاً فيها فقد عرفت بها مختلف شعوب العالم القديمة ، ورغم ذلك فقد عرف المجتمع النجدى كثيراً من المهن اليدوية والحرف التى سدت حاجته فى كثير منها ، ويجد المطلع على تاريخ تلك الفترة تقديراً أفراد المجتمع للفئات العاملة فى الوقت الذى تستنكف بعض فئاته من امتهان بعض الحرف ، ويبدو أن هذه الفئات تفرق بين المهن

والحرف اليدوية فى درجة هذا الاستنكاف .

وقد أثبت تاريخ تلك الفترة وما قبلها قدم بعض المهن فى منطقة نجد منذ العصر الجاهلى كالنسيج مثلا الذى عرفت به منطقة الوشم فى فترة متقدمة ، ومن المعتقد قدم بعض المهن المتعلقة بالنسيج كالخياطة التى لا يجد الباحث اختلافانى أساليبها عند النجديين فى تلك الفترة عن أساليبها لدى العرب الأوائل ، على أنه يبدو كذلك أن كثيرا من الأعمال والمهــن كانت أصيلة فى هذا المجتمع منذ العصر الجاهلى .

وتعد أساليب التجارة المختلفة دليلا واضحا على أصالة الجانب التجارى عند الحضر رغم أنه لم يكن فى مستوى الجانب الزراعى والحرفى فى كثرة القائمين به ، إلا أنه من جانب آخر كانت أساليب التجارة عاملا من عوامل الاتصال الاجتماعى سواء كان ذلك عبر التجارة المحلية أم التجارة الإقليمية داخل نجد ، أم التجارة بين البدو والحضر أم التجارة الخارجية بين نجد والبلدان المجاورة وربما غير المجاورة أحيانا ، وتؤكد لنا الأحداث فى هذا السبيل الدور الاقتصادى الجيد الذى لعبه التجار النجديون عبر تلك الأساليب حتى نالوا ثقة المتعاملين معهم سواء فى داخل نجد أم خارجها ، اذ تشير المصادر الى ولع بعض النجديين بهذا الجانب ، وتغانيهم فى العمل به وحرصهم على أن يتم التعامل التجارى بتوجيه من أخلاقهم وعاداتهم الكريمة .

وتؤكد الأمثلة التى تم عرضها فى مجال الأسعار أن نظام العرض والطلب هو السائد فى هذا الجانب الذى كان ماثرا اهتمام مؤرخى نجد حيث أعطوا احصاءات دقيقة عن أسعار بعض السلع الغذائية وغير الغذائية وتصور هذه الاحصاءات الأساليب المباشرة وغير المباشرة وراء ارتفاع أو انخفاض الأسعار مما ورد تفصيله .

كما أن أساليب البيع والشراء التى تم عرضها تبين أنها كانت تخضع

تخضع لتقاريرات وفتاوى وأحكام فقهاء وقضاة نجد في تلك الفترة حيث كانت تلك التقارير والفتاوى والأحكام عوامل رئيسة أضفت جانباً من التنظيم على هذه البيوع وأكدت دور العلماء البارز في الحياة الاجتماعية ، ولأدلى على ذلك من وقف هؤلاء الفقهاء والقضاة ضد بعض البيوع التي رأوا فيها خروجاً عن أحكام البيوع الشرعية ، كما أنهم من جانب آخر كانوا يجيزون كثيراً من هذه البيوع التي لم يروا فيها محذوراً شرعياً ، إلا أنهم قد عجزوا - فيما يبدو - عن منع الناس من القيام ببعض أنواع البيع التي تأصلت لدى بعض أفراد المجتمع كـ بعض المداينات التي وجد لها بعض المظاهر الجائرة كـ قلب الدين والتحويل على الربا عن طريقه .

وقد تبين لنا أن منطقة نجد في تلك الفترة عرفت عدداً من الأصص حسب أقاليمها المختلفة ، وأن هذه الأصص تختلف مقاديرها إلى الصاع النبوي على أن نجداً من جانب آخر قد عرفت عدداً من المكاييل التقديرية الكبيرة كالوسق ، وكذلك المكاييل الصغيرة التي تقدر كمياتها إلى الصاع ، وقد كانوا يستخدمون تلك المكاييل الكبيرة والصغيرة في كيل كثير من المواد الغذائية وغير الغذائية ، ويرى المطلع على أنواع الكيل النجدية عدم وجود اختلاف في مسميات هذه الأنواع وأساليب الكيل فيها عن أنواع الكيل التي عرفها العرب الأوائل ، وإن اختلفت تقديرات الكيل فيها .

أما وسائل الوزن فقد أثبتت الدراسة اشتراك نجد وبعض البلدان المجاورة في اتخاذ الوزنة وما يتفرع عنها من وحدات وزنية أصغر لوزن مالا يتأتى كيلها بالصاع أو غيره ، كما عرفت نجد - وشابهت في ذلك كذلك بعض البلدان المجاورة - القياس ، كما يجد المتعمق في دراسة وسائل الوزن أن نجداً كذلك عرفت بعض الأوزان التقديرية التي عرفها عرب ما قبل الإسلام ، كالشُّقْل ، وهذا يبين لنا أن وسائل الوزن النجدية في تلك الفترة كانت خليطاً من متشابهها مع أوزان العرب الأقدمين وبعض البلدان المجاورة .

وما يمكن أن يقال في المكاييل والموازين ينطبق على المقاييس التي

كانت في نجد هي نفسها التي عرفها عرب الجاهلية واستمر القياس بهـا بعد الاسلام كذلك كالباع والذراع والشبر والفرس، والمعتقد أن البلدان المجاورة كانت تقيس بهذه المقاييس مما يشير الى وجود تشابه في هذا المجال بين النجديين ومن سبقوهم أو عاصروهم.

ومن ذلك العدد من العملات التي تم عرضها يتبين لنا أن نجدا قد عرفت عددا كبيرا من العملات عالية القيمة وعكسها من تلك التي تنتمي الى سلات عملات مختلفة، ويجد المطلع على هذه العملات أن التعامل النقدي فيها هو السائد في البلدان المجاورة كذلك بل غير المجاورة أحيانا مما يؤكد وجود شبه وحدة نقدية بين كثير من مناطق العالم في تلك الفترة وأن كان ذلك مقتصرا على بعض العملات التي كانت مقبولة في التعامل التجاري وسوق النقد الدولي آنذاك، وهذا يشير في الوقت ذاته الى أن نجدا قد غدت إحدى المناطق التي لا تجد فيها هوية نقدية لبلد من البلدان بل ظلت العملات الرديئة والجيدة تتنافس فيها سواء في مجال التعامل النقدي أم اتخاذها من قبل النساء للتجميل والتحلي بها.

وتؤكد الأحداث التي سبق ذكرها بروز الناحية الأمنية كسبب مباشر لهجرة كثير من الأسر والأفراد خارج نجد، إذ أن تردى الأحوال الأمنية في تلك الفترة جعل الحياة الاجتماعية فيها لا تطاق لدى بعض هذه الأسر والأفراد، حيث تصور تلك الأحداث بعض النجديين في صراع مستمر ويهتبل كل فرد وتتحين كل أسرة الفرصة للتأثر من الأخرى حول العديد من مجالات الحياة الاجتماعية التي يحصل نزاع حولها، ويرى المطلع على هذه الأحداث فلا يجد لها تختلف كثيرا عن تاريخ العرب قبل الاسلام في هذا السبيل.

وتتداخل الأسباب الاقتصادية مع الأمنية في جعل الحياة العامة في نجد شديدة على بعض أهلها، إذ أن تأثر الحياة الاقتصادية - في

أغلب مجالاتها - بأدنى المؤثرات الكونية والبشرية أوجد شحاً في الكثير من المواد الغذائية مما دفع بقسم من النجديين الى الاندفاع خارج بلدا نهم فى هجرة داخلية أو خارجية، وتؤكد كثرة الأحداث فى هذا الصدد وجود مثل تلك الحالات عند البدو والحضر على حد سواء، إذ أن التأثير بانحباس المطر أو قلته يشترك فى الاكتواء بناره الفريقان معا، فبالإضافة الى تأثير ظاهر الأرض بهذا الضرر وهو ما يتضرر منه البدوى كثيرا، فإن باطن الأرض هو الآخر لا يقل تأثرا عن ظاهرها من جراء عدم هطول الأمطار، وتشير بعض الأحداث الى أن غورا لآبار كان عاملا وحيدا دفع بعض النجديين الى هجر بلدانهم.

ولقد كان قسم من النجديين حريصين على أن يتم حل هاتين المشكلتين بالهجرة الداخلية، وهو ما ينسجم مع كبر مساحة نجد، واختلاف أقاليمها وفرة فى المياه وخصوبة فى التربة، وقد عدت الهجرة الداخلية أحد العوامل الرئيسية فى وجود وحدة اجتماعية لمنطقة نجد صلة فى النسب وتماثلا فى العادات والتقاليد، إذ يجد المطلع على أحداث تلك الهجرة أن القائمين بها لم ينسوا أصولهم الأسرية السابقة أو مكان سكنهم الأول رغم الاستقرار فى البلدان التى هاجروا اليها داخل نجد.

ويبدو أن قسما من النجديين قد رغب النأي عن منطقة نجد الى خارجها، وهذا القسم لم يقتنع بجذوى الهجرة الداخلية كحل للخروج من الأزمات العامة فى نجد فولى وجهه شطر المناطق الغنية - نوعا ما - سواء كانت مجاورة أم غير مجاورة مما أثمر وجود جاليات نجدية فى هذه المناطق التى تعد الزبير أهمها حيث ضمت أكبر جالية نجدية، وظلت البلد الأكثر تفضيلا لدى النجديين فى هجرتهم الخارجية، كما أن بعض مناطق الخليج العربى كانت هى الأخرى مناطق مفضلة عند النجدى للعمل والتجارة والتعلم.

ويمكن القول من عرض تلك الرحلات العلمية والتجارية وهجرات بعض الأسر العامة للعمل خارج نجد، يمكن القول أن موقع نجد المتوسط

فى شبه جزيرة العرب قد أتاح لها التعامل الشامل مع سائر المناطق العربية وهذا ما أثمر وجودا اجتماعيا نجديا فى أغلب هذه المناطق فضلا عن غيرها من المناطق الأخرى غير العربية، وأدى بالتالى الى اكتساب بعض النجديين لبعض عادات هذه المناطق من جانب، وتأثير بعض العادات النجدية فى سكان هذه المناطق من جانب آخر، وإن تكثيف التعامل الشامل مع منطقة الخليج منذ فترة متقدمة ليؤكد قدم وأصالة التوجه الاقليمى لهذه المنطقة نحو التعاون فى شكله الحالى، وصولا الى الوحدة الشاملة المستقبلية، وهى ما يجب أن يكون لها وجهة اسلامية صافية المعتقد حتى تصبح امتدادا طبيعيا لتلك الوحدة الشاملة الفاعلة فى فجر الاسلام، وحتى تأخذ شيئا من التأثير العالمى الذى قامت به تلك الوحدة.

وتعد نظرة الحضرى للبدوى فى تلك الفترة امتدادا لتلك النظرة المتأصلة بين الفريقين نحو الآخر، وهى نظرة كانت ناجمة عن كره كل منهما لأسلوب معيشة الآخر، الا أن هذه النظرة لم يكن لها التأثير القوى على درجة تعامل الفريقين فيما بينهما فى العديد من صور التعامل الاجتماعى الجيد حيث حفلت الكثير من القصص والأخبار بالعديد من حالات الأخاء والوفاء والتداخل الأسرى وحسن الجوار بينهما.

ومن جانب آخر فإن النظرة للمرأة لا تختلف عنها عند البدو كذلك كما أن فيها تشابها مع نظرة العرب الأوائل تجاهها حيث كانت تهين المرأة فى بعض جوانب تلك النظرة كما أن المرأة تلقى التكريم الجيد فى بعض جوانبها الأخرى، وهذا عامل أدى الى بروز بعض النساء الشهيرات فى المجتمع النجدي آنذاك، وتشير بعض الأحداث الى الدور الذى قام به العلماء فى التأكيد على أن تكون النظرة للمرأة تنطلق من منطلق الاحترام لها والاعتراف بالأعمال التى كانت تقوم بها من القيام بشئون المنزل ورعاية الأولاد وغيرها.

ويجد الباحث فى وضع الرقيق عند حضر نجد عدم اختلاف معاملته

الأرقاء كذلك بين البدو والحضر في بعض الجوانب، إلا أن أساليب الخدمة عند الحضر تختلف عنها عند البدو تبعاً لاختلاف أساليب الحياة عند الفئتين وقد تبين أن امتلاك الرقيق يعد علامة واضحة على غنى مالكهم، وهذا ما يؤكد أن الامتلاك للرقيق لا يتوفر إلا عند الوجهاء من الأمراء والعلماء وعلية القوم، وتشبه النظرة للرقيق النظرة للمرأة حيث لقي الرقيق تكريماً لدى بعض النجديين كما لم يلق تكريماً واضحاً لدى البعض الآخر، إلا أن مما ينبغي التأكيد عليه أن حالات التكريم هي الأوسع انتشاراً في المجتمع، وأن عدم التكريم كان محدوداً عند بعض الأفراد.

وتشكل المظاهر الخاصة للحياة الاجتماعية المتعلقة بسير الحياة اليومية امتداداً لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية عند عرب ما قبل وبعد الإسلام، وتنطلق بعض جوانبها من تنظيم الإسلام لها، ففي مجال الزواج تتم عاداته ضمن المشهور من المذهب الحنبلي في الصداق وسائر الأمور التي من شأنها إتمام هذا الزواج ويوجد المطلع على مظاهر البساطة واليسر والحرص على أن يتم في إطار ذلك انسجاماً مع البساطة في مجالات الحياة العامة.

وتتشابه مساكن النجديين وأسلوب السكن لديهم كذلك مع هذا الجانب عند حضر العرب الأقدمين، حيث تشكل حداً فاصلاً بين البداوة والحضر، وتعطى تصوراً لدرجة تكييف النجدي لخامات البيئة في تكوين مسكنه، ومراعاة العناصر المناخية والموقع حين اختيار المسكن وبناءه.

إن أنواع اللباس ومظاهر اللبس عند حضر نجد قد تنوعت رغم بساطة الحياة العامة حيث كانت نجد تستورد الملابس الراقية للخاصة من الناس ولا يجد الباحث اختلافاً كثيراً بين ملابس البدو والحضر، كما يجد تشابهها في ملابس النجديين عامة وملابس العرب الأقدمين وأهل البلدان المجاورة رغم اختلاف بعض مسميات هذه الألبسة، وتبعاً للتوزيع الاجتماعي فقد كثرت

فى نجد فى تلك الفترة الملابس المفركة فى البساطة وتدنى القيمة .

وتتفق ملابس النساء مع ملابس الرجال فى كونها تخضع للحالة الاجتماعية كما تشبهها فى بعض أشكال اللباس الخارجية ، الا أن الباحث يجد أنواعا من الحلى التى كانت المرأة تحرص على التحلى بها ، وكذلك أنواعا من وسائل التجميل الأخرى التى كانت منسجمة مع بساطة الحياة العامة ، وتؤكد حرص المرأة النجدية على التألق لزوجها رغم كثرة الأعمال التى كانت تقوم بها .

وقد استفاد النجديون فى مآكلهم من المنتجات المحلية التى كانت هى الرائدة فى أنواع الأكل حيث شكل التمر والحبوب التى تزخر به المنطقة أهم العناصر الغذائية الا أن هذا لم يمنع فى بعض الفترات الأخرى من استيراد بعض الأغذية من البلدان المجاورة ، وكما اتفقت نجد فسى العديد من المظاهر الاجتماعية مع العرب الأوائل فان المطلاع على المأكولات والعادات الخاصة بالأكل يجد تشابها فى بعض المظاهر المتعلقة بها مع هؤلاء العرب كذلك وأهل البلدان المجاورة .

وقد تبين أنه رغم تشابه النجديين مع العرب الأوائل فى بعض المشروبات والعادات الخاصة بالمشرب فقد جدت على حياة النجديين تلك المشروبات التى سبق بيان موقف علماء نجد منها وهى القهوة والدخان حيث عد هذين المشروبين أبرز المؤثرات من البلدان المجاورة فى مجال الشرب ، وقد واكب هذين المشروبين ظهور بعض العادات الحسنة والسيئة المتعلقة بكل واحد منهما .

ويجد المتعق فى الحياة الاجتماعية عند حضر نجد الكثير من المثل العليا وصور التكافل الاجتماعى التى تندرج فى اطار تنظيم الاسلام للمجالات التكافلية عن طريق الزكاة الواجبة وصدقات التطوع والأوقاف الشخصية والوصايا وسائر طرق الاحسان والخير مما أكد أصالة الجانب الخير الموجود

لدى بعض الناس الآن ، ورسوخ جانب الاحتساب فيه ، والحرص على أن تتنوع منافعه وتشمل سائر فئات المجتمع.

هذه بصورة عامة أبرز الأفكار والنتائج التى ضمها هذا البحث على أن هناك بعض الأفكار والنتائج التى كانت مبثوثة فى كل فقرة تفصيلية مما يضيق المجال فى هذه الخاتمة عن عرضها ولا أريد أن تكون تكرارا لها ، وكما سبق أن قلت فإن بعض هذه النتائج قد جاءت تأكيداً لاجتهادات باحثين آخرين ، وكلى رجاء أن أكون قد قدمت صورة شبه واضحة عن أبرز معالم الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجرى الى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما أنى أرجو التماس العذر لى فى بعض الأخطاء أو النواقص التى قد توجد فى هذا البحث نظرا لشح المصادر فى هذا السبيل ، وعدم وضوح الصورة فى المتوفر منها ، وما توفيقى الا بالله ، والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

۴- المصادر والمراجع :-

- ۱- المخطوطات .
- ۲- المطبوعات .
- ۳- المعاجم ودوائر المعارف .
- ۴- الدوريات .
- ۵- الكتب الصادرة باللغة الانجليزية .
- ب- محتويات الرسالة .

١ - المصادر والمراجع :

أولا : المخطوطات:

١ - ابن بسام : عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (١٢٦٨هـ / ١٨٥١ م -

١٣٤٦هـ / ١٩٢٧ م) .

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، نقله

عن الأصل نور الدين شريعة سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦ م .

٢ - الحسيني : عثمان بن منصور (ت ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥ م) .

نبذة تاريخية عن نجد بخطه .

٣ - ابن حميد : محمد بن عبد الله (١٢٣٢هـ / ١٨١٦هـ - ١٢٩٥هـ /

١٨٧٨ م

السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، نسخة مصورة عن

مخطوطة خدأ بخشبته .

٤ - ابن سند : عثمان النجدي البصري (١١٨٠هـ / ١٧٦٦ م - ١٢٤٢هـ /

١٨٢٦ م) .

سبائك المسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد

٥ - الذكي - : مقبل بن عبد العزيز (١٢٩٩هـ / ١٨٨٢ م - ١٣٦٣هـ -

١٩٤٤ م) .

مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنوانا له حيث وضع أكثر من

عنوان ولم يترجح لديه أحدها وهي موجودة في مكتبة

الدراسات العليا جامعة بغداد برقم ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

٦ - ابن ضويان : ابراهيم بن صالح (ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) .
رفع النقاب عن تراجم الأصحاب .

٧ - المنقور : احمد بن محمد (١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م - ١١٢٥هـ /
١٧٢٣م) ، وقد ذكرت في ترجمته نقلا عن أستاذي
المشرف في تحقيقه لابن ربيعة أنه اطلع على ما ثبت
وجوده عام ١١٢٨هـ .
النسخة الخطية من تاريخه ، وقد رجعت اليها رغم
اعتمادي على النسخة المحققة المشورة لوجود بعض
الاختلافات بينهما في بعض الأحداث .

٨ - ابن عباد : محمد (ت ١١٧٥هـ / ١٧٦١م) .
تاريخه المسمى تاريخ ابن عباد .

٩ - ابن يوسف : محمد ،
تاريخه المسمى تاريخ ابن يوسف .

ثانيا : المطبوعات :

- ١٠- أبا بطيــــن :عبد المحسن بن عثمان .
المجموعة البهية من الأشعار النبطية ، ط (٣) نشر
مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م .
- ١١- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد (٥٥٥هـ / ١١٦٠م -
١١٦٠م - ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) .
الكامل في التاريخ ، ط (٢) دار الكتاب العربي
بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ١٢- أرنولد : سهر توماس .
الدعوة الى الاسلام ترجمة د . حسن ابراهيم حسن
وزميليه ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ،
القاهرة ١٩٧٠م .
- ١٣- أســــد : محمد (ليوبولد فايس سابقا) .
الطريق الى مكة ، ترجمه عفيف البعلبكي تحت اسم
الطريق الى الاسلام ط (٢) دار العلم للملايين
بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ١٤- الأصبهاني : ابو الفرج علي بن الحسين القرشي .
الأغاني ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، طبعة دار الشعب
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٥- الأصبهاني : ابو نعيم أحمد بن عبدالله (٣٣٦هـ / ٩٤٨م - ٤٣٠هـ /
١٠٣٨م) .
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الطبعة الثالثة دار
الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٦-الأصفهاني : الحسن بن عبد الله (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، د . صالح
العلي ، ط (١) نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٨هـ/
١٩٦٨م على خلاف بينهما في نسبة الكتاب فبينما
يقول الجاسر : انه للأصفهاني يقول العلي : انه
للأصمعي ، والله أعلم .

١٧-الألباني : محمد ناصر الدين .
سلسلة الأحاديث الصحيحة ط (٢) المكتب الاسلامي
بيروت ، دمشق ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
١٨- : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، الطبعة الأولى
المكتب الاسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٩-الأمين : عبد الأمير محمد .
المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧م/
١١٦٠هـ - ١٧٨٨م/١١٩٢هـ) . ترجمة هاشم
لازم ، مراجعة مكي المؤمن مطبعة الارشاد بغداد ،
نشر مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، توزيع
الدار الوطنية . بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٢٠-ابن باز : عبد العزيز بن عبد الله .
التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة
والزيارة ط (٢٠) المطابع الأهلية . الرياض

٢١-البحراري : د . محمد عبد اللطيف .
حركة الاصلاح العثماني في عهد السلطان محمود
الثاني ، الطبعة الأولى مطابع المختار الاسلامي
نشر دار التراث القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

٢٢- البسام : عبد الله بن عبد الرحمن ،
علماء نجد خلال ستة قرون ، ط (١) مؤسسة الخدمات
الطباعية ، بيروت ، نشر مكتبة النهضة الحديثة ،
مكة المكرمة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٢٣- البسام : محمد (ت ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م)
الدرر الفاخر في أخبار العرب الأواخر ، تحقيق
سعود العجمي ، ط (١) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٢٤- البسام : يوسف بن حمد .
الزبير قبل خمسين عاما المطبعة العصرية . الكويت ،
١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٢٥- ابن بشر : عثمان بن عبد الله (١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م - ١٢٩٠ هـ /
١٨٧٣ م) .

عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق وتعليق
عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ط (٣) طبع
ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٢٦- بكـــــــــــــــــر : د . السيد يعقوب .
نصوص في فقه اللغة العربية دار النهضة العربية
بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٢٧- بلانــــــــــــــــت : الليدى آن .
رحلة الى بلاد نجد ، ترجمة محمد أنعم غالب ، ط (١)
نشر دار اليمامة . الرياض ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٨- ابن بليهد : محمد بن عبد الله (١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م -
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م) .

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، راجعة
وضبطه وصنع فهرسه محمد محي الدين عبد الحميد
ط (٢) ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٢٩ - ابن بليهد : ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه . تحقيق د . محمد
ابن سعد بن حسين . مطابع الاشعاع .

٣٠ - البهوتى : منصور بن يونس (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م - ١٠٥١هـ /
١٦٤١م) .

شرح منتهى الارادات ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ،
الرياض .

٣١ - بوركهارت : جوهان لودفيج (١١٩٩هـ / ١٧٨٤م - ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م)
مصادر لتاريخ ، ترجمة د . عبد الله الصالح العثيمين
الطبعة الأولى شركة العبيكان للطباعة . الرياض
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٣٢ - بيريين : جاكين (ولد سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١) .
اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدرى قلجى ، دار
الكاتب العربى . بيروت ، مكتبة النهضة . بغداد .

٣٣ - الترمذى : محمد بن عيسى (٢٠٩هـ / ٨٢٤م - ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)
الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذى ، نشر
دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٣٤ - توتيشل : ك ، س ، اد وار جورجى .
المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية
ترجمة شكيب الأموى ، دار احياء الكتب العربية . القاهرة
١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

- ٣٥- الثميرى : محمد بن أحمد .
الفنون الشعبية فى الجزيرة العربية ، المطبعة
العمومية بدمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٣٦- الجاسر : حمد بن محمد .
مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ط (١) نشر دار
اليمامة ، الرياض ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٣٧- " : مقدمة المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، ط (١)
مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ٣٨- " : شمال المملكة ، ط (١) المطبعة العربية الحديثة
القاهرة ، نشر دار اليمامة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٣٩- " : المرأة فى حياة امام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
بحث قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى
عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميـة
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٤٠- الجبرتي : عبد الرحمن بن حسن (١١٦٧هـ / ١٧٥٤م - ١٢٣٧هـ /
١٨٢٢م) .
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . مطبعة سميا ،
نشر دار الفارس . بيروت .
- ٤١- الجبرتي : عبد الرحمن .
دراسات وبحوث عنه طبع باشراف د . أحمد عزت عبد الكريم
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م .
- ٤٢- جـ : هاملتون ، هارولد بوون .
المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة د . محمد عبد الرحيم
مصطفى طباعة ونشر دار المعارف القاهرة ١٣٩١هـ /
١٩٧١م .

٤٣ - الجزيري : عبد القادر بن محمد (٨٨٠هـ / ١٤٧٥م - ٩٧٧هـ /

١٥٧٠م) .

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة
المعظمة ، الطبعة الأولى مطبعة نهضة مصر ، نشر
دار اليمامة . الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٤٤ - الجميل : مكسي .

البداوة والبدو في البلاد العربية ، مطابع الشركة
الثلاثية عمان . الأردن ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٤٥ - جمعة : محمد كمال .

انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة
العربية مطابع نجد التجارية نشر دار الملك عبد العزيز
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٤٦ - ابن جنيد : سعد بن عبد الله .

عالية نجد ، مطبعة نهضة مصر ، نشر دار اليمامة ضمن
المعجم الجغرافي للمملكة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٤٧ - الجهمان : عبد الكريم .

الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ، ط (٢) دار
الثقافة . بيروت ، نشر دار أشبال العرب . الرياض ،
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٤٨ - ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (٥٠٨هـ / ١١١٤م - ٥٩٧هـ /

١٢٠١م) .

سيرة عمر بن عبد العزيز ، مطبعة الامام . القاهرة

٤٩ - الحاتم : عبد الله بن خالد .

خيار ما يلتقط من الشعر النبط ، ط (٣) نشر دار ذات
السلاسل . الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- ٥- أبو حاكمة : أحمد مصطفى .
تاريخ الكويت، مطبعة حكومة الكويت، نشر لجنة تاريخ
الكويت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ٥١- الحامد : عبد الله بن علي .
الشعر في الجزيرة العربية خلال قرين (١١٥٠هـ /
١٣٥٠هـ) . الطبعة الأولى ، مطابع الاشعاع التجارية
الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .
- ٥٢- الحريسي : ابراهيم بن اسحاق (١٩٨هـ / ١٨١٥م - ٢٨٥هـ /
١٨٩٨م) .
المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق
حمد الجاسر ، مطبعة المتنبي . بيروت . نشر
دار اليمامة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٥٣- ابن حزم : محمد بن علي (٣٨٤هـ / ٩٩٤م - ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار
المعارف . القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- ٥٤- حسون : د . علي .
تاريخ الدولة العثمانية . المكتب الاسلامي دمشق
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٥٥- ابن حسين : محمد بن سعد ،
الشيخ محمد بن بليهد وآثاره الأدبية ، ط (١)
مطابع اليمامة . الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٥٦- آل حسين : محمد بن عبد الله (١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م - ١٣٨١هـ /
١٩٦١م) .
الزوائد في فقہ الامام أحمد بن حنبل ، ط (٢) مطبعة
البيان ، ومطبعة الفجالة الجديد . القاهرة .

- ٥٧- الحقيـل : حمد بن ابراهيم .
كنز الأنساب ومجمع الآداب ، ط (٥) ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
- ٥٨- الحـلاق : أحمد البديري .
حوادث دمشق اليومية (١١٥٤هـ / ١٧٤١م - ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م) تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي . تحقيق
د . أحمد عزت عبد الكريم ، ط (١) مطبعة لجنة
البيان العربي . القاهرة ، نشر الجمعية المصرية
المصرية للدراسات التاريخية ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- ٥٩- حمـزة : فؤاد بن أمين (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م - ١٣٧١هـ / ١٩٥١م)
قلب جزيرة العرب . المطبعة السلفية ، القاهـرة
١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .
- ٦٠- ، ، : البلاد العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، نشر
مكتبة النصر ، الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ٦١- ابن حنبل : الامام أحمد بن محمد الشيباني الوائلي (١٦٤هـ /
٧٨٠م - ٢٤١هـ / ٨٥٥م) .
المسند ، ط (٢) دار الفكر ، والمكتب الاسلامي
بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٦٢- الحنبلـي : ابو الحسين محمد بن أبي يعلى (٤٥١هـ / ١٠٥٩م -
٥٢٦هـ / ١١٣١م) .
طبقات الحنابلة نشر دار المعرفة . بيروت .
- ٦٣- الخزاعـي : علي بن محمد بن مسعود (٧١٠هـ / ١٣١٠م -
٧٨٩هـ / ١٩٨٧م) .
تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصناعات والعمالات
الشرعية . تحقيق د . احسان عباس ، الطبعة الأولى

- ٥٣٢ -

دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

٦٤ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م - ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) .

العبر وديوان العتدا والخبر ، مؤسسة الأعلمى
بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

٦٥ - ابن خميس : عبد الله بن محمد .

راشد الخلاوى ، نشر دار اليمامة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

٦٦ - " : الأدب الشعبي فى جزيرة العرب ، ط (٢) مطابع
الفرزدق ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٦٧ - " : الدرعية . العاصمة الأولى ، ط (١) مطابع
الفرزدق ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٦٨ - الخويطر : د . عبد العزيز العبد الله .

عثمان بن بشر : منهجه ومصادره ، ط (٢) مطابع
اليمامة ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٦٩ - الخياط : د . عبد العزيز .

المجتمع المتكافل فى الاسلام ، الطبعة الثالثة ، نشر
دار السلام ، القاهرة ، حلب ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٧٠ - أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢هـ /

٨١٧م - ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .

السنن ، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد ، ط (١)
نشر وتوزيع دار الحديث . حمص سورية .

٧١ - دحـلان : أحمد زيني (١٢٣٢هـ / ١٨١٧م - ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، تصوير
عن الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ /

١٨٨٧م .

- ٧٢- الربيعان : فهد المحمد .
العريانات ، مطابع البادية الرياض ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٧٣- ابن رجب : عبد الرحمن بن أحمد (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م - ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)
الذيل على طبقات الحنابلة . دار المعرفة ، بيروت .
- ٧٤- السيد رجب : عمر الفاروق .
دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية
ط (٢) شركة الخدمات الصحافية والطباعة . بيروت
نشر دار الشروق . جدة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٧٥- ابن رداس : عبد الله بن محمد .
شاعرات من البادية ، دار اليمامة . الرياض .
- ٧٦- الرشيد : عبد العزيز بن أحمد (١٣٠١هـ / ١٨٨٣م - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م)
تاريخ الكويت نشر دار مكتبة الحياة . بيروت .
- ٧٧- الرويشد : عبد الله بن سعد .
الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ طباعة
دار احياء الكتب العربية ، نشر مكتبة عيسى الحلبي
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٧٨- الريكي : حسن بن جمال بن أحمد .
لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق
المشيخ عبدالرحمن آل الشيخ . المطابع الأهلية
للأوفست " الرياض ، نشر دار الملك عبدالعزيز .
- ٧٩- ريموند : جان
مذكرات في أصل الوهابيين ، تقرير مقدم الى ديه

شامباني وزير الخارجية الفرنسي في عهد نابليون
كتب سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م، وهو مستخرج من
محفوظات تلك الوزارة، و مترجم الى العربية ومطبوع
على الآلة الكاتبة.

٨٠- السباعي : د . مصطفى بن حسني (١٣٢٤هـ / ١٩١٥م - ١٣٨٤هـ /

١٩٦٤م) .

أحكام الصيام وفلسفة الطبعة الثانية . دار القرآن
الكريم والمكتب الاسلامي . دمشق بيروت ١٣٩٢هـ .

٨١- السامرائي : يونس ابراهيم .

تاريخ مساجد بغداد الحديثة . مطبعة الأمة
الأمة ، بغداد نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٣٩٧هـ /
١٩٧٧م .

٨٢- ابن سحمان : سليمان بن مصلح (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م - ١٣٤٩هـ /

١٩٣٠م) .

الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد ، الطبعة
الثانية ، مطابع الرياض ١٣٧٦هـ .

٨٣- السديري : محمد الأحمد .

أبطال من الصحراء ، مطابع دار الكتب . بيروت
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

٨٤- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر (١٣٠٢هـ / ١٨٨٩م —

١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) .

تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، تحقيق
محمد زهري النجمار ، مطابع الدجوى - القاهرة ، نشر
المؤسسة السعيدية . الرياض .

- ٨٥ - أبو السعود : بن محمد العبادى (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م - ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م)
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم ، تحقيق
عبد القادر عطا ، مطبعة السعادة . القاهرة ، نشر
مكتبة الرياض الحديثة . الرياض .
- ٨٦ - سعيد : أمين .
سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع
سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ٨٧ - ، : فيصل العظيم ، الطبعة الثانية ، مطابع نجد التجارية
نشر وزارة التعليم العالى فى المملكة
- ٨٨ - السليمان : على بن حسين .
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك
الشركة المتحدة للنشر والتوزيع . القاهرة ، توزيع
دار حرا . القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ٨٩ - السليمان : خالد بن أحمد .
معجم مدينة الرياض ، الطبعة الأولى مطابع الفرزدق
الرياض ، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة
والفنون ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٩٠ - السهوانى : محمد بشير .
صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، الطبعة
الرابعة مطابع القصيم ، نشر دار الافتاء السعودية
١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .
- ٩١ - السويدى : عبد الرحمن بن عبد الله (١١٣٤هـ / ١٧٢١م - ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م)

تاريخ حوادث بغداد والبصرة من عام ١١٨٦هـ /
١٧٧٢م الى ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م تحقيق وتعليق
د . عماد عبد السلام رؤوف ، مطابع دار الحريسة
بغداد نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية .

٩٢- السويداء : عبد الرحمن بن زيد .
نجد في الأسس القريب ، الطبعة الأولى . دار العلوم
الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٩٣- السيار : عائشة .
دولة اليعاربة ، الطبعة الأولى نشر دار القدس ،
بيروت ١٩٧٥م .

٩٤- شاكير : محمود .
قفقاسيا ، ط مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة
للتوزيع . بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٩٥- الشبل : د . عبد الله بن يوسف
محمد بن عبد الوهاب . حياته ودعوته ، مطابع جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية ، نشر أسبوع الشيخ
محمد بن عبد الوهاب . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٩٦- : أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية .
دراسة تحليلية . رسالة دكتوراه من جامعة
الاسكندرية . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م لم تنشر بعد .

٩٧- : تاريخ ابن ربيعة ، دراسة وتحقيق . مطابع الشرق
الأوسط . الرياض ، نشر النادي الأدبي في الرياض
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- ٩٨ - شلبسى : د . أحمد .
تاريخ التربية الإسلامية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة
النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- ٩٩ - الشوكانى : محمد بن على (١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م - ١٢٥٠ هـ /
١٨٣٤ م) .
فتح القدير ، ط (٢) مكتبة ومطبعة مصطفى البابى
الحلبى . مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
- ١٠٠ - آل الشيخ : عبد الرحمن بن عبد اللطيف .
مشاهير علماء نجد وغيرهم ، ط (١) دار اليمامة
الرياض ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ١٠١ - صبرى : أيوب .
مرآة جزيرة العرب . ترجمة وتعليق د . أحمد فؤاد
متولى ، والصفصافى أمد العرسى ، الطبعة الأولى
دار الرياض للنشر والتوزيع . الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- ١٠٢ - الصعيدى : عبد المتعال .
المجددون فى الاسلام ، طبع دار الحمامى نشر مكتبة
الآداب ، القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- ١٠٣ - الصاوى : محمد اسماعيل .
شرح ديوان جرير ، ط (١) المكتبة التجارية الكبرى
القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- ١٠٤ - الصقرى : عبد الله بن سعود .
من نوادر الأشعار ، ط (١) مطابع الرياض ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .
- ١٠٥ - ابن صقيه : عبد الله بن على .
بنو تميم فى بلاد الجبلين ، المطابع الأهلية للأوفست
ودار اليعامة الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- ١٠٦- ابن ضويان : ابراهيم بن صالح .
منار السبيل في شرح الدليل ، الطبعة الرابعة
المكتب الاسلامي ، دمشق . بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
- ١٠٧- آل أبوطامي : أحمد بن حجر ،
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الثانية ، مطبعة
الحكومة . مكة ١٣٩٥ هـ .
- ١٠٨- الطعيس : صالح بن ناصر .
مدينة حريملاء ، مطابع المجد . الرياض ١٣٩٩ هـ /
١٩٧٩ م .
- ١٠٩- ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م - ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ط (١) مطبعة
١١٠- ابن عدي : أحمد بن محمد الأندلسي (٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م - ٣٢٨ هـ /
٩٤٠ م) .
- العقد الفريد ، دار الفكر . بيروت ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- ١١١- " : طبائع النساء تحقيق محمد ابراهيم سليم ، مكتبة
القرآن . القاهرة .
- ١١٢- آل عبد المحسن : ابراهيم بن عبيد
تذكرة أولى النهى والعرفان ، ط (١) مطابع مؤسسة
النور . الرياض
- ١١٣- ابن عبد الوهاب : الشيخ محمد (١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م - ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م)
مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مطابع
الرياض ، نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- ١١٤ - ابن عبد الوهاب : الرسائل الشخصية ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
١١٥ - " : العقيدة والآداب الاسلامية ، مطابع جامعة
: الامام محمد بن سعود الاسلامية .
١١٦ - " : كشف الشبهات . طبع ونشر جامعة الامام محمد
ابن سعود الاسلامية .
١١٧ - " : مجموعة رسائل فى التوحيد . طبع ونشر جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية ،
١١٨ - " : الفتاوى ، طبع ونشر جامعة الامام محمد بن
سعود الاسلامية .
١١٩ - العبودى : محمد بن ناصر .
الأمثال العامة فى نجد ، المطابع الأهلية
للأوفست ، الرياض . نشر دار اليمامة
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
١٢٠ - " : بلاد القصيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة
نشر دار اليمامة ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م .
١٢١ - العثيمين : د . عبد الله الصالح
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة نهضة
نهضة مصر . القاهرة ، نشر دار العلوم . الرياض
١٢٢ - " : تاريخ المملكة العربية السعودية ، الطبعة
الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
١٢٣ - العثيمين : محمد الصالح .
مجالس شهر رمضان الطبعة الثانية ، مطابع
المدينة ١٣٩٩هـ
١٢٤ - " : خطبتي عيد الفطر وعيد الأضحى . مطابع
السليم التجارية . الرياض .

- ١٢٥ - ابن عرفة : محمد بن عبد الله .
حقوق المرأة فى الاسلام مطبعة المدنى ، القاهرة
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٢٦ - العرينى : عبد الرحمن بن على .
الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر
الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر
الهجرى وحتى سقوط الردعية ، رسالة ماجستير
لم تنشر .
- ١٢٧ - العسقلانى : أحمد بن على بن حجر (٧٧٣هـ / ١٣٧١م -
٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .
الاصابة فى تمييز الصحابة ، ط (١) مطبعة
السعادة مصر ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .
- ١٢٨ - " : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مراجعة وتعليق
طه عبد الرؤوف سعد وزميليه ، شركة الطباعة
الفنية ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ١٢٩ - العصامى : عبد الملك بن حسين (١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م -
١١١١هـ / ١٦٩٩م) .
سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائى والتوالى
المطبعة السلفية . القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- ١٣٠ - عطار : أحمد عبد الغفور .
محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الأولى ، دار
العلم للعلايين . بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ١٣١ - ابن عقيـل : أبو عبد الرحمن الظاهرى .
أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء ، الطبعة
الأولى مطبعة نهض مصر نشر دار اليمامة
الرياض ١٤٠٣هـ / ١١٨٣م .

- ١٣٢- ابن عقيـل : أبو عبد الرحمن الظاهري .
ديوان الشعر العامي ، الطبعة الأولى مطبعة
المتوسط ببيروت نشر دار العلوم . الرياض ،
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
- ١٣٣- " : تاريخ نجد في عصور العامية . مطبعة التقدم .
القاهرة .
- ١٣٤- أبو العـلا : د . محمدود .
جغرافية شبه جزيرة العرب ، الطبعة الثالثة
مؤسسة سجل العرب . القاهرة ١٩٧٥م .
- ١٣٥- علي : د . جواد
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة
الأولى دار العلم للملايين ، نشر مكتبة النهضة
بغداد ١٩٦٨م
- ١٣٦- أبو عليـة : د . عبد الفتاح حسن
الدولة السعودية الثانية ، مؤسسة الأنوار للنشر
والتوزيع الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٣٧- " : دراسة حول المخطوط التركي (حجاز سياحتنامه
سى) دار المريخ ، الرياض .
- ١٣٨- " : النقود والموازن والمقاييس فى سنجق الحسا
فى العهد العثمانى مطبعة نهضة مصر ، نشر
دار المريخ .
- ١٣٩- " : الاصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز
المطابع الأهلية للأوفست ، نشر دار الملك
عبد العزيز ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- ١٤٠- العمـري : صالح السليمان .
علماء آل سليم وعلماء القصيم ، الطبعة الأولى
مطابع الاشعاع . الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- ١٤١- العمري : عبد العزيز بن ابراهيم
الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ /
١٩٨٥ م.
- ١٤٢- ابن عيسى : ابراهيم بن صالح (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م -
١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م)
تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ،
نشر دار اليمامة .
- ١٤٣- غزالي : د . محمد جميل
مجدد القرن الثانى عشر الهجرى الشيخ
محمد بن عبد الوهاب ، نشر مكتبة المدنى
ومطبعها ، القاهرة ، جدة .
- ١٤٤- الغزالي : نجم الدين محمد بن محمد (٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م -
١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق
الدكتور جبرائيل جبور ، الطبعة الثانية (نشر
دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩ م .
- ١٤٥- ابن غنم : حسين بن أبى بكر (١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م)
روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد
غزوات ذوى الاسلام ، ط (١) شركة مكتبة
مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، نشر المكتبة
الأهلية بالرياض ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
- ١٤٦- الفاخرى : محمد بن عمر (١١٨٦ هـ / ١٩٧٢ م - ١٢٧٧ هـ
١٨٦٠ م)
الأخبار النجدية ، دراسة وتحقيق الدكتور

- عبد الله الشبل ، مطابع جامعة الامام محمد
ابن سعود الاسلامية ، نشر لجنة البحوث والترجمة
والنشر بالجامعة . الكتاب رقم (١٠) .
- ١٤٧ - الفاسى المكى : محمد بن أحمد الحسينى (٧٧٥هـ / ١٣٦٣م -
٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) .
العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق
فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية . القاهرة
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ١٤٨ - أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن على (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م -
٧٣٢هـ / ١٣٣١م) .
المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة . بيروت .
- ١٤٩ - الفرج : خالد بن محمد (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م - ١٣٧٤هـ /
١٩٥٤م) .
ديوان النبط ، المطبعة العربية . القاهرة ، نشر
المكتبة الأهلية . الرياض .
- ١٥٠ - فـروح : د . عمـر .
تاريخ الجاهلية ، مطابع دار الكتب . بيروت
نشر دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٤هـ /
١٩٦٤م .
- ١٥١ - فريد بك : محمد .
تاريخ الدولة العلية العثمانية تحقيق د . احسان م
حقى ، الطبعة الأولى دار النفائس بيروت
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٥٢ - الفوزان : د . ابراهيم بن فوزان
اقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، مطابع
الفرزدق . الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- ١٥٣- الفـوزان : د . عبد الله بن ناصر .
حميدان الشويعر، الطبعة الأولى مطابع
نجد نشر شركة الجريسى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م
- ١٥٤- ابن قـائـد : عثمان بن أحمد النجدى (ت ١٠٩٧هـ / ١٦٨٥م)
هداية الراغب لشرح عمدة الطالب، تحقيق
الشيخ حسنين مخلوف، مطبعة المدنى المؤسسة
السعودية، القاهرة.
- ١٥٥- " : نجاة الخلف فى اعتقاد السلف نشر مجمل
الشطى ١٣٥٠هـ.
- ١٥٦- ابن قاسم : عبد الرحمن بن محمد العاصمى النجدى
(١٣١٩هـ / ١٩٠١م - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)
الدرر السنية فى الأجوبة النجدية، ط (٢) ،
مطبوعات دار الافتاء السعودية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ١٥٧- القاضى : محمد بن عثمان
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث
السنين، مطبعة الحلبي القاهرة ١٤٠٠هـ /
١٩٨٠م.
- ١٥٨- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (٢١٣هـ / ٨٢٨م - ٢٧٦هـ /
٨٨٩)
المعارف تحقيق د . ثروت عكاشة الطبعة
الثانية، دار المعارف . القاهرة.
- ١٥٩- قطـب : سيد (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م)
فى ظلال القرآن، ط (٥) دار احياء التراث
العربى بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.
- ١٦٠- " : العدالة الاجتماعية فى الاسلام الطبعة السابعة
١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

- ١٦١- القويعى : محمد بن عبد العزيز .
تراث الأجداد الطبعة الأولى ، مطابع البادية
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
١٦٢- ابن قيم الجوزية : محمد بن أبى بكر (٦٩١هـ / ١٢٩٢ - ٧٥١هـ /
١٣٥٠م) .
زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مراجعة
وتقديم طه عبد الرؤوف طه ، شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابى الحلبي وأولاده . القاهرة
١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
١٦٣- ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (٧٠١هـ / ١٣٠٢م
٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) .
١٦٤- : البداية والنهاية ، ط (٣) مكتبة المعارف ، بيروت
١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
١٦٥- : التفسير ، ط (١) دار الفكر ، نشر مكتبة الرياض
الحديثة الرياض . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
١٦٦- الكركوكلى : رسول بن حاوي (ت ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م) .
دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء
نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، مطبعة كرم
بيروت ، نشر دار الكاتب العربى . بيروت ، ومكتبة
النهضة بغداد .
١٦٧- كرس : دانيال . هـ
الدخينة فى نظر طبيب ، مطابع الاصفهاني ، جدة
نشر مكتبة المعارف . الطائف .
١٦٨- كمال : محمد سعيد .
الأزهار النادية من أشعار البادية ، صدر منها
حتى الآن سبعة عشر جزءا صغيرا ، ط (١) مطابع
دار الكتاب العربى ، القاهرة ، نشر مكتبة
المعارف ، الطائف .

- ١٦٩- كيلسى : جون . ب .
بريطانيا والخليج (١٧٩٥م - ١٨٧٠م) ترجمة
محمد أمين عبد الله ، مطبعة عيسى الحلبي
القاهرة نشر وزارة التراث القومى والثقافة
بسلطنة عمان .
- ١٧٠- ابن لعبون : حمد بن محمد (ت ١٢٥٥هـ / ١٨٢٩م)
تاريخ ابن لعبون ، ط (١) مطبعة أم القرى
مكة المكرمة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .
- ١٧١- لوسون : غوستاف .
حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيترة ، ط (٣) دار
احياء الكتب العربية ، القاهرة ، نشر دار احياء
التراث العربى ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ١٧٢- لوريمر : جون غوردون .
دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ترجمة مكتب
الترجمة بديوان أمير قطر . الدوحة ١٣٩٥هـ /
١٩٧٥م .
- ١٧٣- لونكريك : ستيفن هيمسلى (ولد سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م)
أربعمئة سنة فى تاريخ العراق الحديث ، ترجمه
جعفر الخياط تحت اسم أربعة قرون من تاريخ
العراق الحديث ، ط (٥) نشر مكتبة التحرير
بغداد .
- ١٧٤- ابن ماجه : محمد بن يزيد (٢٠٧هـ / ٨٢٢م - ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)
السنن ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي
دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٨م .
- ١٧٥- المارك : فهد (ت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
من شيم العرب ط (٣) ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٧٦ - المُحِبِّي : محمد أمين بن فضل الله (١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م -

١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) .

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
نشر دار صادر . بيروت .

١٧٧ - مرسى عباس : السيد أحمد .

فهارس عنوان المجد لابن بشر، ط (١) مطبعة
المدينة ، الرياض ، نشر دار الملك عبد العزيز
الرياض ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

١٧٨ - مرزوق : محمد عبد العزيز .

الناصر محمد بن قلاوون . سلسلة أعلام العرب
(٢٨) نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر .

١٧٩ - المغيرة : عبد الرحمن بن محمد ($\frac{١٢٨٥}{١٣٦٤}$ هـ - $\frac{١٣٦٤}{١٩٤٤}$ هـ)

الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ، تحقيق
د . ابراهيم الزيد ، الطبعة الأولى دار الحارثي
للطباعة والنشر ، الطائف ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

١٨٠ - مسلم بن الحجاج : القشيري (٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م - ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م)

صحيح مسلم بشرح النووي ، ط (٢) دار الفكر
بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

١٨١ - ابن منقذ : اسامة بن مرشد (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م - ٥٨٤ هـ /

١١٨٨ م) .

المنازل والديار ، الطبعة الأولى : المكتب

الاسلامي ، دمشق بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١٨٢ - المنقور : أحمد بن محمد

تاريخ المنقور ، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز
الخويطر ط (١) مطابع الجزيرة ، الرياض

١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

١٨٣- المنقـــــور : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، ط (٢) نشر
دار الآفاق الجديدة . بيروت.

١٨٤- " : جامع المناسك الثلاثة الحنبلية، تحقيق محمد زهير
الشاوين، ط (٣) المكتب الاسلامي . بيروت، دمشق
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

١٨٥- مـــــران : د . محمد بيومي
دراسات في تاريخ العرب القديم، المطابع الأهلية
للأوفست، الرياض، نشر جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية . المكتبة التاريخية (١) ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

١٨٦- مؤلف مجهـــــول :
كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب،
تحقيق د . عبد الله الصالح العثيمين، مطابع
دار الهلال، الرياض . نشر دار الملك عبد العزيز
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

١٨٧- مورتـــــيل : ريتشارد .
الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي
الطبعة الأولى طباعة ونشر جامعة الملك سعود ١٤٠٥هـ /
١٩٨٥م

١٨٨- نافـــــع : محمد بروك .
تاريخ العرب، عصر ما قبل الاسلام، ط (٢) مطبعة
السعادة، مصر ١٩٥٢م

١٨٩- ابن نفيســـــة : سعد بن محمد .
اصامة من التراث، نشر دار الوطن . الرياض ١٤٠١هـ /
١٩٨١م

١٩٠- ابن السوردي : عمر بن مظفر (٦٩١هـ / ٢٩٢م - ٧٤٩هـ / ٣٤٩م) تنمة
المختصر في أخبار البشر، اشراف أحمد رفعت البديري

ط (١) دار المعرفة . بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

١٩١ - الهدانسي : الحسن بن أحمد (٢٨٠هـ / ٨٩٣م - ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد الأوكوع ، نشر دار اليمامة
الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

١٩٢ - هولفريتسز : هانـسز .

اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيرى حماد ، نشر
المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر . بيروت

١٩٣ - الهيثمسي : على بن أبي بكر (٧٣٥هـ / ١٣٣٥ - ٨٠٧هـ / ١٤٠٥هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الطبعة الثالثة نشر دار الكاتب
العربي . بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ثالثا : المعاجم ودوائر المعارف :

- ١ - البكري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق
مصطفى السقا - الطبعة الأولى ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر . القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م .
- ٢ - الجاسر : حمد بن محمد
جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، الطبعة الأولى
مطبعة نهضة مصر ، القاهرة . نشر دار اليمامة ، الرياض
- ٣ - الحموي : ياقوت بن عبد الله (٥٧٤هـ / ١١٧٨م - ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) .
معجم البلدان نشر دار صادر بيروت .
- ٤ - ابن خيمس : عبد الله بن محمد .
معجم اليمامة الطبعة الأولى مطبعة الفرزدق ، الرياض
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٥ - الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني الواسطي (١١٤٥هـ - ١٢٠٥هـ /
١٧٣٢م - ١٨٩٠م) .
- ٦ - الزركلي : خير الدين بن محمود (١٣١٠هـ / ١٨٨٣م - ١٣٩٦هـ /
١٩٧٦م)
الأعلام . قاموس تراجم - الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٧ - العالملي : أحمد بن رضا .
قاموس رد العاني الى الفصح ط (٢) دار الرائد العربي
بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٨ - الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب (٧٢٩هـ - ٨١٧هـ / ١٣٢٩م - ١٤١٥م)
القاموس المحيط نشر دار العلم للجميع . بيروت

٩ - قدامية : أحمد .

قاموس الغذاء والتداوى بالنبات، الطبعة الأولى دار
النفايس، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .

١٠ - كحالة : عمر رضا .

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانية
دار العلم للملايين . بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .

١١ - مجموعة مستشرقين :

دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي

وزملائه، نسخة مصورة عن طبعة عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م .

انتشارات جهان طهران .

١٢ - مجموعة باحثين عرب : بإشراف محمد شفيق غريال .

الموسوعة العربية الميسرة، صورة طبق الأصل عن طبعة

دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . القاهرة

١٩٦٥ م .

١٣ - مدكور : د. ابراهيم ونخبة من أساتذة علم الاجتماع .

معجم العلوم الاجتماعية، ط (الهيئة المصرية العامة

للكتاب) نشر اليونسكو ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .

رابعاً : الدوريات :

- ١ - مجلة الحرس الوطني السعودي . الرياض .
- ٢ - مجلة الدارة . الرياض .
- ٣ - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . الكويت .
- ٤ - مجلة الدعوة . الرياض .
- ٥ - مجلة العرب - الرياض .
- ٦ - مجلة العربي . الكويت .
- ٧ - المجلة العربية . الرياض .
- ٨ - مجلة كلية الآداب . جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) .
- ٩ - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الرياض .
- ١٠ - مجلة مركز البحوث . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .
- ١١ - مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .
- ١٢ - مجلة حضارة الاسلام . دمشق .
- ١٣ - محاضرات الموسم الثقافي للكلية والمعاهد العلمية سابقا . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية حاليا لعام ١٣٨٦ هـ .
- ١٤ - صحيفة الجزيرة السعودية . الرياض .
- ١٥ - صحيفة الرياض السعودية . الرياض .
- ١٦ - صحيفة السياسة الكويتية . الكويت .

خامسا : الكتب الصادرة باللغة الانجليزية :

- 1-Burckhardt, John, Lewis,
Notes on the Bedouins, and Whabys, London 1831.
- 2- Winder, R.B.,
Saudi Arabia, in the Ninteenth Century, New York,
1965.
- 3- Al-Thenayan, Mohammed,
History writting in Nagad (A.H. 1000-11501 Ad. 1591-
1737)
A Thesis submitted to the University of Exeter, for
the Degree of Doctor, of Philosophy, 1976.
- 4- Ah Juhany, Uwaidan. M.,
The History of Najd prior the Wahhabis.
Doctor of Philosophy. University of Washinton. 1983.
- 5-Rents. George .S navely. Muhammad Ibn Abdol Wahhb (1703/
04 - 1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in
Arabia.
Doctor of Philosophy in History University of
California.
- 6- Said Abdul Rahmman . h.
Saudi Arabia : the Transition from A Tribal Society
to Nation - State.
Doctor of Philosophy.
University of Missouri- Columbia.

ب - محتويات الرسالة :

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
١	المدخل : الفئات الاجتماعية في نجد
-	الباب الأول : الحياة الدينية عند حضر نجد قبل الدعوة
-	الفصل الأول : مظاهر الانحراف عن الدين الاسلامي
١٨	توطئة
١٨	١ - في أصول الدين
١٩	١- القبور
٣٢	٢- الأشجار
٣٤	٣- الكهوف
٣٤	٤- الأشخاص
٤١	٥- مظاهر البدع الأخرى
٦١	ب - في الفروع
٦٢	١- رشوة الحاكم
	٢- أمثلة لبعض العادات النجدية المخالفة
٧٧	للشعر
٨٧	الفصل الثاني : مظاهر الالتزام بالدين
-	الباب الثاني : الحياة العلمية وأثرها على الحياة الاجتماعية
-	الفصل الأول : الحياة العلمية : استعراض عام
١١٤	توطئة
١١٥	١- سبل التعلم :
١١٦	١ - التعليم المحلي

تابع محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١١٧	ب - الرحلات العلمية داخل نجد وخارجها
١١٨	- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية داخل نجد
	- الرحلات العلمية الى المناطق الأخرى فى شبه
١١٩	الجزيرة العربية
	- الرحلات العلمية الى المراكز العلمية خارج شبه
١٢٦	الجزيرة العربية
١٣٤	ج - الاستفادة من مرور بعض العلماء على نجر
١٣٨	٢ - العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم
١٥٤	٣ - مجالات التأليف
١٥٤	١ - الفقه
١٥٦	ب - التاريخ
١٥٨	ج - التوحيد
١٦٠	د - علوم الآلة
١٦٢	٤ - طريقة التأليف
١٦٦	٥ - النساخ والخطاطون وكتاب العدل
١٧٨	٦ - المكتبات
١٨٥	٧ - الأوقاف العلمية
-	الفصل الثانى : الآثار الاجتماعية للحياة العلمية ...
١٨٨	المكانة الاجتماعية لعلما نجد قبل الدعوة ...
١٩٢	١ - طرق الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالمجتمع النجدى
١٩٦	٢ - مراعاة أوضاع بعض الفئات الاجتماعية

تابع: محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
٢٠٠	٣- بحث العلماء لبعض العادات الوافدة على المجتمع النجدى
٢٠١	١ - عادة شرب القهوة
٢٠٤	ب - عادة التدخين
٢٠٨	٤- جهود العلماء الاصلاحية فى المجتمع
٢١٢	٥- مساهمة العلماء فى سبل الخير
٢١٦	٦- الأثر الاجتماعى للرحلات العلمية
٢٢٣	٧- نقد الأدب الفصيح وتصويره لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية
-	الباب الثالث: الأوضاع الاقتصادية
٢٣٠	الفصل الأول : ١- الرعى والثروة الحيوانية
٢٤٠	٢- الزراعة
٢٥٢	٣- الحرف اليدوية والمهن
-	الفصل الثانى : التجارة
٢٦٥	توطئة
٢٦٥	١- أساليب التجارة
٢٦٥	ا - أسلوب التجارة المحلية
٢٦٧	ب - أسلوب التجارة الاقليمية (الحضرية)
٢٦٧	ج - أسلوب التبادل التجارى بين البادية والحضر .
٢٧٠	د - أسلوب التجارة الخارجية أو تجارة القوافل ...
٢٨٠	٢- نظام الأسعار وأمثلة منها فى تلك الفترة
٢٨٩	٣- أمثلة من أساليب البيع والشراء .
٢٨٩	٤- المكييل والموازين والمقاييس

تابع : محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
٢٩٥	١ - المكاييل
٣٠٢	ب - الموازين
٣٠٤	ج - المقاييس
٣٠٦	٥ - العملات المتداولة
-	الباب الرابع : المظاهر العامة للحياة الاجتماعية ...
٣٥٤	توطئة
٣٥٦	الفصل الأول : الملاح العامة للهجرات النجدية
٣٥٧	١ - أسباب الهجرة
٣٥٧	أ - الأسباب الأمنية
٢٦٤	ب - الأسباب الاقتصادية
٣٧٠	٢ - أنواع الهجرات النجدية
٣٧٠	أ - الهجرة الداخلية
٣٨١	ب - الهجرة الخارجية
	الفصل الثاني : نظرات المجتمع لبعض الفئات
٣٨٩	الاجتماعية
٣٨٩	أ - نظرة الحضري للبدوى
٤٠٦	ب - النظرة للمرأة ومكانتها في المجتمع
٤١٧	- نساء شهيرات
٤٢٤	ج - وضع الرقيق ونظرة المجتمع لهم

تابع : محتويات الرسالة :

الصفحة	الموضوع
٤٢٣	الفصل الثالث : العادات والتقاليد المتعلقة بالحياة اليومية
٤٢٣	١- أمثلة من العادات الخاصة بالزواج
٤٤٥	٢- المسكن وبعض الأساليب المتبعة فيه
٤٥٢	٣- اللبس وأنواع اللبوسات
٤٦٥	٤- أبرز أنواع الأكل والعادات الخاصة به
٤٧٢	٥- أبرز المشروبات وأنماط من العادات المتعلقة بالشرب
٤٧٩	الفصل الرابع : التكافل الاجتماعي والأعمال الخيرية
٤٧٩	- عرض موجز لبعض ملامح التكافل الاجتماعي في الإسلام
	- أبرز مظاهر التكافل الاجتماعي عند حضرنجد قبل
٤٨٠	الدعوة
٤٨١	١- الزكاة الواجبة
٤٨٣	٢- صدقات التطوع
٤٨٦	٣- الأوقاف الشخصية
٤٩٦	٤- الوصايا وأنواعها
٥٠٠	٥- طرق الخير والاحسان الأخرى
٥٠٤	الخاتمة
-	الفهارس
٥٢٢	أ - المصادر والمراجع
٥٥٤	ب - محتويات الرسالة
	الملاحق
	الخرائط والصور

الملاحق

العواد

وصية صبيح : مجلة العرب الحزب الأول السنة الثانية رجب ١٣٨٧ تشرين
أول ١٩٦٧ م - من ص ٥٧-٥٩

هذا ما وقف وحبس وأبد الفقير الى الله سبحانه وتعالى الحاج صبيح
عتيق عقبة ، حيطانه في عكل ولهن من الماء ثلاث وقعات ونصف على بئر الغطفا
بعد دهن وحقوقهن وأرضهن ونخلهن ماثهن ونماثهن وكل حق لهن داخل
فيهن أو خارج عنهن . يحد هن من الغرب سور القرية ومن الشمال البئر وطريق
المسلمين ومن الشرق حويط ابن شقير ومن الجنوب الجفرة والقطيعة والأحيمري
- وقفا حبسا مؤبدا محرما بجميع محارم الله تعالى التي حرم بها الزنا والربا وشرب
الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق - وقفا قائما على أصوله
جاريا على رسومه قائما على سبيله ماضيا لأهله جائزا لهم .

لا يزيد ، مرور الأيام والأزمنة الا تأكيد ولا يكسبه تقلب الأوقات الا تهيدا وتأيدا
ولا يحله تطاول أمد ، ولا تقادم عهد وكلما تطاول عليه الزمان أبد ، وكلما أتى عليه
عصر جدد ، وأكد . لا يزال ذلك كذلك مادامت الدنيا وأهلها ، حتى يرث الله
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليجدد حكمه . وينقله الخلف عن السلف ،
ولا يتعرض لبطاله التلف ، وتنقبض عنه الأطماع الكاذبة . وتقص عن تناوله الأيدي
الظالمة - لا يزال هذا الأمر جاريا في هذا الوقف المذكور على شرائطه المذكورة
والأحكام الموصوفة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وولى الوقف
المذكور امام الجامع وله سد من حائط ونصف سد من حائط ، فان كان الامام فيه ضعف
فيساعده المصلح من آل عقبة وأن ترك الامام الولاية فليس له شيء - ويبدأ للولس
بعمارة الوقف وكلما يزيد في نمائه ثم ما حصل فيخرج منه دلو وحبلها على (بشعر
العمامية) فان تعطلت بئر العمامية جعلت على بئر غيرها مما ينتفع به المسلمون
وفيه أيضا (ستون صاعا) تكون أكلنا لمن يموت ولم يخلف ما يكفنه من أهل عكل وأهل
الفرعة وأهل شقرا وما فضل بعد ذلك أطعمه الولي في شهر رمضان ويكون سماطا

فى لىالى الجمعة والخميس والاثنين ويفرق منه الولى ثلاثين صاعا على الأرامـل
اللاتى يشتھين ويستھين - ولا حرج على من حضره فى الأكل منه سواء أكان غنيا
أو فقيرا أو بدويا أو حضريا - وان أصاب الناس مجاعة فى غير شهر رمضان المعظم -
أطعمه الولى فى ذلك الوقت اذا رأى الاصلاح فى ذلك - ولا حرج على الولى ومن
حضر فيها يأكلون عند الجداد ، ولا يحل لأحد من خلق الله تعالى يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يتعرض هذا الوقف بظلم أو نقصان أو تغيير أو تحريف، فمن فعل
ذلك أو أعان عليه بقول أو عمل أو شورة فإله حسيبه وطلبيه ومعاقبه ومجازيه
ومسائله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . يوم تذهل كسل
مرضعة عما أرضعت - الآية - يوم الطامة يوم الحسرة يوم الندامة يوم يعرض الظالم
على يديه ، يوم الواقعة ، يوم الآزفة يوم الرجفة ، يوم الحاقة ، يوم يكشف من ساق
ويدعون الخ . يوم اعرض يوم النشور يوم لا يجزى والد عن ولده شيئا الآية . يوم
يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب، يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم يقوم الروح والملائكة صفا
الآية - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وعلى
المعترض لهذا الوقف لعنة الله والملائكة والناس أجمعين - ولا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نفلا وعجل الله فصيحته فى الدنيا وضاعف له العذاب فى
الآخرة ، وجعله من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا . الآية
- فمن بدله بعدما سمعه فانما اشبه على الذين يبدلونه - الآية .

كطت وثيقة الأصل بالتام من غير تحريف وتاريخها سنة (٧٤٧) هجرية
وهذه النسخة مكتوبة من وثيقة كتبها على بن شفيع بيد رحمته الله سبحانه وتعالى
من وثيقة الأصل وكانت الأولى قد فنيت من طول الوقت - فسبحان من لا يفنى ولا يموت
وتاريخ الوثيقة التى كتبها على بن شفيع رحمه الله تعالى كانت بيوم النصف من شهر

رمضان المعظم سنة (٨٩٠) من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام.

ثم قال على بن شفيع رحمه الله : (حضر عبد الله بن بسام على هذه النسخة المباركة وكتب بيد هـ وحضر أحمد بن سليمان بنى منيف بن بسام وكتب بيد هـ وحضر عبد الله بن شفيع على ذلك وكتب بيد هـ وحضر حسن بن عبد الله بن منيف ابن بسام وكتب بيد هـ وحضر على بن حمد بن ريس وكتب بيد هـ وحضر عبد الله ابن غملاس بن حجي وكتب بيد هـ وحضر حمد بن محمد بن منيف بن بسام وكتب بيد هـ وحضر حسن بن الكلبي بن منيف بن بسام وكتب بيد هـ - وعلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم وكتب هذه الوثيقة الثانية بعد ما فتيت الأولى وخشى من فناء الثانية أوزها بها - كتبها حرفا بحرف بما احتوته معانيها وبما اندرجت عليه مانيها محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام القاضي الحنبلي منسوب الشرع الشريف بتاريخ (١٩ رمضان سنة ٩٨٦ هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها الصلاة والسلام.

مجلة العرب - الجزء السادس - السنة الثانية ذو الحجة ١٣٨٧ هـ آذار ١٩٦٨ م

ص ٥٥٧ - ٥٦١

٢- وصية صقر بن قطام :

قد وقف وسبل وحبس ونجز صقر بن قطام بن صقر - رحمه الله - في حال صحة عقله وبدنه وطوعه ورضاه وجواز أمره جميع أملاكه في قرية أشيقر، فمنها ملكه المعروف بحيطان أم أشكال - وأيضا أرضه في العقلة المعروفة بأرض (آل أبي علي) وأيضا في العقلة المعروفة بأرض ابن ربيعة - وأيضا أرضه في البر فيها بئر خارج القرية يومئذ تعرف (بالحميدة) .

وأيا ملكه المعروف بالبدبعة . وقف صقر المذكور جميع هذه الأملاك المذكورة وأخرجهما من يده ، ومن ملكه قرية لله تعالى على أهل (قرية أشيقر) وجعل الولي الناظر عليها زوجته يومئذ (مرهجة) بتتبع عبد الرحمن ابن محمد بن ريس - ولو تأبى منه تخرج غلاتها على نظرها فيهم . ولها غلة البدبعة أجرة لها على النظر في ذلك ، ودفع الأملاك إليها . فان أبت الولاية لم يكن لها شيء . وان ماتت قبل صقر ، فولاية الأوقاف عائدة إلى صقر ، وقد اشترط صقر لنفسه الولاية والعزل واستثنى النفقة على نفسه والأكل مدة حياته من غلة الأوقاف المذكورة . فان ماتت مرهجة ومات صقر - والبقاء لله تعالى فالولي الناظر على جميع ذلك هو سليمان بن عبد الله بن مويج يصلح الأوقاف من غلاتها بما يريد في ثمنها من خدمة وغيرها ويخرج ما ينوبها من اجار في بناء حيطانها أو غرم سيل أو جراد أو غير ذلك أو طارقة نعم البلد . فما فضل بعد ذلك ثلثه عشرة أجار له على النظر في ذلك فما فضل بعد ذلك أطعمه في المسجد ساطا في شهر رمضان المعظم على حكم الطعام وقف صبيح غيراته لا حد عليه في ليالي معينة . وان أصاب الناس مجاعة في غير شهر رمضان المعظم أطعمه الولي في ذلك الوقت ، ان رأى فيه صلاحا ولا حرج على من حضره في الأكل منه سواء كان غنيا أو فقيرا حضريا أو بدويا أو ناظره وينفق منه كل عام أربعين صاعا تروا يختص بها الأراطي في بيوتهم اللاتي يشتبهن ويستحين . والزمن من الرجال الذي لا يطيق وصولا إلى الطعام - ثم وليه الناظر عليه بعد سليمان من رضىه واتفق على إمامته أهل الملاح والمعروف . ويخير من

أهل البلد وله عشيرة غلة الأوقاف المذكورة على نظره عليها . فان عدت الأمانة والعيان بالله في ولي . فلنذكرنا من أهل المعروف عزله وتوليه أمين غيره . وأيضا وقف صقر المذكور وسبل وحبر على نفسه ثمان نخلات التي على ساق التينة ثمعد على بنات أخيه محمد بن قطام وعلى خملة بنت قياض بينهما بالتساوي فمن مات منهن فحقه راجع على الباقي . ثم بعد هن تابعات الأوقاف المذكورة . مالعقبهن شئ فصار جميع الأوقاف المذكورة على الترتيب المذكور أرضها ونخلها وتوابعها ولوازمها وما يعرف بها وما ينسب اليها وقفا مؤيدا منجزا شرعيا ثابتا لا زنا على مذهب الامام أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه لا تباع ولا توهب ولا تورث ولا شئ منها بل محرمة بجميع محارم الله التي حرم الله بها الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا والربا وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق .

قائما على أصوله جاريا على رسومه ، ماضيا لأهله جائزا لهم . لا يزيد سرور الأيام والأزمنة الا تأكيدا ولا يكسبه تقلب الأوقات الا تمهيدا . ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد . وكلما تطاول عليه زمان أكدته وكفا أتى عليه عصر جددته وأكسده لا يزال ذلك كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليجدد في كل عصر ذكره ليقرع الأسماع ما ذكر فيه من حكمه وينقله الخلف عن السلف لتتقبض عنه الاطماع الكاذبة ، وتقص عن تناوله الايدي الظالمة . لا يزال هذا الأمر جاريا في ذلك الوقف على شرائطه المذكورة وأحكامه الموصوفة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ومن تعرض هذا الموقف بتغيير أو تبدل أو تحريف أو إغوان عليه يقول أو فعل أو مشورة فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولا فرضا ولا نقلا والله تعالى حسيه وطلبيه ومجازيه ومعاقبه ومسائله - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الآية - يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، الآية - يوم الرجفة يوم الآزفة يوم الحسرة يوم الندامة يوم الأخذ بالعطاسة يوم يفر المرء من أخيه النخ . . . ويم لا يجزى والد عن ولده . الآية - يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية - وجعله الله من الأخسرين أعمالا . الآية - فمن بدله بعد ما سمعه الآية .

كان ذلك خامس شعبان عام ٩٤٠ تسعمائة وأربعين من الهجرة النبوية
على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. شهد على ذلك محمد بن علي بن حواش وكتب
بيده. شهد على ذلك سليمان بن علي بن حمد وكتب بيده. شهد على ذلك أحمد
ابن عثمان بن حمد بن ريس وكتب بيده. وشهد على ذلك محمد بن حسين بن منصور
وكتب بيده. شهد على ذلك محمد بن حمد بن منيف وكتب بيده. وشهد على ذلك
أحمد بن سليمان بن مشرف وكتب بيده. شهد على ذلك الاقرار من صقر بالاوقاف
الذكورة واخراجها من يده الى يد (مرهجة) الذكورة مشرف بن رميح وكتب بيده.
شهد على ذلك رميح بن مشرف بن رميح وكتب بيده. وشهد شارح بن مشرف بن
رميح وكتب عنه بانه.

ثبت عندى اقرار صقر بجميع ما هو فى هذا الكتاب فحكمت عليه بصحته بعد أن سألتنى
ذلك والاعتماد به من له الدعوى شهود مشرف بن رميح وأبنائه الذكورين أعلاه وغيرهم
كتبه طلحة بن حسن بن علي بن عبد الله بن بعام بيده فى شهر شوال عام ٩٤٢ هـ
ثم نقل هذه الوثيقة من أصلها بعد ما اختل يسير من أولها فقير عفو الله سليمان بن
علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بتاريخ رابع شهر الله المحرم
سنة ١٠٧٥ الف وخمس وسبعين هجرية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. وذلك
بعد ما عرفت ان ذلك خط الشيخ طلحة حقيقة. وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم. ونقل هذه الوثيقة الثالثة من خط الشيخ سليمان بن علي
رحمه الله تعالى الفقير الى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان غرة
رجب سنة ١١٢٥ هـ. ونقل هذه الوثيقة الرابعة محمد بن عبد اللطيف خامس
جماد أول عام ١٢٤٥ هـ حامدا الله معليا على نبيه ومسلما. ونقل هذه الوثيقة
من خط محمد بن عبد اللطيف - بعد ما خشي عليها التلف والذهاب راجى عفو ربه
عبد اللطيف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى بتاريخ شهر صفر سنة (١٢٩٩ هـ)
(الف ومائتين وتسع وتسعين. وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه
وسلم".

٢- وصية رميثة بن قضييب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والعلاة والسلام على من لا نبي بعده. محمد وآله وصحبه.

هذا ما وقف وحبس وابد (رميثة بن قضييب أولاد جبر) وقف وحبس حائط روق الكائن في (عقدة دینار) في (أشقير) وشهرته تغني عن تحديده شرعا. ووقف ثلاثة أرباع حويط حمد المعروف الذي قبلى أرض الفاضل في (عقدة دینار) شرقي سوق حيطان البدی. كل ذلك وقفه رميثة بن قضييب رحمه الله تعالى: أرضه ونخله وأثله بحدوده وحقوقه ومائة ونمائه وكافة منافعه الداخلة فيه والخارجة عنه ما يعرف بذلك وينسب اليه شرعا. وقفنا صحيحا شرعيا مرضيا نافذا لوجه الله تعالى. ثوابه لرميثة. وحكمه في الأكل من غلته حكم وقف صبيح رحمه الله في مسجد اشقير. يحمل ساطا - للالكين في ليالى شهر رمضان المعظم. فصار وقفنا مهرورا مؤبدا محرمًا بجميع محارم الله ومحارم المذقات الموقوفات المؤبدات، وبما حرم الله به للفواحش ما ظهر منها وما بطن. وليحذر المتعرض لهذه الوقفين المذكورين - الموت، وغصته ومنكر ونكير ومسالتهما، والحشر والموقف، والحساب الشديد والعذاب الأليم. وعلى التعرض بما ينقص هذا الموقف أو شيئا منه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، واذاقه الخزي، وبلاء بالفقر وضيق الصدر، ونوائب الدهر. وجعله من الأخسرين اعمالا (الآية)، واجر الموقف فيما قصد من ذلك على الله الذي يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين. وهذا مكتوب بحضرة الولي يومئذ: محمد بن عبد الرحمن بن علي ابن حمد بن عساكر ابن بسام وكتب محمد بن حمد بن محمد بن منيف بن بسام القاضي بيد، وأثبت، وأمضاه حكما، وصححه، وألزمه شرعا، وشاعت وذاعت صحة هذا الوقف وأكله جيلا بعد جيل، في مسجد اشقير بتاريخ (التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٩٨٦ هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها السلام وأفضل العلاة.

كتب هذه الوثيقة ووثيقة صبيح أحمد بن سليمان بن مشرف من خط محمد
ابن حمد بن محمد بن منيف بن بسام حرفا بحرف، من غير زيادة ولا نقصان في آخر
شهر شعبان سنة ١٠٦٥ هـ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة
والسلام، والحمد لله رب العالمين .

ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح رحمه الله تعالى من خط الشيخ أحمد بن
سليمان بن مشرف رحمه الله تعالى الفقير الى ربه غفر الله ذنوبه محمد بن عبد اللطيف
حامدا لله ومعلما على نبيه ، ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح من خط محمد بن
عبد اللطيف مخانة الطف والذهاب العبد الضعيف عبد الرحمن بن عبد اللطيف
ابن موسى . (وصلى الله وسلم على محمد وآله) .

قد احسرت الناس كل بدعة
واعرضوا عن كلهم انظروا حليث
مثل بني اسرائيل لا تشكوا
عوضهم لما شكوا انهم
ومن قضية الشيخ عبد الله بن
يا مولعا بدخان النار يشرب
اورده عليه دليلا كي تخلله
النار تاكل جسم الكفر غذا
اخطأت اخطأت لا اخطأت
يا ليت شعري بما استحللت ناركم
وتنقلب لذكر الدخان تشرب به
لم تملك الصبر عنه ساعة ابدا
هذا والامر في السوق ينقصة
وشارب النار في الاسواق يشربها
دخان قد على اعل الجبين له
يرى بصا قاله في وجه صاحبه
والشاربون له ما زال عاديكم
يهمونه اولابا بالنار تكرمته

اعتبر به الشيخ الشيخ المنكر
انظروا من سنة خيل الورى
الكم والسلوة بلما تصل
وامر لما غيرنا غيرنا
وامر لما غيرنا غيرنا
وانت ناكلها ظما وطغيانا
ولهذا فيما ادعيت قد طاعت شيئا
الكل وشربا وتقر بها ودخاننا
هنا ذكر الاضلال وعدونا
مثل امرئ كان نحو الماء عطينا
يتقى العدل زهانا وميزانا
ولا يبالي بفعل الخبز اعلنا
وتغذوه قداه صار ملائكة
مع قبح عرف لذكر الوجه قد شانا
ان جاءهم زائر ايماننا
لا نهم قد غدوصها وعمانا

(١) سبعة الاشياء في الفصل الثاني من الباب الثاني الى انه لهدم لعقيدة قدسها الزم

مؤرخ للشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف شيخ الامام محمد بن عبد الوهاب

تسنا اكلت

يدعون ما شربوا دخانه تسنا
من كل في هذه اعم فهو غذا
لا شك من عاش في شرب هو شبه
ان الجزاء للور من جنس ما عملوا
قواعد الشرع عما هذه المصحة
لا تشبهوا حلها يوم الشرعنا
قد اصبحت الجمل بالتحقيق عندكم
ما حلل النار المكر غرض في سفيه
تسنا ما بين من افق من شها
يا ويهم لور من اهل الجحيم بها
ان الدخان عذاب للكفور اذا
لا تطلب النص في تحريم ابد
فتب الى الله من شرب لها ابد
واقبل نصي من لوارك وفائدة
وخاله النفس والشيطان اعصها
وكن لنصيحها ما عشت شها

وان تنزل تسنا الحكيم تسنا
اعمى واغوى عز به القلب قد رانا
وهكذا البعث فيه كيف ما كانا
نار النار كنن بالنار حشرنا
تلا ملت في الور نصا ونبينا
اوسعت الشرع تزويد وبقنا
مع اوضح العلم والعرفان سنا
في العالم غدا في الدنيا فنا
وبهم من قال بالتحليل تسنا
عليهم من دخان النار الوانا
ما حل في قبره من اجل ما كانا
بل اطلب النص في التحليل تسنا
قاله يغفر له قد تاب ما كانا
تقوى بها في الور امننا واما
وانها محض كذا النص زمانا
فكم اضلا عتولا بل واذهانا

ومعه عند الله مشغل عما يكلم الناس فيه مما شئروا به ليعلم الله فقال انعم
 ذكره وسلم مع عنائه مشغل ان يشغلنا قبله نجاة السلوات في الارض
 فلم ينكر على السائل والسكان في عما ما فوقه هو وما تحته هو ذكره
 اهد مع عنائه مشغل عن متبذله خليفته هذا العالم فليجاء به
 قال كان الله ولم يكن غيره شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الزمر
 كل شيء ذكره البخاري ومع عنائه مشغل ان يكون الناس يوم تبدل
 الارض قال على الصراط وفي لفظ اخرهم في الظلمة دون البحر فسئل
 من اول الناس جاز فلا فقالوا المجرى ذكره وسلم ولا تنافي بين
 الجوابين فان الظلمة اول الصراط ف هناك مبدأ التبدل وتواجه
 وهم على الصراط وشغلهم قولهم كذا فسوف يحاسب حسابا يسيرا
 فقال ذلك الرحمن ذكره وسلم وشغلهم من اول الطعان يا كل اهل الجنة فقال
 زيادة كبد اللوت فسئل ما عذابهم على شيء فقال ينحسروا ثور الجنة
 الذي كان يأكل من اهل الجنة فسئل ما مثل الجحيم عليه فقال من عين
 فيها تسمى سلسبيل لا ذكره وسلم وشغلهم هل رأت برهمن فقال انور
 انى اراكم ذكره وسلم فذكر الجواب ونبتة على الماء نفع من الرويد وهو
 النور الذي هو نجاة الرب تعالى الذي لو كشفه لم يقع شيء وشغل
 يارسل الله

فعوى احد حامدي فقلقه فيما اري بلادم كاجح فقال اخرج الغدر
 واتخذ فخرج شيتا كهنية العلة ثم نبذها فطرحها فقال لها اخرج
 الرافة والجمعة فاذا عرفت الله في اخرج شبة الفضة ثم هذبها ثم جلي
 الميت فقال اغد صا لما فرجت بها وقد عمل الصغير ورحمة على الكبير
 ذكره اهدى من كل النكاح خيرة قال القرني الذي اتا فيه ثم الكاخر ثم
 الثالث فليكن لمو شغل عن اهل النكاح فقالوا عايشة فقيلوا ان
 قال ليوها فقيل ثم من قال عنزوا كما هو في النكاح وسألتني والعباس
 اي اهل النكاح الكين قال في نكاح بنت عمه قال ما جئتكم فاسكنوا
 عن اهل النكاح لا يحب اهل من انما شغل وانما شغل ما من نكاح
 قال نعم من قال علي بن ابي طالب قال العباس يا رسول الله انك
 اخبرهم قال لا علينا سبقك يا كعب بن زهير ذكر الترمذي في
 وفي الترمذي ايضا انه سئل اي اهل بيتك احب
 اليك قال الحسن والحسين وسئل اي الامام
 احب اليك قال الحسين في السر والعلن
 اسئل عن اهل بيتك من الامم كنية
 الصلاة والطهارة والصدق
 غير انما تولى جيلك

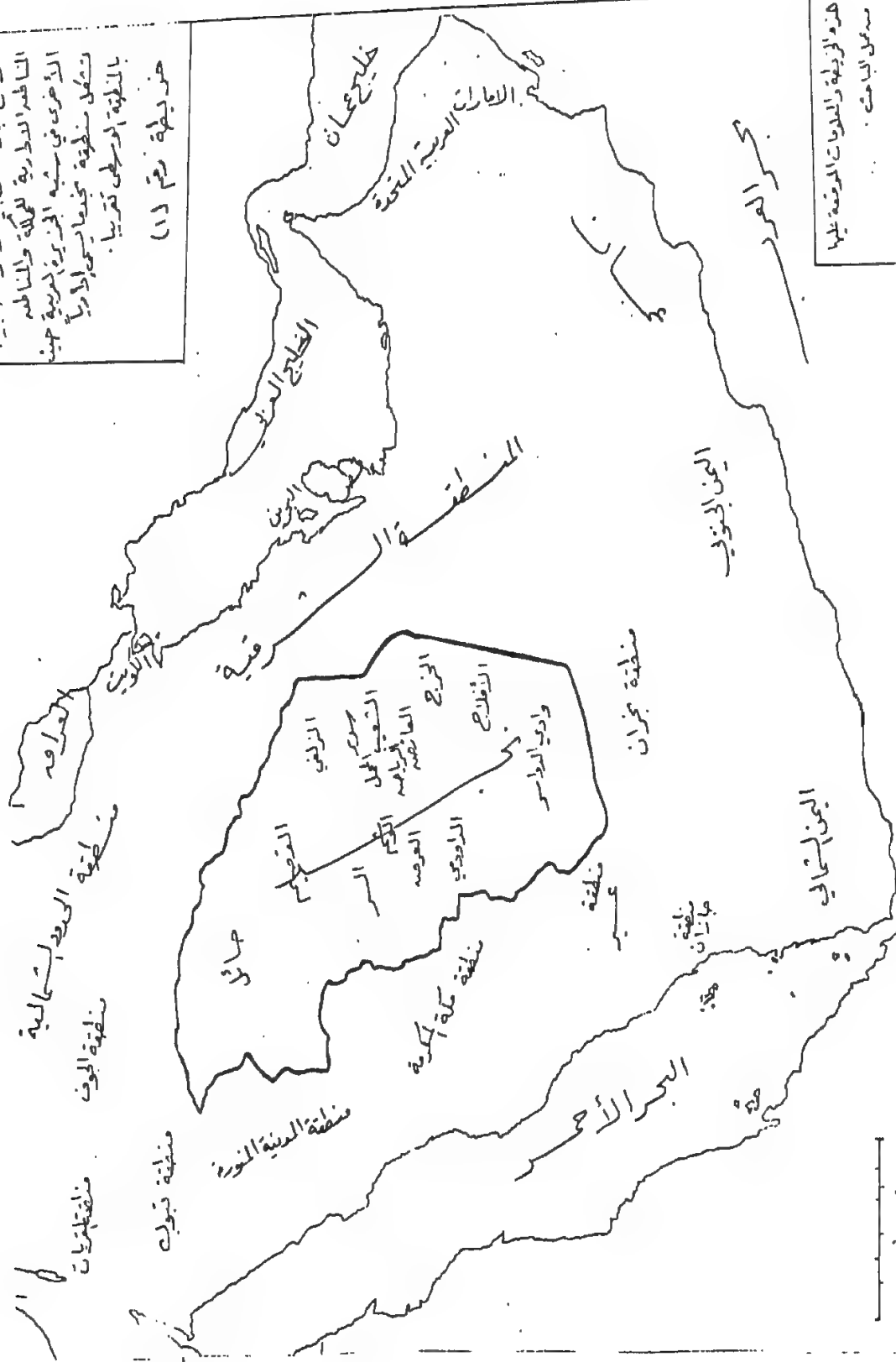
الخزائن والصور

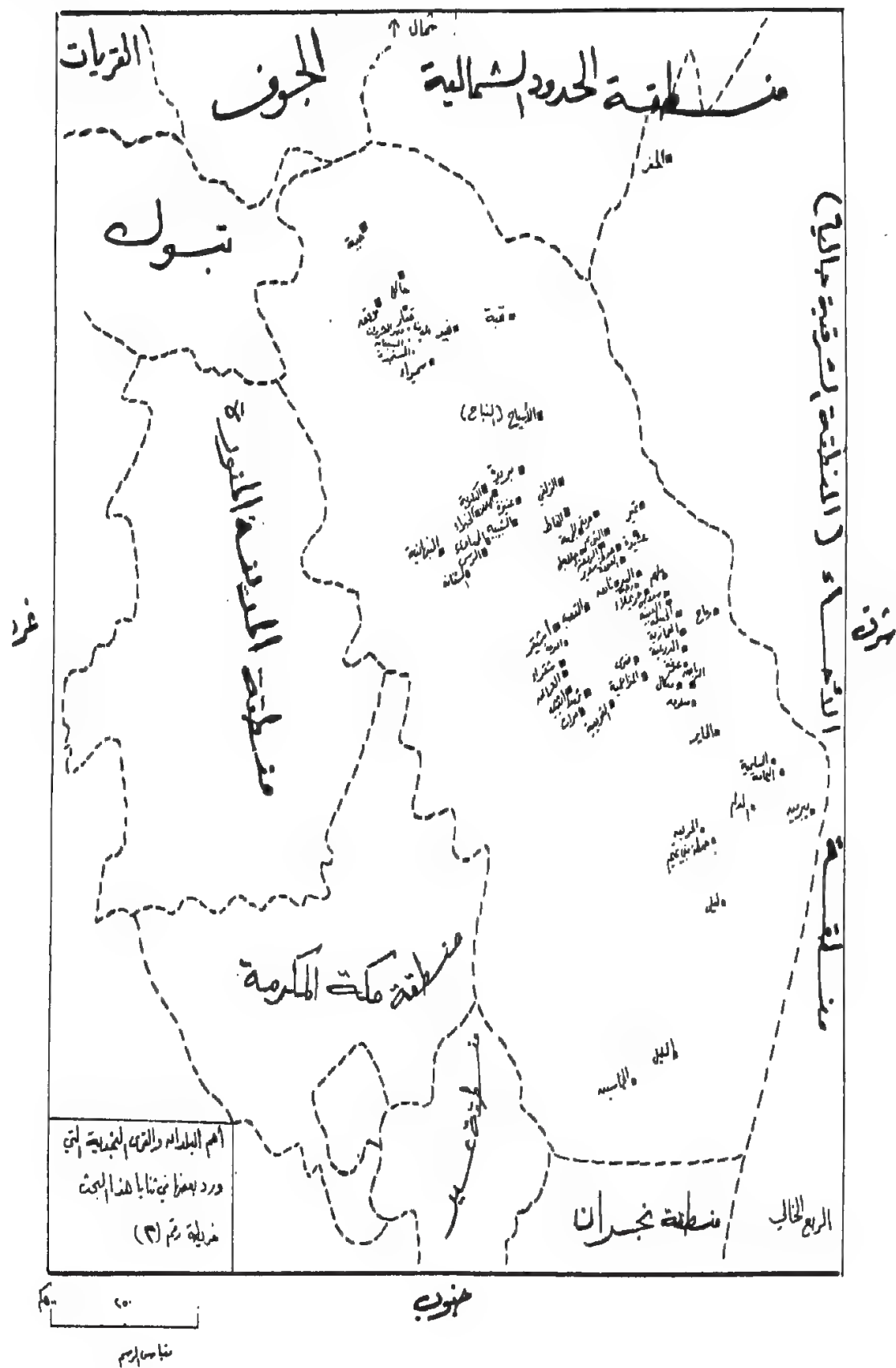
للعواد

موقع نجد القريبي والمتوسط بين
الناطقة الدارورية والحكمة والناطقة
الأخرى في شبه الجزيرة العربية حيث
تشكل منطقة حزاما جديا إداريا
باللغة الوسطى تقريبا.

خريطة رقم (١١)

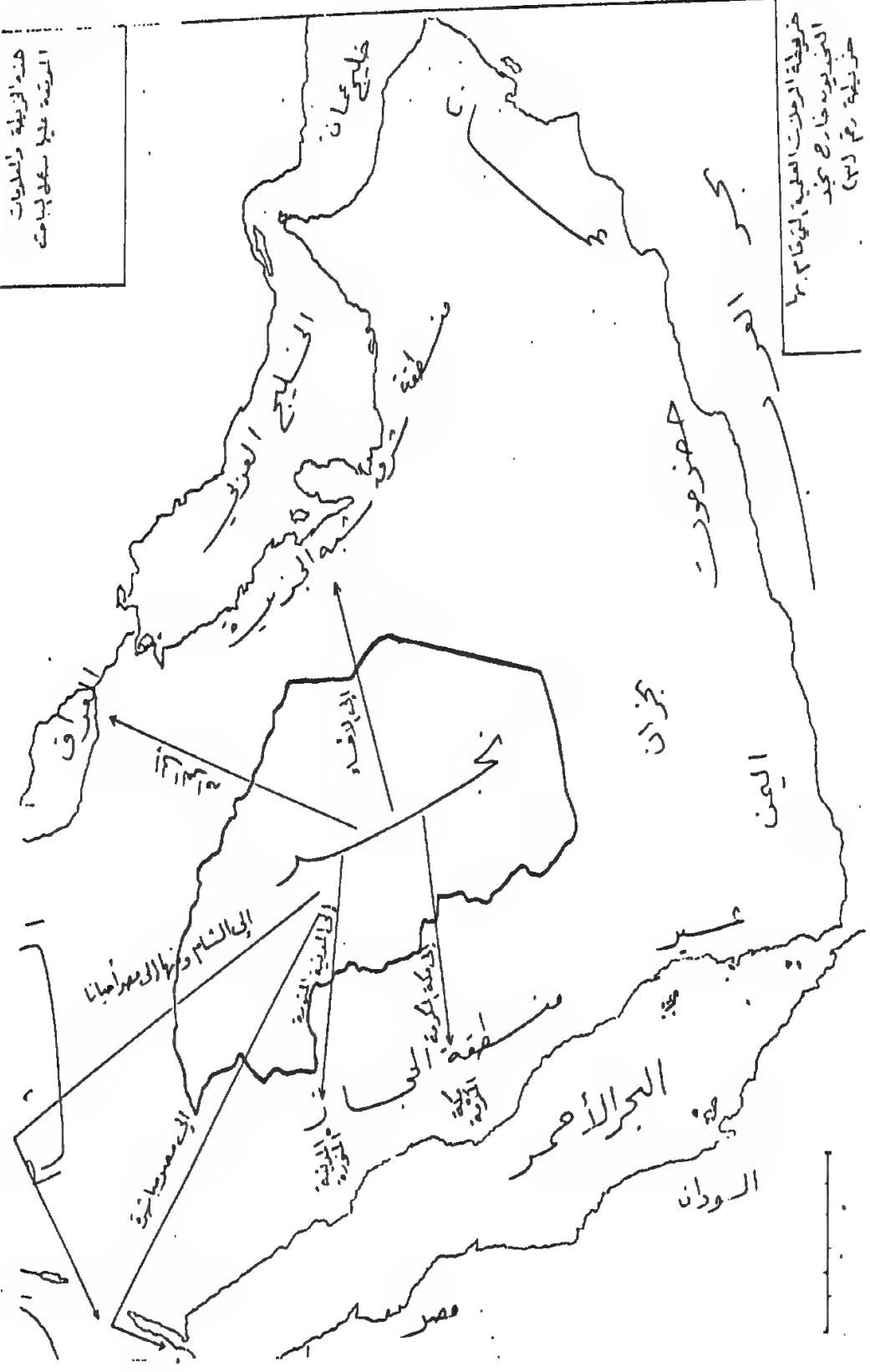
هذه الخريطة والبيانات المرفقة عليها
معمل الباحث .





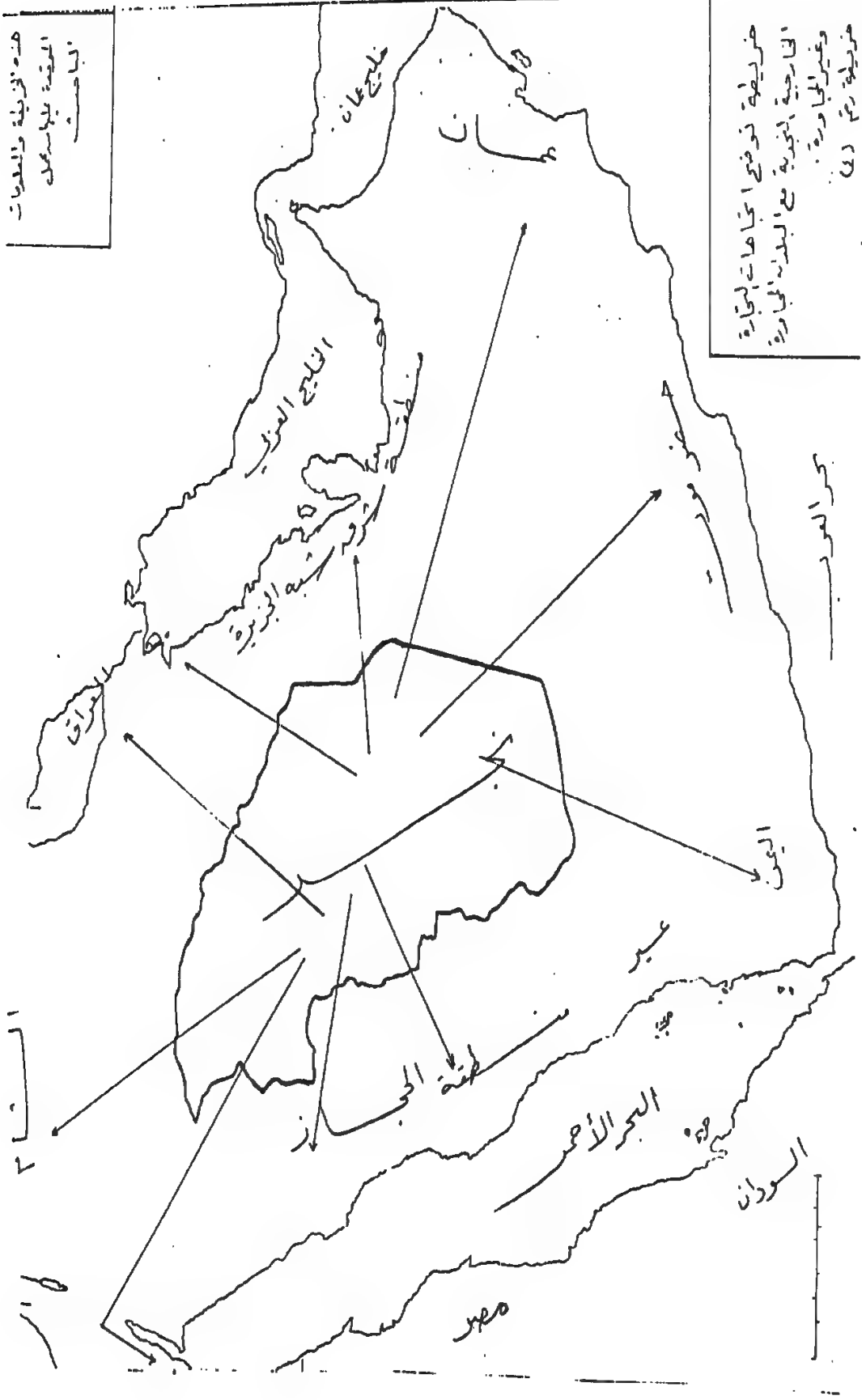
هذه الخريطة والسلطات
الترقية عليها سجلت

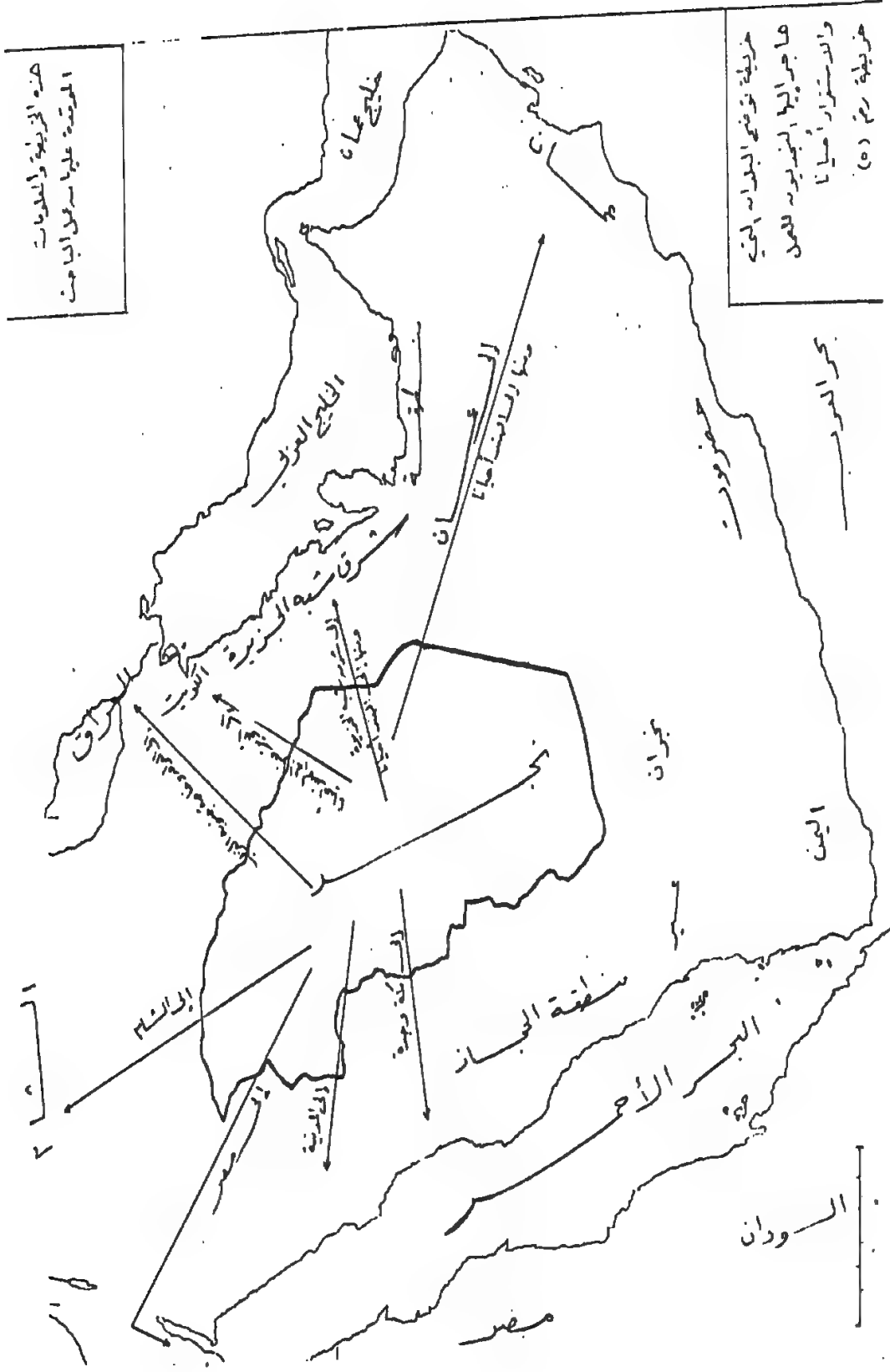
خريطة المنطقة المحيطة بالبحر الأحمر
البحر الأحمر خارج جدار
خريطة رقم ١٥٨



هذه الخريطة والطول
المقاسة بالمسحور
بالحسن

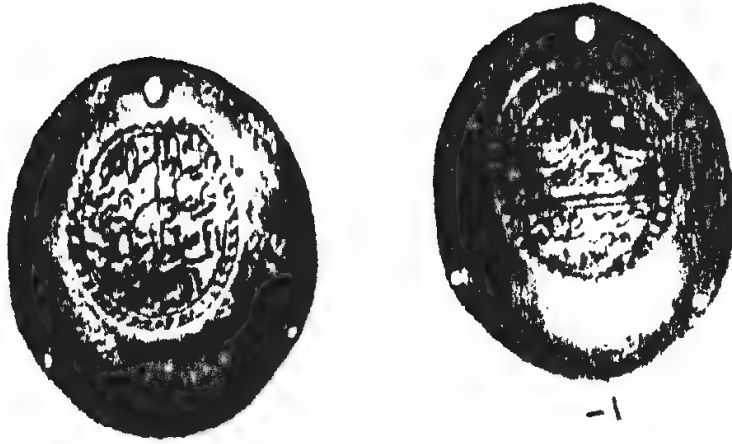
خريطة توضح اتجاهات التجارة
القارية البحرية مع بلاد الجزيرة
وغير الجزيرة
خريطة رقم ١٠١



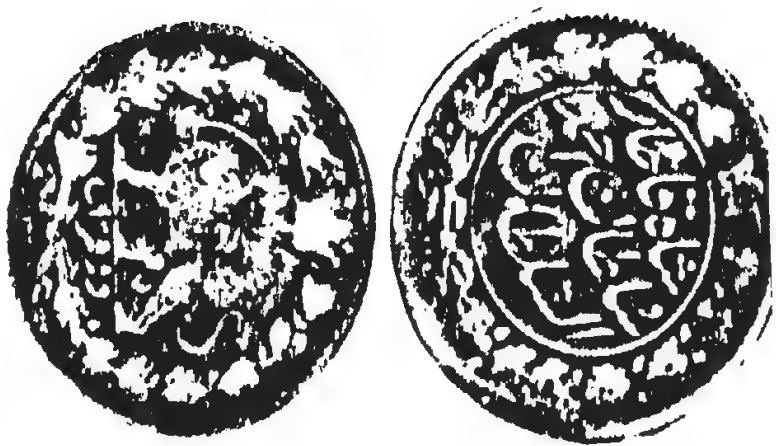


هذه الخريطة والمعلومات
المقدمة عليها سيعمل الباحث

خريطة توضح الحدود الجغرافية
لها جغرافيا الهندية للعمل
والدستور احيانا
خريطة رقم (٥)



١-٢- زر مجبوب ذهب باسم السلطان مصطفى الثالث ضرب بمصر سنة ١١٧١ هـ.
المصدر: د. عبد الرحمن فريسي



اسم السلطان ، سلطان احمد شاه قاجار .
مكتوب على : التران و وهي من المسلات
النصية التي تداولها فيهم . اما التي
اسفل فتبدو مقلدة و الناقية و المعاصرة وهي
التي قيسه من : التران .

المصدر : المجلد في الكوشية ليوستة اشهاب متاك منشور في طهران - إيران
الكوشية عدد ٤٨ - محرم ١٣٩٧ هـ | يناير ١٣٩٧ هـ | ١٣٩٧ هـ

- ٢ -



- ٢ -



- ١ -



- ٤ -



- ٢ -

- ١٤١ - البندقي أو الموكات أو المشاخصة .
٤٢٢ - أبوكطب (العملة الأسبانية) .
المصدر: معجم العملة العربي: دراسة ومجموع (النقود المتداولة أيام الجورني) للدكتور عبد الرحمن منهي .

- ٣ -



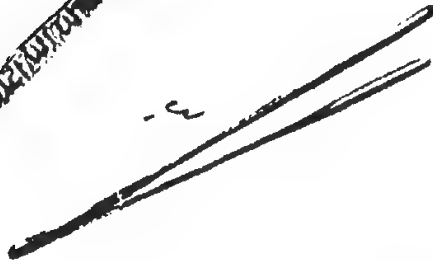
- ٢ -



- ١ -



- ٢ -



- ٣ -



- ٥ -



- ٦ -

Courtesy of the American Numismatic Society

COMMON COINS IN 19TH-CENTURY ARABIA: THE MARIA
THERESA THALER AND THE HASA-MINTED THAWILAH

١٣٤١: دولار ماريا تيريزا المسمى مملوكا الفزانة .
١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٦: أنواع سبائك الفولاذية . المصدر: Winder



- ٢ -



- ١ -



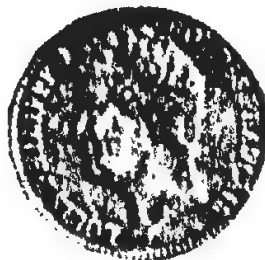
- ٥ -



- ٤ -



- ٨ -



- ٧ -

٢٤١ - ريالہ اودولار مارا ریازیرا . ہنورہ لودری مارا حل سکہ .

٢٤٥ - الفاضلہ محلہ نالپوہ .

٨٤٧ - خزانہ لوی فیلیپ .

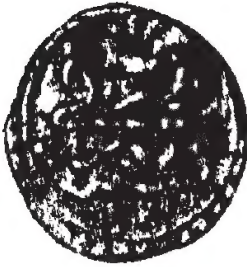
المصدر : د عبد الرحیم مہدی .



- ٢ -



- ١ -



- ٤ -



- ٣ -



- ٦ -

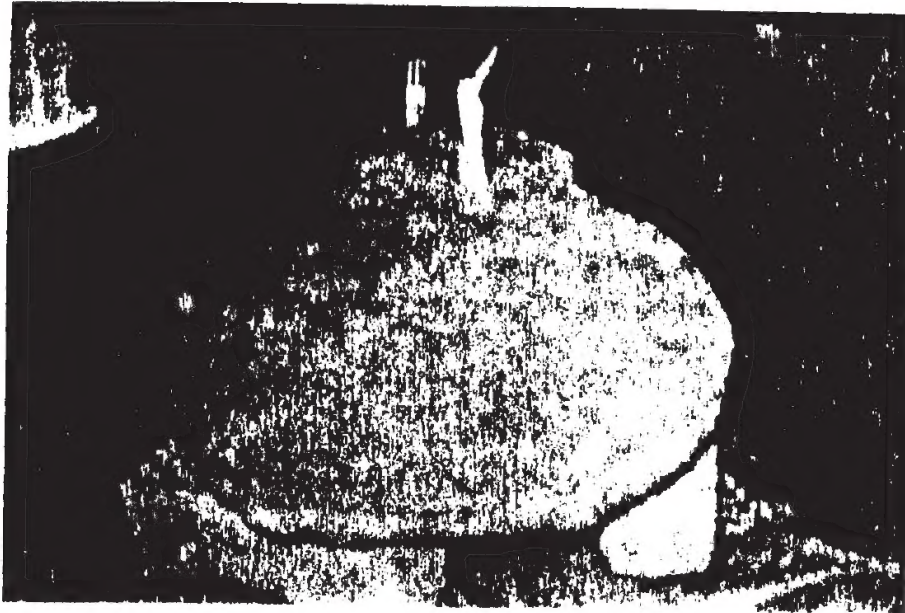


- ٥ -

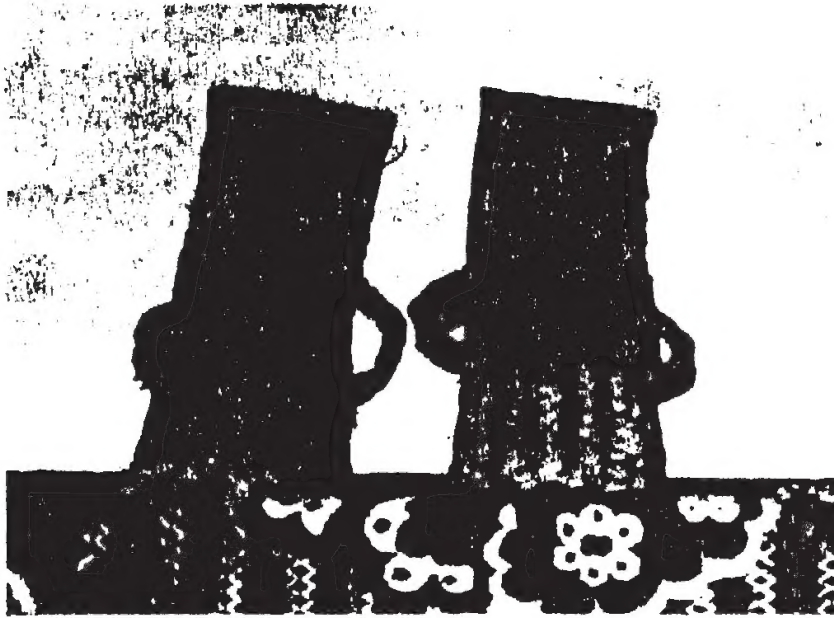
٢٤١ - بشلوك فضة ضرب امدلا ببول عام ١١٧١ هـ .
 ٢٤٢ - بارة (نصف فضة) ضرب مصر سنة ١١٧١ هـ .
 ٢٤٥ - أفتا فضة ضرب مصر ١١٧١ هـ .
 المصدر : عبد الرحمن فرهي .



نوع من الأشدة يسمى المسامة لنقل الأحمال



الرحى وبعض الأواني المنزلية



١ - نعال مالحوص .



٢ - المرقوب وهو أحد أنواع النعال .

المصدر : القويبي : مرجع - الجزء ١٥٧ ، ١٥٨ .

